

وليم شكسبير المآسي الكبرى

هاملت
عطيل
الملك لير
مكبث

طبعة ثانية



عَرَّبَهَا وَقَدَّمَ لَهَا:
جَبْرُ الْإِبْرَاهِيمِ جَبْرًا
مَعَ دَرَسَاتٍ نَقْدِيَّةٍ





11931



المأسي الكبير

هاملت ، عطيل ، الملك لير ، مكبث

المآسي الكورى : هاملت ، عطيل ، الملك لير ، مكبث / مسرح عالمي
وليم شكسبير / مؤلف من إنجلترا
تعريب وتقديم ودراسة : جبرا إبراهيم جبرا / مؤلف من فلسطين
الطبعة العربية الثانية ، ٢٠٠٠
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي :

بيروت ، ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،

هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١

التوزيع في الأردن :

دار الفارس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١

E - mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف والإشراف الفني :

سكيبية®

لوحة الغلاف :

زهير أبو شبيب / الأردن

الصفّ الضوئي :

حكمت مشموشي / المؤسسة العربية ، بيروت

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.



وليم شكسبير

المأسى الكبرى

هاملت
عطيل
الملك لير
مكبث

عزَّيْهَا وَقَدَّمْ لَهَا:
جَبْرًا اِبْرَاهِيمَ جَبْرًا
مَعَ دَرَأَاتِ نَقْدِيَّةِ



مَأْسَاة

هَامِلَات

هاملت

بين العبث وضرورة الفعل

شخصية هي من أشهر الشخصيات ، منذ أن شوهدت لأول مرة قبل أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن ، على خشبة مسرح في لندن : لا شخصية واقعية بل شخصية خلقها خيال شاعر ، فتجسدت في خيال الحضارة أكثر مما تجسد أي رجل عاش التاريخ وصنعه . هذه شخصية هاملت . شخصية لا تستنفد مهما تأملها المتأملون ، وتبقى حياة تغري بالتأمل كأن « ألسينور » ، القلعة التي عاش فيها هاملت مأساته ، جمعت رموز حضارة برمتها ، حضارة تعظم الفكر والتساؤل ، تحسّ بروعة الدنيا وجمال الانسان ، ولكنها تحسّ أيضاً « بالابخرة الموبوءة » التي تغزو الحياة ، والغوامض الرهيبة التي تكتنف الانسان .

وليس عجباً أن تكون مسرحية « هاملت » أحب مسرحية للناس في تاريخ الادب والتمثيل . انها أشد مأسى شكسبير صقلاً ، وأكملها شكلاً ، وأكثرها تنوعاً وحشداً . وهي تعتمد في الظاهر على فكرة بسيطة واضحة : هل سينتقم هاملت لأبيه ؟ ولكنها تبدأ بظلام منتصف الليل وتسير خلال ظلمات النفس

وظلمات العقل ، لتكشف لنا عن حب بريء ينتهي الى الجنون فالغرق ، وحب فاسق يشق طريقه بالقتل والمكبدة الى الحكم ثم السقوط بالدم ، وشباب عميق الحس والفكر يجرّ الخطى نحو المأساة الاخيرة ، حيث يكون في انتقام المنتقم موته وموت الآخرين .

ما هذه الاظواهر المسرحية . انها الحركة السائرة فوق خضمّ من الرموز والمعاني ، وسحرها الدائم كامن في هذه الرموز وهذه المعاني .

يقول كولردج : « يبدو أن شكسبير أراد ان يضرب مثلاً في هاملت على الضرورة الخلقية في تحقيق التوازن بين عنايتنا بما تدركه حواسنا وتأملاتنا في ما يجري في أذهاننا : التوازن بين العالم الحقيقي والعالم الخيالي . هذا التوازن في هاملت مضطرب . فأفكاره وأخيلته أشد وضوحاً لديه من مدركاته الفعلية ، وهذه المدركات بعينها اذ تعبر بين اطواء تأملاته ، تكتسب اثناء عبورها شكلاً ولوناً هما غريبان عنها في الواقع . ولذا نرى نشاطاً ذهنياً عارماً ، يوازيه عزوف مماثل عن الفعل الحقيقي الذي يجب ان ينتج عنه . وشكسبير يضع بطله في ظروف تحتم عليه الفعل الآني بدافع الساعة ، فهاملت شجاع لا يحفل بالموت . غير أنه يتردد نتيجة لخواطره ، ويماطل نتيجة لفكره ، ويفقد القدرة على الفعل وهو في شدة العزم . »

في هذه العبارة عيّن الشاعر الناقد الرومانسي مشكلة هاملت ، وان يكن في تعيينها على هذا النحو قد عيّن ايضاً مشكلة من مشاكل النفس الرومانسية في القرن التاسع عشر . غير انه وضع يده على مفتاح المأساة ، واثاح السبيل الى رؤية مشكلة هاملت من

ناحية تفرعت عنها نواح عديدة ، اختلف فيها النقاد والمفكرون و علماء النفس . فكولردج يقول ما معناه ان مأساة هاملت هي مأساة الفكر ، أو مأساة التناقض بين الفكر والفعل ، انها مأساة رجل شجاع ذكي تمنعه تأملاته في ما ينوي فعله عن تحقيق ذلك الفعل . لكن هل يفسر هذا الرأي اكثر من ظاهرة واحدة لمشكلة هاملت ؟ وكيف يفقد القدرة على الفعل نتيجة لفكره ؟

تبدأ ضرورة الفعل عند هاملت عندما يظهر له طيف ابيه الملك بعد مرور حوالي شهرين على وفاته ليقول له ان كلوديوس ، أخا الملك وعم هاملت ، قد قتله وتزوج من الملكة ونصب نفسه ملكاً على العرش ، ويحث هاملت على الانتقام له . فيصمم هاملت على الانتقام ، لكنه يتوانى في تنفيذ رغبة الطيف ، وفي توانيه تنسرح أحداث القصة ، وتفتح نفس هاملت عن غوامضها . يجب ان ندرك اولاً انه ليس بالمتواني لمجرد رقة في طبعه واضطراب في ضميره ، مما قد يقترن بالحساسية المفرطة والتفكير العميق في شاب قضى عشر سنين في دراسة جامعية ، لاننا نراه قادراً عند الضرورة على الفعل المريع الخاطف . فهو لا يكاد يخاطب الملك الا باهانة ، ولا بولونيوس وزيره المهذار الا بتهكم . ويقابل حبيته أوفيليا بالقسوة والتعريض الجارح ، واذا ما سمع صوتاً خلف الستارة في غرفة امه ، استل سيفه وضرب بولونيوس المختبئ وراءها ضربة قاضية ، وعندما يأخذه رفيقاه روزنكرانتز وغلدنسترن ، بأمر من الملك ، في رحلة يراد بها تسليمه الى من سيقتله ، يتخلص منهما براءه لكي يقتلا عوضاً عنه . وهو اول من يقتحم سفينة القراصنة عندما تهاجم المركب الذي يحمله الى

انكلترا ، وفي المباراة الاخيرة ، يطعن لرتيس ، ثم يطعن الملك ويقحم خمره المسمومة بين شفثيه .

من يستطيع ذلك كله ليس فاقد القدرة على الفعل ، ولز تخونه العزيمة عندما يشاء . غير ان هاملت لا يسرع في تنفيذ الانتقام ، وينصرف الى التأمل والتفكير والجدل . وقد قال شليغل - ورأيه يقارب رأي كولردج - إن المسرحية تحاول ان ترينا ان « هاملت يناق ازاء نفسه ، وما شكوكه وتوجساته على الاغلب الا اعدار يقصد منها تغطية حاجته الى التصميم ... انه لا يؤمن ايماناً ثابتاً بنفسه ولا بأي شيء آخر ... انه يضيع نفسه في متاهات الفكر . »

لا ريب ان شكسبير اراد شيئاً من هذا في هاملت فجعل ازاءه رجلين هما على التقيض منه ، للتوكيد على خصلة التردد فيه : لرتيس الذي حالما يعلم بمقتل ابيه بولونيوس يقود ثورة على الملك ، وفرتنبراس الذي يقيم حرباً على بولنده ولو « من اجل قشرة بيضة ا » . وكذلك الملك لعله يرد رأي شكسبير حين يخاطب لرتيس حائثاً اياه على الثأر من هاملت ، بقوله :

ان ما نبغي فعله

يجب فعله عندما نبغي ، لأن « نبغي » هذه تتبدل ،

ويعتورها من النقص والتسويق

بقدر ما هنالك من ألسن وأيد وصدف .

وعندها نرى ان « يجب » هذه أشبه بزفرة مضنية

تروح عن النفس ولكنها تؤذي الجسد .

« الألسن والايدي والصدف » تلعب دورها في تسويق

هاملت ومماطلته ، غير أن حاجته الى التصميم ، وترده ، وتأملاته

ليست مما يروِّح عن نفسه ، ولا هي بالضرورة دليل على عدم
إيمانه بنفسه بالمعنى الذي يقصده شليغل . فهو قد يخشى أن الطيف
الذي رآه ليس طيف أبيه ، بل هو صورة للشيطان الذي يروم
الدفع به الى الهلاك ، لأنه يعلم علم اليقين أنه مصاب بكتابة عميقة
تُخلّ بالانسان ازاء الواقع ، وهو لذلك يريد دليلاً على جرم عمه
عن طريق التمثيلية فشك مثل هذا ليس عذراً عن عدم التنفيذ
بقدر ما هو عرض من اعراض المحنة النفسية التي يعانها :
والاعراض كلها تدل على أمر في نفس هاملت هو غير الشك
والتوجس . فالتأملات والحاجة الى التصميم ليست هي السبب
المباشر في تأخير الانتقام ، بل هي بدورها نتيجة لسبب آخر
يكن وراءها .

لإنها أعراض لحالة من القلق او اليأس ربما شذت عن الطبيعة
السوية ، يعرف هاملت وجودها في نفسه . فإشاراتنا الى
« الطبيعة » - وهي السويّ الذي أحسّ بأنه مهدد بفقدانه -
تتكرر من اول المسرحية الى آخرها ، وهو يخشى شذوذه
وخروجه على الطبيعة ، حتى في ما له شأن بوصية الطيف له .
فينبه نفسه الى ذلك وهو في طريقه الى حجرة أمه بعد مشهد
التمثيلية التي اراد بها فضح الملك :

لعمرى بوسعي الآن

ان أشرب الدماء حارة ، وآتي من رهيب الفعل
ما يرتعد النهار لرؤيته !... على رسلك - الى أمي .
أيها القلب لا تتخلّ عن سويّ طبيعتك . اياك ان
تفسح لروح نيرون * طريقاً الى صدري الصامد هذا .

* قتل نيرون امه لانها سمّت أباه .

فلأكن قاسياً ، لا شاذ الطبيعة ...

وتظاهرة بالجنون محاولة ايجابية منه لدفع الجنون عن نفسه .
لقد رأى هاملت من الدنيا ، بعد استجابة اللذة والدّهش
والاعجاب ، شراً وفساداً لم يكن قد حددهما قبل ظهور الطيف
لإعلامه بجريمة أمه وعمه ، ولكن حزنه على وفاة أبيه - وهو يجبه
جأً عجبياً - عجل في بلورة احساسه بأن « الزمان مضطرب »
وبأن في امور الدنيا « فساداً وعفنأ » . فهو أول ما زراه ،
فريسة الكتابة :

الملك : مالي أرى السحب ما زالت مخيمة عليك ؟
هاملت : لا ياسيدي ، بل انني في الشمس اكثر مما ينبغي .
وعندما يلومه الملك وأمه على حزنه الذي لا ينتهي على موت
أبيه ، وقد مر عليه شهران ، يعترف بأن في نفسه أموراً هي
اعتمق من الحزن المجرد :

لا عبأتي الخالكة وحدها يا اماه ،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التنهيدات العاصفة من ضيق النّفس
لا ، ولا الهر السخي من العين ...
... بكافية للدلالة على حقيقي ...
... ان في نفسي ما يعجز عنه كل مظهر .
وحالماً يُترك وحده زراه في أول مونولوج له يقول :
آه يا ليت هذا الجسد الصلد يذوب
بموج وينحل قطرات من ندى .
يا ليت الازلي لم يضع شريعته
ضد قتل الذات . رباه ، رباه .

ما اشدّ ما تبدو لي عادات الدنيا هذه
مضنية ، عتيقة ، فاهية ، لا نفع منها ...
وما زواج أمه من عمه بعد شهر من موت أبيه ، الا مثل واحد ،
مباشر ، على عادات الدنيا هذه التي جعل يراها « كحديقة
لم تُعشّب ، شاخت وبزّرت ، لا يملؤها الا كل مخشوشن نتنت
رائحته . » وما فعلته امه ليس بالحب ، انه الفحشاء :

ألا أيتها العجلة الفاسقة ، تهرعين

بمثل هذه السرعة إلى الشراشف الزانية !

وحتى حبه لاوفيليا - هذه الفتاة الرقيقة التي لا نذكرها الا
وكأنها زهرة من الزهور التي تنثرها وتموت وهي محملة بها -
ينقلب في نظره الى « عادة » اخرى ، لن يرى فيها الا فساد
المرأة واقبالها على الفجور .

وبعد ان يحثه الطيف على الانتقام، ويغضب غضبته الجنونية،
ويصمم على اخذ الثأر ، يختلط على هاملت امران اثنان: احساسه
بضرورة الانتقام من عمه الفاسق السكير ، واحساسه بانقلاب كل
ما في الحياة الى شر ومن سوي الى شاذ . والاحساس الثاني قوي
جارف فيه ، يغالب الاحساس الاول ، لانه ضرب من اليأس
يحدو به الى الاعتقاد بعبث الحياة، وعبث كل ما اعتاد الناس فعله
والتمسك به . ومأساة هاملت هي الصراع بين هذين الاحساسين:
الصراع بين الخارج والداخل ، بين الضرورة الاجتماعية
والذات التي جعلت تحتقر المتواضع الاجتماعي . ولذا فان محاولته
تحديد العبث تطغى على محاولة الانتقام، وتشغله الاولى عن الثانية.
لقد قال الطيف له عبارة لعلها كانت اشد ما يخشى سماعه من احد:
ان كانت الطبيعة سوية فيك ، انتفض !

وكان جوابه :

اجل من لوح ذاكرتي
سأحو كل تدوين سخيـف احق ،
حكـم الكتب كلها ، كل شكل وكل انطباع مضى ،
مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة ،
ولن يبقى في كتاب ذهني الا
امرك وحده دون غيره ،
لا تخالطه مادة رخيصة .

وهذا بالضبط ما لا يفعله ... فعندما نراه ثانية بعد مشهد
الطيب ، وقد جعل من في البلاط يتقولون عن كآبته و «جنونه» ،
نجده منهمكاً في نقاش ساخر مع بولونيوس ، ثم مع روزنكرانتز
وغلدنسترن ، ويقول لهذين قولاً يكاد يعترف به رغماً عن ارادته
فيكشف به عن دخليته :

« لقد فقدت مؤخراً - ولست ادري ما السبب - مرحي
كله ، واعرضت عن كل رياضة اعتدتها . وفي ذلك ، يقيناً ،
وقرّ على مزاجي . فهذه الارض ، وهي هذا الهيكل البهي ،
لا تبدو لعيني الا كمرتفع مجذب عقيم ، والهواء ، هذا السرادق
البديع الحسن ، انظرا ، هذه القبة الجميلة المعقودة فوقنا ، هذا
السقف الفخم المرصع بنار من ذهب ، انه لا يبدو لعيني الا
كحشد من أبنجة كريمة تنبعث منها الاويشة . والانسان ما
اروع صنعه ! ما انبله عقلاً ، وما اقصى حدود قدرته ومواهبه !
في الشكل والحركة ما ألبقه وما اروعه ! في العمل ما اشبهه
بالملائكة ! في الادراك ما اشبهه بالآلهة ! انه زينة الدنيا ومثل

الحيوانات الاكل ... ومع ذلك كله ، ما خلاصة التراب هذه ؟
لا اجد لذة في الانسان ، ولا في المرأة ايضاً ، وان تبتسما كأنكما
تقولان ذلك . »

وما الذي يترتب على هذا اليأس ، سوى الاحساس (وهو
احساس يكاد لا يعيه بوضوح) بعث اي فعل مهما تكن غايته ؟
ولكن « الطبيعة السوية » تستوجب الانتقام لمصرع ابيه فتفاجئه
وهو يعاني خواطر العبث فكرة الانتقام كلما رأى او سمع ما
يذكره بضرورته . فحكاية هيكوبه وفريام التي ، في هذا المشهد
نفسه ، يرويها له الممثل في شعر ملتهب ، تثير كوامن ألمه وطبيعته
السوية ، وتُسَخِطُهُ على نفسه لهذه المماثلة التي لا يستطيع
فهمها ، ويتهم نفسه بالخَوَر والجبن . فيردد تصميمه على الانتقام
من جديد - إذا اثبتت التمثيلية التي يزعم اقامتها في القصر جرم
عمه . ولكننا عندما نراه ثانية ، واوفيليا تنتظره في ركن من
القاعة ، لا نجد يتحدث عن الانتقام . انه يتساءل ، في نجواه
الشهيرة :

أأكون أم لا أكون ؟ ذلك هو السؤال .

انه يتساءل عن الانتحار . وهو لا يتساءل عنه ، لأنه يفكر في
مقتل احد ، بل لان فيه هوساً بقضية الحياة والموت . والتنفيذ
الذي يذكره هنا ، ليس تنفيذ الانتقام ، بل الانتحار . غير انه
يتساءل ليس الانتحار محاولة للتخلص من عبث الحياة المرير الى
مجهول قد يكون العبث فيه امرّ ؟

وفي استمرار الحياة نفسها بالزواج والميلاد لا يرى الا هذا
العبث . فعندما يرى اوفيليا تصلي ، تتحرك عواطفه ويكاد

يخاطبها غراماً ، ولكنه فجأة يصبح بها :

« اعفيفة انت ؟ »

فالجمال اقوى من العفة ، ويحوّل العفة عن مجراها . وكيف
يستطيع ان يحبها ، والفضيلة ليست من طبع الانسان ؟ اذن
فعلها بالترهب . « اذهبي الى دير وترهبي . لماذا تريدن ان تلدي
الخطاة ؟ » كلنا ، مهما ادعينا الفضيلة ، تملأنا خواطر الشر
والعصية . « كلنا اوغاد وأنذال . » وينتهي الى القول : « فلنمنع
الزواج ! » وكأنه يريد القضاء على هذا التسلسل الجاني الشرير
الذي يستمر باستمرار الحياة .

انه في علاقته باوفيليا ، لا يرى الا عبث علاقة ابه بامه :
ابيه الذي كان يجب امه ، « فلا يسمح لريح بزيارة وجهها اذا
اشتدت . » وما الذي تمّ من علاقة الحب تلك ؟ في مشهد من
اروع واعنى ما في المسرحية ، مشهد هاملت في حجرة امه التي
استدعته اليها لتزجره لما بدا منه في اثناء تمثيلية « مصرع غونزاغو » ،
نرى هاملت وقد برزت على السطح فيه هذه الاحاسيس المتضاربة
المصطرعة سافرة صارخة . فهو يقتل بولونيوس المختبىء وراء
الستارة بضربة من سيفه ، ظاناً انه عمه الملك ، ولا يأبه لما فعل .
وحين تهتف امه : « يا للفعلة الدموية الهوجاء ! » يجيبها قائلاً :
« فعلة دموية تكاد يا اماه بسوئها توازي قتل ملك وزواجاً من
اخيه . » وهي اذ تُصعق لذكر « قتل الملك » — لانها ولا ريب
لم تكن على علم بهذه الجريمة — ينصرف هاملت عن فكرة القتل
الى الفكرة التي افسدت عليه علاقته باوفيليا او بأية امرأة اخرى .
الملكة : ما الذي فعلته لتتجرأ باطلاق لسانك عليّ بهذا
القول الوقح ؟

هاملت : فعلاً يفسد على الطهر الحشمة والحياء ، ويدعو
الفضيلة نفاقاً ، ويأخذ الحب البريء لينزع الورد
من وضآء جبينه ويزرع فيه دملة من الصديد ...

هذا ما يحز في قلبه : انه يودّ لو يؤمن بالفضيلة ، ولكنه ما
عاد يستطيع ذلك ، ولا سيما ان كل ما في الامر هو ان يتعارف
الناس على امر ما في الظاهر ، دون التمسك باللباب ، فالعرف
وحش يلتهم كل حساسية ... والعادة تكاد يكون بوسعها تبديل
وسم الطبيعة . فيصبح مغضبا :

يا جهنم المتمردة ،

ان تستطيعي ثورة في عظام امرأة نصّف
فتؤججي فيها الشباب ، اجعلي من الفضيلة شمعاً
يصهر في نارها . ولا تنادي بالعار والشبور
اذا ما الشبق الاهوج اطلق الشرر ،
فهذا الجليد نفسه يحتدم اشتعالاً
وهذا العقل يقوّد للارادة !

ومرة اخرى ، وهو في هذا الجوح ، يحدث ما يذكره
بضرورة الانتقام ، اذ يظهر له فجأة طيف ابيه ، فيدرك في الحال
ان ثورته النفسية قد انسته الواجب المفروض عليه ، فيقول
للطيف :

اما جئت تعنف ابنك المتواني الذي

راح يضيع الوقت وينشغل بالعواطف

عن اللج في تنفيذ امرك الرهيب ؟

وتتطور الاحداث بعد ذلك سراعاً ، وينفى الملك هاملت
الى انكلترا لقتله هناك ، غير انه يهرب مع القراصنة ويعود الى

بلده . وتكون اوفيليا في اثناء ذلك قد بُجنت لمصرع ابيها وماتت غرقاً . فيمرّ هاملت مع صديقه هوراشيو بالمقبرة ، حيث يرى حفار القبور يحفر قبراً ويلقي جانباً بالجامجم التي تضربها فأسه وهو يغني . وهنا نرى هاملت وهو يتأمل عبث الحياة من جديد . هذه جمجمة كان فيها « يوماً لسان يستطيع الغناء . » وتلك جمجمة احد الساسة الدهاة ، وتلك كان صاحبها محامياً : « اين سفسطه الآن ، وتورياته ، وقضاياه ، وعقوده ، والاعيه ؟ » او لعل صاحبها من ذوي الاراضي الفسيحة : « أهذه قطعة استقطاعه وتحويلة تحويلاته - ان يمتلىء قحفه المحترم بتراب محترم ؟ » وهكذا الى ان يتناول بيديه جمجمة يقول له الحفار انها جمجمة يوريك مضحك الملك ابيه . هنا الباطل ، وباطل الاباطيل : « لهفي عليك يا يوريك ! كنت اعرفه يا هوراشيو ، رجلاً لا حد لنكته ، ولا يضاهاى في براعته . لقد حملني على ظهره الف مرة ومرة . اما الآن ، حين اتخيل ذلك ، فما ابغضه امرأ لنفسي ! ... هنا كانت الشفتان اللتان قبلتهما لست ادري كم مرة . اين لو اذعك الآن ؟ وقفزاتك الفرحة واغانيك ؟ ولمعات فكاهتك التي كان يستلقي لها الآكلون على ظهورهم من الضحك ؟ .. » ويؤدي به هذا التأمل الى ان الاسكندر نفسه آل الى مثل هذا ... « أفلا يجوز للخيال ان يتعقب اثر الاسكندر وترابه النبيل الى ان يلقاه « سداداً لدنّ » وما الذي آل اليه قيصر ؟ -

ليت التراب ذيباك الذي ارهب الدنيا كلها

يلأم صدعاً في الجدار لدرء هبّات الشتاء !

غير انه فجأة يلح جنازة آتية يتقدمها الملك والملكة - انها جنازة اوفيليا . وهذا اخوها لرتيس يقفز الى قرها ليحتويها مرة

أخيرة بين ذراعيه . فتتلاشى فجأة خواطر العبت في صدر
هاملت وهبّ حبه فجأة كبركان ينفجر ، ويقفز الى قبر اوفيليا
صائحاً هادراً :

والله لاصار عنّه بهذا الشأن
حتى تعجز عن الرفّ مقلّتي !
... لقد احببت اوفيليا . اربعون الف أخ
بمجموع حبهم لن يساوا
مقدار حبي انا .

انه يقف وجها لوجه ازاء الملك من جديد . وهو لا يعلم ان الملك
قد تأمر مع لرئيس على قتله . ولكن توتر الواقع يعود اليه .
وتسير المأساة في خطها المحتوم .

o

عندما كتب شكسبير مأساة « هاملت » حوالي عام ١٦٠١ ،
كان في الظاهر يتبع تقليداً مسرحياً عرفه العصر الاليزابيثي ، هو
تقليد « مأساة الانتقام » . وقد كتبت مآسي كثيرة من هذا
الضرب قبل « هاملت » وبعدها . غير ان شكسبير ، بعبقريته ،
أخذ موضوعاً تقليدياً (بل ان قصة هاملت نفسها كان احد كتاب
الدرامة قد جعل منها مسرحية قبل ذلك ببضع سنوات) ، وجعل
منه حجة لموضوع كبير لم يسبقه اليه أحد . وقد ظن الكثيرون ان
« هاملت » انما هي مأساة انتقام اخرى ، فلماذا يتأخر بطلها هذا
التأخر الشديد ، الى ان يتم انتقامه صدفه ودون خطة منه ؟ ان
مأساة الانتقام تعتمد في الغالب على محاولة وصول البطل الى
عدوه للقضاء عليه : فالحركة تسيرها محاولة التغلب على العوامل

الخارجية والملابسات ، الى ان يتحقق التغلب عليها نهائياً ، وان يكون في ذلك موت البطل نفسه . ولكن شكسبير سار في اتجاه معاكس لكل ذلك : فالعوامل الخارجية والملابسات من حيث تنفيذ الانتقام هي اقل ما في مأساته خطراً . بل ان الملك يكاد يكون تحت رحمة هاملت في معظم الاحيان ، رغم حرّسه الخاص . فهاملت هو محبوب الشعب ، وهو جندي مرموق بارع الضرب ، وهو على كل حال ابن الملك السابق ولن يتعاسى الشعب الذي يحبه عن نصرته اذا طالب بالعرش . وفي احدى المرات ، يرى عمه راكمأ يصلي وحده ، فيستل سيفه ، ويقول :
بامكاني الآن ان افعلها ، كذا ، وهو يصلي ،
وسأفعلها الآن —

لكنه لا يفعلها ، لانه يرفض قتله وهو يصلي ويستغفر ربه . ثم يتساءل فيما بعد : « لماذا اراني بعد حياً لأقول . هذا الامر يجب فعله ، ولديّ لفعله الحافز ، والارادة ، والقوة ، والوسيلة ؟ »
ان شكسبير اذ يؤخر ساعة الانتقام ، ويضع هاملت في القلب من معضلة العيب ، يبتعد عما كان معاصروه المسرحيون منهمكين فيه ، اذ يملأون مآسهم بالنار والدم . فالذي يشغله هنا هو امر اكبر من فكرة القتل ، كأنه يريد ان يقول ان المسألة ليست مسألة « حافز و ارادة وقوة ووسيلة » فحسب ، وان الفعل الخطر — وهل اخطر من قتل ملك تدين له الملايين بالولاء ، رغم توصله الى العرش إثماً وعدواناً — لا بد لكي يبقى على خطورته ان يثير في صاحبه كل الخواطر التي تتعلق بموقفه من الانسان والحضارة . وهذا ما يفعله شكسبير ، وبفعله هذا ، يخلق شخصية معقدة تطأ على القصة من كل جانب وتشحن الجو بخواطر قلقة

حول الانسان ومصيره . انه يمثل في هاملت رجل « النهضة » الذي بتعدد النواحي في شخصيته ما زال مثلاً من مُثل الحضارة الاوربية . لقد اراد وضع عبقرى - تتمثل فيه ولا ريب نزعات شكسبير وآراؤه عند منمطف خطير من حياته - بعيد الفكر ، لاذع النكتة ، واع مأساة الحياة على نطاقها الاوسع بما فيها من تناقض بين العبث وضرورة الفعل ، في البؤرة من ظروف آنية عاتية تعج بالطمع والطموح والفساد والتآمر والتلصص (كما نشاهدُ في بولونيوس ونجسه على ابنه ، وعلى اوفيليا ، ثم على هاملت نفسه ، وكذلك في روزنكراتز وغلدنسترن) ، ليرى كيف يكون رد الفعل لديه . وكان من المحتّم الا يكون رد الفعل هذا مجرد فعل عكسي ، بل فعل يتصل بالفكر والنفس ، والاحساس بمصير الحياة .

وعبقرية هاملت واضحة في كل ما يقول ، حتى في ساعات تظاهره بالجنون . وهي ليست عبقرية الحالم البعيد عن الواقع ، لان استجابته للاحداث ابعد ما تكون عن استجابة الحالم ، ومن ادراكه العميق تنشأ قدرته على الفكاهة الجارحة التي يصيب بها الحقيقة على وجه غير متوقع كلما اشترك في مناقشة او حوار . ومقدرته اللفظية ، وعنايته بالمعنى الغريب المستخرج من التأمّلات التي لا تخطر ببال محدثيه ، وطاقته حتى على بزّ ذوي المذر - كما نرى في حوارهِ مع اوسرك في المشهد الاخير من المسرحية - كلها دليل على ذكاء حاد لا يستقر نشاطه . ولئن يصفه الملك بأنه « لا ابالي » ، كريم الطبع ، لا تعرف نفسه الخديعة ، فان ذلك بعض من عصبه الخلفي المتين . فهو رغم العبث الذي يراه في كل ما حوله ، لا يتخلى عن نبيل في الخلق

يشير فينا الحب والاعجاب ، ورغم الكتابة التي تلازمه ، يستطيع
الفرح بكل ما هو خير وجميل ، ويتسع قلبه لحب لا ينتهي .
أين نرى في مسرحيات شكسبير حباً كحب هاملت لايبه ؟
تذوب الألفاظ أنعاماً كلما تحدث عنه (كما يقول اي . سي .
برادلي) ، وحتى أمه ، رغم كل ما حدث ، تحسّ بحبه يتخلل
سيل الفاظه المغضبة الاليمة . وللريس يقول : « كنت دوماً
أحبك » ويصفه بالنبل ، وهو الذي يريد قتله . وحبه لاوفيليا
لا يساويه حب اربعين الف اخ لاختهم . وهل هناك ما هو أنبل
من صداقة هاملت لهوراشيو :

لا ، لا تظنني أتملكك .

وهل أطمع في رقية منك ، انت الذي

لا مال لديك ، سوى حسن الطوية ،

لطعامك وكسائك ؟ وهل من يبغى تملق الفقير ؟

لا ، انما دع اللسان المهلّتي يلحس فوارغ الابهة

حيثما الكسب يلحق بالنفاق . أسمع ؟

منذ ان أضحت نفسي الأبية سيدة في خيارها ،

عليمة بالتمييز بين الرجال ، اصطفتك انت لها .

وهاملت لا يرضى بأمر ما لمجرد اتفاق الناس عليه ، وحتى

الحقائق القديمة يجب ان يكتشفها انفسه من جديد . فاذا كان

هوراشيو مقتنعاً - دون تسأل - بأن « ثمة ألوهة تصوغ لنا

غاياتنا ، مهما عشونا نحن في نحتها » ، فان على هاملت ان يكتشف

ذلك بنفسه ، في ما جرى له في المركب . فالحقائق يجب ان

يستخلصها من واقعها بالفكر ، على ان يعترف بأن الفكر

لا يستطيع الهرب من الواقع ، فيقول : « اني والله لأستطيع

ان احصر في قشرة جوزة واعد نفسي ملك الرحاب التي لا تعد
- لولا انني أرى احلاماً مزعجة . ، والى هذا وذاك ، لديه
ثقة لا تززع ، وعلم بامتلاء نفسه بالغوامض التي لن يستطيع
استخراجها القاصرون عنه . وقد وضع ذلك شكبير بمثل
موسيقى - وشكبير ، كما نعلم من دراسة مسرحياته ، يعشق
الموسيقى ويرمز بها الى الكثير مما يحب - في مشهد ما بعد التمثيلية ،
حين يأتيه غلندنسترن يسأله عما به ، لأنه قد اغضب الملك والملكة .
فيأتي هاملت بزمار ، ويطلب اليه ان يعزف به ، فيقول غلندنسترن
انه لا يستطيع العزف :

هاملت : اني أتوسل اليك .

غلندنسترن : لا اعرف كيف يمسك ، يا مولاي .

هاملت : سهل عزفه كالكذب . تحكم بهذه الفتحات باصبعك
وابهامك ، انفخ فيه بفمك ، تجده ينطق بأفصح
الموسيقى . انظر ، هذه مفاتيح النغم .
غلندنسترن : لكنني لا استطيع ان استنطقها ، لانني لا اعرف
هذا الفن .

هاملت : أترى اذن كيف تهدر انت الآن كرامتي ؟ انك تريد
التظاهر بأنك تعرف مفاتيحي . انك تريد اقتلاع
القلب من غوامضي . انك تريد استخراج مكنوني
من اخفض نغمة في " الى القمة من مداي . وفي هذه
الآلة الصغيرة الكثير من الموسيقى والصوت الشجي ،
ومع ذلك لا تستطيع استنطقها . لم تحسب ان
العزف علي " اسهل من العزف على هذا الناي ؟ ...

هذا هو اذن هاملت الغامض المعقد المكنون ، العديد

النواحي ، المدرك العيب ، يجابه ذات ليلة بأن امه قد فحشت مع عمه ، وان عمه قد سم أباه وتزوج امه واغتصب العرش ، وان عليه ان ينتقم . فكان على من يحاول تحديد مأساة الحياة الاشتراك فجأة في تنفيذ المأساة .

وهو اذ يدنو من قضائه المحتوم يكشف لنا رويداً رويداً عن اتساع زاخر في النفس ومغلقات من الحياة تحيط بنا . واذا ما شارف النهاية ، تفجّر في قلوبنا فيض الحبّ دمعاً لهذا الذي يبدو كأنما راح فداء لنا ، وكأنه قد احبنا كما احب اوفيليا وكما أحبّ صديقه هوراشيو ، ويبدو اذ يخاطب هوراشيو كأنما الانسان المعذب هو الذي يخاطبنا :

إن كنت احتويتني في قلبك يوماً
غيب النفس عن هنائها ردّاحاً ،
وفي عالم الجور هذا استل انفاسك أماً
لتروي قصتي ...

جبرا ابراهيم جبرا

٢ كانون الثاني ١٩٦٠

ملاحظة عن تمثيل «هاملت» على المسرح

إذا استثنينا «انطوني وكليوباترة» ، فإن «هاملت» أطول مسرحية كتبها شكسبير . وقد ادهش النقاد ان شكسبير جعلها على هذا الطول ، وهو الذي كان يشترك في التمثيل والاخراج ويعرف كل شيء عنها . فقد وصف شكسبير المسرحية بقوله انها «مسيرة ساعتين على المسرح» ، وتمثيل «هاملت» كما هي يتعدى ذلك بكثير . غير انه لم يكن ممن يحفلون بالقواعد الموضوعية اذا أراد شيئاً ، وقد اراد حشد امور كثيرة في هذه المأساة ، ووضع فيها خلاصة لكل ما يتمناه كتاب الدراما من أساليب . ففيها تمثيلية ضمن تمثيلية ، وفيها شعر ونثر ، وفيها حزن وفيها ضحك ، وفيها غناء ، وفيها سخرية من أساليب الآخرين ، وفيها جنون وفيها ادعاء بالجنون ، وفيها طيف رهيب وجماعم وانتقام تنتثر فيه الجثث ذات اليمين وذات الشمال : وفيها الى ذلك كله سحر لفظي وفكر عميق وتأمل بالحياة .

غير ان المخرجين ، لكي تحافظ المسرحية على ايقاع معقول السرعة فلا تراخي اجزاؤها ، قد دأبوا على حذف مقاطع منها في أماكن كثيرة حيثما لا يؤثر ذلك في السياق ، فتختصر بعض

مقاطع الحوار الطويلة التي فيها استطراد واضح ، ويحذف أكثر الحوار بين ممثلي الملك والملكة في تمثيلية « مصرع غونزاغو » ، وهكذا .

لا بد للمخرج العربي ، اذا اراد اخراج هذه الترجمة ، ان يُعنى بهذه الناحية . كما ان عليه ان يعنى بأمر قلما يلتفت اليه المخرجون العرب في ما رأيتهم من مسرحيات ، وهو الايقاع . فللمسرحية ايقاع اشبه بايقاع القطعة الموسيقية ، وعلى المخرج ان يتأكد من سرعة هذا الايقاع ، فلا يسمح للمسرحية بالترهل والامتداد الى ما لا نهاية . فالمشاهد - ولا سيما في شكسبير حيث تكثر دائماً - يجب أن تتلاحق دون وقفات (وهذا بالطبع يعود إلى براعة المخرج في تسخير إمكانيات المسرح لهذه الغاية) . إن نهايات الفصول كما هي مطبوعة قد تكون لها قيمة تتعلق بالنص والشكل ، ولكن التمثيل لا يرتبط بهذا التقسيم . ثم إن تمثيل الحوار يجب أن يحافظ على إيقاع معين يتفاوت سرعة وطناً ،

ويتجنب الرتابة - ولا سيما الرتابة البطيئة الرخوة . من المهم ان نشعر بأن الحركة منطلقة نحو غايتها - وهي منطلقة بشكل تصاعدي يزداد توتراً باستمرار الانطلاق . وليس معنى ذلك ان يكون الايقاع كله سريعاً . فكما في الموسيقى ، لا بد من فترات من السكون والبطء للتوكيد على فترات السرعة . ومثل هذه الفترات في مسرحيات شكسبير موزع بمهارة . ولكن أمر هذا كله منوط ببراعة المخرج ، وحساسيته لهذا الفن .

ج . ١٠ ج .

اشخاص المسرحية

ملك الدانمرك	كلوديوس (Claudius)
ابن الملك السابق ، وابن اخي الملك الحالي	هاملت (Hamlet)
رئيس الوزراء	بولونيوس (Polonius)
صديق لهاملت	هوراشيو (Horatio)
ابن بولونيوس	لرتيس (Laertes)
من رجال البلاط	فولتيماند (Voltimand)
	كورنيليوس (Cornelius)
	روزنكرانتز (Rosencrantz)
	غلدنسترن (Guildenstern)
	اوسرك (Osric)
ضابط	نيل مرسيلس (Marcellus)
ضابط	برناردو (Bernardo)
جندي	فرنسيسكو (Francisco)
خادم لبولونيوس	رينالدو (Reynaldo)
امير التروج	فرتنبراس (Fortinbras)
ملكة الدانمرك ، وأم هاملت	غرترود (Gertrude)
ابنة بولونيوس	اوفيليا (Ophelia)
كاهن ، ممثلون ، مهرجان (حفاوا قبور) ، ربان مركب ، سفراء	
انكليز ، نبلاء ، سيدات ، ضباط ، جنود ، بحارة ، رسل ،	
خدم وحشم .	
طيف أبي هاملت	

المشهد : الدانمرك

الفصل الأول

المشهد الأول

قلعة ألسينور . في أحد الابراج . ظلام .
فرنسكو في مكان الحفارة ، يدخل عليه برنردو .

- برنردو : من هناك ؟
فرنسكو : بل أنت أجب ! قف واكشف عن نفسك .
برنردو : عاش الملك !
فرنسكو : برنردو ؟
برنردو : أجل أنا .
فرنسكو : جئت في موعدك بكل دقة .
برنردو : دقت الثانية عشرة ، فاذهب الى فراشك يا فرنسكو .
فرنسكو : شكرًا لمجيئك بديلاً لي . البرد قارس وفي صدري ضيق .
برنردو : هل كانت حفارتك هادئة ؟
فرنسكو : ولا فأر يتحرك .
برنردو : اذن طاب مساءك . اذالقيت هوراشيو ومرسلس ،
وهما رفيقاي في الحفارة ، مرهما بالاسراع .
(يدخل هوراشيو ومرسلس)

فرسكو : أظن انني اسمعها . قف ، هو ! من هناك ؟
 هوراشيو : صديقان لهذه الأرض .
 مرسلس : ومواليان للملك الدائمرك .
 فرسكو : ليلة سعيدة .
 مرسلس : آ ، وداعاً ايها الجنند الكرام . من بديلكم ؟
 فرسكو : برزدو له مكاني . ليلة سعيدة . [يخرج] .
 مرسلس : هَلُوْ برزدو .
 برزدو : قل لي ، هوراشيو هناك ؟
 هوراشيو : قطعة منه .
 برزدو : مرحباً بهوراشيو ، مرحباً بمرسلس الكريم .
 مرسلس : قل لي : هل ظهر ذلك الشيء مرة أخرى الليلة ؟
 برزدو : لم أر شيئاً .
 مرسلس : يقول هوراشيو ، إنه وهمٌ منا ليس إلا ،
 ولن يدع التصديق يسيطر عليه
 بصدد هذه الرؤية الخيفة ، التي رأيناها مرتين .
 ولذا رجوته المحييء معنا
 للخفارة طيلة دقائق هذه الليلة ،
 فاذا جاء هذا الطيف ثانية
 دعم ما رأته عيوننا وتكلم معه .
 هوراشيو : لا ، لا . إنه لن يظهر .
 برزدو : إجلس قليلاً
 ولنهاجم مرة أخرى اذنك
 التي حصنت نفسها ازاء روايتنا ،
 بما رأيناها ليلتين متعاقبتين .

- هوراشيو : فلنجلس اذن ،
وليحدثنا عنه برزدو .
- برزدو : في الليلة الأخيرة
عندما دار ذلك النجم الذي ترونه غربي القطب
لينير تلك الرقعة من السماء
حيث هو الآن يشتعل ، كنا ، مرسلس وأنا ،
والجرس يدق الواحدة –
- مرسلس : صمتاً ! لا تتكلم :
(يدخل الطيف)
انظر من أين يجيء ثانية .
- برزدو : في ذلك الشكل بعينه ، كالملك الذي تُوْفِيّ .
مرسلس : أنت فقيه يا هوراشيو . خاطبه .
- برزدو : ألا يشبه الملك ؟ دقق النظر فيه يا هوراشيو .
هوراشيو : أشدّ الشبه . انه يرعدني خوفاً ودهشة .
- برزدو : يريد من يخاطبه .
مرسلس : اسأله يا هوراشيو .
- هوراشيو : ما أنت يا من اغتصبت هذا الهزيع من الليل
وذلك الشكل العسكري الجميل الذي
كان جلاله الدانمركي الراحل
يمشي به بين الناس ؟ أحلفك بالسماء ان تتكلم
مرسلس : لقد استاء .
- برزدو : انظر ، إنه يتعد بإباء .
هوراشيو : قف ، تكلم ، ! تكلم ! استحلفك ان تتكلم !
(يخرج - الطيف)

- مرسل : ذهب ولن يجيب .
- برزدو : وكيف الآن يا هوراشيو؟ أراك ترتعد، وقد شجبت .
- أليس ذا شيئاً أكثر من الوهم ؟
- ما رأيك فيه ؟
- هوراشيو : والله ما كنت لأصدقه
- لولا شهادة صادقة محسوسة
- من عينيّ أنا .
- مرسل : ألا يشبه الملك ؟
- هوراشيو : كما تشبه أنت نفسك .
- حتى الدرع كان كذلك الدرع الذي لبسه
- عندما نازل ملك الترويج الطامع ،
- وهكذا عبس مرة ، في اثناء مداولة غضبي ،
- اذ هوى على رأس بولوني في مزلقته على الثلج .
- غريب !
- مرسل : مرتين في اثناء الخفارة سابقاً
- ثم في هذه الساعة بالضبط ، جاءنا في خيالاته العسكرية .
- هوراشيو : لست أدري في أيّ من خواطري أفكر .
- ولكن جملة ما أرتأيه هو
- أن في هذا ما ينبىء بانفجار غريب في دولتنا .
- مرسل : أرجوك ان تقعد الآن ، وليخبرني من يعلم
- لمّ هذه الحراسة الدقيقة الشديدة
- يكدها بها كل ليلة ساكن هذا البلد ،
- ولم تُصب كل يوم هذه المدافع النحاسية
- وتُشترى من الخارج معدات الحرب ،

ولم هذه اللجاجة من بناء السفن الذين لم يعد
جهد عملهم المضي يميز بين الأحد وسائر ايام الاسبوع ،
وما الذي نحن مقبلون عليه حتى جعلت
هذه العجلة الناضحة عرقاً ، من الليل والنهار ، عاملين
مشركين ؟

من ذا الذي يستطيع ان يخبرني ؟

هوراشيو : أنا أستطيع .

على الأقل هذا ما تتهمس به الألسن :
إن ملكنا السابق ، الذي بدا لنا خياله منذ لحظة ،
كان فرتنبراس ملك الترويج ،
كما تعلمان ، قد تحدها للقتال

تدفعه الى ذلك كبرياء ومنافسة شديدة
وفي ذلك القتال فان هاملت ، اميرنا الشجاع —
ومن أجل ذلك احترمه هذا الجزء من عالمنا المعروف —
صرع فرتنبراس ، فخسر فرتنبراس مع حياته
كل ما يملك من أراض اخذها الظافر
بموجب اتفاق مختوم ، يؤيده الشرع
وتدعمه أصول الفروسية .

وإزاءها كان مليكنا قد تعهد
بقطعة أرض كافية تعود الى فرتنبراس
لو كان هو المظفر ، كما وقعت ارضه لهاملت
بموجب الاتفاق نفسه والمقصود من المواد الموضوعة .
والآن ياسيدي ، قام خلفه فرتنبراس الشاب ،
ذو المعدن الفظ ، الالهوج ، المنتفخ النفس ،

فجمع حوله من هنا وهناك في اطراف النزويج
نفرأ من الأشقياء المعدمين ،
من أجل القوت والغذاء ،
في مجازفة شديدة الإغراء ، غرضها
- كما يبدو لدولتنا بوضوح -
ان يسترجع منا الاراضي المذكورة
التي فقدما ابوه ، بيد قوية
وشروط إجبارية . هذا فيما أرى
هو الدافع الأكبر الى استعداداتنا ،
ومصدر خفارتنا هذه ، ومنبع هذه العجلة الشديدة
وتفريغ أحشاء البلاد .

برزودو : أعتقد ان هذا هو الدافع دون سواه .

فأرجو ان يكون فالأً طيباً مجيء هذا الطيف
المليء بالمعاني . في أثناء خفارتنا ، مسلحاً في شبه
القوي للملك الذي كان ولا يزال السبب في هذه الحروب .
هوراشيو : إنه لقذى لمضايقة عين البصيرة .

ففي أوج مجد روما وعضفوانها
قبيل سقوط ذلك الجبار يوليوس قيصر ؛
فرغت القبور ممن فيها ، وراح الاموات المكفنون
يصوصون ويثرثرون في شوارع روما .
وكما جرت الكواكب ذيولاً من النار وطلاً من الدماء
كذلك حلت الكوارث في الشمس . وذلك الكوكب
الرطب

الذي تعتمد دولة نبتون على قوته
مرض ، حتى يوم القيامة تقريباً ، بالخسوف .

وها هي ذي الأرض والسماء معاً تبديان
 لبلادنا ومواطنينا
 دلائل كتلك ، تشير الى أحداث عنيفة –
 كأنها رسل تسبق الاقدار دوماً
 وفاتحة لما سيتلوها من دلائل .
 (يدخل الطيف ثانية)
 ولكن صمتاً . انظرا ، انه يبجيء ثانية .
 سأجابه ولو حطمني . قف أيها الخيال !
 (ينثر الطيف ذراعيه)
 إن كان لك صوت أو نطق تفوه به
 تكلم معي .
 ان تكن هناك مكرمة اصنعها
 فتجلب الراحة لك ، والخير لي ،
 تكلم معي .
 ان كنت مطلعاً على ما خبأه القدر لموطنك
 فنستطيع اذا عرفناه مسبقاً نحاشيه ،
 تكلم !
 او ان كنت أيام حياتك قد خزنت
 في جوف الأرض مالاً اغتصبته حراماً ،
 ومن أجل ذلك ، يقولون ، انكم معشر الأرواح
 تطوفون بعد الموت .
 (يصبح الديك)
 اخبرني عنه . قف ، تكلم ! اوقفه ، يا مرسلس !
 مرسلس : أأضربه برمحي ؟
 هوراشيو : أجل ، إن لم يقف .
 برزدو : ها هو هنا .

هوراشيو : ها هو هنا .

(يخرج الطيف)

مرسلس : لقد خرج .

اننا لنسيء اليه ، اذ نقابله بالعنف

وهو على ذلك الجلال .

فهو كالهواء لا يُطعن ،

وكل ضربة منا باطلة انما هي هزة خبيث .

برزدو : كان على وشك الكلام ، واذا بالديك يصيح .

هوراشيو : فأجفل عندئذ كمجرم

جاءه استدعاء مخيف . لقد سمعت

ان الديك ، وهو نفير الصباح ،

يوقظ بما في حنجرته من صياح شاهق حاد

إله النهار . وبانذاره ذلك

تسرع الروح الآثمة الهائمة الى سجنها

في البحر كانت ام في البر ، في النار ام في الهواء ،

وقد اثبت صدق ذلك ما حدث الآن .

مرسلس : لقد تلاشى مع صياح الديك .

يزعم بعضهم انه عندما يحين موسم عيد ميلاد المسيح ،

يعني طير الفجر الليل بطوله ،

وعند ذلك يزعمون ان لا روح تقوى على التطواف ،

فتمسي الليالي نقية ، ولا تسقط الشهب ،

ولا يؤذي الجن احداً ، وتعجز كل ساحرة

عن سحرها .

تلك فترة مقدسة ملؤها الخير .

هوراشيو : هذا ما سمعته انا ايضاً ، واني لأصدق بعضه .
ولكن انظر ، ها هو الصباح وقد ارتدى
ورديّ الثياب
يخطو على ندى تلك الراية الناهدة في الشرق .
فلترك الخفارة ، ونصيحتي هي ان
نُعلم هاملت الشاب بما رأيناه هذه الليلة .
قسماً بحياتي ، ان هذه الروح التي
تصمت لنا ستنطق له .
أفتوافقان على إعلامه بجليّة الأمر
كما يقتضي حبنا له وواجبنا نحوه ؟
مرسلس : لنفعل ذلك رجاءً ، وانا اعلم
اين نلقاه هذا الصباح دون مشقة . (يخرجون)

المشهد الثاني

في إحدى قاعات القلعة . نغير ابواق . يدخل كلوديوس ملك الدانمرك ،
وغرترود الملكة ، وهاملت ، وبولونيوس ، وابنه لرتيس ، وعدد من افراد
الحاشية .

الملك : لئن تكن ذكرى موت اخينا الحبيب هاملت
بعدُ خضراءَ ندية ، ولئن يكن خليقاً بنا
أن نحمل قلوبنا وملؤها الأسى ، ونجعل
من مملكتنا جبيناً واحداً يتقطّب حزناً ،
فإن التبصّر ما زال يصارع الطبيعة
فنذكر اخانا بأرشد الحزن ،
ونذكر كذلك انفسنا معه .

وإذن فهذه التي كانت زوجة لأخينا
والتي هي الآن ملكتنا وشريكتنا الأمرة في هذه
الدولة الحربية ،

قد اتخذناها فيما يشبه الفرح المغلوب على امره
زوجة لنا ، بعين مستبشرةٍ واخرى دامعة ،
مرحين في الجنازة ، ناديين في العرس ،
وازنين الغبطة والشجن في كفتين متساويتين .
ولم نصد في ذلك عنا آراءكم السديدة التي رافقتنا
خلال هذه المهمة ، مع شكرنا الجزيل .

أما بعد ، فانكم تعلمون ان فرتنبراس الشاب
وقد افترض فينا الضعف في الشأن ، او ظن ان

دولتنا بوفاة اخينا العزيز الراحل

قد تصدعت واختلت كيائها ،

تحالف مع حله بالغلبة

فلم يتوان في ازعاجنا برسائل

فحواها ان نسلم له الاراضي

التي خسرها والده حسب الأصول والشرائع

لأخينا الباسل . هذا بخصوصه .

(يدخل فولتاند وكوربليوس)

اما بخصوصنا وخصوص اجتماعنا هذا

هاكم الأمر : كتبنا

الى ملك التروج ، عم فورتنبراس الشاب ،

وهو خائر ، طريح الفراش ، يكاد لا يعرف شيئاً

عن عزم ابن اخيه ، طالين اليه ان يمنع

خطوةً نحونا بعد اليوم . والجند والقوائم
والتفاصيل من اجل ذلك ستجمع كلها
من رعاياه هو . وها نحن نرسلكما ،
يا كورنيليوس وفولتاند ،
لتحملا نحياتنا هذه الى الشيخ ملك النروج
ولا نعطيكما من الصلاحية الشخصية
في مفاوضة الملك اكثر مما تنص عليه
هذه التعليقات المفصلة هنا .
وداعاً ، ولتكن السرعة امتداداً لواجبكما .

فولتاند : سنقوم بالواجب في كل ما تأمرون .

الملك : لا نشك في ذلك مطلقاً . الوداع .

(يخرج فولتاند وكورنيليوس)

والآن يا لرئيس ، ما خبرك ؟

قلت لنا لديك التماس . فما هو يا لرئيس ؟

اذا خاطبت ملك الدانمرك بالعقل

فلن يضيع خطابك سدى . ما الذي ترجوه ، يا لرئيس ،

ولا يكون مقدمةً مني ، لا ضراعةً منك ؟

فليس الرأس اقرب صلةً بالقلب

ولا اليد أكثر خدمة للضم

من عرش الدانمرك لايبك .

ما الذي تتمناه يا لرئيس ؟

لرئيس : إنني يا سيدي ألتمس

إذنكم بالموافقة على رجوعي الى فرنسا .

لقد اتيت منها طائعاً الى الدانمرك

لأظهر ولائي في تنويجكم

غير اني اعترف الآن ، وقد انتهى واجبي ،
بأن افكاري ورغباتي تتجه صوب فرنسا من جديد،
وهي صاغرة لأذنكم الكريم وعفوكم .

الملك : هل استأذنت اباك ؟ ماذا يقول بولونيوس .

بولونيوس : لقد اعتصر مني إذناً بطيئاً يا سيدي

بالرجاء والإلحاح ، واخيراً

وهبته موافقتي ولو على مضض .

اتوسل اليكم ان تأذنوا بذهابه .

الملك : اخترت لمغادرتك ساعة إقبال . ان وقتك لك

فانفقه كيفما تشاء .

والآن ، يا هاملت ، يا ابن اخي وابني ؟

هاملت (جانباً) : اقرب من القربى وابتعد من الخلف .

الملك : مالي أرى السحب ما زالت مخيمة عليك ؟

هاملت : لا يا سيدي ، بل اني في الشمس اكثر مما ينبغي .

الملكة : ألتى عنك يا هاملت بلونك الليلي هذا ،

ولتنظر عينك نظرة صديق الى ملك الداغرك .

افتبقي الى الابد بجفنين خفيضين

تبحث عن ابيك النبيل في التراب ؟

انت تعلم انه أمر عادي : ما من حي إلا ويموت يوماً

عابراً خلال الطبيعة هذه في اتجاه الابدية .

هاملت : اجل يا سيدتي ، انه لأمر عادي .

الملكة : اذا كان عادياً ، فلم يبدو لي كأنه أمر خاص لديك ؟

هاملت : يبدو لك يا سيدتي ؟ انه ولا ريب أمر خاص .

لا عباءتي الحالكة وحدها يا اماء ،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التنهدات العاصفة من ضيق النفس
لا ، ولا النهر السخي من العين
ولا غصون الغم في المحيا
بكل ما للحزن من اشكال وحالات ومظاهر ،
بكافية للدلالة على حقيقتي . هذه كلها انما تبدو
ولا ريب ،

لانها افعال بوسع المرء تمثيلها :
غير ان في نفسي ما يعجز عنه كل مظهر :
وما هذه الا سراييل الأسي وزينته .
الملك : جميل من طبعك وحميد يا هاملت
ان تقوم بشعائر الحداد هذه من اجل ابيك .
ولكن عليك ان تعلم ان اباك فقد أبأ له ،
وذلك الأب الفقيد فقد اباه ، فكان على خلفه
بما ترتب عليه من واجب بنوي
ان يحزن حداداً عليه لفترة ما . بيد ان المثابرة
على عزاء لا ينثني ، عناد شرير .
انه حزن لا يليق بالرجال ،
يدل على ارادة تمردت على السماء
وقلب غير حصين ونفس اعوزها الصبر
وادراك بسيط لم يتقف .
فحين نعلم ان امرأ ما كان مقضياً ،
وانه شائع شيوع اي شيء عادي نعرفه ،

لم نخزن ونصر على مقاومته فنجعله
يجزّ في القلب ؟ استح يا هذا ، انه لاثم تجاه السماء ،
لاثم تجاه الموتى ، لاثم تجاه الطبيعة ،
والعقل يسخفه حين يكون موضوعه العادي
موت الآباء ، وهو منذ البدء يصبح -
منذ اول جسد فارقتة الحياة حتى هذا الذي
مات اليوم :

« لا بد من هذا » . نرجوك اذن ان تلقي عنك ارضاً
بهذا الحزن الذي ليس يجدي واعتبرنا
اباً لك . واني لاصرّح على الملأ
بأنك خلّفتي على العرش ؛
ولأحنونّ عليك بحب نبيل
لا يقل عما يكنه الاب لابنه العزيز .
اما مشيتك في العودة الى الدراسة في وتبرغ
فانها لا تتفق مع رغبتنا .
ولذا نتوسل اليك ان تعترم البقاء هنا
في رغد وتحت رعايتنا ،

اول الرجال في حاشيتنا ، ابن اخينا وابناً لنا .

الملكة : لا تضيع على امك توسلاتها يا هاملت .
ارجوك ان تظل بيننا . لا تذهب الى وتبرغ .

هامك : سأطبعك يا سيدتي ما استطعت

الملك : ذلك جواب جميل طيه الحب .

كن مثلنا في الدائمرك . تعالي ، يا سيدتي ،
هذا الوفاق اللطيف المطواع من هاملت

يحلّ باسماً في قلبي . ولذا
فإن ملك الداعرك لن يشرب اليوم نخبه مرحاً إلا
والمدافع الكبرى تردد للغيوم خبره ،
وإذا ما عبّ الملك ، قصفت السماء ثانية
مرجعة ما يحكيه رعد الأرض . فلنذهب .

(نذر ابواق . يخرج الجميع إلا هامك)

هامك : آه ليت هذا الجسد الصلد يذوب ، °

يموع وينحل قطرات من ندى .

يا ليت الأزلي لم يضع شريعته

ضد قتل الذات . رباه ، رباه .

ما أشد ما تبدو لي عادات الدنيا هذه

مضنية ، عتيقة ، فاهية ، لا نفع منها .

الابتأ لها ! تبتأ لها ! انها لحديقة لم تُعشّب ،

شاخت وبزّرت ، لا يملؤها الا

كل مخشوشٍ نتنت رائحته .

أهكذا تنتهي الامور — لم يمر على موته شهران —

بل أقل من شهرين ؛ أقل من شهرين ،

ملك رائع ، اذا قيس بهذا

فكهايبيريون إزاء الستير ° ° : كان يعشق أمي

فلا يسمع لريح السماء

بزيارة وجهها اذا اشتدت . يا أرض ، يا سماء !

أحتمومٌ عليّ ان اذكرك ؟ واهما كانت تتعلق به

° تعريب لفظة Satyr ، كائن اسطوري له ساقا التيس ونصفه الأعلى انسان ،

شديد الجون والشبق . أما هايبييريون فهو إله الشمس .

° أو . في قراءة أخرى . وآه ليت هذا الجسد الملوّث يذوب ... °

كأنما ازدياد الشهية قد اشتدّ بما تغذت عليه —
 ومع ذلك ، فلدة شهر ! ..
 يجب ان اصرف فكري عنه . ايها الضعف ، اسمك
 المرأة !
 شهر قصير مضى ؛ ولم يعتق بعدُ ذلك الحذاء
 الذي مشت به وراء جثمان أبي المسكين
 وكلها دمع ، مثل نايوبي * . وهي حتى هي التي —
 رباه ! ان وحشاً يعوزه العقل ليحدّ مدةً أطول —
 تزوجت عمي ، أنا أبي : وان لم يشبه أبي
 الا بقدر ما اشبه انا هرقل : شهر واحد ،
 لم يكفّ فيه ملح دمعها الأثيم بعدُ
 عن تحمير عينيها المعذبتين ، وتزوجت .
 إلا أيتها المجلة الفاسقة ، تهرعين
 بمثل هذه السرعة إلى الشراشف الزانية !
 لا خير فيها ولن تنتهي الى الخير .
 ولكن تحطّم ايها القلب . عليّ ان امسك لساني
 عن القول .

(يدخل هوراشيو وبرنودو ومرسلس)

هوراشيو : السلام عليك يا سيدي .

هاملك : يسرني أن اراك في صحة وعافية .

هوراشيو — ام انني نسيت نفسي ؟

هوراشيو : هو بعينه يا سيدي خادمك الفقير أبداً .

هاملك : سيدي وصديقي الحميم ، ابادلك تلك التسمية .

* زوجة ملك ثيبة قتل ابناؤها السبعة وبناتها السبع ، وفي بكائها استجاب
 زوس لرجائها بأن حولها الى تمثال من حجر يذرف الدمع طيلة الصيف .

وما الذي تفعله بعيد عن وتبرغ يا هوراشيو ؟
وانت يا مرسلس !

- مرسلس : سيدي العزيز !
هامك : اني مسرور جداً برؤيتك . مساء الخير يا سيدي .
ولكن ما الذي بريك تفعله بعيداً عن وتبرغ ؟
هوراشيو : طبيعة هروب ، يا سيدي العزيز .
هامك : لن اقبل مثل هذا القول حتى من عدوك
ولن تهاجم اذني فترغمها
على قبول كلامك ضد نفسك .
اني اعلم انك لست ممن يتهربون
ولكن ما شأنك في قلعة ألسينور ؟
سنعلمك الافراط في الشرب قبل ان تغادرونا .
هوراشيو : جئت يا سيدي لاحضر جنازة ابيك .
هامك : أرجوك يا زميل الدراسة ألا تهزأ بي .
اظن انك جئت لترى زفاف امي .
هوراشيو : حقاً ، لقد عقب الزفافُ الجنازة بسرعة يا سيدي .
هامك : الاقتصاد ، الاقتصاد ، يا هوراشيو . خبز الجنازة
مُقدم بارداً على موائد العرس .
ليتني كنت قابلت ألد أعدائي في السماء
ولم أر ذلك اليوم يا هوراشيو .
أبي - اظن انني أرى أبي .
هوراشيو : اين يا سيدي ؟
هامك : في بصيرتي .
هوراشيو : رأيته مرة ؛ كان ملكاً صالحاً .

هامك : كان رجلاً ، على وجه العموم ،
 ولن ترى عيني مثله ثانية .
 هوراشيو : سيدي ، اظنّ اني رأيتك الليلة الماضية .
 هامك : رأيتك ؟ من ؟
 هوراشيو : ابوك الملك ، يا سيدي .
 هامك : ابي الملك ؟
 هوراشيو : خفّف من غلوائك لحظةً ،
 وأعرني اذنًا صاغية فأقص عليك
 بشهادة هذين السيدين
 خبر هذه الاعجوبة .
 هامك : بربك تكلم .
 هوراشيو : في ليلتين متعاقبتين ، وفي اثناء الحراسة ،
 عند منتصف الليل الرحيب الدجى ،
 تصدى لهذين : مرسلس وبرزدو ،
 شبح على هيئة ابيك
 مدجج بالسلاح ، يمشي الهوينا
 مشية العز والجلال : ثلاث مرات
 مرّ امام عيونهم المترعة بخوف مفاجيء
 في بُعد الصولجان منه ، فكادوا يذوبون
 هلاماً من شدة الفزع
 وحمدوا خرساً لا يخاطبونه .
 لقد أسروا ذلك إليّ والخوف ملء قلوبهم
 فشاركتهم الخفارة في الليلة الثالثة
 واذاكل كلمة نطقوا بها صادقة : فكما قالوا ،

في الزمن المحدد والشكل المذكور ،
ظهر الطيف . وأنا اعرف أباك ،
ليس بين هاتين اليدين من شبه أشدّ مما
بين الطيف وأبيك .

هامك : ولكن أين كان ذلك .

مرسلس : في تلك الناحية من البرج حيث قفنا بالحفارة يا سيدي .

هامك : ألم تخاطبناه ؟

موراشيو : أنا خاطبته يا سيدي .

ولكنه لم يجر جواباً . ولو انني ظننت مرة
أنه رفع رأسه وأتى بحركة كأنه يريد الكلام .
ولكن في تلك اللحظة نفسها صاح ديك الصباح عالياً ،
فانكمش حال سماعه الصوتّ

واختفى عن أعيننا .

هامك : غريب جداً .

موراشيو : انه والله لصدّق .

فقلنا إنه قد خطّ في واجبنا

ان نطلعك عليه .

هامك : طبعاً طبعاً ، ايها السادة . ولكن هذا يقلقني .

أتخفّر ان الليلة ؟

مرسلس وبرزدو : اجل يا سيدي .

هامك : قلما « مدجج بالسلاح » ؟

كلاهما : مدجج بالسلاح يا سيدي .

هامك : من الرأس حتى القدم ؟

كلاهما : من الرأس حتى القدم يا سيدي .

- هامك : اذن لم تريا وجهه ؟
- هوراشيو : بلى يا سيدى . كان رافعاً قناعه الحديدي .
- هامك : أكان عابساً ؟
- هوراشيو : كان ما في وجهه حزناً اكثر منه غضباً .
- هامك : شاحبٌ أم أحمر ؟
- هوراشيو : بل شاحب جداً .
- هامك : وثبتَ فيكم عينيه ؟
- هوراشيو : بثبات مستمر .
- هامك : ليتني كنت هناك .
- هوراشيو : لكنت اندهشت كثيراً .
- هامك : محتمل ، محتمل جداً . أظلمَ وقتاً طويلاً ؟
- هوراشيو : ريثما يعدّ المرء الى المثة على مهل .
- كلاهما : بل اكثر ، اكثر .
- هوراشيو : الا عندما رأيتُه أنا .
- هامك : وكانت لحيته مشوبة بالبياض ؟
- هوراشيو : كانت كما رأيتها في حياته
سوداء مفضضة .
- هامك : سأخفر هذه الليلة
فلعله يطوف مرة اخرى .
- هوراشيو : أوكد لك انه سيفعل .
- هامك : اذا تقمَّص شخص ابى النيل ،
فانني سأخاطبه ولو فتحت جهنم فاها
وامرتني بالصمت . ارجوكم جميعاً
ان كنتم حتى الآن قد كنتم أمر هذه الرؤية ،

فلتُحْفَوْها بصمتكم بعد .

ومهما يحدث الليلة

امنحوه ادراككم لا اللسان ،

أكافئكم على حبكم لي . اذن ، وداعاً .

سأزورك في مكان الخفارة من القلعة

بين الحادية عشرة ومنتصف الليل .

الكمل : ولاؤنا لسموكم .

هامك : حبكم لي كحبي لكم . الوداع .

(يخرجون)

روح أبي تحت السلاح؟ ليس كل شيء على ما يرام .

لعل في الامر سوءاً .

ليت الليل يُقبلُ الآن .

حتى تلك الساعة استقرتني يا نفسي .

ما من لثم إلا وسيبدو ، مهما احتجب ،

ولو غمرته الدنيا بأجمعها عن اعين الناس .

المشهد الثالث

غرفة في منزل بولونيوس . يدخل لرتيس واوفيليا .

رتيس : لقد حُملت ضرورياتي في السفينة . وداعاً .

ويا اختاه ، ما دامت الرياح تمدنا

وحمل الرسائل يعاضدنا ، لا تنامي

إلا وقد كتبت اليّ

اوفيليا : اتشك في ذلك ؟

لربس : أما عن هاملت ، وما يحضك من قليل الحب ،
فلا تحسبه الا مجاملة وزروة في الدم ،
بنفسجة في ريعانها
تُقبل ولا تلوم ؛ ذكية غير باقية ،
شذا وطرارة دقيقة واحدة ،
لا اكثر .

اوبليا : اذآك ولا اكثر ؟

لربس : لانحسيها اكثر من ذلك :

فالطبيعة الناشئة لا تنمو وحدها
قوة وحجماً : بل إذ يكبر هذا الميكل
يتسع معه ايضاً ما في داخله
من قوى العقل والروح .
فلعله الآن يجبك ،
ولا لطلخة او خديعة تلوّث
فضيلة ارادته . ولكن عليك ان تتحسبي :
اذا علت منزلته خرجت من يده ارادته ،
فهو نفسه خاضع لمحتده ،
وليس له ، كغيره ممن لا وزن لهم ،
ان يختار لنفسه ، لان على اختياره
تتوقف صحّة وسلامة هذه الدولة بأسرها ،
ولذا لا بد لاختياره من ان يحدده
صوت ومشية هذا الجسم
الذي هو رأسٌ له .
فاذا قال إنه يجبك

فمن الحكمة ان تصدقيه الى الحد الذي
يستطيع عنده ان يقرن قوله بالفعل
بموجب ما يختص به من مكانة وعمل ، ولن يكون
ذلك الحد بأبعد
مما يؤيده ذوو الشأن في الدائمك .

قد رى اذن مبلغ ما يحيق بشرفك من خسارة
ان انت اصغيت اليه باذن تصدق اكثر مما ينبغي
او ضيعت قلبك من اجله، او فتحت خزيتك العذراء
للجاجة منه لا يملك زمامها .

اخشي ذلك ، اخشيه يا اختي الحبيبة ،
وابقي في المؤخرة من عواطفك ،

بعيدة عن مرمى الشهوة والخطر .

مهما ضنت البكر ، اسرفت

ان هي رفعت القناع عن جمالها للقمر .

والعفة نفسها لا تخلص من ضربات الاغتيا ب .

ما اكثر ما يفسد السوس زغب الربيع

قبل ان تفتح براعمه ،

والعواصف الموبوءة يشتد احتمال هبوبها

عند صبح الشباب ونداه الطري .

اذن ، خذي الحذر ، ففي الخشية السلامة .

الشباب يتمرّد لنفسه ، وإن لم يكن بقربه أحد .

سأجعل مضمون هذا الدرس المفيد

حارساً لقلبي . ولكن ، يا أخي العزيز ،

لا تفعل كما يفعل كاهن لثيم ،

يربني الطريق الكأداء الشائكة الى السماء
وهو ، كخليع مندلق الكرش لا يبالي ،
بطأ سبيل اللهو المحفوف بالورد
ولا يأبه للنصح ، الذي ينضح به .

لربيس : لا ، لا تخافي .

(يدخل بولوبوس)

تأخرت . لكن هوذا ابي آت .
ان البركة المزدوجة لنعمة مزدوجة .
والفرصة مؤاتية لتوديع ثان .

بولوبوس : اما زلت هنا يا لرتيس؟ عيب يا هذا، اصعد سفينتك .

الريح قابعة بين كنتفي شراعك
وهم في انتظارك . هاك بركتي ، فلتكن معك .
وهذه بعض النصائح ، خطتها في ذاكرتك .
أمسك اللسان عن افكارك

ولا تنفذ فكرة لا تناسب مع ظروفها .
مع الناس لا تتكلف ، وكذلك لا تتبدل .
اذا امتحنت اصدقاءك ، الذين اخترتهم ،
شدهم باطواق من الصلب لنفسك ،
ولكن لا تبلد كفتك بالترحيب

بكل غرّم لم يزغب ولم يخرج بعد من بيضته .
احذر الدخول في الشجار ، ولكن اذا دخلته
احسن البلاء لكي يحذرك خصمك .

اذنك اعرها لكل انسان ، أما صوتك فاقصره
على القلة ،

خذ الرأي من كل فرد ولكن احتفظ بحكمك .
أنفق وسع كيسك على ثيابك ،
على ألا تغرب بها ، ولتكن فاخرة لا صارخة ،
فالزّي كثيراً ما يفصح عن صاحبه ،
وذو أرفع المراتب والمناصب في فرنسا
الأخصّون الأكرمون ، ابرع الناس في ذلك .
لا تُدنّ ولا تستدنّ ،

فالدّين كثيراً ما يفقد نفسه والصدّيق ،
والاستدانة تفلّ حدّ الاقتصاد .
وهذا اذكروه فوق كل شيء :

كن صادقاً مع نفسك ، وإذا فعلت ،
تلا ذلك ، كالليل يتلوّه النهار ،
انك لن تكون كاذباً مع أحد .
وداعاً ، وليثمر هذا النصّح فيك ببركتي .

لربّيس : استأذّنك الذهاب بأشدّ التواضع ، يا سيدي .
بولونبوس : الزمن يدعوك ، فاذهب . خدّ أمك في انتظارك .
لربّيس : وداعاً يا اوفيليا ، واذكري جيداً
ما قلته لك .

اوفيليا : لقد اقلّلت عليه في ذاكرتي
واودعت المفتاح لديك .
لربّيس : وداعاً .

(يخرج لربّيس)

بولونبوس : ما الزّي قانه لك يا اوفيليا ؟
اوفيليا : شي يتعلّق بسيدي هاملت .

بولونيوس : احسنت تذكيري والله .

لقد نمي إلي انه ، في الآونة الأخيرة ،
كثيراً ما يختلي بك ، وأنت أنت أيضاً
تتساهلين وتسخين جداً بالمثل بين يديه .
فاذا كان الأمر كذلك ،
فعليّ تحذيراً ان اقول لك ،
انك لا تفهمين نفسك فهماً واضحاً
خليقاً بابنتي ، وبشرفك .
ما الذي بينكما ؟ قولي الحق .

اوفيليا : لقد قدّم لي اخيراً ، يا سيدي ؛ دلائل عديدة
على وده لي .

بولونيوس : « وده » ، هه ! تتكلمين كفتاة غرّة
لم يعجم عودها في مثل هذه الحالات الخطرة .
أتصدقين « دلائله » ، كما تسمينها ؟

اوفيليا : لست ادري ، يا سيدي ، ما الذي اصدق .

بولونيوس : اذن ، سأعلمك : اعترفي نفسك طفلةً

حَسَبْتِ دلائله نقداً صحيحاً

وإن لم يكن بالنقد المعترف بقدره .

وارفعي من قدر نفسك ،

وإلا - كدت ازهق روح العبارة المسكينه بتدويرها

هكذا - جعلتني قدراً في عداد البلهاء .

اوفيليا : سيدي ، لقد محضني الحبّ

على اشرف غرار .

بولونيوس : أجل ، « غراراً » تسمين ذلك . هيا ، هيا .

أوفيليا : ودعم قوله ، يا سيدي ،
بأقدس الوعود .

بولوبوس : شراكٌ لصيد العصافير .

وأنا أعلم ، كم تُسرف النفس ، حين يلتهب الدم ،
في مدّ اللسان بالوعود . هذا الأجيح ، يا ابنتي ،
الذي يبعث نوراً أكثر منه حرارة ، والذي ينطفئ
في كليهما ،

حتى في بلدتهما ، عند الاشتعال ،
يجب ان لا تحسبه ناراً . فن هذه الساعة ،
قللي شيئاً من مثلك العُدري امامه ،
واجعلي التماسه الحديث اليك اعزّ
من الدعوة الى المفاوضة . فعن سيدنا هاملت ،
لا تصدقي من أمره الا انه شاب ،
له من مدى التجوال أكثر مما يجوز
اعطاؤه اليك . وجملة القول ، يا أوفيليا ،
لا تصدقي وعوده . فإ وعوده الا سمسرة
ليسوا من الصبغة التي تُبديها ثيابهم ،
وهم انما يترجون تحقيق الدّيس من القضايا
فيتنفسون كالداعر التقيّ الورع
ليتقنوا الخديعة . والخلاصة ،
لا اريدك من الآن فصاعداً - وأقولها صراحة -
ان تنفقي لحظة واحدة من اوقات فراغك
في الكلام او الحديث مع الأمير هاملت .
هذا نهىٌ مني ، فخذني الحذر . انصرفي وشأنك

اوفيليا : سمعاً وطاعةً ، يا سيدي .
(يخرجاه)

المشهد الرابع

في أحد أبراج القلعة . يدخل هامك وهوراشيو ومارسلس .

هامك : الهواء قارس . بارد جداً .

هوراشيو : انه حاد ، جارح .

هامك : ما الساعة الآن ؟

هوراشيو : لعلها تقارب الثانية عشرة .

مارسلس : لا ، فقد دقت .

هوراشيو : صحيح ؟ لم اسمعها . اذن فقد دنا الاوان

الذي اعتاد فيه الطيف ان يتمشى .

(نغير ، ردوي قذيفتين ، في الداخل)

ما معنى ذلك ، يا سيدي ؟

هامك : ان الملك يسهر الليلة ، وسيظل ساهراً

في شرب ورقص متبختر .

وكلما أفرغ الجرعات من خمر « الراين »

نهق الطبل والنفير معلنين

مجد نصره المخمور .

هوراشيو : أهذه عادته ؟

هامك : إي والله !

لكنها في معتقدي ، وان اكن من مواليد هذا البلد

الذين ترعرعوا عليها ، عادةً

أَجْمَلُ بِهَا إِنْ تَهْمَلُ مِنْ إِنْ تُتَّبِعُ .
فَهَذَا الشَّرَابُ الَّذِي يَثْقُلُ الرَّأْسَ إِذَا
يُجْعَلُ الْإِقْوَامُ تَمَعْنَ فِي قَدْحِنَا وَذَمْنَا شَرْقاً وَغَرْباً .
أَنْهُمْ يَدْعُونَنَا بِالسَّكَارَى ، ثُمَّ يُلَوِّثُونَ أَسْمَانَا
بِنَعْوَتِ الْخَنَازِيرِ . إِنْهَا لَتَنَالُ مِنْ أَنْجَازَاتِنَا
مَهْمَا سَمَوْنَا فِي تَحْقِيقِهَا ، وَتَقْضِي عَلَى الْبَابِ مِنْ سَمْعَتِنَا .
كَثِيراً مَا يَحْدُثُ مِثْلَ هَذَا لِلْأَفْرَادِ مِنَ النَّاسِ ،
فَتَرَى إِنْ فِيهِمْ هِنَةٌ خَيْثَةَ مِنَ الطَّبِيعَةِ
وُلِدُوا بِهَا وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ فِيهَا —
فَالطَّبِيعَةُ لَا تَسْتَطِيعُ اخْتِيَارَ أَصْلِهَا
فَتَسْتَفْجِلُ فِيهِمْ خِصْلَةَ طُبِعُوا عَلَيْهَا
لِتَقْوَضَ اسْوَارُ الْعَقْلِ وَقَلَاعِهِ ،
أَوْ إِنْ عَادَةَ مَا يَكْتَسِبُونَهَا ، تَسْرِي فِي
كِيَانِ الرِّقَّةِ وَالْأَدَبِ مِنْهُمْ ، فَهَؤُلَاءِ الْإِفْرَادِ
إِذَا يَحْمَلُونَ ، كَمَا قُلْتُ ، طَابَعُ نَقْصِ وَاحِدٍ
أَلْبَسْتَهُمْ آيَاهُ الطَّبِيعَةِ أَوْ إِزَاهُ بِهِمْ سُوءَ الطَّالِعِ ،
مَهْمَا تَنَقَّ فِضَائِلُهُمُ الْآخَرَى
وَمَهْمَا يَبْلُغُ عِدْدَهَا ، تَفْسُدُ فِي مَجْمُوعِهَا الْكُلِّي
كَثِيراً مَا يَتَفَشَّى فِي الْمَادَّةِ الْكَرِيمَةِ بِتَمَامِهَا ،
وَيَسْبَبُ لَهَا النَّقِصَةَ .

(يَدْخُلُ الطَّيْفُ)

هوراشيو : انظر ، يا سيدي ، إنه آتٍ .

هاملت : ملائكة الرحمة والخير احفظينا !
سواء روحاً منعماً كنتَ ، أم مارداً لعيناً ،

بنسائم من السماء جئتَ أم باعاصير من الجحيم،
خبثت النوايا كنتَ ام نبيلها ،
فانك آت في شكل يثير السؤال ،
ولسوف أخاطبك ولسوف ادعوتك هاملت ،
ملكاً ، واباً ، ودانمركياً حاكماً . بالله أجبني ،
ولا تدعني اتفجر جهلاً ، وقل لي
لماذا شقتَ عظامك ، في تابوت الموت ،
اكفانها ، ولماذا فغر الضريح
الذي رأيناك تُثوى فيه
فكبه الرخاميتين الرهيبتين الرخاميتين
ليلفظك منه ؟ ما الذي يعنيه ذلك ؟
ما الذي يعنيه انك ، وانت جثمان لا حياة فيه ،
تعود هكذا في الدرع والزراد لتزور نظرات القمر
من جديد
وتجعل من الليل رعباً ، وتزلزل الخواطر فينا رهبة —
وما نحن الا أئعوبة الطبيعة — بنِكْر .
تقصر عنها روحنا ؟
ما السبب ، قل لي ، لماذا ؟ ما الذي علينا ان نفعله ؟
(يومىء الطيف لهامك)

هوراشيو : انه يومىء اليك بمرافقته ،

كأن لديه ما يسره اليك فقط .

مرسلس : انظر ، بأي ادب ولطف يدعوك

الى مكان اكثر عزلة .

ولكن ، لا تذهب معه .

- هوراشيو : لا ، ابدأ ، ابدأ .
- هامك : انه لا يتطق . إذن سأتبعه .
- هوراشيو : لا تفعل ، يا سيدي .
- هامك : ولم لا ؟ ما الخوف ؟
- اني لا أؤمن حياتي بفلسين –
 أما روحي ، فما الذي يستطيع ان يفعل بها ،
 وهي خالدة مثله لا تموت ؟
 إنه يلوح لي ثانية . سأتبعه .
- هوراشيو : أخشى ان يقتادك اغراء الى الطوفان ، يا سيدي ،
 أو الى قمة صخرية مربعة
 تطل من فوق قاعدتها على البحر ،
 وهناك يتقمص شكلاً مربعاً آخر
 قد يسلبك سلطان العقل ،
 ويجرّ بك نحو الجنون . تأمل :
- ان المكان وحده ، دونما دافع آخر ،
 ليشحن الذهن بخواطر اليأس ،
 اذ ينظر المرء من شاهق العلو الى البحر
 ويسمعه هادراً في القرار السحيق .
- هامك : ما زال يشير اليّ .
 تفضل . سأتبعك .
- مرسلس : لن تذهب ، يا سيدي !
- هامك : ارفع يديك عني !
- هوراشيو : اعقل ! لن تذهب !
- هامك : مصيري يصيح بي ،

- ويجعل كل عرق صغير في هذا الجسد
 صلباً عاتياً كعروق الاسد « النيمي » *
 انه ما زال يدعوني اليه ؟ أيديكم عني ، ايها السادة .
 والله لاجعلن طيفاً ممن يعترض سبيلي .
 قلت ، تفضل ، سر ، اني وراءك .
 (يخرج الطيف وهامك)
 هوراشيو : خياله يحدو به الى الاستانة .
 مرسلس : لتنبعه . من العيب ان نطيعه على هذا النحو .
 هوراشيو : لا بأس . تُرى ما نتيجة كل هذا ؟
 مرسلس : في دولة الدانمرك فساد وعفن .
 هوراشيو : ستهدىها السماء .
 مرسلس : لنذهب في اثره .

المشهد الخامس

مكان آخر من البرج . يدخل الطيف وهامك .

هامك : الى اين تبغي اقتيادي ؟ تكلم ! لن اخطو ابعده
 من هنا .

الطيف : انظر اليّ .

هامك : أجل

الطيف : دنت ساعتى التي

عليّ فيها ان اسلم نفسي

* الذي كان قتله اول الواجبات الرهيبه التي قام بها هرقل .

لنيران الكبريت والعذاب .
 هامك : وألماه ايها الطيف المسكين !
 الطيف : لا تشفق عليّ ، ولكن أعزني اذنأ جادة مصغية
 لما سوف ابوح به .
 هامك : تكلم . اني متهيء للسماح .
 الطيف : وملزم انت ايضاً بالانتقام ، حالما تسمع .
 هامك : ماذا ؟
 الطيف : انا روح أبيك ،
 وقد حُكِم عليّ بأن اطوف في الليل زمناً ؛
 وفي النهار ، بأن اتصور جوعاً في اللُهب
 الى أن يحترقَ ما اقترفته من الآثام
 في حياتي الدنيا ، فأطهرَ منها . ولو لم يُحظر عليّ
 افشاء أسرار سجني
 لسردت على مسمعك قصةً ، أخفّ لفظه فيها
 تعذب نفسك وتجمد دمك الفتيّ ،
 وتجعل عينيك تظفران كنجمتين من فلكيهما ،
 وُخصُلاتك الضفيرة المتواشجة تتناثر ،
 وكل شعرة في رأسك تنتصب
 كالريش المزبثر في جلد قنفذ ساخط .
 ولكن حُرّم البوح بأسرار الأبدية
 لآذانُ صنعت من اللحم والدم . فاسمع يا هامك ،
 اسمع ،
 ان كنت يوماً قد أحبيت أباك العزيز .
 هامك : رباه !

- الطيب : انتقم لمقتله الخسيس اللثيم .
- هامك : مقتله ؟
- الطيب : مقتلٌ ملؤه الخسة، والقتل في أفضل الاحوال خسيس .
كان ملء مقتله الخسة والغدر والتعدي على شرائع الطبيعة
- هامك : أسرع القول ، بالله اسرع ، فانطلق ، بأجنحة لها سرعة الفكر وتأملات الهوى ،
الى انتقامي
- الطيب : أراك متهيئاً للعمل ،
ولكنت أبلد من العشب السمين
الذي يعفن مسترخياً على ضفاف « ليدي » *
لو لم يُترك ما أقول . فاسمع يا هامك :
لقد شيعوا انني كنت نائماً في حديقتي ،
فلدغنتني أفعى : هكذا خدعوا اذن البلد كله
بالتلفيق عن موتي . ولكن أعلم ايها الفتى النبيل ،
ان الأفعى التي لدغت الحياة من أبيك
تلبس الآن تاجه .
- هامك : يا لنفسي التي تنبأتُ
أعمتي ؟
- الطيب : أجل ، إن ذلك الوحش الزاني الذي استباح
المحرمات ، بسحر دهائه ، وهدايا الخؤون -
يا له من دهاء اثم ، ويا لها من هديا تقوى على اغراء
كهذا ! - أخضع لشهوته المخزية

* نهر النسيان في العالم السفلي .

إرادة الملكة ، وهي التي اجادت ادعاء العفة
والفضيلة .

يا له من سقوط ذاك ، يا هاملت !
سقوط عني ، أنا الذي كان حبي لها
من الرفعة بحيث مشى بدأ بيد
مع عهدي الذي قطعت لها بالزواج ، لتحطّ
على صعلوك مواهبه الطبيعية
لا تقاس بمواهي في شيء !
وكما ان الفضيلة لن تترشح ،
وان راودها الفجور في أجل اشكال السماء ،
فان الشبق ، وان يقترن بملك بهي ،
ليُتخمن نفسه في فراشٍ علوي ،
ويقتات على النفاية .
ولكن مهلاً ، هذا شميم نسام الصباح ،
فلاختصر : فيما كنت في القيلولة في حديقتي
كعادتي بعد الظهر من كل يوم ،
تسلل عمك اليّ ، في ساعتني الامينة تلك ،
وييده حُقّ من عصير الآبنوس اللعين ،
وفي الفتحة من أذني صبّ
قطارة الجرب تلك ، ولمفعولها
عداء ضد دم الانسان ،
فهني بسرعة الزئبق تجري
خلال بوابات الجسم وممراته الطبيعية ،

وبعنف فجائي تخثر الدم السيال النقي
كمن يصب قطرات حامضة في حليب .
هكذا خثرتُ دمي .
وفي الحال ، كالمصاب بالبرص ، اكتسى جسدي
الأملس كله
بقشرة من البثور ، قبيحة لعينة .
على هذا النحو فقدت ، وأنا في رقادي ، وعلى يد
أخ لي ،
الحياة والتاج والملك ، فقدتها كلها دفعة واحدة .
لقد اغتالني وانا في الاوج من خطاياي
بلا اعترافٍ ولا قربان ولا زيت مقدس ،
بلا حساب لما اقترفت ، لكي اجابه حساب الله
وآثامي وعيوبي كلها على رأسي .
يا للهول ! يا للهول ! يا لشدة الهول !
ان كانت الطبيعة سويةً فيك ، انتفض !
ولا تدع سرير ملك الدانمرك يتحول
الى فراش للفجور والزنى اللعين بذوي القربى
ولكن كيفما فعلت لتنفيذ هذا العمل ،
لا تلوث دماغك ، ولا تدبر اي مكيدة
لأمك . اتركها للساء ،
وللشوك المقيم في صدرها
ليُعمل فيها وخزّه ولسعه . ولأودّعك على الفور !
تشير البراعة الى دنوّ الصباح ،

فقد أخذت نارها الباطلة بالشحوب :
وداعاً ، وداعاً ، يا هاملت . لا تنسني .

(يخرج الطيف)

هاملت : يا جحافل السماء ! ايتها الارض ! ماذا بعد ؟
وهل أضيف الجحيم ؟ ألا تبتأ ! تماسك ايها القلب ،
وانت يا عضلاتي ، لا تشيخي في طرفة عين ،
واحمليني ، وان تتيبسي ! لا أنسك ؟
أجل ، ايها الطيف المسكين ، ما دام للذكرى مكان
في هذه الكرة المشوشة [ممسكاً رأسه بيديه] .
لا أنسك ؟

أجل من لوح ذا كرتي
سأححو كل تدوين سخيف أحق ،
حِكَم الكتب كلها ، كل شكل وكل انطباع مضى ،
مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة ،
ولن يبقى في كتاب ذهني إلا
أمرك وحده ، دون غيره ،
لا تخالطه مادة رخيصة . نعم ، نعم ، وحق السماء !
ابتها المرأة الفتاكة المدّمة !
ايها النذل ، النذل ، ايها النذل البسّام اللعين !
دفتري ، اين دفتري ؟ جديرٌ بي ان ادوّن فيه
ان المرء قد يهش ويهش وهو نذل ؛
او ، على الاقل ، هكذا الحال في الدانيمرك :

هكذا دونتك يا عماء . اما كلمة السرّ عندي ،

فهي : « وداعاً وداعاً لا تنسني » .

لقد اقسمت !

هوراشيو : [من الداخل] سيدي ، سيدي !

مرسلس : سيدي هاملت !

هوراشيو : حفظه الله !

هاملت : وليكن ذلك .

هوراشيو : هيلو ، هو هو ! *

هاملت : هيلو ، هو هو ! يا ولد ! تعال يا طير ، تعال !

(يدخل هوراشيد ومرسلس)

مرسلس : كيف الحال يا مولاي ؟

هوراشيو : ما الخبر يا مولاي ؟

هاملت : رائع ، رائع جداً !

هوراشيو : اخبرنا به يا مولاي .

هاملت : لا ، ستبوحان به .

هوراشيو : أنا ؟ لا والله يا سيدي .

مرسلس : ولا انا يا سيدي .

هاملت : ماذا تقولان اذن ؟ أيخطر مثل هذا ببال انسان ؟

ولكن ، أتتكتّمان ؟

الاثنتان : نعم والله .

هاملت : ما من نذل قاطن في هذا البلد كله

* هذه صيغة الصياد بالصقر حين يريد استمادته .

إلا وهو وغد حقير .

هوراشيو : سيدي ، لا حاجة بنا لطيف قادم من القبر
لينبئنا بذلك .

هامك : محقّ ، والله انت محقّ .

ولذا ، فلنقطع اللفّ والدوران ،
لأنني ارى من الصواب ان نتصافح ونفترق .
اذها الى حيث يشير اليكما الشغل او الهوى .
فلكلّ شغله وهواه ،
مهما يكن . أما أنا ،
فانظرا ، اني ذاهب لأصليّ .

هوراشيو : هذه كلمات هوجاء لا نسق فيها ، يا سيدي .

هامك : آسف لأنها تسيء اليكما . من كل قلبي .
إي والله ، من كل قلبي .

هوراشيو : لا ، لا اساءة فيها ، يا سيدي .

هامك : بلى ، والقديس باتريك ، ان فيها لإساءة . يا هوراشيو .
إساءة كبرى ، تتعلق بهذه الرؤيا .

إنه طيف كريم ، ارجو ان تعلمنا ذلك .

اما من حيث رغبتكما في معرفة ما جرى بيننا ،
فتحكّما بها ما استطعنا . والآن ، يا صديقيّ الكريمين ،
كلاكما صديق واستاذ وجندي ،
ولذا أرجو ان تستجيبا لطلب طفيف مني .

هوراشيو : وما هو يا مولاي ؟

هامك : لا تخبراً أحداً بما رأيتما هذه الليلة .

الاثنان : لن نخبر احداً يا مولاي .

هامك : بل ، أقسمنا على ذلك .

هوراشيو : قسماً بالعليّ العظيم .

مارسل : قسماً بالعليّ العظيم .

هامك : على سيفي

مارسل : لقد أقسمنا يا سيدي .

هامك : على سيفي ، أقسمنا .

(الطيف يصبح من أسفل المسرح)

الطيف : أقسمنا !

هامك : ها ، يا ولد ، أتقول ذلك ؟ أنت هناك يا صاح ؟

هياً اذن ، لقد سمعنا الرجل يصبح من السرداب .

تفضلاً بالقسم .

هوراشيو : لآتلُ اليمين يا مولاي .

هامك : الآّ تنفوها بما رأيتما .

أقسمنا على السيف .

الطيف (من الاسفل) : أقسمنا !

هامك : أهنا وفي كل مكان ؟ فلننتقل من هنا .

تعالا هنا ،

وضعا يديكما ثانية على سيفي ،

يميناً بأنكما لن تنفوها بما سمعتما .

أقسمنا بسيفي .

الطيف (من الاسفل) : أقسمنا بسيفه !

هامك : حسناً نطقت يا مُخلد! ما أسرع ما تنقب الأرض!
حفّار بارع! لننتقل مرة أخرى، يا صديقي
الكريمين .

هوراشيو : انه والله لأمر غريب!

هامك : اذن رحّب بالغريب .

ان في السماء والارض يا هوراشيو اموراً
اكثر بكثير مما تحلم به فلسفتك .
ولكن اسمعا ،

رحمكما الله ، من اليوم فصاعداً ،

مهما أغربت او شذذت في سلوكي ،

إذ قد أجد من الملائم بعد اليوم

أن أظاهر بالغريب من التصرف ،

فلا تقفا هكذا ، في مثل هذه الظروف ،

مكتوفي الأيدي ، او تهزا الرأس ،

او تتلفظا بعبارات مريية ، كأن تقولوا

« نعم ، نعرف » أو « نقدر لو اردنا ... »

او « لو أردنا الكلام .. » او « هناك من يستطيع »

او أي افصاح كهذا عن انكما

تعلمان من أمري شيئاً . امتنعا عن ذلك البتة ،

ولتحل عليكما النعمة والرحمة عند الشدائد ..

أقسما !

الطيب : أقسما !

هامك : استرح ، استرح ، ايها الروح الجزع . وهكذا
يا سيدي

أحييكما مع خالص ودي .
أما ما سيفعله هاملت المسكين
ليعبّر عن وده وصادقته لكما
فلن يعوزه فعله باذن الله . لندخل سوية ،
ولتبقى أصابعكما على شفاهكما .
فالزمان مضطرب . يا للكيد اللعين
ان أكون أنا قد ولدت لاصح منه اضطرابه .
هيا لنذهب معاً .
(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

بمد بضمة أساييح . غرفة في منزل بولونبوس .
يدخل بولونبوس وريئالدو

بولونبوس : أعطه هذه النقود وهذه الاوراق ، يا ريئالدو .

ريئالدو : سأفعل يا مولاي .

بولونبوس : ولسوف تحسن صنعا ، يا ريئالدو ، إذا استفسرت عن
سلوكه قبل زيارته .

ريئالدو : هذا يا مولاي ما كنت أنوي أن افعله .

بولونبوس : أحسنت ، والله ، أحسنت . انظر .

اسأل اولاً عن الدانمركيين في باريس ،

من هم ، كيف هم ، أين يقيمون ، ما ظروفهم ،

من أصدقاؤهم ، ما مصاريفهم ، وحينئذ تجد -

إذ تراوغ وتداور وتحوم حول الموضوع -

أنهم يعرفون ابني ، فانك بذلك

تدرك ما ربك أكثر مما لو جعلت أسئلتك صريحة

مباشرة ،

فتظاهروا عندئذ بأن لك به معرفة من بعيد ،

كأن تقول « إني أعرف والده وأصدقاءه ،
وأعرفه هو معرفة ضئيلة ... » أتسمع يا رينالدو ؟
رينالدو : نعم ، نعم ، يا مولاي .
بولونيوس : « وأعرفه هو معرفة ضئيلة » ، تردف :
« لا معرفة وثيقة .

وإذا كان هو الذي اعنيه ، فانه شاب اهوج ،
كثير الكذا والكذا ... » وعندها تنسب إليه
ما شئت من عيوب ملفقة — على الا تكون من
الحقارة بحيث تنال من شرفه . حذار من ذلك .
انسب اليه من زلات اللهو والمجون ما يُقرَن عادة
بالشباب والانطلاق .

رينالدو : كالقمار مثلاً ؟
بولونيوس : نعم ، او كالشرب ، والمبارزة ، والشتم ، والمشاجرة ،
وعشرة الساقطات .

لك ان تذهب الى هذا الحد .

رينالدو : ولكن ذلك يا مولاي ينال من شرفه
بولونيوس : ابدأ ، لأنك ستلطف في الحال ما تتهمه به .
حذار أن تنسب اليه ما يسبب الفضيحة
او تقول انه فاسق خليع .
ليس ذلك ما أعنيه . بل اشر بلباقة الى عيوبه
لتبدو أنها مما يشوب حرية الشباب ،
وانها وميض الذهن الناري واندلاعه ،
أو وحشية الدم الذي لم يروض بعد —
مما يعانيه معظم الشباب .

رينالدو : ولكن يا مولاي -

بولونيوس : لم اطلب اليك هذا ؟

رينالدو : أجل يا مولاي .

بولونيوس : إليك غرضي من كل ذلك ،

ويقيني انها طريقة لا بد ان تنجح .

إنك اذ تنسب الى ابني هذه السيئات الطفيفة ،

كأن شيئاً ما قد تلوث قليلاً بالاستعمال ،

افاهم أنت ؟

زميلك في الحديث ، وانت تسبر غوره ،

يكون قد رأى الفتى الذي جرّمته انت

وهو منغمس في الموبقات المذكورة آنفاً ،

فيطابقك ولا شك على هذا النحو :

« سيدي ، او كذا ، او يا صديقي ، او ايها المحترم ،

حسبما ينص عليه لقب الرجل

وآداب بلاده .

رينالدو : نعم ، يا مولاي .

بولونيوس : ثم يا عزيزي ، يفعل هذا ، اجل ، يفعل هذا -

ما الذي كنت اريد ان اقول ؟ والله كنت أريد ان

اقول شيئاً - اين كنا ؟

رينالدو : عند « فيطابقك على هذا النحو » - عند « يا صديقي ،

او ايها المحترم . »

بولونيوس : عند « يطابقك على هذا النحو » - اجل ، اجل ،

يطابقك قائلاً : « اني اعرف الفتى ،

وقد رأيته البارحة ، او منذ أيام .

او عندئذ ، او كيت وكيت ، وقد رأيت ، كما
قلت انت ،
يلعب القمار في المكان الفلاني ، او يقع أرضاً
من السكر ،

او يتشاجر وهو يلعب التنس .
او لعله يقول : « رأيت يدخل الخانوت الفلاني ،
او الماخور » ، وهلمّ جرّاً ...
افترى الآن ؟

بطعم من الكذب تصيد سمكة من الحقيقة .
وهكذا نحن المتمتعين بالحكمة والنفوذ
نكتشف بالطرق الملتوية والحياد عن الهدف
الوجهات الصحيحة .

وعلى هذا الفرار ، اذا اتبعت اقوالي ونصائحي ،
ستكتشف ابني ، أفهمت ما اعني ؟

رينالدو : نعم ، فهمت يا مولاي .

بولوبيوس : وداعاً ، وليكن الله معك .

رينالدو : وداعاً يا مولاي .

بولوبيوس : تفحص ميوله بنفسك .

رينالدو : سأفعل يا مولاي .

بولوبيوس : اجعله يعني موآله .

رينالدو : نعم ، نعم يا مولاي .

(يخرج رينالدو)

بولوبيوس : مع السلامة .

(لدخل اوفيليا)

والآن يا أوفيليا ، ما الخبر ؟
 اوفيليا : وألماه يا ابي ، لقد فزعت اشدّ الفزع .
 بولونيوس : ما الذي افزعك يا هذه ؟
 اوفيليا : ابتاه ، كنت منهمكة بالخياطة في غرفتي ،
 واذا بالامير هاملت ، وسترته مفككة الأزرار كلها ،
 ورأسه حاسر ، وجورباه الملوثان
 بلا رباط يسقطان الى كاحليه كالقيود ،
 ووجهه في مثل شحوب قيصه ، وركبته تصطكان ،
 وفي نظرتة ما يقطع القلب كأنه
 للتو قد انطلق هارباً من الجحيم
 ليسرد الاحوال — هكذا وقف امامي .
 بولونيوس : أجنّ حباً بك ؟
 اوفيليا : لست ادري يا سيدي .
 ولكنني ، والحق يقال ، اخشى ان يكون كذلك .
 بولونيوس : وماذا قال ؟
 اوفيليا : امسكني من معصمي ، وشدّ عليّ قبضته .
 ثم ابتعد عني طول ذراعه
 رافعاً كفه الاخرى — هكذا — فوق جبينه .
 وراح يتمعن في وجهي
 كأنه يريد أن يرسمه . وبقي على تلك الحال طويلاً .
 وأخيراً ، هز ذراعي هزاً رقيقاً ،
 رافعاً خافضاً رأسه ثلاث مرات
 وتنهدّ تنهدة عميقة جارحة
 كأنها تحطم منه الجسد برمته

وتنهى كيانه . بعد ذلك رفع عني يده ،
وبدأ لي إذ أدار رأسه على كتفه
كأنه يرى طريقه دون عينيه ،
لأنه خرج من الباب دون عونٍ منهما
مسدداً شعاعهما إليّ حتى النهاية .
بولوبيوس : تعالي معي . سأذهب الى الملك .

هذا هو جنون العشق بعينه ،
وهو بشيمة عنفه يدمر نفسه
ويحدو بالارادة إلى المحاولات اليائسه
كأي عاطفة جامحة اخرى
ابتليت بها طبيعتنا . إني آسف له .
أخبريني ، أأسمعتِه مؤخراً الفاظاً قاسية ؟
اوفيليا : لا ، يا أبي العزيز . ولكنني إطاعة لأمرك
صددت عني رسائله ورفضت
مجيبه إليّ .

بولوبيوس : لقد جُنّ لذلك .
يؤسفني انني لم أرقبه
بخطئة أشدّ وُحْم أصوب . خشيت انه انما يعبث
ويبغي لإيلاملك . قاتل الله ربيتي !
ليخيل إليّ أنّ من خواص من في سنننا
تجاوزَ المدى في الرأي
كما ان من شيم الأصغر سنّاً
قصورهم عن الفطنة والرشاد . تعالي ، لنذهب
الى الملك ،

لنعلمه بهذا الأمر الذي ، ان حجبناه عنه
سينتهي الى اضطراب أشدّ مما سينتهي الحب اليه .
تعالى .

المشهد الثاني

غرفة في القلعة . أبواب . يدخل الملك والملكة
وروزنكرانتز وغلدنسترن ، ومعهم آخرون .

الملك : مرحباً بكما ايها العزيزان ، روزنكرانتز وغلدنسترن .
لقد اشتقنا الى رؤيتكما ، وفضلاً عن ذلك
فان حاجتنا الى خدمتكما دفعتنا
الى الاسراع في طلبكما . لعلكما سمعنا
بتبدل هاملت : اني ادعوه تبديلاً
إذ ليس في مظهر الرجل ولا في دخيلته
ما يشبه ما كان عليه . فما الذي ،
سوى موت أبيه ، يُقصيه هكذا
عن فهم نفسه ،
لست ادري . أرجو كما إذن ، كليكما ،
لأنكما نشأتما معه منذ ايام الصغر ،
ولقربكما منه في شبابه ومزاجه ،
ان تتكرما فتقيا هنا في بلاطنا
بهضاً من الزمن ، لعلكما بعشرتكما
تجتذباناه الى اللهو والمتعة وتريان ،
مما تهبّؤه الظروف لكما لتسقطيه ،

إن كان هناك ما يرضيه ولا علم لنا به
مما إذا انكشف ، استطعنا له العلاج .
الملكة : لقد تكلم عنكما الكثير ايها الكريمان ،
وبيقيني ان ليس في الحياة اثنان
تعلق بهما مثلكما . فاذا تفضلتما
بابداء لطفكما وودكما نحونا
بأن تقيما معنا شيئاً من الزمن
توثيقاً وتحقيقاً لآمالنا ،
فان اقامتكما لتشكر لكما على نحو
يليق بملك ان يتذكره .

روزنكرانتز: لجلالتكم

بسيادتكم علينا
ان تصوغ ارادتكم الملهابة صوغاً امرئياً
لا رجاء .

غلدنسترن : كلانا طوع أهرم ،

وها نحن نسلم نفسينا بطيبة خاطر
واضعين خدماتنا عند اقدامكم
رهن اشارتكم .

الملك : شكراً يا روزنكرانتز ويا غلدنسترن .

الملكة : شكراً يا روزنكرانتز ، ويا غلدنسترن .

أرجو كما أن تزورا على الفور
ابني الذي قد تغير تغيراً يقلقني .

(الى الآخرين) ليذهب بعضكم مع هذين السيدين الى
حيث هاملت

غلدسترن : جعل الله في حضورنا واسالينا
متعة له وعوناً .

(يخرجان مع الآخرين)

الملكة : آمين .

(يدخل بولونيوس)

بولونيوس : لقد عاد سفيرانا من الترويج يا سيدي
مستبشرين .

الملك : انك دائماً ابو الانباء السارة .

بولونيوس : أحقاً يا سيدي ؟ اني اؤكد لكم يا مولاي

انني اكرس واجبي ، كما اكرس روحي ،
لإلهي وللملكي الكريم .

واني لعلى يقين – وإلا فان ذهني هذا

لم يعد يتقصى معالم السياسة

بنقته المعهودة – من انني عثرت

على السبب الاصيل في جنون هاملت .

الملك : حدثني عنه اذن . ذلك ما اتوق الى سماعه .

بولونيوس : اسمحوا اولاً للسفيرين بالمثل بين يديكم ،

لأجعل ابنائي كالفاكهة في نهاية الوليمة الكبرى .

الملك : رحب بهما انت وأحضرهما الي .

(يخرج بولونيوس)

مليكتي الحلوة ، يقول انه قد عثر على

المنبع والمصدر في اختلال مزاج ابنك .

الملكة : لا أحسبته الا ذلك السبب الاول دون غيره –

موت ابيه واستعجالنا الزواج .

(يدخل بولونيوس مع فولتاند وكورنيلوس)

الملك : حسناً . سنغريبه .

اهلاً وسهلاً بالصديقين الكريمين .

اخبرنا يا فولتاند ، ما الذي ارسله معكما اخونا
ملك النروج ؟

فولتاند : انه يرد عليكم التحيات بأجل منها ، مع خير التمنيات .

عند اولى مقابلاتنا ، اصدر أمراً بإيقاف

تعبئة جيوش ابن اخيه ، التي كانت قد بدت له

استعداداً لشن الهجوم على ملك بولندا ..

غير انه عندما انعم فيها النظر تحقق انها

استعداد لشن الهجوم على جلالتم ، فأسف جداً

حين ادرك انه لمرضه وسنه وعجزه

قد تُخدع وُضلل ، فارسل الى فرتنبراس

يأمره بالتوقف والعودة ، وهذا — باختصار —

صدع للأمر ،

وتلقى من ملك النروج الزجر والتوبيخ ؛ وجملة

القول ،

أقسم امام عمه بألا يجرب السلاح

ثانية باشهاره عليكم .

وعندئذ غمر الفرع قلب الملك

واوقف عليه ثلاثة آلاف دينار كراتب سنوي ،

وأصدر اليه أمراً بقيادة الجنود ،

الذين حشدتهم من قبل ، ضد ملك بولندا .

مع رجاء موضح هنا لكم (يلهه اوراقاً)

بأن تفضلوا وتسمحوا له بالمرور الامين

في مقاطعتكم تنفيذاً لمهمته ،
بموجب شروط تطمثنون اليها
دُوت هنا .

المك : حسناً . هذا يرضينا .

وعندما يتاح لنا الوقت الملائم سنقرأ الاوراق
ونتأمل الموضوع ، ونجيب .
حتى ذلك الحين ، نشكر لكما جهدكما المبذول .
اذهبا واستريحا ، وفي الليل نحتفل معاً .
اهلاً وسهلاً ومرحباً .

(يخرجان)

بولونيوس : لقد انتهى هذا الامر على خير .

سيدي ، ويا سيدي ، لو اطيننا في شرح
آداب المُلك ، وماهية الواجب ،
وكيف يكون النهار نهراً ، والليل ليلاً ، والزمان
زماناً ،

لكنناً انما نضيق الليل والنهار والزمان .
ولذلك ، وحيث ان الايجاز روح البلاغة ،
والإملال اعضاؤها وزينتها الخارجية ،
سأوجز القول . ولدكم النبيل مجنون .
أسميه مجنوناً ، اذما محاولة تعريف الجنون
الاجنون .

ولكن لندع ذلك جانباً .

الملكة : مادةً اكثر ، بتعميق أقل .

بولونيوس : أقسم لك يا سيدي انني لا انمق

أما أنه مجنون ، فصحيح . وصحيح انه مؤسف ،
ومؤسف أنه صحيح . نكتة بيانية –
لكن لتصرف عنها ، لانني لن أتمتق .
فلنقل اذن انه مجنون . بقي علينا الآن
ان نجد السبب في هذه النتيجة ،
او قل السبب في هذا النقص ،
لأن النتيجة الناقصة هذه لا تأتي الا عن سبب .
أطرقوا وتأملوا :

ان لي ابنة – وهي لي ، ما دامت ابنتي –
وقد اعطتني هذه ، لاخلاصها وطاعتها لي ،
(يبرز ورقة)

وعليكم بالاستنباط والتخمين .

(يقرأ) « الى ابنة السماء ، معبودة روجي ،
اوفيليا ، أعمق النساء جمالاً – »
هذه عبارة ، رديئة ، ركيكة – « اعمق النساء جمالاً »
عبارة ركيكة جداً . ولكن اسمعوا وعوا .

(يقرأ) « في صدرها الناصع الحسن هذه الابيات الخ »

الملكة : أمن هاملت هذا الكلام اليها ؟

بولونيوس : مهلاً يا سيدتي الكريمة . سأكون اميناً .

(يقرأ) « هل للكواكب نارٌ في العلى ؟ تساءلي ،
هل دارت الشمس يوماً في الفضاء ؟ – تساءلي ،
أيكذب من قال الحقيقة ؟ تساءلي
ولكن عن هواي ، حبيتي ، لا تساءلي .

عزيرتي اوفيليا ، لا اجيد عدّه هذه التفاعيل ، وأنا
لا أجيد عدّه تنهداتي والائين . اما انني اهواك
يا خير الحسان ، فصدقي . والوداع !
المخلص لك ، يا أعزّ من كل عزيز ،
ما دام مالكا لجسده الآلي هذا ،

هاملت

هذا ما اطلعتني عليه ابنتي لطاعتها لأبيها ،
وكذلك اسمعتني ما ترجاها به من القول
وكيف ومتى وفي اي مكان .

الملك : ولكن كيف قابلت هذا الحب منه ؟

بولوبوس : كيف تنظرون اليّ ؟

الملك : كرجل أمين شريف .

بولوبوس : اود ان ابرهن على ذلك . ما الذي كنتم ستظنونه -؟

عندما رأيت هذا العشق المحموم على الجناح محلقاً ،

وقد لحظته قبل ان تخبرني ابنتي بشأنه -

يجب ان أقول ، ما الذي كنتم ستظنونه

انتم أو صاحبة الجلالة ملكتنا الكريمة ،

لو انني قمت بدور الدفتر او المنضدة بينها ،

لو انني غمزت لقلبي ان اصمت ولا تتكلم ،

لو أنني نظرت الى هذا الحب نظرة من لا يكثرث ،

ما الذي كنتم ستظنونه ؟ لا ، لقد عملت بوضوح

وصراحة ،

وخاطبت صبيتي المحترمة قائلاً :

ليس سيدنا الامير هاملت من نصيبك ،

فاحذري . ثم أوصيتها
بأن تحجب نفسها عن مسعاه اليها ،
وتمنع عنها رسله وترفض هداياه .
واذ قلت لها ذلك تناولت ثمرة نصيحتي ،
فلما صدته عن نفسها – ولنختصر الحكاية –
أصابه الأسى ، ثم امتنع عن الاكل ،
ثم حُرْم النوم ، ثم أصيب بالضعف ،
ثم ابتلي بالخفة ، وبهذا الترددي والهبوط
بلغ درك الجنون الذي يهذي الآن فيه
وبيكينا جميعاً عليه .

الملك : اتعتقدين ان هذا هو الصحيح ؟

الملكة : من المحتمل جداً .

بولونيوس : هل رأيتموني يوماً ، من فضلكم ،

اقول عن شيء جازماً « ان الأمر كذا » ،

ثم ظهر انه لم يكن كذلك ؟

الملك : كلا ، حسبما اعلم .

بولونيوس : إقطع هذا عن هذا (مشيراً الى رأسه وعنقه) ، ان لم

يكن الامر كما اقول .

فاذا لم تتمنع علي الظروف ، اكتشفت

مكمن الحقيقة ، حتى وإن اختفت

في باطن الارض .

الملك : كيف لنا ان نتحقق الامر أكثر ؟

بولونيوس : انتم تعلمون أنه يتمشى احياناً ثلاث او اربع

ساعات متواليات

في هذه الردهة ؟

الملك : ذلك صحيح .

بولونيوس : سأطلق حينئذ عليه ابنتي .

ولنختبئ عندئذ وراء الستارة

ونزق المراقبة . فاذا لم يكن يجها

ولم يكن قد سلب عقله لجها ،

لا كنت وزيراً للدولة

بل مدير مزرعة وساتي عربات .

الملك : نجرب ما اقترحت (يدخل هاملت)

الملكة : ها هو المسكين قادم حزينا وهو يقرأ .

بولونيوس : اذهبا ، اذهبا كلاكما ، أرجوكما .

سأفأتمحه بالأمر حالاً .

(يخرج الملك والملكة)

سماحك يا مولاي .

كيف حال سيدي الأمير هاملت ؟

هاملت : حسن ، والحمد لله .

بولونيوس : أتعرفني ، يا مولاي .

هاملت : أعرفك تمام المعرفة . انت بيتاع سمك .

بولونيوس : كلا يا مولاي .

هاملت : اذن لبتك كنت شريفاً مثله .

بولونيوس : شريفاً ، يا مولاي ؟

هاملت : نعم ياسيدي . فالشريف ، وهذه الدنيا على

ما هي فيه ، واحد بين عشرة آلاف .

بولونيوس : اي والله صحيح ، يا مولاي .

هامك : فاذا كانت الشمس تولد الديدان في كلب
ميت ، لأنه جسد يصلح للقُبَل – هل لك ابنة ؟
بولونيوس : اجل يا مولاي .

هامك : انها عن المشي في الشمس : فالحمل نعمة ،
ولكنه غير ما قد تحمله ابنتك . فانته يا صاح .

بولونيوس (جانباً) : ما قولك في ذلك ؟ ما زال يعيد ويكرر
موضوع ابنتي ، مع انه لم يعرفني اول الأمر . قال
انني بياع سمك ! لقد ساءت حاله . ساءت جداً .
والحق انني في شبابي قاسيت الامرّين من الحب ،
مثله تقريباً . سأخاطبه ثانية . (لهامك) ما الذي
تقرأه ، يا مولاي .

هامك : كلمات ، كلمات ، كلمات .

بولونيوس : وما الذي فيها ؟

هامك : في من ؟

بولونيوس : في الكلمات التي تقرأها يا مولاي .

هامك : قدح ودم ، يا سيدي . لأن هذا الهجاء الحقير يقول
هنا ، إن للشيوخ لحيّ بيضاء ، وإن وجوههم
غضينة ، وعيونهم تفرز الصمغ الثخين ، كصمغ
الخلوخ ، وان فيهم الكثير من النقص في العقل ، والعجز
في الإليتين . ولئن كنتُ يا سيدي اؤمن بهذا كله
ايماً عميقاً راسخاً ، فانني ارى من العيب تدوينه
على هذا الشكل ، فانت يا سيدي قد تكون في سني
أنا لو استطعت المشي كالسرطان إلى الوراء .

بولوبوس (جانبا) : ان هذا جنون ، ولكنه جنون بأسلوب .
(هامك) هل لك في ان تخرج من الهواء ،
يا مولاي ؟

هامك : إلى قبري ؟
بولوبوس (جانبا) : حقاً ذلك خارج عن الهواء . ما أملاً
أجوبته في بعض الأحيان ! فيها براعة كثيراً ما
تتفق للجنون وتعصى على العقل والمنطق . سأتركه
واديّر الامور للقاء بينه وبين ابنتي . (هامك)
مولاي الكريم ، امنحني الاذن بالذهاب .

هامك : لن تأخذ مني شيئاً بطيبة خاطر أشدّ ، إلا حياتي ،
إلا حياتي ، إلا حياتي .
بولوبوس : استؤدعك الله يا مولاي .

هامك : يا للعجائز الحُمتق الصقعاء ! (يدخل روزنكرانتز
وغلدنترن)

بولوبوس : أتبحثان عن الأمير هامك ؟ انه هناك .

روزنكرانتز: حفظك الله يا سيدي . (يخرج بولوبوس)

غلدنترن : سيدي النبيل !

روزنكرانتز: سيدي العزيز !

هامك : أهلاً بالصديقين الطيبين! كيف حالك يا غلدنسترن،
وأنت يا روزنكرانتز ! كيف أنتما أيها الطيبان !

روزانكرانتز: كالسوية من ابناء الأرض .

غلدنسترن : اننا من السعداء ، لأننا لم نتجاوز مدى السعادة ،
فنحن لسنا في القمة من قبعة ربّة الدهر .

هامك : ولا في النعل من حذائها ؟

روزنكرانتز: لا هذا ولا ذاك يا مولاي .

هامك : اذن فأنتم حول خصرها ، في وسط الهوى منها ؟

غلدنترن : من أخصائها السريين نحن ، يا سيدي .

هامك : في الأعضاء السرية من ربة الدهر ؟ صدقت والله .

إنها لمومس فاجرة . ما وراءكما من الاخبار ؟

روزنكرانتز: لا أخبار يا سيدي، سوى أن العالم قد أضحى شريفاً.

هامك : اذن قريبٌ قيام الساعة . ولكن نبأ كما ليس

صادقاً . فلأحدد استلتي : ما الذي ، يا صديقي

الكرمين ، اسأتما به الى إلهة الدهر حتى ارسلتكما

الى هذا السجن ؟

غلدنترن : السجن ، يا سيدي ؟

هامك : الدانمرك سجن .

روزنكرانتز: اذن فالدنيا كلها سجن .

هامك : سجن ممتاز ، فيه ردهات وزنازن وسرايب .

والدانمرك من أسوأها .

روزنكرانتز: لا نظن ذلك يا سيدي .

هامك : اذن ، فهي ليست سجنًا لكما . لأن ما من حسن

أو دميم إلا والظن يجعله كذلك : فبالنسبة إليّ ، هذا

البلد سجن .

روزنكرانتز: اذن طموحك يجعله كذلك . إنه أضيّق من ان يفي

بحاجة ذهنك .

هامك : رباه ! بوسعي أن أحصر في قشرة جوزة ، وأعد

نفسي ملك الرحاب التي لا تُحدّ - لولا انني أرى

احلاماً مزعجة .

غلندترن : وهذه الاحلام هي الطمّوح . وما يحققه الطمّوح

ليس إلا ظلاً من حلم .

هامك : وما الحلم نفسه إلا ظل .

روزنكرانتز: بالضبط . والطمّوح في رأبي شيء هوائي جداً ،
خفيف جداً – فهو ظل الظل ، ليس إلا .

هامك : اذن فتسولونا اجسام ، وملوكننا وابطالنا المستطالون

ظلال المتسولين . انذهب الى البلاط – لانني ، والله ،

عاجز عن المنطق والتعليل .

كلاهما : سترافتك .

هامك : لا ، ابدأ . انني أرفض أن اخلطكما في البقية من

خدمي . ولأقل لكما قول رجل شريف : انني

مرافقتك أرهب مرافقة . ولكن عليّ بسبيل الصداقة

المطروق : ما الذي تفعلانه في ألسينور ؟

روزنكرانتز: جئنا لزيارتك ، لا لأبي امرأخر .

هامك : أنا المتسول المعدم ، قد أعدمت حتى الشكر ! ولكنني

اشكركما ، وشكري ، يا صاحبي ، أغلى من السعر

السائد بفلسين . ألم يرسل احد في طلبكما ؟ أجمنا

بارادة منكما ؟ ازيارة تلقائية هذه ؟ هيا ، أعدلا

معي . هيا ، هيا . تكلمنا .

غلندترن : ماذا تريد منا ان نقول يا سيدي ؟

هامك : أي شيء . ولكن يجب الا نستطرد . لقد ارسل

البعض في طلبكما : اكاد أرى اعترافاً بذلك في

نظراتكما ، التي تعجز الطيبة فيكما عن تلوينها . اني

اعرف أن الملك والملكة قد ارسلا في طلبكما .

روزكراتر: لأي غرض ؟

هامك : لكي تعلماني . غير اني استحلفكما بعشرتنا وانسجام
الشباب فينا ، وواجب المحبة المقيمة بيننا ، ويحى
كل عزيز قد يستحلفكما به متحدث ابرع مني : بصراحة
وأمانة : هل ارسل احد في طلبكما ام لا ؟

روزكراتر (جانبا لزميه) : ماذا تقول ؟

هامك (جانبا) : هذه «نعم» منكما – ان كنتما تجبانني ، تكلمنا .
غلدسترن : اجل يا سيدي . لقد ارسلوا في طلبنا .

هامك : سأطلعكما على السبب ، فأكون بتوقعي قد
استبقت اكتشافكما ، ويظل الكتان بينكما
وبين الملك والملكة على حاله لا تنقصه ريشة واحدة .
لقد فقدت مؤخرأ – ولست ادري ما السبب –
مرحجي كله ، واعرضت عن كل رياضة اعتدتها .
وفي ذلك ، يقيناً ، وقرراً على مزاجي . فهذه
الأرض ، وهي هذا الهيكل البهي ، لا تبدو لعيني
إلا كمرتفع مجذب عقيم ؛ والهواء ، هذا السرادق
البديع الحسن ، انظرا ، هذه القبة الجميلة المعقودة
فوقنا ، هذا السقف الضخم المرصع بناز من ذهب ،
انه لا يبدو لعيني إلا كحشد من أبخرة كريمة تنبعث
منها الاوبئة . والانسان ما اروع صنعه ! ما أنبله
عقلاً ، وما اقصى حدود قدرته ومواهبه ! في الشكل
والحركة ما ألبقه وما اروع ! في العمل ما أشبهه
بالملائكة ! في الادراك ما اشبهه بالآلهة ! إنه زينة
الدنيا ومثل الحيوانات الاكل ... ومع ذلك

كله ، ما خلاصة التراب هذه ؟ لا أجد لذة في
الانسان ، ولا في المرأة ايضاً ، وإن تبسّمنا كأنكما
تقولان ذلك .

روزنكرانتز : سيدي ، لم يدرك بخلدي شيء من هذا القبيل .
هامك : لماذا ضحككتَ عندما قلتُ « لا أجد لذة في
الانسان » ؟

روزنكرانتز : لأنني قلتَ لنفسِي ، ان كنتَ لا تعجد للذة في
الانسان ، فلن نرحب بفرقة الممثلين إلا أضال
الترحيب . لقد مررنا بهم وهم في طريقهم الى هذا
المكان ليكونوا في خدمتك .

هامك : سأرحب بالذي يمثل دور الملك اجمل الترحيب ،
ولسوف ينال مني الجزية والثناء . والفارس سيُعمل
سيفه وترسه ، والعاشق لن يتنهّد لوجه الله ،
والمزاحي سينهي دوره بسلام ، والمهرّج سيُضحك
كلّ من تتدغدغ رثناه لأول لمسة ، والسيدة ستفصح
دون تحفّظ عما في قلبها وإلا تكسر الشعر المرسل على
لسانها . من هم هؤلاء الممثلون ؟

روزنكرانتز : انهم ذاتهم الذين كنت تجد لذة في تمثيلهم - فرقة
تمثيل العاصمة .

هامك : كيف اتفق انهم يتجولون اليوم ؟ ألم يكن من
الافضل لهم ، من حيث الشهرة والريح معاً ، أن
يقيموا في المدينة ؟

روزنكرانتز : اغلب الظن أن ما استحدثت في عالم التمثيل مؤخراً

قد أضرت بهم (*) .

هامك : اما زالوا يتمتعون بما كان لهم من مكانة أيام إقامتي
في المدينة ؟ ألهم اتباع كثيرون ؟
روزنكرانتز : لا والله . لقد تغير كل ذلك .

هامك : لم ياترى ؟ هل صدثوا ؟

روزنكرانتز : كلا . ما زالت جهودهم على سابق نشاطها . غير
أن هناك سرباً من الاطفال ، أشبه بفراخ العقبان ،
ينفقون أعلى النعيق حيث لا يتطلب الدور ذلك ،
وتصفق لهم الجماهير اعنف التصفيق . انهم الآن
الطرز المرغوب فيه ، واذ راحوا يتحاملون على
المسارح « العامة » (هذا ما يسمونها) ، جعل
حتى حملة الاسياف يخشون ضربة القلم ، ويحجمون
عن ارتيادها .

هامك : أصبية يمشلون ؟ من ذا الذي ينظمهم ، ويدفع
أجورهم ؟ وهل ، في ابتغائهم جودة التمثيل ، لا
يتعدون الغناء ؟ او لن يقولوا فيما بعد ، حين يكبرون
ليصبحوا من ممثلي الفرق العامة — وهذا ما لا بد منه
ان لم تحسن حالهم — ان كتابهم يظلمونهم يجعلهم
يتهمجون على ما سوف يتحتم عليهم هم انفسهم
ان يصبحوه ؟

روزنكرانتز : لقد جرى بين الفريقين أمر كثير ، والناس لا
يتورعون عن إثارة المشادة بينهم . وقد مرت فترة

(*) يشير شكبير في هذا القسم من « هامك » ، بكثير من السخرية ، الى
وضع فرق التمثيل وأساليبها والصراع بينها في زمنه .

لم يكن أحد يقدم فيها مالاً لقاء أي مسرحية دون ان ينتهي الشاعر والممثلون الى الضرب واللطم حول هذا الموضوع .

هامك : اممكن ذلك ؟

غلديترن : لقد جرى صراع كثير بين الادمغة .

هامك : وهل يخرج الصبية مظفرين من هذا الصراع ؟

روزنكرانتز: اي والله ، في كل مكان .

هامك : ليس هذا بغريب . فعمي الآن ملك الدانمرك ، ولذا

ترى ان الذين كانوا يكشرون له ساخرين أيام حياة أبي ، يدفعون اليوم عشرين ، بل أربعين ، بل مئة « دوكة » ، لقاء صورة صغيرة له . إن في ذلك والله ما يتجاوز حد الطبيعة ، ليت الفلسفة تكشف لنا عن كنهه .

(تغير ابواق من الداخل)

غلديترن : ها هم المثلون هناك .

هامك : أهلاً وسهلاً بكم في ألسينور . لتتصافح . فالترحيب

عادة ومراسيم . ولأتبع الأصول معكم على هذا الغرار لثلا يبدو لطفي مع المثلين – وعليّ ان ابدي لهم اللطف ظاهراً – ترحاباً أكثر من لطفي معكم . أهلاً ومرحباً . غير ان عمي – أبي ، وأمي – امرأة عمي ، كليهما مخدوع .

غلديترن : بماذا ، يا مولاي .

هامك : لست مجنوناً الا باتجاه الرياح شمال – شمال غرب :

أما اذا اتجهت جنوباً فانت اميز الصقر عن الكركي .

(يدخل بولونيوس)

بولونيوس : السلام عليكم ايها السادة .

هامك : اصغ يا غلدنسترن ، وأنتَ ايضاً — على كل اذن
سامع : ذلك الطفل الكبير الذي تبصرانه هناك ، لم
يخرج بعد من قباطه .

روزنكرانتز: لعله عاد الى القباط من جديد . يقولون ان الشيخ
يمر في طفولتين .

هامك : سأنتبأ ! لقد جاء ليخبرني عن الممثلين . أستمعا !
كلامك صحيح يا سيدي . كان الأمر كذلك حقاً
صباح يوم الاثنين .

بولونيوس : مولاي ، جئتك بنجر .

هامك : مولاي ، جئتك بنجر . عندما كان روسكيوس
ممثلاً في روما —

بولونيوس : لقد حضر الممثلون يا مولاي .

هامك : بس ، بس !

بولونيوس : بشر في !

هامك : اذن (مقنيا) « قدم الممثلون على الحبير (٥) —

بولونيوس : ابرع الممثلين في العالم . انهم يجيدون المأساة ، والمهابة ،
والمسرحيات التاريخية ، والريفية ، والريفية الهزلية ،
والريفية التاريخية ، والمأساوية التاريخية ، والريفية
التاريخية الهزلية المأساوية ، كما يجيدون تمثيل المشهد
اللايميزأ والقصيدة اللأتحدا . لا يتصعبون سنكا ، ولا

(٥) من اغنية ممارسة لشكبير .

يستهنون بلاوطوس ، وسواءٌ لديهم ما تقيد
بقوانين الكتابة وما تحرّر منها. إنهم وحدهم الممثلون.
هامك (مفتياً) : « يا يفتاحُ ، يا قاضي اليهود ، يا عظيم
الكنز لديك ... »

بولونيوس : ما الذي كان لديه من كنز يا مولاي ؟

هامك : « ابنةٌ حسناءُ ، لا غيرها ،

أحبها حتى العبادة . »

بولونيوس (جانباً) : ما زال بابنتي .

هامك : أألسنت محقاً ، يا يفتاح العجوز ؟

بولونيوس : ان كنت تدعوني بيفتاح ، فان لي ابنة احبها حتى
العبادة .

هامك : هذا لا يتبع ذاك .

بولونيوس : ما الذي يتبعه اذن ، يا مولاي .

هامك : انت تعرف :

فاسمعوا يا قوم ، والله أعلم

ثم :

« هذا ما صار ، والله ارحم . »

ومطلع الترتيلة ينبئك بذلك وأكثر . واذا نظرت

هنا ، وجدت من جاؤا للمهاتي .

(يدخل ممثلون أربعة او خمسة)

أهلاً بالسادة ، أهلاً بكم جميعاً . يسرني ان اراك

بخير وعافية . أهلاً بالصحب الطيبين . آه ، يا صديقي

القديم . أطرت وجهك بلحية منذ ان رأيتك

اخيراً . وانت يا سيدتي الفتية (*) ، لقد دنوت

(*) كانت ادوار النساء يقوم بها الاولاد قبل ان تفلظ المراهقة اصواتهم .

من السماء منذ ان رأيتك اخيراً بمقدار كعب عال .
ارجو الا يكون صوتك قد تصدّع كدينار ذهب
ضاعت قيمته . مرحباً بكم ايها السادة . علينا بها
كالفرنسيين من ذوي الصقور ، يصيدون اول ما
يلوح لهم ، مها يكن . أذ يقوني فنكم . عليّ بخطاب
جياش ملتهب .

الممثل الاول: اي خطاب يا مولاي ؟

هامك : سمعتك مرة تلقي خطاباً لم يُمثّل قط ، او
اذا مثلتموه ، فلم تمثلوه اكثر من مرة ، لأن
المسرحية التي اذكوها لم ترق للملايين . لقد كانت
كالكيفار للعوام . غير انها كانت في رأيي ، وفي
رأي البعض الذين كان في حكمهم ترداد لما اقول ،
مسرحية رائعة ، حسنة التنسيق في المشاهد ، فيها
اعتدال بقدر ما فيها براعة . واذكر ان أحدهم
قال ، ليس في آياتها من التوابل ما يجعل مضمونها
حريّيف المذاق ، ولا في عبارتها ما يدفعنا الى اتهام
المؤلف بالتحذلق ، فهي في اسلوبها الامين نقيّة عذبة ،
جميلة دون تبرج . وقد كانت فيها عبارة اعجبت بها
اكثر من غيرها ، وهي حكاية اينياس لديدونه ،
لا سيما عندما يتحدث اينياس عن ابنة فريام . فاذا
ما كنت تذكرها ، ابدأ عند هذا البيت - دعني
اتذكر ... :

« وفرهوس العتيّ ، كوحش فرغانه » (*)

(*) جعل شكسبير هذه القطعة في اسلوب المبالغة والتحويل الذي كان
متبعاً في مسرحيات الفرقة التي تنافس فرقة .

لا ، لا ، لا ، انها تبدأ بفرهوس - آ :
 « وفرهوس العتي ، وسلاحه الفاحم
 كاسوداد القصد منه ، كان كالليل مضطجعاً
 في الجوف من حصان الشؤم (*) ،
 فراح الآن يلمخ سود القسامت من محيآه الرهيب
 بشاره اشد شؤماً بكثير .
 من فرعه حتى القدم
 راح بالدم القاني يترين ، يالهولي !
 بدم الآباء والامهات ، والبنين والبنات ،
 طلاءً كالقشرة السميكة في الطرقات اللاهيه ،
 لتلقي ضوء اللعنة والجور على
 شنيع مصرعهم ،
 وهم طعمة للنار والغضب ،
 وفرهوس الجهنمي هذا ، بالدم المخثر مكتسباً
 وعيناه كالجمرتين ، راح يبحث عن
 سيد القوم ، فريام العجوز . »
 بولونيوس : أحسنت والله نطقاً وإلقاءً واعتدالاً ، يا سيدي .

المثل الاول : « وسرعان ما يلقاه
 يضرب الاغريق ولا يصيب ،
 سيفه العتيق - مستقرٌ حيثما وقع -
 متمرداً على الذراع ، وعاصياً كل أمر .
 فيهجم فرهوس على فريام ، خصمين غير متكافئين ،

(*) حصان طروادة الخشي .

ويضرب ضربة غضبى لا نصيب ،
غير أن الشيخ الواهن العصب
من هبة الريح من سيفه الضاري ، يقع ،
وعندها كأنما « إيليوم » (*) في بحراتها قد شعرت
بالضربة تلك ، تزعزعت هاماتها المشتعلات
منهارة على الاسس ، آسرةً
أذنَ فريامَ بالصوت الرهيب .
وإذا بسيف فرهوس ، وهو يهوي
على رأس فريامَ المسنّ ، يعصى في الفضاء .
وهكذا ، كتمثالٍ طاغيةٍ ، يجمد فرهوس في مكانه ،
وكالمهايد بين جسمه والارادة
لا يأتي حراكاً .
وكما في وسط العواصف قد نرى
صمتاً في السماء ، وسكوناً في السحب ،
وقد خرست هوج الرياح ، والارض أصابها
هجمةٌ كالموت : وإذا الرعد المزمزم
بمزق الفضاء ثانيةً ، هكذا ، بعد وقفة فرهوس ،
هزة الغضب من جديد للعمل ،
وإذا حتى سكلوب نفسه لم يضرب بمطرقته
درعَ مارِسِ الابدي صلابةً
بعتوٌ لا رحمة فيه كما
ضرب فرهوس بسيفه الدامي رأس فريام .

(*) قصر فريام ، ملك طروادة .

الا اخسأى يا ربة الدهر الفاجرة !
ايتها الآلهة اجتمعي وجرّدي السطوة عنها ،
كسّري الاعواد والاطار من دولابها (*)
ودحرجي الطوق على منحدر السماء لينتهي
الى الشياطين في أدنى حضيض .

بولوبوس : طويلة - اكثر مما ينبغي .

هامك : سنرسلها الى الخلاق ، مع لحيتك . (الى المتل)
استمر ، ارجوك . فهذا الرجل لا تروق له إلا
اغاني الهزل او حكايات الفجور ، وإلا فانه ينام في
الحال . استمر ، وصل الى هكيوبه . (*)

المتل الاول: « ولكن من ذا الذي ، يا ويلتاه ، من ذا الذي
رأى الملكة المتلفلة - »

هامك : « الملكة المتلفلة » ؟

بولوبوس : بليغة ! « الملكة المتلفلة » عبارة بليغة .

المتل : « وهي حافية القدمين تركض ذات اليمين
وذات الشمال ،

تهدد النار بالدمع الضرير ،

وعلى رأسها حيث كان التاج يوماً يتلألاً ،

خرقة بالية، وحول الحقوين الضامرين المنهك خصبهما

بدل الجلباب دثاراً وقعت عليه يداها في غمرة

الخوف المفاجيء .

لو رأى امرؤ ذاك لصاح مغموس اللسان في السم

(*) تصور ربة الدهر كامرأة مصوبة العينين تدير دولاب الحظوظ .

(*) زوجة فريام .

بربة الدهر وجورها : يا للخيانة !
بل لورآها عند ذاك الآلهة ،
وهي تبصر فرهوس يلهو حاقدآ
بإعمال السيف في اوصال زوجها ،
وسمعا انفجارها بعالي الندب والنواح
(إن تهزّهم ابدأ أوصاب البشر)
لقطّروا الدمع من محاجر السماء المتأججة
واترعوا الصدر من كل إله حزناً عليها وأسى . «
بولونيوس : انظر كيف حوّل لونه وملأ عينيه بالدمع! أرجوك،
كفى ، كفى .

هامك : جيد ! سأطلب إليك أن تلقي البقية عن قريب .
(الى بولونيوس) سيدي ، أحسن وفادة الممثلين
واقامتهم ، أسمع ، وعاملهم خير معاملة . انهم
خلاصة العصر وموجز تاريخه . خير لك ان يكتب
على قبرك بالسوء بعد موتك ، من ان يذكروك هم
بالسوء في حياتك .

بولونيوس : سيدي ، سأعاملهم بموجب استحقاقهم .
هامك : بل أفضل ، قاتلك الله يا رجل ، لو عاملت كل
امرىء بموجب استحقاقه ، من ينجو من الجلد
بالسياط ؟ عاملهم حسب نبلك انت ومنزلتك .
فكلما قلّ استحقاقهم ، زاد الفضل في كرمك .
خذهم معك .

بولونيوس : تفضلوا يا سادة .

هامك : اتبعوه ايها الصاحب . غداً نستمع الى احدى
مسر حياتكم .

(يخرج بولونبوس والمثلون الا واحداً)

أتسمعني يا صاح ؟ ابوسعكم تمثيل « مصرع غونزاغو » ؟

المثل الاول : نعم يا مولاي .

هامك : فتمثلوها اذن مساء غد . أتستطيع ، اذا اقتضى
الأمر ، ان تحفظ عن ظهر قلب عشرة أبيات
او خمسة عشر ، سأكتبها لتقحمها في دورك ؟

المثل الاول : نعم يا مولاي .

هامك : حسناً اتبع ذلك السيد ، واياك ان تهزأ به .
(يخرج المثل) سأترككما يا صديقي حتى المساء .
اهلاً بكما في ألسينور .

روزنكرانتز : في أمان الله ، يا سيدي .

هامك : في أمان الله وحفظه !

(يخرج روزنكرانتز وغلدنترن)

أي نذل انا ، أي عبد قروي !
أليس من العار علي ان هذا الممثل ،
في رواية من الخيال ، في حلم من الألم ،
يُكره روحه على تلبس وهمه
فتحتدم ، ويشحب منه المحيياً بأجمعه .
الدموع في عينيه ، والهياج في قسائه ،
وصوته يتكسر ويتهدج . وكل وظيفة في جسمه
تتلبس ذلك الوهم ... وذلك كله من اجل لا شيء ؟

من أجل هكيوبه !
وما لهكيوبه عنده ، أو له عند هكيوبه ،
فيكي هكذا من أجلها ؟ وما الذي ترى كان فاعله
لو أن لديه من دافع وحافز الى الألم المُمِضِّ
ما لدي انا ؟ لأغرقَ والله ، المسرح بالدمع ،
وشقَّ الاسماع برهيب الكلام ،
ولدفع الآثمين الى الجنون ، وارعب الابرياء ،
وشدَّهَ الجهلاء ، وارهب حقاً
حتى الآذان والعيون نفسها .

ورغم ذلك ، فانني
انا الحقير البليد ، من الوحل لحني وُسداي
أسترق النظر ، كالأبله الحالم ، غير مليء بموافزي
غير قادر على النطق بشيء - حتى ولا من اجل ملك
دبروا الملكه وغالي حياته شر هزيمة . أجبان انا ؟
من يسميني بالوغد ؟ يشجّ القحف من رأسي ؟
ينتف لحيتي ويقذف في وجهي بها ؟
يدعك انفي ، يرد الاكذوبة الى حلقي
او تستقر في رثتي ؟ من يفعل ذلك بي ؟
ها ؟

علي بالرضوخ والله : كبدي ان هي إلا
كبد الحمامة ، ولا مرارة في
لأجعل ضغطي علقماً ، وإلا لكنت
سمتُ كل حداة في الفضاء

بأمعاء هذا العبد الرقيق ، هذا النذل المحرم الخليع ،
هذا النذل الفاجر الخائن الذي
خرج على سنن الطبيعة بلا ضمير !
ألا أيها الانتقام !
ولكن يا لي من حمار ! أجل ، ما أجل صنعي ،
انا ابن ذاك القتل الحبيب ،
انا الذي السماء تحني ، والجحيم ايضاً ، على النار ،
افضّ ما بقلبي كالمومسات ألقاظاً
وأروح اشم كالبغي .
عاهر ! ألا تبا ! أف !
هلم ، يا دماغ ! آ ، لقد سمعت
ان المجرمين اذ يجلسون في المسرح
تفعل براعة المشهد في نفوسهم
فعلا فاتكا ، واذا هم على الفور
يفصحون عن سوء ما صنعوا .
فالقتل ، وان يكن عديم اللسان ، لا بد ينطق يوماً
بلسان خارق العجب .: سأجعل هؤلاء الممثلين
يمثلون شيئاً يشبه مقتل أبي
أمام عمي . وسأرقب ملامحه ،
دخيلته سأخرقها حتى الحشاشة ، واذا جفل ،
ولو جفلة واحدة .
عرفت نهجي معه . ان الروح التي رأيتها
قد تكون شيطانياً ، وللشيطان قدرة

على تميم المظهر السارّ - أجل ، ولعله
لضعفي وسوداويتي
ولسطوته باستخدام أرواح كهذه ،
يخدعني ليجرّ بي الى التهلكة . عليّ اذن بحجج
أشدّ تماسكاً من هذه . المسرحية هي الشيء
الذي سأقبض به على ضمير الملك !

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة في القلعة . يدخل الملك ، والملكة ، وبولوبوس ، واوفيليا ،
روزنكرانتز ، وغلدنترن .

الملك : أولاً تستطيعان باللف والمداورة
أن تستعلما منه السبب في هذا الاضطراب ،
مالتاً ، ويا للقساوة ، ايام راحته كلها
بالبلاهة الهوجاء الخطرة ؟

روزنكرانتز: انه يعترف بأنه يشعر باضطراب نفسه ،
أما السبب فيرفض الخوض فيه .

غلدنترن : ولا نرى فيه اي تقبُّل لتقصي امره ،
فاذا أردنا استدراجه للاعتراف بطرف
من حالته الحقيقية ، صدنا عنه
بمجنون فيه حيلة وبراعة .

الملكة : هل أحسن استقبالكما ؟
روزنكرانتز: اجل ، كما هو خليق بالنبيل .

غلدستون : ولكن مع الكثير من التكلف .

روزنكرانتز: بخيل في السؤال ، ولكن على ما سألناه
وسخيّ جداً في الجواب .

الملكة : هل حاولتم إشراكه في ملهاة او تسلية ؟

روزنكرانتز: لقد اتفق يا سيدتي أننا في طريقنا
مررنا بفرقة من الممثلين ، فلما أخبرناه عنهم
بدا عليه ضرب من الفرح
لساعه النبأ . وهم الآن في البلاط
وأغلب الظن انهم قد أمروا
بالتمثيل هذه الليلة في حضرته .

بولوبيوس : صحيح وأيم الحق .

وقد رجاني أن ألتمس الى جلالتك
ان تسمعوا وتشاهدوا ما سوف يمثلون .

الملك : بكل طيبة خاطر ، وانه ليسرني جداً

أن اعرف عن هذا التوق فيه .
أرجو ، ايها السيدان ، أن تشحذا فيه هذا التوق
وتوجهها همّه نحو متعات كهذه .

روزنكرانتز: سنفعل يا مولاي .

(يخرج روزنكرانتز وغلدستون)

الملك : وانت ايضاً ، يا حلوتي غرترود ، اتركينا ،

فقد أرسلنا خصيصاً في طلب هاملت
لكي يلتقي هنا بأوفيليا وجهاً لوجه ،
وكأنه التقاء صدفة .

كلانا ، أنا وأبوها ، رَصَدَ شرعي ،
وسنخبيء بحيث نرى ولا نرى
فنحكم بصراحة من اللقاء بينهما
ونستنج منه ومن تصرفه
إذا كان ما يعانیه على هذا النحو
هو سقام الحب أم لا .

الملكة : أنا طوع أمرك .

أما أنت يا اوفيليا ، فلشد ما أرجو
أن تكون محاسنك هي السبب الطيب
في جنّة هاملت ، وكذا أمل أيضاً أن ترده
فضائلك الى الطريق السويّ
لما فيه شرف لكليكما .

اوفيليا : سيدتي ، أسألُ الله ذلك .

(تخرج الملكة)

بولوبيوس : اوفيليا ، تمشي هنا . وتفضلوا جلاتكم
ولنخبيء . اقرأي في كتاب الصلوات هذا
لعل القراءة تضيء على انفرادك
اللون المطلوب . ما أشد ما نلام بتل هذا ،
وكثيراً ما ثبت اننا بمظهر الورع
والفعل التقويّ ، نلبس حتى الشيطان نفسه
رداءً من الحلاوة .

الملك (جانباً) : ما اصدق ذلك !

وما ألم ما يلسع هذا القول ضميري !

ليس خدُّ البغيّ الجمّلُ بالطلاء
أقبحَ لما يجمله
من فعلي أنا لأشدَّ ألفاظي طلاءً
يا لعبتي الثقيل !

بولويوس : اسمعه قادمًا . فلنسحب يا مولاي (يخرجان ليخبتنا
وراء إحدى التائر)

(يدخل هامك)

هامك : أأكون أم لا أكون؟ ذلك هو السؤال .

أمن الأنبل للنفس ان يصبر المرء على
مقاليع الدهر اللثيم وسهامه
أم يُشهر السلاح على بحر من الموم ،
وبصدها ينهها ؟ نموت ... ننام ..
وما من شيء بعد ... انقول بهذه النومة ننهي
لوعة القلب ، وآلاف الصدمات التي
من الطبيعة تعرض لهذا الجسد ؟ تلك غاية
ما احرق ما تُشتهى . نموت ... ننام ..
ننام - واذا حلما ؟ أجل لعمرى ، هناك العقبة .
فما قد زراه في سبات الموت من رؤى ،
وقد القينا بفانيات التلايف هذه عنا ،
يوقفنا للتروي .

ذلك ما يجعل طامةً من حياة طويلة كهذه .
وإلا فن ذا الذي يقبل صاغراً سباط الزمان
ومهانته ،
ويرضخ لظلم المستبد، ويسكت عن زراية المتغطرس،

واوجاع الهوى المردود على نفسه، ومماطلات القضاء
 وصلافة أولي المناصب ، والازدراء الذي
 يلقاه ذو الجدارة والجلد من كل من لا خير فيه ،
 لو كان في مقدوره تسديد حسابه
 بخنجر مسلول ؟ من منّا يتحمل عبأه الباهظ
 لاهناً ، يعرق تحت وقر من الحياة ،
 لولا أن الخوف من أمرٍ قد يلي الموت ،
 ذلك القطر المجهول الذي من وراء حدوده
 لا يعود مسافر ، يثبّط الارادة فينا
 ويجعلنا نؤثر تحمل المكروه الذي نعرفه
 على الهرب منه الى المكروه الذي لا نعرفه ؟
 الا هكذا يجعل التأمل منّا جنّاء جميعاً ،
 وما في العزم من لون أصيل يكتسي
 بصفرة علية من التوجّس والقلق ،
 ومشاريع الوزن والشأن ينثني
 مجراها اعوجاجاً بذلك ،
 وتفقد اسم الفعل والتنفيذ .
 رويدك الآن !
 اوفيليا الجميلة ! ايتها الحورية ، اذكري
 في صلواتك خطاياي كلّها .

اوفيليا : سيدي العزيز ،

كيف كنتم في الايام العديدة الأخيرة ؟

هامك : اشكر لك لطفك . بخير . بخير . بخير .

اوفيليا : سيدي ، لديّ هبات منك

تقت منذ زمن الى ردّها .
هلاً اخذتها .

هامك : لا ، لا ، لم أعطك شيئاً قط .

اوفيليا : سيدي المجلل ، لقد اعطيتنيها

مرفقةً بعباراتٍ ديجت بشذيّ النَّفس

فزادَ قدرُها . ولكن عطرها قد ضاع

فخذها ثانية . ثمين الهدايا ، للنفس الأبيّة ،

يبخس قدرها حين ينقلب مهديها .

هاك ، يا سيدي .

هامك : ها ، ها ! أعفيفة أنت ؟

اوفيليا : سيدي !

هامك : أجيلة أنت ؟

اوفيليا : ماذا تعني يا سيدي ؟

هامك : أعني إن كنت عفيفةً وجميلةً معاً، وجب على عفافك

ان يجعل الوصول الى جمالك محرّماً .

اوفيليا : وهل للجمال يا سيدي ما يتعاطاه خير من العفاف ؟

هامك : بالضبط . للجمال قدرة على تحويل العفاف الى الفجور،

أشد ما للعفاف من قدرة على قلب الجمال إلى صورته .

كان هذا القول يوماً من الاضداد ، ولكن عصرنا

هذا قد مدّه بالبرهان . كنت أحبك يوماً .

اوفيليا : يقينا يا سيدي ، لقد حملتني على اعتقاد ذلك .

هامك : كان عليك ألا تصدّقيني . فالفضيلة لا تطعم جوعنا

القديم إلا ويظلّ فينا شيء من مذاقه . ما أحببتك

قط .

اوفيليا : اذن فقدُ خُدِعت .
 هامك : اذهبي إلى دير راهبات * ! أتريدين أن تلدي الخُطاة؟
 أنا نفسي على قدر من العفة ، ولكن بوسعي رغم ذلك أن أتهم نفسي بأمر هي من الإثم ما يجعل أُمي تتمنى لو لم تكن ولدتي . اني شديد الكبرياء ، حقوق الثأر ، عنيد الطموح ، ورهن اشارتي من الآثام ما يعجز فكري عن حصره ، وخيالي عن تحديد شكله ، ووقتي عن تنفيذه . فما الذي يترتب على الذين مثلي ان يفعلوه اذ يزحفون بين السماء والأرض ؟ كلنا انذال واوغاد . إياك أن تصدقي واحداً منا . اذهبي وترهي . أين أبوك ** ؟

اوفيليا : في البيت يا سيدي .
 هامك : فليغلق المصاريع على نفسه ، لكي لا يلعب دور الأبله المأفون إلا في بيته . وداعاً .

اوفيليا (جانباً) : أعينيه ، ايتها السماوات الخيرة !
 هامك : ان كنت ستزوجين ، أعطيتك مهرأ هذا الوباء .

* في عهد شكبير كان « دير الراهبات » يعني أيضاً تورية . المبنى . والتورية هنا ظاهرة .

* يطلق جي . بي . هاريسون على هذا بقوله : « ان هذا المشهد كله بين هامك واوفيليا مما يميز النقاد ويقلقه . ولعل تأويله من الباطنة بكان . عندما تصد اوفيليا ، بأمر من أيبها عشيقها هامك ، من الطبيعي أن يخاطر له أول ما يخاطر أن رجلاً آخر يخطب ودها ، ويبدو له ان شكه ذلك يتحقق عندما ترد عليه هداياه . واذ يجتدم في كلامه ، يلاحظ حركة في الستارة فيدرك ان ورامها من يشرق السمع اليها . فيقول : « اين أبوك ؟ » فتجيب اوفيليا كاذبة : « في البيت يا سيدي . » اذن ، يمتد هامك ، ليس وراء الستارة إلا الشيق . ومن هنا تشتد مرارة خطابه : لقد اظهرت اوفيليا ، كما اظهرت أمه من قبل ، ما في طبيعة المرأة من فساد والمحلل . »

لن تنجي من المذمة ولو كنت عفيفة كالجليد ، نقية
كالثلج . اذهبي الى دير وترهبي . اذهبي . وداعاً .
او ان كان لا بد لك من الزواج ، فتزوجي أحد
البلهاء . ان العقلاء ليعلمون تمام العلم أي بهائم تجعلن
اتنّ منهم . الى الدير اذهبي ، وأسرعني . وداعاً .

اوفيليا (جانباً) : يا قوى السماء ، أعيديه الى رشده !

هاملك : لقد سمعت الكثير عن أصباغكن وطلائكن .
وهبكن الله وجهاً ، وتجعلن لكنّ وجهاً آخر .
ترقصن ، وتتكسرن ، وتلثغن ، وتلقبن مخلوقات
الله باسماء من عندكن ، وتجعلن للخلاعة حجة من
جهلكن . غني بكنّ ، لا أريد منكن شيئاً بعد --
إنه ليُنجني . أسمعني ، فلنمنع الزواج ! أما
المتزوجون سابقاً ، فكلهم سيقون على قيد الحياة ،
إلا واحداً ، ويبقى الآخرون على حالهم .
عليك بالدير . اذهبي !
(يخرج هاملك)

اوفيليا : لظني على عقل رفيع قد هوى !

من النبلاء لسانهم ، ومن الجنند سيفهم ، ومن
العلماء عينهم ،

زهرة الدولة البانعة ومطمحها ،
مرآة الذوق والاناقة ، قالب الأدب ،
ملتقى الابصار كلها قد هوى وتحطم .
وأنا ، أبأس النساء وأتعسهن ،
أنا التي رشفت العسل الذي في وعوده المنغمة ،

أرى الآن ذلك الذهن الكريم الرفيع
يرن كأجراسٍ عذبةٍ تجلجل نشازاً منكراً ،
وذلك الشباب الفاعم الذي لا صنو لصورته
تكسر عودَه يدُ الجنون . يا ويلتاه
لما رأيت ، يا ويلتاه لما أرى !

(يدخل الملك وبولونيوس)

الملك : الحب ؟ عواطفه لا تنحو ذلك المنحى ،
وأقواله ، وان يكن يعوزها شيء من السبك ،
لا تشبه الجنون . في روحه شيء
قعدت عليه كآبته قعود الطير

وإني لآخشي ان ما سيفقس لن يكون
إلا ضرباً من الخطر . ومنعاً لهذا الخطر
قررتُ بأسرع الحزم معالجة الامر .
عليه بالذهاب حينئذ الى انكلترا

لمطالبتها بدفع ما أهملناه من جزية .
فلعل البحار واختلاف الامصار
وتباين المشاهد تنفي عن قلبه

هذه المادة التي استقرت في شغافه ،
والتي إذ يرفّ عليها دماغه دون وقفة
تقصيه عن مألوف نفسه . فما رأيك ؟

بولونيوس : لا بأس . بيد اني ما زلت موقناً

ان منبت الاصل والبداية في حزنه
هو الحب المهمل . والآن يا اوفيليا ،
لا حاجة لإعادة ما قاله الامير هاملت ،

فقد سمعنا كل شيء . افعلوا ما بدا لكم يا سيدي ،
ولكن أرجو ، إذا استنسبتم ، بعد المسرحية ،
أن تجعلوا الملكة أمه تختلي به وتتوسل اليه
ان يفصح عن شكواه . ولتصارحه القول ،
وسأضع نفسي ، ان كنتم توافقون ، على مسمع
مما يدور بينهما . فاذا لم تكتشف ما فيه ،
ارسلوه الى انكلترا ، او احجروا عليه
حيثما تستصوب حكمتكم .
الملك : سأفعل ذلك .
الجنون في العطاء لا بدله من رقباء .

المشهد الثاني

قاعة في القلعة

يدخل هامك مع اثنين او ثلاثة من الممثلين

هامك : أرجوك * ان تلقي العبارة كما قرأتها لك ، كأنها
تقفز خفة على لسانك . اما ان كنت ستشددق بها ،
كما يفعل معظم ممثليكم ، فخير لي أن أطلب إلى
دلال المدينة ان يتلو ابياتي هذه . ولا تنشر الهواء
نشرأ بيدك ، هكذا ، بل ترفق بالقول . لأن

* نجد هنا رأي شكبير في فن التمثيل ، وهو يتحدث طريقة فرقة في
مسرح الـ « غلوب » ، ويذمّ التنطع في القول والمبالغة في الايماء اللذين عرف
بها ممثلو الفرق الاخرى .

عليك حتى في دفع العاطفة وعصفتها، بل وإعصارها،
ان تدرك وتولد اعتدالاً يضيء عليها النعومة
والسلاسة . لشد ما يسوؤني ان اسمع غلاماً مستعار
القحف والشعر يصطخب ويمزق العاطفة مزقاً
وخيراً بالية، ليشق آذان الحائشة (٥) من المشاهدين،
وهم الذين على الاغلب لا يفقهون من التمثيل الا
العرض الصامت والجمعجة . بوسعي والله ان آمر
بجلد ممثل كهذا يتعدى « الطرمغان » في هوله ،
وهيرودس في هيروديته . ارجوك ان تتجنب ذلك .

المثل : سأفعل ياسيدي .

هامك : كما أرجوك ألا تبالغ بالإلفة واللين . فلتكن
فطنتك استاذك . لائم الكلمة حركتها ، والحركة
كلمتها ، متقيداً بهذا الشرط : وهو الا تتخطى
حشمة الطبيعة . فكل مبالغة في القول والحركة انما
هي نابية عن غاية التمثيل ، وما هذه الغاية منذ البدء
حتى اليوم ، الا اشبه باقامة المرأة امام الطبيعة ،
لكي تعكس للفضيلة حياها ، وللزراية صورتها ،
ولجسد العصر والمجتمع شكله وأثره . فهذا إن
اسرفت فيه وهوت ، او تباطأت فيه وضاءلت ،
قد يُضحك غير العارفين ، ولكنه يؤسف ذوي

* groundlings ، وهم الذين يقفون متراجين في حوش المسرح ، وقد
دفعوا للدخول مبلغ بنس واحد .
** من شخصيات المرحيات الائدة يومئذ ، المروفة بعنفها وناريتها .
وكان « الطرمغان » ، في معتقد العوام ، من آلهة الرب !

الفهم والذوق . وُحْكَم هؤَلاءِ يَجب ان يَغلِب في
تقديرِك على مسرحِ غاصِّ بالآخريِن . لقد رأيت
ممثلين يَمتَلون وُيَمدحون أرفع المدح ، ولكنهم ، ولا
أريد القذع في القول ، لا ينطقون نطقَ البشر .
وليست مشيتهم بمشية المؤمنين ولا الكافرين ،
يتبخثون ويزعقون ، حتى حسبت أن أجراء الطبيعة
يصنعون البشر ، فلا يُحسنون الصنع ، لسوء ما
يقلدون الانسانية .

المثل الاول : آمل يا سيدي اننا قد اصلحنا ذلك في انفسنا اصلاً
لا بأس به .

هامك : بل عليكم ان تصلحوه اصلاً تاماً . ونبتها الذين
يَمتَلون ادوار المهرَجين ألا يقولوا إلا ما دُونَ لهم
للقول . لأن منهم فئة تضحك من تلقاء نفسها ، لكي
يضحك لها عدد من النظارة الاغبياء ، بينما المسرحية
فيها امر غير الضحك يَجب الالتفات اليه . إنني
استقبح ذلك ، وهو انما يدل على طموح حقير في
المهرَج الذي يفعله . اذهبوا وتبأوا .

(يخرج المثلون)

(يدخل بولوبوس ، وروزنكرانتز ، وغلدسترن)

ها يا سيدي ، اقدم الملك لسامع هذه المسرحية ؟

بولوبوس : نعم ، وكذلك الملكة . وسيحضران حالاً .

هامك : اذن مُرِ الممثلين بالاسراع .

(يخرج بولوبوس)

وهلاً ساعدتمهم انما ايضاً على الاسراع ؟

كلاهما : لك ما شئت يا سيدي . (يخرجان)
 (يدخل هوراشيو)
 هامك : أين أنت يا هوراشيو ؟
 هوراشيو : هنا يا سيدي العزيز ، في خدمتك .
 هامك : هوراشيو ، لن أجد من هو أكثر صدقاً منك وأمانة
 مهما شاركت الناس احاديثهم .
 هوراشيو : سيدي العزيز !
 هامك : لا ، لا تظنني أتملكك ،
 وهل أطمع في ترقية منك ، انت الذي
 لا مال لديك سوى حسن الطوية ،
 لطعامك وكسائك ؟ وهل من يبغى تملق الفقير ؟
 لا ، انما دع اللسان المحلّي يلحس فوارغ الابية
 ولتنن مفاصل الركب المتلهفات
 حينما الكسب يلحق بالنفاق . أسمع ؟
 منذ ان اضححت نفسي الابية سيده في خيارها ،
 عليمه بالتمييز بين الرجال ، اصطفك انت لها .
 فأنت كمن يعاني كل شيء ، فلا يعاني أي شيء ،
 لطباتُ الدهر وهباته تتقبلها
 شاكرآ على السواء . طوبى للذين
 امتزجت فيهم نار الدم برجاحة العقل
 فما عادوا كالناري تحت أصابع ربة الدهر
 تعزف بهم ما تشاء . اعطني امرأ
 ليس عبداً لشهوته ، أضعه
 في حبة قلبي ، في القلب من قلبي ،

كما وضعتك أنت . حسي هذا القَدْر .
سيمثلون مسرحية امام الملك هذه الليلة .
وفيها مشهد يقارب الحدث الذي
اخبرتك عنه - بشأن موت ابي .
فعندما ترى ذلك الفصل قد بدأ ،
أرجوك ان ترقب عمي
وَتشرك حتى الروح منك في الملاحظة .
فاذا لم ينسرح جرمه الخبيء عند عبارة معينة ،
لن يكون ما رأيناه الا طيفاً لعيناً ،
وما أنا الا ملوٲ الاوهام ،
كأنا اوهامي محددةٌ « فولكان * » . شدّد عليه
الرقابة ،

اما انا فسوف امسمر عينيّ في وجهه ،
وبعد ذلك نجتمع بين حكمك وحكمي
لتقييم ما يبدو عليه .

هوراشيو : حسنّاً يا سيدي . ووالله

لو اختلس شيئاً والمسرحية جارية

ولم تفضحه عيني ، تكلفت انا بما اختلس !

هامك : انهم قادمون للمسرحية . فعليّ بالتسكع .

اذهب وجد لك مكاناً .

[موسيقى ميرة دائرية . يدخل الملك والملكة ،
وبولونيوس ، واوفيليا ، وروزنكرانتز ، وغلدنسترن ،
وآخرون من البطانة ، وافراد من الحرس يحملون
الشاغل . صدح ابواق ودق طبول .]

* إله الصواعق ، وهو أعرج يصنع الصواعق في معدته .

- الملك : كيف حال ابن أخي ؟
- هامك : ممتازة والله ! طعامي طعام الحرباء : آكل الهواء ، محشواً بالوعود . حتى الفرخة لا تستطيع إطعامها . كذلك .
- الملك : اني انكر هذا الجواب يا هامك . هذه الكلمات ليست لي .
- هامك : ولا لي . (بولوبوس) والآن يا سيدي ، قلت انك كنت تمثل فيما مضى ، أيام كنت في الجامعة ؟
- بولوبوس : اجل يا مولاي ، وكنت أعدد من خيرة الممثلين .
- هامك : ماذا مثلت ؟
- بولوبوس : مثلت يوليوس قيصر . وقُتلت في الكايتول . قتلني بروتس .
- هامك : بريرة منه أن يقرر عجباً رائعاً مثلك . هل الممثلون مستعدون ؟
- روزنكرانتز : نعم يا مولاي . انهم في انتظار لطفك .
- الملكة : تعال هنا ، عزيزي هامك ، واجلس بقربي .
- هامك : لا يا أماه . هنا معدن أشد جاذبية .
- بولوبوس : (للملك) ها ! الحظم ذلك ؟
- هامك : سيدتي ، أضطجع في حضنك ؟
- اوفيليا : كلا يا مولاي .
- هامك : أعني ، ورأسي على حضنك ؟
- اوفيليا : نعم يا مولاي . (يضطجع عند قدميها) .
- هامك : أظننتني أعني ضجوعاً ؟ ماذا ظننت ؟
- اوفيليا : لا شيء .

- هامك : ما أجمله ظناً مضجعه بين سيقان الفتيات .
- أوفيليا : ما ذلك يا مولاي ؟
- هامك : لا شيء .
- أوفيليا : انك مرح يا مولاي .
- هامك : من ؟ أنا ؟
- أوفيليا : نعم يا مولاي .
- هامك : رباه ! ما أنا الا رقاصك الماجن . ما الذي بوسع المرء ان يفعل الا المرح ؟ انظري كيف ينضح وجه أُمي بالبشر والفرح ، ولما يمرّ على موت أبي ساعتان .
- أوفيليا : بل أشهرٌ اربعة يا مولاي .
- هامك : أهذا الردح الطويل ؟ اذن فليلبس الشيطان سواد الحداد ، وعليّ أنا بجبة الشيوخ . يا للساء ! أيموت منذ شهرين ولا يُنسى ؟ اذن ما زال ثمة أمل في أن العظيم من الرجال قد تحيا ذكراه بعد وفاته لنصف سنة من الزمن . ولكن عليه أن يشيد الكنائس ، والا وجب عليه ان يتحمل نسيان القوم له نسيانهم حصان الملامي المستعار ، الذي نقش على قبره (متنبأ) : « واحسرتاه على حصانٍ مستعارٍ ، هجره ونسوه * ... »
- [عزف مزامير . يبدأ المرض العامت . يدخل ملك

* من أغنية ممارسة . اقتبس الانكليز عن العرب في الاندلس رقصة كان يلبس فيها الراقص شكل حصان ويأتي بحركات فاحشة ، وفي أيام شكبير صدر أمر بمنع استعمال هذا « الحصان المتعار » في تلك الرقصة .

ومملكة وهما يتنازلان ويتناقن . ترصع هي وتومي
 بمشقة واخلصها له . فيُنهبها ويسند رأسه على عنقها ، ثم
 يضطجع على أرض كلها زهور . وعندما تراه قد غرق في
 النوم ، تتركه . وفي الحال يدخل رجل يزرع التاج عن
 رأسه ، ويقبل التاج ، ويصب السم في أذني « الملك » ،
 ويخرج . تعود « الملكة » وتجد أن « الملك » قد مات ،
 فتأتي بحركات الألم والفتنة . ثم يدخل صاحب السم ثانية
 ومعه اثنتان او ثلاث من الندابات ، ويتظاهرون بالنواح
 معها . تحمل جثة الميت الى الخارج ، ويضرب صاحب السم
 ودّ « الملكة » بالهدايا . تبدو أنها تُعرض عنه لفترة
 وجيزة ، ولكنها في النهاية تقبل حبه . يخرج جان . [

- اوفيليا : ما معنى هذا يا مولاي ؟
 هاملت : هذا والله تلصص متلصص معناه الأذى .
 اوفيليا : لعل في هذا العرض خلاصة المسرحية ؟
 هاملت : سنعرف من هؤلاء القوم . فالممثلون لا يحفظون
 سرّاً ، ويبوحون بكل شيء
 اوفيليا : وهل سيخبرنا أحدهم بمعنى هذا العرض ؟
 هاملت : نعم ، وكل عرض آخر تعرضينه له . لا تتورّع
 عن العرض ، لا يتورّع عن البوح بمعناه .
 اوفيليا : ماجن ، أنت ماجن ! سأنتبه الى المسرحية .

(يدخل البرولوغ)

البرولوغ : حلمكم يا سادتي
 للطف منكم : ضرع
 مأساتنا هذي اسمعوا .

(يخرج)

هاملت : أمقدمة هذه ، أم نقش العشاق في الخواتم ؟

اوفيلبا : انها قصيرة يا مولاي .

هامك : كحج المرأة .

(يدخل مثلان ، هما ملك وملكة)

مثل الملك : عربة الشمس العسجدية دارت

عشرين كرة ثم عشرا *

حول عباب نبتون المرير

وأرضِ طلوس الكروية ،

والقمر قد دار بالألاء معار

ثلاثين اثني عشرة مرة حول الدئتي ،

منذ ان جمع الهوى بين قلوبنا ،

وهايمن ** جمع بين يدينا ،

برباطه الحلو المقدس .

مئة الملكة : ألا جعلتنا الشمس وكذا القمر

نعد عدأ مماثلاً من دوران كليهما

قبل ان يقضي فينا حبنا .

ولكن ، لهف قلبي ! أراك مريضاً

متنائياً عن سابق عهدك والمرح ،

فأقلقتني . ولكن ذا القلق ،

مولاي ، لا عرفته نفسك ،

* يقصد ان يقول : « لقد مضى على زواجنا ثلاثون عاماً . » شكبير
هنا يمارض ممارسة ساخرة اسلوب المسرحيات الشائنة في أوائل عمر اليزابث.
وهو اسلوب مليء بالتضخيم والتعمر ، وقد قلّد به الشعراء الانكليز حيثئذ
مآسي الفيلسوف الروماني سينكا .

** رب الزواج .

بل دعه لي . ففي النساء الخوفُ والحبُ
إسرافاً وشحاً يتناسبان :
هوأيَ خبرته مني بالتجارب ،
وبقدر الهوى خوفي وهفي .
ففي عظيم الحب ضئيلُ الشك خوفٌ ،
وحيثما ضئيلُ الخوف ينمو
نما هناك الحب العظيم .

يمثل الملك : راحلٌ أنا ، حبيبتي ، عما قريب .
وهنت قواي وعن مهماتها قد عجزت .
وأنت في هذه الدنيا الجميلة سوف تبقين
عزيزة ، اثيرةً ، ولعلك
زوجاً كريماً مثلي يوماً -
منة الملكة : قاتل الله البقية !

حبٌ كذاك خيانةٌ بين الضلوع .
فلتنزل اللعناتُ بي
إن انا زُففت ثانيةً لرجلٍ .
لا تزوجُ ثانياً الا التي
بيديها زوجها الاول قتلت .

هامت : علقمٌ ، علقمٌ !
منة الملكة : ولا يدفع المرأة إلى الزواج ثانيةً
إلا الطمع الدنيءُ ، لا الهيام .
قسماً سأقتل زوجي في المرة الثانية
اذ يقبلني زوجي الثاني في الفراش !
يمثل الملك : مؤمن انا بانك تعقلين الآن ما تقولين ،

لكننا كثيراً ما نقرر امرأ ثم نحث به :
ما العزم الا عبد الذاكرة ،
عنيف المولد لكن ضئيل النفاذ ،
بَعَلَقُ الْآنَ بِالْغَصْنِ كَفَجِّ الْفَاكِهِةِ ،
ليسقط عند النضج طوعاً دونما هز .
لا بد ان ننسى ما لانفسنا
من دَيْنٍ حَقَّ تَسْدِيدُهُ ،
وما نقطع على النفس من عهد في الحُمَيَّا
بانقضاء الحُمَيَّا يفقد عزمه .
والمفرط من حزن او فرح
يُفسد التنفيذ على كليهما ،
وحيثما الافراح غالت
ناح الاسبى نوحاً اشد ،
فالخزن يفرح ، والافراح تأسى
لأوهى سبب .

ما هذه الدنيا بباقية ، وما بغريب
أن يتبدل حتى حبنا بصروف الزمن .
هل الحب يقتاد الزمان ، أم الزمانُ الحب ؟
سؤالٌ ذاك ما انفكَّ يبغى جوابنا .
ان هوى الرجل العظيم حَسْبُنَا عَلَيْهِ
ما دنا منه حتى من ذهاب ،
والحقير اذا علا ، انقلب العدو صديقاً له ،
فالحب من خدم الزمان ،
ومن لا يعرف العوز لن يُعوزَه الصديق

ومن يختبر في الفاقة خلاً اجوف
في الحال يجد فيه عدوّه .
ولكن عليّ بالختم منظمًا حيث بدأت :
فيما الإرادةُ والمصيرُ على نقيض ،
وكل حيلة تُغلب دوماً على أمرها ،
فإن تكن أفكارنا مُلكاً لنا ،
غاياتها ليست طوعاً لنا .

ولذا ان تظني انك ثانيةً لن تزوجي
فظنك مائتٌ حالما يموت بملك الاول .

مملة الملكة : لا وجد في الأرضِ غذاءً

ولا نوراً في السماء

وليحجب اللهُوَ والراحةَ عني الليلُ وكذا النهار ،
ولينقلب ياساً رجائي والاملُ ،
وليكن أقصى مداي كفافُ الناسك في سجنه
وليدمر عدوّه اللذة والمرح
كلّ ما طيباً قد أشتهيه ،

ولأبقى طريدةَ النزاعِ المقيم هنا ، وإلى الأبد ،
ان أنا بعد الترمّل قبيلت زوجاً ثانياً .

هامك : واذا حنثتُ بذلك الآن ؟

ممل الملك : غليظة أيمانك يا حلوتي ! دعيني هنا برهةً —

نفسي نفسي متعبة ، وبودي أن
أزجي نهاري المضي بالكرى .

(بنام)

مملة الملكة : هدهد النومُ قُوالك المتعبة ،

لاحلّ مكروه^١ بيننا !

(تخرج)

- هامك : أماء ، اتروق لك المسرحية ؟
الملكة : ان السيدة تسرف في التأكيد فيا أرى .
هامك : ولكنها ستقيم على عهدها .
الملك : أسمعتَ الخلاصة ؟ أفيها ما يسيء ؟
هامك : ابدأ ، أبدأ . كلامها مزاح ، وسمها مزاح ، لا
إساءة فيها مطلقاً .

- الملك : ما عنوان المسرحية ؟
هامك : المصيدة . وكيف ذلك ؟ تصيداً وكناية^٢ . ان
المسرحية صورة للجريمة وقعت في فينا . غوزاغو
اسم الدوق ، وزوجته بابتستنا . سترى الآن . انها
فعلة لثيمة : ولكن ما ههنا ؟ فجلا لتكم اتم ونحن
الذين نتمتع بأنفس حرة ، لن تمسنا . لئن تجفل
الفرس المحزوزة القفا ، فان طليق المنكب بعيد
عن الاذى .

(يدخل لوسيانوس)

- هذا اسمه لوسيانوس ، ابن أخي الملك .
أوفيليا : انك معقب بارع يا مولاي .
هامك : لكنك استطيع التفسير • بينك وبين عشيقك ، لو
رأيت الدُمي تتغازل .
أوفيليا : انك حاذق ، يا مولاي ، حاذق .

• كان «المفسر» يجلس على خشبة المسرح في «عرض الدمى»
«الغراقوز» ليفسّر للجمهور وينطق بالحوار .

هامك : ستكبدن أنيناً ان أردت ازالة حدتي .
اوفيلبا : أفضل وأسوأ ، بعدا !
هامك : ولذا تتخذن ازواجاً ! ابدأ ايها القاتل . لُعنَتَ ،
عنك بغمزك ولمرك القبيحين ، وابدأ ! عليك بها ،
ان الغراب الناعق ليزعق في طلب الثأر !
لوسيانوس : سوداء نيتي ، وطبِعةٌ يسدي ، والعقار ناجع ،
والساعة مؤاتية .

وما غيرُ الزمان المتأمرِ من عينٍ ترى .
يا مزيجاً خبيثاً ، عصارةَ أعشاب الليل البهيم ،
يا لعينَ « هكاتي » ، يا مثلث الادواء والصعقاتِ
أنزِلِ طبيعيَّ سحرِك وفاتِك قوتِك
في هذا الحميّ السليم ، حالاً ، على الفور !
(يصب السمّ في اذنيه)

هامك : يسمّه في حديقته من أجل مُلكه . اسمه غونزاغو ،
والقصة موجودة ، مدونة بلغة ايطالية جميلة .
وسترون الآن كيف ينال القاتل حب زوجة
غونزاغو .

اوفيلبا : لقد نهض الملك !

هامك : ماذا ، أفزعته نار كاذبة ؟

الملكة : كيف حال سيدي ؟

بولوبيوس : أوقفوا المسرحية !

الملك : أنيروا لي الطريق ! هيّا !

* إلهة السحر والحرة .

الجميع : انوار ، انوار ، أنوار !

(يخرج الجميع فيا عدا هامت وهوراشيو)

هامك (بغني) : فدع الجريح من الظبا في دمه

ودع اللعوب من الظبا متفرّدا

هل اوقف الاكوان في دورانها

ذاك الذي عنها التهي او سُهدا

اذا انقلب الزمان عليّ ان أحصل بهذا ، وبغابة من

الريش ، مع وردتين من ورود بروقانس على حدائي

المخططين ، على حصة شريك في احدي فرق التمثيل؟

هوراشيو : بل نصف سهم * .

هامك : لي سهم كامل أنا . (بغني)

يا عزيز القلب تدري أننا

قد سُلبنا ربنا

وغدا يحكمنا في ارضنا

طاووس زنيم؟

هوراشيو : ليتك قفّيت !

هامك : عزيزي هوراشيو ، الف دينار لما قاله الطيف ..

ألاحظت؟

هوراشيو : جيداً جداً يا سيدي .

هامك : عند الكلام عن السم؟

هوراشيو : رأيتّه بأشد وضوح .

« يدخلون روزنكرانتز. وغلدنسترن »

* كان المشلون في عصر شكبير ينالون حصصاً من الربيع ، ولا يتقاضون رواتب .

- هامك : آ ، ها ! علينا بموسيقى . علينا بالمزامير .
 ان لم ترق للملك ملهاتنا
 فلعلها اذن لم ترق له والله !
 علينا بموسيقى !
- غلدنسترن : مولاي الكريم ، اسمح لي بكلمة ؟
 هامك : بل يا سيدي بتاريخ كامل .
 غلدنسترن : الملك ، يا سيدي —
 هامك : نعم ، يا سيدي ، ما به ؟
 غلدنسترن : اوى الى حجرته شديد الاضطراب .
 هامك : سكرأ ، يا سيدي ؟
 غلدنسترن : لا يا مولاي ، بل حقاً .
- هامك : لكنتم اغزر حكمةً لو اطلعتم طبيبه على ذلك
 لانني ان قت انا بتطهيره ، ربما انغمر في حتى اشد
- غلدنسترن : ارجوك يا مولاي الكريم ان تصوغ كلامك في
 شكل ما ، ولا تنأ بهذه الضراوة عن قصدي لديك .
- هامك : إني أليف يا سيدي . انطق .
 غلدنسترن : لقد ارسلتني الملكة امك اليك ، ونفسها في عذاب
 شديد .
- هامك : اهلاً وسهلاً .
 غلدنسترن : ليس هذا اللطف يا مولاي من الضرب الصحيح .
 فان كنت ستكرم عليّ بجواب سليم ، صدعتُ
 بأمر امك ، وإلا ، فان في عفوك وعودتي نهايةً
 لمهمتي .
- هامك : سيدي ، لا استطيع .

غدهترن : ماذا يا مولاي ؟

هامك : ان اقبالك بجواب سليم . عقلي ممرض . الا ان الجواب الذي استطيعه ، يا سيدي ، لك ان تأمر به — او بالاحرى ، كما قلت ، لأمي ان تأمر به . فلا استطراد اذن عن الموضوع . تقول ان امي —

روزنكرانتز: هذا اذن ما تقوله : لقد ادهشها سلوكك وأذهلها . هامك : يا لك من ابن عجيب أذهلت أمتاً هكذا ! ولكن أما من لاحق على عقب دهشة الام هذه ؟ روزنكرانتز: انها تود الحديث اليك في حجرتها ، قبل ان تأوي الى فراشك .

هامك : سنطيع ولو كانت عشر مرات أمتا . أليكم شأن آخر معنا ؟

روزنكرانتز: مولاي ، كنت فيا مضى تحبني .

هامك : وما ازال ، وحتى هاتين الناشلتين السارقتين (منيراً الى يديه)

روزنكرانتز: مولاي الكريم ، ما السبب في اضطرابك ؟ انك ولا ريب توصلد باب حريرتك على نفسك ان انت حجبت اشجانك عن صديقك .

هامك : لقد حرمتُ الترقية يا سيدي .

روزنكرانتز: كيف يكون ذلك ، وقد وعدك الملك بنفسه بأنك التالي لعرش الدانمرك ؟

هامك : أجل ولكن ، « إلى أن يطلع الحشيش » ، مثل قديم كاد يعفن .

(يدخل رجل بزمارة)

- آ ، المزمار ! افتح الطريق . لماذا تلاحقني في اتجاه
الريح كأنك تريد ان تدفع بي الى الشرّك ؟
- غدهتري : مولاي ان اكن قد تطاولت بواجبي ، فإن جبي
اعمق من كل ادب .
- هامك : لست أحسن فهم ذلك . أتود ان تعزف على هذا الناي ؟
- غدهتري : لا استطيع ذلك يا مولاي .
- هامك : أرجوك .
- غدهتري : صدقتي ، لا استطيع .
- هامك : اني اتوسل اليك .
- غدهتري : لا اعرف كيف يُمسك ، يا مولاي .
- هامك : سهل عزفه كالكذب . تحكّم بهذه الفتحات باصبعك
وابهامك ، انفخ فيه بضمك ، تجده ينطقُ بأفصح
الموسيقى . انظر ، هذه مفاتيح النغم .
- غدهتري : ولكنني لا استطيع ان استنطقها ، لأنني لا اعرف
هذا الفن .
- هامك : أترى اذن كيف تهدر انت الآن كرامتي ؟ انك
تريد التظاهر بانك تعرف مفاتيحي . انك تريد
اقتلاع القلب من غوامضي . انك تريد استخراج
مكنوني من اخفض نغمة فيّ الى القمة من مداي .
وفي هذه الآلة الصغيرة الكثير من الموسيقى والصوت
الشجي ، ومع ذلك لا تستطيع استنطاقها .
أتحسب أن العزف عليّ أسهل من العزف على هذا
الناي ؟ سمّيتي ما شئت من آلة ، لن تستطيع العزف

عليّ ، مهما جسستني وأثرتني .

(يدخل بولوبوس)

كان الله بعونك يا سيدي !

بولوبوس : مولاي ، تريد الملكة الحديث اليك - وفي الحال

هامك : أترى تلك السحابة التي تكاد تشبه الجمل شكلاً ؟

بولوبوس : والقربان ، انها حقاً كالجمل .

هامك : أظن انها كابن عرس ؟

بولوبوس : ظهرها كابن عرس .

هامك : او كالحوت ؟

بولوبوس : كالحوت تماماً .

هامك : اذن سأجيء الى أمي ، بعد قليل . يعبثون بي الى

أقصى منزعي ! سأجيء بعد قليل .

بولوبوس : سأقول لها ذلك .

(يخرج)

هامك : ما أسهل قول « بعد قليل » ! دعوني وحدي

ايها الصاحب .

(يخرجون كلهم ، الا هامك)

هذا من الليل هزيع السحر ،

ساعة تفغر المقابر افواهما ، وينفث الجحيم

في هذه الدنيا الوباء . لعمرى بوسعي الآن

ان اشرب الدماء جارةً وآتي من رهيب الفعل

ما يرتعد النهار لرؤيته ! .. على رسلك - إلى أمي

الآن على رسلك - إلى أمي الآن .

تفسح لروح نيرون * طريقاً الى صدري الصامد هذا .
فلاأكن قاسياً ، لا شاذّ الطبيعة .
سأكلها خناجر ، أما خنجراً فلن أمسّ .
ولينافق لساني وروحي بهذا ،
فهما عنفتها الفاظاً بلساني ،
إياك يا نفس تنفيذاً لها أن تُقِرّي !

المشهد الثالث

في إحدى حجرات القلعة

يدخل الملك وروزنكرانتز وغلدنترن

الملك : إنه لا يروق لي ، وليس مأمون العواقب لدينا
ان ترك الحبل لجنونه على الغارب . ولذا تهباً :
سأرسل اوراق تفويضكما في الحال ،
وعليه ان يرافقكما الى انكلترا .
ان ظروف مُملكتنا قد لا تتحمل
خطراً قريباً منا كالذي ينبثق عن
جنونياته كل ساعة .

غلدنترن : سنأخذ نحن العدة لذلك .

انه لقلق ايماني مقدّس .
أن تُبقي في أمن وطمأنينة هذه الكثرة الوفيرة
التي تحيا وتقتات على جلالكم .

* أمر نيرون بقتل أمه « أغريينا » وكانت قد سمت زوجها .

روزنكرانتز: إن يتحتم على الحياة الذاتية الواحدة
ان تدفع عن نفسها الاذى بكل ما اوتي الذهن
من قوة وسلاح ، فكم بالحري اذن
تلك النفس التي على سلامتھا تعتمد
حياة الكثيرين . اذا ما جلالة الملك قضت
فلانھا لا تموت وحدها ، بل كاللوامة تجرف معها
كل ما حولھا . مثلھا مثل دولاب جسيم
ركب في القمة من أعلى جبل ،
وقد ارتبطت وثبتت بأشعته الضخام
صغار الأشياء بالافھا :

فإما هوى ، هوى بسقطته القاصفة
كل ما اقترن به من خامل وصغير .
ما تنهد الملك يوماً ، إلا وأن الشعب بأجمعه .

الملك : استعدا ، ارجوكا ، لهذه السفرة المستعجلة ،
لأن هذا القلق السائر الآن طليق القدمين
سنغله ونقيده .

كلامها : ولسوف نسرع .
(يخرجان ويدخل بولوبوس)

بولوبوس : مولاي ، انه ذاهب الى غرفة أمه .
سأقع وراء الستارة
لاسمع ما يجري . لا ريب أنها ستشند بزجره ،
وكما قلت ، ونعم القول قولكم ،
يُستحسن أن يكون هناك غير الأم
لاستراق السمع عن كذب ،

اذ من طبيعة الامهات التحيز .
وداعاً يا مولاي . سأعود اليكم قبل أن تناموا
لأروي لكم ما أعرفه .

الملك : شكراً يا نبيلي العزيز .

(يخرج بولونيوس)

آه ما انتن لئمي ا بلغت ربحه حتى السماء ،
وعليه حطت أولى اللعنات وأقدمها -
قتل أخ لآخيه . لقد عجزت عن الصلاة .
ومها تها لكت وأردتها ،
فان قوي عزمي يقهر بجرمي الاقوى ،
وكالمترم فعلين اثنين
أقف بينهما متردداً أيها اشرع اولاً
فأهمل كليهما . لئن غدت هذه اليد اللعينة
أثخن من نفسها بدماء أخي ،
فليس في عذب السماء ما يكفي من مطر
لغسلها بيضاء كالثلج ؟ ما الرحمة ان لم
تقابل فعلة الآثم وجهاً لوجه ؟
وهل في الصلاة إلا هذه القوة المزدوجة ،
لا يقافنا حين نوشك على السقوط
او عفونا ان سقطنا ؟ إذن قيرتي يا نفس ،
زالت هفوتي . ولكن اي لون من الصلاة
يستطيع الوفاء بما جتني ؟ لا غفر لي جرمتي النكراء ..
مستحيل ذاك وفي حوزتي لما يزل
كل ما اقترفت القتل من أجله :

تاجي ، مطمحي أنا ، والملكة .
أينال المرء مغفرةً والإثم طيَّ إهابه ؟
في هذه الدنيا ومجارها الملوثة
قد تدفع يدُ الإثمِ المذهبةُ عنها حُكْمَ العدالة ،
وغالباً ما نرى جنيَ الجريمة نفسهُ
يشترى الشريعة والقانون . غير أن الامر ليس
كذلك في السماء .

لا تملص هناك . هناك تبقى الفعلة باقيةً
على ما هي ، ونُقسر نحن
إزاء العبوس من أخطائنا
على تقديم الافادة . ماذا اذن ؟ ما الذي تبقى ؟
أن نجرّبَ ما يسع الندم . ما الذي ليس بوسعه ؟
بل ما الذي بوسعه والمرء عاجز عن الندم ؟
يا للبوس ! أسود أنت يا صدرُ كالموت !
وانك يا نفساً مضادة ، كلما كافحت لتنتلقي
زاد الفخ إطباقاً عليك . عوناً ايتها الملائكة !
جرّب ! خرتي يا ركبتي العنيدة ،
وأنت يا قلباً عروقه من حديد ،
كن طرياً كالعضلات من طفل وليد .
لعلّه خير .

(يركع ويصلي فيدخل هامت)

هامت : بإمكانني الآن أن أفعلها ، كذا ، وهو يصلي ،
وسأفعلها الآن . ويذهب هكذا الى السماء ،
فأكون قد انتقمتم ؟ — فلاأحص الامر .

نذل يقتل أبي غيلةً ، ولذا فإني ،
أنا ابنه الوحيد ، أرسل هذا النذل
الى السماء .

لكان ذلك خدمةً ومكافأةً ، لا انتقاماً .
لقد اتى أبي غرةً ، وهو مليءٌ بنخزه ،
وخطاياها مفتحة الأكام كلها ، محرمة كخدّ ايار ،
ولا يعلم حسابه الاخير إلا الله .
ولكن ان نقيسه على احوالنا ومجرى ظنوننا ،
فإنه حساب عسير ولا ريب . افاً كون انتقمتم
ان أنا فاجأته وهو يطهر روحه ،
وهو في خير أو ان للرحيل ؟
كلا !

الى غمدك يا سيف . ولتعرف مني قبضةً أرهب هولاً
حين أراه غملاً ، او ثامناً ، او في سورة من غضبه ،
او في لذة الفحشاء من فراشه ،
او منهمكاً في القمار او الشتم ، او أي فعل
لا مذاق للتلاص فيه :
عندها إهوي به أرضاً لترفس عقباه السماء
حين تكون الروح بين جنبيه سوداء لعينةً
كجهنم مثواه الأخير ... أمني تنتظر .
لا يطيل هذا الدواء الا الموبوء من أيامك
(يخرج هامك)

الملك : تنطلق الفاظي الى العلى ، وفي الحضيض تظل افكارى :
ما بلغت السماء قطُّ الفاظٌ خلت من أفكارها .

المشهد الرابع

حجرة أخرى في القلعة

تدخل الملكة وبولوبوس

بولوبوس : انه قادم في الحال . شدّدي عليه ،
أخبريه بأن الأعيبه أفضح من ان تطاق ،
وان جلالتك سترت عليه ووقفت حائلة
دونه ودون غيظ كثير . سأمسك عن القول هنا
أرجوك أن تصارحيه

هامك (من الداخل) : أماه ، أماه ، أماه !

الملكة : لا تَخَفْ عليّ . انسحب . اسمعه قادماً .

(يتبىء بولوبوس وراء الستارة)

(يدخل هامك)

هامك : ها يا أماه ، ما الأمر ؟

الملكة : هاملت ، لقد أسأت كثيراً الى ابيك .

هامك : أماه ، لقد أسأت كثيراً الى أبي .

الملكة : انك تجيب بلسان الهدر واللغو .

هامك : انك تسألين بلسان الهدر واللغو .

الملكة : ما بك الآن يا هاملت ؟

هامك : وما القضية الآن ؟

الملكة : أنسيتي ؟

هامك : لا والصليب لم أنسك !

انت الملكة ، زوجة أخي زوجك ،

ويا ليتك لم تكوني . انت أُمي .

الملكة : اذن خير لي أن اسلط عليك من يستطيع الكلام

(تم بالحروج ، ليوقها هامت عنوة)

هامك : هدئي روعك ، واجلسي . لا تزحزحي .

لا تنهي الى ان أقيم لك مرآة

ترين فيها أعمق أعماق نفسك .

الملكة : ما الذي تريد ان تفعل ؟ اتقتني ؟

النجدة يا ناس ، النجدة !

بولوبوس (من وراء الستارة) : يا ناس النجدة ، النجدة !

هامك (شاهراً سبه) ما هذا ؟ أجرذ ؟ ميت ، ميت بدرم

(يضرب ضربة فلفذة خلال الستارة)

بولوبوس (من وراء الستارة) : آه قتلتني !

(يقع أرضاً ويموت)

الملكة : يا ويلتاه ! ماذا صنعت ؟

هامك : لست أدري . أهو الملك ؟

الملكة : يا للفعلة الدموية الهوجاء !

هامك : فعلة دموية تكاد يا أماه بسوثها

توازي قتل ملكٍ وزواجاً من أخيه .

الملكة : قتل ملك ؟

هامك : أجل ، سيدتي ، تلك كلمتي . (يزيح الستارة)

(مخاطباً جنة بولوبوس) وأنت يا مأفوناً شقياً

أقحم نفسه طيشاً — الوداع .

حسبتك سيدك : خلد نصيبك .

أرأيت الخطر في شغل نفسك بشؤون غيرك ؟

(لامه) كفاكِ عصرًا ليديك ! اهدأي ، واجلسي .
دعيني اعصر قلبك ، لانني سأعصره
ان كان مصنوعاً من مادة تُخترق ،
ان لم يكن كل لعين أَلِفْتِه قد كساه نحاساً
يصونه عن الاحساس والمشاعر .

الملكة : ما الذي فعلتُ لتتجرأ باطلاق لسانك عليّ
بهذا القول الوقح ؟

هامك : فعلاً يفسد على الطُّهر الحشمة والحياء ،
ويدعو الفضيلة نفاقاً ، ويأخذ الحب البريء
لينزع الوردة من وضآء جبينه

ويزرع فيه دملةً من الصديد، ويجعل من عهود الزواج
أكاذيب كأيمان المقامرین . إنها فعلة
تجتث الروح من بدن القران
وتجعل العذب من شعائر الدين
الفاظاً جوفاء لا غير . السماء تمحمرّ وجنتاها ،
وهذه الكتلة المركبة الجامدة *
يطفح وجهها كدأ كمن شارف الدينونة ،
وتمرض فكراً لهذه الفعلة الشنعاء .

الملكة : ويحي ، أية فعلة هذه التي

ترأر هذا الزئير وترعد هذا الرعد من مطلعها ؟

هامك : انظري الى هذه الصورة ** ، والى هذه ،

* يقصد بها الأرض .

** يحمل هامك حول عنقه صورة أبيه ، وتحمل الملكة حول عنقها صورة
كلوديوس : هذا هو التقليد المسرحي بشأن هذه العبارة . ولكن من
المحتمل ان تكون على الجدار صورة لكل من الاخوين .

حيث الوجود المموّهُ لأخوين اثنين .
 أترين الى البهاء المستقر على هذا الجبين -
 خصلاتٍ شعر هايبيريون ، وجبهة جوبيتر نفسه ،
 عينٌ خلقت للأمر والنذير كعين مارس ،
 ووقفَةٌ كوقفه رسول الآلهة
 وقد حطّ للتو على تلّ يقبل السماء .
 انه مزيجٌ لقوام بدا
 كأن كل إله بخاتمه قد وسمه
 ليؤكد للدنيا ان فيها من هو حقاً رجل .
 هذا كان زوجك . انظري الآن ما يلي .
 هذا هو زوجك ، كسنبلة عفنة ،
 يرزأ سليم انفاسه . ألك عينان ؟
 أتمسكين عن الرعي في هذا الجبل الجميل
 لتسمني على هذه القاع البوار ؟ ها ؟ الك عينان ؟
 ليس لك أن تسمي ذلك حُباً : ففي سنك هذه
 عنقوان الدم خاملٌ متضع
 ياتمر بما تحكمين . وأي حُكْمٍ ينصرف
 عن هذا ، الى هذا ؟ لا بد ان لديك حساً
 والا لما استطعت النزوة ، ولكنه ولا ريب حسّ
 مفلوج ، لأن الجنون ، اجل حتى الجنون لا يشط
 ولا الحس يستعبده الهوّج المخبول
 إلا ويُبقي على شيء من قدرة الخيار
 يُعملها في مثل هذه الفوارق . اي شيطان

غرّر بك معصوبة العينين ؟
 اي امرىء له عينان دون احساس ،
 او احساس دون بصر ،
 او اذنان دون يدين او عينين ، أو شمٌ دون شيء
 سوى درهم عليل من الحسنّ السليم ،
 يأتي رعونةً خرقاء كهذه ؟
 يا للعار ، أين حياؤك ؟ يا جهنم المتمردة ،
 إن تستطيعي ثورةً في عظام امرأةٍ تصفّ
 فتؤجج فيها الشباب ، اجعلي من الفضيلة شمعاً
 يصهر في نارها . ولا تنادي بالعار والثبور
 اذا ما الشبقُ الأهوج أطلق الشرر ،
 فهذا الجليد نفسه يحتدم اشتعالاً
 وهذا العقل يقوّد للارادة !

الملكة : كفى بربك يا هاملت !

انك لتسدّد عينيّ الى اعماق نفسي
 فأرى هناك بقعا سوداء عميقة
 لن تفارق لونها .

هاملت : وتحيين في العرقّ التنن من فراشٍ غضين
 في فورة من الفُحش — تمسّلين وتضاجعين
 في الزريبة القذرة —

الملكة : كفاك كفاك ،

الفاظك هذه كالخناجر تنفذ في أذنيّ —
 كفاك يا حلويّ هاملت .

هاملت : قاتل ، ووغد .

عبدٌ ليس بعشر معشار
سيدك السابق . أضحوكةٌ لا ملك ،
لص من لصوص السؤدد والحكم
اختلس من الرفّ تاجاً غالباً
ودسّه في جيبيه .

الملحكة :

كفى ، كفى .

(يدخل الطيف)

هامك :

ملكٌ من مزقٍ ورُقِع .

خلاصاً يا حَرَسَ السّماءِ ! رِفوا بأجنحتكم عليّ !
ما الذي يبغيه شكلك الكريم ؟

الملحكة :

مجنون ، يا ويلتاه !

هامك :

أما جئتَ تعنّف ابنك المتواني الذي

راح يضيّع الوقت وينشغل بالعواطف
عن اللجّ في تنفيذ أمرك الرهيب ؟
بربك قل لي .

الطيف :

لا تنسَ ! ما هذه الزيارة الا

لشحد عزمك الذي كاد يُفَلّ .
ولكن انظر ، اقتعد الدهولُ أمّك .
فاخط بينها وبين نفسها المنازعة —
فالوهم قويّ الفعل في البدن الضعيف .
خاطبها يا هاملت .

هامك :

كيف حالك يا سيدتي ؟

الملحكة :

وأسفاه ، كيف حالك انت ؟

تركز عينك في الفراغ

وتناقش الهواء الذي لا جسد له .
روحك تطلّ هوجاءً من عينيك ،
وكالجنود التوّم يفاجأون بالانذار
شعرك الراقد يستفيق وينتصب .
بنيّ العزيز

رشّ برد الصبر على هيب اضطرابك .
ما الذي تنظر اليه ؟

هامك : اليه ، اليه ! انظري ما أشحب تحديقه !
لو خطب في الحجارة ، وقد جمع بين شكله ذاك
وبين قضيته ،

لدبتّ فيها المشاعر . لا تنظر اليّ ،
لثلا بفعلك هذا الذي يفطر القلب
تبدّل افعالي الصارمة ، وأذا ما قررتُ صنعه
يُعوّزُه اللون الصحيح ، ويحلّ الدمع محلّ الدم .

الملكة : لمن تقول ذلك ؟

هامك : الا ترين هناك شيئاً ؟

الملكة : لا شيء مطلقاً ، وكل ما هناك أراه .

هامك : ولم تسمعي شيئاً ؟

الملكة : لا شيء ، سوانا .

هامك : عجباً ! انظري هناك . انظري كيف ينسلّ عنا .

ابي في حُلته ايام الحياة .

انظري حيث يخرج الآن من الباب .

(يخرج الطيف)

الملكة : ما هذا الا اختلاق من ذهنك .

فالجنون جدّ بارع
في تجسيد ما لا جسده له .

هامك : الجنون ؟

نبضي كنبضك يحفظ إيقاعه المعتدل
ويصنع مثله موسيقى ملؤها العافية . ليس جنوناً
ما نطقت به . امتحيني
أعدّ رصف كلمات الموضوع ثانية ، أما الجنون
فيشط عنه . أستحلفك بنعمة الله يا أمي
ألا تطلي الروح منك بذلك البلسم المداهن
فتظني أنُ جنّتي ، لا خطيئتك ، هي التي تتكلم ،
لئلا ينسغ غشاوة على الموضوع المقروح
بينما الفساد الخبيث يعبث في داخله
ويستفحل الداء غير مرثي . اعترفي امام العليّ ،
واندمي على ما فات ، وتجنبي ما هو آت ،
لا تنشري الزبل على الاعشاب
فيشدّ خبث ريجها . اصفحني عن فضيلتي هذه :
ففي سمة الايام الوارمة هذه
على الفضيلة نفسها ان تستميج الرذيلة عفوا -
أجل عليها أن تنحني وتتوسل كي تحسن الصنيع
الى الرذيلة .

الملكة : آه هاملت ، شطرين شطرت قلبي .

هامك : لإقذني بالخطر الأردل

وبالنصف الآخر عيشي عيشة أنقى .

ليلة سعيدة ! ولكن لا تذهبي الى فراش عمي .

تلبّسي الفضيلة ولو ظاهراً ان كنتِ عُدمتها .
 فالعُرف وحش يلتهم كل حساسية ،
 وهو الشيطان من كل عادة ، لكنه ايضاً ملاك
 في انه يعبر الفعل الجميل الحميد ايضاً
 رداءً ولبوساً ملائماً . امتنعي الليلة ،
 يُضيفُ ذاك شيئاً من اليُسْر الى الإحجام
 في المرة المقبلة . ثم يسهل الاحجام التالي .
 لأن العادة تكاد يكون بوسعها تبديل وسم الطبيعة ،
 فلماذا ان تحذق فعل الشيطان ، او تلقي به خارجاً
 بعزم عجيب . مرةً اخرى : ليلةٌ سعيدة !
 وعندما ترومين بركة الله وتنشدينها ،
 أطلب اليك ان تباركيني . اما بشأن هذا النبيل ،
 (مشيراً الى جنة بولونيوس)
 فلانني نادم . غير ان الساء شاءت
 عقابي به وعقابه بي ،
 وكان لا بد لي ان اكون وكيلها ووسيلة سخطها
 سأنقله ، وأنا مسؤول
 عن الميتة التي أذقته . فرة أخرى : ليلة سعيدة !
 يجب ان اقسو كي اكون رحيماً :
 هكذا يبدأ السوء ويبقى الأسوأ في أعقابه .
 كلمة اخرى ، سيدتي الكريمة .

الملسكة : ماذا أفعل ؟

هامك : لا الذي أمرتك بفعله قط .

دعي الملك المتنفخ يغريك ثانية بالفراش

ويقرص خدّك ماجناً ويدعوك عصفورته ،
ودعيه لقاء قبلتين سخاوين
او دعابتين لعنقك من اصابعه الكريهة
يجعلك تُفضّضين بأمرى هذا كله .
من اننى ما فقدت عقلي اصلاً ،
بل اننى مجنونٌ "حيلةٌ" وخديعة . يحسن بك ان
تُعلميه .
وإلا فن يحجب عن هذه السلحفاة ، هذا الخفاش ،
هذا الهير^٢
بواطن عزيزة كهذه ، غير ملكةٍ حسناء راجحة
حكيمه ؟

من يفعل شيئاً كهذا ؟
لا . فرغماً عن العقل وضرورة الكتمان
أصعدي القفص الى سطح المنزل
وأطلقني منه العصافير ، وكالقرود المشهور * ،
لكيما تختبري النتيجة ، ازحفي الى داخل القفص
ودقي عنقك اذ تسقطين .

الملكة : ان تكن الالفاظ من النَّفْس
والنَّفْس من الحياة ، ثق ان ليس فيّ حياة
لأنفس ما قلته لي .

هامك : عليّ ان اذهب الى انكلترا ، أتعلمين ؟
الملكة : وأأسفاه ، كنتُ نسيت . اتمد تفرّر ذلك .

* لا تعرف تفاصيل هذه الحكاية . ولكن يبدو انها تدور حول فرد
أراد ان يطير فادخل نفسه في قفص ثم قفز منه .

هامك : هناك رسائل قد نُختمت ، ورفيقي في المدرسة ،
وهما اللذان اثنى فيهما ثقتي في أفاعٍ ذات أنياب ،
يحملان التفويض ، وعليهما ان يكنسا الطريق امامي
ويوجهاني نحو النذالة . وليكن ذلك .
فن دعاة اليوم ان يطير
صانع اللغم مع لغمه ، وسيؤسفني انني
سأحضر عمقَ متر تحت الغامها
وأقذف بهما اوصالاً نحو القمر ... ما أطيها
ان تلتقي خديعتان في خط واحد رأساً لرأس !
هذا الرجل يدفعني الى حزم أمري :
سأجرّ الجيفة الى الغرفة المجاورة .
أماه ، تصبحين على خير ! حقاً ان هذا الوزير الآن
شديد السكون ، شديد التكلم ، شديد الوقار ،
وهو الذي كان في حياته مهذاراً غيباً .
[الى الجنة] تفضل يا سيدي ، ولنجرّك الى نهاية .
ليلة سعيدة يا أماه !

(يخرج هامك وهو يجرّ بولونيوس)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في إحدى حجرات القلعة *

يدخل الملك على الملكة

الملك : لهذه التهنيدات معان . وهذه الانفاس العميقة
يجب ان تفسرها . قمين بنا أن نفهمها .
اين ابنك ؟

الملكة : مولاي ، مولاي - يا لما رأيت الليلة !

الملك : ماذا يا غرتروود ؟ كيف حال هاملت ؟

الملكة : لقدُ جنّ جنون البحار والرياح إذ تصطرع
على ايها أقوى وأعنف . وفي نوبته الظالمة تلك
اذ سمع شيئاً وراء الستارة يتحرك ،
امتشق حسامه وصاح « جردّ ، جردّ ! »
وباضطرابه ذلك العاتي طعن

* يبدأ الفصل الرابع هنا ، بموجب تقسيم ائمه اصحاب الطبقات الحديثة
منذ عام ١٦٧٦ . غير اننا بمراجعة طبعة الفوليو (١٦٢٣) نجد أن هذا
المشهد يتصل سابقه ، والمعنى ، كما هو ظاهر ، يتطلب ذلك . فالحجرة هنا إذن
هي الحجرة نفسها التي رأيناها في المشهد السابق ، والحركة مستمرة .

الشيخ الطيب المختبىء هناك وصرعه .

الملك : يا للنكر !

لكننا نحن الهدف لو كنا هناك .

ان حرите ملأى بأخطار تهدد الجميع -

أنت ، ونحن ، وكل فرد هنا .

وهذه الفعلة الدموية ، كيف نبررها ؟

سيلقى اللوم على عاتقنا ، اذ كان علينا

أن نحسب للامور حسابها فنشد الزمام

على هذا الفتى المجذوب ونصدّه عن المجتمع .

ولكن حبنا له كان من العمق

بحيث عجزنا عن ادراك ما فيه خير الجميع ،

وفعلنا كمن يصاب بداء خبيث

فيتركه ، خشية افتضاح امره ، يتغذى

على اللبّ من الحياة . أين ولى ؟

الملكة : راح يجر الجثة التي صرعها .

وجنونه باد عليه كتبر

يتلأأ نقاوة في منجم رخيص المعادن .

وهو يبكي على ما فعل .

الملك : هيا بنا يا غرترود .

حالما تمسّ الشمس رؤوس الجبال

سنبعث به في أحد المراكب ، وهذه الفعلة الاثيمة

علينا بكل ما أوتينا من جلال ولباقة

أن نقبلها منه ونصفح عنها . [يناي] يا غلدنسترن!

(يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

ايها الصديقان اذهبا معاً في مهمّة لنا .
لقد قتل هاملت بولونيوس في سورة من الجنون ،
وراح يجره من حجرة امه .
ابحاثا عنه ، ولاطفاه القول ، وأحضرا الجثمان
الى الكنيسة . ارجوكما ان تسرعا .

(يجران)

هيا ، غرتود ، ولندعُ العقلاء من صحبنا
ونعلمهم بما قد نوينا فعله
وبما قد حدث من فعل قبل او انه .
فهمس الناس الذي يرمي بمسموم قذيفته
سداداً عبر المدى من العالم
كدفع يرمي الهدف ،
قد يخطيء اسمنا ويصيب هواءً لا ينجرح .
هيا بنا . نفسي مثقلة بالاضطراب والجزع .

المشهد الثاني

غرفة أخرى من القلعة

يدخل هامك

هامك : تخلصت منها بسلام !
روزنكرانتز وغلدسترن [من الداخل] : هاملت ، مولانا هاملت !
هامك : ما هذا الصوت ؟ من يدعو هاملت ؟ آه ، ها هما
قادمان .

روزنكرانتز: ماذا فعلت يا مولاي بجثة الميت ؟

هامك : عجنتها مع التراب ، فهو قريبها .

روزنكرانتز: اخبرنا أين هي لناخذها ونحملها الى الكنيسة .

هامك : لا تصدقوا .

روزنكرانتز: لا نصدق ماذا ؟

هامك : انني سأعمل بنصحكم، لا بنصحي، وفضلاً عن ذلك،

اذا كان السائل اسفنجة ، فما الذي على ابن الملك

أن يجيب به ؟

روزنكرانتز: التحسني اسفنجة يا مولاي ؟

هامك : نعم يا سيدي ، اسفنجة تمتص نصرة الملك وعطاياه

وسلطاته . غير ان هذا الفصيل من الرجال أفضل

الناس خدمة للملك في النهاية . فهو يقيهم في ركن

من شذقه كالقرد ، جاعلاً اول ما يلتقم آخر

ما يزدرد . حينما يحتاج الى ما امتصصته انت انما

هو يعصرك ، وعندها ، ايها الاسفنجة ، ستجف

من جديد .

روزنكرانتز: لست أفهمك يا مولاي .

هامك : أفرحتني بذلك ! فالكلام الضاحك في الاذن

البلهاء نائم .

روزنكرانتز: مولاي ، يجب ان نخبرنا بمكان الجثة وتصحبنا

الى الملك .

هامك : الجثة مع الملك ، ولكن الملك ليس مع الجثة .

فالملك شيء -

فهدنتن : شيء ، يا مولاي ؟

هائمك : من لا شيء . خذاني اليه . [يصيح] اختبىء يا ثعلب
اختبىء ، والحقوه الحقوه * ! (يخرج راكفاً)

المشهد الثالث

غرفة أخرى من القلعة

يدخل الملك

الملك : لقد ارسلتُ من يبحث عنه وعن الجثة .
ما اخطر الوضع وهذا الرجل حرّ طليق !
ولكن رغم ذلك ، يجب الا نفرض عليه شكيمة
القانون .

فهو محبوب الجماهير المحقّاء -
وهي التي في احكامها لا تهوى الا بأعينها .
وفي حالة كهذه تزن عقاب المسيء
اما الاساءة فلا . فلكي تجري الامور سلسلة متساوقة
يجب ان يبدو اقصاؤه الفجائي هذا
نتيجة للوقفة والتروي . فالداء اذا استيأس
كان في الداء المستيئس علاجه ،
والا فلا .

(يدخل روزنكرانتز)

والآن ما الذي صار ؟

روزنكرانتز: لقد عجزنا يا مولاي ان نستخلص منه

« عبارة كان الاطفال يتفنون بها حين يلعبون » الغاية » .

- اين وضع الجثة .
 الملك : ولكن اين هو ؟
 روزنكرانتز: في الخارج يا مولاي ، محروساً بانتظار امركم .
 الملك : احضروه امامنا .
 روزنكرانتز: يا غلدنسترن ! ادخل سيدي الامير !
 (يدخل هامك وغلدنسترن)
 الملك : والآن يا هامك ، اين بولونيوس ؟
 هامك : في العشاء .
 الملك : في العشاء ؟ اين ؟
 هامك : لا حيث يأكل ، بل حيث يؤكل . لقد عقد عليه
 اجتماعاً عدد من الديدان السياسية . ان الدودة من
 حيث الغذاء هي السلطان الاوحد . فنحن نسمّن
 المخلوقات الاخرى كلها لتسمننا ، ونسمّن انفسنا
 للديدان . والملك البدين والمتسول الهزيل انما هما
 طعام قليل التفاوت ، أكلتان لمائدة واحدة . تلك
 هي الخاتمة .
 الملك : واضيعته !
 هامك : قد يصيد المرء سمكة بدودة اقتاتت على ملك ، ثم
 يأكل السمكة التي تغذت على تلك الدودة .
 الملك : وما الذي تعنيه بذلك ؟
 هامك : لا شيء سوى أن اريك كيف ان الملك قد يقوم
 بجولة في امعاء صعلوك !
 الملك : اين بولونيوس ؟
 هامك : في السماء . ارسل وراءه هناك . فاذا لم يجده

رسولك هناك ، ابحث عنه بنفسك في المكان الآخر :
ولكن اذا لم تجده في بحر هذا الشهر ، سيلقاه انك
حين تصعد الدرج الى الردهة .

الملك [لبض من حوله] : اذهبوا وابحثوا عنه هناك .

هامك : سينتظر ريثما تصلون . (يخرجون) .

الملك : هاملت ، اننا في أشد الاسى لما فعلت ،

ولكن هذه القعلة ، حفظاً لسلامتك التي

تهمنا ، يجب أن نقصيك عنا

بسرعة النار . ولذا ، عليك بالتهيؤ .

فالركب جاهز ، والريح مؤاتية ،

والرفاق ينتظرون ، وكل شيء على أهبة الرحيل

الى انكلترا .

هامك : انكلترا ؟

الملك : أجل يا هاملت .

هامك : حسناً .

الملك : حسن قصدنا ، لو كنت تعلمه .

هامك : أرى ملاكاً يراه . ولكن ، هيا بي الى انكلترا ،

وداعاً ، يا امي العزيزة .

الملك : بل أبالك المحب يا هاملت .

هامك : بل أمي . فالاب والام زوج وزوجة ، والزوج

والزوجة جسد واحد . اذن ، أمي ! هيا ،

الى انكلترا .

(يخرج هامك)

الملك [لروزنكرانتز وغلديسترن] :

ابقيا على عقبه ، أغرياهُ بركوب السفينة على عجل .
لا تتوانيا ، أريده أن يغادر البلد الليلة .
اذهبا ، فكل شيء يتصل بهذا الامر
هو الآن منته مختوم . أرجوكما ، السرعة !
(يخرجان)

[وحده] وانت ياسيد انكلترا، ان كنت تقدر محبتي -
ولعل قوتي الساحقة قد أعلمتُك بها -
ولما كانت نُدب جروحك بعد حمراء أليمة
من ضربات سيوفنا الدانمركية ، وخوفك الحرّ
يدين لنا بالولاء ، فعليك الا تقلل
من شأن سلطتنا الآمرة ، وهي التي تنص الآن ،
بكتب توصيك بذلك ،
على مقتل هاملت في الحال . اقتله -
لانه في دمي يشتعل كالحمي ،
وعليك بشفائي . والى ان يأتيني الخبر ،
كيفما تكن حالي ، ما بدأت قط أفراحي !

المشهد الرابع

في احدى بطاح الدانمرك *

يدخل فرتنبراس مع رهط من جيشه وأحد رؤسائه

فرتنبراس : اذهب ايها الرئيس وحي باسمي ملك الدانمرك ،

* يطلنا هذا المشهد ، لبرهة وجيزة ، على فرتنبراس وجيشه لكي لا
تكون ثمة حاجة لشرح امره عندما نراه ثانية عند نهاية المسرحية .

وقل له ان فرنتبراس ، بإذن منه ،
يلتمس سماحه الموعود بمسير الجند
عبر مملكته . انت تعلم الملتقى :
فاذا رام منا جلالته شيئاً
فمنا بواجبنا بين يديه .
أعلمه بذلك .

الرئيس : سأفعل يا مولاي .

فرنتبراس : على رسلك اذن .

(يخرج فرنتبراس وجيشه ويبقى الرئيس . ويدخل هامك
وروزنكرانتز وغلدنترن وآخرون)

هامك : سيدي الكريم ، قوات من هذه ؟

الرئيس : قوات ملك النروج ، سيدي .

هامك : وما وجهتها ، أرجوك ، يا سيدي ؟

الرئيس : بعض أجزاء بولنده .

هامك : ومن يقودها ؟

الرئيس : ابن أخي ملك النروج ، فرنتبراس .

هامك : وهل تراها زاحفة على أرض بولنده ، يا سيدي ،

أم على بعض حدودها ؟

الرئيس : اذا اردت الصدق دون ما اضافة ،

فاننا ذاهبون لكسب رقعة من الارض ضيقة

لا نفع منها سوى اسمها .

واني لأنف أن أفلحها وأقصى ما تدر خمسة دنانير ،

بل انها لن تدر على ملك النروج او بولنده

مبلغاً أجسم من ذلك حتى ولو بيعت نقداً وعداً .

هامك : إذن لن يدافع عنها البولوني أبداً .

الرئيس : بلى ، فان فيها حامية .

هامك : ألفا نسمة وعشرون ألف دينار

لحسم الخلاف حول هذه الهبائة !

ما هذه إلا ورم السلم مع المال الكثير :

ورمٌ ينفجر في الداخل ولا يبدي عرّضاً

يعلل موت صاحبه . جزيل الشكر يا سيدي .

الرئيس : كان الله معك ، يا سيدي . (يخرج)

روزنكرانتز: ألا تفضل بالسير يا مولاي ؟

هامك : سألحق بكم حالاً . اسبقوني قليلاً .

(يخرجون ، ويعي هامك)

ما من حَدَثٍ الا وَيُنْبئىء عليّ

وَيَحْفِزُ ثأري البليد . ما الانسان

ان كان أفضل ما لديه وخير ما يشغله

النومُ والأكل ؟ حيوانٌ لا غير .

بيد أن الذي صنعنا وجعل فينا نفساً كبيرة كهذه

ترسل البصر الى الأمام والى الوراء ، لم يهينا

هذه المقدره ، هذا العقل الجدير بالآلهة ،

ليعفن فينا مهملاً .

ليت شعري أهو نسيان مني وحشي ، ام توجس

رعديد

إذ أحسب للغبية الف حساب -

وهو حساب لو قُسمَ أرباعاً لما كان التبصر فيه الا
جزءاً واحداً ،

والجين منه ثلاثة أرباع . لست أدري

لماذا اراني بعد حياً لأقول « هذا الامر يجب فعله » ،
ولديّ لفعله الحافز ، والارادة ، والقوة ، والوسيلة .

وثمة ايضاً امثلة تستحني ، كثيفة كثافة الارض :

خذ مثلاً هذا الجيش اللّجيب

يقوده أمير رقيق حديث السنّ ،

له نفس كَبُرَتْ بطموحٍ علويّ

فراحت تسخر من العواقب المجهولة ،

وتدفع بالجسد القلبيّ العرضة لمنيته

الى تحدّي الخطر والموت وقسمة الحظ ،

ولو من أجل قشرة بيضة ! فالعظمة الحقّة

ليست في التحرك دونما سبب عظيم ،

بل في اثاره النزاع العظيم حول هبّاءة

إذا ما الشرفُ هُدِّدَ بالأذى . فما موقفي إذن ،

أنا الذي قُتلَ ابي ولُوئْتُ أُمي ،

واستُفْزِعْتُ عقلي ودمي ،

ولا أحرّكُ ساكناً ، في حين أرى ، واخجلاه ،

عشرين الف رجل على وشك الردى

يسعون من أجل شهرة موهومة

الى قبورهم كأنها فراشهم ، ويقتتلون من أجل بقعة

لا تتسع لقتال عديدهم

ولا فسحة فيها لضريح يوارى فيه
صرعاهم . ألا من هذه الساعة فلتكن
دموية أفكارى كلها ، او فلتُعدم قدرها !

المشهد الخامس

السينور في احدى حجرات القلعة .

تدخل الملكة وهوراشيو .

الملكة : لا اريد الحديث اليها .

هوراشيو : إنها شديدة الإلحاح ، بل فقدت عقلها ، يجب ان
يرأف بها .

الملكة : ما الذي تبغيه ؟

هوراشيو : انها كثيرة الكلام عن أبيها ، وتقول انه قد بلغها

ان في الدنيا أحابيل ، ثم تتنحج وتقرع صدرها
وتضرب برجلها الهباء غضباً ، وتقول أشياء غير يقينية
لا تنطوي على أكثر من نصف معنى . كلامها لا شيء ،
بيد أن اللاتماسك فيه يحدو

بالسامعين الى الاستنباط : فإذا يستهدفون المعنى

يرقعون الالفاظ لتتفق وافكارهم ،

والفاظها بغمزاتها وائماؤها وهزات رأسها

تجعل المرء في الحق يعتقد بأنها تحمل فكراً

قد يخلو من التحديد ولكن يملؤه البؤس والأسى .

الملكة : من الأفضل اذن ان اتحدث إليها . لأنها قد تنثر

تخرّصات بطرات في أذهانٍ لا تنجب إلا الشرّ .
أدخلها عليّ . (يخرج هوراشيو)
في كل طفيف ترى نفسي مقدّمةً
لنكبة ما مريعة . تلك مزية الخليفة .
فالجرم جيّاش بعفويّ الشكوك
يسكب نفسه بنفسه ، لشدة ما يخشى ان ينسكب !
(تدخل اوفيليا ، وقد جئت ، مع هوراشيو)

اوفيليا : اين ملكة الدانمرك البهية ؟

الملكة : كيف أنت يا اوفيليا ؟

اوفيليا (تفني) * : حبيبك كيف لي تميزه

بين الرجال الوافدين ؟

بعصاه ومحارة في رأسه .

ونعلٍ حجاجٍ عائدتين .

الملكة : ويحي عليك يا صبيتي - ما معنى هذا الغناء ؟

اوفيليا : أقلت شيئاً ؟ أرجوك اسمعي (تفني) :

سافر الموت به يا طفليتي

ونما العشب على أجفانه

واستراحت ، في ثبات ، صخرة

عند رجليه ، وفي أحضانه

* في هذا المشهد تفني اوفيليا مقاطع من اغانٍ شق كانت معروفة لدى
معاصري شكبير .

** كان الذين يهودون من الحجج ال كنية مار يقوب كومبوستلا
يلبسون عارة في القبة .

الملكة : ولكن يا اوفيليا ...

اوفيليا : أرجوك اسمعي :

كفتمود برداء أبيض فبدا كالثلج في أكفانه

(يدخل الملك)

الملكة : وألماء ! انظر اليها يا سيدي .

اوفيليا تقني : وتزيينا النعش بالورد شذى

وسرى الموكب في أحزانه

وبدا القبر فمدت شوقها

أدمع حرتي الى جثمانه

الملك : كيف حالك ، يا جميلة ؟

اوفيليا : بخير والحمد لله . يقولون ان البومة كانت ابنة خباز .

اننا يا مولاي نعرف ما نحن ، ولكننا لا نعرف ما

قد نؤول اليه . كان الله على مائدتك !

الملك : تفكيرها بأبيها .

اوفيليا : أرجوك ألا تفشي هذا . ولكن إن يسألوك عن

معناه ، قل لهم هذا :

قالت : مارُ فلنتينَ غداً عيدُهُ * :

سأبكر في الصباح لكي تراني

اولَ من ترى في الحلي من عذارى

فتحبنى من دون كل الحسان

وفي صباح العيد جاءت وراها

* كانت العادة ان يعتبر الرجل اول فتاة يراها صباح يوم مار فلنتين ،

١٤ شباط ، حبيته .

عذراءٍ منّت نفسها بالتلاقي
فأدخلها البيتَ عذراءَ ولكن
لم تبارح بيته بكرةً بالفراقِ

الملك : اوفيليا الجميلة !

اوفيليا : بل انظر ، سأُنهيها بلا قَسَم :

يا للعار ، واخجلتاه !

أما من رَأفةٍ بين البشر ؟

يفعلها الشباب إن جاؤا إليها —

من الملوم إلا الشباب ؟

قالت له : او لم تعدني

قبل اقتراشي بالزواج ؟

قال لها ، وحق هذا الضياءِ لتزوجتك

لو لفراشي لم تسرعني .

الملك : كم مضى عليها وهي هكذا ؟

اوفيليا : أرجو أن يتم كل شيء على خير . علينا بالصبر الجميل ،

ولكنني لا أستطيع إلا البكاء كلما ذكرت أنهم

سُيرُ قدونه في الارض الباردة . سيعلم أخي بالأمر ،

ولذا اشكر لكم حُسْن نصيحتكم . هيا يا عربتي .

ليلةٌ سعيدة يا سيداتي ، ليلةٌ سعيدة يا سيداتي

اللطيفات . ليلة سعيدة . (تخرج)

الملك لهوراشيو : اتبعها عن قرب ، وأحسن حراستها ، أرجوك .

(يخرج هوراشيو)

ما هذا الا سُمُّ الفجيعة ، ينبع

كله من موت أبيها . آه يا غرتود ، غرتود ،
 اذا ما أنت الاحزان ، لم تأتُ فرادى
 بل جحافل . اولاً ، يُقتل أبوها ،
 ثم يُرحل ابنك ، وهو بعنف هو جائه السبب
 في اقصائه العادل ، وبعدها تتعكّر اذهان الناس
 بكل خاطر مسموم ، وتتهامس الشفاه
 بمقتل بولونيوس الكريم ، ونسلك نحن درب الحماقة
 بأن ندفته سرّاً على عجل . مسكينة أوفيليا !
 لقد سُقّ بينها وبين نفسها والعقل الجميل
 وما نحن بدونه الا صور مرسومة او وحوش .
 وأخيراً هذا الأمر الخطير ايضاً :
 لقد جاء أخوها سرّاً من فرنسا ،
 وهو يغذو نفسه بالتساؤل ، وينزوي بين السُحُب ،
 ولا يريد صقوراً تعدو اذنيه
 بمبوء الكلام عن موت أبيه ،
 ولانعدام الحقائق في هذا الكلام
 لن يتورعوا لحظة عن اتهامنا
 في هذه الاذن وتلك . ان هذا كلّه يا عزيزتي
 لأشبهه ببندقية شتية الطلقات
 تصيب مني اكثر من مقتل واحد .
 (ضواء من الداخل)

الملكة : ويحي ، ما هذه الضوضاء ؟

الملك : اين حرّسي الخاص ؟ ليحرسوا الباب !

(يدخل رسول)

ما الامر ؟

الرسول : انجُ بنفسك يا مولاي !

ان البحر المتلاطم اذ يتجاوز حدوده
لا يلتهم الشيطان الخفيضة بالسرعة الجارحة التي
سيطر بها على ضباطك الفتي لرئيس
مع عصبته الثائرة . وها هي الدهماء تنادي به سيداً ،
وكأنما الدنيا لم تبدأ الا هذه اللحظة ،
وكأنما القِدَم لم يوجد ولا العُرْفُ وُجد ،
وهما مصداق كل قول ودعامة كل رأي ،
فراحوا يتصايحون : « فلننتخب ! لرئيس هو الملك ! »
والهتاف بالألسن والايدي والقبعات يطاول
عنان السماء :

« لرئيسُ هو الملك ! لرئيسُ الملك ! »

الملكة : ما أمرح صبيحاتهم وهم يقتفون أثر الضلال !
هذا عكس الهدى ، ايتها الكلاب الدانمركية
الغادرة !

« ضوضاء في الداخل »

الملك : كسروا الابواب !

« يدخل لرئيس ملعاً ، ينبه كثيرون »

لرئيس : اين الملك ، ايها السادة ؟ [لقومه] قفوا جميعاً
في الخارج !

الجميع : لا ، دعنا ندخل !

لرئيس : أرجوكم أن تفسحوا لي المجال .

الجميع : حسناً ، حسناً ، سنخرج .

« يخرجون »

لرئيس : شكراً لكم ! احرسوا الباب . ايها الملك الحقير ،
أعطني أبي !

الملكة : بهدوء ، أرجوك يا لرئيس !

لرئيس : إن تكن في نقطة دم هادئة ، فانما هي تعلن انني
ابن خنا ،

وتصبح بأن أبي خؤون الزوجة ، وتسم
أمي الأمانة

هنا ، بين حاجبيها الناصعين الطاهرين ، بميسم الزنى !

الملك : ثورتك تبدو عملاقة يا لرئيس -

ما السبب ؟

دعيه يا غرتود ، لا تخشي على شخصنا .

ثمّة ألوهة تسوّر الملك ،

وجلّ ما تستطيعه الخيانة هو التطلع الى ما تبغيه

عاجزة إلا عن أقلّ التنفيذ . قل لي يا لرئيس ،

لمّ هذا الغضب ؟ دعيه يا غرتود .

تكلم يا رجل .

لرئيس : اين أبي ؟

الملك : مات .

الملكة : ولكن ليس على يده .

الملك : دعيه يسأل ما شاء له السؤال .

لرئيس : كيف مات ؟ لن أقبل المداورة !

فليذهب الولاء الى سقر ، والعهود الى ابليس الرجيم ،

والى الدرك الأسفل النعمة والضمير !

إنني اتحدّى نار القيامة ! وهنا أضع قدمي

حيث لا ابالي بهذه الدنيا ولا الآخرة ،
وليكن ما يكون ! فوالله لانتقم
لابي شرّ انتقام .

الملك : ومن يوقفك ؟

لرئيس : مشيتي — لا العالم بأجمعه .

أما وسائلي فلسوف أحسن تدبيرها
لتحقق الكثير بالقليل .

الملك : ولكن يا لرئيس ،

ان كنت تبغي التحقق

من موت والدك العزيز ، هل تُخطّ في انتقامك

أن تغنم بضربتك الصديقّ والعدو

ربحت أم خسرت ؟

لرئيس : أعداءه ، دون غيرهم .

الملك : أتريد أن تعرفهم اذن ؟

لرئيس : لاصدقائه الطيبين ، سأفتح ذراعيّ واسعاً هكذا ،

وكالبجعة • الرؤوم واهبة الحياة

أطعمهم من دمي .

الملك : الآن نطقتَ

نطق الابن البارّ والسيد النبيل .

أما اني بريء من موت أبيك

وعميق الحزن والاسى عليه

فلسوف ينفذ الى ادراكك جهازاً

* كان المتقد أن البجة تفذّي صغارها بدم من صدرها .

كما تنفذ الى العين رابعة النهار .

(ضوضاء من الداخل وصوت يقول : «دعوها تدخل» .)

لرئيس : ما هذا؟ ما هذه الضوضاء؟

(تدخل اوفيليا وهي تحمل باقات من الزهر)

يا لهيباً جفف دماغى ، ويا دموعاً سبعَ مرات
مريرة ،

احرقني في عينيّ الحسّ والبصر !

والله لاستحصلن ثمن جنونك وزناً

أو ترجحَ كفتننا رجحاناً ثقيلاً ! يا وردةَ أيار ،

يا عذراءَ عزيزةً واختا وفيّة — أوفيليا الحبيبه ،

يا للسماء ! ايمنك للعقل في فتاة يانعة

أن يعرف الموت ، كالحياة في شيخٍ هَرِمٍ ؟

ما أرق الطبيعة في حبها ! فهي إذ ترقّ

ترسل في إثر ما تُحب

قطعة غالية من نفسها * .

اوفيليا (تغني) : سا فرّ الوجه على نعشٍ حملوه

يا ويلتاه

وعلى القبر غزيرَ دمعٍ أمطروه .

وداعاً يا حماتي .

لرئيس : لو لم تفقدي العقل وحشيتني على الثأر

لما حفّزْتني كما تفعلين الآن .

* اي ان الطبيعة ترسل في إثر بولونيوس الذي تجبه قطعة غالية من نفسها -

عقل اوفيليا .

اوفيليا (تغني) : غنوا معي ، غنوا معي ،
يا ويلنا ..

ما أجلّ أنسجام الغناء ودولاب الغزل ! الخازن
الثلثم هو الذي هرب بابنة سيده * .
لربيس : هذا اللغو أقوى من كل فحوى .
اوفيليا : هاك زهر الحصلبان ، انه للذكرى . أرجوك
يا حبيبي ، ان تتذكر . وهاك هذه الباقة من زهرة
الخواطر ** .

لربيس : وثيقة من الجنون ، تلتئم فيها الذكرى والخواطر .
اوفيليا : هاك انت الحبة السوداء والأخيليا ، وانت إليك
السذاب ، انه زهر الشجن ، وعليّ أنا ببعضه . لنا
أن نسّميه ايضاً زهر الندم ، فعليك أن تحملي
سذابك مع فارق . هاك ايضاً أقحوانة . وددتُ
لو أعطيتك بنفسجاً ، غير أنه ذبّل كله ساعة موت
أبي . يقولون ان نهايته كانت صالحة —
[تغني] لان في الدوري المغني فرحتي ...

* قصة اخرى محاولة لدينا ، كقصة الفرد والقفص . لعل فيها إشارة الى
كلوديوس ؟

** هذه العبارة موجبة ، على الأرجح ، الى لربيس اذ قد تظنه حبيبا .
وما توزعه اوفيليا ، له مناه الحاص في لفة الزهور . فلاخيا تطلي الذكرى
والخواطر (Rosemary, Pansies)، وللملك النفاق (الحبة السوداء Fennel)
والجود (الأخيليا Columbine) ، وللملكة الشجن (السذاب Rue)
وطيش الهوى (الاقحوانة) . أما الاخلاص (البنفسج) فلا تعطيه لأحد .
من الواضح أن هذه الممانى قد لا تتفق كلها مع معاني الزهور عند العرب .
فالحبة السوداء عندنا رمز للبركة ، والسذاب يملق ضد « العين » .

رئيس : لأنها تقلب الغمّ والعذاب ، بل والغضب والجحيم ،
حسناً ورواءاً !

أوفيليا (تغني) : أو لئن يعودَ لنا ثانيةً

أولن يعود لنا ؟

كيف يعود وقد قضى ؟

إلى فراش موتك فاذهبي .

فهو لن يعود لنا .

لحية كالثلج بيضاء

من قنّب أكفانه

في ذمّة الغيب غدا

نبيكه دوماً عبثاً -

رحمة الله عليه

وعلى كل المؤمنين ، اللهم ! استودعكم الله .

(تخرج أوفيليا)

رئيس : رباه ، أترى إلى ذلك ؟

الملك : لرئيس ، لا بد لي من أن أبحث حزنك

وإلا انكرت عليّ حقاً . ما عليك إلا أن تذهب

وتنتقي من أعقل صحبك من تشاء

فنحتكم أنا وانت إليهم .

فاذا وجدوا الوثرة في يد منا

سريرة أو جهيرة ، وهبناك ملكنا

وتاجنا وحياتنا وكل ما لدينا

دية لك . وإلا ،

فاقنع بالصبر علينا

نكدحُ سويةً مع نفسك
لنرضيها كما ينبغي .

لرئيس : لا بأس

وهناك اسئلة صارخة تريد من يسمعها
كأنها من السماء تلقى على الارض :
بأي سبب مات ولماذا جرى دفنه سرآ ،
دون سيفٍ أو شارة نصرٍ او شعار نُبلٍ
حيث ثوت عظامه ،
محروماً من الشرف مراسيمه ومن الابهة مظاهرها ؟
ذلك ما علي أن احقق فيه .

الملك : لك ذلك .

وحيثما الإثم ، فلتقع فأس العقاب !
هلمّ معي .
(يخرجون)

المشهد السادس

غرفة في القلعة

يدخل هوراشيو وخدام

هوراشيو : من هم الذين يبغون الحديث اليّ ؟

الخدام : نفر من البحارة ، سيدي . وهم يزعمون انهم جاءوا
برسائل اليك .

هوراشيو : أدخلهم .

لست أدري من أي قطر في العالم
قد تأتيني التحية ، اذا لم تكن من الامير هاملت .
(يدخل البحار)

البحار : السلام عليكم
هوراشيو : وعليكم السلام .
البحار : هذه رسالة لكم ، يا سيدي ، وهي من السفير الذي
كان ميمما شطر انكلترا - ان يكن اسمك
هوراشيو ، كما قيل لي .

هوراشيو (يفض الرسالة ويقرأ) : « هوراشيو ، عندما تطلع على
هذه الرسالة ، هبىء لهؤلاء الرجال سييلاً الى الملك ،
فانهم يحملون اليه رسائل . ما كدنا نقضي يومين في
البحر ، حتى طلع علينا قرصان مزودّ بعدة الحرب
وجدّ في اثنا . فلما وجدنا ان مركبنا بطيء
الشراع ، أكرهنا على الظهور بمظهر البأس والشجاعة .
وفي العراك ، اقتحمت سفينتهم ، واذا هم على الفور
يبتعدون عن مركبنا ، فغدوت وحدي اسيرهم .
ولقد عاملوني معاملة لصوص رُحماء ، غير انهم كانوا
واعين ما يفعلون . أودّ ان أصنع لهم جميلاً . فليتسلم
الملك الكتب التي ارسلتها ، وتعال انت اليّ بسرعة
من يفرّ من الموت . لدي كلمات أسرها في اذنك ،
ولكن ما أخفها بالنسبة الى عيار ما اريد قوله !
وهؤلاء الرجال الطيبون سيققادونك اليّ . أما
روزنكراتز وغلدنسترن فا زالوا في طريقهما الى
انكلترا . وعن كليهما لديّ الكثير أقصه عليك .

وداعاً ، وبقيت لمن يحبك – هاملت . «
تعال معي ، سأمهد السبيل لرسائلك هذه .
أسرع ما استطعت ، لكي تقودني
الى الرجل الذي بعث بها معك .

المشهد السابع

في احدى قاعات القلعة

يدخل الملك ولرتيس

الملك : والآن لا بد لضميرك أن يختم على براءتي
كما ينبغي عليك ان تجعلني في قلبك من الاصدقاء ،
بعد أن سمعت بأذنك العليمة
أن الذي اودى بحياة ابيك النبيل
كرّ في طلب حياتي .

لرتيس : لقد ابّضح ذلك . ولكن قل لي ،
لمّ لم تتخذ إجراء ضد افعال الشر هذه
وملؤها الجريمة وطابعها القتل ،
عندما أثارت فيك اشد السخط ،
كما تقتضي السلامة والحكمة وغير ذلك ؟

الملك : لسببين خاصين ،
قد يبدو انك واهيين بلا عضل ،
ولكنهما في نظري قويان . ان الملكة أمه
تكاد لا تحيا الا بمرآه . وانا –

خيراً كان ذلك عليّ أم وبالاً -
قد ارتبطت بها حياتي وروحي
فصرتُ كالكوكب الذي لا يسبح الا في فلكه
لا يستطيع الحركة الا بها . والدافع الثاني
في عدم جعلي من الامر قضية عامة ،
هو ما تكنّه له الدهماء من حبّ عظيم
فتغمس مساوئه كلها في ودّها له ،
وكالينبوع الذي يقرب الحطب الى حجر *
تحوّل أصفاده الى محاسن . وإذا سهامي ،
وعيدانها أهزل من أن تحرق ريحاً صاخبة كهذه ،
ترتد على قوسيّ ثانية
بدلاً من ان تبلغ الهدف الذي رميته .

لريس : وهكذا فقدتُ أباً نبيلاً
وتطوحتُ أختي في اليائسات من المهاوي
وهي التي ، لو ان للمدح ان يكال لشيء مضى ،
كانت تتحدى الزمان من شاهق
بكماها . ولكن انتقامي آت .
الملك : لا يضطربنّ نومك لذلك . ولا تظننّ
اننا صنعنا من عنصر بليد خامل
فنسمح لأحد بأن يجرّ لحيتنا جرّ الخطر
ونعد ذلك لهواً وتسليّة . لسوف تسمع المزيد عما
قريب .

* كانت في وركنر ، المقاطعة التي نشأ فيها شكسبير ، يتابع قيل إنها
تحوّل الحطب الى حجر .

لقد كنت احب اباك ، ونحن نحب نفسنا ،
فأمل ان يحدو بك ذلك الى ان تتصور -

(يدخل رسول)

ما وراءك؟ ما الخبر؟

الرسول : رسالتان يا مولاي من هاملت .

هذه لجلالتكم ، وهذه للملكة .

الملك : من هاملت؟ من جاء بهما؟

الرسول : قالوا ، جماعة من البحارة . ولكنني لم أرهم .

أعطاني الرسالتين كلوديو ، وهو تسلمهما

من الذي جاء بهما .

الملك : لرتيس . سأسمعك الاثنتين .

[لرسول] اتركنا .

(يخرج الرسول)

[يقرأ] « يا صاحب العزّ والجبروت ، إعلم أنني

وطئت مملكتكم عارياً . وغداً سأستأذن منك ان

أرى عينيك الملكيتين . وعندئذ ، بعد ان استميتك

الصفح والغفران ، سأسرد وقائع عودتي الفجائية

العجبية . هاملت . »

ما معنى هذا؟ هل عاد الآخرون أيضاً؟

أهي خدعة؟ أم ماذا؟

لربس : أتعرف خَطَّه؟

الملك : إنه خط هاملت . « عارياً !

وهنا حاشية يقول فيها : « لوحدي » .

هل من نصيحة؟

لرئيس : إني في حيرة من امره يا مولاي . ولكن ، دعه يأتي .
حتى الداء الذي في قلبي ينتعش ،
لاني سأحيا لأقول له وجهاً لوجه :
« هكذا فعلت ! »

الملك : اذا كان الامر كذلك يا لرئيس -
وكيف يكون كذلك ، بل كيف لا يكون ؟ -
أفتنصاع لي ؟

لرئيس : على ألا تدفعني الى صلحٍ معه .
الملك : بل الى راحة نفسك . فان يكن قد عاد الآن ،
أي ان يكن قد انصرف عن رحلته عازماً
على ألا يقوم بها ، سأغريه
على فعلة انضجتها الآن حيلتي ،
لا مردّ لسقوطه فيها .

ولوته عندئذ لن تتنفس ريحٌ بلوّم ،
بل إن أمه نفسها ستبريء المكيدة
وتعدّها قضاءً وقدراً ،

لرئيس : سأكون أكثر انصياعاً لك
اذا دبّرتها بحيث تجعلني أنا الوسيلة .
الملك : ان ذاك في محله .

فقد دار حولك منذ ان سافرت حديث كثير
على مسمع من هاملت ، بصدد مزية فيك
يقولون انك برزت بها . خصالك كلها
مجموعةً معاً لم تنتزع منه غيرةً
بقدر ما انتزعت تلك المزية - وهي في رأني غيرةً

من أحطّ الدركات .

لرئيس : وما تلك المزية يا مولاي ؟

الملك : مفخرة من مفاخر الشباب ،

وضرورة من ضروراته . فالشباب تليق به

ثيابه المراحة الزاهية بقدر ما

تليق بالشيخوخة الوادعة العباءةُ والحلل

دليلة الوقار وحفظ العافية .

منذ زهاء الشهرين

جاءنا نبيل من نورمندي .

لقد رأيتُ الفرنسيين وقاتلتهم :

انهم فرسان بارعون . غير ان فروسية هذا الرجل

كانت السحر بعينه ، فكنت تخاله ينمو من صهوة الجواد ،

فيحفر حصانه لكل فعل عجيب

كأنه بعضٌ من اوصال جواده الجميل

او نصف من جسده : لقد فاق تصوري ،

وجاء من الحركات والألاعيب

بما يعجز عنه خيالي .

لرئيس : أنورمندي ؟

الملك : نورمندي .

لرئيس : لاموند ولا ريب !

الملك : هو بعينه !

لرئيس : اعرفه تمام المعرفة . انه في الحق درة قومه

وواسطة عقدهم .

الملك : لقد اعترف بك

وروى عن فائق قدرتك
 في الضرب والطعان دفاعاً عن النفس ،
 وأشاد على الاخص بضربة سيفك
 وهتف قائلاً ، لو كان لامرء ان يستطيع نزالك
 لكان ذلك من أروع المشاهد . واقسم ان المبارزين
 من قومه ان انت نازلتهم
 عُدموا الحركة والعينَ والحذر .
 وصفهُ هذا يا سيدي
 سَمَ بدنَ هاملت غيرةً
 فما عاد يستطيع الا ترديدَ أنه
 يرجو ويتمنى عودتك المفاجئة لكيما تنازله .
 فبناءً على هذا -

لرتيس : بناءً على هذا يا مولاي ؟

الملك : لرتيس ، أكان ابوك عزيزاً عليك ؟

أم انك ، كصورة مرسومة للأسي ،
 وجهٌ بلا قلب ؟

لرتيس : لمَ تسأل ذلك ؟

الملك : لا لأنني أشك في حبك لأبيك

بل لأنني أعلم ان الحب يبدأه الزمن ،
 وأرى من الحوادث ادلةً وبراهين على
 ان الزمن ينال من شرر الحب وضرامه :

ففي القلب من لهيب الحب نفسه

ما يشبه الفتيلة للحدِّ من وقده ،

وهل من شيء يظلّ دوماً على حُسنه ؟

فحُسِّن الشيء ، إذ يزيد حتى يفيض ،
يموت من فيضه . ان ما نبغي فعله
يجب فعله عندما نبغي ، لأن « نبغي » هذه تتبدل ،
ويعتورها من النقص والتسويق
بقدر ما هنالك من ألسن وأيدٍ وصُدُفٍ .
وعندها نرى أن « يجب » أشبه بزفرة مضنية *
تروح عن النفس ولكنها تؤذي الجسد . ولكن
لنعد الى رأس العلة :

سيعود هاملت . ما الذي تعهده

لثبت انك ابن ابيك حقاً

بأكثر من الكلام ؟

رئيس : ان اذبحه من نحره في الكنيسة .

الملك : يقيناً ، يجب الا يكون هناك مكان يحرّم فيه القتل .

كما يجب ألا يُجعل للانتقام حدود . ولكن ،
عزيزي لرئيس ،

أرجوك ان تقبع في غرفتك ،

وحالما يعود هاملت سيعلم بمقدمك .

ثم نرسل اليه من يُثني على تفوقك

ويضاعف المدح الذي كاله الفرنسي

لشهرتك ؛ ومجمل القول ، سنجمع بينكما

وزاهن على رأسيكما . ولما كان هاملت لامبالياً ،

كريم الطبع ، لا تعرف نفسه الخلد بعه ،

* كان القدماء يعتقدون ان كل زفرة تكلف المرء نقطة من الدم . ولعل
في قولنا « ذهب نفسه حمرات » شيئاً من هذا الاعتقاد .

فانه لن يدقق النظر في السيفين ! وعندها بكثير
من اليسر

او بشيء من الحيلة ، لك أن تختار
سيفاً غير مفلول ، وبطعنة غادرة
تجعل منه بديلاً لايبك .
: سأفعل ذلك .

لربس

وتحقيقاً لمأربي ؛ سأطلي نصف سيفي .
لقد ابتعت من طيبب مرهماً
زعافاً ، اذا غمست فيه مديّة
فان لا ضمادة في الدنيا (وإن يجتمع فيها
كل عقّارٍ احتوى دواءه في ضوء القمر *)
بمنجية من الموت من يُجرح بها ،
وإن لم يكن الجرح إلا خدشاً طفيفاً . سأصل
رأس سيفي

بهذا الوباء ، فاذا لم أصب منه الاُخفاشة
كان فيها حتفه المحقق .

: لنعمل الفكر في ذلك ،

الملك

ووزن الملائم من الرقت والوسيلة
مما يمدنا بالعون في خطتنا . فاذا كنا سنخفق فيها
ويبين قصدنا خلال فعلتنا الخاسرة
فخير لنا الا نحاول تنفيذها . علينا إذن
ان ندعم هذه الخطة بثانية تصيب الهدف
إذا تفرقت الأولى دون طائل . مهلاً ، لترك -

* كان المتد ان العقابر اذا جمت في ضوء القمر اشتد مفهولها

سنُراهنُ مطمئنينُ على قدرتك ...
آ ، هكذا :

عندما تحميان وتعطشان لشدة الحركة -
زدُ من عنف هجياتك لهذه الغاية ! -
ويطلب ماءً ليُشرب ، سأكون قد هيات له
كأساً خاصةً بذلك: فاذا رشف منها ولو رشفة واحدة،
ان نجا صدفةً من طعتك المسمومة ،
تحقق فيها الغرض .
(تدخل الملكة)

ما وراءك ايتها الملكة العزيزة ؟

الملكة : ويلٌ يقفوا إثر ويل -

تتلاحق الويلات سراعاً ! أختك غرقت يا لرئيس .

لرئيس : غرقت ! أين ، أين ؟

الملكة : هناك صفصافة • مالت بفرعها فوق غدير

يعكس اوراقها البيض في سيله الزجاجي -

هناك ذهب اوفيليا بأكاليل غريبة

من الباننج والملاح والاقحوان والزنبق الارجواني

الذي يدعوه الرعاة بلا حياء باسم غليظ

وتسميه صبايانا البارداتُ « أنامل الموتى » :

فلما راحت تشبث بالشجرة لتعلق تيجان ورودها

على الأغصان المتأرجحات ، غدر بها فننٌ حُسود

وانكسر ،

وإذا هي تهوي مع شاراتها العشبية

* الصفصافة من رموز الهوى البائس والحب الحزين .

الى الغدير الباكي الحزين . فانتشرت ثيابها على الماء
وحملها كعذراء البحر برهة من الزمن
جعلت فيها تغني مقاطع من ألحانٍ قديمة ،
كأنها لا تعي محتتها
او كأنها من أهل الماء قد عودت عليه .
ولكن ما لبثت ثيابها ، بعد أن ثقّلت بشربها ،
ان نزلت بالمسكينة البائسة من آخون أنغامها
الى حتفها في الطين .

لربيس : وألماء ، أغرقتُ اذن ؟

الملكة : غرقتُ ، غرقت .

لربيس : ما أغزر ما أنت فيه من ماء يا أوفيليا ،

فلا تمنع دمعي أنا . ولكن ذلك

دأبنا ، ولن تتنحى الطبيعة عن فطرتها ،

مهما يقل العائبون . وحين تكفّ هذه ،

ستبرز المرأة التي في * . وداعاً يا مولاي .

في في كلام من هيب يود لو يضطرم

لولا ان ضعفي هذا يطفئه . (يخرج باكياً)

الملك : لتتبعه يا غرتود .

بذلت الجهد لتسكين ثأرته ،

وأخشى الآن ان يثيرها هذا من جديد .

فلتتبعه اذن .

(يخرجان)

* لكثرة ما سيكي .

الفصل الخامس

المشهد الاول

ألسينور . في مقبرة في فناء الكنيسة .

يدخل مهرجان (حفاراً قبور) ، ومعهما عدة الحفر .

المهرج الأول: إذا سعت امرأة الى خلاصها بارادتها ، أتدفن دفناً مسيحياً ؟

المهرج الثاني : أقول لك نعم ، ولذلك هلمّ فاحفر قبرها . فقد نظر في أمرها المحقق وقرر لها دفنة مسيحية .

م اول : كيف يكون ذلك، الا اذا كانت قد أغرقت نفسها دفاعاً عن نفسها ؟

م ثان : هذا ما تقرر .

م اول : لا بد أنه دفاع عن النفس ، لا غيره . لأن نقطة

البحث هي هذه : اذا أغرقت نفسي عن قصد، كان

ذلك فعلاً . وللفاعل ثلاثة فروع، هي : الفعل والعمل

والتنفيذ . إذن ، فهي قد اغرقت نفسها عن قصد .

م ثان : ولكن اسمع يا أخانا الحفّار -

م اول : أرجوك ، لحظة . هنا الماء ، تمام ؟ وهنا يقف الرجل ، تمام ؟ فاذا راح الرجل الى هذا الماء وأغرق نفسه فيه ، فهو رائحٌ شاء ام لم يشأ . أتري ؟ أما اذا راح الماء اليه واغرقه ، فهو لم يُغرق نفسه ، اذن ، فالبريء من موته ، لم يقصف عمر نفسه .

م ثان : وهل هذا قانون ؟

م اول : بالطبع . انه « قانون تحقيق الوفيات » .

م ثان : اتريد الصدق ؟ لو لم تكن هذه السيدة من النبيلات ، لما سمح لها بدفنة مسيحية .

م اول : كلامك صحيح . من المؤسف أن لكبراء الناس في هذه الدنيا الحق في أن يُغرقوا أو يشنقوا انفسهم اكثر من اخوانهم في الدين . هلمّي يا مسحاتي . ليس في الدنيا نبيل حسيب الا البستاني وحفار الخنادق وباني القبور . انهم يحافظون على مهنة جدنا آدم .

م ثان : أكان آدم من النبلاء ؟

م اول : كان اول من ملك الارض .

م ثان : ولكنه لم يملك الارض .

م اول : أكافر أنت ؟ كيف تفهم الكتاب المقدس ؟ يقول الكتاب المقدس ان آدم حفر . وهل يحفر من لا يملك الارض ؟ سأسألك سؤالاً آخر ، فاذا لم تعطني الجواب الصحيح ، عليك ان تعترف -

* عند شكيب توريات لا يمكن نقلها ال المريية ، هنا واحدة منها استحضت عنها بهذه العبارة .

- م ثان : طَيَّب ، طَيَّب .
- م اول : من هو الذي اذا بنى كان بناؤه أقوى من البناء والتجار وصانع السفينة ؟
- م ثان : باني المشنقة . لان المشنقة يموت فيها ألف رجل ولا تنهدم .
- م اول : يُعجِبني والله ذكائك . فالمشنقة تحسن الفعل . ولكنها تحسن الفعل لمن ؟ تحسن الفعل لمن يسيء الفعل . وأنت تسيء الفعل بقولك ان المشنقة أقوى بناءً من الكنيسة . إذن ، فالمشنقة قد تحسن الفعل لك ايضاً ! هيّا ، أسألني انت .
- م ثان : من الذي يبني أقوى من البناء والتجار وصانع السفينة ؟
- م اول : قل لي أنت ، وحلّ عني .
- م ثان : سأقول !
- م اول : هيّا .
- م ثان : آ ، والله لا أعرف .

(يدخل هامك وهوراشيو من بيد)

- م اول : لا تكسّر دماغك في البحث . فالحمار البليد لن يحسن السير مهما ضربته بالعصا . اذا سئلت هذا السؤال يوماً ، قل : باني القبور . فالبيوت التي يبنها تدمر حتى القيامة . اذهب الى « يوان » وجثني بزجاجة من الشراب .

(يخرج المهرج الثاني)

(يغني وهو يحفر)

يا غرامي في شبابي
آه ما أحلى غرامي
مُنْتَبِي كَانَتْ وَصَالاً
عَلَّه شَافِ سِقَامِي

هامت : أليس يشعر هذا الرجل بما تصنع يداه ، فيغني وهو
يحفر قبراً؟

موراشيو : كلا . إنما اليد القليلة العمل هي التي يَرَهُفُ حَسْهًا .
المهرج الاول : (يغني وهو يحفر)

راح يومي يا إلهي
دَبَّ شَيْبٌ فِي عِظَامِي
أين وليتَ ، زماني ،
بشبابي وهيامي ؟

(يتناول جمجمة من التراب ويقذف بها)

هامت : كان في تلك الجمجمة يوماً لسانٌ يستطيع الغناء .
انظر كيف يلقي بها ارضاً هذا الوغد ، كأنها فك
قايين ، اول من إقترف القتل . لعلها قحف أحد
الساسة الدهاة يعلوه الآن هذا الحمار - أحد الساسة
الذين يحاولون الكيد حتى لربّ العباد !
موراشيو : محتمل ذلك ، يا مولاي .

هامت : أو لعلها جمجمة احد رجال البلاط التي بوسعها ان
تقول : « السلام عليكم يا سيدي الكريم ، كيف
حالكم يا مولاي العزيز ؟ » وهذه لعلها مولاي فلان

الذي أشاد بمدح حصان مولاي علتان عندما كان
يستجديه حصانه . اليس كذلك ؟

هوراشيو : بلى يا مولاي .

هامك : وهنا الآن جمجمة سيدتي المصون دودة ، وقد سقط
شدها وضربت هامتها بمسحاة دفان . هذه احدى
دورات الفلك الرائعة ، لو كان لنا في رؤيتها حيلة .
ألم تكلف هذه العظام في نشأتها اكثر من ان نعبث
بها بالقدم ؟ ان عظامي لتتوجع في تأمل ذلك .

المرج الاول (ينغي) :

هاتوا مسحاةً وفأساً
كفّثوا الآن حطامي
واحفروا لي في الترابِ
حفرةً فيها سلامي

يقذف (ينف بمجمعة اخرى)

هامك : وهاك اخرى . لم لا تكون تلك جمجمة محام ؟ اين
سفسطته الآن ؟ وتورياته ؟ وقضاياه ؟ وعقوده ؟
وألاعيه ؟ لم يسمح الآن لهذا الجلف الفظ بضربه
على يافوخه برفش قدر ، ولا يهدده برفع دعوى
تهجم واعتداء ؟ لعل صاحبنا هذا كان في زمانه ممن
يشترون الاراضي الفسيحة ، برهونه والتزاماته
واستقطاعاته وكفلائه وتحويلاته . اهذه قطعة
استقطاعاته وتحويلة تحويلاته - ان يمتلىء قحفه
المحترم بتراب محترم ؟ ألن يكفله كفلاؤه في
مشترياته ، وهم يكفلونه زوجاً زوجاً ، بأكثر من

طول وعرض عقدين او ثلاثة؟ لا يكاد هذا
التابوت يتسع لتسجيلات أراضيه . وهل يجوز ألا
يخفى المالك بأكثر من ذلك؟ ها؟

هوراشيو : لا ، حتى ولو شبراً واحداً يا مولاي .

هامك : اليس رق العقود * من جلد الخراف؟

هوراشيو : بلى يا مولاي ، ومن جلد العجول ايضاً .

هامك : كل من ينشد فيها ضماناً فهو من الخراف والعجول .

أريد الحديث مع هذا الرجل ... قبر من هذا
يا سيد؟

المهرج الاول: قبري ، يا سيدي :

واحضروا لي في التراب

حفرةً فيها سلامي .

هامك : انه قبرك ولا ريب . فانت فيه .

م اول : أنت لست راقداً فيه يا سيدي ، فهو لذلك
ليس قبرك .

أما أنا فلا أرقد فيه ، وهو رغم ذلك قبري .

هامك : من هو الرجل الذي تحفره له؟

م اول : لا لرجل احفره يا سيدي .

هامك : اذن من هي المرأة؟

م اول : ولا للمرأة ايضاً .

هامك : من سيدفن فيه؟

م اول : مخلوق كان يوماً امرأة . ولكنها ميتة ، رحمها الله .

* كانت العقود في عمر شكبير تدون على رقوق .

هامك (هوراشيو) : ما أدقّ هذا الرجل ! علينا ان نكلمه بأصبط الالفاظ والا قضي علينا اللبس والابهام .
والله يا هوراشيو لقد لاحظت في السنوات الثلاث الاخيرة ان العصر غدا من الفصاحة بحيث جعل أخص الفلاح يداني عقب النبيل ويرضّ دمامله .
[للهرج] منذ متى صرتّ صانعاً للقبور ؟

م اول : من أيام السنة كلها ، جئت هذه المهنة يوم تغلب ملكنا المرحوم هامك على فرتنبراس .

هامك : وكم من الزمن مرّ على ذلك ؟

م اول : ألا تعرف ؟ ما من أبله الا ويعرف . كان ذلك يوم وُلد الفتى هامك - وهو الذي قد جُنّ وأرسل الى انكلترا .

هامك : اي والله . ولمّ أرسل الى انكلترا ؟

م اول : لأنه مجنون . وهناك سيسترجع عقله . واذا لم يسترجعه ، فلا بأس عليه ايضاً .

هامك : لماذا ؟

م اول : لأنهم هناك لن يروا جنونه فيه ، فكلهم مجانين مثله .

هامك : وكيف جُنّ ؟

م اول : يقولون ، على نحو غريب .

هامك : أي نحو غريب ؟

م اول : بأن فقد عقله .

هامك : في أي ظروف ؟

م اول : هنا في الداغرك . فقد قضيت هنا كدفان ثلاثين سنة ، منذ ان كنت صبياً .

هاملت : كم من الزمن يمر على الانسان وهو دفين قبل ان يفسد؟
م اول : والله اذا لم يكن فاسداً قبل ان يموت - ولدينا هذه
الايام جثث كثيرة تكاد لا تتحمل اوزانها في التراب -
فانه يبقى ثماني او تسع سنوات . فالدباغ مثلاً يبقى
دون فساد تسع سنوات .

هاملت : لم الدباغ دون سواه ؟
م اول : لأن جلده مدبوغ بحرفته ديبغاً يمنع عنه الماء لمدة
طويلة . وصاحبنا الماء مفسد لعين للجسد الميت ابن
الزانية . هذه جمجمة . لقد قضت هذه الجمجمة في
التراب ثلاثاً وعشرين سنة .

هامت : ومن كان صاحبها ؟
م اول : مخبّل ابن زانية ! من تظن ؟
هامت : لست ادري .

م اول : قاتله الله من مخبّل ماكر ! سكب مرةً ابريق خمر
على رأسي ! هذه الجمجمة بعينها يا سيدي ، هذه
الجمجمة بعينها كانت جمجمة «يوريك» ، مضحك الملك .
هامت : هذه ؟

م اول : اي والله هذه .

هامت : دعني أراها . [يتناول الجمجمة] لهفي عليك يا يوريك!
كنت أعرفه يا هوراشيو ، رجلاً لا حد لنكته ،
ولا يُضاهي في براعته . لقد حملني على ظهره الف
مرة ومرة . أما الآن ، حين انخيل ذلك ، فما ابغضه
امراً الى نفسي ! هنا كانت الشفتان اللتان قبلتهما
لست أدري كم مرة . أين لواذعك الآن ؟ وقفزاتك

الفرحة ؟ واغانيك ؟ ولمعات فكاھتك التي كان
يستلقي لها الآكلون على ظهورهم من الضحك ؟ أما
من فكاھة واحدة تسخر الآن من نندرك ؟ اهكذا
سقطت فكك ؟ بربك توجه الآن نحو غرفة سيدتي
وقل لها : لئن تكثفي الصبغ أصبعين ، فما مـاية
وجهك الا هذه . فلتضحك هي من ذلك ! أرجوك ،
يا هوراشيو ، أخبرني .

هوراشيو : بماذا يا مولاي ؟

ھامك : اتعتقد ان الاسكندر آل الى مثل هذا في التراب ؟

هوراشيو : لا ريب .

ھامك : وخبثت رائحته كھذه . أف ! [يضع الجمجة من مده]

هوراشيو : لا ريب يا مولاي .

ھامك : ما احطّ ما قد نؤول اليه يا هوراشيو ! أفلا يجوز

للخيال ان يتعقب اثر الاسكندر وترا به النبيل

الى ان يلقاه سداداً لدنّ ؟

هوراشيو : انه لتأمل غريب تأملك على هذا الشكل .

ھامك : لا ، أبدأ ! فبامكاننا ان نتعقبه الى غايته دون

مبالغة قد تفسد الاحتمال ، هكذا : الاسكندر

مات ، الاسكندر دفن ، الاسكندر عاد الى تراب ،

ومن التراب نصنع الطين ، فلماذا يستبعد ان يسد

بعضهم بذلك الطين (الذي تحوّل الاسكندر اليه)

دناً من دنان الحجر ؟

إن يمت قيصر على رحب سلطانه ليغدو طينة

ربما سدّ جُحراً لصدّ ریحٍ باردة :

ليت التراب ذيباك الذي أُرهب الدنيا كلها
يلأم صدعاً في الجدار لدرء هبّات الشتاء !
ولكن لنخفض الصوت وننزو جانباً . أرى الملك
قادمًا .

[يدخل جماعة يحملون نمشاً ، والملك والملكة ولربس
وبعض افراد الحاشية ، يتبعهم كاهن .]
الملكة ، ورجال البلاط ! ترى من ذا الذي يشيعونه
وبهذه المراسيم المبتورة ؟ ذاك دليل على ان صاحب
الجلهان الذي يشيعونه قد قضى بيده اليائسة على
حياته . وقد كان على شيء من سموّ المنزلة .
لنختبىء هنا لحظتين ونراقب القوم . [ينسحبان]

لربس (للكاهن) : وماذا بعد من مراسيم ؟
هامك : ذاك لربس ، وهو فتى عظيم النبيل . انظر .
لربس : وماذا بعد من مراسيم ؟
الكاهن : لقد توسّعنا بجزائرها
على قدر ما يُسمح به . كان موتها موضع شك
ولولا ان امر جلالة يطاول سنة الكنيسة
لتحتم إثواؤها في ارض غير مقدسة
الى ان يُنفخ في الصور . وعوضاً عن صلاة الرحمة
لوجب ان نهيل عليها الصوان والحصى والجرار المحطمه .
ومع ذلك فهى قد أذن لها بأ كليلها العذريه
ونثار زهور الصبايا ، والحجبيء بها
لمثواها ودفنها .

لربس : أما من مزيد من الطقوس ؟
الكاهن : كلا . إن نرتل لها ترتيلة الراحة الابديه

التي ترتل للراجلين في سلام ،
ندنس صلاة الموتى .

رئيس : أنزلوها الى القبر ،

ولينم البنفسج من جسدها الطاهر الجميل .
قسا أيها الكاهن الغليظ ، إن اختي
ملاكاً في السماء ستمسي

يوم تعول أنت وتولول في الجحيم !

هامك : ماذا ؟ أوفيليا الجميلة ؟

الملكة (وهي تنثر الزهور على نيش اوفيليا) : الشذا للشذي . وداعاً !

أملت أن تصبحي زوجة لابني هامك ، ،

وظننت انني فراش زفافك سآزين ، يا أحلى العذارى ،

لا على قبرك أنثر الزهور .

رئيس : ألا حلت الويلات مثلثة ،

بل عشر مرات مثلثة ، على ذلك الرأس اللعين

الذي بفعلته النكراء ضيغ منك

الرشاد والعقل ! لا تهيلوا التراب لحظة

رئياً أحتويها مرة اخرى بين ذراعي .

(يقفز الى القبر)

كوتوما الآن التراب على الحي والميت معاً ،

أو تجعلوا من السهل هذا جبلاً

يطاول قمة « بليون » . أو هام الأولب . الازرق

* بليون ، من جبال تساليا في اليونان ، كان يملوه في العصور القديمة
هيكل لزنس ، وعلى سفوحه غابة مكرسة له . والأولب سلسلة من الجبال
تفصل بين تساليا ومقدونيا . لعلو الأولب كانت قمه ، في اساطير الاغريق ،
تعد مسكن الآلهة .

الناطح سحب السماء !

هامك (متقدماً ورائحاً) : من ذا الذي استبدت به
آلامه استبداداً كهذا ، وراحت أقوال حزنه
تستحلف الكواكب السيارة أن اسمعي ، فتوقفت
كمصغيات مجرّحات بالعجب ؟ ها أنذا
هاملت الدانمركي !

(يقفز هامك الى القبر وراء لرئيس)

لرئيس : أخذ الشيطان روحك !

هامك : دعاؤك ليس بخير .

ارجوك ان ترفع اصابعك عن حنجرتي .
سيدي ، قد لا اكون غضوباً طائشاً
غير أن فيّ مكان من ملؤها الخطر
كُن حكيماً واخشتها . ارفع يدك !

الملك : فرّقوا بينهما .

الملكة : هاملت ، هاملت .

الجميع : ايها السيدان -

هوراشيو : هدىء الروح ، مولاي الكريم .

(يباعد الحاضرون بينها ، ثم يخرجان من القبر)

هامك : والله لأصارعنه بهذا الشأن

حتى تعجز عن الرفّ مقلّتي !

الملكة : واولداه ! أي شأن تعني ؟

هامك : لقد احببتُ اوفيليا . اربعون الف أخ

بمجموع حبهم لن يساواوا

مقدار حبي أنا ، ما الذي تريد فعله من أجلها ؟

الملك : انه مجنون يا لرتيس !

الملكة : بربكم أبعده !

هامك : هياً أرنى ما الذي تريد فعله .

أبُكاءٌ تريد ؟ أقتالاً ؟ أصوماً ؟ أمزيقاً لنفسك ؟

أخلاً ستجرعُ ؟ أمساحاً ستأكل ؟

سأفعل ذلك ! هل أتيت هنا لثنّ وتأوّه ؟

لتزّتي بالقفز الى قبرها ؟

لتُدفن حياً معها ؟ سأفعل ذلك ايضاً !

ولئن كنت تهذر عن الجبال ، فليُهيلوا

ملايين الفدادين علينا ، حتى اذا ما اشتعلت

الهامة من أرضنا في مدار اللهب

بأنّ وأصاه • كالخال إزاءها . واذا اردت التشدّق

فانني أتشدّق مثلك !

الملكة : إنها ساعة جنون ، لا اكثر .

تفعل النوبة مدةً فيه فعلها ،

ثم يهدأ كالحمامة حين تفقس فرختاه
وسرعان ما يهدأ كالحمامة
حين تفقس فرختها بلون الذهب
ويستقرّ به صمته وسكونه .

هامك : اسمع يا سيدي .

ما السبب في موقفك هذا مني ؟

كنت دوماً أحبك . ولكن لا بأس .

حتى هرقلُ ، مهما أتى من خوارق ،

« جبل آخر في ناليا . في اساطير الاغريق ان العالقة عند محاربتهم
الآلهة ارادوا التسلق الى السماء بتركيب « أما » على « بليون » .

مأمت القطة له، وأصرّ الكلب على النباح طوال يومه!

(يخرج هامك)

الملك : أرجوك يا هوراشيو أن ترافقه .

(يخرج هوراشيو)

[ال لرئيس] مزيداً من الصبر على حديثنا البارحة :
سندفع بالأمر الى التنفيذ فوراً .

غرتروود عزيزتي ، ضعي على ابنك بعض الحراسة .

سأجعل لهذا الضريح نصيباً حياً خالداً .

قريباً سنرى ساعة من الطمأنينة .

فحتى ذلك الحين ليكن سيرنا صبراً وأناة .

(يخرجون)

المشهد الثاني

في إحدى ردهات القلعة

يدخل هامك وهوراشيو

هامك : حسبي ما قلتُ عن هذا يا سيدي . أما القضية
الآخري -

اتذكر الظروف كلها ؟

هوراشيو : أذكر الظروف يا مولاي ؟

هامك : نشب في قلبي صراع ، يا سيدي ،

لم يُتِح لي لإغماضة جفن . لقد خيل إليّ
أنني أسوأ حالاً من عصاة مكبلين بالحديد .

وطيشاً مني -

نحمد الله على الطيش من أجل ذلك ، ولنعلم
ان الزرق أحياناً يُبزل لنا الفائدة
إذ تخفق خططنا العميقة ، فنذكر بذلك
ان ثمة ألوهة تصوغ لنا غاياتنا
مهما عَشَوْنَا نحن في نحتها -

هوراشيو : لا ريب في ذلك .

هامك : نهضت من قَرَاتي ،

مدرراً بثوبي البحري في الظلام
وخبطت خبطاً في بحئي عنهما ، فعثرت على بغيتي ،
واختلست طردهما ، وأخيراً انسجبت الى
غرفتي من جديد ، واجترأتُ
(وقد تَسَيَّتُ مخاوفي الادب) على فضّ
تفويضها للجليل ، واذا بي أرى ، يا هوراشيو -
يا للنذالة الملكية ! - أمراً صريحاً
حَشَوهُ انواع شتى من الاسباب والعلل ،
تدور حول صحة ملك الدانمرك ، وملك انكلترا ،
مع الوعيد بالمرّدة والغيلان إن انا بقيت حياً
قائلاً ألا أمهل فور قراءة الرسالة
ولو ريثما تُحدُّ الفأس ،
بل يضرب عنقي في الحال .

هوراشيو : أمممكن ذلك ؟

هامك : هذا هو التفويض . اقرأه عندما يتسع لك الوقت .
ولكن أتريد ان تسمع ماذا فعلت ؟

هوراشيو : أرجوك .

هامك : حين وجدت الاندال يحيطون بي إحاطة الشبكة

وقبل أن أمهد لذهني بمقدمة ،

كان قد شرع بمسرحيته . فجلست

ولفقت تفويضاً جديداً ، وتأنقت بكتابته :

كنت أرى فيما مضى كأصحابنا رجال السياسة ،

أن من الحطة ان يتأنق المرء في الخط ، وأبذل الجهد

لنسيان ما تعلمت ، غير أن خطي ، هذه المرة ،

أسعفني خير إسعاف . أتريد ان تعلم

خلاصة ما كتبت ؟

هوراشيو : أجل ، يا مولاي الكريم .

هامك : رجاءٌ حاراً من الملك ،

حيث أن ملك انكلترا من مواليه المخلصين ،

وحيث ان الحب قائم بينهما ، وحيث أن غصن

الزيتون يجب ان يزدهر ،

وحيث أن السلم يجب أن يتكلل دوماً بأكاليل

من السنابل

وتبقى صلة وصل بين مودتيهما ،

وغير ذلك من «الحديثات» المشحونة بالمعاني الكبار ،

فعليه عند الاطلاع على هذه المحتويات

دون أي مماطلة او تأجيل

أن يعدم في الحال حاملي هذا الكتاب

ولا يسمح لها بوقت للاعتراف .

هوراشيو : وكيف ختمته ؟

هامك : حتى في ذلك أعانتني مقادير السماء :
فقد كنت أحمل خاتم أبي في كيسي ،
وهو نسخة عن ذلك الختم الدائري .
فظويت الكتاب على نحو الكتاب الاول ،
ووقعته ، وختمته ، ووضعته في مكانه سالماً
ولم يكتشف احدٌ البديل . وأتفق في اليوم التالي
ان وقعت الواقعة البحرية ، وما جرى بعد ذلك
تعرفه أنت .

هوراشيو : اذن فان غلدنسترن وروزنكرانتز قد أكلاها ؟
هامك : يا رجل ، كانا والله يتعشقان هذه المهمة ،
فليس بينهما وبين ضميري أيةُ قرىبي ، وما عاقبتهما
الوخيمة هذه

إلا لأنهما اقحما نفسيهما في الأمر إقحاماً .
من الخطر على ذي الطبيعة الرخيصة ان يضع نفسه
بين الطعنات من نصلين مغضبين عاتين
في يدي غريمين جبّارين .

هوراشيو : أي ملك هذا !

هامك : أما تظن ان الأمر قد تحتم عليّ ؟
هذا الذي قتل ملكي ، ومومس أمي ،
وانتصب حائلاً بين العرش وبين آمالي ،
وألقى بصنارته يطلب حياتي نفسها -
وبأي مكر وخديعة ! - أفلا يتفق ونقاء الضمير
أن اودي به بذراعي هذه ؟ أو لا اكون لعيناً
إن أنا سمحت لهذه السوسة الناخرة في طبيعتنا

بتحقيق شر جديد ؟

راشيو : لا ريب ان ملك انكلترا سيُعلمه عما قريب
بنتيجة ما جرى هناك .

ملك : لن يطول الأمر : وهذه الفترة لي ،
وما عمر الانسان باطول من ان نة ا : « واحد » .
بيد أنني شديد الأسف ، يا عزيزي هوراشيو ،
على انني مع لرئيس نسيتُ نفسي .
لانني في انعكاس قضيتي ارى
صورته . سأخطب وده .
ولكن التفاخر بجزئه دفع بي
الى نزوة عملاقية من الغضب .
هوراشيو : لحظة . من القادم هنا ؟
(يدخل اوسرك *)

اوسرك [يخلع قبته وينحن] : اهلاً ومرحباً بسموكم وقد عدتم
الى الدائمرك .

هامك : انني بكل تواضع اشكر لك لطفك . [جانباً
لهوراشيو] أتعرف ذبابة الماء هذه ؟
هوراشيو : كلا يا مولاي .

هامك : اذن فقد أنعم الله عليك ، لأن معرفة هذا الرجل
رذيلة . انه صاحب اراض شاسعة ، وكلها خصبة
ممرعة . أينا وُجد حيوان هو سيد الحيوانات رأيت

* في شخص اوسرك يتهم شكسبير على بعض رجال بلاط الملكة اليزابث .
فأوسرك يتكلم بتكلم وتصنع معرف بها افراد حاشية القصر ، لاسيما
السيدات منهم .

معلفه على مائدة الملك . انه غراب ، ولكنه كما
قلت ، يملك الشواسع من القذارة .

اوسرك : مولاي الكريم ، ان كان في صداقتكم متسع ،
اطلعتكم على أمر أناطه بي صاحب الجلالة .
هامك : وإني لاتقبله بكل جد وعزم . أعد قبعتك الى ما
صنعت له . انها للرأس * .

اوسرك : شكراً يا صاحب السمو . ولكن الطقس حار .

هامك : بل صدقتي ، انه بارد جداً . فالريح شمالية .

اوسرك : يقيناً يا مولاي انه بارد بعض الشيء .

هامك : يخيل إلي أنه لاهب جداً ، أم ان حالتي البدنية -

اوسرك : جداً يا مولاي . انه لاهب جداً ، كأنه - لا

استطيع وصفه ! ولكن صاحب الجلالة يا مولاي
قد أمرني ان احيطكم علماً بأنه قد رهن على رأسكم
رهاناً بالغاً . اليكم القضية -

هامك : بربك تذكر - [يحاول ان يحمله يلبس قبته] .

اوسرك : لا ، بالله عليكم ، ولو من أجل راحتي . - سيدي ،

في الآونة الاخيرة جاءنا الى البلاط لرئيس . انه

والحق يقال سيد اصاب من الشهامة غايتها ، وما ديدنه

ألاً أسمي المزايا . وهو ، عافاكم الله لطيف المعتر ،

فائق المظهر . بل انه ، اذا قلنا فيه قولة الحس

والانصاف ، دقت "لآداب السادة وصفاتهم . وإنكم

فيه لواجدون المحتوى الكامل لكل ما يود النبيل

* كانت آداب البلاط تقتضي ان يقف الادبي منزلة حاسر الرأس امام
من يملوه منزلة . ولذا يرتبك اوسرك .

الاعتداء به .

هامك : سيدي ، ان نعتك اياه لا يعاني فيك نقصاً او ضياعاً ، ولو أنني أعلم اننا لو أردنا تفصيله تعداداً لَدَاخت الذاكرة في حسابه وترنحت لسرعة اقلاعه . ولكنني مصداقاً لمدحه واكباره اقول انه امرؤ عظيم القدر ، يموج بسجايا العز والندرة بحيث ، اذا أردنا صحة الوصف ، لن نجد مثيله الا في مرآته ، وكل من يبغي الاعتداء به ليس الاً ظلاً باهتاً من ظلاله * .

اوسرك : احسنت الوصف يا صاحب السمو !

هامك : وشاهد القول يا سيدي ؟ لمَ نحيط صديقنا النبيل بانفاسنا الفجة ؟

اوسرك : سيدي ؟ —

هوراشيو : أتعجز عن الفهم بلسان آخر ؟ سيدي ، لاشك ان ذلك لن يستعصي عليك .

هامك : وما المقصود من ذكر هذا النبيل ؟

اوسرك : أتعني لرئيس ؟

هوراشيو (جانباً لهامك) : لقد فرغ كيسه وانفق ألفاظه الذهبية كلها .

هامك : اياه أعني يا سيدي .

اوسرك : أنا أعلم أنك لا تجهل —

هامك : لبتك تعلم ، يا سيدي ، ولكن وأن تكن تعلم ، فلن

* هامك هنا ، بالطبع ، يقلد اوسرك في تنطه ويسخر من اسلوبه ، ويكاد يفهم اوسرك .

- يهمني ذلك والله في كثير او قليل .
- اوسرك : انك لا تجهل تفوق لرئيس -
- هامك : لا اجرؤ على الاعتراف بذلك ، لثلا اقرآن به تفوقاً .
اذا أجاد المرء معرفة غيره فقد عرف نفسه .
- اوسرك : اعني بالسلاح يا سيدي . ومما يعزى اليه ، أنه
لا صنوله في تفوقه .
- هامك : وما سلاحه ؟
- اوسرك : السيف والخنجر .
- هامك : ذانك اثنان من اسلحته . ولكن ، حسناً .
- اوسرك : لقد راهنه الملك على ستة من خيل البربر ، مقابل
(على مافهمت) ستة سيوف وخناجر فرنسية مع
ملحقاتها ، كالنطاق والستير وغير ذلك . والحق ان
ثلاثة من هذه الحماثل لطيفة الصورة، سريعة الاستجابة
للمقابض . انها حائل منمنمة، سخية التمتع والتطريز .
- هامك : وما هي هذه التي تسميها بالحماثل ؟
- هوراشيو (جاباً لهامك) : كنت اعرف انك ستستنير بالشرح
قبل ان تنتهي .
- اوسرك : الحماثل يا سيدي هي السيور .
- هامك : لكانت اللفظة أدنى صلة بمدلولها لو استطعنا حمل
المدافع على جوانبنا . فأرجو ان نقول «سيور» حتى
ذلك الحين . وبعد ؟ ستة خيول بربرية مقابل ستة
سيوف فرنسية مع ملحقاتها وثلاث حماثل سخية
التنميق : ذلك هو الرهان الفرنسي مقابل الرهان
الدايمركي . وما الداعي الى هذه المقامرة ؟
- اوسرك : لقد راهن الملك على ان لرئيس في اثني عشرة جولة

بينك وبينه لن يفوقك بأكثر من ثلاث إصابات .
فاشترط اثنتي عشرة إصابة مقابل تسع إصابات . * *
وهو يأمل ان تقام المباراة في الحال ، اذا تكرمتم
سموكم بالجواب .

هامك : واذا كان جوابي « كلا » ؟

اوسرك : اعني يا مولاي نزولكم الى المباراة .

هامك : سيدي ، سأتمشى هنا في القاعة ، إن يأذن لي جلالته ،
فهذه الفترة من النهار عندي فترة الرياضة . فليأتوا
بالسيوف ، فاذا كان السيد مستعداً والملك متمسكاً
بما يريد ، سأكسب له المباراة اذا استطعت . واذا
خسرت ، فلن اكسب الا العار ، وعدداً من
الاصابات .

اوسرك : أقول ذلك عنك ؟

هامك : قل ما معناه ذلك ، بالخذلقة التي يشاؤها طبعك .

اوسرك : أرفع ولائي لسموكم .

هامك : ولكم . [يخرج اوسرك] انه يحسن فعلاً برفع ولائه
بنفسه ، اذ لن ينطق عنه لسان آخر .

هوراشيو : هذا الفرخ ينطلق راكضاً وقشرة البيضة ما زالت
على رأسه !

* يبدو ان المباراة تألف من اثنتي عشرة « جولة » ، والجولة تحدها
« الاصابة » الاولى . ويراهن الملك على هامك ، بأن لرئيس لن يفله بأكثر
من ثلاث اصابات . فتبدأ المباراة وقد حسب لها ملك مسبقاً ثلاث اصابات ازاء
هريمه . ولو كان اوسرك اقل سخفاً في كلامه لسال ان الرهان هو بنسبة
١٢ إصابة للرئيس مقابل ٩ لهامك .
* * الذي « اشترط » هو لرئيس .

هامك : لا ريب أنه تمسك بالآداب إزاء ثدي أمه قبل ان
يرضع منه! انه وأمثاله من هذا الفصيل، ممن يعشقهم
زمن الحثالات هذا، لم يكتسبوا الا نبرة العصر
ومظاهر اللقاء والتحية، وهي أشبه بعادات يغشوها
الزبد والفقاقيع، تُقلع بهم خلال كل رأي ذرته
الريح وسفّه العقل. ولكن ما ان تنفخ عليهم
لتمتحنهم حتى ترى فقاقيعهم تطير وتلاشى .
(يدحل نبيل)

النبيل : مولاي، لقد بعث جلالته اليكم برسالة مع الفتى
اوسرك، فعاد ليقول انكم تنتظرونه في القاعة .
وهو يبعث الآن اليكم ليسأل أما زلتم تودون منزلة
لرئيس ام تؤثرون التريث؟

هامك : انني مقيم على ما نويت . وما نويت يتفق ومشينة
الملك . فان يكن على أهبة ، فاني لكذلك، الآن
او في اي وقت آخر، شريطة أن اكون معافي
كما أنا الآن .

النبيل : الملك ، والملكة ، وكلهم ، نازلون في طريقهم اليكم .

هامك : اهلاً وسهلاً .

النبيل : والملكة ترجوك ان تقول للرئيس قولاً لطيفاً قبل
البدء باللعب .

هامك : انها تحسن النصح .

(يخرج النبيل)

هوراشيو : مولاي ، ستخسر هذا الرهان .

هامك : لا أظن ذلك . منذ أن ذهب إلى فرنسا وأنا في .

مران مستمر . سأكسب بما سيُحسب لي مسبقاً .
الا انك لن تعرف مبلغ الالم الذي هنا ، حول
قلبي . ولكن لا عليك .

موراشيو : مولاي العزيز !

هامك : مزاحٌ ، ليس الا . بيد أنه ضرب من التوجس قد
يقلق امرأة .

موراشيو : اذا أعرضتُ نفسك عن شيءٍ أطيئها . سأوقف
مجيئهم الى هنا ، واقول لهم انك متوَعك الصحة .

هامك : لا ، قطعاً . اننا نتحدى العيرافة . حتى في سقطة
السنونو حكمة إلهية خاصة . فان حدثت الآن ،
فهي ما كانت لتحدث في الغد ، واذا لم تكن لتحدث
في الغد ، فهي حادثة الآن ، واذا لم تكن الآن ،
فهي حادثة في الغد . الأهبة هي الكل ، وما من
انسان يملك شيئاً مما يخلفه . وماذا لو رحنا مبكرين ؟

(يدخل حَمَلَةٌ ابواق وطبول ، ورجل يحمل وسادة
مخملية ، والملك والملكة ورجال الدولة ، وخدم يحملون
سيوفاً وخناجر ، ولرئيس وأوسرك . تنهياً مائدة توضع عليها
أباريق خمر .)

الملك : تعال يا هامك تعال ، وخذ هذه اليد مني .

(يضع الملك يد لرئيس في يد هامك)

هامك : صَفْحَكَ يا سيدي ! لقد أسأت اليك ،

فاصفح انك الرجل النبيل .

هذا الحفل يعلم ،

وانت لا شك سمعت ، كيف انني ابتليت

بمخاطبة في العقل أليمة . فان كنت فعلت
ما قد يستفز فيك الطبيعة والشرف والإباء ،
فها أنا على رؤوس الأشهاد أعلن انه كان الجنون .
أهاملت هو الذي اساء الى لرتيس ؟ ابدأ لم يكن
ذاك هاملت .

فاذا أخرج هاملت عن نفسه
ثم اساء ، وهو ليس نفسه ، الى لرتيس ،
فليس بهاملت من يأتي الاساءة، وها هاملت ينكرها .
من الذي يأتيها اذن ؟ جنونه . واذا كان الأمر
كذلك

فان هاملت هو الطرف المساء اليه ،
وما عدو هاملت المسكين الا جنونه .
سيدي ، امام هذا الجمع ،
دع تبرؤي من اي شرٍّ مُبَيَّتٍ مقصود
بُنصِّعَ صفحتي في الكريم من خواطرك ،
كأنني رميتُ سهمي عبر الدار
فجرحتُ أخي .

لرتيس : لقد رضيت ، مع ان حافز الطبيعة
في هذه القضية يدفعني الى طلب الثأر
أعنفَ الدفع . غير أنني بنصوص الشرف
أقف منك على بعد ، ولن اقبل صلحاً
حتى يؤكد لي شيوخ القوم ممن عرفوا بالشرف ،
وقياساً على سوابق معروفة في الصلح ،
ان اسمي سيبقى سليماً من كل تجريح .

- ولكنني حتى ذلك الحين
 اتقبل ما عرضتَ من حُبّ كحُبّ
 ولن اسيء اليه .
- هامك : وأنا أعانق ذلك منك ،
 وألعب هذا الرهان الأخوي بطيبة خاطر .
 هلموا . أعطونا السيوف .
- لريس : هيّا ، سيفاً لي .
- هامك : سأكون الضدّ لك يا لريس ، ولجهلي
 ستتهجج براعتك لمزائي نارية
 كالكواكب في الليل البهيم .
- لريس : انك تهزأ مني يا سيدي .
- هامك : لا وحق هذه اليد !
- الملك : ناوهم السيوف يا اوسرك . يا ابن اخي هامك ،
 عرفتَ الرهان ؟
- هامك : خيرَ معرفة يا مولاي
 لقد راهنتم جلالتم على أضعف الاثنين .
- الملك : لست أخشى ذلك . فقد رأيت كليكما .
 ولكنه اذ تحسّن ، حسبنا لك مقدماً .
- لريس (يروز سيفاً) : هذا ثقيل . أعطني آخر .
- هامك : هذا جيد . هل هذه السيوف كلها من طول واحد ؟
 (يستمدان للبارزة)
- اوسرك : نعم يا مولاي .
- الملك : اجعلوا كؤوس الخمر على تلك المائدة .
 اذا اصاب هامك الاصابة الاولى ، او الثانية ،

او تعادل في الردّ في الجولة الثالثة ،
 فلتطلق الابراج كلها نيران مدافعها ،
 ولسوف يشرب الملك نخب هاملت
 ويسقط في الكأس جوهرة
 أتمن من تلك التي لبسها في تاج الدانمرك
 أربعة ملوك متعاقبين . أعطني الكؤوس ،
 ولينطق الطبلُ للأبواق
 والابواق للمدفعيين في الخارج ،
 والمدافعُ للسماء ، والسماءُ للأرض :
 « ها هو الملك يشرب نخب هاملت ! هلمّا ابدأ ،
 واتم أيها المحكّمون ، اعملوا عينَ اليَقظة !
 (أبواق)

هاملت : هيا ، يا سيدي .

لرئيس : هيا ، يا مولاي .

(يتبارزان)

هاملت : واحدة !

لرئيس : كلا !

هاملت : رأي الحَكَم ؟

اوسرك : اصابة ، اصابة واضحة جداً !

لرئيس : طيب من جديد .

الملك : انتظرا ! اعطني خراً . هاملت ، هذه اللؤلؤة لك !

[يلفظ لؤلؤة مسمومة في الكأس التي سيقدمها لها]

* اي اذا ردّ على لرئيس ، في الجولة الثالثة ، أية اصابة قد يكون
 اصابها غريمه في الجولتين الاوليين .

لنشرب نخبك ! أعطه الكأس .

(طبل ، وأبواق ، ودويّ مدفع)

هامك : سألعب هذه الجولة أولاً . اليكم عنيّ بالخر لحظة .
هياً ! [يبنارزان] اصابة أخرى ! ماذا تقول ؟

لرتيس : لمسة ، لمسة ، اني اعترف .

الملك : ابنتا سيكسب !

الملكة : إنه يعرق ، مبهور النفس . .

هاك منديلي يا هاملت ، وامسح جبينك .

وها هي الملكة تعبّ الخمر تيمناً !

(تتناول كأساً)

هامك : سيدتي الكريمة !

الملك : غرتروود ، لا تشربي !

الملكة : سأشرب يا مولاي . أرجو عفوك . [تشر]

الملك [جانباً] : انها الكأس المسمومة . فات الاوان !

هامك : لا أجرؤ على الشرب الآن . بعد قليل .

الملكة : تعال دعني امسح وجهك .

لرتيس : مولاي ، سأصبيه الآن .

الملك : لا اظن .

لرتيس [جانباً] : ولكن يكاد يكون ذلك رغماً عن ضميري .

هامك : هياً إلى الثالثة يا لرتيس . إنك تعابث .

ارجوك ان تطعن بأمهر عنفك .

* يعتقد أن المراد بهذه الصفة هو الإشارة الى ريتشارد بيويج ، المشغل العظيم الذي مثل دور هامك أيام شكسبير . أو هل يمكن لمن كان في مزاج هامك ان يكون بديناً ؟

- اخشى انك انما تداعبني .
- لريس : أذلك ، قولك ؟ تفضل (يتبارزان)
- اوسرك : لا شيء لكليكما .
- لريس : خلها الآن !
- (لريس يجرح هامك ، ثم يتاركان ويقادلان السيدين ،
فيجرح هامك لريس .)
- الملك : فرقوا بينهما . لقد غضبا !
- هامك : لا بل هيتا ، مرة اخرى .
- (يقع لريس ، وتقع الملكة وهي تحضر)
- اوسرك : اعتنوا بالملكة يا قوم !
- هوراشيو : انهما ينزفان من على الجانبين . كيف أنت يا مولاي؟
- اوسرك : كيف انت يا لرتيس ؟
- لريس : كعصفور وقعت في شركي ، يا اوسرك .
لقد قُتلتُ عدلاً بغدري .
- هامك : كيف الملكة ؟
- الملك : اغمي عليها لرؤية التزيف .
- الملكة : لا ، لا . الشراب ، الشراب . أوّاه حبيبي هامك -
الشراب ، الشراب ! سمّوني !
- (تموت الملكة)
- هامك : يا للنذالة ! آ ! أوصدوا الباب !
غدر ، غدر ! ابجثوا عنه !
- لريس : انه هنا يا هامك . في قبضة المنية انت ،
ولن يسعفك في الدنيا دواء .
لم يبق فيك نصف ساعة من الحياة .

- وسلاح الغدر في قبضتك أنت ،
 مسمومٌ غيرُ مفلول . عليّ دارت
 الخديعة النكراء . انظر ، ههنا رقدتُ ،
 ولن أقوم ثانية ، وأمكُ سُمّت .
 لا استطيع أكثر ... الملك ... الملك ... هو الملولم .
- هامك : والنصل مسموم أيضاً !
 اذن عليك به يا سم ! (يطن الملك)
- الجميع : خيانة ، خيانة !
 الملك : دفاعاً عني يا صحب ، ما أنا الا جريح .
 هامك : هاك أيها الداغركي السفاك ، الزاني ، اللعين ،
 اجرع هذه الكأس . أجوهرتك هنا ؟ (يغم بقايا الكأس
 في فم الملك) إلحق بأمي !
 (يموت الملك)
- لريس : عقاب عادل .
 انه سمٌ هياه بنفسه .
 بادلني الصفح والمغفرة ، يا نبيل القلب ، يا هاملت .
 لا كان دمي على رأسك ولا دم أبي ،
 ولا كان على رأسي دمك . (يموت)
- هامت : غفرته لك السماء ! سأتبعك .
 لقدمتُ يا هوراشيو . وداعاً أيتها الملكة الشقية .
 وانتم يا من شحبت وجوهكم ورجفتم لما حدث ،
 انتم المشاهدون ، المثلون الصامتون في فصلنا هذا :
 لو اتسع لي الوقت (فهذا الموتُ شرطيّ قاس
 دقيق التنفيذ في إلقاء قبضه) لرويتُ لكم -

وليكن هوراشيو ، لقد مت^٤
وستحيا : حدث بالحق عني وعن قضيتي
كل من شك ولم يقتنع .

هوراشيو : لا وربك !

انني من قدامى الرومان • اكثر مني دأمر كياً .
في هذه الكأس بقية بعد .

هامك : يميناً برجولتك

اعطني الكأس . أفلتها ! والله لآخذنها .
آه يا هوراشيو الكريم ، مجرداً حياً سيظل اسمي بعدي
ان بقيت الامور هكذا مجهولة .
فان كنت احتويتني يوماً في قلبك
غيب النفس عن هناءتها زمناً ،
وفي عالم الجور هذا استل انفاسك الما
لتروي قصتي .

(صوت خطوات عن بعد . ودوي قذيفة من الداخل)

ما ضوضاء الحرب هذه ؟

(يدخل اوسرك)

اوسرك : هذا فرتنبراس القتي ، وقد عاد مظفراً من بولندا ،
يطلق القذائف الحربية نحية
لسفراء انكلترا .

هامك : اني أموت يا هوراشيو .

والسم الزعاف يعلو على النفس مني بصياحه ،

* كان النبلاء الرومان ، اذا وشكوا على الوقوع اسرى ، يؤثرون
الاتحار .

فلن أعيش لأسمع الانباء من انكلترا .
غير اني اتنبأ ان خلافة العرش ستستقر
على فرنتبراس ، وانا اهبه صوتي المحتضرم ،
فارو له عما جرى ، عن الكبيرة والصغيرة ،
ليعرف دوافعي ... والبقية صمت وسكون .
(يموت)

هوراشيو : ها هو ذا قلب كبير قد تصدع ! طاب مساؤك يا
اميري الحبيب ،
وحملتك الى راحتك الابدية اسراب من ملائكة
يرتلون !
ما الذي يدنو بهذا الطبل منا ؟ (خطوات في الداخل)
(يدخل فرنتبراس ، وسفراء انكليز ، ومعهم جنود
ومرافقون ، وألوية واعلام)

فرنتبراس : اين هذا المشهد ؟

هوراشيو : ما الذي تروم مشاهدته ؟
أويلاً وعَجَباً عَجاباً ؟ كُفَّ عن بحثك اذن .

فرنتبراس : انه الصيد يصرخ بالقتل والدمار !
ايها الموت المصعّر الخلد كبراً ،
اي وليمة ستولم في حجرتك السرمدية
حتى اصبت برمية واحدة ، هذا العديد من الامراء
وسفكت هذا الدم كله ؟

السير الاول: ما افظع المشهد !

وأمرنا وصلت من انكلترا متأخرة ،
والاذن التي يجب ان تصفي الينا فقدت حسها .

لقد جئنا لنخبره بأننا صدعنا لأمره
وان روزنكرانتز وغلدنسترن هما الآن في عداد
الموتى .

من يشكر لنا ما فعلنا ؟

هوراشيو : لا شفتاه ،

لو أن فيهما قدرة الحياة على الشكر لكما .
فهو لم يصدر قط امرأ بموتها .
غير أنكم اذ قدمتم وهذه المقتلة الرهيبه بين ايدينا —
انتم من حروبكم البولندية ، وانتم من بلاد الانكليز —
اصدروا الأمر بوضع هذه الاجساد
على منصة رفيعة أمام اعين الملأ
ودعوني احداث العالم الذي ما زال في جهله
كيف وقعت الاحداث هذه . ولتسمعون عندئذ
عن أفعال ملؤها الفجور والقتل والشذوذ ،
عن احكام هي وليدة الصدف ، ومجازر عفوية ،
وجرائم قتل بالحيلة ومفتعل الحجج ،
وفي العقبى أغراض أسوء فهمها ،
حلت برؤوس مبتكريها . كل هذا بوسعي
أن اروى حقيقته .

فرتيراس : فلنسرع الى سماعه

وندعُ أشراف القوم للاصغاء اليه .
أما أنا ، فانني بجزن أتلقى هبة القدر .
ان لي في هذه المملكة حقوقاً تذكرونها
تحفني الآن على المطالبة بمكاني بينكم .

موراشيو : ولديّ ما سوف يدعوني الى الكلام في ذلك
عن شفّتيه اللتين لن يجرّ الصوتُ فيهما نفّسا .
ولكن افعلوا ما ذكرتموه الآن
وخواطر الناس بعد في هوجائها ، لتلايق المزيد
في الأذى أخطاءً ومكائد .

فرتبراس : ليتقدم أربعة من رؤوساء الجيش
ويحملوا هاملت الى المنصة كجنديّ ،
لأنه لو كان اتيح له ان يُمتحن
لأبلى ولا ريب بلاء الملوك . ولوفاته
أفصحى عنه يا موسيقى الجنّد ومراسيم الحرب
جَهْوَرِيّاً !
ارفعوا الجثمان . مشهد كهذا
خليق بساح القتال ، ولكنه هنا في غير موضعه .
إذهب ، ومُرّ الجنود باطلاق المدافع .
(مسيرة جنازبة . ثم دويّ فذائف من الداخل)

مأساة
الملك لير

الرؤية الشكسبيرية في « الملك لير »

ما من عصر انتعش فيه المسرح، إلا وانتعشت فيه مسرحيات شكسبير، حتى لقد قيل ان الفترات التي لم تُعَنَ كثيراً بشكسبير في القرون الثلاثة الأخيرة هي فترات المسرح المظلمة. هذا الرأي الذي يبيده الناقد البولوني بان كوت، لا يقصد به تاريخ الدراما الانكليزية وحدها بل تاريخ الدراما في كل بلد متحضر في العالم.

لماذا؟ لأن شكسبير - وهذا سرّه العجيب - معاصر دائماً. أي أن له مغزاه المتجدد مع انبثاق كل همّ جديد. وإذا كان القرن العشرون من أشد فترات التاريخ اهتماماً بالقضايا السياسية، وأشدّها بحثاً عن المنطويات السياسية في الإبداع الفني، فإن انتعاش شكسبير فيه دليل على معانيه السياسية المعاصرة.

والمعاني السياسية تتعلق بحرية الفرد ونوازع السلطة. إنها تلازم الصراع الدائر في الدخيلة من أروقة الحكم وما يوازي ذلك من صراع يدور في الدخيلة من نفس الإنسان. وفي شكسبير يكرر العالم الأصغر (الإنسان) العالم الأكبر، أو بالعكس. فالقضايا الكبرى تبدو وكأنها انعكاس متبادل بين الطبيعة، باتساعها الخارق ودواخلها الغامضة، وبين الإنسان وطرقه في الحياة إزاء المصير - أو إزاء الله. الفرد قد يكون كل شيء، وقد يكون لا شيء. في «هاملت»، يتعملق الفرد في مشكلاته إزاء السلطة وإزاء الكون.

وفي «الملك لير» تتعملق السلطة وتتعملق الكون إزاء الفرد. ولكن الفرد هو المحك الأخير لكل معنى. المصير، سياسياً أو تاريخياً، هو مصير الإنسان، مصير البشرية كلها. ومسرحية «الملك لير» تناقش هذا المصير، وقد تصدعت الأرض الصلبة تحت أقدام البشر. والرؤية الشكسبيرية واردة، لأنها لا تنكفيء إزاء الظلام الذي يعتور الإنسان في فترات من تاريخه. فالتاريخ مليء بالفترات السوداء التي يقف فيها الأبطال في وجه تيارات من الشر والعنف - في وجه الانهيار الخلفي الذي يفتت هيكل الحكم كما يهدم أركان المجتمع. إن موضوع «الملك لير»، الذي يواجهنا بدلائل معاصرته، هو سقوط العالم وتفسخه: تجتاح العاصفة المجتمع، فتضطرب الدولة، وتبرز قوى الجحود والخيانة والجشع ضارية كاسحة، وإذا أهل الحق يصيرون في عذابهم إلى الجنون، أو قناع منه، ويجول الباطل بالتآمر والكذب والغدر جولته نحو الفوضى المحتومة، لكي تعم الجريمة، ويعمّ العذاب. ولا ينتهي الموقف في هذه المأساة إلى إنقاذ حقيقي لأحد، ونبقى نحن في قبضة الرعب. ففي هذه القصيدة الرهيبة، التي ربما كانت أضخم وأهول ما أنتجته العبقرية المسرحية منذ ايسخلس حتى يومنا الحاضر، ينتهي ذوو الخير إلى الجنون أو العمى أو المشنقة. واللعنات التي يصبها الملك الشيخ على رأسي ابتتية غونريل وريغن إنما هي إدانة غضبي للبشرية، وإشارة جارحة إلى ما بين الإنسان والطبيعة من تواطؤ على الرذيلة، والتعذيب، والقتل.

لم يختلف رأي في مسرحية، كما اختلف في «الملك لير». منهم من اعتبرها أعظم ما كتب شكسبير إطلاقاً، ومنهم، كتولستوي، من اتهمها بالركاكة والسخف. وقد شكوا أكثر النقاد والمخرجين حتى أواخر القرن الماضي من صعوبة تقديم «الملك لير» على المسرح. فعبث بها ناحوم تيت، في أواخر القرن السابع عشر، وحوّرها ليجعلها مفرحة، وذلك بتزويج كورديليا من ادغار، بدلاً من السماح

بصرعها في النهاية ودخولها ميتة محمولة بين ذراعي أبيها لير - مع أن هذا المشهد، على ما فيه من فاجعة، من أهم الدلائل على معنى المأساة بكاملها. وقد قال البعض ان المسرحية من الضخامة بحيث لا يستطيع المسرح أن يفياها حقها، فتبقى قراءتها، كقصيدة، تجربة أعمق وأروع من أية مشاهدة.

غير أنها أنصفت في هذا القرن، بما تيسر للمسرح الحديث من إمكانيات الاحراج، وللتفهم الجديد لأوجه الدراماة التي تتخطى المأساة إلى اللامعقول في تصوير قسوة الحياة وعذاب الإنسان في عصر اتصف بالاضطراب والتزعزع واللاعقل. في المسرح الجديد، كما يقول يان كوت، «لا توجد شخصيات بالمعنى الرومانسي أو الواقعي، وعنصر المأساة يحل محله عنصر الغروتسكية، وهي أشد قسوة من المأساة». و«الملك لير» غروتسكية تهزأ بالمتعارف التقليدي للشخصية، ولا تنتهي إلى الكاثارثس (التطهير) الأرسطوطاليسي. فهذه المجسّدات القصوى لخفايا النفس وهذه الاسقاطات العنيفة لتجربة الشر، تدوم بنا في دوامات تكاد تكون في غنى عن مبررات العقل والمنطق. وتنتهي بنا إلى رحلة مجنونة في الظلام عبّر فواجع الدنيا، إلى قسوة الإنسان الأخيرة. إننا نمرّ بمحنة أيوب مروراً عسيراً، ليدفعنا شكسبير لا إلى صلاة كصلاة لير فحسب، بل إلى تساؤلات عن الإنسان والمصير كتساؤلات أيوب. إننا في عبور من الجريمة إلى الفداء، من الخطيئة إلى الغفران، ولكن حين يكون للفداء والغفران مذاق الموت.

والمسرح في «لير»، أكثر منه في أية مسرحية أخرى لشكسبير، مسرح مطلق: المكان هو اللامكان وكل مكان. والمشهد هو الأرض، عنصر التراب في كيان الطبيعة، وقد دفقت عليها قوى النار والهواء والماء. والإنسان، هذا العالم الأصغر المكون من تراب، يحتوي العالم الكبير الضاحج العاتي، ويعكس هذه الضجة وهذا العتوّ وقد تفجرت

فيه قوى عناصره الأولية، ضريرة هوجاء. إذا فقدت القوى انسجامها، اختل الكون. واختلت الدولة. واختل المجتمع. وتهاوت في النهاية الإنسانية نفسها، وإذا الإنسان كالفلاة فريسة الطيور الجارحة والحيوانات الكاسرة. ليس ثمة مسرحية فيها ذكر للحيوانات والجوارح كما في «الير». لقد ملأ شكسبير رؤيته برموز الرعب: إنه يذكر أربعة وستين حيواناً مختلفاً ١٣٣ مرة، مشهاً بذلك، ضمناً، حياة الإنسان بحياة الضواري. والإنسان في هذه الفلاة البشرية التي هي امتداد لكيانه، نجده، كما تقول الناقدة سبيرجون، متمثلاً في كنايات من «الجدد وهو يُعذَّب، ويُضرب، ويُترق، ويُلسع، ويجلد، ويمط، ويسلخ، ويسمط، ويُحطم في النهاية على المخلعة».

الشعر الشكسبييري الذي هو هنا في أشد عنفوانه، والفعل المسرحي الذي يُتبع الحدّث بالحدّث بتلاز عنيف، يتضافران معاً في خلق هذا المطهر الدنيوي. ولا يبقى في النهاية أمامنا إلا الأرض نفسها - خالية ودامية، حيث يستمرّ الملك، والبهلول، والأعمى، والمجنون في حوارهم المأخوذ. إننا في تطواف أليم خلال الظلام البارد اللامتتهي الذي يعصف بالعالم - خلال تلك الليلة الباردة التي، كما يقول البهلول، «ستحيلنا جميعاً إلى بهاليل ومجاذيب». وإننا لنطوف بحثاً عن المعنى في هذا المصير. وسوف نستمر في التطواف مع الملك الذي جنّ لجحود بناته، وغلوستر الذي أدى غدر ابنه الحرام به إلى اقتلاع عينيه، تطواف الإنسان بين المهد واللحد، بين أقصى الأبهة وأقصى البؤس. هل الإنسان «مجنّي عليه أكثر منه جانياً»؟ هل نحن للآلهة «كالذباب للصبيّة العابثين يقتلوننا ملهاة لهم»؟ إننا لنطوف مع ادغار بجنونه المموه عبر القلوات، مع النغل ادموند خلال قصور الخيانة والغدر، مع «كنت» الوفي الشجاع الذي لا يكف عن تفاؤله حتى وهو في الدّهق، مع اثنتين من ارهب نساء المسرح ريغن وغونريل - نستقصي معنى هذه الرحلة استقصاء وجود العدل والظلم،

أو عدم وجودهما. إننا نستقصي المعنى في عذاب الإنسان وسقوطه على أرضه الدامية.

ولعل يان كوت أفضل من يبرز جانباً من المعنى المعاصر، إذ يقول:

«هناك اثنتا عشرة شخصية رئيسية، ستّ منها خيرة وعادلة، وست منها شريرة وظالمة. هذا التقسيم منطقي وتجريدي كما في المسرحيات الأخلاقية القديمة، غير أن «الملك لير» مسرحية أخلاقية حيث يتحطم الجميع في النهاية، الفضلاء مع الرذلاء، الظالمون مع المظلومين، المعتذبون مع المعتذبين. والتشريح يستمر إلى أن يخلو المسرح بالمرّة... ولكن قبل أن يتم ذلك، يجب اقتلاع الشخصيات كلها من مراكزها الاجتماعية وجرّها إلى المهانة الأخيرة. عليها أن تبلغ الحضيض الصخري. وليس هذا السقوط مجرد أمثلة فلسفية، كقفزة غلوستر في هوة موهومة. فموضوع السقوط يستمر به شكسبير بعناد، وتماسك، ويكرره أربع مرات على الأقل. فالسقوط هو، في الوقت نفسه، مادي وروحي، جسدي واجتماعي.

«في البدء كان هناك ملك ذو بلاط ووزراء. بعد ذلك، ليس هناك إلا شحاذون أربعة هائمون في الفلاة، تتناوشهم الرياح الغضبي والأمطار الهامية. والسقوط قد يكون بطيئاً، أو فجائياً: للملك لير أولاً حاشية من مئة رجل، ثم خمسين، ثم رجل واحد فقط. وكنت ينفيه الملك بإيماءة ساخطة واحدة من يده. غير أن عملية التحقير هي دوماً نفسها: كل ما يميز الإنسان - من لقب، أو مكانة اجتماعية، أو حتى اسم - يضيع. لا حاجة للأسماء بعد. لقد أمسى كل امرئ ظللاً لنفسه، إنساناً، لا غير:

لير: هل هنا من يعرفني؟ هذا ليس لير: [أيمشي لير هكذا؟ أينطق هكذا؟...]. من له أن يخبرني من أنا؟

بهلول: ظل لير.

ويسأله السؤال نفسه مرة أخرى، ونسمع الجواب نفسه. يعود «كنت» المنفي إلى ملكه:
لير: ها، من أنت؟

كنت: إنسان يا سيدي.

والإنسان العاري لا اسم له. قبل أن تبدأ المسرحية الأخلاقية، على كل إنسان أن يكون عارياً، عارياً كالدودة. .

«والسقوط معناه العذاب والألم. قد يكون العذاب مادياً أو روحياً، أو كليهما معاً. لير يفقد عقله. و«كنت» يوضع في الدهق. وغلوستر تُسمل عيناه ويحاول الانتحار. فلكي يغدو الإنسان عارياً، أو قل لكي يغدو الإنسان إنساناً لا غير، لن يكفي أن يجرد عنه الاسم والمكانة والكيان. لا بد من تشويبه وتذويحه جسدياً ومعنوياً، وتحويله، كالمملك لير، إلى «حطام».

من خلال مشاهد الظلام هذه تتوقد الرؤى الكثيرة الأخرى لتعقد لنا التجربة وتضاعف من أبعادها. فالرؤية الشكسبيرية بعد هذا كله، مهما تكن رؤية غضب واشمئزاز، فإنها أيضاً رؤية رحمة وشفقة عميقة.

بعض هذا نراه في الصلة الغريبة القائمة بين الملك وبهلوله، وهي التي تعطي المسرحية كلها مذاقاً خاصاً. فهي أحياناً صلة تعاطف عذب، وهي أحياناً صلة تبادل مر. وعلى كثرة المهرجين الذين وضعهم شكسبير في مسرحياته، ليس بينهم من له هذا العمق، وهذا الحضور، وهذه الضخامة التي نجدها في بهلول لير. إنه صوت العقل، وصوت السخرية، معاً. صوت الضحك وصوت التقريع. إنه الوجه الآخر لشخصية الملك. لا الحكمة كلها حكمة، ولا

الحماقة كلها حماقة، والتبادل بينها أسهل من تقلاب وجهي قطعة النقد. البهلول ضمير لير: حلمه وكابوسه معاً. والصحبة بينها في رحلة الليل والعاصفة، هي صحبة الحب والتضحية. ولكنها أيضاً صحبة مؤلة، يكاد البهلول فيها، وهو يحاول الترويح عن الملك، أن يزيد من غضبه ويهرول به صوب الجنون. ومع هذا، فالولاء والشفقة هما الطاغيان، ولير في أسوأ محتته، والبرد والعاصفة يأخذان منه كل مأخذ، يلتفت إليه ليقول: «بهلول يا مسكين، في قلبي شقّ ما زال يأسى عليك».

إن لير، إذ تشتد أزمته، يجابهه بؤس الإنسان بتلك المشاركة الفعلية التي تجعل الرحمة منجاة للنفس والتي بدونها تكون الحياة فعلاً من عنف عشوائي لا ينتهي:

«لير (مخاطباً ادغار، وقد تشرد هذا في زي شحاذ مجنون): لخير لك أن تكون في القبر من أن تتحمل قسوة السماوات بجسدك المعرّى. أهذا هو الإنسان كله؟ تأملوه جيداً. لست مديناً للدودة بحرير، للشور بجلد، للخروف بصوف، للقط بعطر. ها، نحن الثلاثة هنا ملفقون. وأنت، أنت الشيء الحقيقي. فما الإنسان بلا رياش إلا هذا الحيوان المشطور الأجرد المسكين الذي هو أنت. عني، عني أيتها الاستعارات، تعال، فك ازراي هذه. (يمزق عنه ثيابه)».

في عالم الشهوة، والعجرفة، وغلاظة القلب، عالم الطموح والسلطة، حيث النفاق، والشقاق، والقتل، والانتحار، ينحاز لير في جنونه إلى البؤساء والفقراء والمستضعفين: هؤلاء هم الحقيقيون، هم ذوو الفضيلة، ذوو القلوب السليمة، ذوو الولاء والرأفة. وخطاياهم ما عادت خطايا. «إني أعفو عن ذلك الرجل... أتموت بسبب الزنى؟ كلا: حتى البغاث يفعلها، والذباب المذهبة الصغيرة تفسق أمام عيني...» وهو يناصر أهل «التياب المهلهلة» على الحكّام ذوي

«عباءات الفراء» :

لير : انظر إلى هذا القاضي وهو يعنف ذلك اللص
التافه... ليتبادلا المكان، واحزر يا شاطر أيهما
القاضي وأيها اللص؟ أرأيت كلب فلاح ينبح على
شحاذا؟

غلوستر : نعم، سيدي .

لير : والمخلوق يركض هرباً من الكلب؟ لك في ذلك أن
ترى مثل السلطة العظيم : الكلب في الوظيفة مطاع .
أيها الشرطي النذل، ارفع يدك الدامية . لم تجلدك تلك
البغي؟ عرّ ظهرك أنت، فأنت ملتهب الشبق لتفعل
معها ما أنت تجلدها من أجله . المرابي يشنق
الغشاش.....

ماثمة من مذبذباً، أقول، أبداً . ولأشهدن على ذلك» .

وإذا تحتم على ذوي الخير أن يعانون الشقاء، فإن معاناتهم تنهض
بهم إلى تلك القمم الخلقية التي ترفع اللعنة عن الحياة، وتجعل لهذا
الجحيم الأرضي منفذاً يؤدي إلى حرية الروح، تلك الحرية التي تؤكد
على الإنسانية، وقد أردفتها الشجاعة والمجادلة والمغفرة، رغم ما
يهددها من موت . هذه كورديليا الجميلة لا تكاد تنطق في المسرحية
كلها بأكثر من مئة بيت، ولكن حضورها نحسّ به طيلة مشاهد
المأساة . ومشهد الغفران بينها وبين أبيها، ثم المشهد اللاحق وقد وقع
كلاهما في الأسر - ليس في تاريخ المسرح كله ما يضاهاها رقة وعاطفة
مشبوبة، في وسط عالم من الضغينة والنزاع والفتك . وإذا كان الملك
بعد قليل سيدخل علينا حاملاً كورديليا المشنوقة بين ذراعيه، لتتعلق
أخيراً دائرة الشرّ انغلاقاً تاماً، فلإن في موتها جلال الشهادة والفداء،

وكسراً في الوقت نفسه لطوق الظلام . إننا في قبضة الرعب، ولكن
تجربة الفداء ترتفع بنا إلى حيث يصبح التخطي ممكناً.

جبرا إبراهيم جبرا

بغداد أيلول ١٩٦٨

أشخاص المسرحية

Lear, King of Britain	لير، ملك بريطانيا
King of France	ملك فرنسا
Duke of Burgundy	دوق برغنديا
Duke of Cornwall, Husband to Regan	دوق كورنوال، زوج ريغن
Duke of Albany, Husband to Goneril	دوق ألبني، زوج غونريل
Earl of Kent	إيرل أوف كنت
Earl of Gloucester	إيرل أوف غلوستر
Edmund, Bastard son to Gloucester	ادموند، ابن غير شرعي لغلوستر
Curan, A Courtier	كرن، من رجال البلاط
Oswald, Steward to goneril	ازوالد، رئيس خدم غونريل
Old Man, Tenant to Gloucester	شيخ، من تابعي غلوستر
Doctor	طبيب
Fool	بهلول
An Officer, Employed by Edmund	ضابط، مستخدم لدى أدموند
Gentleman, Attendant on Cordelia	مرافق، يعني بشؤون كورديليا
A Herald	منادي
Servants to Cornwall	خدم لدوق كورنوال
Goneril	} غونريل ريغن كورديليا
Regan	
Cordelia	
} Daughters to Lear	
} بنات لير	

فرسان في حاشية الملك لير، ضباط، رسل، جنود، خدم وحشم.

المشهد بريطانيا في عهد الوثني

الفصل الاول

ايوان في قصر الملك لير . يدخل كنت ،
وغلوستر ، وادموند

المشهد الاول

- كنت
غلوستر
كنت
غلوستر
كنت
غلوستر
كنت
غلوستر
ادموند
غلوستر
- كنت أظن أن الملك يفضل دوق ألبي على كورنول .
هذا ما كان دوماً يبدو لنا . أما الآن ، عند تقسيم المملكة ، فليس بظاهر أي
الاثنين أرفع قدرأ لديه . لقد وازن بين أسهمهما بحيث أنهما مهما دققا
فلن يستطيعا أن يقاضلا بين الحصتين .
أليس هذا ابنك يا مولاي ؟
كنت مسؤولاً يا سيدي عن ولادته : لطالما خجلت بالاعتراف به حتى بت
لا أستحي من ذلك .
لم أفهمك .
أم هذا القى فهمتي ، يا سيدي ، فارتفع بطنها ، وإذا هي تجد ولدأ لمهدا
قبل أن تجد زوجاً لفراشها . أنشتم خطأ فيما جرى ؟
لن أتمنى لو أن الخطأ لم يقع ، ما دامت ثمرته على هذا الحسن .
ولكن لي ابنا شرعيأ ، يا سيدي ، يكبر هذا بزهاء سنة ، أعز علي منه .
جاء هذا القى إلى الدنيا مع بعض المجون قبل أن أرسل في طلبه ،
غير أن أمه كانت جميلة . وكان لنا في صنعه لهو ومتعة ، فلأعترف بابن
الزانية . يا ادموند ، أتعرف هذا السيد النبيل ؟
لا يا مولاي .
إنه سيدي اللورد كنت : تذكر من اليوم فصاعداً أنه صديقي الكريم .

ادموند ذلك واجبي نحو سيادتكم .
كنت سأحبك ، وأسعى إلى معرفة بك أفضل .
ادموند سيدي ، سأجهد في أن أستحق ذلك منكم .
غلوستر لقد غاب تسع سنوات ، وسيغيب عنا من جديد . الملك قادم .

(صلح أبواق . يدخل أحدهم حاملاً تويجاً ، (١)
ثم الملك لير ، وكورنويل ، وألبي ، وغونريل ،
وريفان ، وكورديليا ، ومرافقون .)

لير غلوستر ، أدخل إلينا دوق فرنسا ودوق برغنديا .
غلوستر نعم يا مولاي .

(يخرج غلوستر وادموند)

اير وفي هذه الأثناء سنجهر بالخفي من مآربنا .
أنت ، ناوولي الخريطة ! اعلموا أننا قد قسمنا
مملكتنا ثلاثاً : فقد وطننا العزم على أن
ننفض عن شيخوختنا كل شغل وهم ،
مضيفين إياهما على الفتية قدرة ، بينما نحن
نسعى نحو الموت دون عبء . يا ولدنا كورنويل .
وأنت يا ولدنا ألبيتي ، يا من لا تقل عنه حباً لنا ،
لقد صارت الآن مشيبتنا الراسخة أن نعلن
عن مهر كل من بناتنا ، اتقاءً من الآن
لكل نزاع في المستقبل . ان اميرتي فرنسا وبرغنديا ،
وكلاهما منافس عظيم على حب ابنتنا الصغرى ،
قد طال عليهما الأمد وخطب الود في بلاطنا :

(١) التويج مهياً لكورديليا .

هنا سنعطيهما الجواب الفصل . أخبرتني يا بناتي ،

(حيث أننا الآن ستخلى عن الحكم ،

وامتلاك الأراضي ، وهموم الدولة)

من منكن ستقول إنها نجينا أكثر من أختيها ؟

فنجعل أغزر الجود حينما

يضاف إلى حب الوالد حب أولاده له .

غونريل ، يا بكرنا ، تكلمي أنت أولاً .

سيدي ، أحبك أكثر مما تتحمل الألفاظ من فحوى .

حياً أعز من العين والحرية والمدى ،

أتمن من كل نادر ونفيس ،

لا يقل عن الحياة رفلة بالزينة والحسن والشرف .

أشد ما يحب ولد أباه أو يلقي الأب من ولده .

حياً يقصر عنه النفس . ويعجز الكلام -

أحبك فوق هذا كله .

غونريل

(جانياً) إذن ماذا تقول كورديليا ؟ أحبتي واسكتي .

(مؤثراً على الخريطة) - لقد جعلناك سيدة على هذه الحدود كلها ،

من هذا الخط إلى هذا ،

بما اغتنت به من أعراش ظليلة وسهول ،

وأهوار غزيرة وحقول ترامت أطرافها :

ولتكن لنسلك ونسل زوجك ألبي

إلى الأبد . ماذا تقول ابنتنا الثانية ،

عزيزتنا ريغن ، عقيلة كورنول ؟

ما أنا إلا من معدن أختي نفسه ،

فليكن قدرتي قدرها . ففي قرارة قلبي

أجد أنها قد عيّنت حبي على حقيقته ،

ريغن

لولا أنها قصّرت بعض الشيء .

فأنا أعادي الأفراح الأخرى كلها

التي هي في منال الحسّ فيّ

وأراني لا أسعد إلاّ

في حبّ سموك العزيز .

كورديليا (جانياً) إذن ، مسكينة يا كورديليا !

لكن لا . لأنني واثقة من أن جبي

أرجح وزناً من لساني .

ليبق لك ولنسلك يتوارثونه أبداً

هذا الثلث الرحب من مملكتنا الجميلة

لا يقل اتساعاً وقيمة وإمتاعاً

عما منحناه غونريل . والآن ، يا قرّة عيننا ،

وإن تكوفي صغرى الأخوات سنّاً وقامة ، أنت التي

تنافس علي وصالك كروم فرنسا ومراعي برغنديا ،

ما الذي بوسعك أن تقويه لتتالي

ثلثا أغنى وأترف من أختيك ؟ تكلمي .

كورديليا لا شيء (٢) ، يا سيدي .

لير لا شيء ؟

كورديليا لا شيء .

لير لا شيء يأتي من لا شيء : تكلمي مرة أخرى .

كورديليا أنا الشقية ، لا أستطيع أن أرفع قلبي

إلى فمي : إني أحب جلالتك

وفق رباطي البنويّ . لا أكثر ولا أقلّ .

(٢) هاتان الكلمتان تترددان ، ويتردد صدهما ، في خلال المسرحية كلها .

لير
كيف ، كيف ، يا كورديليا ! أصلحي بعضاً من كلامك ،
لئلا تُفسدي نصيبك من الدنيا .

كورديليا
مولاي الكريم ،
لقد ولدتني ، وربيتني ، وأحبتني . وأنا
أردّ هذه الواجبات كما هو من حقها أن تُردّ ،
فأطيعك ، وأحبك ، وجرّداً أكرمك .
لم اتخذتُ كلنا أخيّ زوجاً لها ، إن نقل
لأنها لا تحب سواك ؟ يسعدني ، عندما أتزوج ،
أن السيد الذي تنال يده عهدَ الزواج مني ، ستغنم
يده نصفَ حبي ، ونصفَ همّي وواجبي :
يقيناً أنني لن أتزوج كأخيّ الاثنتين ،
لأحبّ أبي دون سواه .

لير
لكن هل يطاوعك قلبك في هذا ؟

كورديليا
أجل ، مولاي الكريم .

لير
أفتية هكذا ، وقاسية ؟

كورديليا
فتية ، مولاي ، وصادقة .

لير
لا بأس . فليكن صدقك صداقتك .

قسماً بضياء الشمس المقدّس ،

وأسرار هكاتي (٣) والليل ،

قسماً بما تضمّره النجوم التي

بها نحيا ونموت ،

إني هنا أتبرأ من حنوي الأبويّ

ومن علاقة الدم والقربى ،

وأعتبرك ، من هذه الساعة وإلى الأبد ،

(٣) هكاتي : إلهة العالم السفلي ، ونصيحة السحر والسحرة

غريبة عن قلبي وعتي !
وليكونتنّ «السكيشي» (٤) البربري .
أو ذاك الذي يجعل من والدبه طعاماً
ينهمه نهماً ، أقرب إلى قلبي
أسفله وأعطف عليه ،
منك أنت ، يا من كنت يوماً ابنتي !
مولاي الكريم -

كنت

صمتا يا كنت !

لير

لا تقحم نفسك بين التنين وغضبه .
أحببتها أكثر من غيرها ، وقلت أجازف بكل ما عندي
في سبيل رقيق عنايتها . عتي بك ، وتجنّب نظرتي !
وليكن قبري سلامي ، إذ هنا أعطي
قلب أبيها لغيرها ! ادعوا فرنسا (٥) . تحركوا !
ادعوا برغنديا . يا كورنول ، وأبني ،
ضمنا إليكما ، مع صِداق ابنتي ، صِداق الثالثة .
ولتجعل الكبرياء ، التي تسميها هي بساطة ، زوجاً لها .
إني لأهبكما معاً سلطتي
وسوددي ، وكلّ ما يصحب الجلال
من توابع الأبهة . أما نحن ، فإنتنا
إذ نحفظ بمئة فارس
تكون عليكما العناية بهم ، سنجعل سكاننا
عند واحد منكما دورياً كل شهر . لسوف نتمسك

(٤) كان المعتقد ، اعتقاداً على بعض الجغرافيين القدامى ، إن أهل سكيثيا يأكلون والدهيم عندما يطمنون في السن .

(٥) أي ملك فرنسا ، وكذلك « برغنديا » أي دوق برغنديا ، وهكذا . فمن عادة شكسير أن يحتزل الألقاب

بلقب الملك ومراسيمه كلها ، غير أن الحكم
والدخل وتصريف الأمور
ستكون ، يا ولديّ الحبيبين ، في أيديكما .
ومصداقاً لذلك ، تقاسنا هذا التاج بينكما .

كنت

أيها الملك لير ،

يا من كنتُ دوماً أجلّه مليكاً ،

وأحبه أباً ، وأتبعه سيّداً ،

وفي صلواتي أتأمل فيه قديساً حامياً -

لقد انحنّنتِ القوس وتوترت ، فابتعد عن سهمها !

لير

بل فليقع ، وان تحرق النبلة

كنت

شغاف قلبي . وإذا ما جنّ لير

فليُخِلْ « كنت » بالأدب ! ما الذي تريد فعله يا شيخ ؟

أتحسب أن الواجب يهاب النطق

حين ينحني السلطان للرياء ؟ على الشريف تجب الصراحة

إذا ما الجلالة هبطت إلى الجهالة . احتفظ بمُلْكِكَ ،

وأعملِ التروّي لتكبح

هذا الطيش الشنيع . لتكن حياتي فداءً لرأبي :

صُغْرَى بناتك ليست أقلهنّ جألاً لك .

فما الأصوات الخفيضة بخاوية القلب

إذا لم تضحّ عن فراغ .

كفى يا كنت ، واسلم بحياتك !

لير

ما اعتبرت حياتي قط إلا رهانا

كنت

أراهن به ضد أعدائك . ولن أخشى فقدانها

إذا كانت سلامتك هي الدافع .

أغرب عن نظري !

لير

كنت
بل أنعم نظرك يا لير ، واجعلني دوماً
قلب المهدف من عينك
لير
قسماً بأبولو (٦) !
كنت
قسماً بأبولو ، يا ملك ،
عجباً تقسم بأهنتك .
لير
يا مؤلى أ يا نذل ! يا كافر !

(يضع يده على سيفه)

ألبي
وكورنول
يا سيد ، كفى أرجوك .
كنت
اقتل طيبك ، وأنفق الأجر
على الداء اللعين . اسردّ ما أعطيت .
ولأ فإني ، ما دمت أستطيع صراخاً من خنجرتي ،
سأقول لك : شرّاً فعلت .
لير
إسمعي يا مارق !
إن كان فيك ولاء إسمعي !
بما أنك سعبت في حملنا على الإخلاف في الوعد
مما لم نقدم يوماً عليه ، وأقمت نفسك ،
بكبير مفتعل ، بين ما نطقنا به وبين سلطاننا ،
وهو ما لا يطيقه طبعنا ولا تتحملة مكانتنا ،
ودعماً لسلطتنا ، خذ جزاءك .
إننا نمهلك خمسة أيام تيمون فيها
اتقاء نكبات الدنيا .
وعليك في اليوم السادس أن تدبر ظهرك الكريه
لمملكتنا . وفي اليو العاشر اللاحق

(٦) يردد شكبير الإشارات الوثنية تأكيداً على الجو الوثني لقصة وزمانها القديم .

إن نحن وجدنا كيانك المنفيّ في أصقاع دولتنا
 كانت تلك اللحظة حثفك . أخرج !
 قسماً بجويبير ، لن نقض هذا .
 وداعاً أيها الملك . إن كان هذا ما تبدو به ،
 فالحرية تحيا في البلاد الأخرى ، وما المنفى إلا هنا .
 (لكورديليا) رعتك الآلهة في مأمنها يا عذراء ،
 لقد فكّرت عدلا ونطقت حقاً .
 (لنونريل وريفن) أقوالكما الكبيرة أرجو أن تثبتنا أفعالكما ،
 فيكون حسنُ الصنع وليدَ ألفاظ الحب .
 وهكذا ، يا أمراء ، يستودعكم اللهَ كنت .
 ولسوف يسير على نهجه القديم في بلد جديد .

كنت

(يخرج)

(أبواق . يدخل ثانياً غلوستر ومعه ملك فرنسا ،
 ودوق برغنديا ، ومرافقون .)

ها هما فرنسا وبرغنديا ، يا مولاي الكريم .
 يا عزيزي أمير برغنديا ،
 إني أخاطبك أولاً ، أنت الذي
 تنافس هذا الملك على يد ابنتنا ، ما هو أقلّ
 ما تطلبه من مهر فوري معها ،
 لكنك لولاه تكف عن مطلب حبك ؟
 يا صاحب الجلالة ،
 لست أتطلع إلى أكثر مما اقترحتم عطاءه ،
 ولن تعطوا أقلّ من ذلك .
 يا برغنديا النبيل ،
 يوم كانت غالية علينا ، اعتبرناها فعلاً غالية ،

غلوستر

لير

برغنديا

لير

بيد أن ثمنها الآن قد هبط . سيدي ، ها هي ذي واقفة هناك :
إن كنت ترى ما يلائمك ويسرك
في بعض قوامها ، أو كله ، على قلة مزاعمه ،
مناطاً به سخطنا ولا شيء غيره ،
فها هي ذي هناك ، إنها لك .
لا أعرف جواباً .

برغنديا
لير

أأخذها ، أم تركها
بما فيها من مواطن ضعف ،
وقد غدت بلا صديق ، وحديثاً تبتأها كرهنا ،
صداقها لعتتنا ونحن قسماً براءً منها ؟

برغنديا

عفوكم ، يا صاحب الجلالة ،
لا خيار لي والحالة هذه .
إذن اتركها يا سيدي . لأنني وحقّ الذي صنعني ،
أعلمتك بكل ثروتها . (لفرنسا) أما أنت أيها الملك العظيم ،
فلأنني لن أشطّ عن ودك بحيث
أزوّجك ممن أكره . ولذا ، أرجوك
أن توجه حيك وجهة أخلق بك
من مخلوقة تكاد الطبيعة تحجل
من الاعتراف بها .

لير

يدهشي

فرنسا

أن هذه التي كانت قبل برهة المحط الأثير لحبك
وموضوع مدحك وبلسم شيخوختك ،
خير الناس وأعزهم لديك ، بوسمها في طرفة عين
أن تأتي أمراً يتزع عنها لبشاعته
أنواب رضاك كلها . لا بد أن إنمها

فيه من الشنوذ ما يجعله
قميناً بالوحوش ، أو أن ترداك السابق لتعلقك بها
كان من ضعف فيك . وهذا ما لن أصدقه عنها
لأن العقل لن يزرع في إيماناً
بغير معجزة .

نورديليا

لكنني أضرع إلى جلالتك
(حتى وإن يعوزني فن المداهنة النرب
بالكلام دون نية الفعل ، فأنا ان نويت على فعل
فعلتهُ قبل الكلام فيه) ، أن تعلنوا للملأ
أن ما حرمني عنايتكم وعطفكم
لم يكن لوثةً من الرذيلة في - جريمة قتل أو فحش ،
أو تخلياً عن عفة ، أو فعلةً تخلّ بالشرف ،
بل لأنني لا أملك ما أنا أغنى بافتقاري اليه :
عيناً تستجدي كل لحظة ، ولساناً
يُفرخي أنه يُعوزني ، وإن يكن افتقاري اليه
قد أفقدني مودتكم .

لكان خير أ لك

ار

لوم لم تولدي من الآ تسريني خيراً مما فعلت .

أهذا دون غيره ؟ أتحفظ في الطبع

ر سا

غالباً ما يُمسك اللسان عن سرد ما

قد عزم على فعله ؟ سيدي لورد برغنديا ،

ماذا تقول في السيدة ؟ ليس الحب حباً

إن هو مازج بينه وبين اعتبارات لا تتصل

بجوهر الأمر . أتزوجها ؟

إنها بحد ذاتها مهر ثمين .

برغنديا

مولاي الملك ،

هيني ما اقترحتك أنت من سهم ،
آخذُ كورديليا هنا من يدها ،
دوقة لبرغنديا .

لير

لا شيء . لقد أقسمت . ولن أترزع .

برغنديا

يوسفني إذن انك فقدت أباً
فكان عليك أن تفقدي زوجاً كذلك .

كورديليا

فليذهب برغنديا بسلام !
إن يكن غرامه بالاعتبارات والأموال
لن أكون زوجة له .

فرنسا

كورديليا الجميلة ، غنية أنت لأنك فقيرة ،

ومختارة لأنك مهجورة ، ومحبوبة لأنك مزدراة !

وها لاني هنا أحظي نفسي بك وبفضائلك :

وليكن مشروعا أنني التقط لنفسي ما نبذه الآخرون .

الآلهة ، الآلهة ! ما أغرب أن حبي

من برود إعراضها يلتهب تعلقاً !

أيها الملك ، إبتتك البلا مهر هذه ، التي القى بها الحظ لاني ،

ستكون مليكتنا وكل ما لدينا ، ومليكة فرنسا الجميلة .

كل دوقات برغنديا السائلة بياهاها ،

أعجز من أن يشتروا مني هذه العذراء النفيسة المهملة .

ودعهم يا كورديليا ، وإن قسوا عليك .

فإن تفقدي مكاناً هنا ، ستجدي مكاناً أفضل منه .

لير

لقد أخذتها ، يا فرنسا ، ولتكن لك ،

فلا ابنة لنا كهذه ، ولن نرى

وجهها مرة أخرى . ولذا انصرفا

بدون طيبة منا ، ولا حب ، ولا بركة .
هيا ، يا برغنديا النبيل .

(صدح أبقاق . يخرج لير ، وبرغنديا وكورنوبول ،
والبي ، وغلوسر ، والمرافقون .)

فرنسا
كورديليا
ودعي أختيك .
يا جوهرتي أبي ، بعينين غريقتين
تغادركما كورديليا : أنا أدرى بكما ،
وكأخت لكما فلإني أعرض عن تسمية
أخطائكما بأسمائها . أحيًا أبي خيراً .
لإني أسلمته للحب المعلن في صدريكما
ولكن ، واأسفاه ! لو كنت بقيت في حظوة منه ،
لأوصيت به مكاناً أفضل .
وداعاً لكما ، كلتيكما .
لا تعيتي لنا واجبنا . .

ريغن
غونريل
ليكن همك
أن تُرضي سيدك الذي تلقاك
صدقةً من صدقات الحظ . لقد قصرت في الطاعة
فحق عليك العوز الذي قد نالك .
كورديليا
سينشر الزمن ما طوته الخديعة .
انه يستر الأخطاء ، ليُزري عاراً في النهاية .
ومن يعيش ير !
فرنسا
هيا ، يا حسناي كورديليا .

(يخرج فرنسا وكورديليا)
غونريل
أخته ، ليس قليلا ما لدي أقوله عما يهمننا نحن الاثنين . أظن أن أبي
سيرحل الليلة .

ريغن غونريل لا ريب ، وبرفتكما . وفي الشهر القادم سيأتي بنا . إنك ترين ما أكثر تقلباته في شيخوخته . وما لحظناه منها ليس بالقليل . كان دوماً يجب أختنا أكثر منا : وضعف حكمه ، إذ ألقى بها عنه ، ظاهر الفظاظَة والحطل .

ريغن غونريل إنه وهنٌ شيخوخته . وإلى هذا ، فإنه كان أبداً قليل المعرفة بنفسه . لقد كان في أفضل أيامه وأعقلها شديد الاندفاع . فعلينا أن نتوقع من شيخوخته لا أن نذاق نواقص طبعه المتأصلة فيه وحسب ، بل الهوى والعنادَ الأهوَجَ اللذين تأتي بهما أعوامُ سرعة السخَطِ والوهنِ .

ريغن غونريل قد نرى منه نزوات مفاجئة كتزوته هذه في نفي كنت . ثمة مزيد من رسميات التوديع بينه وبين فرنسا . أرجوك ، لنضرب معاً : إن كان أبونا سيستمر في إعمال السلطة وهو على حاله هذه ، فإن تنازله الأخير هذا لن يكون إلا ازعاجاً لنا .

ريغن غونريل ستولي ذلك مزيداً من التفكير . بل علينا أن نفعل شيئاً ، والحديدة حامية .

(تخرجان)

قلمة الورد غلوستر . يدخل ادموند ، وييده رسالة

للمشهد الثاني

ادموند أيتها الطبيعة (٧) ، أنت الهتي . شريعتك هي ما ألزمت نفسي بخدمته . لمَ التمسكُ بالعرف السقيم ، فأسمح لحذلقة الأمم بجرماني حقيقي لمجرد أنني تأخرت بالميلاد عن أخي

(٧) حين يملن ادموند أن « الطبيعة » هي الهة ، فإنه يملن عن رفضه الدين وقوانين المجتمع . فأحد معاني « الطبيعة » ، في عصر شكسبير ، يتصل بما هو من شيم الانسان الفطرية وقد استسلم للشيطان ، وأعرض عن المقدسات التي تنظم الطبيعة وتطهرها .

أشهراً اثني عشر أو أربعة عشر ؟
 لماذا ادعى نفلاً ؟ وضيعاً ؟
 وأبعاد جسمي مليحة الصنع ،
 وأنا أبي النفس ، أصيل الشكل
 كابن آية سيدة عفيفة ؟ لم يصمونا
 بالضعة ؟ بالنغالة ؟ بالضعة ، الضعة ؟
 نحن الذين في خلصة الشهوة من الطبيعة نحظى
 بمزيج أكبر وعزيمة أضرى مما يقتضيه
 خلق عشيرة كاملة من البلهاء
 ينسلكون بين نومة ويقظة
 في فراش متعب ، سليخ ، رتيب ؟
 إذن ، عليّ بأراضيك يا ادغارُ الشرعي :
 حبّ أبيتنا لنغله ادموند
 هو كحبه لابنه الشرعي . « شرعي » ، يا للكلمة !
 أخي الشرعي ، إن توفّق هذه الرسالة
 وتنجح حياتي ، فإن ادموند الوضيع
 سيعلو الشرعيّ أخاه : ولسوف أكبرُ ، وأثري .
 فيا أيتها الآلهة ، شدي أزر أولاد الحرام !

(يدخل غلوستر)

غلوستر	نُفي « كنت » هكذا ! ورحل فرنسا مغضباً !
	قاصراً نفسه على نفقة ! كل ذلك تمّ
	بفجأة وخزة ! أدموند ، هات ، ما وراءك ؟
ادموند	لا شيء يا سيدي .
غلوستر	فيم اللفهة في إخفاء تلك الرسالة ؟
ادموند	لا أخبار لدي ، يا سيدي .

- غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
غلوستر
ادموند
- ما تلك الورقة التي كنت تقرأها ؟
لا شيء ، يا سيدي .
لا ؟ ما الداعي إذن إلى العجلة في وضعها في جيبك خائفاً ؟ صفة اللاشيء
في غنى عن التحفي . تعال ، أرني إياها . إن تكن لا شيء ، لن احتاج
إلى نظارتني .
سيدي ، أرجو أن تعفيني . إنها رسالة من أخي لم أقرأها كلها بتمن ،
ومما قرأته منها أرى أنها لا تستحق تفحصك .
أعطني الرسالة يا فتى .
سأسيء ، أعطيتها أم أحجمت . فالمحتويات ، كما أفهم بعضها ،
تستحق الملامة .
هاتها ، لئر .
(يطيه الرسالة) أرجو ، تبريراً لأخي ، انه ما كتبها إلا امتحاناً لفضيلتي .
(يقرأ) « سياسة احترام الشيخوخة هذه تجعل الدنيا مريرة علينا في أفضل
سني حياتنا : إنها تحول دوننا ودون ميراثنا إلى أن نعجز لتقدمنا في السن
عن التمتع به . لقد جعلت أرى عبودية حمقاء لا طائل تحتها في الخضوع
لظلم مسين مستبد يتحكم لا لقوة فيه بل لخنوع فينا . تعال عندي
فأحدثك المزيد عن هذا . إن كان لأبي أن ينام إلى أن أوقظه ، لك أن
تتمتع بنصف دخله ، ونحيا جيب أخيك ، ادغار . »
ها ! مؤامرة ! « أن ينام إلى أن أوقظه - لك أن تتمتع بنصف دخله . »
ولدي ، ادغار ! ولدي ، ادغار ! أكانت له يد تسطر هذا ؟ أكان
له قلب ودماغ يستولدهما هذا ؟ متى أتتلك هذه الرسالة ؟ من أوصلها ؟
لم يوصلها إليّ أحد ، يا سيدي . هنا الحيلة . وجدتها مقدوفة من نافذة
غرفتي .
أواثق أن الخط خط أخيك ؟
لو كان فحواها خيراً لأقسمت على ذلك . ولكن ، وفحواها كما رأيت ،

أوثر ألا يكون هذا خطه .

أخطه ؟

غلوستر

خطه يا سيدي . ولكنني أرجو أن قلبه ليس في محتواها .

ادموند

ألم يسر غورك يوماً حول هذا الأمر ؟

غلوستر

أبدأ ، يا سيدي . وإن كنت قد سمعته مراراً يزعم أن الأبناء إذا ما
نضجوا ، والآباء إذا ما وهنوا ، فمن اللائق أن يجعل الابن وصياً على
أبيه ، ومديراً لدخله .

ادموند

نذل ، آه يا نذل ! رأيه بعينه في هذه الرسالة ! يا نذلاً كريهاً ! يا نذلاً ،
شاذاً ، مقتيماً ، وحشياً ، بل أخط من وحشي ! إذهب يا غلام وابحث
عنه . سأعتقله ، هذا النذل الحسيس ! أين هو ؟

غلوستر

لا أعرف بالضبط ، يا سيدي . لبتك تكف سخطك على أخي ريشما
تستخرج منه شهادة أفضل على مأربه ، فتنهج سبيل الأمان . ولكن إن
أنت لاحقته بعنف وقد أخطأت قصده ، قد يصدع ذلك شرفك ويحطم
منه قلب الطاعة . إني لأراهن بجياني على أنه كتب هذه الرسالة ليعجم
عود محبتي لشرفك ، لا لأي مأرب خطير منه .

ادموند

أهذا ظنك ؟

غلوستر

إن كنت سيادتك ترى من اللائق ، جعلتك في مكان تستطيع منه أن
تسمعنا نتباحث في ذلك ، فتقنع بشهادة من أذنك . ولن أماطل إلى أكثر
من مساء اليوم .

ادموند

يستحيل أن يكون وحشاً كهذا -

غلوستر

لا ريب .

ادموند

- إزاء أبيه الذي يحبه الحب كله ويحنو عليه الحنو كله . يا للسماء
للأرض ! ادموند ، جد أين هو ، شقّ طريقك إلى نفسه ، أرجوك .
دبر الأمر بحكمتك . لن أتردد في التخلي عن مقامي من أجل بلوغي
القرار الصحيح .

غلوستر

ادموند سأبحث عنه يا مولاي ، حالا . وسأصرف الأمر على خير ما أستطيع ، وأعلمك .

غلوستر ما رأينا من تكرار كسوف الشمس والقمر مؤخراً لن يبشرنا بخير : ولئن تملل حكمة الطبيعة ذلك بكيت وكيت . فإن الطبيعة تجدد نفسها مبتلاة بالنتائج اللاحقة . وإذا الحب يفتّر ، والأصدقاء يتمردون ، والأخوة ينقسمون : الشغب في المدن ، والفتنة في البلاد ، والحياة في القصور ، والرابط ينقسم بين الولد ووالده . وابني النذل هذا ينطبق عليه النذير ، فهذا ولد يقوم على والده : والملك يسير على غير هدي الفطرة ، فهذا والد يقوم على ولده . لقد انقضى أفضل ما في زماننا ، وراحت المؤامرات ، والنفاق ، والغدر ، وضروب الشغب الهدام ، تتعقبنا بضحجها حتى القبر . إبحث عن هذا النذل يا ادموند ، لن نخسر شيئاً . إبحث عنه بجنر . و « كنت » النبيل الصادق القلب يُنفى ! وما ذنبه ؟ الاخلاص ! غريبٌ وأيمٌ الحق .

(يخرج)

ادموند هذه حماقة الناس الرائعة : إذا ما اعتلّ الدهر بنا ، غالباً لا فرط منا في سلوكنا ، حملنا الشمس والقمر والنجوم جريرة نكباتنا ، كأننا أنذال بالضرورة ، وحمقى بقسر من السماء ، وأراذل ولصوص وخونة بحركات من النجوم ، وسكّيون وكذّبة وزناة بطاعة فرضتها علينا الكواكب السيارة ، كأن كل موبقة فينا أكرهتنا عليها مشيئة الهية . مراوغة رائعة من إنساننا الفاسق ، أن يحمل نجمة مسؤولة شهوانيته ! لقد وطئ أبي أمي ساعة ذيل التنين ، وجاءت ولادتي ساعة الدب الأكبر ، وبالتالي فلنني فقط وفاجر . هراء ! لكنك ما أنا عليه حتى لو تألقت أعف أعف نجمة في الفلك على نغلي . ادغار -

(يدخل ادغار)

(جانياً) يجيء رأساً ، كالكارثة في المهازل القديمة . أما دوري فهو الكآبة

السقيمة ، والتنهّد كتوما المجنون (٨) . آه ، إن هذا الكسوف المتكرر
لينذر بالشقاق . (بني) فا ، صول ، لا ، مي .

ما بك يا أخي ادموند؟ ما هذا الإطراق العميق منك؟
إني أتأمل يا أخي في تنبؤ قرأته قبل أيام ، عما سيتلو كسوفات الشمس
والقمر .

أتشغل نفسك بذلك؟
أؤكد لك أن العواقب التي يتحدث عنها تتحقق شوماً ، كالشذوذ بين
الأبناء وآبائهم ، أو الموت والقحط وانفصام الصداقات القديمة ، أو الشقاق
في الدولة ، والريب التي لا مبرر لها ، ونفي الأصحاب ، وتبدد القبائل ،
وتصدع الزواج ، إلى آخر ما هنالك .

منذ متى كنت تلميذاً للمنجمين؟
متى رأيت أبي آخر مرة؟
ليلة البارحة

هل تحدثت إليه؟
نعم لساعتين اثنتين .

وافترقتما على وفاق؟ ألم تلاحظ في كلامه أو محياه شيئاً من السخط؟
قطعاً لا .

فكّر في ما ربما قد أسأت به إليه . وأرجوك أن تمتنع عن المثول أمامه إلى
أن يكون بعض من الزمن قد لطّف حدة السخط الهائج في نفسه عليك ،
والذي لن يقلل منه أذى حضورك لديه .
نذل ما قد أساء إلي .

هذا ما أخشاه . أرجوك أن تكبح جوارحك إلى أن تخفّ سرعة غضبه ،
وكما قلت ، تعال معي إلى مسكني لأهيم لك مجالاً لسماع أبي يتحدث .

(٨) أو توما دار المجانين ، وهو تمييز كان شائعاً في انكلترا ، يطلق على شحاذ يظهر بالجنون ويتجول
في مزق تكشف عن ذراعيه وساقيه ، ويسمي نفسه عادة بتوما .

أرجوك هيا . هاك مفتاحي . وإذا تجولت في أي مكان فكن مسلحاً .	
مسلحاً ، يا أخي !	ادغار
أخي ، نصيحتي لخبرك . فلأعدّم الفضيلة إن كان هناك من ينوي لك الخير . لقد أعلمتك بما رأيت وسمعت ، ولكن بالطف الكلام ، لا بالصورة الرهيبة الحقيقية التي أعرفها . أرجوك ، إذهب .	ادموند
وهل سأسمع منك قريباً ؟	ادغار
إني أخدمك في هذا الأمر .	ادموند

(يخرج ادغار)

أب ساذج ، وأخ نبيل
 قصيّ الطبع عن الأذى
 فلا يرتاب في أحد . ما أسهل ما تمتطي
 دسائسي على بئها أمانته ! أمري جليّ .
 لأملكّنّ الأراضى ، إن لم يكن بالإرث ، فبالخدعة :
 وحلالٌ عليّ كلّ ما استنسبتُ فعله !

(يخرج)

حجرة في قصر دوق ألبي ، تدخل غونريل ومعها
 ازواله ، رئيس خدمها .

المشهد الثالث

هل ضرب أبي حاجبي لأنه نهر بهلوله ؟	غونريل
نعم يا مولاتي .	ازواله
إنه يظلمني ليل نهار . في كل ساعة	غونريل
يخدم في سيئة ذميمة أو أخرى	
تجعلنا جميعاً على خلاف : لن أتحمّل ذلك .	

أخذ فرسانه يعربدون ، وهو يوثبنا
لكل صغيرة . عندما يعود من الصيد
لن أتكلم اليه . قل له إنني متوعكة .
ولسوف تحسن فعلا إن أنت
تراخيت في خدماتك العتيدة له .
قصورك في ذلك سأدافع أنا عنه .
إنه قادم ، سيدتي . إني أسمع .

ازوالد

(ابواق صيد من الداخل)

تظاهروا بما شتمت من الإهمال والإعياء
أنت ورفاقتك ، لأنني أريد للموضوع أن يثار .
وإذا لم يرق له ذلك ، فليذهب إلى أخي ،
فأنا أعلم أنها متفقة معي
على رفض أي تجاوز علينا . شيخ مأفون
يصرّ على إدارة السلطات التي
تخلّى عنها بنفسه ! قسماً بحياتي
ما الشيوخ الهُبُلُ إلا أطفالٌ من جديد ، ولا بد في معاملتهم
من الصدِّ وأنا والتملق أنا ، عندما يشط الوهم بهم .
تذكر ما قلته لك .
تماماً ، سيدتي .

غونريل

ازوالد

غونريل

ولفرسانه أظهروا بروداً أشد .
مهما تكن العاقبة ، فلا بأس . أعلم رفاقتك بذلك .
أود أن استنجم الفرص من ذلك
لكي أتحدث فيه . سأكتب حالا إلى أخي
لتحدّو حذوي . هيء العشاء .

(يجرجان)

المشهد الرابع

قاعة في القصر نفسه . يدخل كنت متنكراً

كنت إذا اتخذتُ لي لهجةً أخرى
تُشوش نطقي ، فقد أفلح بحسن قصدي
في بلوغ النتيجة الكاملة التي
من أجلها محوت صورتني . والآن ، أيها المنفي كنت ،
إن استطعت أن تخدم في مكان أنت فيه محكوم عليك ،
فلعل سيدك الذي تحبه
أن يجدهك محملاً بالمضنيات .
أبواق صيد من الداخل . يدخل لير ، وفرسان وحشم .

لا تجعلني أنتظر العشاء برهة واحدة : إذهب وهيته .
(يخرج أحد الحشم)

ها ! من أنت ؟
كنت إنسان يا سيدي .
لير ما عمالك ؟ ماذا تريد منا ؟
كنت أريد أن أقول اني لست بأقل مما أبدو .أخلص خدمة من يوليبي ثقته ، وأحب
الأمين الكريم ، وأعاشر الحكيم الذي يتفوه بالقليل . أخاف الدينونة ،
وأقاتل إذا القتال نحتم ، ولا أكل السمك . (٩)
لير من أنت ؟
كنت رجل أمين القلب جداً ، وفقير كالملك .
لير إن كنت كأحد أفراد الرعية فقيراً فقري أنا كملك ، فإنك حقاً فقير .

(٩) العبارة الأخيرة تأويلان : ١ - اني بروتستاني ، ٢ - اني لست من المستضعفين . ولعل العبارة أهدأ
مفياً جنسياً .

ماذا تريد ؟	
خلمة	كنت
لمن ؟	أبر
لك .	كنت
أتعرفني يا رجل ؟	أبر
لا يامولاي . ولكن في مظهرك ما يروق لي أن أسميه سيداً .	كنت
وما ذلك ؟	أبر
السلطان .	كنت
وما الذي بوسعك من خدمات ؟	أبر
بوسعي أن أكتب السرّ الشريف ، وأركب الخيل ، وأركض ، وأفسد الحكاية المنمّقة بسردها ، وأبلغ الرسالة الصريحة بغير مواربة . وما يُحسن صنعه البشرُ العاديون ، فلإني مؤهل لصنعه ، وخير ما في الاجتهاد .	كنت
وما عمرك ؟	أبر
لست من الشباب يا سيدي بحيث أغرم بامرأة لغنائها ، ولا من الشيخوخة بحيث أسلب العقل لأي شيء فيها . على كاهلي من السنين ثمانٍ وأربعون .	كنت
أتبعني . ستخدمني . إذا لم يقلّ رضاي عنك	أبر
بعد العشاء ، فلإني لن أفارقك .	
العشاء ، يا قوم ، العشاء ! أين	
ولدي ، بهلولي ؟ إذهب وادع لي بهلولي .	
(يخرج أحد الحشم يدخل ازوالد)	
أنت يا غلام ، أين ابنتي ؟	
أرجوك - (يخرج)	ازوالد
ما الذي يقوله الرجل ؟ أعد ذاك الأبله إليّ .	أبر
(يخرج أحد الفرسان)	

أين بهلولي ، يا قوم ؟ كأنما الدنيا نائمة .

(يعود الفارس)

ها ! أين ذلك الفرد ؟

يقول ، يا سيدي ، إن ابنتك متوعدة .

لِمَ لم يعد العبد إليّ عندما طلبته ؟

سيدي ، أجابني بأوضح العبارة بأنه يرفض .

يرفض !

مولاي ، لست أدري ما الأمر ، ولكن الذي أرى هو أن جلالتكم لا تعاملون بما اعتدتموه من الود والتبجيل . ثمة نقص كبير في اللطف باد في الخدم عموماً ، كما في الدوق نفسه ، وكذلك في ابنتكم .

ها ! أهذا ما تقول ؟

أستمحك الصفح يا مولاي إن كنت على خطأ . فمن واجبي ألا أسكت عندما يخيل إليّ أن ثمة إساءة إلى جلالتكم .

إنك إنما تذكرني بما جال في خاطري . لقد لحظت مؤخراً شيئاً زهيداً من الإهمال . فنسبت ذلك إلى تدقيقي الصارم أكثر منه إلى القصد والتصميم على الإساءة . سأعيد النظر في الأمر . ولكن أين بهلولي ؟ لم أراه ليومين اثنين .

منذ أن رحلت سيدي الصغرى إلى فرنسا ، يا مولاي ، أصيب البهلول بالهزال .

كفى ، كفى . لقد لحظت ذلك جيداً . إذهب أنت ، وقل لابنتي إنني أريد الحديث إليها .

(يخرج أحد الحشم)

واذهب أنت ، وادع إليّ بهلولي .

(يخرج أحد الحشم)

(يدخل ازواله مرة أخرى)

أنت يا سيد ، أنت ، تعال هنا ، يا سيد . من أنا يا سيد ؟
ازوالد والد سيدتي .
لير « والد سيدتي ! » ابن سيدتي : يا كلب ، يا ابن الزانية ! يا عبد ! يا جرو !
ازوالد أنا لست أباً من هذه يا سيدي . أرجو عفوكم .
لير أتردّ علي النظرة بنظرة يا وعد ؟ (يضر به)
ازوالد أرفض أن أضرب يا سيدي .
كنت وأن تُمرقّل أيضاً ، يا لاعباً حقيراً لكرة القدم . (١٠)

(يمرقّل نفسه ويوقمه)

شكراً يا رجل . إنك لتخدمني . ولسوف أحبك .
لير هيا يا سيد ، إنهض ، إنصرف ! سأعلمك الفروق بين الناس . إنصرف !
كنت إن كنت تبغي قياس الطول في شحمك ثانية ، فأبق في مكانك . ولكن
إنصرف ! إذهب . أما عندك من عقل ؟

(يخرج ازواله)

إلى حيث ألفت !
لير شكراً أيها الرجل الصديق . هاك عربون خدمتك .

(يطلي كنت نقوداً .)

(يدخل البهلول)

دعني أنا أيضاً أستأجره : هاك طرطوري . (١١)
لير أهلا يا فتاي الوسيم ! كيف أنت ؟

(١٠) كانت كرة القدم في عصر شكسبير تعتبر لعبة منحلة يلعبها الصبية الماطلون في الشوارع ويضجون بها الناس .

(١١) كان المأثور أن البهلاء والبهاليل يلبسون طاقية تمثل عنق الديك ورأسه ، وفي أعلاها جرس صغير ، وهي تسمى بالانكليزية « حرف الديك »

بهلول يا سيد ، خير لك أن تأخذ طرطوري .
(يقدم قبه لكت)

كنت لماذا يا بهلول ؟
بهلول لماذا ؟ لأنك تناصر رجلا ذهب عزه . إذا لم تستطع أن تبسم حينما الريح
تقع ، ستجد نفسك قريباً في زمهرير : هاك ، خذ طرطوري . ألا ترى
أن هذا الرجل قد نفى اثنتين من بناته ، وبارك الثالثة رغماً عن إرادته :
إن كنت ستبعه عليك أن تلبس طرطوري . والآن ، عماه ! يا ليت
لي طرطورين وابتين !

لير لم يا ولدي ؟
بهلول إن أعطيتُهما كل ما أملك ، أبقيتُ لنفسي على الطرطورين . هاك
طرطوري ، واشخذ الآخر من ابتيك .

لير حذار يا غلام . السوط !
بهلول الحق إن على الكلب أن يذهب إلى مأواه . عليه أن يطرد بالسوط بينما
للكلبة أن تقف قرب النار وتُنتن .

لير يا للمرارة الموبوءة ! (١٢)
بهلول يا رجل ، سأعلمك خطاباً .
لير هيا .

بهلول إنته إليه ، عماه :

إحتفظ بأكثر مما تبدي
وانطق بأقل مما تدري ،
أدن أقل مما تملك
واركب لأبعد مما تذهب ،
تعلم أكثر مما تعلم

(١٢) فحاشا يذكر لير وقاحة أزواله ، أو حماقة هو في نفى كورديليا ، أو انه يشير إلى اللع في حكم
البهلول الذي سيسه بمد قليل به بهلول المرير .

ووفر أكثر مما تبذر ،
دع عنك خمرك ثم عهرك
والزم من دارك عقرك ،
تجد في كل عشرين لديك
أكثر من عشرين .

كنت هذا لا شيء يا بهلول .
بهلول إذن: فهو كأنفاس محام لم يُنقذ أجره ، فأنت أعطيتني لا شيء مقابل له .
لير ألا تستطيع الاستفادة من لا شيء يا عمك ؟
بهلول طبعاً لا ، يا ولدي . لا شيء يوثني من لا شيء .
بهلول (لكنك) أرجوك أن تقول له ان ذلك حصيلة الايجار من أراضيه . فهو لن يصدق البهلول .

لير بهلول مرير !
بهلول اتعرف الفرق يا ولدي بين بهلول عذب وبهلول مرير ؟
لير لا يا فتى . علّمني .

بهلول ذاك الأمير الذي قد نصحك

بالجود بأراضيك كلها

جيء به إلى جاني -

مثله أنت بنفسك :

يظَهَرُ في الحال كلاهما :

بهلول العذب والمرير ،

أحدهما في ملوثة (١٣) هنا

والآخر واقفاً هناك . (مشيراً الى لير)

لير أتدعوني بهلولا يا ولد ؟
بهلول ألقابك الأخرى كلها تخلت عنها ، أما ذاك اللقب فقد وُلد معك .

(١٣) الملوثة هي بدلة البهلول ، وهي تتألف من رقع كثيرة الألوان .

كنت
بهلول
هذا ليس بهلولا كله يا مولاي .
لا والله ، فالأمراء وكبار القوم يحولون دوني ودون ذلك . ولو مُنحتُ
احتكاراً له ، لطلبوا بحصة فيه . والسيدات كذلك ، بمنعني عن الاستئثار
بالبهلول لنفسي ، ويتخاطفنه مني . عمّاه ، أعطني بيضة أعطيك تاجين .
وما التاجان ؟

لير
بهلول
عندما أقسم البيضة نصفين وأكل ما فيهما ، يبقى التاجان من قشرتها .
ساعة شطرت تاجك نصفين ، ووهبت كليهما ، حملت حمارك في
الوعر على ظهرك^(١٤) . ما أقل العقل في تاج رأسك الأصلع حين أقيت عنك
بتاج رأسك الذهبي ! إن كنت أتحدث في هذا حديث البهاليل ، فلتأمر
بجلد أول من يتبين أن الأمر كذلك .

(ينهي) عزّ البهاليل انقضى

فالحكماء اليوم هيبلٌ ،

العقل فيهم عاطلٌ

والشيسمُ منهم كالقروذ .

متى اعتدت الفيض بالأغاني يا فتى ؟

لير
بهلول
أخذت أغني منذ ان جعلت من كلتي ابتيتك أمّاً لك . إذ حين أعطيتهما
العصا وأنزلت سراويلك ،

(ينهي) راحتنا تذرّفان دموع الفرح

وذرفت أنا دموع الحزن ،

على ملك كالأطفال يلهو

ويندس بين المجانين .

أرجوك ، عمّاه ، جىء بمعلم يلقن بهلوك الكذب . أود لو أتعلم الكذب .

والله لو كذبت لأمرنا بجلدك .

لير
بهلول
لست أدري أية قربي بينك وبين ابتيتك : هما تأمران بجلدي إن نطقت

(١٤) الإشارة إلى حكاية إيسوب الشهيرة عن الرجل وولديه والحمار .

بالصدق ، وأنت تأمر بجلدي إن نطقت بالكذب . واجلد أحياناً لأنني ألجأ
إلى الصمت . ليتني ما كنت بهلولا بل أي شيء آخر . لكنني لن أتعنى
لو كنت أنا أنت ، عماء . لقد قصصتَ عقلك من الطرفين ، فلم
ترك شيئاً في الوسط . وها هي إحدى القصصات قادمة .
(تدخل غونريل)

لبر
ها يا بنية ! ما الذي يُلبسك هذا الحجاب (١٥) ؟
أراك هذه الأيام تبالغين في العيوس .

بهلول
لقد كنتَ فتى جميلاً يوم لم يكن يهيك شيء من عيوسها . أما الآن فأنت
صفر بلا رقم . إني خير منك الآن : أنا بهلول ، وأنت لا شيء .
(لغونريل) اي والله ، سأمسك عن الكلام . وجهك يأمرني بذلك ،
وإن لم تقولي شيئاً .

حوتة يا حوتة :

تعبانُ مَنْ بذّر وما

أبقى لنفسه فتوته .

هذه قشرة بزالية ! (شيراً الدبير)

لغونريل
سيدي ، لا بهلولك هذا فحسب ، المتروك له الحبل على الغارب ،
ولكن آخرين أيضاً من حاشيتك الرعاء
يتنازرون ويتشاجرون كل ساعة ، وينطلقون
في عربدات فاضحة لا تطاق . سيدي ،
لقد حسبت إن أنا أطلعتك على هذا
لا بد أني واجدة لإصلاحاً له . ولكني الآن جعلت أخشى ،
بما فعلت أنت وقلت بعد أن فات الأوان ،
أنك تحمي هذه الأفعال وتستثيرها
بموافقتك . فإذا كان الأمر كذلك

(١٥) مجازاً ، أي نظرة العيوس .

لن ينجو الخطأ من اللوم ، ولا الاصلاح يتقاعس ،
رغبة مني في الحفاظ على حُكْم سليم ،
مما قد يسبب لك في التنفيذ إساءةً
تعاب عليّ ، لولا أن الضرورة
ستبدي ان هذا هو سبيل السداد .
لأنك تعلم ، يا عماء

بهلول

راح اللوري يطعم الوقوق
حتى أكل الوقوق رأس اللوري (١٦)
وهكذا انطفأت الشمعة ، وبقينا في الظلام .
هل أنت إبتنا ؟

لير

ليتك تُعمل حكمتك ،
التي أعلم أنك مليء بها ، فتُقلع
عن هذه التزوات التي غدت تُبعِدك
عن حقيقة نفسك .

غونريل

ألا يعرف الحمار متى تجرّ العربة الحصان ؟ أحبكِ والله يا حثونة !
هل هنا من يعرفني ؟ هذا ليس لير :
أيمشي لير هكذا ؟ أينطق هكذا ؟ أين عيناه ؟
عقله يضعف ، وإدراكاته
يصيبها الشلل . ها ! أواع أنا ؟ كلا .
من له أن يخبرني من أنا ؟

بهلول

لير

ظل لير .

بهلول

أعلموني . لأنني اعتماداً على دلائل السيادة ، والمعرفة ،
والعقل ، لن أفتع إلا كذباً بأن لي بنات .
يجعلن منك أباً مطيعاً .

لير

بهلول

(١٦) كان هذا مثلاً يضرب على تكرار الجميل .

لير
 غونريل
 ما اسمك ، أيتها السيدة الحسنة ؟
 هذا الاستغراب ، يا سيدي ، شديد الشبه
 بالأعيك الجديدة الأخرى . أرجوك
 أن تفقه ما أرمي إليه على وجهه الصحيح .
 ما دمت شيخاً جليلاً ، عليك بالحكمة .
 إنك تووي هنا مئة من الفرسان والمرافقين ،
 كلهم عربيد خليع وقح ،
 حتى بدا بلاطنا ، وقد أوبأته عاداتهم ،
 أشبه بالخان الصاحب . وبفجورهم وأبيقوريتهم
 صار أشبه بالخانة أو المبنى
 منه بقصر شريف . إن الحياء لينص على
 ضرورة العلاج فوراً . ولذا فلإني أطلب إليك -
 وإلا أخذتُ قسراً ما ألتمس -
 أن تقلل من حاشيتك .
 وعلى الباقين ممن سيقومون بخدمتك
 أن يكونوا قوماً لائقين بسنك ،
 يعرفون قدرك وقدر أنفسهم .
 يا ظلاماً ، يا شياطين !
 أسرجوا خيلي . جمّعوا حاشيتي .
 يا ابنة الحرام الحقيرة ! لن أزعجك .
 ما زالت لدي ابنة أخرى .
 تضرب جماعتي ، وأجلافك المشاغبون
 يجعلون خدماً ممن هم أشرف منهم .

(يدخل ألبني)

لير
 الويل لمن يتدم بعد أن فات الأوان ! ها ، سيدي ، أجتت ؟

أهذه مشيتك ؟ تكلم يا سيدي . هيتوا خيلي .
أيها العقوق ، يا شيطاناً قلبه من رخام ،
لأفبح من وحش البحر أنت حين تبدّي
في ولد لزاء أبيه .

أرجوك صبراً ، يا سيدي . البي

لير (لغوزيل) أيتها الهدأة المهجورة (١٧) ! تكذابين .

حاشيتي رجال كرام نادرو الخصال ،

يعرفون خصائص واجبههم كلها ،

وفي أدق التفاصيل لا يأتون إلا

ما يدعم سمعتهم النبيلة . يا أصغر الأخطاء كلها ،

ما أفبح ما بدوت في كورديليا !

فرحت كآلة نتزع هيكلي الطيبيّ

من مستقرّه وتمنص كل ما في قلبي من حب ،

وتضيف مرّاً إلى المرارة ! لير ، يا لير ، يا لير !

إضرب الباب هذا الذي أدخل جنونك (يضرب رأسه)

وأخرج عزيز رشذك ! هيا ، يا قوم ، هيا .

لا ذنب لي ، يا مولاي . لست أدري

ما الذي أثارك . البي

لملك صادق ، يا سيدي . لير

أيتها الطييمة اسمعي ، اسمعي ! أيتها الآلهة العزيزة اسمعي !

إن كنت قد شئت لهذه المخلوقة خصباً ،

فامنعي مشيتك عنها !

(١٧) يقول الناقد آرمسترونغ في كتابه « خيال شكسبير » أن الهدأة عند شكسبير « مخلوق حقير يرمز إلى الجبن، والضعف ، والقسوة ، والموت » ، ويدلل على أن الإشارة إليها تقترن عادة بالإشارة إلى الفراش ، والموت ، والأرواح ، والطيور ، والطعام . في سياقنا هذا لدينا : « قلب من رخام » ، « الشياطين » ، « الأبيقورية » .

أنزلي العقم برحمها !
 يبسي أعضاء النسل فيها
 فلا ينطلق يوماً من جسمها المنحط
 طفلٌ يشرفها ! وإن كان لها أن تلد ،
 لصنمي طفلها من السوداء ، ليحيا
 عذاباً لها من شنوذ وقسوة !
 ليطلع الغضون في جبينها القبي ،
 وبالدمع المتون ليحفر المجاري في خديها ،
 ويحل هموم الأم فيها
 ضحكاً وزراية ، لعلها تشمر
 أن للولد الماق فعلا
 أمضي من أنياب أفضى ! هيا ، هيا ! : يخرج)
 يا آلهة تعبدما ، ما الداعي إلى هذا ؟
 لا تزعج نفسك بمعرفة المزيد :
 بل دع لمزاجه المجال الذي
 يدفعه إليه الحرف .

النبي
 غونريل

(يدخل لبر مرة أخرى)

لبر
 ماذا ! أحمسون من أتباعي بضربة واحدة
 في اسبوعين اثنين !
 سيدي ، ما الأمر ؟
 سأخبرك . (لغونريل) وحق الحياة والموت إنني
 ليخجلني أنك تقدرين على زعزعة رجولتي هكذا ،
 وأن دموعي السخينة هذه ، التي تظفر عني قسراً ،
 تجعلك جديرة بها . ألا لتفتك الزعازع والضباب !
 وما في لعنة الأب من جروح لا تداوى

النبي
 لبر

ألا فلنخرق كلَّ حَسٍّ فيك !
 إن أنت ، يا عيني الحمقاء ، بكيت هذا الأمر ثانية ،
 إقتلتك وألقيت بما فيك من ماء تطلقينه ،
 لتطيتي التراب . أجل ، أهذا ما بلغناه ؟
 ها ! فليكن ! لي ابنة أخرى
 كريمة مؤسفة ، دونما ريب .
 إذا ما سمعتَ بهذا عنك فإنها بأظفارها
 ستسلخ وجهك الذئبي هذا . ولسوف ترين
 أنني سأسترد الشكل الذي تحسبين
 أنني ألقيت به عني إلى الأبد .

(يخرج لير ، وكنت ، والمرافقون)

أرأيت ؟

غونريل
 البني

غونريل ، لا أستطيع التحيز
 لحبي العظيم لك ، -

أرجوك ، كفى . ازوالد ، أين أنت ؟

غونريل

(ليهلول) وأنت ، يا سيد ، يا وغداً أكثر منك بهلولا - الحق بسيدك .

عماه ، عماء لير ، تريت ، خذ البهلول معك .

بهلول

ثعلبية اصطدتها

وفتاة كهذه ، سأهرع بها ،

للمسلحة ،

لو تشتري قبعتي حبلاً لها !

بهلول ، إذن ، عليك بها !

(يخرج)

كان لهذا الرجل من أحسن النصح له . مئة فارس !

غونريل

من الدهاء والحيلة أن يحتفظ

بمئة فارس مسلح مهياً . وإذا هو لأقلّ حلم ،
لأقلّ شائمة ، لأقلّ وهم ، لأقلّ شكوى أو استياء
يلود عن خرقه بقوام
ويجعل حياتنا تحت رحمته . أزوالد ، أين أنت ؟
قد تبالغين في الخشية .

البي
هوريل

ذاك خير من أن أبالغ في الائتمان .
لخيراً أن أدفع دوماً أذى أخشاه
من أن أخشى دوماً أن ينالني الأذى . أعرف قلبه .
وما قاله كتبته لأختي
فإذا رحته وفرساته المنة ،
بعد أن يبتت لها عدم الصلاح -

(يدخل أزوالد)

والآن يا أزوالد ؟
هل كتبت تلك الرسالة إلى أختي ؟
نعم ، مولاي .
خذ بعض الرفاق معك ، وعليكم بالخيل .
أخبرها مفصلاً بمخاوفي الخاصة ،
وأضف إليها من أسباب من لدنك
ما يزيد من حاجتها . هيا اذهب
وعد بسرعة .

أزوالد
هوريل

(يخرج أزوالد)

لا ، لا ، يا مولاي ،
طريقتك الرقيقة اللطيفة هذه
وإن كنت لا أشجبتها ، فإنها عند العفو
ستكون سبباً في القدرح بجهالتك

أكثر من الإطراء على لينك المؤذي .
 لا أعرف مدى ما تنفذ إليه عينك :
 كثيرأ ما نحاول أن نكحّل العين ، فنعميها .
 إذن -
 لا بأس ، لا بأس ، النتيجة .

البي

غونريل

البي

فناء أمام قصر دوق ألبي .
 يدخل لير، وكنت، وبلول .

المشهد الخامس

لير إسبقي إلى غلوستر (١٨) بهذه الرسائل . لا تُعلم إبنتي بما تعرف أكثر
 مما يتأتى عما توحيه الرسالة من سؤال . إذا لم تُجدّ وتسرعْ فإنني سأكون
 هناك قبلك .
 كنت لن أنام يا مولاي حتى أسلم رسالتك . (يخرج)
 بلول إذا كان عقل المرء في كعبه ألا يُخشى عليه من الشفق ؟
 لير نعم يا ولدي .
 بلول إفرح إذن ، أرجوك . لن يحتاج عقلك إلى نمل يحنّبه (١٩)
 لير ها ها ها !
 بلول سترى إبتك الثانية تعاملك على فطرتها . فهي إن تشبه هذه كما تشبه
 التفاحة التفاحة ، فإنني أعرف ما أعرف .
 لير وماذا تعرف يا ولدي ؟
 بلول سيكون طعمها كطعم هذه ، كما تشبه التفاحة الحامضة التفاحة الحامضة .
 أتعرف لماذا جعل الأنف في وسط الوجه ؟

(١٨) أي بلدة غلوستر التي يقع بقرها قصر اللوق .

(١٩) أي ، لن يحتاج لير إلى نمل يحفظ به كعبه من الشفق ، إذ ليس لديه عقل حتى في كعبه ، بتجشبه مشقة
 الرحيل إلى ابنته الثانية رينز .

- لير
 بهلول
 يكون للمرء عين على كل ناحية من أنفه ، فما يعجز عن شمة لا يعجز
 عن رويته .
 لقد ظلمتها -
- لير
 بهلول
 أتعرف أنت كيف تصنع المحارة صلختها ؟
 كلا .
- لير
 بهلول
 وأنا . ولكنني أعرف لماذا يجعل الحلزون قوقعة لنفسه .
 لماذا ؟
- لير
 بهلول
 ليضع رأسه فيها ، فلا يسلمه لبناته ، ويترك قرنيه بلا قراب .
 لير
 سأنسى طريقي . أنا الأب الحنون ا هل جهزت خيلي ؟
 بهلول
 حميرك تعني بها . أما أن الكواكب السبعة (٢٠) هي سبعة لا أكثر ،
 فإن لذلك سبباً مناسباً .
- لير
 بهلول
 لأنها ليست ثمانية ؟
 اي والله ا لو شئت لكنت من أحسن البهاليل .
 لير
 تأخذها عنوة ا يا لجحود الوحش ا
 بهلول
 لو كنت بهلولي يا عماء ، لأمرتُ بضررك لشيخوختك قبل أوانك .
 وكيف ذلك ؟
- لير
 بهلول
 كان عليك ألا تشيخ قبل أن تعقل .
 لير
 لا تدعيني أجنّ ، أجنّ ، أيتها السماء العنيفة ا
 أبقي على اتراني . لا أريد أن أجن ا

(يتخل مرانق)

والآن ، هل هيأتم الخليل ؟

(٢٠) أي اثريا .

مرافق
لير
بهلول
إنها مهيأة ، يا مولاي .
هلم يا ولدي .
(معهما نحو المشاهدين)
من تكن منكنّ عنراء وتضحك فقط لما أقول
لن تطول بها العنرة ، إلا إذا قصصنا من الأمور (٢١) .

(٢١) من الأبيات التي يمتدّد أنها حشو مقحم على النصّ الشكسيري .
والعبارة تعني أن العنراء التي لا ترى إلا ناحية المنزل من لواضع بهلول ، ولا تدرك أن لير مقبل على
مأساة ، فاتها من السلاجة بحيث لن يطول بها أمد البتولة .

الفصل الثاني

فناه داخل قلعة إيرل غلوستر . يدخل ادموند ،
وكرن ، فيلتيان .

المشهد الاول

- ادموند مرحباً ، يا كَرَن .
كرن مرحباً يا سيدي . كنت مع أبيك ، وقد أخطرتَه بأن دوق كورنول
وعقبيلته ريفن سيكونان الليلة هنا معه .
ادموند كيف جرى ذلك ؟
كرن لست أدري . هل سمعتَ ما يقول الناس به ؟ أقصد ما يتهامسون به ،
فهو حتى الآن لا يعدو كونه مما يعابث الآذان .
ادموند كلا . ما هو ؟
كرن ألم تسمع بإمكان وقوع حرب وشيكة بين دوق كورنول ودوق البني ؟
ادموند ولا كلمة .
كرن لعلك إذن ستسمع ، عن قريب . وداعاً يا سيدي .
(يخرج)
- ادموند اللدوق هنا الليلة ! رائع ، رائع !
إن هذا لينضفر قسراً فيما أريد .
لقد عين أبي حرساً لاعتقال أخي .
ولديّ أمر واحد يقتضي الدقة

وعليّ أن أفعله . أيها الحظّ ، أيتها السرعة ، هياّ بكما !
أخي ، كلمة ! إنزل ، أخي ، إنزل !

(يدخل ادغار)

أبي يترقّب : اهرب من هذا المكان
فقد بلغه خبرٌ عن مخبتك .
لديك الليل تُفيد منه الآن .
ألم تتهجم على دوق كورنول ؟
إنه قادم هنا الآن ، في الليل ، على عجل ،
وبرفته ريغن . ألم تقل شيئاً
من جانبه ، ضد دوق النبي ؟
تأمل .

ادغار
ادموند

ولا كلمة . قطعاً .
اسمع أبي قادمًا . العفو :
سأتظاهر بأنني أشهر سيفي عليك .
أشهر سيفك . تظاهر بالدفاع عن نفسك . أحسن البلاء !
(سائماً) سلّم ! تعال أمام أبي ! التور ، يا قوم !
(بصوت منخفض) اهرب يا أخي . (سائماً) المشاعل ! المشاعل !
(بصوت منخفض) وداعاً !

(يخرج ادغار)

(جارحاً ذمّاه) قليل من التريف سيدعو إلى الظن
بأنني ضرّوتُ في محاولتي . لقد رأيت سكّيرين
يفعلون لهواً أكثر من هذا . أبي ! أبي !
قفوا ، قفوا ! أما من نجدة ؟

(يدخل غلوستر مع عدم يحملون مشاعل)

ها ، ادموند ، أين النذل ؟ غلوستر

ادموند تربص هنا في الظلام ، وسيفه الماضي مسلول ،
وهو يتمتم بتعاويد شريرة ، مهيباً بالقمر
أن يُحسن قأله (٢٢) .

غلوستر ولكن أين هو ؟

ادموند أنظر يا سيدي ، دمي يسيل .

غلوستر أين النذل يا ادموند ؟

ادموند هرب من هنا ، إذلم يستطع -

(يخرج بعض الخدم)

غلوستر إلحقوا به ! عليكم به !

ادموند « إذلم يستطع » ماذا ؟

غلوستر إغرائي بقتلك يا سيدي .

بل قلت له إن الآلهة المتتمة

تصوّب الرعد على كل من يقتل أباه .

وحدثته عن عديد الروابط القوية

التي تربط الولد بأبيه . والخلاصة يا سيدي ،

لما رأى أنني أقف موقف التقيض المر

لما يبغيه من شنوذ ، جامني عاتياً

والسيف مشهر في يده وإنهال عليّ

وأنا من غير حمى ، وطعن ذراعي :

وإذ رأى عزيمتي تهبّ

لمواجهته ، جريئةً لنجدة الحق في هذا الخصام ،

أو لعله ارتعب من صرختي ،

فإنه فجأة فرّ من أمامي .

(٢٢) يستغل ادموند بهذا إيمان أبيه بالغيبيات .

غلوستر

مهما أضمن في فراره ،
فإنه لن يبقى طليقاً في هذه الأرض .
حالما تجده - إقصر عليه . سيدي النبيل الدوق ،
وهو أميرى الكريم الأول ، قادم هذه الليلة .
ولسوف أعلن بسلطة منه
أن كل من يلقاه يستحق امتناننا
إن هُوَ جاء بالقاتل الرعديد إلى الخشبة ،
والموت لمن يتستر عليه .

ادموند

حينما حدّرتُه من قصده
ووجدته مصمماً عليه ، هددت بفضحه
بأغاظ الألقاظ ، فأجاب :
« أيها النغل المُعدّم ! أتحسب
إن أنا وقفت في وجهك أن ثمة فيك
ثقةٌ أو فضيلة أو جدارة
تجعل أحداً يصدق ما تقول ؟ كلا : وما أنكره -
لأنني سأنكره ، حتى ولو أبرزت للملأ
ما خططتُه بيدي - سأعزوه كله
إلى حثك وتأمرك ونجث خداعك :
ولتَحسبنَّ الناسَ أغبياء
إن هم لم يروا أن في موتي لك من الفوائد
البيّنة ما هو مُترع
باغرائك على طلبه . »

غلوستر

يا للنذل العنيد العجيب !
أقال إنه سينكر هذه الرسالة ؟ لا كان ولدي !
إسمع ! أبواق الدوق . لا أدري فيم يجيئه .

(أبواق من الداخل)

المنافذ كلها سأسدها . لن يخلص النذل .
يجب على اللوق أن يأذن لي بذلك . ثم إنني
سأرسل صورته للقاصي والداني ، لكي يعلم به
كل من في المملكة . أما أنت ،
يا ولدي الطبيعي (٢٣) الوفي ، فسأعدّ العدة
لأمكنك من ميراث أراضني .

(يدخل كورنول وريغن ، ومرافقون)

كورنول مرحباً بصديقي النبيل ! ما كدت أصل هنا ،
ولي أن أقول إنني الآن وصلت ، حتى سمعت نبأً غريباً .
ريغن إن يكن صحيحاً ، مهما يلحق المسيء
من انتقام فإنه لن يَبْقِيَهُ حقه . كيف حالك يا سيدي ؟
غلوستر آه يا مولاتي ، قلبي المسن قد تفتّر ، تفتّر .
ريغن ماذا ! هل راح إشبين أبي يطلب حياتك ؟
هذا الذي سمّاه أبي ، إنك ادغار ؟
غلوستر آه يا سيلتي ، أكنم ذلك خشية العار .
ريغن ألم يكن رفيق الفرسان المرابدين
الذين يخدمون أبي ؟
غلوستر لا أدري ، مولاتي . عيب ، عيب .
ادموند أجل مولاتي ، كان أحد صحبيهم .
ريغن لا عجب إذن إن هو قد خان .
هم الذين حرضوه على قتل الشيخ
ليحفظوا بأمواله فيسفقوها ويبدّروها .
لقد أرسلت إليّ أخوتي هذا المساء بالذات

(٢٣) فيها تورية يقصد بها غلوستر : ان الطبيعي في الولد أن يكون وئياً ، وان ادموند ابن طبيعي ، أي غير شرعي ، ومع ذلك فقد برهن على وفائه ، أكثر من ابنه الشرعي .

تُعلمني بهم ، وتحذّرني
إذا هم جاؤاً للإقامة في منزلي
ألا أكون فيه .

كورنويل وأنا كذلك ، قطعاً ، يا ريغن .
ادموند ، بلغني أنك قمت لأبيك
بمهمة الابن ؟

ادموند واجب علي ، يا سيدي .
غلوستر لقد فضح خديعته . فثاله
هذا الجرح الذي ترون ، إذ حاول اعتقاله .

كورنويل أملاحقّ هو الآن ؟
غلوستر نعم ، مولاي الكريم .
كورنويل إذا ألقى القبض عليه ، لن يخشى أحد
أذى منه . قرر أمرك
بما تشاء من سلطتي . أما أنت يا ادموند ،
فإن طاعتك المفضالة الآن تركّيك
لتكون أحد رجالنا .
إن بنا مسيس الحاجة لمن هم خالصو الأمانة مثلك .
أنت أول من نأخذ .

ادموند سأخدمكم ، يا سيدي ،
بإخلاص مهما يكن .
غلوستر أشكر سموكم نيابة عنه .
كورنويل أنت لا تدري لماذا جئنا لزيارتك —
ريغن في غير موعد الزيارة ، كالحيط في سُمّ الليل :
أسباب ذات شأن ، أيها النبيل غلوستر ،
لا بد لنا من مشورتك فيها .

لقد كتب إليّ أبي ، وكذلك أختي ،
 عن خلافات وجدت أن الأفضل
 أن أجيب عنها بعيدة عن بيتنا . رُسُلنا العديليون
 على أهبة الإيفاد من هنا . أيها الصديق القديم الكريم ،
 واسِ صدرك ما استطعت ، وهبنا
 نصحك الضروري في أمرنا
 الذي يطالبنا بالتنفيذ في الحال .
 إني في خدمتكما ، مولاتي .
 أهلا وسهلا بسموكما .

غلوستر

(أبراهام . يجرجون)

قرب قلمة غلوستر . يدخل كنت وأزواله ، كل من ناحية

المشهد الثاني

أزوالد	فجر الخير يا صاح . هل أنت من خدم الدار ؟
كنت	نعم .
أزوالد	أين نضع خيلنا ؟
كنت	في الوحل .
أزوالد	أرجوك ، أخبرني ، إن كنت تحبني .
كنت	لا أحبك .
أزوالد	إذن لا أودك .
كنت	لو أوقعتك في حظيرة القبضتين ، لجمعتك تودني .
أزوالد	لم تعاملني هكذا ؟ أنا لا أعرفك .
كنت	يا غلام ، أنا أعرفك .
أزوالد	ماذا تعرف عني ؟
كنت	أعرف أنك وغد ، لثيم ، آكل فضلات ، وانك وغد وضيع ، متعجرف ،

ضحل ، مترلف ، لك ثلاث بدلات ومئة دينار ، وتلبس جوارب صوف
قذرة (٢٤) ، وانك مكار خائر القلب ، خدوم الموبقات ، شديد التصنع ،
إبن زانية تقاضي الناس وتمشق النظر في المرأة ، عبد لا تملك إلا حقيبة
واحدة ، ولا تردد في أن تقود ، إرضاء لمخدومك . ما أنت إلا مزيج من
نذل ، وشحاذ ، وجبان ، وقواد ، وابن كلبة هجين ووريثها . وسوف
أشبعك ضرباً حتى تصيح وتولول إن أنت أنكرت حرفاً واحداً مما
وصفتك به .

أزوالد كنت
يا لك من همجي ، أنتخر من رجل لا تعرفه ولا يعرفك !
يا لك من خادم صفيق ، أنتكر أنك تعرفني ! هل مرّ يومان منذ أن
عرقلتك وضربتك أمام الملك ؟ جردّ السيف ، يا لثيم ! رغم الليل ،
فلن القمر مضي . - سأجعل منك ثريداً من ضوء القمر ! (يجرد سيفه)

أزوالد كنت
إليك عني ! ليس لي شأن معك .
جردّ السيف يا ابن الزانية ، يا هجهاجاً عميلَ الحلاقين ، سيفك !

سيفك ، يا نذل ! تأتي برسائل ضد الملك ، وتساند «دمية الغرور» (٢٥)
ضد سلطان أبيها . سيفك ، يا لثيم ، وإلا جعلت كباباً من كاحليك .
جردّ سيفك يا نذل . تقدم .

أزوالد كنت
النجدة يا ناس ! سيقتلني ! النجدة !

إضرب يا عبد . قف يا لثيم ، قف . يا عبداً مهتندماً ، إضرب !

أزوالد كنت
النجدة ! سيقتلني ، سيقتلني !

ادموند كنت
ما هذا ؟ ما الخلاف ؟ إفرقا !

مع سيادتك يا غلام ، أرجوك . تعال لأدشّتك ، هيّا ، يا ولد .

(يدخل كورنول ، وريغن ، وغلوستر ، وخدم)

(٢٤) هذا الكلام وما يليه يميز كنت ازوالد بأنه خادم جبان يتظاهر بأنه من السادة . كان يخصم للخدم في
السنة ثلاث بدلات ومئة دينار . وجوارب الصوف لا يلبسها السادة ، فهم يلبسون جوارب الحرير .
(٢٥) «الغرور» من شخصيات مسرحيات «الأخلاقيات» القديمة ، التي كانت كثيراً ما تمثلها مسارح الدمى .
والمقصود بدمية الغرور هنا ، بالطبع ، ريفن .

غلوستر سيوف ! وأسلحة ! ما الذي يجري هنا ؟
 كورنول عليكما بالسلام ، وإلا فالموت !
 من يضرب ثانية يُقتل . ما الأمر ؟
 ريغن الرسولان القادمان من أخي ومن الملك .
 كورنول فيم الشجار ؟ تكلمنا .
 أزوالد يكاد نَقسي أن ينحبس يا مولاي .
 كنت لا عجب ، لشدة ما استثرت شجاعتك . الطبيعة براء منك ، أيها الرعيدي .
 ما أنت إلا من صنع خيَاط .
 كورنول غريب أمرك يا رجل : أيصنع خيَاط إنساناً ؟
 كنت خيَاط ، يا سيدي . فما كان لنحات أو رسام أن يسيء صنعه إلى هذا الحد ،
 حتى ولو لم تنقص ستان على تعامه الحرفة .
 كورنول تكلم ، كيف نشأ الخلاف بينكما ؟
 أزوالد سيدي ، هذا الجلف العجوز الذي وقّرت عليه حياته رافة بلحيته البيضاء —
 كنت يا ابن الزانية ، يا همزة ، يا حرفاً لا ضرورة له ! سيدي ، إن سمحت لي ،
 سأدوس هذا النذل المكتل وأسحقه طيناً ، لأليخ به جدار مرحاض .
 أرأفت بلحيتي البيضاء ، يا هزاز الذيل ؟
 كورنول كفي يا هذا !
 ألا تحترم أحداً أيها الوغد الهائج ؟
 كنت بلى ، سيدي . ولكن للغضب أحكامه .
 كورنول وفيم غضبك ؟
 كنت لأن رقيقاً كهذا يحمل سيفاً
 ولا يحمل أي شرف . فاللثام البسامون أمثاله ،
 كالجردان ، كثيراً ما يقرضون الروابط المقدسة
 التي هي أمتن من أن تُحلل ، ويداهنون كل نزوة

تتمرد في طبائع أسيادهم ،
 فهم زيت للنار ، أو ثلج للحالات الباردة :
 يُنكرون ويؤيدون ، ويحولون مناقيرهم العصفورية
 مع كل عاصفة تنقلب في أسيادهم .
 إنهم كالكلاب لا يعرفون إلا اللحاق .
 (لازواله) لفّ الطاعون وجهك المصروع !
 أتبتسم لما أقوله ، كأنني بهلول ؟
 والله يا أوزّه ، لو رأيتك على سهل « ساروم »
 لَسَقْتُكَ وَأَنْتَ تَقُوقِيءُ إِلَى خُمِّكَ فِي « كَامِلُوتِ » !

كورنول ما هذا ؟ أمجنون أنت يا شيخ ؟

غلوستر لم الخصام ؟ تكلم .

كنت ليس بين ضدين من كراهية
 أكثر مما بيني وبين هذا النذل .

كورنول لم تدعوه بالنذل ؟ ما ذنبه ؟

كنت وجهه لا يروق لي .

كورنول ولا وجهي ، ربما ، أو وجهه ، أو وجهها .

كنت سيدي ، مهنتي الصراحة :

لقد رأيت في زماني وجوهاً أحسن

من أي وجه على أي عتق أراه

أمامي في هذه اللحظة .

كورنول هذا رجل

امتدح يوماً لغليظ صراحته ، فراح يصطنع

خشونة وقحة ، ويمسخ أسلوب القول

عن طبيعته . لا يستطيع التملق ، حضرته ،

مخلص صريح ، وعليه النطق بالحق .

وسيعتبرون نطقه حقاً ، وإلا ، فإنه صريح ، لا غير .
هذا اللون من الأوغاد أعرفه . فهم في صراحتهم هذه
يكتنون من الخداع وفساد القصد
أكثر من عشرين خادماً خنوعاً
يدقق واجباته إلى ما لا نهاية .
سيدي ، قسماً بالأمانة والحقيقة ،
إن يسمع عظيمُ عميالك الذي
يوزع الأقدار كل كليل من سواطع النار على
جبهة الشمس اللاهبة -

كنت

كورنول ما الذي تعنيه بهذا ؟
كنت الخروج عن نطقي المألوف الذي ذمته . أنا أعلم
أنني لست منافقاً : أما الذي خادعك بصريح
اللفظ فهو وغد صريح ، وهذا ما أباه لنفسي
وإن أغضبك بالتوسل لجلي
من أمثاله (٢٦)

كورنول

أزوالد لم أسئ قط إليه .
لقد راق للملك سيده ، مؤخرأ ،
أن يضربني لسوء فهم منه .
وإذا هو يتمصب له ويداجي سخطه
ويعرقلني من الخلف . فلما وقعت ، أهانني وسخر مني ،
وتلبس من الرجولة لبوساً
يشرفه ، واستلر مديح الملك

(٢٦) وان أفصيك اللغ : من العبارات التي اختلف المفردون فيها ، وفسروها كل أوجه كثيرة لفروض
تركيبها في الأصل .

لتهجمه على من قد أخضع نفسه بنفسه .
وإذ استدمى في مغامرته الرهية تلك
جرّد سيفه عليّ هنا من جديد .
ما من لثيم أو جبان من هؤلاء كنت
إلا ويستهبّل حتى إياس^(٢٧) نفسه !
أحضروا الدهق !^(٢٨) كورنول
سنلقنك درساً ، أيها النذل المسن الشرس ،
أيها المفخخ العجوز .
سيدي ، لقد فات وقت تعلّمي . كنت
لا تستحضر الدهق لي . إني أخدم الملك ،
وقد أرسلت في مهمة له إليك .
وإنك لتبدي أقلّ الإجلال وأبلغَ التطاول والحقْد
لهيبة سيدي وشخصه ، إن أنت
وضعت رسوله في الدهق .
أحضروا الدهق ! كورنول
قسماً بحياتي وشرفي ، ليجلسنّ فيه حتى الظهر .
حتى الظهر ! حتى الليل يا مولاي . والليل كلّهُ أيضاً . ريغن
سيدي ، لو كنت كلب أبيك كنت
لما عاملتني هكذا .
سيدي ، لإنك من رجاله ، سأعاملك هكذا . ريغن
هذا رجل من ذلك اللون عينه كورنول

(٢٧) إياس : من أبطال الإغريق في حروب طروادة ، وأشجعهم جيمياً باستثناء أخيل .
(٢٨) والدهق أقرب كلمة في العربية إلى آلة للتذيب تدعى بالانكليزية Stocks . وهي تولف من
أخشاب فيها ثغوب تفتح وتغلق ليدين والرجلين والعتق ، يحمس فيها الانسان . وقد كان من شأن بيوت
الأسر الاسترقاطية أن تحوي هذه الآلة ، لمعاينة من يبائع في سوء التصرف أو الكلام إزاء من هم
أهل منه منزلة .

الذي تتحدث عنه أختنا . هيّا ، اجلبوا الدهق .

(يحضرون الدهق)

غلوستر أتوسّل إلى سموكم ألا تفعلوا ذلك .
ذنبه كبير ، والملك سيده الكريم
سيؤتبه عليه . أما التقويم المهين الذي نويتموه
فهو لأحطّ وأزرى التصاء
يعاقبون به لاختلاسٍ أو تجاوز حقير .
ولسوف يستاء الملك
أن يُحطّ من قدره في رسوله
حين يُقاصص على هذا النحو .
أنا المسؤول عن ذلك .

كورنول ريفن وأختي ستكون أشد استياء بكثير
حين ترى أن وصيفها قد أهين ، وهو جم ،
وهو يقوم بشؤونها . أدخلوا ساقيه .

(يوضع كنت في الدهق)

كورنول هيا نذهب ، يا سيدي .

(يخرج الجميع إلا غلوستر وكنت)

غلوستر إني آسف لك ، يا صديق . إنها رغبة الدوق ،
والناس كلهم يعلمون ان ميوله
لن يعوقها أو يصدّها أحد . سأرجوه من أجلك .
أرجوك ألا تفعل ، سيدي . إني مرهق بالسهر والترحال .
سأنام بعض الوقت ، واصفر بقيته .
حظ الكريم قد ينتهي إلى شظف .
طاب نهارك !

غلوستر الدوق في هذا ملوم ، ولن يرضى عنه أحد .

(يخرج)

كنت

يا ملكي الكريم ، إن هذا ليؤيد المثل القائل ،
من نعمة السماء إلى حرارة الرمضاء ا
إقربني يا شمس ، يا مناراً لأرضنا الدنيا ،
عسى أن أقرأ هذه الرسالة
بشعاعك المعين . لا شيء يكاد يرى المعجزات
إلا الشقاء : اعرف انها من كورديليا
وقد أخبرت لحسن الحظ
بما أفعله متكرراً ، وستجد متسعاً
من حالة الشذوذ هذه لتسعى
في سدّ ما ضاع . متعبة أنت أرهقك السهر
يا عيني المثقلة ، فاغتنمي الفرصة لكي لا تري
مأواي هذا المعيب .

أيها الدهر ، لتصبح على خير . إبتسم ثانية ، وهلمّ أدِرْ دولابك ا

(ينام)

المعهد الثالث

غاية . يدخل ادغار

ادغار

سمعتهم ينادون في طلبي .
وخلّصتُ من المطاردة في شجرة جوفاء مؤاتية .
ما من ميناء دون رقابة ، وما من مكان
إلا والحرس ، مع أعجب اليقظة ،
يترصدون فيه لأخذي . وما دمت فاراً
سأدافع عن نفسي . ولقد فكّرت
باتخاذ أخطّ هيئة لأصنك مسكين
هوى الإملاق به ، زراية بالانسان ،

إلى درك الوحش . وجهي سألطخه بالقَدَر ،
وأجمل خرقة على حقوي ، وأشعث شعري في عُقد ،
وأعرض عربي لمجابهة
الرياح وعسف السماء .
ولي في الريف أمثلة وسوابق
من متسولين معتوهين ، راحوا وهم بصرخون ويهدرون
يضربون في أذرعهم العارية الخَدِرة ، وقد تمتعت على الألم ،
الدبابيسَ وسياخ الحشب والمساميرَ وعسا ليج حصي البان .
وبهذا المظهر الشنيع يستندون الأكف
من المزارع الحفيرة ، والقرى الضنيّة المعدمة ،
من الزرائب والمطاحن ،
تارة يشتمون شتائم المجاذيب ، وتارة يدعون دعوات المصلّين .
« أنا اللرويش المسكين ! أنا توما المسكين ! »
في ذلك بعض الشيء . وما في كوني ادغار أي شيء .

(يخرج)

أمام قلعة غلستر . كنت في الدفق
يدخل لير ، والبهلول ، ومرافق

المشهد للروابع

لير
غريب منهما أن يرحلا من البيت هكذا ،
ولا يعيدا إليّ رسولي .
مرافق
كما علمت ،
لم يكن هذا الانتقال في البال منهما
في الليلة الماضية .
كنت
أهلا وسهلا ، سيدي النبيل !

ها !	لير
أجعلت من هذه الزرابة ملهاة لك ؟	
كلا يا مولاي .	كنت
ها ها ! لقد ألبس ساقيه رباطاً قاسياً . فالخيل تُربط من رؤوسها ، والكلاب والذئبة من أعناقها ، والقردة من أحقانها ، والناس من سيقانها .	يهلول
إذا ما أفرط المرء في شهوة الساقين (٢٩) ، لبس جوارب من .. خشب !	
من ذا الذي أخطأ هذا الخطأ في معرفة مكانتك	لير
حتى وضعتك هنا ؟	
صهرك وابتكت ، كلاهما .	كنت
لا .	لير
نعم	كنت
أقول ، لا	لير
أقول ، نعم .	كنت
لا ، لا . لن يفعل ذلك .	لير
نعم ، لقد فعلاه .	كنت
قسماً بجوبيتر ، لا .	لير
قسماً بجونو ، نعم	كنت
لن يجرأ ،	لير
لن يقدرأ ، لن يفعلأ . إنه لأفزع من القتل	
أن يتجاوز أحد على ذي هبة ، بمثل هذه الوحشية .	
أجني بما تستطيع من سرعة ، كيف	
جاز لك أن تستحق ، أو لم أن يفرضوا ، هذه المعاملة ،	
وأنت رسولنا ؟	
مولاي ، عندما سلمتهما	كنت

(٢٩) أي كالمشردين الذين لا تستقر سيقانهم لكثرة تجوالهم .

رسالة جلالتكم في مترلما ،
ما كدت أنهض من المكان الذي أدبت فيه
واجبي راكماً ، حتى جاء رسول تفوح رائحته ،
مطبوخاً في عجلته ، مبهور النفس ، وجمل يلهث
تحياته من سيده غونريل .
وسلمهما رسائل ، وأنا في الانتظار ،
قرأها في الحال : واعتماداً على ما جاء فيها
استدعيا الخدم والحشم ، وركبوا الخيل فوراً ،
وأمراني باللحاق وترقب الجواب
عندما يملو لهما الجواب ، وحدجاني بنظرة باردة :
وعندما التقيت هنا بالرسول الآخر ،
الذي رأيت ترحابه يسمم ترحابي ،
ولما كنت أنا ذاك الذي مؤخرأ
أبدى الوقاحة أمام جلالتكم ،
وفي من رجولة أكثر مما في من عقل ، جرّدت سيفي :
فأقام البيت بصراخه العالي وعياطه الرعيد .
ورأى صهرك وابتك في ذلك إساءة
تستحق هذه الزرابة التي أعانيها .
إن كنت ترى الأوز البري يطير هناك ، فالشئ لم يذهب بعد .

بهلول

إذا ليس الآباء الرقع
لقوا من أولادهم أفأ
وإذا حملوا أكياسهم (٣٠)
لقوا من أولادهم عطفأ .
ربة الدهر فاجرة ،

(٣٠) أي أكياس النقود .

ما دار يوماً مفتاحها لفقير .
 ورغم ذلك كله ، ستجرّ عليك بناتك من هموم ما تستطيع عده كالدنانير
 في سنة كاملة .
 آه ، ان الرّحيم لتتورم صوب قلبي -
 « هسريكا باسيو » ! (٣١) أيها الحزن الصاعد المنخفض ،
 مكانك تحت ! أين ابنتي هذه ؟
 مع دوق غلوستر ، سيدي . هنا ، في الداخل .
 لا تبعوني . انتظروا هنا .

(يخرج)

لم تأت إساءة غير التي ذكرت ؟
 قطعاً .

كيف اتفق للملك أن يأتي ومعه هذا العدد القليل ؟
 لو وضعتك في الدهق لهذا السؤال ، لكان عقابك عن حق .

لم يا بهلول ؟
 سترسلك إلى المدرسة عند النملة ، لتعلمك ألاّ شغل في الشتاء (٣٢) . كلّ
 تابع أنفه تقتاده عيناه سوى الأعمى . وليس بين العشرين أنفاً أنف لا
 يشمّ من قد نتنت رائحته . إذا رأيت دولاباً كبيراً ينحدر على تل ،
 أطلق يديك ، وإلاّ دقّ عنقك إذ تركض في إثره . أما الدولاب الكبير
 الصاعد ، فليجرّك وراه . إن يُسندك عاقل نصيحة خيراً من نصيحتي ،
 أعد إليّ نصيحتي . لا أريد أن يعمل بها أحد سوى السقّلة ، لأن مسديها
 بهلول .

ومن يخدمك غير راجٍ

(٣١) الاسم اللاتيني الذي كان يطلق على مرض يدمى أيام شكبير بنحق الرحم . إذ كان يفترض أنه ورم
 يبدأ عند النساء بالرحم ثم ينتشر إلى أن يبلغ الخنجره . وهو يصيب الرجال أيضاً . ألمه السرطان ؟
 (٣٢) تخزن النملة طعامها في الصيف ، والذي يقصده البهلول هو أن لير إذ أدركه شتاء الدهر ، تحل عنه أتباعه
 لأنهم لا يستطيعون اختزان أي شيء منه بعد اليوم .

سوى نفعه ، راکضاً
 حباً بالمتزلة ،
 يهجرُكَ إن تُمطر الدنيا
 ويتركُكَ وحدَكَ في الزوينة .
 لكن بهلولا لن يذهباً ،
 وسيلوي ظهره كل عاقل ،
 فالسافل بهلولٌ إذا هرباً
 وما بهلولٌ قط بسافل !
 أين تعلمت ذلك يا بهلول ؟
 لا في الدهق ، يا بهلول .

كنت
 بهلول

(يعود لير ، ومعه غلوستر)

يرفضان الكلام معي ! إنهما مريضان ! إنهما متعبان !
 قضيا الليل بطوله في السفر ! خُدَّعَ والله ،
 دلائلُ تمرد وثورَة .
 جثني بجواب أفضل .
 مولاي العزيز ،
 إنكم أدرى بطبع الدوق الناري .
 وكيف لا يتزحزح ولا يثني
 عن النهج الذي يرتأيه .

ير
 غلوستر

نقمة ! طاعون ! موت ! فوضى !
 ناري ؟ أي طبع هذا ؟ غلوستر ، غلوستر ،
 أريد أن أكلم دوق كورنوول وزوجته .
 مولاي الكريم ، لقد أخبرتهما بذلك .
 أخبرتهما ! أنفهنني ، يا رجل ؟
 أجل يا مولاي .

غلوستر
 لير
 غلوستر

لير

إن الملك يريد مخاطبة كورنول ، والأب العزيز
يريد مخاطبة إبنته . إنه يأمر بالخدمة ويسديها :
هل أعلمنا بذلك ؟ روجي ودمي !
ناري ! الدوق الناري ؟ قل للدوق المتهب -
لا ، لا ، بعد . لعل به وعكة ،
والمريض دوماً يُهمل كل واجب
تفرضه عليه العافية . وما نحن بأنفسنا
حين تُرهِقُ الطبيعة فتأمر العقل
بالمعاناة مع الجسد . سأمسك .
وإني لأسخط على إرادتي الموجاء ،
إذ أحسب المتوَعك المريض
وكانه الرجل المعافي . ألا موتاً لجلائي ! (ناظرًا إل كنت)
ما الذي أقعده هنا ؟ هذه القعلة تقنعني
ان هذا الإعتكاف منها ومن الدوق
خديعة ليس الا . جنني بخادمي .
إذهب وقل للدوق وزوجته أريد الحديث اليهما ،
الآن فوراً . مُرَّهُمَا بالمجيء لسمعاني ،
وإلا لاقرعنّ الطبل بباب حجرتهما
فيصرخ موتا لكل نوم !
أرجو الخير بينكما . (يخرج)
ويحك أيها القلب الوارم ! إنخفض ، انخفض !
صح به ، عماء ، كالتأهية إذ صاحت بأسمائك الأتقليس حين وضعتها
حيّة في الدهن . ضربتها على يوافيخها بالمصا وصاحت : « إنخفضي
يا عديمات الحياء ، إنخفضي ! » كان أخوها ذاك الذي رفقاً بحصانه خلط

غلوستر

لير

بهلول

له الزبد بالعلف (٣٣)

(همود غلوستر ، مع كورنوبول وريغن ، وخلم)

لير
أسعدتما صباحاً كلاكما .
كورنوبول أهلا وسهلا بجلالتكم !

(يطلق كنت من الحق)

ريغن مسرورة أنا برويتك يا أبي .
لير ريغن ، أظنك كذلك . وإني لأعرف السبب
الذي يجعلني أظن ذلك : إن لم تكوني مسرورة
طلقتني من قبر أمك

قائلا انه ضريح زانية . (لكنت) آ ! هل أفرج عنك ؟
ستحدث عن ذلك فيما بعد . (يخرج كنت) حبيبي ريغن ،
أختك صفر : آه يا ريغن ، لقد ربطت
عقوقاً ماضي القواطع ، كالصقر ، هنا . (مشيراً إلى قلبه)
أكاد أعجز عن الكلام اليك : لن تصدقي
خسة أسلوبها ، في - آه ريغن !

ريغن أرجوك يا سيدي ، أن تتجمل بالصبر . إني لآمل
انك تبخس حقيقة قلرها
لا أنها قصرت في واجبها .

لير قولي ، كيف ؟
ريغن لا أستطيع الظن بأن أختي
تتقاسم قط فيما يترتب عليها . فإذا كانت
ربما قد كبحت عريبات تابعيك
فإن لها من العذر وسلامة الغاية

(٣٣) كان من أساليب السائس الماكر ، أن يخلط الدهن بالعلف الحصان الذي يمهده ، فيمرض الحصان عن الأكل ، ويسرق السائس العلف . أما صاحبنا هنا فقد فعل ذلك عن سذاجة .

ما يُعْفيها من كل لوم .

إني لألْعنُها !

لير

سيدي ! لقد شِخْتُ .

ريغن

والطبيعة فيك قد وقفت على الحافة

من حدها : فلا بد لك أن تنصاع

لعقل يقدّر حالتك

خيراً منك أنت . ولذا ، أرجوك

أن تعود إلى أختنا

وتقول لها انك قد ظلمتها .

أأطلب غفرانها ؟

لير

أترين كيف يليق ذاك بيتنا ؟

« إبنتي العزيزة ، إني أعترف بأنني قد شخيت ،

ولا ضرورة للشيخوخة . على ركبتيّ أتوسل اليك (يركم)

أن تمنحني كساء وفراشاً وطعاماً . »

كفى ، كفى يا سيدي . هذه الأعيب قبيحة .

ريغن

عد إلى أختي .

(ناعفاً) أبدأ ، يا ريغن .

لير

لقد جردتني من نصف حاشيتي .

حدجتني بنظرة سوداء . لدغنتي بلسانها

كالأفعى ، في السويداء من قلبي .

لتنزل نقمات السماء المخزونة كلّها

على هامتها الجاحدة ! لإضربي عظامها ،

أيتها الرياح الجاثمة ، وأعرجيها !

عيب ، سيدي ، عيب !

كورنول

يا بروقاً حثيثة ، أطلقي لهُبِكَ المعيبة

لير

في عينها المازتئين ! اعدي جمالها
يا ضبابات الأواسن التي امتصتها الشمس القادرة
لتسقطها عليها وتفرحها !

ريغن

يا للآلهة المكرمة ! هكذا استدعو عليّ
إذا ما الطيش تملكك !

ليز

لا يا ريغن . أنت لن تنالي اللعنة مني أبداً :
طبعك الرقيق الهيكلي هذا لن يسلمك
لقسوة أو جفاء . عيناها ضاريتان ، وعيناك
تواسيان ولا تحرقان . ليس من شيمتك
أن تحصي عليّ لذائذي ، وتختصري حاشيتي ،
وتبادليني عجول الألفاظ ، وتقلصي مخصصاتي ،
وتدفعني في النهاية بالرتاج
صدأً لدخولي . أنت أعلم منها
بمقتضيات الطبيعة ، وروابط البنوة ،
ومظاهر المجاملة ، وواجبات عرفان الجميل .
أنت لم تنسي نصيبك من المملكة ،
وقد ملكتُك نصفها .

ريغن

الموضوع ، رجاءً ، يا سيدي .

من وضع رسولي في الدهق ؟ (صوت أبواق من الداخل)

ليز

كورنول ما هذا النفير ؟

كورنول

أعرفه . إنه نفير أختي . وهو يثبت فحوى كتابها
من أنها ستكون هنا عما قريب .

ريغن

(يدخل أزوالد)

هل وصلت سيدتك ؟

هذا عبد ، يستمد كبرياءه المستعارة هيّنا

ليز

من رضاها المتقلب ، تلك التي يتبعها .
أغرب عن وجهي ، يا لثيم !
ماذا تفصلون جلالتكم ؟
من الذي وضع خادمي في الدهق ؟ ريغن ، أرجو
انك لم تعرفي بذلك . من القادم ؟

(تدخل غونريل)

أيتها الآلهة ،
إن كنت تحبين من طعنت السنّ بهم ، إن يستحسنِ الطاعةَ
حكمتك العذبُ وكنت طاعنةً في السن مثلي ،
إجعلني شأنك شأني ، وانزلي وادفعي عني !
(لغونريل) ألا تحجلين من النظر إلى هذه اللحية ؟
آه يا ريغن ! أتصافحنيها ؟
ولم لا أصافحها يا سيدي ؟ ما الذي أسأتُ به ؟
وهل اساءة كل ما عدّه الطيش
والخرف اساءة ؟

أيا جنبيّ ، ما أصلبكما !
أما تنفجران ؟ كيف صار رسولي في الدهق ؟
أنا وضعته فيه ياسيدي . ولكن شغبه
كان يستحق تكرّماً أقل من ذلك بكثير .

أنت ؟ أنت وضعته ؟
أرجوك أبي ، إنك ضعيف ، أبقِ على مظهر الضعيف .
إذا عدت للاقامة مع أخي
إلى أن يتقضي شهرك ،
صارفاً عنك نصف حاشيتك ، تعال عندئذ إليّ .
لست في بيتي الآن ، وما لدي من المؤونة

ما تقتضيه استضافتك .
 أعود اليها ؟ وخمسون من رجالي قد صرفوا ؟
 لا ! لَخَيْرٌ لي ان اتخلى عن كل سقف ،
 واقارع عداوة اجواء الفضاء ،
 فأكون رفيق الذئب واليوم
 وقرص الحاجة الوجيع ! أعود اليها !
 هناك ملك فرنسا الفائر الدم ، ذاك الذي
 أخذ صُغرى بناتي دون صداق ، لَخَيْرٌ لي أن أدفع
 إلى الركوع عند عرشه لألتمس ، كالفارس ، تقاعداً
 يُبقي الرمق على حاله . أعود اليها !
 لا بل أقتعيني بأن أصبح رقيقاً ومكارياً
 لهذا السائس المقيت .

لير

كما تشاء يا سيدي .
 أرجوك ، يا ابنتي ، لا تجعليني أجنّ .
 لن أزعجك يا طفلي . وداعاً .
 لن نلتقي بعد اليوم ، لن أراك ولن تريني .
 ولكنك ما زلت لحمي ودمي ، يا ابنتي ،
 بل علةً في لحمي
 لا أملك نكراناً لها : أنت دمّلة ،
 قرحة طاعون ، ورم ناتئ ،
 في دمي الملوّث . ولكن لن أوبخك ،
 وليحلّ العار ساعة يشاء ، لن استدعيه .
 لن أقول لحامل الرعد (٣٤) أن اطلق السهام
 ولن أشي بك للديّان العليّ جوبيتر .

غونريل

لير

(٣٤) أي جوبيتر ، اله الرعد .

أصلحي من شأنك عندما تقدرين ، وتحسني
عندما يحلو لك أن تتحسني .

بوسعي الصبر . بوسعي البقاء مع ريغن -
أنا وفرساني المنة .

لا كل ما قلت .

ريغن

لم أكن أتوقعك بعد ، ولا أنا مزودة
للترحيب بك كما ينبغي . أعر أذنًا لأختي يا سيدي .

فكلّ من يحكّم العقل في نائرتك

لا بد مقتنع بأنك قد هرمت ، ولذا -
ولكنها تعرف ما هي فاعلة .

أخبري ما تقولين ؟

لير

بل أوكد عليه : ماذا ؟ أما حسبتك

ريغن

خمسون تابعاً ؟ وما حاجتك إلى المزيد ؟

بل ، إلى هذا العديد منهم ، ما دام الخطر والمسؤولية

يوصيان ضد هذا العدد الكبير ؟ وهل يتسنى

للعديد من الأناس أي وفاق في بيت واحد

وهم تحت إمرتين اثنتين ؟ صعب ذلك ، أقرب إلى المستحيل .

وما يمنع يا مولاي أن تحظى بعناية

غونريل

من خدمها أو خدمني ؟

لم لا يا مولاي ؟ حينئذ ، إن قصر وإزاءك ،

ريغن

استطعنا التحكم بهم . لقد جعلت الآن أرى خطراً -

فإذا رمت المجيء إليّ ، أرجوك

أن تأتي بخمسة وعشرين رجلاً فقط ، وما زاد عن ذلك

لن أوليه مكاناً أو عناية .

أوليتكما كل شيء -

لير

ريغن

في الوقت الملائم أوليتنا إياه .

اير

جعلتكما وليتيّ أمري وأميتتيّ أموالي ،

غير اني اشترطت أن يكون لي من الاتباع

عدد كهذا . عجباً ! أعليّ أن آتي إليك

بخمسة وعشرين ؟ ريغن ، أهذا ما قلته ؟

ريغن

وأعيد قوله يا مولاي . لن أقبل بأكثر من ذلك .

اير

ما زال الشرير يبدو حسن المحيّا

طالما الآخرون هم شرّ منه ، وكون المرء ليس أسوأ الناس

يضعه في منزلة من الحمد . (تفونريل) سأذهب معك .

خمسونك ضعف الخمسة والعشرين ،

ففيك ضعفاً حبيها .

فونريل

إسمعي يا مولاي :

ما حاجتك بالخمسة والعشرين ، او العشرة ، أو الخمسة ،

يتبعونك في بيت فيه من ذلك العدد ضعفان

مأمورون بخدمتك ؟

ريغن

ما حاجتك بواحد ؟

اير

ويحك ، لاتناقشي الحاجة ! أخطّ شحاذا عندنا

مسرف في أحقر ما لديه :

لوم يُسمح للطبيعة بأكثر من حاجة الطبيعة ،

لبخسة كانت حياة الانسان ، كالحيوان . أنت سيّدة .

لو كان الدف فقط هو الترف

لما احتاجت الطبيعة ما ترتدين من ترف

وهو يكاد لا يذفتك . أما الحاجة الحقّة -

هبيني الصبر أيتها السموات ، الصبرُ حاجتي ! -

إنك لتريني هنا ، أيتها الآلهة ، شيخاً مسكيناً

تملؤه الأحزان بقدر ما تملؤه السنون ، شقيماً بالانتين !
 إن كنت أنت التي تثيرين القلب من هاتين الابنتين
 على ابيهما ، لا تجعلني مني ممتوهاً
 يتحمل ذلك صاغراً ! صليني بغضب نبيل ،
 ولا تدعي أسلحة النساء ، قطرات الدمع ،
 تلتطخ مني خدة الرجل ! لا ، يا شريرتان شاذتان ،
 سأنزّل انتقاماً بكما كلتيكما
 بحيث أن الدنيا سوف - سأفعل أموراً ،
 لا أدري بعد ما هي ، ولكنها ستكون
 رعب الدنيا كلها . تحسبان أنني سأبكي .
 لا ، لن أبكي ،
 وبني للبكاء كل سبب . (عاصفة تسمع من بعيد)
 غير ان هذا القلب
 سيتحطم إلى مئة الف شظية
 قبل أن أبكي . يا بهلول ! سوف أجنّ !

(يخرج لير ، وغلوستر ، والمرافق ، وپهلول)

كورنول لنسحب . ستهب عاصفة .
 ريغن هذا البيت صغير ، لا يتسع لحسن ابواء
 الشيخ وجماعته .
 كورنول هو الملوم . أتت من مضجعه بنفسه
 فعليه بمذاق حماقته .
 ريغن بالنسبة إلى شخصه ، سأرحب به ،
 ولكن دون تابع واحد .
 غونريل وهذا ما قررت أنا .
 أين اللورد غلوستر ؟

كورنول خرج في إثر الشيخ . هذا هو عائداً .

يعود غلوستر

غلوستر الملك في غاية الغضب .

كورنول أنى يتوجه ؟

غلوستر انه يدعو الخيل ، ولكن لا أدري إلى أين سيذهب .

كورنول الأفضل أن يُفَسَّح له الطريق . فهو مصرّ على ذلك .

غونريل سيدي ، لا تتوسل اليه بالبقاء .

غلوستر وا اسفاه . إن الليل قادم ، والرياح الصرصر

تضج عاتية . يكاد المرء لأميالٍ عديدة حولنا

لا يرى شجيرة واحدة .

ريغن آ ، يا سيدي ، على ذوي العناد

أن يكون الأذى الذي يجرونه على أنفسهم

استاذهم . اغلق ابوابك باحكام .

فرففته حاشية مستميتة ،

والحكمة توصي بأن نخشى ما قد يستحثونه عليه ،

وهو يتزع إلى ان تُخدع اذناه .

كورنول اغلق ابوابك باحكام ، يا مولاي . إنها ليلة هوجاء .

عزيزتي ريغن تحسن النصح . ولنخرج من العاصفة .

(يخرجون)

الفصل الثالث

عاصفة يتخللها رعد وبرق . يدخل كنت ومرافق
فيلتقيان .

المشهد الأول

كنت من هناك ، ما عدا الطقس اللعين ؟
مرافق رجل نفسه كالطقس ، مزعزعة .
كنت أعرفك . أين الملك ؟
مرافق يصارع العناصر المحتدمة ،
 يأمر الريح بقذف الأرض في البحر ،
 أو برفع العباب ليطمي على البر بموجه
عسى الأمور أن تتبدل أو تكف ، يمزق شعره الأبيض ،
 وإذا العصفات الهوج في سخطها الأعشى
 تمسكه بعنفها وتبدده .
 انه يكافح في عالم انسانيه الأصغر (٣٥) لبيز عصفاً
 صراع الريح والمطر .
 في هذا الليل الذي تقبع فيه الدبة المرضعة
 والأسدُ يقي لبُدتَهُ الليل ،
 وكذا الذئب وان يقرُصُ بطنه الطوى ،
 راح حاسر الرأس يتراكض

(٣٥) العالم الأصغر (مايكروكوزم) يمثل الدنيا إزاء العالم الأكبر (مكروكوزم) وهو الكون . وكثيراً ما تطلق عبارة « العالم الأصغر » على الإنسان أيضاً .

ويصبح : فلأخسر كل شيء !
 ولكن ، من يصحبه ؟ كنت
 لا أحد سوى البهلول الذي يسمى بنكاته أن يلف من جراح قلبه المملوغ . مرافق
 سيدي ، إني أعرفك ، كنت
 ولن أخشى بعدما رأيت منك
 أن أأتمنك على أمر مهم . ثمة شقاق ،
 رغم تغطية وجهه حتى الآن
 بدهاء من الطرفين ، بين ألبي وكورنول .
 فعند كليهما – وهذا شأن كل من أعلاه
 حسن طالعه وأجلسه العرش – خدم ، يبدون كالخدم
 ولكنهم جواسيس وأرصاد لفرنسا
 يخبرونه عن حالتنا . وكل ما شوهد مؤخرأ
 من خصام ودساتس من الدوقين ،
 وما فرضاه كلاهما من كبح عتي
 على الملك الكريم الهرم ، أو ما هو أعمق بعد ،
 ربما يتبندى بهذه الأعذار –
 مهما يكن ، فإن الحقيقة هي ان جيشاً قد جاء من فرنسا
 إلى هذه المملكة الموزعة ، وإذ أدرك
 إهمالنا ، حط الرحال سراً
 في بعض من أفضل موانئنا ، وتها الآن
 للكشف عن راياته المرفوعة . والآن ، بشأنك :
 إن كنت لا تخشى أن تعتمد الثقة بي
 فتسرع إلى دوفر ، ستجد
 من يشكر لك إبلاغك إياه بدقة
 كيف ان للملك أسبابه للشكوى

من حزن يخرج به عن طور الطبيعة ويودي بعقله .
لاني سيدٌ وسليل محتد ،
وما أكلفك بهذه المهمة إلا
عن معرفة وثقة بالأمور .

مرافق
كنت

أريد المزيد من الحديث معك .
لا ، أرجوك .

وتأكيداً لكوني أكثر بكثير

من مظهري ، إفتح هذا الكيس وخذ
ما فيه . وإذا رأيت كورديليا -

ولسوف تراها ، لا ريب - أرها هذا الخاتم ،
تخبرك من هو هذا الرجل

الذي لا تعرفه حتى الآن . ألا تبأ لهذه العاصفة !
سأذهب وأبحث عن الملك .

مرافق
كنت

أعطني يدك . أما من شيء آخر تقوله ؟

كلمات قليلة ولكنها أكثر أهمية من كل ما قلت :
وهي ، عندما نعر على الملك - ولذا خذ أنت

ذاك الطريق ، وأخذ أنا هذا - من يبصره أولاً
فليصح للآخر .

(يخرجان من طرفين متقابلين)

مكان آخر من القلاة . العاصفة مستمرة . يدخل
لير والبهلول

المشهد الثاني

لير
ازفري يارياح ، وشققي خديك (٣٦) ! ثوري واعصفي !
وأنت يا شآبيب ودواق أنهمري

(٣٦) الصورة الشكسيرية هنا تمثل « نفعاً » شديداً من الفم يرمق الخدين حتى « يشققهما » .

حتى تنفمي قبابنا وتفرقي الشواهد من بيوتنا !
ويا نيران كبريت كالفكر سارية ،
يا طلائع صواعق تشق السنديان ،
احرقني هامتي الشبياء هذه ! واقصفي يا رعوداً مزمومة
واسطحي كروية الدنيا الكثيفة !
حطمي قوالب الطبيعة واسكبي هباء كل بفرة
تصنع الانسان العقوق !

بهلول
عماه ، إن ماء ففاق (٣٧) البلاط في بيت لم يعرف البلبل لخبر من مياه المطر
هذه في العراء . بربك ، عماه ، أدخل ، أطلب البركة من بناتك . هذه ليلة
لا ترحم العقلاء ولا البهاليل .

لير
قرقرى ملء بطنك يا رياح ! ابصقي يا نار ، وادفقي يا مطر !
فما المطر ولا الريح ولا الرعد ولا النار بناقي :
لن أتهمك بالقسوة يا عناصر ،
ما أعطيتك قط مملكة ، ولا دعوتك بأولادي ،
وما أنت مدينة لي بوفاء . فلتساقط إذن
لذاتك الرهيبية . إني أقف هنا ، عبداً لك ،
شيخاً مسكيناً ، عليلاً ، واهناً ، مزدري .
ورغم ذلك فلني أقول إنك صنائع ذليلات
ترضين بأن تجعلني بأمرة ابنتين خبيثتين
جحافلِكَ المولودة في العلى ضد رأس
أشيبَ هرم كراسي . يا للحقارة !
من له بيت يضع فيه رأسه فإن له رأسية طيبة .
من يبيت عورته
وما للرأس منه أي بيت

(٣٧) في الأصل ماء البلاط المنفس ، كناية عن النفاق المتداول بين رجال القصر .

جنى قملاً إثر قمل -
فكلّ ذي شحذة مزواج .
ومن يولّ همته أخصمه
بدلاً من قلبه ، وهو الأهم ،
يصبح ويلاه من قدم
ويقبض مضجعه الألم . (٣٨)

فما من امرأة حسناء إلا وتجرب لها الف وجهه في المرأة .

(يدخل كنت)

لير لا ، سأكون نموذج الصبر الجميل .
لن أقول شيئاً .
من هناك ؟
كنت هنا جلالةً وكساء عورة ، أي عاقل وبهلون .
بهلون هفي عليك يا سيدي ، أنت هنا ؟ حتى عشاق الليل
كنت لا يجبون ليالي كهذه . إن الأجواء المغضبة
لتُرهب حتى ساريات الظلام
وتجعلها تُقعي في جحورها . منذ شبابي
لا أذكر أنني قط سمعت أو رأيت
سُجناً من نار كهذه ، قصف رعد رهيب كهذا ،
ولولات كهذه من أمطار وريح هادرة .
طبيعة الإنسان لا تقوى على
هذا الرعب والبلاء .
لير فلتذهب الآلهة العظيمة

(٣٨) يريد أن يقول أن الذي يرضي شهواته الجنسية قبل أن يكون له بيت يسكنه ، سينتهي إلى الزواج من امرأة يضيف قملها إلى قمله . (ويبدو أن المتسولين في عصر شكسبير كانت لهم دائماً نسوة كتار ، على الأغلب من المومسات) . ومن يتم بجزء غير مهم من جسمه ويهمل ما يجب الاهتمام به ، سيقام عواقب الية من ذلك الجزء الذي تعلق به من غير حكمة .

إذ تجلجل هذا الخوف فوق رؤوسنا
وتبحث عن أعدائها الآن . ارتجف أيها التمس الذي
بين جنبيك جرائم أخفيتها .
ولم تجلدك يدُ العدالة . لاختبئي أيتها اليد السفّاحة
وأنت يا من حنّت باليمين ، وأنت الذي تقنّعت بالفضيلة
وشيمتك الزني بالمحارم . يا بانسُ ارتعش وتهافت
أنت الذي من وراء حجاب ورياء موامم
تأمّرت على حياة إنسان . أيها الذنوب المتراسة الخبيثة ،
شقي عنك سرايلك الخافية ، واطلبي الرحمة
من هؤلاء الداعيات إلى الدينونة الراجعة . أما أنا
فمجنّي عليّ أكثر منّي جانياً .

كنت

لهفي عليك ! حاسر الرأس !
سيدي الكريم ، على مقربة منا كوخ
سيهيمى لك بعض حماية من العاصفة .
إسّرح فيه ريشما أعود إلى هذا المنزل القاسي -
بل الأقسى من حجارة بُني منها ،
حيث سألت عنك قبل لحظات
فمنعوني عن الدخول - لأبتّرّ منهم
مكرمة شحيحة .

ير

أخذ عقلي يضطرب .
هيا يا ولدي . كيف حالك ، يا ولدي . أبردان أنت ؟
أنا أيضاً بردان . أين هذا القش ، يا غلام ؟
فن ضروراتنا فن غريب ،
يحوّل الرخيص إلى نفيس . هيا إلى كوخك .
بهلول يا مسكين ، في قلبي شقّ

ما زال يأسى عليك .
 من له عقلٌ قليلٌ ،
 يا ريحُ هيباً ، ثم هيباً يا مطرُ ،
 فليرضَ بما ناله
 وإن تمطرَ كلَّ يومٍ يا مطرُ ...
 أصبتِ يا فقى . هيا خذنا إلى الكوخ .

بهلول

لير

(يخرج لير وكنت)

هذه ليلة رائعة لتبريدٍ أحرّ مومس (٣٩)
 سأنتقل بنبوءة قبل أن أذهب .
 إذا امتلأ الكاهن لفظاً دون معنى ،
 وغش الحمار الخمر بالماء ،
 إذا أضحى النبيل معلماً لخياطه (٤٠)
 وسأسيم الزنديق من نار عقبي دون طلاب النساء ،
 إذا كانت كل دعوى في الشريعة صائبة ،
 وما من سيد مدان ، أوفارس بالفقر يوماً مبتلى ،
 إذا الغيبة هجرت كل لسان
 وأحجم النشالون عن الجموع ،
 إذا راح المرابون يحسبون الذهب في العراء ،
 وراح القوادون والبغايا يبتنون الكنائس ،
 عندها يحلّ في بلاد النُبيون
 شغب كبير وفوضى .
 عندها يأتي زمان ، من عاش رآه ،

بهلول

(٣٩) أفتوال البهلول التالية ، حل الأرجح مقسمة حل النص الشكسيري . وهي إجمالاً في شقين ، الأول يصف الحالة كما هي ، وينتهي عند « طلاب النساء » ، والثاني يتوقع حالة طوباوية . وينتهي البهلول كالمادة ، إلى العبث المر .
 (٤٠) لمشقه المظهر الكاذب .

يصبح السير فيه على الأقدام .
 هذه النبوءة سيأتي بها « مرلين » (٤١) ، لأنني أعيش الآن قبل زمانه .
 (يخرج)

المشهد الثالث
 غرفة في قلعة غلستر . يدخل غلستر وادموند ،
 كلاهما يحمل مشعلا

غلستر وا أسفاه ، وا أسفاه ! ادموند ، هذه المعاملة الشاذة لا تروق لي . عندما
 استأذنتهما لأراف به ، جرداني من استعمال متزلي ، وأمراني ،
 مُهَدِّدًا بسخطهما الدائم ، بألا أتحدث إليه ، أو أترجّاه ، أو أعني
 به كيفما كان .

ادموند يا للوحشية والشذوذ !
 غلستر لا عليك . لا تقل شيئاً . بين اللوقات انقسام ، بل ما هو أسوأ . جاءني
 هذه الليلة رسالة ، من الخطر إفضاء ما فيها . وقد أقتلت عليها خزائني .
 هذه الإساءات التي يتحملها الملك ، سينتقم لها كلها . وهناك بعض
 من جيش قد نزل ببرتنا ، وعلينا بالجنوح إلى الملك . سأبحث عنه وأعيته
 سراً . فاذهب أنت واشغل الدوق بالكلام لئلا يلحظ ما أنا بصدده من
 عمل صالح . وإذا سأل عني ، فبي وعكة وقد آويت إلى الفراش . يجب
 أن أعين الملك ، سيدي القديم ، حتى وإن متّ في سبيل ذلك ، وأنا لم
 أهدّد بأقلّ من الموت . ثمة أمور غريبة وشيكة ، يا ادموند . أرجوك
 خذ الحذر .

(يخرج)
 ادموند هذه المكرمة التي حُظِرَتْ عليك سيعلم الدوق بها
 في الحال ، وتلك الرسالة أيضاً .

(٤١) ساحر وعراف في سيرة الملك آرثر (القرن العاشر) وهو بالطبع متأخر عن زمان المسرحية ببغمة قرون

وهذا ما سأجازي عليه ، فيُجعل من نصيبي
ما سوف يفقده أبي ، ولن يقل عن كل شيء .
إذا ما الشيخ وقع ، نهض الفتي مكانه !

(يخرج)

الفلاة . أمام كوخ مهلم . يدخل لير ، وكنت ،
والبهلول

المشهد الرابع

كنت هذا هو المكان ، يا سيدي . سيدي الكريم ، ادخل .
طفيانُ ليلِ العراءِ أعتى
من أن تتحملة الطبيعة .

(العاصفة مستمرة)

لير دعني وشأني .
كنت سيدي الكريم ، ادخل هنا .
لير أتريد تحطيم قلبي ؟
كنت ليثني أحطم قلبي أنا . سيدي الكريم ، ادخل .
لير أنت تحسب هذه العاصفة النكباء تُغالي
إذ هي تغزونا حتى البشرة . إنها تغالي معك .
ولكن حينما العلةُ الكبرى استقرت ،
تكاد الصغرى لا تُحس . لكُنْستَ تتجنب ديباً ،
ولكن لو كان هروبك في اتجاه البحر المزجر
لقابلتَ الدبَّ فما لقم . إذا كان الذهن خالياً ،
كان الجسم رقيقاً . هذه العاصفة في صدري
تنتزع من حواسي كل شعور سوى
ما يمصف فيه — عقوق الأبناء !

أما تراه كأنَّ يمزقَ هذا الفمُ هذه اليد
لرفعها الطعام إليه ؟ ولكن سأشتد في العقاب .
لا ، لن أبكي بعد . أأطرد
في ليلة كهذه ؟ تدفقي ! سأحتمل . .
أفي ليلة كهذه ؟ آه يا ريغن ، يا غونريل !
ابوكما الشيخ الحاني ، هذا الذي أعطاكما قلبه الوضاح كل شيء -
آه ! ذاك سبيلٌ إلى الجنون يوْدَي ! فلا تجنّبهُ .
حسي منه .

كنت
ليز

سيدي الكريم ، ادخل هنا .
أرجوك ، ادخل أنت . اطلب راحتك .
هذه الزوبعة تمنع عني التأمل
في أمور هي أشد أذى لي . ولكن سأدخل .
(ال البهلول) ادخل ، يا غلام . ادخل قبلنا . يا فقراً
بلا مأوى -
لا ، هلّم ادخل . سأصلي ، ومن ثم أنام .

(يدخل البهلول الكوخ)

أيها التّعساءُ المرأةُ المدمون ، أينما كنتم ،
وأنتم تحتملون ضربات هذي العاصفة التي لا ترحم ،
أنتي لرووسكم بلا مأوى وجوانبكم بلا طعام ،
وشعثكم مثقّب مخرّق ، أن تقيكم
هولَ مواسم كهذه ؟ آه ما أقلّ ما عنيّتُ
بهذا ! لاجرعي الدواء يا أبهة .
نفسكِ عرضيها لتُحسني ما يحسّه التّعساء
لملك تفضين كل فيض عنك لهم
فتبدو السماوات أكثر عدلاً وقسطاً .

- ادغار (من الداخل) قامة ونصف ، قامة ونصف ! توما المسكين !
(يخرج البهلول راكضاً من الكوخ)
- بهلول لا تدخل هنا ، عماه . هنا جنيّ .
النجدة ، النجدة !
كنت أعطني يدك . من هناك ؟
بهلول جني ، جني . يقول اسمه توما المسكين .
كنت من أنت الذي رحمت تدمدم في القش هناك ؟ هلم أخرج !
يدخل ادغار متكرراً كمنجون
- ادغار لا يتعدوا ! إبليس اللعين يلاحقني ! من بين أشواك الزعرور تهب الرياح .
همه ! اذهب إلى فراشك لتدفاً .
لير هل أعطيت كل شيء لبناتك ؟
وانتهيت إلى هذا ؟
- ادغار من يعطي شيئاً لتوما المسكين ؟ هذا الذي اقتاده إبليس اللعين خلال النار
واللهيب ، واللوامة والغدير ، والمستنقع والطين ، على شرفته علقى
الحبالَ وتحت وسادته وضع المسكين ، دَسَّ سُمَّ الجرذان في حسائه ،
وملأ صدره بالفروور ليُخِيبَ بفرس كُمَيْتٍ على جسر من أربع
أصابع ، مطارداً خياله لظنه أنه خائنه ! إنعم بقدراتك الخمس ! توما
بردان . آ ، دو دى ، دو دى ، دو دى . وقاك الله شر الاعصار ،
والعدوى ، ونخس النجوم ! أحسن إلى توما المسكين الذي يضايقه
إبليس اللعين . هذا هو ! سأمسك به ! هنا ، هناك ، هناك ، هنا .
(العاصفة مستمرة)
- لير عجباً . هل دفعته بناته إلى هذه الحال ؟
ألم تستطع أن تبقي على شيء لنفسك ؟ هل أعطيتهنّ كل شيء ؟
بهلول لا ، لقد احتفظ بدثار ، وإلا لأخرجنا جميعاً .
لير يا طواعين علقّت بالفضاء محتومةً
على آثام البشر ، ألا فأنزلي بيناته !

كنت
 لير
 الموت يا خائن ! لا شيء بوسعك أن يحبط الطبيعة
 إلى حضيض كهذا إلا بناته الجاحدات .
 هل الطرز اليوم ان الآباء حين يلتقى بهم
 لا تبقى ثمة رافة بأجسادهم ، كهذا ؟
 عقاب عادل ! هذا هو الجسد الذي استولد
 بنات البجع (٤٢) اولئك .
 ادغار
 على تكلَّ بِجَيْعٍ بِجَيْعٍ قَعَدَ ،
 ترللا ، ترللي !
 هذه الليلة الباردة ستحيلنا جميعاً إلى بهاليل ومجاذيب .
 ادغار
 إحذر ابليس اللعين . أطلع والدك . إرعَ الذمة في كلامك . لا تحلف .
 لا تفحش بجليمة غيرك . لا تتعلّق بفواخر الثياب . توما بردان .
 لير
 ماذا كنت ؟
 ادغار
 نديماً ، صلف القلب والعقل ، أجمّد شعري وألبس القفازات في قبعتي ،
 أحقق الشبق في قلب خليلتي ، وأفعل معها فعلة الظلام . كنت أقسم
 أيّماناً بقدر ما أنطق من كلمات ، وأحنت بكلّ يمين أقسمتها في وجه
 السماء الحلو . كنت أنام وأنا اختطّ الفحشاء واستيقظ لتنفيذها . الخمر
 عشقتها ، والورد كُلفت به ، ومن النساء اتخذت عشيقات أكثر من
 السلطان نفسه : خائن القلب ، دموي اليد ، سريع الأذن إلى النسيمة .
 في الكسل خنزير ، وفي التسلّل ثعلب ، وفي الجشع ذئب ، وفي الجنون
 كلب ، وعلى الفريسة أسد . إياك أن تسلّم قلبك لامرأة لزقرقة في حداثها
 أو حفيظ في حريرها : لا تُدخل رجلك في مبغي ، أو يدك في شقّ
 فستان ، أو قلمك في دفاتر الدائنين ، وقارع ابليس اللعين . ما زالت

(٤٢) من المعتقدات القديمة أن البجعة ، إذا رأت أن صغارها ستموت ، تضرب خاصرتها فيسيل دمها لتسقيه صغارها فتتمش وتحمي . أما لير فيوصي أن صغار البجع تضرب والديها وتمتنس حياتها .

الريح الباردة في عصفها من خلال الزعرور ، وهي تقول سوم ، مون ،
ترللي ... دوفان الشيطان يا ولد ، يا ولد ، يلاً ! دعه يمر .

(العاصفة مستمرة)

ليز
لخير لك أن تكون في القبر من أن تتحمل قسوة السموات بجسدك المعري .
أهذا هو الإنسان كله ؟ تأملوه جيداً . لست مديناً للدودة بحجير ، للثور
بجلد ، للخروف بصوف ، للقطّ بعطر . ها ! نحن الثلاثة هنا ملفّقون .
وأنت ، أنت الشيء الحقيقي . فما الإنسان بلا ريش إلا هذا الحيوان
المشطور الأجرد المسكين الذي هو أنت . عني ، عني أيها الاستعارات !
تعال ، فك أزراري هذه .

(يمزق ثيابه عن نفسه)

بهلول
أرجوك ، عماء ، اقنع . فما الليلة اليلاء هذه للسباحة . لكانت النار
الصغيرة الآن في الفلاة كالقلب من خليع عجوز : شرارة ضئيلة ،
وبقية جسده باردة . انظروا ! هذه نار ماشية قادمة .

(يدخل غلستر ومعه مشعل)

ادغار
هذا « فليبريجيت » اللعين (٤٣) : يبدأ عند التعميم ، ويسري حتى
أول صباح الديك . يُتزل الماء الأزرق على العيون ، ويُحوّلُها ،
ويشترّم الشفاه . يُعفن القمح قبيل نضجه ، ويؤذي مخلوقات التراب
المسكينة .

« ويدولدُ » قد سار ثلاثاً

في الهضاب ،

رأى السّعلاة وتسع بناتها

على خيلها في الغاب

قال لها إن تحلّي

ترجّلي وتعهدي !

(٤٣) اسم أحد الشياطين في حكايات القرون الوسطى وعصر النهضة .

كنت
 كيف حالك ، مولاي ؟
 لير
 من هذا ؟
 كنت
 من هناك ؟ ما الذي تريد ؟
 غلوستر
 من أنتم ، هناك ؟ أسماؤكم ؟
 ادغار
 توما المسكين ، هذا الذي يأكل ضفدع العوَم وضفدع الطين ، ويأكل
 الدّعوموصَ وسَحْلِيّةَ البرّ والماء ، وكلما هاج قلبه ، إذا استشاط
 ابليس اللعين ، أكل بدل النّقل روثَ البقر . يزدرد الجرذان وكلاب
 الخنادق ، ويشرب الكساء الأخضر من على البرك الآسنة . يجلدونه
 من حي إلى حي (٤٥) ، ويعاقبونه بالدّهق والسجن ، له ثلاث بدلات
 لظهره وستة قمصان لجسمه .
 جوادٌ يمتطيه
 وسلاح يقننيه
 ولكن الفئران والجرذان
 وغيرها من صغار الحيوان
 كانت القوت لتوما
 سبعة أعوام طوال . (٤٦)
 إحذر عفريتي ! يا اسْمَلَكِينُ ، صه ! يا شيطان ، إخرس !
 غلوستر
 عجبا ! أليس لخلالتكم من صحب أفضل من هذا ؟
 ادغار
 أمير الظلام سيدٌ مقدام ، يدعى مودو ، وماهو .
 غلوستر
 لقد خبّثت ما نلّدتُ من لحمٍ ودمٍ يا مولاي

(٤٤) هذه تمويذة ضد السحابة ، تروي كيف أن القديس ويز ولد قابل السحابة وأفراخها التسع وقهرها كلها .
 وفي رواية ذلك « قوة سحرية » لمقاومة سلطانها . وقد جعلنا « السحابة » هنا تقابل « الكابوس » أو
 « انكبيوس » التي في الأصل .
 (٤٥) كان المشرّد يجلد ويرسل من حي إلى حي إلى أن يبلغ محله .
 (٤٦) مأخوذة من إحدى الحكايات الشريرة الشعبية .

فبات يحقت حتى والده .

توما المسكين بربرردان .

ادغار

تعال معي . لن يسمح لي واجبي

غلوستر

بالطاعة في كل أمراء من ابتيكت .

رغمًا عن أنهما أمرتا بخلق أبواي دونك

لتستبد بك هذه الليلة الطاغية ،

فقد جازفت بالمجيء بحثاً عنك

لأخذك إلى حيث تجدد النار والطعام .

دعني أولاً أتحدث إلى هذا الفيلسوف .

لير

ما سبب الرعد ؟

مولاي الكريم ، إقبل بما عرض . إذهب إلى بيته .

كنت

أريد كلمة مع هذا العالم الطيبي .

لير

ما اختصاصك ؟

صدّ ابليس وقتل الجراثيم .

ادغار

فلأسألك كلمة على حدة .

لير

ألعّ عليه بالذهاب يا سيدي .

كنت

أخذ عقله يترزعزع .

وهل تلومه ؟

غلوستر

(العاصفة مستمرة)

إبتاه تريدان موته . عفا الله عن كنت !

لقد تنبأ بذلك ، والمسكين الآن منفي .

تقول إن الملك أخذ يُجنّ . فلأقل لك يا صاح ،

أكاد أجن أنا أيضاً . كان لي ولد

برأت دمي منه ، أراد حياتي ،

منذ مدة وجيزة جداً . وأنا الذي أحببته يا صاح

كما لم يجب أب ولده . ولا أكتفك
أن الحزن قد أودى بعقلي . يا لها من ليلة !
أتوسل إلى جلالتكم -

المعلرة ، يا سيد . لير

أيها الفيلسوف النبيل ، امكث معي .
توما بربردان . ادغار

أدخل يا غلام إلى الكوخ . أطلب الدفء . غلوستر

هلموا ، لندخل جميعاً . لير

من هنا يا مولاي . كنت

برفته . لير

أريد البقاء دوماً مع صاحبي الفيلسوف .

سيدي الكريم ، داره ، ليصطحب الفقى معه . كنت

جىء به أنت . غلوستر

يا غلام ، هياً معنا . كنت

تفضل ، أيها الأثيني الصالح . لير

صمتاً ، صمتاً ! هس ! غلوستر

رولانُ فقى الفرسانِ جاءُ ادغار

إلى القلعة السمراء

وهو يردد : فاي ، فو ، فم ،

إني أشتمُ

رائحة إنكليزي في اختباء . (٤٧)

(مخرجون)

(٤٧) هنا مزج مقصود بين قصة الفارس رولان الذي أراد أن ينقذ أخيه من « صلاق البحر » وقصة « جاك قاتل الصلاق » . وفي القصتين يختبئ البطل ، ويبحث عنه الصلاق وهو يردد أنه يشتم رائحته .

- كورنول سأنقم قبل أن أغادر هذا المنزل .
ادموند أكاد أفرغ من التفكير ، يا سيدي ، فيما سألقاه من لوم من أن الطبيعة (٤٨)
- تنهزم هكذا إزاء الوفاء .
كورنول لقد أدركت الآن أن أخاك لم يطلب موته لمجرد ما في نفسه من شر ،
بل إن استحقاقاً مستفزاً أعمل ما فيه من سوءٍ معيبة . (٤٩)
- ادموند ما أنكد حظي ، وعليّ أن أندم على عدائي ! هذه هي الرسالة التي
تحدث عنها ، وهي البرهان على انه يتجسس لمساعدة فرنسا . رباه ،
ليت هذه الخيانة ما كانت ، ولا كنت أنا فاضحها !
كورنول هيا معي إلى الدوقة .
ادموند إن يكن مضمون هذه الرسالة مؤكداً ، فإن عليك مهمة هائلة .
كورنول صدقت الرسالة أم كذبت ، فقد جعلتك « ايرل اوف غلوستر » .
ادموند (جانياً) إذا وجدته يواسي الملك ، فإن ذلك يضيف المزيد إلى الشبهة فيه .
(غالباً) لسوف أضي في طريق وفائي ، وإن يؤلني الصراع بينه وبين دمي .
كورنول سأجعل ثقتي فيك ، وسوف تجد في حبي لك أبا أعزّ من أريك .
(يخرجان)

(٤٨) أي مشاعره الطبيعية كابن لأبيه .

(٤٩) أي أن السوء المعيبة في ادغار استفزها الأب ، غلوستر ، ليذيقه ادغار حظه من استحقاق .

غلوستر	هذا أفضل من العراء . خذه شاكراً . وسأضيف إلى وسائل الراحة ما أستطيع . لن أغيب عنك طويلاً .
كنت	فقد صبره فأنهارت قوى رشده . جازتك الآلهة خيراً على لطفك ! (يخرج غلوستر) يدخل لير ، وادغار ، والبهلول
ادغار	فرايريتو يدعوني ويقول إن نيرون يصيد السمك في « بحيرة الظلام » . عليك بالبراءة ، أرجوك ، واحذر ابليس اللعين .
بهلول	رجاء عمّاه ، أخبرني ، هل المجنون من السادة أم العوام ؟
لير	ملك ، ملك !
بهلول	لا ، إنه من العوام ولكن ابنته من السادة . لأن المجنون وحده يرى ابنه سيداً قبله .
لير	سأجعل ألفاً بسفاقيدهم الحمراء اللاهية يهجمون مهسهين عليهما —
ادغار	ابليس اللعين بعض ظهري .
بهلول	مجنون من يثق في الفة ذئب ، أو صححة فرس ، أو حب فقى ، أو يمين بني .
لير	سأفعلها ! سأحاكمهما على الفور .
	(لادغار) تعال إجلس هنا ، أيها القاضي العالم .
	(لبهلول) وأنت أيها السيد المفكر ، إجلس هنا . والآن ، أنتما يا ثعلبتان !
ادغار	أنظر اليه واقفاً يحملق ! (٥٠) أتريدين من يشاهد المحاكمة يا سيدتي ؟
	بسي ، من على النهر تعالي ، —
بهلول (بني)	الزورق عندها مثقوبٌ

(٥٠) أحد الشياطين الذين يلاحقونه ، أم انه لير ؟

واللفظ عندها محجوبٌ

فما تَفْعُ القولِ : تعالي ! (٥١)

ادغار ابليس اللعين يلجّ بتوما المسكين في زقزقة بلبل . وهُبْدَانَسُ يصيح في بطن توما طالباً سمكتين بيضاوين . لا تنعق ، يا ملاكاً أسود ، لا طعام لك عندي .

كنت كيف أنت يا سيدي ؟ لا تقف مشدوهاً هكذا :

إضطجع واسترح على الوسائد .

أريد محاكمتكما أولاً . أحضروا الشهود عليهما . لير

(لادغار) يا ذا الرداء يا صاحب العدالة ، خذ مكانك (٥٢)

(ليهلول) وأنت يا قرينه في القسطاس ،

إجلس بقربه . (لكتت) وأنت عضو في الهيئة ،

تفضل بالجلوس .

لنحكّم بالعدل . ادغار

أناثم أم يَتَقَطِّأُ أيها الراعي اللعوب ؟

أغنامك بين السنابل هائمة :

أفتوذي نفخةً من شفتيك الحلوتين

أغنامك البيضاء وهي ترعى سائمة ؟

برررر ... الهرة شهباء . (٥٣)

حاكم هذه أولاً ، إنها غونريل . إني أقسم أمام

مجلس الكرام هذا ، أنها رفضت الملك المسكين أباهما . لير

إقتربي يا سيده . هل اسمك غونريل ؟

لن تستطيع النكران . لير

(٥١) من أغنية معاصرة .

(٥٢) ادغار مدثر ببطانية يشبهها لير برداء القاضي ، وفيما يمد بلباس المجوسي (الفارسي) .

(٥٣) يشير ادغار باستمرار إلى المفاريت (الشياطين) التي يزعم انه يراها . لكل منها اسم ، وهي تتخذ أشكالاً مختلفة ، حل نحو ما كانوا يعتقدون أيام شكسبير ، بما في ذلك شكل الهره .

بهلول
 لير
 أرجو عفوك ، حسبك كرسياً .
 وهذه أخرى ، يعلن عيهاها المتلوي
 عن المعدن الذي صُنِعَ منه قلبها . أوقفها هناك !
 إلى السلاح ، السلاح ! سيوفكم ، والنار ! فساد في المكان !
 أيها القاضي الكاذب ، لماذا سمحت لها بالهرب ؟
 ادغار
 كنت
 رحمة على مواهبك الخمس !
 أو اه ! سيدي ، أين الآن ذاك الصبر الذي
 طالما تفاخرت بأنك تتحلى به ؟
 ادغار
 (جانبياً) جعلت دموعي تنحاز إليه حتى
 أخذت تفسد عليّ تنكّري .
 لير
 الكلاب الصغيرة ، كلها ،
 تراي ، وبلانش ، وحبیب ، كلها تنبح عليّ .
 ادغار
 سيفضربها توما برأسه . يا أجراً ابتعدي !
 أسودّ القم كنت يا كلب ، أم أبيضه ،
 وإن تكن سامّ النيوب إذا عضضت ،
 سلوقياً أو هجيناً ضارباً ،
 كلب صيد أو كلب بيت ، وحشياً أو أليفاً ،
 أبتّر الذيل أو تسحل الذيل وراءك –
 ليجعلنك توما تولول وتصيح !
 إذا ما ألقيت برأسي ، هكذا ، (٥٤)
 ولت الكلاب مهروعة أدبارها .
 دو ، دي ، دي ، دي ، .. يلاً ! هلموا إلى المناحات ومباحج الأسواق
 وملتقى الباعة والشراة ! توما يا مسكين ، قرنك فد نضب .

(٥٤) يحبل ادغار حول عنقه قرن جاموس ، وهو جزء من تنكره كستول منته . وقد يضمه على رأسه حين يتظاهر بالمجوم على الكلاب المهرومة ، فيفزعها .

لير
 إذن فليشرّحوا ريفن ، وليروا ما الذي يتوالد حول قلبها . هل في الطبيعة
 سبب لصنع هذه القلوب القاسية ؟ (لادغار) أنت يا سيدي ، إنني
 استخدمك واحداً من رجالي المئة ، ولكن لا يروق لي طَرزُ ثيابك .
 ستقول إنها فارسية . عليك بتغييرها .
 كنت
 مولاي الكريم ، إضطجع هنا واسترح قليلا .
 لير
 لا ضجيج ، لا ضجيج . أسدلوا الستائر . هكذا . ستمشى في الصباح .
 بهلول
 وأنا سأرقد في الظهيرة .

يدخل غلوستر ثانية

غلوستر
 اليك يا صاح : أين مولاي الملك ؟
 كنت
 هنا يا سيدي . ولكن لا تزعجه . لقد فقد عقله .
 غلوستر
 أرجوك يا صاحبي أن تحتضنه ،
 فقد سمعهم يتآمرون على موته .
 لدينا نقالة جاهزة . اضجعه فيها ،
 واهرع إلى دوفر ، يا صاح ، حيث ستلقى
 الترحيب والحماية . لرفع سيديك .
 إن أنت ماطلت نصف ساعة أخرى ، فإن حياته
 وحياتك ، وحياء كل من يتطوع للدفاع عنه ،
 عرضة لضبياع أكيد . لرفعه ، لرفعه .
 واتبعني ، فأقتادك مسرعاً
 إلى شيء من موونة .
 هجمت الطبيعة المرهقة .
 لعل في هذه الرقدة بلسماً لأعصابك المحطمة
 التي ، إن حرّمت راحتها ،
 ربما أعيأها الشفاء . (بهلول) تعال ساعدني
 في حمل سيديك .

يجب ألا تتخلف هنا .

هيا ، هيا بنا

غلوستر

(يخرج كنت وغلوستر والبهلول وهم
يحملون الملك)

حين نرى أختيارنا يقاسون أحراننا ،

ادغار

نكاد ننسى أن ويلاتنا أعداؤنا .

كل من عانى وحده ، عانى الأشدّ بنفسه ،

عازفاً عن الخلي من الشؤون والبهرجة .

لكن النفس ما أكثر ما تتخطى من عذاب

حين تلقى في الشجى أتراباً حتراني معها .

ما أخف آلامي عبثاً إذ أرى

أن الذي يبْهظ كاهلي ينحني له ظهر الملك !

وابتأة كأبي . عليك بالهرب ، يا توما !

تبته بلعجمة العكيبين ، واكشف عن نفسك

عندما الأراجيف التي لوثتك بظلمها

تنقض حكمها ، برهاناً على حقك ، وتصلحك .

مهما يحدث اليوم من مزيد ، فلينجُ الملك !

واختبىء ، يا هذا اختبىء !

(يخرج)

حجرة في قلعة فارستر . يدخل كورنول ،
ورين ، وغونريل ، وادموند ، وخدم

المشهد السابع

كورنول (لغونريل) لإركبي بسرعة إلى اللورد زوجك ، وأطلعيه على هذه الرسالة :

جيش فرنسا قد نزل ببرنا . إبحثوا عن الخائن غلوستر .

اشتقوه فوراً .

رين

غونريل إقلعوا عينيه .
كورنول دعوه لنقمتي . ادموند ، رافق أختنا . فما لا بد لنا من فعله بأبيك الخائن
انتقاماً ، لا يليق بك أن تراه . وأشر على اللوق الذي أنت ذاهب اليه
بالتأهب الخبيث ، فنحن نتهاياً لمثله . ولتكن الرسل على الخيل بيننا سريعة
كثيرة الخبر . وداعاً يا أخي العزيزة . وداعاً أيها اللورد غلوستر .
يدخل ازوالد

ها ! أين الملك ؟
ازوالد نقله سيدي اللورد غلوستر من هنا :
فقد التقاه بالباب خمسة أو ستة وثلاثون
من فرسانه ، بعد أن دأبوا بالبحث عنه .
وراحوا به مع بعض من أتباع اللورد
صوب « دوفر » حيث يتباهون
بأن لهم أصدقاء مسلحين خبير سلاح .
غونريل وداعاً ، أيها اللورد العزيز ، ويا أختاه .
كورنول ادموند ، وداعاً .

(يخرج غونريل وادموند وازوالد)
روحوا ابحثوا عن الخائن غلوستر :
أوثقوه كاللص ، وجيثوا به أماننا .

(يخرج بعض الخدم)
نَحْنُ قد لا يبق لنا أن نحكم على حياته
بغير شكليات العدالة ، غير أن سلطتنا
ستنحني لغضبنا الذي قد يلومنا
عليه الناس ، ولكن دون التحكم به . من هناك ؟ الخائن ؟

يمود بعض الخدم ومعه غلوستر سجيناً
ريغن الثعلب الجاحد ! إنه هو .
كورنول أحكموا ربط ذراعيه الذابليتين !
غلوستر ما هذا يا سادة ؟ أيها الصحب تذكروا

إنكم ضيوفي هنا . لا نخونوا العهد أيها الصاحب .
كورنول قلت اربطوه !

(يربطه الخدم)

ريغن شدوا الوثاق ! أيها الخائن القنر !
غلوستر مهما قسوت يا سيدة ، لست أنا بخائن .
كورنول اربطوه بهذا الكرسي . سترى يا وغد -

(ريغن تنتف لحيته)

غلوستر وحق الآلهة الكرام ، عيب عليك
أن تنتفي لحيتي .

ريغن شائب ، وخائن !

غلوستر أيتها الشريرة ،

هذي الشعرات التي تجتثينها من ذفتي

ستحيا وتتهمك . إني مضيفك :

فكيف تعبين بمحيا المضيف هكذا

بيد كأيدي اللصوص ؟ ما الذي نويتم عليه ؟

كورنول قل يا سيد ، ماذا استلمت مؤخراً من رسائل من فرنسا ؟

ريغن بسّط الجواب ، لأننا نعرف الحقيقة .

كورنول وما تأمرك مع الخونة الذين

وطثوا أخيراً أرض المملكة ؟

ريغن إلى يد من أرسلت الملك المجنون ، تكلم .

غلوستر لقد كتبت رسالة تكهناً ،

جاءت عمّن قلبه في حياذ

لا عن رجل معارض .

كورنول حيّال !

ريغن وغدّار !

كورنول أين أرسلت الملك ؟
 غلوستر إلى دوفر .
 ريغن ولم إلى دوفر ؟ ألم تُحذّر مهدّداً -
 كورنول لم إلى دوفر ؟ ليجب على ذلك .
 غلوستر موثق أنا بالخشبة ، وعلى بتحمل الكلاب .
 ريغن لم إلى دوفر ؟
 غلوستر لأنني أبيت أن أرى أظفارك القاسية
 تقطع عينيه المسكيتين ، أو أخنك الضارية
 تظعن بنواجذها الختيرية جسمه المسوح .
 لكان البحر ، في عاصفة كتلك التي عاناها
 رأسه الخامر في ليل بهيم كالبحيم ، يجيش ويعلو
 ويطفئ نيران النجوم .
 ولكنه ، يا لهف قلبي ، راح يحث السماء على المطر .
 لو أن الذئاب أحولت بياك تلك الساعة الرهية
 لقلت : « أدِر المفتاح ، أيها البواب الكريم . »
 ما من قساة غيرك إلا واستجابوا ، ولكنني سأرى
 الانتقام المجتّح يتزل باولاد مثلكما .
 كورنول لا ، أبداً لن ترى يا قوم ، امسكوا بالكرسي
 سأطأ بقدمي عينيك هاتين .

(يسئل إحدى منه)

غلوستر من يطلب العمر الطويل ،
 فلينجدني ! أيها القاسي ! أيتها الآلهة !
 ريغن الناحية الواحدة تهزأ بالأخرى . عليك بالأخرى
 كورنول إن كنت ترى الانتقام -
 الخادم ١ كفّ يديك يا سيدي .

لقد خدمتك منذ طفولتي ،
ولكن لم أخدمك يوماً خيراً
من أن أمرك الآن بالكف عنه .

ريغن الخادم ١
ماذا تقول ، يا كلب !
لو كانت لك لحية على ذقنك ذلك
بلحرتها في هذا الشجار .

ريغن
ماذا تعني ؟
كورنول خادمي !

(مجرد كلاهما سيفه ويتقاتلان)

الخادم ١ هلمّ إذن ، وجازف بالغضب .

ريغن (لاحه الواقفين) أعطني سيفك . أقروي يتحدثني !

(تأخذ سيفاً وتهوي عليه من الخلف)

الخادم ١ آه ، قتلتهني ! سيدي ، لك عين باقية
لترى قصاصاً يحلّ به - آه !

كورنول لكلا ترى المزيد ، فلأمنعها . أخرج ، أيها الهلام النجس !

(يسلم عين غلوستر الأخرى)

أين بريقك الآن ؟

غلوستر الكلّ ظلام ولا عزاء ، أين ابني ادموند ؟
ادموند ، أشعل كل ما في الطبيعة من شرر ،
إزاء هذه الفعلة الحسيّة .

ريغن أخرج ، أيها النذل الخائن !

أتستنجد رجلاً يكرهك ؟ إنه هو الذي
فاتحنا بخيانتك ،

وهو أكرم من أن يشفق عليك .

غلوستر يا لحماقائي ! إذن ، لقد ظلّم ادغار .

أيتها الآلهة الرحيمة ، اغفري لي ، ووفقيه !

ريغن لإذهب والى به خارج الأبواب ، وليشم
دربه إلى دوفر بأفقه !

(يخرج أحدهم مع غلوستر)

كورنول ما الأمر يا مولاي ؟ كيف أنت ؟
لقد جُرحت . اتبعيني يا سيدي .
اطردوا ذلك النذل الأعمى ، وارموا هذا العبد
على المزبلة . ريغن ، إنني أنزف بكثرة .
جاءني الجرح في غير حينه . أعطني ذراعك .

(يخرج كورنول ، تقفاده ريغن)

الخدام ٢ لن أحجم عن أي موقفة
إن أصاب هذا الرجلُ أيَّ خير .

الخدام ٣ إن عاشت طويلا
لتلقى في النهاية موتها كسائر البشر

الخدام ٢ تحولت النساء كلهن إلى وحوش ضاريات .
لنلحق بقلوستر الشيخ ، ونجعل توما المجنون
يقوده أينما شاء . فلأنه مجنون وشريد
له أن يفعل ما يعن له .

الخدام ٣ هيا . سأحضر بعض الكتان وبياض البيض
لوضعه على وجهه الدامي . كانت السماء في عونه .

(يخرجان كل من ناحية)

الفصل الرابع

المشهد الأول

الفلاة . يدخل ادغار

ادغار خير لي أن أبقى هكذا ، وأعلم أنني مزدري ،
من أن يزدروني ويتملقوني ، وأنا في أسوأ شدتي. (٥٥)
أحط من القى الدهر به
يحدوه الأمل في كل ساعة ، وما عاد يجيا خائفاً :
ما المرء إلا تبدل الحال من الرخاء ،
وما الشدة إلا إلى الضحك عائدة . إذن ، مرحباً
يا ربحاً أعانقها وإن تكن بلا جسد :
هذا الشقي الذي هببت به لشدة
ليس مديناً بشيء لهباتك كلها . ولكن من القادم ؟
يدخل غلوستر يقوده شيخ مسن
أبي ، يُقاد زرباً هكذا ؟ دنيا ، أيا هذه الدنيا !
لولا تمولك العجيب ييفضك الينا
لما انصاعت حياة لشيخوخة !
سيدي الكريم ، الشيخ

(٥٥) حول هذه العبارة خلاف بين الباحثين الشكسبيريين من حيث النص . يبدو أن ما يرمي إليه ادغار هو أنه يؤثر تنكره كشحاذ مزدري ، فلا يهه الازدراء لأنه لا يصيب شخصه الحقيقي ، عل أن يكون في شدته ، يتلقونه ظاهراً ولكن يزدرونه عل كل حال .

لقد كنت من تابعيك ، وتابعي أبيك ،
لثمانين حولاً انقضت .

غلوستر
إليك عني ، يا صاحبي ،
ما في عزائك لي أي نفع ،
وهو قد يُضرب بك .

الشيخ
ولكنك لا ترى سبيلك .

غلوستر
لا سبيل لي ، فلا حاجة بي إلى عينين .

كنت إذ أرى أتعثر . (٥٦) ما أكثر ما نرى

أن يُسرنا ينسينا الحنن ، ونواقصنا

تصبح لنا هي الفوائد . آه ، يا ولدي الحبيب ادغار ،

يا طعاماً لغضب أبيك المخدوع ،

لو كان لي أن أراك باللمس مني

لقلت عادت إليّ عيناي !

ماذا ؟ من هناك ؟

الشيخ
ادغار (جانياً) يا آلهة ! من يستطيع القول « إني في أسوأ شدتي » ؟

لم أكن يوماً في شدة كهذه .

هذا المسكين توما المجنون .

الشيخ
ادغار (جانياً) ولعلني صائر إلى حال أشدّ : ما بلغنا من شدة أسوأها

ما دام بوسعنا القول : « هذا أسوأ الشدة » .

أين ذاهب أنت يا غلام ؟

أشحاذ ؟

مجنون وشحاذ .

الشيخ
غلوستر فيه بقية من عقل ، وإلاّ لعجز عن التسول .

في عاصفة الليلة الماضية رأيت غلاماً مثله

(٥٦) هذا التضيد أحد المتطويات الرئيسية في هذه المسألة .

جعلني أفكر بأن الإنسان دودة .
وعندها خطر ابني بيالي . ولو أن الود لم يكن
ما أضمر له . لقد سمعت المزيد منذ ذلك الحين :
كالذباب للصيبة العابثين نحن للآلهة ،
يقتلوننا ملهاة لهم .

ادغار (جانياً) كيف ذلك ؟
ما أحطتها مهنة أن يلزم المرءُ بدورٍ معتوهٍ إزاء الحزين ،
مغضبياً نفسه والآخرين . (بصوت عالٍ) بوركت يا عم !
أهو الغلام العاري ؟
أجل ، مولاي .

الشيخ
غلوستر
إذن ، أرجوك أن تذهب . وإن شئت ، من أجلي ،
أن تلحق بنا مسافة ميل أو اثنين
في الطريق إلى دوفر ، فافعل لما بيننا من ودّ قديم .
واجلب بعض الكساء لهذا الأدمي الأجرد -
فلني سأتوسل إليه أن يقودني .

الشيخ
غلوستر
وا أسفاه يا سيدي ! إنه مجنون .
إنه لبلاء الزمان ، حينما العميان يقودهم المجانين . (٥٧)
فاسمع ما أمرتك به ، أو افعل ما يروق لك .

الشيخ
إنما المهم : إذهب !
سآتي إليه بابهي حلة لديّ ،
وليكن ما يكون !

(يخرج)

غلوستر
ادغار
إسمع ، أيها العاري -
توما المسكين بردان . (جانياً) تعبت من التنكر .

(٥٧) يحمل غلوستر من وضعه رمزاً لزمانه : يوم يكون الحكام مجانين ، والمحكومون صيافاً .

غلوستر
ادغار

تعال هنا يا غلام .
(جانبياً) ولكن لا بد لي منه . الف رحمة على عينيك الحلوتين :
إنهما تترفان .

غلوستر
ادغار

أتعرف الطريق إلى دوفر ؟
كلها ، عبر الحواجز والأبواب ، طريق الخيل ومسار القدم . لقد
أفزعَتَ توما المسكين وطيرت رشده : وقيتَ يا ابن الكرام شرَّ إبليس
اللعين ! شياطين خمسة حلت بتوما دفعة واحدة : اوبيديكوت أبو
الشيبي ، واوبرَديدانس أمير البكَم ، وماهو أبو الحرام ، ومودو أبو
القتل ، وفليبرتيجيت أبو الكشر والنخر ، وقد حلَّ هذا بالخدومات
والوصيفات . وقيت شرَّهم يا عم !

غلوستر

هاك ، خذ هذا الكيس ، يا من حطت بك
بلايا السماء لكل نازلة : يا سماء ، عاملينا دوماً هكذا !
وأشعري كلَّ ذي فيضٍ عن حاجته ، متخماً بالخشع ،
مستعيداً منك الأمر والنهي ، ولا يرى
لانعدام شعوره ، أشعريه سلطانك فوراً ،
عسى التوزيع يقضي على الزائد من الغنى
وينال كل فرد كفايته . أتعرف دوفر ؟

ادغار
غلوستر

نعم يا عم .
هناك تلة ، هامتها العليا قد طأطأت
لتنظر رابعة في البحر المحاط ،
خذني إلى الشفا منها
فأصلح من الشقاء الذي تحمله
بشيء ثمين لدي . ومن ثمَّ
سأكون في غنى عن القيادة .
أعطني ذراعك :

ادغار

ليقودنك توما المسكين .

(يخرجان)

المشهد الثاني

أمام قصر دوق ألبي . تدخل غونريل وادموند

يدخل ازوالد

غونريل أهلا سيدي . يدهشي أن زوجي الرقيق
لم يخرج للقائنا .

ها ! أين سيدك ؟
ازوالد في الداخل يا سيدي ، ولكن لم يتغير رجل قط مثلما تغير .

أخبرته بال جيش الذي نزل في برنا
فابتسم : أخبرته أنكما قادمان
فكان جوابه : « أسوأ فأسوأ » . ولما أعلمته
بخيانه غلوستر ووفاء إبنه ،

صاح بي ، يا أحمق !
وأخبرني بأنني قد عكست الآية :
فهو يسرّ لما ينبغي أن يمتعض منه
ويحجّ ما ينبغي أن يسرّه .

هوونريل (لادموند) إذن قف مكانك .

أقعد الخوف بالجن روحه

فما تجرؤ على المخاطرة . ولن يستشعر مهانة
تحتم عليه الردّ . وما أبدينا في الطريق من رغب
قد يتحقق . عد إلى زوج أختي يا ادموند .
عجل بحشوده وكن قائداً لقواته .

أما أنا فعليّ أن أتبادل الشارات مع زوجي ،
فأضع المغزل في يده . وليكن هذا الخادم الأمين
رسولا بيننا . وإن جرأت على المغامرة لصالحك
فقد تسمع عما قريب مني
أمر سيدة خليلة . إلبس هذا . وفر الكلام

(تعطيه قلادة)

أخفض رأسك (٥٨) هذه القبلة ، لو نطقتُ
لقام لها روحك منتصباً في الفضاء .
فكتر ملياً ، والوداع .
إني ملك يديك في صفوف الموت .
ما أعزك عليّ يا غلوستر !

ادموند
غونريل

(يخرج ادموند)

يا للفرق بين رجل ورجل !
أنت الجدير بخدمات المرأة -
وزوجي الأبله إنما يقتصب جسدي .
سيدي ، هذا سيدي قادم .

ازوالد

(يخرج)
يدخل الهني

لقد كنت أساوي الصغير منك (٥٩) .
آه يا غونريل !
إنك لا تساوين الغبار الذي تسفوه
الريح الفظة في وجهك . طبعك أخشاه :
فالطبيعة التي تزدرى بأصلها
لا يمكن حصرها ضمن نطاقها باطمئنان .

غونريل
البي

(٥٨) اما لكي تقبله ، أو لكي تضع القلادة حول عنقه .
(٥٩) بناء على مثل يقول : « الكلب الحقير لا يساوي الصغير » .

والمرأة التي تتزج نفسها وتبتغ غصنها
عن جوهرى نَسفها ، لا بد أن تيبس
وتنتهي إلى المحرقة .

غونريل
البي

بس ، بس ! القول سخي .
لدوي الحسة تبدو الحكمة والفضيلة خسة .
ولا تتلوق القواذير إلا نفسها . ما الذي فعلتماه ؟
يا نمرتان ، لا إبتان ، ما الذي أتيتماه ؟
أب ، وشيخ مسن كريم ،
حتى اللدب يُجلّه ولو جرّ من رأسه ،
جنتتماه ! يا للبربرية ، يا للدناءة !
أيعقل أن صهري الطيب يسمح لكما بذلك ؟
رجل ، أمير ، وصله الملك بتلك الهبات كلها !
إذا لم تسرع السموات بإنزال
أرواحها المرثية فتكبح جماح هؤلاء المجرمين
فلا بد للانسانية من اقتراس نفسها
كما تفعل وحوش البحر .

غونريل

يا لك من رجل أبيض الكبد (٦٠) !
ترفع خدأ للطمات ، ورأساً للضيم ،
وليس تحت جبينك عين تميّز
بين شرفك وصغارك ، ولا تعرف
أن المغفلين هم الذين يشفقون على الأندال إذ يعاقبون
قبل اقتراف إساءتهم . أين طبلك ؟
هذا ملك فرنسا ينشر ألويته في ربوعنا الصامتة

(٦٠) كان يقال إن كبد الجبان يضاء كالحليب أو الزنق .

وراح يهدّد بالخوذة المريشة دولتك ،
وأنت المغفل المتفلسف لا تأتي حراكاً
وتصيح : « وا أسفاه ! ترى لماذا يفعل ذلك ؟ »
أبصري نفسك ، يا شيطان !
لا يُرى المسخُّ الحق في إبليس
على هذا القبح كما يُرى في المرأة .

أبني

مغفل مغرور !
إخجلي يا مخلوقة مسيخت ونكثرت نفسها ،
ولا تتوحشي مظهراً . لو كان يليق بي
أن أسمع ليدّي هاتين بأن تطيعا دمي ،
لكانتا على أهبة لتمزيق لحمك
وخلع عظامك . فمهما تكوني من شيطان
فإن شكل امرأة يقيك .
أي وربّي ! ورجولتك - أما نزعتهما !

غونريل

أبني

غونريل

يشعل رسول

ما الخبر ؟
أيا مولاي الكريم ، لقد مات دوق كورنول ،
صرعه خادمه وهو بهمّ
بقلع عين غلوستر الأخرى .
عين غلوستر !
خادم كان قد رباه ، هزته الرأفة
فاهترض على القملة ، ووجه سيفه
صوب سيده العظيم ، فحتق هذا
وانقضّ عليه ، وفي القتال جندله صريعاً ،
ولكن بعد أن أصابته تلك الضربة المؤذية

أبني

الرسول

أبني

الرسول

التي أسقطته في إثره .
 إن هذا للدليل على وجودكم في العلي ،
 يا أرباب العدالة ، يا من تنتقمون بهذه السرعة
 من جرائمنا في هذه الدنيا ! ولكن ، مسكين يا غلوستر !
 هل فقد عينه الأخرى ؟
 كلتيهما يا مولاي .
 هذا الكتاب يا سيلتي يرجو جواباً حثيثاً .
 إنه من أختك .

أبني

الرسول

يقدم لها رسالة

(جانياً) إن هذا ، من ناحية ، يروق لي .
 ولكنها إذ ترمّلت ، وحبيبي ادغار معها ،
 قد تجعل كل ما بنيت في خيالي يتهاوى
 على حياتي المقيتة : فمن ناحية أخرى إذن ،
 ليس ذا بالخبر الطيب . (جهورياً) سأقرأ الكتاب وأجيب عليه .

غونريل

(تخرج)

أين كان إنه عندما سملوا عينيه ؟
 قادماً مع سيلتي إلى هنا .
 ولكنه ليس هنا .
 نعم ، مولاي الكريم ، فقد لقيته عائداً من جديد .
 وهل يعلم بهذا المنكر ؟
 أجل ، مولاي . فقد كان هو الذي وشى به ،
 وغادر المترل عمداً لكي يتخذ العقاب
 ما شاء من مجرى .
 غلوستر ، إنني أحيا
 لأشكر لك ما أبديت للملك من حب ،

أبني

الرسول

أبني

الرسول

أبني

الرسول

أبني

ولكي أنتم لعينيك . تعال يا صاح :
أخبرني بالمزيد مما تعلم .

(بخرجان)

المشهد الثالث

المسكر الفرنسي قرب دوفر . يدخل كنت ومرافق

- كنت
مرافق
كنت
مرافق
كنت
مرافق
كنت
مرافق
- ألا تعرف سبباً لرجوع ملك فرنسا بهذه الفجأة إلى بلده ؟
أمر ما في الدولة لم ينهه ، فكر به بعد مجيئه إلى هنا ، فيه من بوادر
الخشية والخطر على المملكة ما جعل عودته الشخصية ضرورة حتمية (٦١) .
ومن ترك قائداً وراءه ؟
مارشال فرنسا ، مسيو لافار .
هل فعلت رسائلك في نفس الملكة حتى بدت عليها علائم الحزن ؟
أجل ، سيدي . أخذتها وقرأتها أمامي .
وإذا الدفعة بين الحين والحين تسيل كبيرة
على خدها الجميل . ويبدو أنها ملكت نفسها
إزاء عاطفتها التي ، أشبه بالتمرد ،
أرادت أن تملك عليها نفسها .
آه إذن لقد هزتها !
لا لحد الغضب . لقد تنافس الحزن والصبر
على أيهما يجعلها أجمل تعبيراً . أما رأيت
الشمس تشرق مع المطر ؟ هكذا كانت بسمتها ودموعها ،

(٦١) كان هذا هو التفسير المزعوم للأمر ، ولكن من المستبعد أن يريد لنا شكبير أخذه بطواهره .
فالسبب الحقيقي هو أن كورديليا أفلحت في إقناع زوجها بالتخلي عن محاولة أخذ جزء من المملكة منها
وبالرجوع إلى بلده ، ليس لها بذلك أن تستخدم جيشه في الدفاع عن أبيها إذا اقتضت الحاجة ، وبذلك
تدفع عن زوجها تهمة الفرو .

بل أروع . فتلك البسمات السعيدة
التي عبثت على شفتها الناصجة بدت وكأنها لا تدري
بالضيوف التي في عينيها ، فإذا غادرت عينيها
تساقطت كلولو من ماستين . وموجز القول ،
لو أن الحزن يبدو على هذا الحسن في الناس
لكان شيئاً نادراً حبيباً إلى القلب .

ألم تلتفظ بشيء ؟

كنت

الحق إنها ، مرة أو مرتين ، صعدت كلمة « أبي »
وهي تنهد ، كأنها تضغط على قلبها .

مرافق

وصاحت : « أختي ، أختي ! يا عار النساء !
كنت ! أبي ! أختي ! ماذا ، أي العاصفة ! أي الليل ؟
أحقاً انعدمت الرأفة ! » وهنا أسقطت
الماء المقدس من عينيها السماويتين ،
وسقت نشيجها ، ثم راحت للتو
تعالج حزنها بمفردها .

النجوم ، النجوم التي فوقنا هي التي تتحكم بأخلاقنا :
وإلا فكيف ينسل الزوج الواحد وقرينته
نسلاً على هذا التباين ؟ ألم تتحدث إليها بعد ذلك ؟
كلا .

كنت

هل كان ذلك بعد رجوع الملك ؟
بل بعديه .

مرافق

كنت

مرافق

يا سيدي ، إن لير المبتلي المسكين في المدينة .
وهو أحياناً ، في لحظة من الصفاء ، يتذكر
ما نحن فيه ولكنه يرفض الانصياع
لروية ابنته .

كنت

مرافق لم ، يا سيدي الكريم ؟
كنت إن خجلاً مستبدأ به بصدّه : لقد كانت قسوته
التي حرمت عن كور ديليا بركته ، هي التي دفعت بها
إلى تجربة حظها في الخارج وآلت بحقوقها الغالية
إلى ابتية الجائرتين ، وهذه الأمور تلدغ
منه الذهن لدغاً ساماً وإذا شعوره الكاوي بالحجل
يحول دونه ودون كور ديليا .

مرافق وا أسفاه عليه !
كنت ألم تسمع عن جيوش ألبي وكورنوول ؟
مرافق بلى ، إنها ترحف .
كنت حسناً ، يا سيدي ، سأذهب بك إلى سيدنا لير ،

وأتركك لتعتني به . ثمة أمر هام
يقتضي مني التخلي رداً من الزمن . (٦٢)
وعندما تعلم من أنا ، لن تندم
على معرفتك هذه بي . أرجوك ،
تعال معي .

(يخرجان)

المسكر نفسه . طبل وبيارق ، تدخل معها
كورديليا وبصحبها طيب وجنود

المشهد الرابع

كورديليا والمفتاه ! إنه هو . لقد رأوه الآن
مجنوناً جنون البحر المحتدم ، يغني بصوت رفيع
وقد تنوّج رأسه بالشاهترج الكثيف وأعشاب الأرض الحريثة ،

(٦٢) ولكن شكسبير لا يطلنا حل هذا الأمر .

بالحمّاص ، والخشخاش ، والقُرَيْص ، وزهر المجانين ،
بالبيقة وغيرها من الأعشاب (٦٣) العاطلة التي تنمو
بين سنابلنا المغذية . أرسلوا مفرزة من الجنود
وإبحثوا عنه في كل فدان بين الزرع الكثيف
وأعيدوه .. لتراه عيننا .

(يخرج أحد الضباط)

ما الذي بوسع حكمة الإنسان
لاستعادة عقله الفقيء ؟

من يسعفه ، أهبه كل ما أملك خارج نفسي .
ثمة وسائل ، يا سيلتي .

الطبيب

فمرضة الطبيعة الثانية لنا هي الراحة ،
وهي ما تعوزه . ولكي نمدّه بها
ثمة عدة عقاقير فاعلة ، تُغمضُ قوتها
عينَ الأمّ المبرّح .

كورديليا

أيتها الأسرار المباركة ،

يا عقاقير الأرض المجهولة ،

إطلمي مع دموعي هذه ! أسعفي واشفي
هذا الرجل الطيب في بلواه ! إبحثوا ، إبحثوا عنه .
لئلا يأتي المَوجُ الجامح على حياة
تفتقر إلى وسيلة (٦٤) عيشها .

يدخل رسول

أنباء ، يا مولاتي !

رسول

الجيش البريطانيّة تزحف صوبنا .

(٦٣) معرفة شكبير بالنباتات وأسمائها ومزاياها تكاد تكون مذهلة . والمعتقد أن بعض الأعشاب المذكورة
هنا كان يستعمل علاجاً لارجاج الرأس أو الأمراض العقلية كالصرع ، وغيره .
(٦٤) أي العقل ، الذي لا بد منه لعيش الحياة .

كورديليا نعلم ذلك من قبل . وقواتنا المهياة واقفة
 بانتظارها . أبتاه العزيز !
 إني إنما بشؤونك أتكفل ،
 ولذا فقد رأف ملك فرنسا العظيم
 بنواحي وبحاجة دمعي .
 فالذي يملو سلاحنا ليس الطموح المنتفخ
 بل الحب ، الحب الغالي ، وحق أبينا المسن .
 عساي أن أسمعه قريباً وأراه !

(يخرجون)

المشهد الخامس

غرفة في قلعة غلوستر . تدخل ريغن وازوالد

ريغن ولكن هل بدأت الزحف جيوشُ زوج أخي ؟
 ازوالد نعم يا سيدتي .
 ريغن وهو شخصياً هناك ؟
 ازوالد بعد كثير من النقاش :
 إن أختك أفضل الاثنين جندياً .
 ريغن ألم يتحدث اللورد ادموند إلى سيدك في منزله ؟
 ازوالد كلا يا سيدتي .
 ريغن وما فحوى رسالة أخي اليه ؟
 ازوالد لست أدري يا مولاتي .
 ريغن يقيناً ، لقد غادرنا مسرعاً في شأن خطير .
 لقد كان جهلاً كبيراً منا ، عندما اقتلعتنا عيني غلوستر ،
 أن نتركه حياً . حيثما ذهب

حرك القلوب كلها علينا . أغلب الظن أن ادموند
قد ذهب رافة بشقائه ، لكيما ينهي
حياته المظلمة . وكذلك ، لكيما يتبين
قوة العدو .

ازوالد

عليّ اللحاق به ، يا سيدتي ، برسالي .
جنودنا ستبدأ الزحف غداً . امكث عندنا ،
إن الطرق ملاءى بالخطر .

ريغن

ازوالد

لا يجوز لي ذلك يا مولائي .
لقد ألحّت سيدتي عليّ بالعناية بهذا الأمر .
وما الذي يدعوها إلى الكتابة لادموند ؟ أما كان بإمكانك
أن تنقل اليه مشيتها شفهاً ؟ أعل

ريغن

شياً ما – لست أدري ما هو .. سأعضك جزيل الودّ
إن تدعني أفضل الرسالة .
مولائي ، لكنك أفضل –

ازوالد

أنا أعلم أن سيدتك لا تحب زوجها ،
بل أنا واثقة من ذلك : ولما كانت هنا آخر مرة
أعطت ادموند النبيل غمزات غريبة
ونظرات ناطقة . وأنا أعلم أنك تجي أسرارها .
أنا ، يا مولائي ؟

ازوالد

إني أتكلم عن فهم . أنت نجيتها ، أنا أعلم .
ولذا فلاني أنصحك ، وعليك بما أقول :
لقد مات سيدي ، وقد تحدثنا أنا وادموند ،
وهو ليدي أنسب منه
ليد سيدتك . ولك أن تستنج المزيد .

ريغن

فإذا وجدته ، أرجوك أن تعطيه هذا (٦٥)
وعندما تسمع سيدتك هذا كله منك ،
أرجوك أن تطلب إليها أن تعود إلى رشتها .
فاذهب مع السلامة .
وإذا اتفق لك أن ترى ذلك الخائن الأعمى
فإن الترقية من نصيب كل من يقاتله .
ليتي ألقاه يا مولائي ، فأبرهن
أي فريق أتبع !
مع السلامة .

ازوالد
ريغن

(يخرجان)

منطقة ريفية قرب دوفر . يدخل غلوستر وادغار
مرتديا زي قروي

المشهد السادس

غلوستر متى أبلغ قمة ذلك التل ؟
ادغار إنك تتسلقه الآن . ألا ترى جهدنا ؟
غلوستر ولكن يخيّل لي أن الأرض مستوية .
ادغار بل صاعدة جداً :
اصغ ! أسمع البحر ؟
غلوستر لا ، وأيم الحق .
ادغار إذن أخذ النقص يتطرق إلى حواسك الأخرى
بسبب آلام عينيك .
غلوستر قد تكون على حق .
يخيّل لي أن صوتك قد تغير ، وجعلت تنطق
بعبارة أفضل ومادة أرجح من ذي قبل .

(٦٥) قد تسلمه كتاباً ، أو شيئاً يرمز إلى ما بينها وبين ادموند من علاقة .

ادغار
 إنك جدّ مخدوع ، فأنا لم أتغير في شيء
 سوى ملابسي .
 غلوستر
 يخيل إليّ إنك أحسن نطقاً .
 ادغار
 هلمّ يا سيدي ، هذا هو المكان . لا تتحرك !
 رهيبٌ مدوّخٌ لإرسالُ البصر إلى ذاك القرار السحيق !
 والغربان والزيفان التي تطير في منتصف العلوّ منه
 تكاد لا تبدو بحجم الخنافس . في أواسط المنحدر
 تشبث رجل يجمع الشّمرة - عمل مخيف !
 لا أحسبه يبدو أكبر من رأسه .
 أما الصيادون السائرون على الساحل
 فيظهرون كالفئران ، وتلك السفينة الفارعةُ الراسية
 قد تقلّصت إلى حجم زوارقها ، وتقلص زورقها إلى عوامة
 تكاد لا تُرى لضآلتها . والموج المغمغم
 وهو يضرب حائقاً جرّدة ملايين الحصى
 لا يُسمع من هذا الارتفاع . لن أنظر بعد ،
 لئلا يدور دماغي ، ويهوي بي
 نظري الحسير إلى الأعماق .
 غلوستر
 ضعني حيث أنت واقف .
 ادغار
 أعطني يدك ، إنك الآن على بعد قدم
 من أقصى الشفير : لو أعطيتُ كل ما تحت القمر
 لما قفزت إلى الأعلى .
 غلوستر
 أطلق يدي .
 هاك يا صاح كيساً آخر ، فيه جوهرة
 يحسن بالفقير أخذها . أفلح بها
 بعون الجن والآلهة ! إبتعد عني بعد ،

ودّعني ، واجعلني أسمعك تنصرف .

مع السلامة ، سيدي الكريم !

من صميم قلبي !

(جانياً) لماذا أعبت هكذا بياسه ؟

لكي أشفيه منه .

(راكمًا) أيتها الآلهة القادرة !

إني أرفض هذه الدنيا ، وعلى مشهد منكم

ألقي بكربي وبليتي عني .

لو كان بوسعي المزيد من التحمل

دون مناقشة لإرادتكم القاهرة ،

لاحترقت في ذبالي والجزء المقيت

من طبعتي . إن كان ادغار حياً ، باركبه !

والآن ، يا غلام ، وداعاً !

أنا رائح ، يا سيدي . الوداع !

ادغار

غلوستر

ادغار

غلوستر

ادغار

(غلوستر يقذف بنفسه إلى الأمام ويسقط على الأرض) .

ومع ذلك فلإني لا أعرف كيف يسلب الوهم

خزينة الحياة إذا ما الحياة نفسها أذعنت

للسلب . لو كان حقاً حيث ظن ،

لكان ظنه الآن أمراً مضى . أحي أم ميت ؟

ها ، أنت يا سيد ! يا صاح ! إسمع ، انطق !

لعله قد مات حقاً . ولكنه يستفيق .

من أنت يا سيد ؟

إليك عني ، دعني أموت .

لو كنت إلا هباء ، أو ريشاً ، أو هواء

غلوستر

ادغار

وأنت تتهاوى قامةً بعد قامة ،
لانفلقت كالبيضة ا غير انك تتنفس ،
صَلَبَ الجوهر ، سالماً ، غير دام ، وتنطق ا
إن عشر ساريات متراكبة لتفصر عن العلو الذي
سقطت منه عمودياً ا
حياتك معجزة . تكلم مرة أخرى .
ولكن هل سقطت أم لا ؟

غلوستر

من الذروة الرهيبية لجدار البحر الكلسي هذا .
ارفع بصرك إلى الأعلى . حتى القبرة الحادة الحنجرة
لا تُرى عن هذا البعد ولا تُسمع . أرجوك ارفع بصرك .

ادغار

ويحي ! ليس لي عينان .
هل حُرِّمَ الشقاءُ الحقُّ
في أن يُنهي نفسه بالموت ؟ كان ثمة بعض العزاء
يوم كان البؤس بمقدوره أن يخادع غضب الطاغية
ويشيط إرادته المتعجرفة .

غلوستر

أعطني ذراعك :
إنهض ، هكذا . كيف أنت ؟ أتحسّ ساقيك ؟ إنك واقف .
أحسن مما ينبغي .

ادغار

في قمة التلعة ، ماذا كان ذلك الشيء الذي
افترق عنك ؟

غلوستر

شحاذاً شقياً مسكيناً .
فيما كنت واقفاً هنا في الأسفل ، خُيِّلَ لي أن عينيه
قمران بدران ، وأن له ألف منخر
وقروناً ملتوية متماوجة كالبحر المرقم .
لقد كان شيطاناً ما . ولذا ، أيها الأب السعيد ،

غلوستر

ادغار

قل إن الآلهة النقية التي تصنع أمجادها
من مستحيلات البشر ، هي التي حفظتك .
إني لأذكر الآن . من هذه الساعة فصاعداً سأحمل

غلوستر

البلية حتى تصيح بي
« كفى ، كفى ! » وتقضي . ذاك المخلوق الذي تتحدث عنه
حسبته إنساناً ، وقد كان يكرر :

« الشيطان ، الشيطان » : وهو الذي اقتادني إلى هناك .
كن حراً الخواطر صبوراً . ولكن من القادم هنا ؟

ادغار

يدخل لير مكتسباً ، على نحو غريب ، بزهور برية

ما كان العقل السليم قط ليسربل
سيده هكذا .

كلآ ، لن يضاهوني في السكّ والصلكّ . أنا الملك بعينه .
يا لمشهد يخرق الجنب !

لير

ادغار

الطبيعة فوق الفن بهذا الصدد . خذ مثلاً أجور الجنود . ذاك الفتى يحمل
القوس كالقزاعة : اسحبها بطول ذراع البزّاز يا هذا ! أنظر ، أنظر ! فأرا
كفى ، كفى ! هذه القطعة من الجبن المشوي تفي بالغرض . اليك قفازي
الحديدي ، إني أتحدى العمالقة . عليّ بأصحاب المطارد السمرء .
آ ، ما أجمل طيرائك ! على الهدف ، على الهدف . فيو ! قل كلمة السرّ .

لير

عِثْرَةٌ عَطِيرَةٌ . (٦٦)

ادغار

ذاك الصوت أعرفه .

غلوستر

ها ! غونريل ، بلحية بيضاء ! تملقوني كالكلاب ، وزعموا أن في
لحيتي شعرات بيضاء قبل أن تنمو السوداء فيها (٦٧) . ومهما قلت ،

لير

(٦٦) نبات عطري ، كانوا يمتقنون ان فيه شفاء لأمراض العقل .

(٦٧) أي : كان لي حكمة الشيوخ قبل أن تنبت لحيتي .

قالوا « نعم » و « لا » ! ولم تكن « نعم » و « لا » لهم تمسكاً بأهداب الدين .
وعندما جاء المطر يبلّني ، وعندما رفض الرعد أن يكفّ طوعاً لأمرى ،
هناك اكتشفتهم ، هناك عرفتهم من رائحتهم . هياً ، ما هم بأصحاب
ذمة : قالوا لي إنني كل شيء . أكلوبة فاضحة ، فأنا لست محصناً
ضد القشعريرة .

غلوستر نبرة ذلك الصوت أذكرها حسناً .

اليس هو الملك ؟

أجل ، كل أنملة فيّ ملك : فإذا حملتُ ، رأيت كيف ترتعد الرعيّة .
إني أعفو عن حياة ذلك الرجل . ماذا كان ذنبك ؟ الزنى ؟ لن تموت !
أتموت بسبب الزنى ! كلا : حتى البعّاثُ يفعلها ، والذبابة المذهّبة
الصغيرة تفسّسُ أمام عينيّ . فليتنعش الجحّام ! لقد كان ابن غلوستر
النخل أرفأب أبيه من بناتي اللواتي وُلدن بين الشراشف المشروعة . عليك
بها أيها الشبق ، يميناً وشمالاً ! لأنني يعوزني الجنود . أنظر إلى تلك الفتاة
الباسمة ، ووجهها بين دبابيس الشعر ينمى بالثلج ، تتصنع الحياء ،
وتهمز الرأس إذا سمعت من اللذة اسمها . لا ابنُ عيرس يُقبل عليها ولا
الحصان البَطير ، بشهيةٍ أضحّ من شهيتها . إنهنّ حصنٌ (٦٨) من
الحصر فما دونه ، وإن يكنّ من فوق الحصر نساء . ولكن الآلهة
لا تملك منهنّ إلا ما يعلو الزنار ، وكل ما دونه إن هو إلا ملك
الشیطان (٦٩) : هناك الجحيم ، هناك الظلام ، هناك حفرة الكبريت - نار
وسقّم ، ونتنّ وسقّم . أف ، أف ! ألا تبأ لها أيها الصيبدلي الكريم ،

(٦٨) في الأصل Centaurs أي « قناطر » ومفردهما « قنطور » ، وهو مخلوق أسطوري نصفه الأهل إنسان
ونصفه الأسفل حصان . فهو يصلح رمزاً للجمع بين العقل وبين الشهوة اللا عقلانية .

(٦٩) كانت إحدى الفئات المرطقية المسيحية القديمة تعتقد أن الجزء الأهل من الإنسان من خلق الله ، والجزء
الأسفل ، من الزنار فما دونه ، من خلق الشيطان . وكان الكهان يحاولون طرد الشياطين من
الأجزاء السفلى من الجسد .

- أعطني درهماً من عطر الزَّبادِ أطيبَّ به خيالي . هذه النقود لك .
 آه دعني أقبل تلك اليد .
 غلوستر لير
- فلأمسحها أولاً ، إن فيها رائحة الموت .
 غلوستر لير
- يا قطعةً من الطبيعة تهدمت ! هذا الكون الكبير
 ليهراً حتى العدم ! أتعرفني ؟
 أذكر عينك جيداً . أتغامزني ؟ لا ،
 لير
- إفعل ما بدا لك يا كيوييدُ الضرير (٧٠) لن أحب .
 إقرأ هذا التحدي . تأمل في خطته .
 غلوستر ادغار
- لو كانت حروفك شمساً كلها ، لما أبصرتها .
 (جانباً) لو حدثوني بهذا لما صدقتهم
 قلبي يتفطر .
 لير
- إقرأ
 غلوستر لير
- أبالمحجر من العين ؟
 آه ، ها ! أهذا ما تعنيه ؟ لا عينين في رأسك ، ولا نقود في كيسك ؟
 عينك شجيتان ، وكيسك خليبي ! ولكنك ترى كيف تسير الدنيا .
 غلوستر لير
- أراها بمشاعري .
 ماذا ، أمجنون أنت ؟ للمرء أن يرى كيف تسير هذه الدنيا من غير عينين .
 أنظر بأذنك : أنظر إلى هذا القاضي وهو يعنف ذلك اللص التافه .
 أصغر إليّ بأذنك : ليتبادلا المكان ، واحزر يا شاطر ، أيهما القاضي
 وأيهما اللص ؟ رأيت كلبَ فلاحٍ ينبع على شحاذ ؟
 نعم ، سيدي .
 غلوستر لير
- والمخلوق يركض هرباً من الكلب ؟ لك في ذلك أن ترى مثل السلطة العظيم :
 الكلب في الوظيفة مُطاع .

(٧٠) كانت صورة • كيوييد الضرير • تجعل لافتة للمبني .

أياها الشرطي النذل ، لرفع يدك الدموية !
لم تجلد تلك البغي ؟ عرّ ظهرك أنت ،
فأنت ملتهب الشيق لتفعل معها
ما أنت تجلدها من أجله . المرابي يشق الغشاش !
أصغر الرذائل من خلال الثياب المهلهلة يتبدى ،
أما أُرْدِيَّةُ الحكّام وعباءاتُ الفِراء فتُخفي كل شيء .
صفح الخطيئة بالذهب
تتكسّر عليها رمحُ العدالة الصلبة ، فلا تؤذي ،
ولكن سلّح الخطيئة بالحرق ، تَحْرِقُهَا قَشَّةُ القَرَم .
ما ثمة من مذنب أبدأ ، أقول ، أبدأ . ولأشهدنّ على ذلك .
خذها مني ، يا صاح ، أنا الذي أتمتع بالسلطة
لسدّ الشفتين ممن يتهم . لإجعل لك عينين من زجاج ،
فتدعي ، كالسياسي الحقير ،
انك ترى ما لا تراه . آه ، آه ، آه ،
اسحب حدائي . بقوة ، بقوة . هكذا !
(جانبياً) يا للتمزيج من الشطحات ،
يا له عقلا في جنون !
إن أردت أن تبكي حظي ، خذ عيني .
أنا أعرفك تمام المعرفة . إسمك غلوستر .
تجملّ بالصبر . لقد جئناها باكين :
فأنت تعلم أننا ، حاملما ننشق الهواء أول مرة ،
نبكي ونعيط . سأعظ فيك : انتبه .
والهف قلبي !
عندما نولد نبكي لمجيئنا
إلى مسرح البلهاء الكبير هذا . هذا جذع طيب !

ادغار

لير

غلوستر

لير

لكانت مكيدةً بارعة لو حذفنا
ثُلَّةً من الخيل باللبَّاد . سأضعها قيد التجربة ،
وإذا ما جثت اصهاري هؤلاء خلصةً ،
عندها ، اقتل ، اقتل ، اقتل !

يدخل مرافق مع جنود

آ ، هذا هو ! أمسكوه . سيدي ،

مرافق

إن ابنتك العزيزة -

أما من نجدة ؟ ماذا ، أسير أنا ؟

لير

إن أنا إلا أضحوكة الدهر . احسنوا معاملتي .

ستُدفع لكم الفدية . جيئوني بجراحين ،

لني مجرَّح حتى الدماغ .

سيكون لكم كل ما تريدون .

مرافق

أما من شهود ؟ أجمفدي ؟

لير

إن ذا ليجعلُ من الإنسان إنساناً من دمع

حين تُستخدم عيناه كأصيصين في جنينة ،

ولتجميع أتربة الحريف . سأموت شجاعاً ، بهياً ،

كعريس أنيق . اي ، وربك ! سأكون مرحاً .

هيا ، هيا . إني ملك ، أيها السادة ، أنعلمون ؟

إن كنتا طوع أمركم ، فإنكم ذوو جلالة .

مرافق

إذن ، فيها الحياة ! تعالوا خذوها ،

لير

تأخذونها إن ركضتم . دي ، دي ، دي ...

(يخرج راكفاً ، والجنود يتبعونه)

مشهد يرثى له في أحط التعساء ،

مرافق

أما في ملك جليل فاللسان يعجز عنه ! لك ابنة واحدة

تفدي الطبيعة من اللعنة الشاملة التي

أنزلتها بها اثنتان أخريان .	
سلام عليك ، أيها السيد النبيل !	ادغار
بوركت يا سيدي . ماذا تريد ؟	مرافق
هل سمعت شيئاً عن معركة وشيكة ؟	ادغار
أمر أكيد ، وعلى السنة الجميع . كل من يميز الأصوات يسمعه .	مرافق
ولكن ، إن تفضلت ، قل لي	ادغار
أقرب هو الجيش الآخر ؟	
قريب ، وحيث السير ، وأول ثلاثه	مرافق
رهن الفكر في أية ساعة .	
شكراً ، سيدي . هذا كل ما هناك .	ادغار
ولئن تكن الملكة هنا لسبب خاص ،	مرافق
فإن جيشها قد تقدم .	
شكراً ، سيدي .	ادغار

(يخرج المرافق)

أيتها الآلهة الوديمة أبدأ ، لتكن روحي ملك أيديك !	هلوستر
ولا تجعلني ملاك الشر في يغربني	
بالموت قبل أن تشائي !	
حسناً تصلي ، يا أبي .	ادغار
والآن ، أيها الكريم ، من أنت ؟	هلوستر
رجل جد مسكين ، ذلّه الدهر بضرباته ،	ادغار
وما عرفت وأحسست من أحزان وشجي	
ينزع بي الى الشفقة . أعطني يدك ،	
سأفودك إلى مكان تقيم فيه .	
لك مني جزيل الشكر ،	هلوستر
وبركة سماء وعطاؤها	

جزاء لك .

يدخل ازوالد

ازوالد
الجاترة الملعنة ! ما أسعدني !
رأسك ذاك البلا عينين ما أطّر لحما اولا
إلاّ لإثرائي . أيها الخائن الشقي العجوز ،
أذكر خطاياك بايجاز : فقد جرّد السيف الذي
بجدّه هلاكك !
فلتُعْطِه يدك الصديقة
غلوستر
قوة كافية .

يتدخل ادغار بينهما

ازوالد
أيها القروي الوقح ،
أتجرأ على إعانة رجل أعلنت خيانتَهُ ؟ إبتعد !
لكلا تصيبك عدوى نصيبه
بما أصيب هو به . أترك ذراعه .
ادغار
لن أتركها ، يا سيد ، دون مبرر آخر .
ازوالد
أتركها يا عبد ، وإلاّ متّ !
ادغار
إذهب في سبيلك يا محترم ، واترك للمساكين سبيلهم . لو كان لأحد أن
يأخذ حياتي بخترة ، لقصرت عن عمري هذا بأسبوعين . إياك أن تقرب من
هذا الشيخ . أحذرك أن انصرف ، وإلاّ جرّبتُ لأرى أيهما أقوى :
بطيختك^(٧١) هذه أم هراوتي . إني صريح معك .
ازوالد
إليك عني يا ريب المزيّلة !
ادغار
سأخلع أسنانك ، يا سيد . هلمّ ، مهما تكن طعناتك .
يتقاتلان ويصرعه ادغار

(٧١) في الأصل « تفاحتك » ويقصد بها رأسه استهزاء . عبارة ادغار في النص الأصلي يضمها شكسبير
بالعامية التي يتكلمها الفلاحون في منطقة سومرست ، ليبقى ازوالد حلّ ظنه بأنه قروي .

ازوالد

يا عبد ، قتلتي ! خذ كيبي ، يا قنّ ،
وادفن جسدي ، إن أردت أن تفلح يوماً .
واعطِ الرسائل التي تجدها معي
لادموند إيرل اوف غلوستر . أطلبه
بين جماعة الانكليز . آه يا موتاً قبل أوانه !
آه يا موت !

(يموت)

ادغار

أعرفك تمام المعرفة ، أيها الوغد الخسوم ،
مخلصاً لموبيقات سيدتك
بقدر ما تتمنى الرذيلة من إخلاص .
ماذا ! أمات ؟

غلوستر

ادغار

إجلس يا أبي ، واسترح .
ولترّ هذه الجيوب . قد تكون الرسائل التي ذكرها
أصدقاء لي . لقد مات . ليس يوسفني
إلا أنه لم يكن له جلاّد سواي . لِنَرَ :
عن إذنك أيها الشمع اللطيف . لا تلومينا يا آداب :
إننا ، لكي نعرف ما في أذهان أعدائنا ، نشقّ قلوبهم .
فأوراقهم أحقّ بذلك .

(يقراً)

أذكر ما تبادلناه من عهود . لديك العديد من الفرص للقضاء عليه ،
فإذا لم تنقصك الإرادة ، سيتهياً الزمان والمكان بوفرة . إن هو عاد
مظفراً لم نصنع شيئاً : فأكون عندئذ أنا السجينة ، وفراشه زرناتي .
من دفنها المقيت انقلدني ، واملأ مكانه جزاء أتعابك .
زوجتك ، كما أتمنى القول -

خليلتك المحبة

غونريل

يا لبعده المدى في إرادة المرأة !
مؤامرة على حياة زوجها الفاضل ،
والبديل أخي ! هنا ، في الرمال ،
سأطمرك ، وهو المكان اللامقدس
للفاسقين القتلة . وعندما نحين الساعة
سأبهر بهذه الوريقة الشريرة
بصر الدوق الذي تمّ التآمر على قتله . وسوف يسرّه
أن أخبره بموتك ، وهذه المكيدة .
لقد جنّ الملك . ما أعند عقلي اللعين
في أنني ما زلت واقفاً ، أحسنّ وأعي
أحزاني الجسام ! ليتني فقدت رشادي ،
فتنفصل أفكاري عن همومي ،
وتفقد الآلامُ بأوهامها
معرفة نفسها .

غلوستر

(طبل يقرع من بعيد)

أعطني يدك .
أظن أنني أسمع طبلًا يقرع من بعيد .
تعال ، أبي ، لأنزلك عند بعض الأصدقاء .

ادغار

(يخرجان)

غيبية في المسكر الفرنسي . تدخل كورديليا ،
ومعها كنت ، وطبيب ، ومرافق

المشهد السابع

كورديليا يا لطية قلبك يا كنت . أنتي لي أن أحيا وأعمل
لأكافيء طبيبتك ؟ ستقصر حياتي عن ذلك

ولن يفني بجاجتي أي كيل .
كنت سيدتي ، أن يُذكر للمرء جميله ، جزاءً وأكثر .
تقاريري كلها تنوخي الحقيقة المتواضعة ،
لا مسهبة ولا مبتسرة ، بل هي كما هي .

كورديليا

أحسن لباسك .
فهذه المهلهلات تذكّرنا بساعات الشقاء تلك .
أرجوك ، إخلعها .

كنت

عفوك ، سيدتي العزيزة .
إن كشفي عن نفسي يفسد عليّ قصدي مبكراً .
فليكن جزائي إنك لا تعرفيني
إلى أن يحين الوقت ، واستنسب أنا ذلك .

كورديليا

لك ما تشاء ، يا سيدي . (الطبيب) كيف حال الملك ؟
ما زال نائماً ، يا مولائي .

الطبيب

كورديليا

أيتها الآلهة الكريمة ،
هلاً رتقت بالغ الصدع هذا في كيانه المعنى !
والحواس الرخوة الناشئة هلاً شدتها
في أب أحيل طفلاً كأبي !

الطبيب

أتأذن لي جلالتك
بإيقاظ الملك ؟ لقد نام طويلاً .

كورديليا

استرشد بعلمك ، وسر
بحكم ارادتك . هل أحستم لباسه ؟

يدخل لير حل كرسي بحمله الخدم

مرافق ، أجل ، مولائي . فإذا كان في نومه العميق

ألبسناه ثياباً قشبية .

الطبيب

رجائي يا سيدي أن تكوني معنا عندما نوقظه .

إني لا أشك في اتزانه .

كورديليا حسناً .

(موسيقى)

الطبيب تفضلي ، واقتربي . (الموسيقين في الداخل) إرفعوا صوت موسيقاكم !

كورديليا

أبتاه العزيز ! فليجعل الشفاءُ

دواءك على شفتيّ ، ولتُصلحْ هذه القبلة

ما أنزلته أختاي بكرامتك

من عنيف الضرّ والأذى !

كنت ما أرقك من أميرة عزيزة !

كورديليا لو لم تكن أباً لهما ، لكان في هذا الثلج الأبيض (٧٢)

ما ينتزع الرحمة منهما . أهذا وجه

تقاوم به الرياح المتصارعات ؟

أو يجابه الرعد برهيب صواعقه ؟

وإذا ما هوى البرق حثيثاً راعباً

ذات اليمين وذات الشمال ، أكان عليك أيها الضائع

أن ترصدّه بهذه الخوذة الرقيقة ؟ حتى كلبُ عدوي

ولو عضني ، لآويته تلك الليلة

قرب ناري . أبني المسكين ، وهل راق لك

أن تتكوّخ مع الخنازير وشذّاذ المشردين

في التبن العنّين ؟ يا ويلتاه !

تدهشني أن حياتك لم تدرك ختامها

على القور ، ولا عقلك . أخذ يُفَيّق . تكلم إليه .

الطبيب مولائي ، تكلمي أنت إليه . ذلك أنسب .

(٧٢) تقصد شعره الأثيب .

كورديليا كيف حال أبي المليك ؟
 لير تظلموني إذ نخرجوني من القبر .
 أنت روح من الجنة . أما أنا فموتوق
 على عجلة نار ، (٧٣) حتى دموعي
 لتسقطني كرصاصٍ مصهور .
 كورديليا أتعرفني يا أبي ؟
 لير نعم ، إنك طيف . أين كان موتك ؟
 كورديليا ما زال سارحاً ، بعيداً .
 الطبيب لم يكذبني بعد . أتركه قليلاً .
 لير أين كنتُ ؟ أين أنا ؟ أنهاراً جميل ؟
 لقد شططتُ في الوهم . لكنك مت راقفةٌ
 لو رأيت انساناً آخر على حال كهذه . لا أدري ما أقول .
 لن أقسم ان هاتين يداي : لِنترَ -
 لاني أحسّ وخز الدبوس هذا . يا ليتني أطمئن
 إلى حالتي .
 كورديليا آه ، أبي ، أنظر إليّ ،
 وارفع يدك وباركني .
 لا ، يا سيدي ، لا ينبغي أن ترقع .
 أرجوكم ألاّ تسخروا مني .
 إن أنا إلاّ شيخٌ مأفونٌ خرف ،
 في الثمانين وأكثر ، لا ساعة أكثر أو أقل .

(٧٣) يتصور لير أنه في الجحيم ، إذ ان « حجلة النار » ترد في أساطير القرون الوسطى عن المظهر والجميم .

ولأقلها بدون التواء ،
أخشى أنني لست بمالك تمام عقلي .
ولكنني من أمري في شك : فأنا أجهل مطلقاً
ما هذا المكان ، ولستُ بجدقي كَلِّهِ
أتذكر هذه الثياب ، ولا أعلم
أين أقمت البارحة . لا نضحكوا مني :
لأنني وأيم الحق أظن أن هذه السيدة
هي طفلي كورديليا .

كورديليا

نعم ، نعم ، نعم .
أبليلةٌ دموعك ؟ أجل . أرجوك ألا تبكي .
إن يكن لديك سُمّ لي ، شربته .
أنا أعلم أنك لا تحبيني . لأن أختيك ،
فيما أذكر ، قد أساءتا إليّ .
أما أنت فلك بعض العذر ، أما هما ، فلا .

لير

لا عذر ، لا عذر .

كورديليا

هل أنا في فرنسا ؟

لير

في مملكتك يا مولاي .

كنت

لا تخدعني .

لير

تعزّي ، سيدتي الكريمة . فكما ترين ،
لقد انقضى فيه هَوَجُهُ . ولكن من الخطر
أن تجعله يملأ ثغرة الزمن الذي ضيَّعه .
ناشديه بأن يدخل . ولا تزعجه بعد
إلى أن يزيد هدوؤه .

الطبيب

أيسر جلالتك أن تسحب ؟

كورديليا

عليكم بتحلمي .

لير

ورجائي اليكم الآن ، أن تنسوا وتغفروا . إنني هَرِمَ خرف .

(يخرج لير ، وكورديليا ، والطبيب ، والخدم)

هل تأكد يا سيدي أن دوق كورنويل قد صرَّع كما قيل ؟
نعم ، ولا ريب فيه .

مرافق

كنت

ومن قائد قومه ؟

مرافق

يقال انه ابن غلوستر النغل .

كنت

يقولون إن ابنه المنفي ادغار ، هو الآن

مرافق

مع اللورد كنت في المانيا .

الأخبار قَلَبَ . لقد آن لنا أن نتلفت حولنا .

كنت

فجيوش المملكة في اقتراب سريع .

وستكون المعركة الحاسمة ، على الأغلب طاحنة .

مرافق

وداعاً ، يا سيدي .

(يخرج)

وما تُسفر عنه هذه المعركة سيُنهي

كنت

إلى الخير أو الضير ما صنعه مُارباً لي وغاية .

(يخرج)

الفصل الخامس

المسكر البريطاني قرب دوفر . يدخل ، مع الطبل
والبيارق ، ادموند ، وريغن ، وشباط ،
وجنود ، وآخرون

المشهد الاول

- ادموند (لاحد الضباط) تبين من اللوق إن كان مقيماً على عزمه
أو أن امرأ قد دعاه
إلى تغيير نهجه . إنه كثير التقلب
وتقريع الذات . عد الينا بما استقر عليه .
- (يخرج الضابط)
- ريغن لا ريب أن رسول أخي قد أصيب بأذى .
ادموند ذلك ما أخشاه ، يا سيدتي .
ريغن والآن ، يا سيدي الحبيب ،
أنت تعلم بما نويته لك من خير ،
قل لي إذن ، ولكن أصدقني ، أصدقني القول :
ألا تحب أخي ؟
- ادموند جأ شريفاً .
ريغن ولكن ، ألم تنهج طريق زوجها
إلى المكان المصون ؟
- ادموند هذه فكرة تخادعك .
ريغن إني لأخشى انك قد احتضنتها

صدراً لصدر ، بكل ما عندها .

لا يا سيدتي ، قسماً بشرفي .

لن أدعها أبداً ! سيدي الغالي ،

لا تكن إلفاً لها .

إطمئني .

أهي ، والدوق زوجها !

ادموند

ريغن

ادموند

يدخل مع الطبل والبيارق ، ألبي ، وغونريل ،
وجنود

(جانياً) لكنك أوتر أن أخسر المعركة

على أن تباعد أختي بينه وبينني .

مرحباً بأختنا الحبيبة !

سيدي ، هذا ما سمعت : لقد انضم الملك إلى ابنته ،

وآخرين غيرها ممن دفعت بهم قسوة حكمتنا

إلى الشكوى . ما كنت يوماً جريئاً

في قضية افتقدت فيها الشرف . أما في أمرنا هذا ،

فإنه يعنينا ، لأن ملك فرنسا يغزو أرضنا ،

لا لأنه يشجع الملك وآخرين غيره ، ممن لديهم

أسباب للمقاومة مشروعةٌ ولها وزنها .

كلام نبيل ، يا سيدي .

ولم هذا التعليل ؟

كونوا يداً واحدة على العدو .

فالمنازعات العائلية الخاصة هذه

ليست هي المسألة هنا .

فلنخطط نهجنا إذن

مع قدامى المحاربين .

غونريل

ألبي

ادموند

ريغن

غونريل

ألبي

	ادموند	سأنضم اليكم حالا في خيمتكم .
	ريغن	أختاه ، أتأتين معنا ؟
	غونريل	كلآ .
	ريغن	هذا ما يحمل بك . أرجوك ، تعالي معنا .
	غونريل	(جانبا) ها ، إني أعرف الأحجية ! سآتي معكم .
يدخل ادغار	ادغار	إن كنت سموك يوماً قد تحدثت إلى فقير مثلي ، فاسمع كلمة أقولها . سألحق بكم .
	ألبني	(يخرج الكل سوى ألبني وادغار)
	ادغار	قبل أن تخوض المعركة ، إفتح هذه الرسالة . إن أنت انتصرت ، فليصدق النفير في طلب من جاء بها : فرغماً عما أبدو عليه من بؤس ، بوسعي أن أبرز بطلا يبرهن على ما تقوله الرسالة . وإن أنت خسرت ، إنتهى همك من الدنيا وانقضت كل مكيدة . كان اليُمنُ حليفك ! إنتظر ريشما أقرأ الرسالة . لقد حُطِرَ عليّ ذلك . فإذا حانت القرصة ، ما على المنادي إلا أن ينادي فأظهر من جديد . مع السلامة إذن . سأقرأ ورتك .
	ألبني	
(يخرج ادغار) يدخل ادموند ثانية	ادموند	العدو في مدى البصر . جمع عساكرك .

وهذا تقدير لقوته الحقيقية وجنوده
اعتماداً على استكشافنا المجدد . ولكنني الآن
أهيب بك أن تسرع .
سقبال طارئة الزمن .

ألبي

(يخرج)

لقد أقسمتُ لكلتا الأختين على حيي .
وكلتاها تتوجس من الأخرى توجسَ الملدوغ
من الأفعى . من منهما آخذ ؟
كلتيهما ؟ واحدة ؟ لا هذه ولا تلك ؟ لن أستمع بأية منهما
إن بقيتُ كلتاها حيّة . فإذا أخذتُ الأرملة
حَنَقْتُ أختها غونريل وجُنُتُ .
ولن أكادَ ألعبُ دوري كما أريد
ما دام حياً زوجها . إذن سأستغل الآن
سلطته من أجل المعركة . وإذا ما انتهت ،
فعلى التي تريد التخلص منه أن تدبّر
اغتياله على عجل . أما بشأن الرأفة التي
عزم عليها تجاه لير وكورديليا ،
فإنهما حالما تنتهي المعركة ، ويقعان في قبضتنا ،
لن يريا عفوهُ . لأن وضعي
يقتضي مني الدفاع عنه ، لا المناقشة فيه (٧٤) .

ادموند

(٧٤) ما يأمل فيه ادموند هو أن تقتل غونريل زوجها ألبي ، وبعدها إما أن تقتل أختها ريشن ، أو تقتل
هي على يدها ، فيبقى عندهد حراً لكيما يتزوج تلك التي تبقى على قيد الحياة . وهو يريد موت لير
وكورديليا لأن حياتهما ستفسد عليه الفرصة في تسلم عرش المملكة وقد توحدت .

المشهد الثاني

ميدان بين المسكرين . فقير من الداخل . يدخل مع
الطبل والبيارق ، لير وكورديليا ، وجنودهما ،
ثم يخرجون (٧٥) ، يدخل ادغار وغلوستر

ادغار	هنا ، يا أبي ، لاجعل من ظل هذه الشجرة مضيفك الكريم . وابتهل أن يتتصر الحق . إن عدت اليك ثانية أنتيك يبشرى .
غلوستر	راققتك النعمة ، ياسيدي !
(يخرج ادغار) فقير يليه تقهقر . يدخل ادغار ثانية	
ادغار	يا شيخ اهرب ! أعطني يدك ، ولنهرب ! لقد هُزم الملك لير ، وأسر هو وابنته . أعطني يدك . هيا .
غلوستر	ولا خطوة ! للانسان أن يبئلي حتى هنا .
ادغار	ماذا ! أعدت إلى أفكارك السوداء ؟ على الناس أن يتحملوا رحيلهم عن هذه الدار كما تحملوا المجيء اليها : الأهبة هي الكل (٧٦) . هيا .
غلوستر	وهذا أيضاً صحيح .
(يخرجان)	

(٧٥) بهذا المشهد يرمز شكبير إلى سير المعركة ، بايجاز شديد . وهو يعتبر المعركة أمراً ثانوياً بالنسبة
إلى قصة أبطاله . وإلا لكان اولاً ما مجالا أكبر ، كما يفعل في « مكبث » مثلاً .
(٧٦) المهم للانسان ، من حيث الموت ، هو أن يكون على أهبة له .

المسكر البريطاني قرب دوفر . يدخل ادموند
منتصراً ، مع العليل والبيارق ومعه لير وكورديليا
اسيرين ، وضباط ، وجنود ، وغيرهم .

ادموند إليّ ببعض الضباط ليأخذوهما : شددوا الحراسة ،
إلى أن تُعلم أولاً إرادة الكُبراء
الذين سيحاكمونهم .

كورديليا لسنا نحن بأول من
جرّ على نفسه ، بأنبل القصد ، أوخم العواقب .
ما يأسى إلا من أجلك أيها الملك المذبذبة .
أما لنفسي ، فلن ألقى عبوس الدهر الخوون إلا بعبوس أشدّ .
أولن نرى هاتين الابنتين ، هاتين الشقيقتين ؟
لا ، لا ، لا ، لا ! تعالي ، نذهب إلى السجن .

لير سنغني كلانا وحدنا كمصفورين في قفص :
فإذا طلبتِ البركة مني ، ركعتُ
وناشدتك الغفران : هكذا سنحيا ،
ونصلي ، ونغني ، ونروي حكايات قديمة ، ونضحك
على الفرائشات المُعسجة ، ونصني إلى أهل الشقاء
يتحدثون بأنباء البلاط . وسوف نتحدث اليهم أيضاً ،
عمن يجسر ومن يربح ، من الداخل ومن الخارج ،
وندعي فهم غوامض الدنيا
كأننا أرسادُ الآلهة . وسأني
في السجن المسور على الفئات والأحزاب من وجوه القوم
وهي في مداها وجزرها مع القمر .

ادموند
لير
خلوهما !
تفصيات كهذه ، يا ابني كورديليا ،
تنثر الآلهة عليها البخور بنفسها . هل أمسكتك ؟
من يرمّ الصريق بيننا فإن عليه إحضار جمرة من السماء
ليباعد بيننا بالنار ، كالثعالب (٧٧) . جفني عينيك .
ستأكلهم الغيلان لحمًا وعظمًا
قبل أن يدفعونا إلى البكاء . وسوف نراهم عجافاً من جوع أولاً !
تعالني .

(يخرج لير وكورديليا تحت الحرامه)

ادموند
الضابط
ادموند
تعال هنا ، يا رائد . إسمع .
خذ هذا الكتاب ، (يطيه ورقة)
واتبعهما إلى السجن .
لقد رقيتك رتبة واحدة . وإذا صدعت
بما يأمرك به هذا ، شققت طريقك
إلى اليسار والنبيل . إعلم
أن الناس على هوى زمانهم . فصاحب السيف
لا تليق به رقة القلب . ومهمتك الكبرى
لا تتحمل التسأل : فإمّا أن تعدّ تنفيذها
أو أن تسمى إلى النجاح عن طريق أخرى .
سأنفذها يا مولاي .
هلمّ إذن . واعتبر نفسك سعيداً حال تنفيذها .
وانتبه - قلت : حالا ، ونفذها

(٧٧) كانت الثعالب ترغم على الخروج من حجورها بالنار والدخان .

كما دونتها . (٧٨)

الضابط لا أقدر أن أجرّ عجلة ، أو أكل خبز الشعير . (٧٩)
إن تكن هذه مما يفعله الرجال ، فإني لفاعلها .

(يخرج)

فقير . يدخل النبي ، وغونريل ، وريغن ،
وضباط ، وجنود .

النبي سيدي ، لقد أبديت اليوم شيمة الشجاعة فيك ،
وأحسنَ الحظُّ اقتيادك . لديك الأسيران
اللذان كانا خصمينا في صراع اليوم .
إني أطلبهما منك ، لكي أعاملهما
وفق ما يقرره استحقاقهما وسلامتنا على السواء .

ادموند

لقد امتحنتُ يا سيدي
أن أرسل الملك الشقي الهرم
إلى الحبس مع حراس معينين .
ففي شيخوخته ، ناهيك عن لقيه ، من السحر
ما يتترع قلوب العوام إلى جانبه
ويحوّل رماح جنودنا إلى أعيننا
نحن الذين نسوقهم . وقد أرسلتُ الملكة معه ،
للسبب نفسه . وهما مستعدان
للمثول غداً ، أو بعد ذلك ،
حيثما تعقد اجتماعك . أما في هذه الساعة ،
فإننا نغرق وندمى ، وقد فقد الصديق صديقه ،
وأفضل الخصام ، إبان حرارته ، يلعنه
كل من يشعر بجدته .

(٧٨) بحيث تهبو كأن كورديليا ماتت انتحاراً .

(٧٩) في الأصل : « الشوفان المجفف » ، أي طعام فقراء الفلاحين .

إن قضية كورديليا وأبيها
لنستوجب مكاناً أليق .

أبني
عن إذْ نك ، سيدي ،
فلإني أعتبرك تابعاً في هذه الحرب ،
لا أخأ لي .

ريغن
هذا ما يسرنا أن نُنعم به عليه .
أخالُ أن رأينا كان بإمكانك أن تستوضحه
قبل أن تبلغ هذا الحد في القول . لقد قاد جيوشنا ،
وتحمّل مسؤولية مركزي وشخصي ،
وهذه النيابة عني لما أن توّهله
فتسميه أخاك .

غونريل
فيم الحرارة هذه ؟
فهو يُعلي من قدره بكرامة شخصه
أكثرَ منه بما أضيفت أنت عليه .
ريغن
إنه بما خولتهُ من حقوقي
ليعادل أشرف القوم .

أبني
لم يبق إلا أن يجعل نفسه زوجك .
رب نكتة كانت نبوءة .

غونريل
ويحك ، ويحك !
ما أنباتك عين بذلك إلاّ وهي حواء .
ريغن
غونريل ، إني الآن متوعدة ، وإلا لأجبتك
بسيل عارم من الغضب . أيها القائد ،
خذ جنودي ، وأسراي ، وأملاكي ،
وافعل بها ، وبني ، ما شئت . أسواري رهن يديك .
وليشهدنّ العالم أنني بهذا أعيتك

سيدي ووليّ أمرّي .
 أنقصدين التمتع به ؟
 (لغوزيل) ليس الإعتراض من شأنك .
 ولا من شأنك ، أيها الأمير .
 بل هو من شأني ، يا ابن السّفاح .
 (لادموند) ليقرع الطبل ، ولتعلن أنت أن لقيي لقبك .
 مهلا ، أصغروا إلى العقل . إدموند ، إني ألقى القبض عليك
 بتهمة الخيانة العظمى . ومعك ، بالتهمة نفسها ،
 هذه الأنفى المذهبة . (مشيراً إلى زوجته غونريل)
 (لرين) أما هبتك ، يا أختي الحسنة ،
 فإني أحجبها حفاظاً لزوجتي .
 لأنها هي المتعاقدة مع هذا السيد ،
 وأنا زوجها ، أناقض إعلانك الزواج منه .
 فإن شئت الزواج ، غازليني أنا ،
 لأن سيدتي هذه مخطوبة لغيري .
 يا للتمثيلية !
 إنك مسلّح يا غلوستر . ليصدق النفير :
 فإذا لم يبرز أحد يثبت بمنازلتك
 سوافل خياناتك البيّنة الكثيرة ،
 هاك مني التحدي . (يقذف بقفازه أرضاً)
 ولسوف أدلّل على قلبك ،
 قبل أن أذوق الخبز ، أنك في كل شيء
 لا تقل عما أعلنته هنا على رؤوس الأشهاد .
 إني أتوجع ، أتوجع !
 (جانياً) وإلا لما وثقت يوماً بسمّ .

غونريل

ألبي

ادموند

ألبي

رينغ

ألبي

غونريل

ألبي

رينغ

غونريل

ادموند

وهذا جوابي . (يقذف بقفازه)
من يقل إنني خائن ، كالتذل يكذب !
نادوا بالبوق : من يمحرو ، فليقدم !
ولسوف أذاع عن صدقي وشرني أقوى دفاع
لإزاه ، لإزاعك ، لإزاء أي إنسان !
يا منادي !

ألبي

توكل على شجاعتك وحدها . لأن جنودي ،
حشدوا جميعاً باسمي ، ولا يأتمرون
إلا باسمي .

ريغن

مرضي في اشتداد عليّ .

ألبي

إنها متوعدة . خذوها إلى خيمتي .

(يخرجون برينغ)
يدخل . ناه

تعال هنا ، يا منادي ، - انفخوا في الأبواق -
واقرا هذا جهورياً .
صوتي ، يا أبواق !

ضابط

صوت أبواق

(يقرأ)

المنادي

إن كان ثمة رجل ذو مكانة أو منزلة في عداد الجيش يتحدّى ادموند ،
المدعى بأنه إيرل اوف غلوستر ، فيجابهه على أنه عديد الخيانات ، فليبرز
عندما تصدح الأبواق ثلاثاً . إن ادموند جريء بالدفاع عن نفسه .

صوتي ! (بوق أول)

ثانية ! (بوق ثاني)

ثالثة ! (بوق ثالث)

بوق آخر يجيب من الداخل .

يدخل ادغار مسلماً ، يتقدمه حامل بوق

أبني
سله عن أغراضه ، وفيم ظهوره
عند صوت النغير هذا .

المنادي
من أنت ؟

ما اسمك ؟ ما مكانتك ؟ وفيم جوابك
على هذا الاستدعاء ؟

ادغار
إعلم أن اسمي قد ضاع ،
عضه الدود ، وعرقه ناب الحياة .
غير أنني نبيل نُبيلَ الخصم الذي
جئت أجابه .

أبني
ومن هو ذلك الخصم ؟

ادغار
من هو ذلك الذي يدعو نفسه ادموند ايرل اوف غلوستر ؟
أنا هو . وماذا تقول له ؟

ادغار
جرّد السيف ،

فإن يُسئء كلامي إلى قلب نبيل
انصف نفسك بذراعتك . هذا سيفي :

أنظر ، إنه ميمزة شرفي

وقسمي ، وفروسيتي : وإني لأعلنها ،

رغمًا عن قوتك ، ومترلتك ، وشبابك ، وعلوّ قدرك ،

رغمًا عن سيفك المظفر وتوفيقك العتيد ،

رغمًا عن جرأتك وبسالتك ، بأنك خائن ،

غدرت بألمتك ، وأخيك وأبيك ،

وتأمرت على هذا الأمير الرفيع الشهير ،

وانك من اقصى قمة رأسك

حتى التراب الذي تحت أحمص قدمك -

خائن ملوث بعارك . وإن قلتَ لا ،
فإن في سيفي ، وذراعي ، وبأسي ، لعزماً
على البرهان عن طريق قلبك ، الذي تراني الآن أخاطبه ،
بأنك تكذب .

ادموند

تقتضي الحكمة أن أسأل ما اسمك .
ولكن في مظهرك بهاءً وجرأةً عسكرية
وفي لسانك نَفَساً من كرامة الأصيل ،
ولذا فإن ما يحقّ لي وفق شرعة الفروسية ،
أن أوجله دقةً وحيلةً ، احتقره وازدرجه .
هذه الخيانات أردّها قذفاً على رأسك ،
وبالأكذوبة المقيّنة أغرق قلبك .
ولأنها تزلق وتكاد لا تخدش خدشاً
فإن سيفي هذا سيشق لها على الفور طريقاً
إلى حيث تستقر إلى الأبد ! يا أبواق انطقي !

أبواق . يتبارزان . يقع ادموند

لا تجهز عليه !
إنها مكيدة ، يا غلوستر ،
فشريعة الحرب ما كانت تلزمك بالرد على
خصم غير معروف . إنك لم تُقهر ،
بل خدعت وغُدرت .
سدّي فمك يا امرأة ،
وإلاّ سدّدته بهذه الوزقة ! لحظةً يا سيد .
يا أخطّ من كل شتيمة ، إقرأ أيّ أمك .

ألبي
غونريل

ألبي

(يناولها الرسالة)

لا تمزقها ! أرى أنك تعرفينها .

غونريل
أبني
غونريل
هب انني أعرفها . فالشرائع شرايعي ، لا شرائعك .
من يقدر على اتهامي بها ؟
يا للمتوحشة !
أعرفين هذه الورقة ؟
لا تسلمي عما أعرف .

(تخرج)

أبني
إذهب وراءها . إنها يائسة . تدبر أمرها .

(يخرج ضابط)

ادموند
ادغار
كل ما أهتمّني به فعلته ،
وأكثر ، أكثر بكثير . والزمن سيكشف عنه .
لقد انقضى ، كما انقضيت . ولكن من أنت الذي
جئتني بهذا العثار ؟ إن كنت نبيلاً
فلني أغفر لك .
لتبادل الحسنى .

إني لا أقل عنك محتدأ ، يا ادموند .
وإن زدت عليك ، زادت إليّ إساءتك .
إسمي ادغار ، أنا ابن أبيك .
عادلة هي الآلهة ، وهي من لذيد معاصينا
تصنع أدوات لعذابنا .
فالفعلة الظلماء الخبيثة التي أنظفك بها
كلّفته عينيه .

ادموند
أبني
لقد دار الدولاب دورة تامة . وها أنا هنا .
خيل ليّ أن مشيتك نفسها تنبئ
عن نبل ملكي . يجب أن أعانقك :

وليشطر الحزنُ قلبي إن أنا يوماً
أبغضتك أو أباك .

أعرف ذلك أيها الأمير الكريم .

أين أخفيت نفسك ؟

كيف علمت بالأم أبيك ؟

بمواساتها يا سيدي . إسمع هذه الحكاية الموجزة ،

وحين أفرغ منها ، ليت قلبي ينفطر !

تلك الصيحة الدموية بي أن « انجُ بنفسك »

لصقت بي (يا حللوة حياتنا ،

نوثر ألم الموت في كل ساعة

على الموت مرة واحدة !) - وعلمتني أن أتزيا

بجحرق المجانين ، واتخذت شكلا

تزدريه حتى الكلاب . وفيما أنا في هذا اللباس

التفتت أبي بحلقته الداميتين

وقد فقدتا للتو حجرهما الكريمين . فصرت دليله ،

واقنته ، وتسوّلت له ، وأنقذته من اليأس .

يا لغلطي ! لم أكشف له عن نفسي قط

إلا منذ حوالي نصف ساعة ، عندما تقلدت السلاح

وإذ لم أكن واثقاً من توفيقِي هذا ، على أمني فيه ،

طلبت إليه أن يباركني ، وقصصت عليه

محجتي من أولها حتى النهاية : بيد أن قلبه المصدوع ،

والهفتاه ! كان أوهن من أن يحتمل الصراع

بين الأقصيين من العاطفة ، الفرح والحزن ،

فتحطم وهو يتسم .

لقد هزني كلامك

ادغار

ألبي

ادغار

ادموند

وعسى أن يوّتي خيراً . أكمل حديثك :

فإنك تبدو وكأنّ لديك المزيد من القول .

إن كان لديك مزيد أشدّ ويلا ، فلا تقله .

إني أكاد أذوب دمعاً

بعد الذي سمعت .

لكان هذا حدّاً

للحب لا للحزن . ولكن حزناً آخر

لو أسهبت فيه لتضاعف

وتجاوز كل حد .

ففيما أنا أضحجّ بالصباح ، جاءنا رجل

رآني على أبأس حالي

فتنكّب عن عشرتي البغيضة . ولكنه عندما تبيّن

من هو الذي قد قاسى كل ذلك

لفّ ذراعيه القويين حول عنقي ، وصرخ صرخة

كأنما يريد شقّ عنان السماء ، وألقى بنفسه على أبي ،

وروى عن لير وعن نفسه أفجع قصة

تلقتها أذن إنسان . وإذ راح يرويها

اشتدت عليه حرّته ، وجعلت أوتار الحياة فيه

تتقطع : وعندها صدحت الأبواق مرتين ،

وتركته هناك في بحرانه .

ولكن من كان هذا الرجل ؟

كنت ، ياسيدي ، كنت المنفيّ ، وهو الذي تنكّر

وراح يتبع مليكه الذي عاداه ، ويخلمه خدمة

يستنكف عنها العبيد .

أبني

ادغار

أبني

ادغار

يدخل مرافق ، يحمل سكيناً دائمة

مرافق النجدة ، النجدة ، النجدة !
ادغار أي نوع من النجدة ؟
أبني انطق يا رجل !
ادغار ما معنى هذه السكين الدائمة ؟
مرافق إنها حارة ، تدخن ،
جاءت من قلب - آه ، لقد ماتت .
أبني من هي التي ماتت ؟ تكلم يا رجل .
مرافق زوجتك يا مولاي ، زوجتك .
ادمونند وقد دست السم لأختها . واعترفت بذلك .
لقد خطبتُ كلتيهما . وها ثلاثنا
نتزوج في لحظة واحدة .
ادغار هذا كنت قادم .

يدخل كنت

أبني أحضر الجسدين ، حين أو ميتين .

(يخرج المرافق)

حكيم السماء هذا يُتزل بنا رعدة الخوف
ولكن لا يثير فينا الشفقة . (كنت) آ ، أهذا هو ؟
لا يسمح الوقت لنا بالمجاملات التي
يقتضيها الأدب .

كنت لقد جئت

لأسلم على مليكي ومولاي .

أليس هو هنا ؟

يا للأمر الفادح الذي نسيناه !

قل يا ادمونند ، أين الملك ؟ وأين كورديليا ؟

أترى هذا المشهد ، يا كنت ؟

(يؤتى بحسبي غونريل وريغن)

كنت

وارحمته ! وما السبب ؟

ادموند

إذن كان ادموند محبوباً :

من أجلي سمّت الواحدة الأخرى

وبعد ذلك قتلت نفسها !

ألبي

بالضبط . غطّوا وجهيهما .

ادموند

إني أهت لأحيا . أريد أن أفعل خيراً

رغم أنف طبعتي . أرسلوا إلى القلعة بسرعة ،

واختصروا الوقت . لأنني أمرت

بالقضاء على حياة لير وكورديليا .

هيا ، أرسلوا على عجل .

ألبي

اركض ، اركض ! هياً اركض !

ادغار

من ، يا مولاي ؟ من له الأمر ؟

أرسل معه شارة العفو .

ادموند

حسنٌ ما تذكرت ! خذ سيفي

وأعطه أمر القلعة .

ادغار

أسرع ما استطعت .

(يخرج الضابط ومعه سيف ادموند)

ادموند

إن لديه أمراً من زوجتك ومني

بأن يشق كورديليا في السجن

ثم بأن يضع اللوم على ياسها

زاعماً أنها انتحرت .

ألبي

حمتها الآلهة !

احملوه من هنا لفترة

(يحملون ادموند ويخرجون به)

يدخل لير حاملا كورديليا ميتة بين ذراعيه ، وضابط

ليـر
اصرخوا وانحبوا ! آه ، يا لكم رجلا من حجارة !
لو كانت لي ألسنتكم وعيونكم ، لأعملتها
أو تصدع قبة السماء . لقد راحت ، إلى الأبد .
أنا أعلم متى يكون المرء ميتاً ، ومتى حياً .
ميتة هي كالتراب . أعيروني مرآة .
فلإذا ضيَّبَ نَفْسُهَا الحجرَ أو لوثه ،
كانت حية ترزق .

كنت أهذه هي النهاية الموعودة ؟ (٨٠)

ادغار أو صورة ذلك الرعب الأخير ؟

ألبني (غاطباً الساء) اسقطي وانتهي !

ليـر هذه الريشة تتحرك . إنها حية ! إن تكن حية

فلإنها لفرصة تفدي كل ما مرَّ بي

من أشجان وأسى .

كنت (راكمًا) آه يا سيدي الكريم !

ليـر أرجوك ، إبتعد .

ادغار إنه كنت النبيل ، صديقك .

ليـر ألا خستتم كلكم من قتلة وخونة !

كنت ربما أنقذتها . أما الآن ، فقد رحلت إلى الأبد !

كورديليا ، كورديليا ، تريبي قليلا . ها !

ما الذي تقولين ؟ كان صوتها دوماً ناعماً ،

لطيفاً ، منخفضاً ، وما أجمل ذلك في المرأة !

لقد قتلتُ العبد الذي راح يشنقك .

(٨٠) أي يوم الدينونة الأخيرة .

هذا صحيح أيها السادة . لقد فعل ذلك .	الضابط
لم أقتله ، يا غلام ؟	لير
كنت فيما مضى أجعلهم ينظنون	
بسيفي القاطع الأمين . أما الآن فقد شخت ،	
وهذه الهموم نفسها تجرحني . من أنت ؟	
ليست عيناى على ما يرام ، أقولها بصراحة .	
إن تباهت ربة الدهر باثنين أحبتهما وأبغضتهما ،	كنت
فلإننا نرى واحداً منهما .	
هذا مشهد كئيب . أأنت كنت ؟	لير
هو بعينه .	كنت
خادمك كنت . أين خادمك كايوس ؟	
رجل طيب ، ثق فيما أقول .	لير
ولسوف يضرب ، وبسرعة . لقد مات وبلي .	
لا يا مولاي . أنا ذلك الرجل الذي -	كنت
سأعنتي بذلك حالا .	لير
إقتضى أثر خطواتك الحزينة ،	كنت
منذ أن تبدلت بك الأمور وتردّت -	
أهلا ومرحباً بك .	لير
أنا دون غيري . كل شيء جهم ، مظلم ، فانتك :	كنت
كلتا ابنتيك الكبيرتين دمّرت نفسها	
وكلتاها ماتت من بأسها .	
أجل ، هذا ما أظن .	لير
إنه لا يدري ما الذي يقوله ، من العبث	ألبي
أن تقدم له أنفسنا .	
لا جدوى ، مطلقاً .	ادغار

مات ادموند ، يا مولاي .
 ذاك أمر تافه هنا .
 أيها السادة والصحب الكرام ، إعلموا قصدنا :
 عظيمُ الخطام هذا سنُجري له
 ما بالوسع من سلوى . أما نحن ،
 ما دام صاحب الجلالة الشيخ هذا على قيد الحياة ،
 فإننا نتنازل له عن سلطاننا المطلق .
 (لادغار ركت) ولكما نهب حقوقكما
 بما يضاف إليها من امتيازات وألقاب يوهلكما لها
 حُسْنُ ما صنعتما . وليدوقن كل صديق
 جزاءَ فضيلته ، وكلّ عدو
 كأس استحقاقه . آه ، انظروا ، انظروا !
 وبهلولتي المسكينة شتقوها ! لا ، لا حياة !
 أينعم الكلب ، الحصان ، الجرّذ بالحياة ،
 ولا يكون لك نَفَسٌ واحد تننفسينه ؟ لن تجيئي ثانية ،
 أبداً ، أبداً ، أبداً ، أبداً !
 أرجوك ، فكّ هذا الزر . شكراً ، سيدي .
 أترى هذه ؟ أنظر إليها ، إلى شفتيها ،
 أنظر هناك ، هناك !

لير

(يموت)

ادغار أغمي عليه ! مولاي ، مولاي !
 كنت تحطم أيها القلب تحطم !
 ادغار إرفع عينيك ، يا مولاي .
 كنت لا ترعج روجه . دعها تنطلق . فهو يُبغض كل من

يحاول أن يزيد المطّ من أوصاله
 على مِخْلَعَة (٨١) الدنيا القاسية هذه .
 لقد رآح ، حقاً .
 تحملُهُ هذه المدة كلّها هو العجب .
 لقد اغتصب حياته اغتصاباً .
 احملوهما من هنا . شأننا اليوم
 كَرَبٌ عميم . (لكنت وادغار) يا رفيقَيّ روحي ،
 احكما كلاكما في هذه الدولة ، وادعما المملكة الجريحة
 لي رحلة يا مولاي ، قريباً عليّ القيامُ بها :
 سيدي يدعوني ، ولن أرفض دعوته .
 علينا أن نخضع لوقر زماننا المحزون هذا ،
 وأن نقول ما نشعر به ، لا ما ينبغي لنا أن نقوله .
 أكبرُّنا قد فاقنا بما عانى : نحن الشباب
 لن نرى كل ما رآه ، لا ولن نُعمّرَ بقدر ما عمّر .

ادغار

كنت

ألبي

كنت

ادغار

(٨١) أداة تمذيب كان يحط عليها جسم الضحية في اتجاهين متضادين .

حاشية تاريخية

اعتمد شكسبير في كتابته « الملك لير » على مسرحية أخرى بعنوان « الوقائع الصحيحة لتاريخ الملك لير » ، لا يعرف مؤلفها على وجه التأكيد ، ويرجح أنها كتبت في اواخر القرن السادس عشر ، ولكنها نشرت عام ١٦٠٥ . أما مسرحية شكسبير فقد نشرت لأول مرة عام ١٦٠٨ ، وأغلب الظن انه كتبها في شتاء ١٦٠٦/١٦٠٥ ، بعد ظهور المسرحية الاخرى بقليل .

وقد حورها ناحوم تيت عام ١٦٨١ ، بحيث جعل نهايتها مفرحة ، وحذف منها دور البهلول نهائياً . وبقيت هذه النسخة المحورة تحتل المسرح طيلة قرن ونصف قرن من الزمان ، إلى ان هاجمها تشارلز لام في اوائل القرن التاسع عشر بمقال مشهور وطالب بالعودة إلى النص الاصيل . وتلاه مشاهير الرومانسيين بدراساتها او الاشارة اليها في نصها الاصيل ، امثال هازلت وكولردج وكيتس وشلي . وبذا أعيدت في تمثيلها إلى شكلها الشكسبيري من جديد ، ابتداء من عام ١٨٣٨ . ومنذ دراسة شليفل لها ، عام ١٨٠٨ ، ظهرت لها عشرات الدراسات والتأويلات في انكلترا والمانيا وروسيا وأمريكا . ومن اهم دارسيها المحدثين الناقد الانكليزي ولسون نايت في كتابه « عجلة النار » (١٩٣٠) ، والناقد البولوني يان كوت في كتابه « شكسبير معاصرنا » (١٩٦٥) .

مَأْسَاة

عُطَيْل

مقدمة

(١)

ترددت كثيراً في تبديل إسم «أوثلو»، كما هو في الأصل الانكليزي إلى «عطيل»، كما هو في ترجمة الشاعر خليل مطران، التي نشرت لأول مرة في القاهرة منذ ستين عاماً ونيف.

لقد اجتهد مطران في نحت هذا الاسم، عطيل، لكي يبدو عربياً، وكان اجتهاده مشكوراً. غير أنه ابتناه على تعليل خاطيء. فهو لم يخطر له، فيما يبدو، أن الاسم «أوثلو» موجود أصلاً في اللغات الإسبانية والبرتغالية والايطالية، وأن معناه في الأصل -: «الحذر» حسبما يقول الكاتب الانكليزي رسكين، ولو افترضنا جداً أنه دخل إلى هذه اللغات عن طريق العربية، فإنه لم يدخلها قطعاً باعتباره اسم تحبب لزنجي مملوك، كما يوحي في تعليقه، لأن أسماء الزنوج المؤلفوة عند العرب، والتي يورد مطران أمثلة عليها، لا نعرف لها تحويراً لاتينياً أدخلها في لغات إيبيريا وإيطاليا. ولو شئنا الاغراق في التخمين، دوغما اعتماد تخميننا على شواهد لغوية قائمة، لقلنا - مع مطران - أن أوثلو ربما كانت تحويراً لـ «عطا الله». ولكننا معه أيضاً في استبعاد ذلك، لأن عطا الله اسم نادر في العربية، وأغلب الظن أنه من الأسماء العربية المتأخرة جداً - حتى عن زمان شكسبير.

والذي يتوهمه خليل مطران من أن اسم «عطيل» محتمل كاسم تحبب لزنجي مملوك، «عاطل عن الحلية»، يناقض منطقته نص المسرحية مناقضة صريحة. فبطل المسرحية، كما يصوره شكسبير، لم يكن عبداً مملوكاً لأحد فيكتسب اسماً من هذا القبيل. إنه، بالعكس، رجل ثري، كريم المحتد ومن سلالة ملكية، وقد وقع أسيراً مرة بنتيجة إحدى المعارك وباعه عدوه عبداً، ولكن هالك من افتداه في الحال. فشكسبير لم يخطر بباله قط، كما لم يخطر ببال الكاتب الايطالي الذي كتب حكاية «المغربي» قبله بأربعين سنة، أن يصور هذا البطل المحارب، المغامر، الذي يعجب نبلاء البندقية وجيلائها بشخصيته، إلا من أصل حر كريم، ونشأة نبيلة. وبهذا تسقط الحجة بأن لاسمه علاقة بأصله الاجتماعي المزعوم.

وسواء أكان عطيل في غميلة مبدعه زنجياً أسود أم مغربياً شديداً السمرة (وبرادلي له رأي في الجدل الممتع حول هذا الموضوع)، فإن الذي لا ريب فيه هو أن شكسبير اختار له اسماً متميزاً عثر عليه إما في مطالعاته الايطالية، أو في لقاءاته مع الاسبان الوافدين إلى لندن دون أن يتقصد جعل الاسم عربياً أو ما حسب أنه من أصل عربي. وليس إلا من قبيل الصدف أن يوفق شاعر عربي القلب والأذن كمطران في استدراج صوت الاسم الأجنبي وتحريفه إلى ما يشبه العربية. وكان هذا بعض السبب في أنني رضيت أخيراً أن أجعل من «أوثلو»، «عطيل»، ولو أنني أعلم أننا لو راجعنا كتب العربية كلها منذ أن وجدت، لما عثرنا فيها على اسم كهذا. وبعض السبب الآخر هو أن كلمة «عطيل» بفضل ترجمة مطران، درجت على اللسان العربي لأكثر من نصف قرن بحيث يحق لنا أن نتبناها، عن خطأ أو صواب. وفي إقرارنا هذا الاسم اعتراف بجميل خليل مطران على نقله المسرحية إلى العربية وجعلها جزءاً هاماً من نشاط المسرح في أقطار العروبة كلها هذه الفترة الطويلة.

غير أنني لن أقره على تحريف اسم دزديمونة إلى ديدمونة .
 فمطران، بنقله عن الفرنسية، كان متأثراً باللفظ الفرنسي للأسماء،
 وهو الذي يجعل قراءة «الشاء» (بثلاث نقط) في اسم أوثلو كأنها «تاء»
 (بنقطتين)، مما أوحى لمطران بتحويلها إلى (ط) - على الطريقة العربية
 التقليدية في تحويل «الشاء» في الأسماء والكلمات اليونانية، والأجنبية
 عموماً، إلى «ط». غير أن حذف «السين» (المتحولة باللفظ الانكليزي
 إلى «زاي») في اسم Desdemona، لأن الفرنسية تسقطها عند لفظ
 الكلمة، أعطانا بذلك اللفظ الفرنسي للاسم، مما لا يمكن قبوله .
 ولذا أبقيت أنا الاسم على لفظه الأصلي - الانكليزي أو الايطالي .
 (كما فعلت، بالطبع، مع الأسماء الأخرى كلها). ومن الطريف أن
 كلمة دزديمونة تعود إلى أصل يوناني يعني «الحظ الشقي» .

- ٢ -

نشرت «عطيل» لأول مرة في طبعة تعرف بالـ «كوارتو الأول» عام
 ١٦٢٢ . ثم نشرت في مجموعة أعمال شكسبير الكاملة، المعروفة
 بالـ «فوليو الأول» عام ١٦٢٣ . وكلتا هاتين الطبعتين مهمة ومعتمدة
 في استكمال النص المسرحي، إذ ان الكوارتو الأول يحذف مقاطع
 وعبارات يوردها الفوليو الأول، والعكس بالعكس .

وقد مثلت في بلاط الملك جيمز الأول في لندن في أول تشرين
 الثاني، ١٦٠٤، وهو أقدم ذكر مدون لتمثيلها، والأرجح أنها كتبت
 في ذلك العام نفسه أيضاً . فهي تهيء زمنياً بعد «هاملت» (١٦٠١)،
 وقبل «الملك لير» (١٦٠٥) و«مكبث» (١٦٠٥ - ١٦٠٦)،
 و«كريولانس» (١٦٠٧ - ١٦٠٩) ووضعها في مكانها الزمني الصحيح
 بالنسبة لمآسي شكسبير الكبيرة يوضح الكثير من تفاصيل تطور ذهنه،
 ويساعد في إقامة الدراسات المقارنة لأبطاله التراجيديين، وإلقاء
 الضوء على مواقفه من الحياة . وسوف يجد الدارس المتمعن عبارات

أو صوراً أو إشارات تسربت إلى «الملك لير» من «عطيل». وليس ذلك كله إلا خيطاً واحداً من شبكة معقدة حاكها ذهن فذ ليصور، في أقل من عشر سنين، نواحي وأعماقاً من النفس الإنسانية على غرار لم يتحقق له مثيل في تاريخ المسرح في أية لغة عرفت الحضارة الإنسانية.

وكعادة شكسبير في اعتماده مصادر موجودة سابقاً لمعظم ما كتب من مسرحيات، استقى الخطوط العريضة لحبكة «عطيل» من كتاب «هيكاتوميثي» (أي «مئة حكاية») للكاتب الايطالي جيرالدي تشينتيو، المنشور عام ١٥٦٥. وبقدر ما نعرف عن هذا الكتاب، فإنه لم تكن له ترجمة إنكليزية في عهد شكسبير، ومن المحتمل أنه قرأه في أصله الايطالي، أو في ترجمته الفرنسية.

في الحكاية الايطالية نجد كل الشخصيات الرئيسية التي وضعها شكسبير في مسرحيته، فيما عدا الدوق، وغراتيانو ونبلاء البندقية الآخرين، ومونتانو، وردريغو. ولكن الشخصية الوحيدة التي لها اسم معين في الحكاية هي دزديمونة (وقد حُرِّف شكسبير تهجئة اسمها قليلاً). أما عطيل، فيدعى «المغربي» (Moro)، وبأغويدعى «حامل العلم» وكاسيو يدعى «رئيس الفيلق». وإميليا تدعى «الحسنة الفاضلة زوجة حامل العلم»، وهكذا فالأسماء كلها إذن، باستثناء دزديمونة، من وضع شكسبير، بما في ذلك اسم البطل، وأحداث الفصل الأول من المسرحية بتمامها من خلق شكسبير.

تروى الحكاية، على الطريقة السردية القديمة التي نادراً ما تجعل من الحوار طريفاً إلى تصوير دواخل الشخصية، انه كان يعيش في البندقية يوماً مغربي يجله حكام البندقية ونبلاؤها إجلالاً كبيراً لشجاعته وعبقريته العسكرية. وقد أحبته سيده فاضلة رائعة الجمال، اسمها دزديمونة، لشجاعته تلك ومروءته، فبادلها الحب، وتزوجها.

وعاشا معاً زمنأ في غاية المحبة والسعادة في البندقية. ولا تروي الحكاية شيئاً عن مغامرات عطيل المدهشة، كما لا تذكر اعتراض أسرة السيدة على زواجها من عطيل بأكثر من أنها حاولت في البدء إقناعها بالزواج من رجال آخرين، ولكن عبثاً. أما حامل العلم فليس رجلاً أخفق في الحصول على وظيفة الملازم كاسيو (كما في المسرحية)، بل إنه وقع في غرام دزديمونة، وفسر الصد الذي لقيه منها بأن سببه هو حبها لرئيس الفيلق، وأخذ يتصور أن بينهما علاقة آثمة. فيتحول غرامه إلى حقد وكرهية. في هذه الأثناء يعين شيوخ البندقية «المغربي» قائداً لحملة يرسلونها إلى قبرص. وهناك يطرد القائد رئيس الفيلق من منصبه لسوء تصرفه وضربه أحد الجنود، فتحت دزديمونة زوجها على إعادته إلى منصبه. فيحاول حامل العلم إقناع المغربي بأن زوجته تحونه، ويزعم له أن رئيس الفيلق قد تباهى له بأنه حظي بها. ويأمر حامل العلم ابنه الصغير أن يختلس له منديل دزديمونة، ثم يضعه في مسكن رئيس الفيلق. فيتفق المغربي وحامل العلم عندئذ على أن دزديمونة وعشيقها المزعوم يجب أن يموتا. فيهاجم حامل العلم رئيس الفيلق، ولكنه لا يفلح في قتله. ويستشير المغربي حامل العلم، سائلاً إياه: هل يقتل دزديمونة بالسم أم بالسكين؟ ويحييه حامل العلم بأنه قد فكر في خطة أنجح، ويقول: «سقف غرفتكما مصدع جداً. فلنضربها حتى تموت بجورب مليء بالتراب بحيث لا يظهر عليها أي أثر للخدوش أو الكدمات. ثم نهبط السقف وندعي أن إحدى العوارض الخشبية سقطت على رأسها. فيظن الجميع أنها ماتت قضاء وقدرًا». وتنفذ المؤامرة وتنجح. غير أن المغربي الذي كان يجب دزديمونة «أكثر من عينيه»، يحزن حزناً عليها. ثم يعزل حامل العلم من وظيفته، وينشأ بينهما عداة مر. وعندما يتهم حامل العلم المغربي بقتل زوجته، تعقل سلطات البندقية الزوج المسكين وتعذبه، ولكنه لا يعترف بفعلة.

فتحكم السلطات بنفيه من البندقية مدى الحياة، وفي النهاية يغتاله أحد أقرباء دزيمونة. أما حامل العلم، فلا يشبه في أمره أحد. غير أنه يعتقل فيما بعد لصلته بقضية أخرى، ويموت تحت التعذيب، وبعد موته تكشف زوجته الحقيقة بكاملها.

كما يرى القارئ، ليس في الحكاية أية محاولة للنفاذ في خفايا الشخصية ودوافعها المعقدة. والجزء الأخير من الحكاية لا علاقة له البتة بالنهاية الرائعة التي أوجدها شكسبير.

ونحن بالطبع لا نتوقع من جيرالدي تشيتيو وأسلوبه في السرد الكثير من رهافة التركيب والتحليل. فالمغربي عنده مجرد رجل شجاع طيب، ولكنه ساذج لا يحتاج حامل العلم إلى دهاء كبير للتغريب به. ولا نرى فيه ذلك الشخص الذي يتمتع شكسبير في خلق التضاد الرمزي الرهيب فيه بين سواد الوجه وبياض القلب، كمقابل لذوي الوجوه البيضاء التي لا تخفي وراءها إلا القلوب السوداء. وحامل العلم في الحكاية ليس بأكثر من «نذل» ينتمي إلى المدرسة الإيطالية المعروفة بهذا الضرب من الشخصيات الشريرة. أما ياغو فهو كعطيل، من إبداع شكسبير كلياً.

لقد وجدت في دراسة آ. سي. برادلي لمأساة عطيل، وتحليلاته المسترسلة لشخصياتها الرئيسية، من الإحاطة والعمق ما جعلني أنقلها إلى العربية وأدرجها مع ترجمتي هذه، رغم أنها كتبت في أوائل هذا القرن. فالأستاذ برادلي يبقى المرجع الأول والأهم في كل محاولة للتصدي لمسرحية «عطيل»، ولنا أن نتفق معه أو نختلف، ولكننا لا نستطيع المضي في البحث بدونه. والدراسة تؤلف المحاضرتين الخامسة والسادسة من كتابه «المأساة الشكسبيرية: محاضرات في هاملت، عطيل، الملك لير، مكبث».

عطيل

دراسة نقدية

بقلم: آ. سي. برادلي

نكاد لا نشك في أن «عطيل» هي المساة التي كتبها شكسبير بعد أن فرغ من «هاملت» وما لدينا من دلائل ظاهرية يشير إلى هذا الاستنتاج. وهو يؤيده ما بين المسرحيتين من تشابه في الأسلوب، واللفظ، والنظم؛ كما يؤيده، أن في «عطيل» أصداء لأفكاء وعبارات وردت في «هاملت». أضف إلى ذلك (فضلاً عن نقطة معينة، غريبة، سننظر فيها عندما نبحث شخصية ياغو) أن بين الموضوعين شبهاً من نوع ما. لا ريب أن بطلي المسرحيتين يختلفان كلاهما عن الآخر أشد الاختلاف، بحيث أن كلاً منهما كان بوسعه بغير ما عسر أن يفض القضية التي أدت إلى مصرع الآخر، ولكن كلا منهما يعاني صدمة الخيبة الرهيبة. وهذا الموضوع يعالجه شكسبير لأول مرة في «هاملت»، وللمرة الثانية في «عطيل». ويتكرر بشيء من التعديل في «الملك لير»، ولعله هو الذي اجتذب شكسبير إلى إعادة تشكيل جزئي لمساة كتبها مؤلف آخر، هي «تيمون الأثيني». وهذه المسرحيات الأربع يمكن، إلى هنا، تصنيفها معاً لتفريقها عن المآسي المتبقية.

ولكن، من حيث المادة ومن بعض النواحي من حيث الأسلوب، نجد أن أوجه الاختلاف بين «عطيل» و«هاملت» أكبر من أوجه الشبه بينهما، وأن «عطيل» تنتمي مؤكداً إلى فئة المسرحيات

اللاحقة. فهي، مثلها، مأساة لوعة، وهذا وصف لا ينطبق على «يوليوس قيصر» أو «هاملت». وهذا التغيير يستتبع تغييراً آخر، هو تضخيم قامة البطل. ففي معظم الأبطال اللاحقين ثمة شيء عملاقي، شيء يذكرنا بشخص ميكيل آنجلو. فهم ليسوا مجرد رجال خارقين: انهم رجال ضخام، كأنهم بقايا عصر بطولي امتد بهم العمر ليعيشوا في عالم لاحق أصغر. وهذا انطباع لا يجئنا عن روميو أو بروتس أو هاملت. كم أنه لم يكن من خطة شكسبير أن يمنح يوليوس قيصر نفسه أكثر من لسات من هذه المزية. غير أنها مزية واضحة قوية في لير وكريولانس. وجلية تماماً في مكبث، بل حتى في أنطونيو. وعطيل أول هؤلاء الرجال. إنه كائن سمته الجوهري أنه كبير ضخم، شامخ العلو على أقرانه، بين جنبه قدر من القوة يضمن له، وهو هادئ، بروزاً على الآخرين دونما جهد، ويذكرنا، عندما يضطرب، بعنف عناصر الطبيعة أكثر مما يذكرنا بضوضاء اللوعات الإنسانية العادية.

- ١ -

ما الخصلة التي يمتاز بها «عطيل»؟ ما الانطباع المتميز الذي تخلفه فينا؟ جوابي هو أن «عطيل»، من دون مآسي شكسبير كلها بما فيها حتى «الملك لير»، أشدها إثارة للألم والرعب. فمنذ اللحظة التي تبدأ فيها تجربة (*) البطل يقع قلب القارئ وذهنه في ملزمة مشدودة، ليعانينا أقصى الشفقة والخوف، أقصى العنف والكرهية، مع الأمل الممض والتوقع الرهيب. فهو يرى الشر مكشوفاً أمامه، ربما ليس

(*) هذه الكلمة تقابل كلمة Temptation الانجليزية، وهي تعود إلى فكرة تجربة الشيطان للمسيح. وتمازج فيها معاني الحث والغواية والحض والإثارة لغرض خبيث في نفس المجرّب إزاء المجرّب.

- المترجم -

بالغزارة التي تجدها في «الملك لير»، ولكنه شر يشكل الروح بأكملها من شخصية واحدة، وقد رافقه نفاذ ذهني هائل، فيرقب القارئ تقدمه وهو مفتون ومرعب معاً. وهو يراه، إضافة إلى أنه يكاد لا يقاوم، تعينه عند كل خطوة المصادفات التي تخدمه والأخطاء البريئة التي يأتيها ضحاياها. فهو يشعر أنه يتنفس جواً ماحقاً كالذي في «الملك لير»، غير أنه هنا أشد انحصاراً وإرهاقاً. انه ليس ظلام الليل بل ظلمة غرفة محكمة السد قاتلة. وتستثار مخيلته وتتحرك بعنف، غير أنها حركة التركيز والضيق لا التوسع والإسهاب.

لن أتناول بالبحث هنا نواحي المسرحية التي تلتطف من هذا الانطباع، وأرجى الحديث مؤقتاً عن أحد مصادره الرئيسية، شخصية ياغو. غير أننا إذا ألقينا نظرة على بعض مصادره الأخرى، فإننا سنجد في الوقت نفسه بعض المميزات الفارقة لمسرحية «عطيل».

١ - ليست «عطيل» أكمل مآسي شكسبير تركيباً وحسب، بل ان أسلوب تركيبها غير عادي. وهذا الأسلوب الذي يجعل الصراع يشرع متأخراً، ثم يتقدم بدون وقفة تذكر وبتسارع صاعد نحو الكارثة، هو سبب رئيسي في التوتر الأليم الذي وصفناه. وبوسعنا أن نضيف إلى ذلك أن الصراع، بعد أن يبدأ، لن يجد أي ترويح عنه عن طريق ما هو مضحك. فمهما يكن من أمر، فإن فكاهة ياغو، منذ تلك اللحظة، لا تثير في أحد ابتسامة واحدة. المهرج هنا بائس، ونكاد لا ننتبه إليه، وسرعان ما ننساه. وأغلب الظن أنك لو سألت معظم قراء شكسبير هل ثمة مهرج في «عطيل» لكان جوابهم: كلا.

٢ - ليس هناك من موضع أشد إثارة للنفس من الغيرة الجنسية. وهي تتصاعد إلى ذروة من اللوعة والألم. ونكاد لا نعرف مشهداً يشير

فينا الاهتمام والأسى معاً كمشهد رجل عظيم يقاسي عذاب هذه اللوعة ويندفع بها إلى جريمة هي أيضاً غلطة نكراء. ان تحرقاً يملك على المرء نفسه، كالطموح مثلاً، مهما تكن عواقبه وخيمة، ليس ذمياً بحد ذاته. وإذا عزلناه ذهنياً عن الظروف التي تجعله مجرمًا، فإننا لن نجد حقيقياً. وهو ليس ضرباً من ضروب المعاناة، وطبيعته فاعلة وحركية. ولذا يمكننا أن نرقب سيره دون فزع. غير أن الغيرة، وبخاصة الغيرة الجنسية، تصطبغ معها حس العار والمهانة. وهذا هو السبب في أنها عادة تخفى، وإذا لحظناها فإننا نحن أيضاً نخجل ونغض أبصارنا عنها. وعندما لا تخفى، فإنها عادة تثير الاحتقار بالإضافة إلى الشفقة. وليس هذا كل ما هناك. ان غيرة كغيرة عطيل تحول الطبيعة الإنسانية إلى فوضى، وتطلق الوحش الكامن في المرء: وهي تفعل ذلك مرتبطة بعاطفة هي من أعمق العواطف البشرية وارفعها مثالية. فهل ثمة مشهد أشد إيلاماً من مرأى هذه العاطفة وهي تتحول إلى مزيج معذب من التوق والكراهية، هذه اللوعة بنقاوتها الذهبية وهي تتشظى بالسلم. وإذا الحيوان الذي في الإنسان يفرض نفسه على وعيه فظاً عاتياً، والإنسان يتلوى أمامه عاجزاً عن منعه عن نفسه، يشهق بكلام عبي مليء بصور اللوثة. ولا يجد راحة إلا في تعطش وحشي للدم؟ هذا ما علينا أن نشهده في رجل كان حقاً «صاحب قلب كبير». قلب نقي رقيق بقدر ما هو كبير. وهذا كله، بما يؤدي إليه - ضرب دزديمونة، والمشهد الذي تعامل فيه كأنها نزلة مبعي، وهو مشهد آلم بكثير من مشهد مصرعها - سبب آخر للأثر الخاص الذي تتركه هذه المأساة في أنفسنا(*) .

(*) لا يمكن استشعار قوة العبارات المشار إليها بكل أمدائها إلا إذا قرأ المرء المسرحية. عطيل مسرحياً لا يمكن مطلقاً أن يكون عطيل شكسبير، شأنه في ذلك شأن كليوباترا شكسبير.

٣ - مجرد ذكر هذه المشاهد يذكرنا مع الألم، بسبب ثالث. ولعله أقوى الأسباب جميعاً أعني مقاساة دزديمونة. إن لم أكن مخطئاً، فإن مقاساتها أوجع ما قدم شكسبير من مشاهد في مسرحياته كلها. فهي من ناحية مقاساة محض، وهي أمر أصعب على المشاهد من مقاساة تفضي إلى الفعل. دزديمونة مسلوقة لا عون لها. ولا تستطيع أن تفعل شيئاً مطلقاً. حتى الرد بالكلام هي عاجزة عنه، حتى الرد بالمشاعر الصامتة. والسبب الأكبر في عجزها يجعل مرأى عذابها أشد إيلاماً. وهي عاجزة لأن حلاوة طبعها لا حد لها، وحبها مطلق. أنا لن أناقش سوينبيرن في قوله أننا نشفق على عطيل أكثر مما نشفق حتى على دزديمونة، غير أننا نرهب دزديمونة بأسى محض يفوق أسانا على عطيل. فنحن لسنا بمنجى كلي من الشعور بأن عطيل رجل يصارع رجلاً آخر، أما عذاب دزديمونة فهو أشبه بمخلوق حنون محب صامت يعذب دونما سبب. الشخص الذي يعبه هذا المخلوق.

٤ - عندما ننصرف عن البطل والبطلة إلى الشخصية الرئيسية الثالثة، نلاحظ (وهو ما قيل من قبل كثيراً) إن الفعل والكارثة في «عطيل» يعتمدان في الأغلب على الدسيسة. ينبغي ألا نقول أكثر من ذلك. يجب ألا ندعو المسرحية بمأساة الدسيسة كشيء متميز عن مأساة الشخصية. فدسيسة ياغو هي شخصيته الفاعلة، وهي مبنية على معرفته بشخصية عطيل، وإلا لما نجحت. ولكن يبقى صحيحاً أن الدسيسة كان عليها أن تكون معقدة لكي تحقق الكارثة. لأن عطيل ليس ليونتيس(*)، وطبيعته لن تولد الغيرة من تلقاء نفسها. وهكذا فإن دسيسة ياغو تشغل مكاناً من

(*) بطل «حكاية شتاء»، وهو ملك يغار على زوجته ظلماً ويعاقبها على ذلك بسجن طويل. - المترجم.

الدرامة لا نجد له موازياً في المآسي الأخرى، اللهم إذا استثنينا الدسيسة المقاربة لها، ولكن على بعد، التي يقوم بها آدموند في الحكمة الثانوية لمسرحية «الملك لير». نحن نعلم إذا رأينا في أية رواية مسرحية أن ثمة أشخاصاً (مهتماً) يهتمنا بهم شيئاً ورغم يقيننا بأنهم لن يقعوا في خطر كبير) تحاك حولهم مكيدة بارعة، فإن ذلك يثير فينا شديد الانتباه والتشوق. فإذا أوحى إلينا الأشخاص، كما في «عطيل» بأعمق العطف أو النفور، واعتمدت الحياة والموت عندهم على المكيدة وعواقبها، فإنها تصبح مصدر توتر يكاد الألم فيه يغلب على اللذة. ولذا فإننا نمسك أنفاسنا قلقاً وتوجساً، ولمدة طويلة، في الفصول الأخيرة من «عطيل» أكثر مما نفعل في أية مسرحية أخرى لشكسبير.

٥ - من نتائج بروز عنصر الدسيسة أن «عطيل» أكثر شبهاً بقصة حياة خاصة من أية مأساة أخرى من المآسي العظيمة. وهذا الانطباع يقوى في أنفسنا بفعل أمور أخرى. ففي المآسي العظيمة الأخرى نجد أن الفعل ينتمي إلى فترة ما قصية، بحيث نرى المغزى العام من خلال نقاب رقيق يفصل الأشخاص عن أنفسنا وعالمنا. غير أن «عطيل» مسرحية للحياة الحديثة. وعندما ظهرت لأول مرة بدت وكأنها تكاد تتصل بالحياة المعاصرة، لأن تاريخ هجوم الأتراك على قبرص هو عام ١٥٧٠. فالأشخاص يقاربوننا، والدرامة تنطبق علينا (إذا جاز لنا هذا القول)، أكثر مما نجد في «هاملت» أو «لير». ثم ان مصائرهم باعتبارها مصائر أفراد خاصين، أشد أثراً فينا مما هو ممكن في أي من المآسي اللاحقة، باستثناء «تيمون». أنا ما نسيت مجلس الشيوخ، ولا مكانة عطيل، ولا خدماته للدولة، غير أن فعلته وموته لا أثر لهما في شؤون الأمة أو الحكم - ذلك الأثر الذي نجده في سيرة

هاملت أو مكبث، كريولانس أو أنطونيوس، والذي يستمثل هذه السير وينأى به عن محيطنا. بل اننا نرى أنه قد فقد منزلته لغيره عندما يدرك الأجل مصيره في قبرص، وإذ يغادره لا تترأى لنا رؤيا السلام وهو يهبط على ربوع مزقتها الاضطراب، كما في المآسي الأخرى.

٦ - هذه الميزات التي ذكرناه تتآلف مع ميزات أخرى فتخلق فينا أحاسيس الاضطهاد والقدرية المظلمة، والانحباس في عالم ضيق نسبياً، وهي أحاسيس تستولي علينا عند قراءة «عطيل». إن القدر الذي يحقق ذاته في «مكبث» في صراع البطل الخارجي وفي دخيلة نفسه معاً، قدر يعادي الشر عداوة ظاهرة - ويتسع خيال المرء بوعيه حضور هذا القدر مع قوى خارقة. وهذه توجد في «هاملت» أثراً مماثلاً، يتزايد برضا البطل بالأحداث المصادفة إذ يعتبرها تقريراً إلهياً لأجله. أما «الملك لير» فهي المأساة التي لا شك في أنها أقرب المسرحيات إلى «عطيل» في حس الظلام والقدر والمنية، وفي غياب الدليل فيها على أية قوة هادية (*). ولكن في «الملك لير» - فضلاً عن فروق أخرى - صراعاً يتخذ أبعاداً هائلة بحيث يبدو للخيال أنه، كما في «الفردوس المفقود»، يقطع شواصع أكبر من الأرض نفسها.

(*) ولكن ثمة فرقاً كبيراً حتى هنا. فلئن نجد أن «الملك لير» لا توحي بمثل هذه القوة كما توحي بها «هاملت» و«مكبث»، فإن الأشخاص في الدراما يكررون في التعبير عنها. إشارات كهذه نادرة جداً في «عطيل». فإذا استثنينا الإشارات العديدة إلى الجحيم والشيطان، نجد أن تفكير الأشخاص علماني بحت. وحلاوة دزديمونة وتسامحها لا يعتمدان الدين، وطريقتها الوحيدة في تفسير عذابها الظالم هي في أن تزوره إلى حظها: «إنه حظي البائس» (٤، ٢، ١٢٨) وهكذا لا يستطيع عطيل إلا الإشارة إلى القدر: «... ولكن، يا لبطال التبعج! من يستطيع التحكم بقدره؟»، (٥، ٢، ٢٦٥).

أما في قراءة «عطيل»، فإن الخيال لا يعرف اتساعاً كهذا وهو أشد ارتباطاً بمشهد مباشر لأناس كرام يقعون في أحابيل لا نجاة لهم منها، بينما يقلل بروز الدسيسة من الاحساس بأن الكارثة تعتمد على الشخصية، ويؤكد الدور الذي تلعبه الصدفة في هذه الكارثة على الاحساس بالقدر. أثر الصدفة هذا لا نحسه بقوة في «الملك لير» سوى مرة واحدة، وذلك في نهاية المسرحية. ولكنه في «عطيل» بعد شروع التجربة، دائم ورهيب. كان دهاء ياغو هائلاً، ولكن حظه كان هائلاً أيضاً. إننا نشعر مرة بعد مرة أن كلمة تقولها دزديمونة اتفاقاً، أو لقاء يتم عرضاً بين عطيل وكاسيو، أو سؤالاً يبدأ على شفاهنا قد يسأله أي إنسان فيما عدا عطيل، بوسعه أن يفسد مكيدة ياغو ويضع حداً لحياته. وعضواً عن ذلك كله، نجد أن دزديمونة تسقط منديلها في اللحظة المواتية له (*). ويأتي كاسيو لعطيل إنما ليراه وهو في إغمائه، ولا تظهر بيانكا إلا في اللحظة التي سيكمل حضورها انخداع عطيل ويلهب غضبه بعنف. وهذا كله، مع الكثير غيره، يبدو طبيعياً جداً لنا، لبراعة المسرحي في فنه، ولكنه يقلقنا بحس، كحسنا في «الملك أوديب»، بأن هؤلاء الأناس الأشقياء بحظوظهم لن ينجوا من القدر المحتوم، وبحس آخر لا نجده في «الملك أوديب»، وهو أن القدر يتحيز للانذال. فليس غريباً إذن أن تفعل «عطيل» في أنفسنا كما لا تفعل «هاملت» أو «مكبث»، وكما لا تفعل «الملك لير» إلا بمقدار. بل بالعكس، فإن المدهش هو أن

(*) ثم لا هي ولا عطيل يلاحظ أي منديل هو، وإلا لتذكرت كيف فقدته وأخبرت بذلك عطيل، ولاكتشف عطيل أيضاً في الحال أكذوبة ياغو من أنه رأى كاسيو يمسح لحيته بالمنديل «اليوم». لأن المنديل في الواقع لم يكن قد ضاع إلا قبل كلام ياغو بساعة واحدة. وهو ما زال في تلك اللحظة في جيبه! فهو إذن قد جازف متهوراً بأكذوبته، ولكن حظه كان كالعادة مواتياً له.

شكسبير، قبل أن تنتهي المأساة، يفلح في تخفيف هذا الانطباع بحيث يجعله يتناغم مع انطباعات أخرى أشد مهابة وهدوءاً.

ولكن هل نجح كلياً؟ أم هناك ما يبزر الحقيقة التي لا مرء فيها، والتي تقول ان بعض القراء، رغم اعترافهم بالطبع بقوة «عطيل» الهائلة، بل ورغم إقرارهم بأنها، درامياً، قد تكون أعظم نصر حققه شكسبير، فإنهم ينظرون إليها بشيء من الإعراض، أو أنهم على كل حال لا يفسحون لها مكاناً في أذهانهم إلى جانب «هاملت» و«الملك لير»، و«مكبث»؟

الإعراض الذي ذكرته يعود بصورة رئيسية إلى سببين. الأول: يجد الكثير من قراء زماننا هذا(*)، رجالاً كانوا أم نساء، إن موضوع الغيرة الجنسية معروضاً بمثل هذا التفصيل وهذه الصراحة الإليزابيثية، ليس أليماً فقط بل ممجوجاً جداً بحيث ان العواطف المأساوية العميقة التي تثيرها القصة تعجز عن التغلب على اشمئزاز القارئ. ولكن إذ يسهل فهم الإعراض عن «عطيل» لهذا السبب، فإنه يبدو أن لا ضرورة هناك لبحثه، لأنه في الأغلب سبب شخصي أو ذاتي. وكان يغدو أكثر من ذلك فيرقى إلى أن يغدو انتقاداً للمسرحية لو زعم الذين يشعرون بذلك أن التفاصيل والصراحة التي يمجونها ليست أصلاً ضرورية من وجهة النظر الدرامية، أو أنها تتكشف عن قصد لإثارة مشاعر غير شاعرية في الجمهور. ولكنني لا أظن أن أحداً يزعم ذلك، أو أن رأياً كهذا يمكن الدفاع عنه.

ثم إن بعض القراء يجدون أن ثمة أجزاء في «عطيل» تصدمهم لفظاعتها. وهم يعتقدون - إذا جاز لي أن أحدد اعتراضهم - أن

(*) لا بد من تذكير القارئ أن هذا الكلام كتب ونشر في أوائل هذا القرن، ولا أحسب أنه ينطبق على قرائنا اليوم - المترجم.

شكسبير في هذه الأجزاء قد أخطأ بحق شرائع الفن حين مثل على المسرح فعلاً عنيفاً أو وحشياً أليم الوقع في النفس دونما ضرورة، مثيراً أكثر منه مأساوياً. ولعل المقاطع التي تحدش أحاسيسهم على هذا النحو هي تلك التي أشرت إليها آنفاً: حيث يضرب عطيل دزديمونة (٤، ١، ٢٥١)، وحيث يتظاهر بمعاملتها كأنها نزيلة مبعى (٤، ٢)، وأخيراً مشهد مصرعها.

يجب ألا نتجاهل المسائل التي تطرح هكذا، كما يجب ألا نصرفها عنا بضيق صدر، غير أنها، فيما يخيل إلي، من النوع الذي لا يمكن التقرير بشأنه عن طريق الجدل. وكل ما في إمكاننا أن نفعله لصالح الأمر هو أن نتمعن في تجربتنا، ونسأل نفسنا هذا السؤال: إن كنا نحس بهذه الاعتراضات، هل نحس بها ونحن نقرأ المسرحية بكل قوتنا، أم اننا نحس بها ونحن نقرأها بفتور؟ فمهما يكن الأمر في الحالة السابقة، فإننا في الحالة اللاحقة نحن الملمومون، لا شكسبير، وإذا عاجلنا السؤال على هذا النحو، أغلب الظن أننا سنجد أننا نحن الملمومون. أول المقاطع الثلاثة، وأقلها أهمية - ضرب دزديمونة - يبدو لي أكثرها شكاً. فأنا أعترف بأنني، مهما حاولت، لا أستطيع أن أصالح نفسي معه. فالضربة، ولا ريب، ليست مجرد نقرة على الكتف بلفاة ورق، كما يجعلها بعض الممثلين لشدة نفورهم منها. وهي يجب أن تقع على المسرح المكشوف، وليس في المقطع من المشاعر المأساوية الطاغية، في رأيي، ما يجعلنا نتحملها. غير أن الأمر يختلف في المشهدين الآخرين. ففيهما، إذا تخيلنا بتمام قوانا ما يجري في دخيلة الأشخاص من مأساة، فإن مشاعر الألم أو الفظاعة الجسدية الظاهرة لا تبدى في شبهها الحقيقي، وتساعد على تكثيف الأحاسيس المأساوية التي تحتوي الأشخاص في قبضتها. قد يشك المرء في ذلك بالنسبة إلى مشهد قتل دزديمونة إذا تخيل المرء أن عطيل يجرها في



أنحاء المسرح (كما يفعل بعض الممثلين المحدثين)، غير أن النص لا يحوي مطلقاً أية عبارة تبرر مثل هذا التخيل، كما أنه واضح تماماً أن الفراش الذي تختق فيه دزديمونة يقع وراء الستائر(*)، أي ان لنا أن نخمن أنه مخفي بعض الشيء.

«عطيل» من هذه الناحية إذن تبدو - ربما باستثناء مكان واحد - غير قابلة للانتقاد، رغم أن فيها مقاطع أكثر مما في المآسي الثلاث الأخرى تصدم الخيال أو تثيره حسياً، إلا إذا اتسع الخيال معها بأقصى ما يستطيع. ولئن نشعر رغم ذلك، أنها تحتل في ذهننا مرتبة أدنى من الثلاث الأخرى بقليل، فإن السبب لا يكمن هنا، بل في خاصية أخرى ذكرتها آنفاً - الضيق النسبي الذي نجده في العالم المتصور في المسرحية. فهي لا تتمتع بقدر ما تتمتع به المسرحيات الثلاث الأخرى بطاقة كونية ضخمة تعمل في عالم القدر الفردي واللوعات الفردية. انها، بمعنى ما، أقل «رمزية». فيخيل إلينا أننا نعي فيها محدودية ما، أو كتباً جزئياً لذلك العنصر من ذهن شكسبير الذي يجعله قرين الشعراء الصوفيين وكبار الموسيقين والفلاسفة. في واحدة أو اثنتين من مسرحياته - كما في «طرويلس وكريسيدا» بوجه خاص - نعي هذا الكبت لدرجة التألم: فنشعر بنشاط ذهني حاد مع برودة أو صلابة ما، كأن ثمة في روحه الشاححة والعذبة معاً قوة انحجبت لفترة ما. هذه القوة نعي دوماً حضورها في بعض المسرحيات، كما في «العاصفة» مثلاً. وفي حالات كهذه يتراءى لنا

(*) لا تحمل الجثتان الى خارج المسرح في النهاية، كما كان لا بد لها أن تحملها لو كان الفراش في وسط المسرح (إذ ان المسرح لم تكن له، أيام شكسبير، ستارة أمامية). والستائر هي التي يشير لودوفيكو إلى إسدها حين يقول: «إنه مشهد بسم العين... أحجبه...».

أنا قرييون جداً من شكسبير نفسه. هذا هو الحال مع «هاملت» و«الملك لير» وكذلك، ولولدرجة أصغر بقليل، مع «مكبث». أما في «عطيل»، فإن الدرجة أصغر بكثير. ولا أعني بذلك أن الكبت في «عطيل» ظاهر، أو أنه، كما في «طرويلس وكريسيدا»، يعود إلى حالة ذهنية متردية، انه في الواقع، ناجم عن خطة مسرحية جعلها شكسبير حول موضوع معاصر، موضوع دنيوي كله. غير أنه يوجد هذا الفرق في النوع الذي حاولت أن أبينه، فيخلف في النفس انطباعاً بأننا في «عطيل» لسنا على تماس بشكسبير بأكمله. ولعله جدير بالملاحظة، من هذه الناحية، ان البطل نفسه يبدو لنا وكأنه يحمل من شخصية الشاعر، ربما، أقل مما تحمله شخصيات عديدة أخرى أدنى منه شأنًا بكثير درامياً وإنسانياً.

- ٢ -

شخصية عطيل بسيطة نسبياً، ولكن بما أنني ركزت بعض الشيء على الدور المهم الذي تلعبه الدسياسة والصدفة في المسرحية، من المستحسن أن نبحث كيف أن نجاح مكيدة ياغو يتصل جوهرياً بهذه الشخصية. إن وصف عطيل نفسه بأنه «... رجل ليس بحاضر الريبة، ولكن إذا أثير وقع في أشد التخبط»، وصف جيد ومنصف. ومأساته كافية في أنه لم يكن بطبعه ينزع إلى الغيرة، غير أنه كان بطبعه هذا معرضاً جداً للخديعة، فإذا أثيرت عاطفته بحدة، فقد يتصرف بأقل التروي، وبغير ما تأخير، وعلى أحسم نحو يستطيع المرء أن يتصور.

دعوني هنا أولاً أشجب رأياً مغلوطاً عبر عنه بعض النقاد. لا أقصد تلك الفكرة السخيفة القائلة بأن عطيل كان شديد الغيرة

مزاجاً، بل تلك الفكرة الخالية من كل منطق، القائلة بأن المسرحية هي، بصورة رئيسية، دراسة شخصية بربري نبيل اعتنق المسيحية فاكسب بعض حضارة الذين استخدموه عندهم، ولكنه احتفظ في أعماقه بالعواطف الهوجاء التي يتصف بها دمه المغربي. كما احتفظ بالرؤية المألوفة لدى الشرقيين تجاه عفة المرأة. وإن الفصول الثلاثة الأخيرة إنما تصور انفجار هذه المشاعر الأصيلة من خلال قشرة الحضارة الرقيقة التي جاءت عن البنادقة. إن بحث هذه الفكرة يستغرق من الوقت أكثر مما ينبغي، ولعله من العبث مناقشتها أصلاً. لأن كل ما نسوقه ضدها من حجج لا بد أن ينتهي إلى الطلب من القارئ أن يفهم شكسبير على حقيقته. فإن هو يحسب أن من دأب شكسبير أن ينظر إلى الأمور على هذا النحو، وأن ذهنه كان تاريخياً ويشغل نفسه بأمور حضارية، وأنه جهد في جعل الرومان في مسرحياته رومانين جداً، وفي إعطاء صورة صحيحة عن البريطانيين الأوائل أيام لير وسمبلين، وفي جعل هاملت صورة لمرحلة من مراحل الوعي الخلفي لم يكن الأناس حوله قد بلغوها بعد، فإن هذا القارئ سيحسب أيضاً أن هذا التأويل لـ «عطيل» أمر محتمل. أما أنا فأراه بعيداً جداً عن شكسبير ولا صلة له به. هذا لا يعني أن عرق عطيل أمر لا أهمية له. إن له شأنه في المسرحية، كما سنرى، فهو يؤثر في فكرتنا عنه، كما يؤثر في الفعل وفي الكارثة. غير أنه لا أهمية له بالنسبة إلى الجوهر من شخصيته. ولو أن أحداً قال لشكسبير إن ما من إنكليزي كان يتصرف كما تصرف المغربي، وهنأه على دقته في فهم السيكولوجية العرقية، لضحك شكسبير ملء شذقيه، ولا شك!

إن عطيل، من بين أبطال شكسبير، أشدهم رومانسية على الإطلاق، وأحد أسباب ذلك حياة الحرب والمغامرة الغريبة التي عاشها

منذ طفولته . إنه لا ينتمي إلى عالمنا، ويبدو أن يدخله من حيث لا ندري - كأنه قادم من عالم العجائب . ثمة غوامض رائعة في أنه ينحدر من سلالة ملكية، وفي تجواله في صحارى شاسعة وبين أقوام مدهشة، وفي حكاياته عن المناويل السحرية والعرافات النبويات، وفي لمحاتنا الفجائية الخاطفة لمعاركه وحصاراته التي لا تحصى حيث قام بدور البطل تحميه الطلاسم والرقى، بل وفي إشاراتهِ العابرة إلى معموديته، إلى بيعه عبداً، إلى إقامته في حلب . . .

وهو ليس مجرد شخصية رومانسية: طبيعته نفسها رومانسية. أجل، إنه لا يتمتع بالخيال التأملي الذي يتمتع به هاملت، غير أنه شاعري، (إذا استعملنا الكلمة بأدق معانيها) أكثر من هاملت. وإذا تذكرنا أشهر خطابات عطيل هذه التي مطالعها:

«كان والدها يجبنى . . .»

«أبدأ، يا ياغو، كالبحر البنطي الذي . . .»

«لو أن مشيئة السماء كانت . . .»

«إنه السبب، إنه السبب، أيتها النفس . . .»

«أنظر، لدي سلاح . . .»

«مهلاً! كلمة أو اثنتين قبل أن تذهبوا . . .»

- وإذا وضعنا إلى جانبها عدداً مماثلاً من الخطابات التي يلقيها أي بطل آخر، فإننا لن نشك حينئذ أن عطيل هو أعظم شاعر بينهم جميعاً. كلماته العابرة ملأى بشعر مماثل أينما نظر المرء في المسرحية، وفي أقواله الموجزة عواطف عميقة مركزة جرت منذ ذلك اليوم أمثالاً:

. . . لو كان لي أن أموت الآن،
لكان ذلك لي الآن أسعد الموت. إني لأخشى
ان روحي قد عرفت من السعادة منتهاها
وأن هناة أخرى كهذه
لن تليها في مصيري المجهول.

أو:

أن تكن تخونني، فالسما تهزأ من نفسها!
لن أصدق.

أو:

لا، لقد تحول قلبي إلى حجر، أضربه فيؤلم يدي

أو:

. . . ألا أيتها النبتة

الرائحة الجمال، الزكية الفوح، التي
يتلذذ الحس بها حتى الأم، ليتك قط لم تولدي!

ونشعر أن خيالاً كهذا رافقه في حياته كلها، لقد رنا بعيني شاعر
إلى الأشجار العربية وهي تدر صمغها الشافي، وإلى الهندي وهو
يقذف عنه باللؤلؤة التي ألقته الصدفة في طريقه. ولقد أطال النظر
وهو في حلم مفتون إلى البحر البنطي وهو يتهاوى، دوغما رجعة، على
شواطئ الهليسبنت. وأحس كما لم يحس قط إنسان بكبرياء وروعة
وفخامة الحرب المظفرة، لأنه يتحدث عنها، كما لم يتحدث أحد قط.

وهكذا فإنه يجيئنا، أسمر رائعاً متسرّبلاً بضياء من شمس البلاد
التي ولد فيها. ولكنه ما عاد شاباً، يسمه الآن الوقار وضبط النفس.

وتفولذ أعصابه تجارب عن لا تعد، بأخطارها وتقلباتها: إنه شكلاً وكلاماً بسيط وشامخ معاً، رجل عظيم من طبعه التواضع مع ثقة كبيرة بقدر نفسه، فخور بخدماته للدولة، لا يبنيه ذوو الشأن ولا يغره المديح والتكريم. فكأنه، فيما يبدو، حصين ضد كل خطر من الخارج وكل ثورة من الدخل، ويحيىء لكيما يتوج حياته بمجد أخير هو مجد الحب. وهذا الحب نفسه غريب مغامر شاعري كأبي حدث في تاريخه الحافل، يملأ قلبه رقة وخياله نشوة. لأننا لا نجد حباً في شكسبير، حتى ولا حب روميو في ميعة صباه، أشد إغراقاً في الأخيلة والرؤى من حب عطيل.

مصادر الخطر في هذه الشخصية تكشف عنها القصة بوضوح. قبل كل شيء. نجد أن ذهن عطيل، رغم شاعريته كلها، بسيط جداً. إنه قليل الملاحظة، وينزع طبعه إلى الخارج، فهو لا ينظر داخلياً، وليس من دأبه التأمل. تثير العاطفة خياله، ولكنها تشوش عليه عقله وتبلده. فهو من هذه الناحية نقيض هاملت بالضبط، ولو أنه يشاركه في انفتاح الطبع والثقة بالآخرين. أضف إلى ذلك أنه قليل الخبرة بفساد الحياة المتحضرة، جاهل بالمرأة الأوروبية.

ثم إنه، رغم مهابته ورباطة جأشه (وله من المهابة ما لا يعرف مثله أي رجل آخر في شكسبير)، يشتعل عواطف محتدمة. وشكسبير يؤكد رباطة جأشه وسيطرته على نفسه ليس فقط بالصور الرائعة التي يرسمها لنا في الفصل الأول، بل بالاشارات إلى الماضي. هذا لودوفيكوينذهل لعنفه، فيهدف قائلاً:

أهذا هو المغربي النبيل الذي يصفه شيوخنا جميعاً
بالقدرة في كل شيء؟ أهذه هي الطبيعة التي
لا تززعها عاطفة؟ والتي في قوة رسوخها
ما لا ينخرقه سهم الصدفة.

ولا تحدثه رصاصة الحدث؟
ويتساءل ياغو في مناسبة ليس له فيها أي دافع إلى الكذب:
هل يغضب؟ لقد رأيت المدفع
ينسف جنوده عالياً في الفضاء.
وهو، كالشيطان، ينفخ عن ساعده.
أخاه بالذات - فهل يغضب؟(*) .

هذه الناحية من شخصيته، مع نواح أخرى، يعبر عنها أصدق
تعبير بيت واحد - هو من معجزات شكسبير - ينطق به عطيل ليسكت
في لحظة واحدة العراك الذي نشب في الليل بين رجاله ورجال
برابانتيو:

اغمدوا سيوفكم اللامعة، وإلا أصدأها الندى.

وضبط النفس هذا يتمثل لنا بقوة عندما يحاول عطيل أن يعرف
تفسيراً للشجار الذي قام بين كاسيو ومونتانو. غير أننا هنا نسمع
كلمات تنذر بالخطر، تجعلنا ندرك مدى الضرورة في ضبط النفس
هذا، فيزيد إعجابنا به:

وحق السماء،

لقد جعل دمي يستبد برشادي الأسلم.

وأخذ غضبي يعتم عليّ حُسن إدراكي.

ويحاول أن يقود طريقي.

ولسوف نتذكر هذه الكلمات فيما بعد، عندما «تعمّ» شمس
العقل، ثم تَسوّد وتُحقق في كسوف تام.

وأخيراً، طبيعة عطيل وحدة متكاملة. فإذا وثق في أحد، كانت

(*) ولذا يخطيء الممثل إذا مثل عطيل مهتاجاً بالغضب عندما يطرد كاسيو من وظيفته.

ثقتة مطلقة . يكاد يستحيل عليه التردد أو التلكؤ . إنه شديد الاعتماد على نفسه، ويقرر وينفذ على الفور . فإذا أحس بالمهانة، كما فعل «ذات مرة في حلب»، أجاب بضربة واحدة كالصاعقة . والحب، إذا ما أحب، يجب أن يكون له سماء يقيم فيها أو يرفض القيام فيها . فإذا استبدت به عاطفة الغيرة، علت وطغت حتى باتت طوفانا لا كبح له . فيسعى جازماً في طلب الدليل الفوري - أو الانعتاق الفوري . فإذا اقتنع، ضرب ضربة من له سلطة القاضي، وبسرعة من كان الألم يقتله . وإذا ما انكشف له أنه قد خدع، أجرى التنفيذ على نفسه بالسرعة ذاتها .

لما كانت هذه الشخصية على مثل هذا النبل، ولما كانت مشاعر عطيل وأفعاله تتبع حتماً عنها وعن القوى التي تفعل فيها، ومعاناته تقطع القلب، فإنه، فيما أرى، يشير في معظم القراء مزيجاً من الحب والشفقة لا يشعرون بمثله إزاء أي بطل شكسبييري آخر . مع ذلك كله، فإن هناك نغماً من النقاد والقراء لا يحضونه الحق كله . فهم لا يقولون فقط أنه في مراحل تجربته الأخيرة أبدى نوعاً من صفقه الذهن واندفع إلى فعلته بعنف وتهور لا مبرر لها - وهذا ما لا ينكره أحد . ولكنهم، حتى عندما يعترفون بأن مزاجه ليس مزاجاً غيوراً، يعتبرون انه سمح للغيرة أن تثار فيه بسهولة، ويبدو أنهم يحسبون أن لا عذر له في أن يخالجه أي ريب في زوجته، ويلومونه على عدم اشتباهه في ياغو أو إصراره على طلب الدليل منه . وأنا أشير إلى هذا الموقف الفكري عند البعض لكي ألفت النظر إلى نقاط معينة في القصة . فالموقف ناجم في بعضه عن عدم الانتباه (لأن عطيل يشبه فعلاً بياغو، ويطلب منه الدليل)، كما هو ناجم في بعضه الآخر عن سوء في تأويل النص يجعل عطيل يبدو غيراناً قبل أن يقع حقاً في قبضة الغيرة . وهو ناجم كذلك، من نواح أخرى، عن عدم إدراك حقائق جوهرية معينة . ولأبدأ أولاً بهذه الحقائق .

١ - كان عطيل، كما رأينا، شديد الثقة بالآخرين، وقد وضع ثقته المطلقة في أمانة ياغو النذي لم يكن رفيقه في السلاح وحسب، بل توهم أيضاً أنه كان مخلصاً له في قضية زواجه. كانت هذه الثقة في غير موضعها، ويتفق لنا أن نعلم ذلك، غير أنها لم تكن دليلاً على غباوة عطيل لأن رأيه في ياغو كان رأي كل من يعرفه تقريباً: وفحواه أن ياغو، قبل كل شيء، أمين وفي. وأن أخطاهه نفسها لم تكن إلا وليدة إسرافه في الأمانة والوفاء. إذن، والحالة هذه، حتى لو لم يكن عطيل بسيطاً وحاضر الثقة، لكان من الشذوذ منه ألا يتأثر بتحذيرات يفوه بها صديق أمين كياغو، تحذيرات يفوه بها مكرهاً مدفوعاً بواجب الصداقة. وهل هناك زوج لا تقلقه تحذيرات كهذه؟.

٢ - لا يأتي ياغو بتحذيراته هذه لزوج عاش مع قرينته أشهراً وسنين فصار يعرفها كما يعرف أخته أو المقربين إليه. وليس في طبع عطيل ما يشير إلى أنه، لو كان زوجاً من هذا القبيل، لشعر وتصرف كما في المسرحية. غير أنه كان حديث الزواج، وفي ظروفه هذه ما كان له أن يعرف الكثير عن دزيمونة قبل الزواج. وفضلاً عن ذلك. فقد كان يعي أنه مأخوذ بشعور يمكن أن يضيف مجداً إلى الحقيقة، ولكنه يمكن أيضاً أن يضيف مجداً إلى حلم محض.

٣ - وعي كهذا يتملكه أي رجل غني الخيال يكفي، في ظروف كهذه، أن يحطم ثقته في قوى إدراكه. وفي حالة عطيل، بعد التمهيد الطويل الماكر، يأتيه الآن إيجاء يزيد الطين بلة، وهو الإيجاء بأنه ليس إيطالياً، بل ولا أوروبياً، وبأنه يجهل كلياً أفكار نساء البندقية وأخلاقياتهن المألوفة(*) وبأنه قد رأى بنفسه مهارة

(*) من أشد أساليب ياغو مكرًا ودهاء، تصويره لعطيل أن نساء البندقية لا يعتبرن

دزديونة في التمثيل عندما خدعت اباهما من أجله . وإذ يصغي هو إلى ذلك كله مرتاعاً، يتكشف له الماضي، ولو لبرهة، في ضوء جديد مرعب . ويبدو وكأن الأرض تتمد تحت قدميه . ويلحق ياغو بهذه الإيحاءات تلميحات قبيحة ومشينة بشأن التفسير الذي يخشى، وهو الصديق الأمين وصاحب الخبرات العريضة بالنساء، إنه التفسير الحقيقي لرفض دزديونة الخطاب اللائقين، وتفضيلها الغريب، المؤقت بالطبع، لرجل أسود* . وهنا يكون ياغو قد أسرف في القول، ويرى شيئاً في وجه عطيل يفزعه . فكيف؟ هذه الفكرة لا تستقر في ذهن عطيل، غير أننا لا ندهش حين نجد أن عجزه التام عن صدها على أساس معرفته بزوجه أو تأويله الغريزي للشخصية، مما هو ممكن بين اثنين يتميان إلى عرق واحد، يدفعه إلى منتهى البؤس فيشعر أن لا طاقة له على تحمل المزيد، فيصرف عنه صديقه فجأة (٣، ٣، ٢٣٨).

إني ما زلت أكرر أننا لو وضعنا أي إنسان موضع عطيل، لاثرت هواجسه بكلمات ياغو، وأضيف أن الكثيرين قد يدفعون إلى غيرة جنونية . ولكن عطيل، حتى هذه النقطة، عندما يصرف عنه ياغو، لا تبدو عليه علائم الغيرة . تهتز ثقته، يتشوش ويعمق اضطرابه، ويتملكه شيء من الفزع، غير أنه ما زال في منأى عن الغيرة بمعناها الحقيقي . لنا أن نرى بدايات الغيرة في مونولوجه في الفصل الثالث، المشهد الثالث، السطر ٢٥٨ فما بعد، غير أنه بعد فترة من الخلوة يكون فيها قد وجد الوقت للتمعن في الفكرة

الخيانة الزوجية من كباثر الأسور، على عكس نظرتة هو إليها، وأن من المستحسن لعطيل أن يرضى بالوضع كأى زوج إيطالي .

(*) من أوهم الناس القديمة أن الرجل الأسود يتميز بطاقة جنسية لا يتمتع بها الرجل الأبيض .

التي طرحت عليه، وبخاصة بعد أن تقدم له «حقائق» وليس مجرد أسباب تعميمية للريبة، حينئذ فقط، تأخذ الغيرة عليه مسالك نفسه. ولكنه حتى في تلك اللحظات، وإلى النهاية، يختلف تماماً عن الرجل الذي ما عاد يعرف إلا الغيرة. إنه يختلف عن ليونتييس. لا شك أنه لا يستطيع أن يتحمل فكرة أن رجلاً آخر يمتلك المرأة التي يعشقها، ولا شك أن حس المهانة والرغبة المفاجئة في الانتقام كليهما أحياناً في منتهى العنف: وهذه هي بالضبط مشاعر الغيرة. غير أن هذه ليست المنبع الأعمق أو الأكبر لمعاناة عطيل. فالمنبع هو تحطم إيمانه وحبه. إنه شعوره:

إن تكن تحونني، فالسواء تهزأ من نفسها..

إنه شعوره:

أما أن يقذف بي عن ذاك الذي
فيه خزنت قلبي، ذاك الذي
به عليّ أن أحيأ، أو أعدم الحياة،
ذاك الينبوع الذي فيه يدفق سيلى،
ويغيض بدونه...

لن نجد شيئاً كهذا في ليونتييس.

إلى هنا وليس ثمة حرف يقال طعنأ في عطيل. غير أن المسرحية مأساة، ولذا علينا، من هنا، أن نتخلى عن توزيع المدح واللوم، وهو أصلاً عمل غير درامي ولا يلقي شكراً من أحد. عندما يعود عطيل إلى المسرح بعد غيبة قصيرة (٣، ٣، ٣٣٠)، نرى حالاً ان السم أخذ يفعل فعله. و«يشتعلى كمناجم الكبريت»:

انظر إليه قادماً! لا الخشخاش ولا اللفاح

لا ولا كل ما في الدنيا من شراب منوم
سيشفيك عودة إلى ذلك السبات الهني
الذي كان بالأمس سباتك!

إنه «على المخلعة» في عذاب رهيب لا يستطيع معه أن
يتحمل رؤية ياغو. وإذ يتصور أن ياغو ربما قد وفر عليه تفاصيل
الحقيقة كلها، يشعر أن حياته والحالة هذه قد انقضت ومهنته قد
زالت بكل أمجادها. ولكنه لا يتخلى عن الأمل. فمجرد الإمكان
بأن صديقه يمدعه عن قصد - ولو أن خداعاً كهذا يعتبره لؤماً
وحشياً لا يستطيع تصوره واقعاً - ضرب من أمل. فيصرخ مطالباً
بالدليل المرئي. وعندما يضطر إلى الإدراك بأنه يطالب
بالمستحيل، يطالب بالبرهان. فيكره الشاهد المتردد على الإدلاء
بالشهادة - ويسمع حكاية حلم كاسيو التي يطير لها العقل. حسب
ذلك! وإذ لم يكن حسب ذلك، ألم يشاهد أحياناً منديلاً منقطعاً
بتوت بري في يد زوجته؟ أجل، كان أول هداياه إليها.

لا أدري، ولكن منديلاً كذاك.

(أنا واثق من أنه منديل زوجتك) رأيت اليوم

كاسيو يمسخ ذقنه به.

فيجيب: «إذا كان هو-»، ولكن فيم الحاجة لتفحص هذه
الحقيقة؟ «جنون الانتقام» يستبد بدمه، والتردد أمر لا يعرفه.
فيصدر حكمه، وسيسيطر على ذاته ريشاً يجعل من الحكم عهداً
قاطعاً على نفسه.

عطيل الفصل الرابع هو عطيل في سقوطه. لن يكون
سقوطه تاماً، غير أنه يتغير كثيراً. في أواخر مشهد «التجربة»،
كان عطيل أحياناً رهيباً جداً، غير أن فخامته تكاد لا تفقد ذرة

من كمالها حتى في المشهد التالي (٤،٣) حيث يذهب لاختبار دزديمونة في قضية المنديل، فيجد تأكيداً ماحقاً لجرمها، لا ينال من عطفنا أي شعور بالمهانة. أما الفصل الرابع ففيه «تأتي الفوضى». ربما مرت هنا فترة وجيزة من الزمن - وهي وجيزة، لأنه يتحتم على ياغو أن يسرع، مدركاً أن من الخطر عليه أن يدع فرصة للقاء كاسيو بعطيل. وفهمه لطبيعة عطيل علمه أن يجعل خطته إلحاق الضربة بالضربة وألا يتيح للضحية أي استجمام من ارتباك الصدمة الأولى. ومع ذلك فإن هناك فترة وجيزة تمر، وعندما يظهر عطيل ثانية نرى من أول وهلة أنه رجل متغير. فهو منك جسدياً، دائخ ذهنيّاً، يرى كل شيء عائماً خلال غمام من دم ودموع، وقد نسي في الواقع حادثة المنديل، ويجب أن يذكرها. وحين يدرك ياغو أن باستطاعته الآن أن يجازف بما يشاء من كذب، فيخبره أن كاسيو قد اعترف بذنبه، نجد أن عطيل، هذا البطل الذي بدا لنا أن ليس هناك من يفوقه قوة جسدية اللهم ألا كريولانس، يصاب بارتجاج عنيف، ويتمم بكلمات متقطعة، وتحط فجأة غشاوة سوداء بين عينيه والعالم، ويعتبرها شهادة الطبيعة المشمئزة على الشناعة التي سمعتها الآن أذناه، ويقع على الأرض مغمياً عليه. وعندما يثوب إلى وعيه لن يكون من نصيبه إلا أن يراقب كاسيو، متصوراً أنه يضحك من عاره. إنها خديعة فظة، ملأى بالخطر إن أخفقت، وما كان ياغو ليجرأ من قبل على مثلها. غير أنه الآن في مأمن. ورؤية العين إنما تضيف إلى ارتباك العقل جنون الغضب، والتعطش الشرس للانتقام يصارع التوق والأسف، ويتغلب على كليهما. ويغدو التأجيل حتى هبوط الليل عذاباً يفقد فيه عطيل سيطرته على أعصابه، فيضرب زوجته بحضور رسول البندقية، ويضيع حس الواقع لديه فلا يسأل نفسه أبداً ما الذي سيعقب

موت كاسيو وموت زوجته . ويدفعه إلى استجواب إميليا غريزة للعدالة فيه لا يمكن كبتها، دون أن تخالجه ولورعشة واحدة من الأمل . ولكنه الآن لن يقتنع بشيء، ويتلو ذلك مشهد الاتهام المخيف . وبعد ذلك لكي يتاح لنا شيء من راحة النفس من الحقد الحارق والدموع الحارقة، نرى لقاء دزديمونة بياغو، وحديثها الأخير مع إميليا وأغنيتها الأخيرة .

ولكن ثمة قبيل النهاية تغيير آخر . إن موت كاسيو المزعوم (١،٥)، يشفي غليل الانتقام، وإذا عطيل الذي يدخل غرفة النوم وهو يقول: «إنه السبب، إنه السبب، أيتها النفس»، هو غير عطيل الفصل الرابع . فالفعل الذي لا بد له أن يأتيه ليس قتلاً، بل تضحية . إنه يريد إنقاذ دزديمونة من نفسها، لا حقداً، بل شرفاً وكرامة، وحباً أيضاً . لقد نفذ غضبه، وحل محله حزن عميق .

... (و) هذا الحزن علوي

يضرب من يجب .

وحتى عندما تتراجع هذه المشاعر أمام مشاعر أخرى عند رؤية ما يحسبه عناداً منها، وسماع ألفاظ أرادها القدر بضربة أخيرة أن نعيد له قناعته بجرمها، فإنها لا تفسح المجال للغضب، بل للكرامة الجريحة، وعلى ما في المشهد من ألم رهيب، فإنه ليس فيه ما ينال من الاعجاب والحب اللذين يعمقان الحس بالشفقة . وهذه الشفقة نفسها تتلاشى، ولا يبقى إلا الحب والاعجاب، في فخامة اللحظات الأخيرة وجلالها . لقد جاءت الفوضى وراحت، وعاد إلينا عطيل مجلس البندقية وميناء قبرص، بل انه الآن أعظم وأنبل . وحين ينطق تلك الكلمات الأخيرة، تترأى لنا أمجاد حياته وعذاباتها - في الهند، والجزيرة

العربية، وحلب وبعد ذلك في البندقية والآن في قبرص - تترامى
وكأنها الصور التي تلتصق أمام عيني غريق، ويكتسح حزننا
ازدراؤه المظفر بقيود الجسد وضائلة كل حياة ستبقى بعده، وعندما
يموت قلبه قبله، فإن مأساته التي هي أشد المآسي كلها المآ تعتقنا برهة
من الألم وتزهدنا بسُلطان «الحب وذهن الإنسان الذي لا يقهر».

- ٣ -

الكلمات الأخيرة اقتبستها من سونته وردزويرث إلى
«توسانت لوفرتور». كان توسانت زنجياً. وهناك سؤال يسأل، له
قيمتة الدرامية، وإن يكن ضئيل الأهمية، وهو: هل تصور
شكسبير عطيل زنجياً أم مغربياً؟ لن أقول إن شكسبير تصوره
زنجياً ولا مغربياً، لأن ذلك قد يعني ضمناً أنه كان يميز بين
الزنوج والمغاربة، كما نفعل نحن بالضبط. ولكنني أكاد أكون
واثقاً من أنه تصور عطيل رجلاً أسود، لا رجلاً أسمر أو شديد
السمر.

علينا أن نتذكر أولاً أن جعل عطيل أسمر أو برونزياً، مما
اعتدناه في الآونة الأخيرة في مسارحنا، اتجاه حديث. فالذي
نعرفه هو أن عطيل كان يمثل حتى عهد ادموند كين كرجل أسود
تماماً. وهذا التقليد المسرحي يعود إلى أيام استعادة «الملكية» (في
أواخر القرن السابع عشر) ويحسم بذلك مسألتنا، إذ من
المستحيل أن يكون الناس قد نسوا لون عطيل الأصلي بسرعة بعد
زمن شكسبير، ومن غير المحتمل أنهم غيروه من الأسمر إلى
الأسود.

وإذا عدنا إلى المسرحية، وجدنا إشارات كثيرة إلى لون

عطيل ومظهره: معظمها غير قاطع، لأن كلمة أسود كانت تستعمل حينئذ لما نسميه اليوم أسمر، أو شديد السمرة، بالنسبة إلى الوجه. وحتى اللقب «غليظ الشفاه»، الذي يذكره البعض دليلاً على أن عطيل زنجي كان يجوز إطلاقه من عدو على من ندعوه اليوم مغربياً. ولكن، من ناحية أخرى، لو كان عطيل مجرد أسمر، يصعب علينا أن نصدق أن برابانتيو يستطيع أن يعيره بأنه «مخلوق أسخم»، أو أن عطيل نفسه يقول:

. . . اسمها الذي كان نقياً
كوجه ديانا، ملوث أسود الآن
كوجهي أنا.

ولا يمكن دحض هذه الحجج بالإشارة إلى أن عطيل من محنت ملكي، ولا يدعى أثيوبياً، ويدعى حصاناً بربرياً، ويقال إنه سيذهب إلى موريتانيا. كانت هذه التفاصيل مهمة لو أن لدينا ما يبعثنا على الاعتقاد بأن شكسبير يشاطرنا أفكارنا، ومعارفنا، ومصطلحاتنا. وإلا فإنها لا تثبت شيئاً. ونحن نعلم أن كتاب القرن السادس عشر كانوا يسمون كل أسمر من شمال أفريقيا مغربياً، أو مغربياً أسود (بحيث تحولت الكلمتان) (black Moor) إلى كلمة واحدة (blackamoor) ويقول هنتر إن السير توماس اليوت يدعو الأثيوبيين «مغاربة»، وقاموس اكسفورد للغة الإنجليزية يعطي أول مثلين على كلمة (blackamoor) هكذا: (borne in Barbary i am a blake More) : ١٥٤٧ و ١٥٤٨ : (Ethiopo, a blake More, or a man of Ethiopo) على تهجئة أواسط القرن السادس عشر). وهكذا نجد أن الأسماء الجغرافية لا تجربنا بشيء عن كيفية تصور شكسبير بطله عطيل. من الجائز أنه كان يعرف أن الموريتاني ليس زنجياً ولا أسود، ولكن أنى لنا

أن نفترض ذلك، ولعله كان يعرف أيضاً أن «أمير المغرب» الذي يصفه في «تاجر البندقية» بأن له، كما لعطيل رجه الشيطان، لم يكن زنجياً. ولكن ليس لدينا ما نستدل به، كما انه ليس لدينا ما يجعلنا نجزم بأنه لم يتصور الأمير مغربياً أسمر في حين أن تصور عطيل مغربياً أسود.

لقد ظهرت (تيطوس اندرونيقوس) في «الفوليو» ضمن مسرحيات شكسبير. ويعتقد بعض النقاد الجيدين أنها من قلمه، وليس ثمة من يشك في أن شكسبير كان له يد فيها، إذ إن من المؤكد أنه كان يعرفها وهناك ما يذكرنا بها موزع في مسرحياته. وكل من يقرأ «تيطوس اندرونيقوس» بذهن منفتح فإنه لن يشك في أن «هارون» فيها أسود - بالمعنى الذي نستعمله اليوم. فهو في مناسبتين يوصف بأنه «أسود كالفحم»، ويشبه لونه بلون الغراب وساق البجعة، ويوصف طفله بأنه أسود كالفحم وغليظ الشفتين. أما هو فإن له «جزة من شعر مفتل»، ومع هذا فإن اسمه هو «هارون المغربي»، كما أن عطيل هو «عطيل المغربي»، وفي «تاجر البندقية» (٤٢،٥،٣) يطلق شكسبير لفظي «زنجي» و«مغربي» على الشخص نفسه.

من الممتع أن يلحظ المرء ازورار معظم النقاد الأمريكيين عن فكرة سواد عطيل، وحججهم في ذلك تعلمنا الكثير. غير أن هناك من سبقهم إلى ذلك. ويؤسفني أن أقول إن الذي سبقهم هو كولروج. ولنسمع ما يقوله: «لا ريب أن دزديمونة رأت وجه عطيل في فؤاده. ولكن إذا اعتبرنا ما خلقنا نحن عليه، وما كان الجمهور الانكليزي يميل إليه بغير ما شك في مطلع القرن السابع عشر، فإنه لمن الوحشي أن نتصور هذه الفتاة البندقية الجميلة تقع في غرام زنجي حقيقي. ولكان ذلك دليلاً على أن دزديمونة تعاني

من الشذوذ وعدم التوازن - ولا يبدو أن شكسبير أراد ذلك قط .
ولكن هل ثمة حجة تنقض ذاتها بذاتها أكثر من هذه؟ فلقد بدا
لبرابانتيو أن من «الوحشي» أن يتصور ابنته واقعة في غرام عطيل
- فلم يستطع أن يجد تعليلاً لغرامها إلا بالعقاير والرقى
السحرية . أما ان حباً كهذا يدل على «الشذوذ» فإنه الدليل الذي
يقدمه ياغو فعلاً، إذ يقول لعطيل بشأن دزديمونة :

أف! في نساء كهذه يشتم المرء شهوة خبيثة .
شذوذاً ذمياً، أفكاراً غير سوية .

فهو في الواقع يتحدث عن زواجها كما قد يتحدث اليوم
رجل قيني قذر التفكير عن زواج سيدة إنجليزية من زنجي
كتوسانت . وهكذا فإن حجة كولردج وآخرين غيره إنما تدل على
النقيض مما يريدون إثباته .

ولكن ليس هذا كل ما هناك . فالتساؤل حول ما إذا كان
عطيل في نظر شكسبير أسود أم أسمر ليس مجرد تساؤل بشأن
حقيقة منعزلة أو طرفة تاريخية، بل له صلة بشخصية دزديمونة .
إن كولردج، والنقاد الأمريكيين أكثر منه، ينظرون في النتيجة إلى
حبها كما نظر برابانتيو، لا كما تصور شكسبير . فهم إنما يغمون
تصوره الرائع عندما يحاولون أن يقللوا من المسافة بينها وبين
عطيل، ويسوون العقبة التي شكلها «وجهه» إزاء تشوقها
الرومانسي لبطل تحبه . فدزديمونة «المرأة الخالدة» في أبداع وأفتن
اشكالها، البسيطة البريئة بساطة الطفل وبراءته، المتحمسة
بشجاعة القديس ومثاليته، المشرقة بذلك النقاء القلبي الذي
يعبده الرجال لأن الطبيعة قليلاً ما تسمح به لهم هم، دزديمونة
هذه لا تحمل نظريات عن الأخوة الإنسانية، ولا تعرف العبارات
عن «الدم الواحد في أمم الأرض قاطبة» أو «البربري والسكيثي،

العبد والحر»: ولكن عندما التقت روحها بأنبل روح على الأرض، لم يهتما ارتداد حواسها، بل إنها اتبعت روحها إلى أن شاركتها حواسها في الأمر، و«أحبته الحب الذي كان حتفها المحتوم». لم يكن حبها متبصراً، وانتهى إلى مأساة. فهي قد لقيت في الحياة جزء أولئك الذين يرتفعون كثيراً عن مستوانا العادي، ونستمر نحن في منحها ذلك الجزء نفسه كلما اتفقنا على أن نغفر لها حبها رجلاً أسمر، ولكننا نجد أن حبها رجلاً أسود أمر وحشي لا يطاق.

لعل لنا عذراً معيناً في إخفاقنا في السمو إلى معنى شكسبير، وفي إدراك مدى الغرابة والروعة في أن تهوى عطيل فتاة دمثة من البندقية، فتجابه حظها من الحياة «بعضف وعنف». كما نتوقع من أي بطل. والعذر هو أننا، عندما نسمع لأول مرة بزواجها، لم نر بعد دزديمونة أواخر المسرحية، لنذكر كم كان مدهشاً وجريئاً هذا الحب من فتاة بمثل هذا الهدوء واللين. وعندما نراقبها في معاناتها وموتها يملكنا الحس بحلاوتها الملائكية واستسلامها المذهل حتى لنكاد ننسى أنها كانت قد أبدت تفوقاً ماثلاً في التأكيد الفاعل لإرادتها وعزمها. إنها تثير فينا العطف أكثر من أي شيء آخر. بل إنها بين نساء شكسبير أشدهن حلاوة وإثارة للعطف، بريئة كميранدا. عاشقة كفيولا، ومعذبة مع ذلك أكثر من كورديليا وإيموجن. وتبدو وكأنها تفتقر إلى ما تتمتع به كورديليا وإيموجن من استقلال وصلابة تسموان بهما فوق العذاب. بشكل ما فهي تظهر لنا مستلبة ولا واعي لها، وليس لها ما تجابه به الظلم إلا التحمل الكبير والتسامح المطلق، وهما من شيم حب لا يعرف المقاومة أو الغضب. وهكذا تسمى أجمل مثال على هذا الحب، وأشد بطلات شكسبير إثارة للعطف، في آن واحد.

انطباعنا هذا اللاحق عن دزديمونه صحيح بالطبع، ولكن علينا أن نعود به إلى انطباعنا الأول وتوحيده معه قبل أن يتسنى لنا أن نرى ما الذي تصوره شكسبير. من الواضح أنه يتوقع منا أن ندرك أن البراءة، والدمائة، والحلاوة، والحنو، كانت هي الصفات البارزة في خلق دزديمونه، لقد كانت، كما تصورها والدها:

عذراء حية أبداً.

ساكنة الروح، وديعتها، حتى لتحمر خجلاً
من عواطفها.

وإذا هي فجأة تتكشف عن شيء يغاير ذلك كله - شيء ما كان لتتكشف عنه، مثلاً، أوفيليا - عن حب لا تملأه الشاعرية وحسب بل تحدوه روح غريبة مفعمة بالحرية والعزيمة وهو حب يؤدي بصاحبه إلى فعل جريء، غير عادي، تستمر به بثقة وتصميم خليقين بجوليت أو كورديليا، دزديمونه أمام مجلس الشيوخ لا تفزع ولا تتردد، وأسلوبها في مخاطبة أبيها ينم عن احترامها العميق له، ولكنه ينم أيضاً عن ثبات يحرك فينا شيئاً من التعاطف مع هذا الشيخ الذي لن يتحمل العيش بعد فقدان ابنته. علينا أن ندرك إذن أن هذا إنما يشير، إذ تنتقل دزديمونه من المراهقة إلى الانوثة الكاملة، إلى ظهور فردية وقوة فيها لكائتا، لو عاشت، تندججان تدريجياً في ميزات الأكثر ظهوراً، لتؤديا إلى أفعال عديدة، كلها عذوبة وطيبة، ولكن يدهش لها جيرانها التقليديون المتخوفون. ولنا على ذلك مثل صغير في حبه المعطاء للخير، في جرأتها وإصرارها المشؤوم، عندما راحت تشفع لكاسيو عند عطيل. غير أنها كتب عليها ألا تحقق النضج الأكمل لطبيعتها الجميلة النبيلة. ففي حياتها الزوجية القصيرة، معظم ما ظهرت فيه وكان حال الحلاوة واللين التي عرفتها وهي صبية. . . وقوة

روحها التي اثارها الحب اول مرة لم تجرد مجالاً تبدي نفسها فيه إلا في حب يلقي قسوة الصد. فيجعل اللوم على ألمه هو: يُرَض، فيضوع منه شذى أعطر. وحين يجازي بالموت، يسحب نفسه المتهدج الأخير لينتقد قاتله .

تقول إحدى الناقدات، السيدة جيمسون، ان دزديمونة تظهر من سرعة الذهن والميل إلى التأمل أقل مما تظهره غالبية البطلات عند شكسبير. غير أنني لا أتفق مع الناقدة حين تضيف إلى ذلك قولها أن دزديمونة تظهر الكثير من «المخاطبة اللاواعية السائدة بين النساء». فهي تبدو لي أن الكثير ينقصها في هذه المخاطبة، إذ ان لديها عوضاً عنه جرأة ومثابرة طفوليتين، كلتاهما ملأى بالفتنة، غير أنها مقرونتان، مع الأسف، بشيء من النقص في الادراك، هذه الفتنة وهذا النقص متضفران لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وتجعل الظروف منها في النهاية أحد أسباب مأساتها. فهما، بالاضافة إلى براءتها، يعيقانها عن فهم حالة عطيل الذهنية، ويؤديان بها إلى أفعال «وأقوال» حظها عاثر، وهي تخضع للقسوة أو الغضب حتى لتستلب ارادتها فتعجز عن وقف انجرافها إلى الهوة التي أمامها .

وفي عجز دزديمونة عن المقاومة، اضافة إلى جها المثالي، ثمة ما هو من صلب شخصيتها، انها، بمعنى ما، طفلة الطبيعة، فالانشطار الداخلي العميق المؤدي إلى التقابل الجلي الواعي بين الخطأ والصواب، بين الواجب والميل، بين العدالة والظلم، أمر لا تعرفه روحها الجميلة، فهي ليست طيبة، ولطيفة وصادقة رغماً عن الاغراء بأن تكون غير ذلك، كما أنها ليست فاتنة المعشر رغماً عن الاغراء ألا تكون كذلك . يبدو أنها لا تعرف من الشر إلا اسمه، ولما كانت ميولها طيبة، فإنها لا تفعل إلا مدفوعة بميلها. هذه الميزة، مع نتائجها، نراها إذا قارناها عندما تتأزم أمورها مع كورديليا. فلو كانت كورديليا

مكانها، لما انكرت - مهما أفزعها غضب عطيل بصدد المنديل الضائع - أنها ضيعته، وذلك أن التجربة الأليمة قد أوجدت في نفسها عن وعي مبدأ الاستقامة المطلقة وكرهاً أليماً للكذب، بحيث يستحيل عليها أن تتلفظ بأكذوبة حتى وإن تكن بريئة كل البراءة في جوهرها. وحسها الواضح للعدل والحق كان أدى بها، عوضاً عن ذلك، إلى مطالبة عطيل بتفسير اضطرابه، فتنتهي إلى تمزيق مكيدة ياغو، وعلى هذا الغرار بالذات، عند الأزمة النهائية، ما كان أي خوف غريزي من الموت ليكره كورديليا على التخلي فجأة عن المطالبة بالعدل والدفاع عن حقها في الحياة. غير أن هذه اللحظات هي القاتلة لدزديمونة، إذ تتصرف وكأنها مذنبه بالضبط. وهي قاتلة لأنها تتطلب، فيما يخيل إلينا، أمراً لا يمكن أن يقترن بهذا الجمال الخاص الذي تتصف به طبيعتها.

هذا الجمال جمالها وحدها. قد يوجد في كورديليا شيء يشابهه، ولكنه ليس هذا الجمال بالذات. فلو جوهبت دزديمونة بمطالبة لير الحمقاء المحزنة بأن تعترف بحبها له، لاستطاعت أن تفعل ما لم يكن بوسع كورديليا أن تفعل، فيما أظن - لاستطاعت أن ترفض أن تتبارى مع أختيها، جاعلة أباهما في الوقت نفسه يشعر أنها عميقة الحب له. ولا شك عندي أن كورديليا، لو قتلت «بلا جريرة»، لعجزت عن كلمات دزديمونة الأخيرة - حين تجيب عن سؤال اميليا من فعل هذه الفعلة؟..

لا أحد - أنا نفسي. وداعاً.

سلمي لي على مولاي العطوف.

هل كان يراد لنا أن نتذكر، حين نسمع دزديمونة تقول إنها بلا جريرة قد قتلت، انها سواء بخوفها الطفلي أو بحبها الاثوي الذي لا

يموت إنما هي هي، ولا شيء سواها؟^(٥).

- ٤ -

لم يصور الشر في أي مكان آخر بالبراعة التي صورها بها في شخصية ياغو. فريتشارد الثالث، مثلاً، عدا عن أنه مصور برهافة أقل، شخص أعظم بكثير، وأقل قبحاً كذلك. ويبدو أن في عاهته التي تفصله عن سائر البشر بعض العذر في أنانيته. ورغماً عن أنانيته، أيضاً، فانه يبدو لنا أكثر من مجرد فرد. أنه يمثل أسرته الشهيرة - إنه غضب آل يورك. ولا هو سليلي مثل ياغو: فهو يعرف العواطف الجاحمة، ويهزه الاعجاب، ويقلقه الضمير. هالة السلطة تحيط به. وهو يمثل إلا انه يؤثر القوة على الخديعة، وليس في عالمه أي وهم عام حول طبيعته الحقيقية. ثم إن مقارنة ياغو بشيطان «الفردوس المفقود» امر سخيف، لشدة ما يفوق مخلوق شكسبير شيطان ملتون في الشر. فذلك الروح الجبار الذي

لم يفقد شكله بعد

بهائه الأصلي كله، ولم يبْدُ

أقل من رئيس ملائكة تحطم وفيضٍ

من المجد قد تعتم

والذي يعرف الولاء لرفاقه والشفقة على ضحاياه، ذلك الذي

كان يشعر بجلال الخير، ويرى

ما أجمل الفضيلة في كيائها - رأى

(*) عندما نطقت دزديمونة كلماتها الأخيرة، ربما كان أحد أبيات الأغنية التي غنتها قبل

موتها بساعة ما زال يتردد في ذهنها: «لا تلموه، أرعاضه حلولدي».

فالطبيعة تلعب الأعيب غريبة كهذه، ويكاد شكسبير يكون الوحيد بين الشعراء

في أنه يبدع على غرار الطبيعة، أو ما يقاربه. ومثل ذلك، كما يقول الناقد مالون،

قول عطيل مغضباً: «تيوس وقرود!» (٤، ١، ٢٧٤) إنما هو صدى لا واعٍ

لكلمات ياغو: «شهوة التيوس وحرارة القروود». (٣، ٣، ٤٠٣).

ضياعه، وعليه تحسر.

ذلك الذي ما زال يستطيع البكاء - ما أبعد الشقة بينه وبين ياغو بالنسبة إلى الموت الروحي . حتى عندما يتأمل سقوطه هو في تسيبه سقوط الانسان! لن نجد قريناً ملائماً لياغو إلا في مفستوفيليس غوتيه . ففيه نجد بعضاً من البرد القاتل نفسه، والفرح بالتدمير نفسه . ولكن والد مفستوفيليس، والكثيرين غيره من أشرار الأدب، هو ياغو بالذات . ثم إن مفستوفيليس ليس «شخصية» بالمعنى الدقيق: نصفه شخصي، ونصفه رمز . من خلاله تنطق فكرة ميتافيزيقية: إنه أرضي ولكنه لن يوجد قطعاً على الأرض .

لعل هذه أدهش ما خلق شكسبير من شخصيات: فولستاف، وهاملت، وياغو، وكليوباترا (أذكرها بترتيب تواريخ ميلاده) . ومن بين هذه، أيضاً، لعل أرفهها خلقاً هاملت وياغو، المتقاربان ميلاداً ولو كان ياغو جذاباً كهاملت، لكتبت عنه هو أيضاً آلاف الصفحات مع نقد كثير، بين جيد ووديء . ومع ذلك فإن معظم التآويل لشخصيته لا تعطي فكرة شكسبير حقها، وتقتصر، في اعتقادي، عن انطباع معظم القراء الذواقين الذين يجيرهم الكثير من هذا التحليل . هذه التآويل الزائفة - إذا صرفنا النظر عن الجنونيات المألوفة في بعض الكتابات - تقع في مجموعتين . المجموعة الأولى تحوي آراء تجعل من شكسبير كاتباً عادياً جداً، فهي تحول ياغو، بطرق مختلفة ودرجات متفاوتة - إلى نذل عادي . إنها ترى أن ياغو ليس إلا رجلاً أهين فانتقم لنفسه، أو زوجاً حسب أنه أسيء إلى شرفه، فأرغم عدوه على

(*) فقد قبل مثلاً إن عطيل أساء معاملة ياغو حين فضل كاسيو عليه . فلم يكن منصفاً معه . وأن عطيل أغوى اميليا فعلاً وأنه كان على علاقة بدزديمونة قبل الزواج، وأن ما حل به، مهما يكن الأمر، ليس إلا حكماً خلقياً على أيامه، وأن ياغو ليس إلا واسطة عادلة وإن تكن قاسية، استخدمتها العناية الإلهية لتنفيذ حكمها في عطيل .

معاناة غيره أسوأ من غيرته، أو رجلاً طموحاً عزم على تحطيم منافسه الناجح - إنه أحد هؤلاء، أو تركيبة منهم، مع قدرة خارقة وقسوة رهيبية. وهذه الآراء أشيع من غيرها. أما المجموعة الثانية من التأويل الزائفة، فهي أصغر بكثير، ولكن محتواها أكبر شأنًا من السابقة، إنها ترى أن ياغو كائن يكره الفضيلة لأنها فضيلة، ويجب الرذيلة لذاتها. وفعله لا يحدوه إليه دافع بسيط كالانتقام، أو الغيرة، أو الطموح. بل هو ينبع عن «شرانية لا دفع لها»، أو تلذذ موضوعي بالآلام الآخرين، وما عطيل وكاسيو ودزديمونة إلا المادة التي لا بد منها لتحقيق هذه اللذة. ياغو، بموجب هذه الآراء ليس بالنذل التقليدي، وهو أقرب بكثير إلى ياغو شكسبير من ياغو المجموعة الأولى. غير أنه هنا، إذا لم يكن مستحيلًا سيكولوجياً، فهو على كل ليس بكائن انساني. ولذا قد يكون مكانه الملائم في قصيدة رمزية كمسرحية «فاوست»، أما في درامة انسانية صرف مثل «عطيل» فانه خطأ مدمر. وفضلاً عن ذلك، فان ياغو هذا ليس موجوداً في «عطيل»: انه نتاج الملاحظة الناقصة والتحليل القاصر.

كولردج، صاحب هذه العبارة المضللة: «شرانية لا دافع لها»، أبدى عدة ملاحظات موفقة عن ياغو. وقد جرى وصف الجوهر من شخصية ياغو، أولاً في أسطر هي من أفضل ما كتب هازليت، ثم في كتابات سوينبيرن على نحو أوسع وأكمل - وهذا الوصف من الروعة بحيث أجدني راغباً في مجرد القراءة لتوضيح هذين النقيدين. غير أن ذلك لن يتيح لي أن أعرض كل ما لدي بهذا الشأن. ولذا فإنني أود أن أقترّب من الموضوع مباشرة، فأدرس أولاً كيف كان ياغو يبدو للذين يعرفونه، وما يمكننا أن نستنتج من أوهامهم، ومن ثم أسأل: ماذا كانت شخصيته الحقيقية، قياساً على ما في المسرحية؟ ولسوف أشير إلى النقاط التي أنا مدين بها مباشرة إلى النقيدين المذكورين.

ولكن لا بد لي أولاً من تحذيرين اثنين. أولهما يتعلق بجنسية ياغو. لقد قيل انه يمثل دراسة ذلك الضرب الايطالي الخاص من النذالة، الذي يعتبر أعمق دهاء وأشد شيطانية من أن يتصف به أي انكليزي. ولا أرى في هذا الرأي من الصدق أكثر مما أرى في الفكرة الزاعمة أن عطيل يمثل دراسة الشخصية المغربية. لا شك أن الاعتقاد بتلك النذالة الايطالية كان سائداً في عهد شكسبير، ولا يبعد أنه تأثر به إلى حد ضئيل هنا وفي رسم شخصيته ياكيمو في «سمبلين». ولكنني أشك حتى في هذا التأثير الضئيل. فلو كان دون جون في «جمععة ولا طحن» انكليزياً لأعجب النقاد بفطنة شكسبير في جعل نذله الانكليزي نزقاً وغيباً. ولو كان أبو ادموند في «الملك لير» دوق فراراً عوضاً عن ايرل اوف غلواستر، لقالوا إن ادموند لا يمكن أن يكون إلا ايطالياً. ولو بدلنا اسم الملك ريتشارد الثالث واسم بلده لقليل انه الطاغية النمطي في النهضة الايطالية. وكذلك لو بدلنا اسم جوليت وبلدها لوجدنا طبيعتها الانكليزية الراققة تقابل بحلمية روميو الجنوبية. غير أن هذه الطريقة في تأويل شكسبير ليست بشكسبيرية. إن فروق العصر، والعرق، والجنسية، والمكان بالنسبة اليه، لا أثر لها في الخلق الداخلي من شخصياته، ولو ان لها الكثير من الأثر في النتيجة الكلية في خيالنا. وهو عندما يؤكد على فروق كهذا يجعل قصده واضحاً في الحال، كما في شخصيات فلويلين، أو السير هيو ايفانز، أو في كلام الأمراء الفرنسيين قبل معركة اجينكور. وبوسعي أن أضيف أن ياغو لا يمكن قطعاً أن يتخذ مثلاً على الفكرة الاليزابيثية الشائعة عن الشخصية الميكافلية. ليس ثمة أية إشارة إلى أنه نظرياً ملحد أو حتى غير مؤمن في قضايا الدين، بل بالعكس، نجده يستخدم لغة الدين، ولا يفوه بكلمات تشابه كلمات البرولوغ لمسرحية مارلو، «يهودي مالطة»:

لا أرى في الدين إلا ألعوبة طفل.

ولا خطيئة في نظري إلا الجهل .

ولأننتقل الآن إلى تحذيري الثاني . على المرء أن يتذكر دائماً ألا يصدق حرفاً مما يقوله ياغو في أي موضوع ، بما في ذلك نفسه هو ، إلى أن يكون قد اختبر قوله بمقارنته مع الحقائق المعروفة ومع أقواله الأخرى أو أقوال الآخرين ، والتمعن فيما إذا كان لديه أي سبب في ذلك الظرف بالذات للافتراء أو ذكر الحقيقة . ان الثقة الضمنية التي أولاهها إياه معارفه لأمانته الموهومة حلت في أنفس معظم نقاده ، وهذه إذ أسعفت تلك العادة المضحكة في الاستشهاد بما تقوله شخصيات شكسبير باعتباره رأي شكسبير بالذات ، غدت مصدراً غزيراً للتأويلات الخاطئة . ولأضرب مثلاً على ذلك أول شيء يقوله ياغو . . . في المشهد الأول من المسرحية نجد ياغو يقول لمخدومه رودريغو ان ثلاثة من وجهاء البندقية ذهبوا إلى عطيل ورجوه أن يعين ياغو ملازماً له ، وان عطيل رفض ذلك ، لكبريائه وعناده ، وانه في رفضه لفظ الكثير من اللغظ العسكري ، وانتهى إلى التصريح (كذباً ، فيما يريد لنا أن نفهم) بأنه قد ملأ الشاغر ، وان كاسيو الذي اختاره لهذه الوظيفة لا يعرف شيئاً عملياً بالمرّة عن الحرب ، ولا علم له إلا بالنظريات والكتيبات ، مجرد حساب وكلام فارغ ، في حين انه هو ياغو ، طالما قاتل جنباً إلى جنب مع عطيل ، وانه حسب التدرّج والقدم أيضاً كان يجب ان يكون هو المفضل . الكثير من هذا الكلام يردده بعض النقاد كأنه معلومات أدلى بها شكسبير ، فيستنتج بالطبع أن لياغو بعض العذر في أن يشعر بالظلامه . ولكن لو سألنا أنفسنا كم من هذا الكلام كله صحيح بالفعل ، لجاء جوابنا ، فيما أرى ، كما يلي : من المؤكد قطعاً أن عطيل عين كاسيو ملازماً له ، وليس هناك أي شيء آخر مؤكد قطعاً . ولكن ليس ثمة ما يدعوننا إلى الشك في قول ياغو أنه قاتل مع عطيل ، كما انه من المحتمل أن وجهاء ثلاثة

توسطوا له لدى عطيل . ولكن الادعاء من الناحية الأخرى، أنه رفض لكبريائه وعناده، وانه كذب حين قال انه سبق واختار الضابط الذي يريد، ليس ما يؤيده صدقه . وإذا كان كلام ياغو عن حديث عطيل مبنياً على واقعة حقيقية (وذلك محتمل جداً)، فما لا شك فيه أن الذي قاله عطيل هو الجاهل بالعلوم العسكرية، وكاسيو هو الخبير، وأن عطيل شرح ذلك للسادة الوجهاء . ثم ان كون كاسيو دخيلاً ومجرد تلميذ كتبي لا خبرة له بالحرب أمر لا يصدق، والشاهد على كذبه هو أولاً، أن عطيل اختاره ملازماً له، وثانياً ان مجلس الشيوخ عينه فيما بعد ليخلف عطيل في القيادة في قبرص . ولدينا دليل مباشر على أن قسماً من كلام ياغو كذب محض، لأن دزديمونة تذكر صدفة أن كاسيو كان رجلاً أسس تقدمه في الوظيفة «طيلة وقته» على حب عطيل وانه شاطره الأخطار فيما مضى (٣، ٤، ٩٣). يبقى فقط الادعاء بأن الترقية لو كانت بالتدرج والقدم، لحتمت تفضيل ياغو، لكونه أقدم من كاسيو. لعل ذلك صحيح : فعطيل لم يكن بالرجل الذي يتردد في ترقية من هو أدنى درجة من غيره إذا رأى داعياً لذلك . ولكن لعل ذلك أيضاً اختلاق محض . فلئن يكن كاسيو شاباً، فليس لدينا ما يثبت أنه كان أصغر سناً من ياغو أو أقل خدمة منه . ياغو مثلاً لا يدعوه أبداً كما يدعو «رودريغو» . ولو كان شاباً صغيراً لما جرى تعيينه حاكماً على قبرص . والذي لا مريّة فيه في نهاية الأمر هو أن عطيل كان مطمئن البال جداً بصدد تعيين كاسيو، وانه لم يخطر بباله قط أن ياغو متذمر لذلك، حتى عندما انكشفت دسيسته وتساءل عطيل مندهشاً، كيف أساء هو إلى ياغو؟

- ٥ -

لا بد من تفحص كل قول يصدر عن ياغو، على هذا النحو . ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن نفعل ذلك على رؤوس الأشهاد،

فلانتقل إلى موضوع الانطباع الذي كان يتركه في أنفس اصدقائه ومعارفه. هنا لا مجال للشك. ان ياغو أبعد ما يكون عن هذا النذل الميلودرامي الذي كثيراً ما يفترض أنه يمثله على المسرح - هذا الشخص الذي يعرف كل من في القاعة انه وغد شرير لأول وهلة. نحن نستنتج أن ياغو جندي من أهل البندقية، في الثامنة والعشرين من عمره، خدم مدة طويلة وعرف بشجاعته. لا نعرف شيئاً عن أصله، ولكن لا أحسبني مخطئاً إن قلت أنه ليس من أصل نبيل. أنا لا أرى فيه رجلاً مثقفاً حظ من قدر نفسه: فهو، على مواهبه كلها، سوقي، ولعل افتقاره المحتمل إلى العلم العسكري له دلالاته. زوجته امرأة يعوزها الصقل، فيما يبدو، ودورها في الدراما يكاد يكون دور خادمة لذديمونة. تصرفه تصرف جندي مباحك بغير رهافة، يفصح عما في ذهنه دوغماً كبح أو تعقيد. وكثيراً ما يكون مرحاً، أحياناً لدرجة الصخب، ولكنه قليلاً ما يتورع عن الكلام الجارح اللفظ، وإبداء الملاحظات التي تنتقص من الطبيعة البشرية. وهو يعرف هذه الخصلة في نفسه، ويعترف بصراحة أنه إذا لم يكن نقاداً فهو ليس بشيء، وان من طبعه البحث عن النقائص والمثالب. وهو في اعترافات كهذه يبالغ في إظهار الخطأ في نفسه، كما هي عادة الذين من شأنهم الكلام الصريح الذي قد يوجع. والناس مع ذلك يحبونه لطبعه هذا إذ يرون أن سخريته فكاهية، وانه في الجاد من الأمور يتكلم بجد (٣، ٣، ١١٩)، وأن الأمر الوحيد الذي لا تخطئه العين فيه هو أمانته وصدقه. و«الأمين» كلمة تتبادر إلى لسان كل من يتحدث إليه. وهي تطلق عليه حوالي خمس عشرة مرة في المسرحية، ناهيك عن المرات الخمس أو الست التي يطلقها هو فيها على نفسه بازدياء وسخرية. انه في الواقع واحد من هؤلاء الأنقياء المعدن الذين يمتنون الدفق العاطفي فيقولون كلاماً هازئاً لا يؤمنون به، وإذا هم، حالماً يجدونك في مأزق، يطبقون العواطف التي هزئوا منها. في

ظروف كهذه يبدي ياغو أطف العطف وأحر الرغبة في العون .
 عندما أساء كاسيو التصرف بشكل مخز ووجدوه يقاتل مونتانو، ألم
 يلحظ عطيل أن «الأسى يكاد يقضي على ياغو الأمين»؟ ويا للصعوبة
 التي وجدها حين ألحوا عليه بل أرغموه، على النطق بالحق ضد
 الملازم! كان يفرح أي رجل آخر في تلك اللحظة إذ يرى ان
 الوظيفة التي يطمع فيها أصبحت الآن شاغرة: غير أن ياغو لا يواسي
 كاسيو وحسب، محدثاً إياه بسخرية عن سمعة المرء، لكيما يساعده في
 التغلب على عاره، بل انه يعمل قريحته ويتوصل في الحال إلى الخطة
 الصحيحة التي يستعيد بها كاسيو وظيفته، وهي أن يطلب إلى
 دزديمونة أن تتوسط له . وهو يضطرب لما لحق صديقه من ذل اضطراباً
 جعل زوجته تثق من أن زوجها حزن للأمر كأنما القضية قضيته . فلا
 عجب إذن، إذا وقع إنسان في ضائقة، كدزديمونة، أن يرسل حالاً
 في طلب ياغو (٤، ٢، ١٠٦)، فإن يكن في هذه المسألة الخشنة
 عيب، فإنما هو قلب ياغو الكبير الذي يدفعه إلى أفعال متسارعة .
 بمجرد أن يسمع أحداً يذم صديقاً له كعطيل، تنطلق يده إلى سيفه .
 ولئن يكبح نفسه فإنه يكاد يأسف على ما في طبعه من فضيلة (١،
 ٢، ١٠-١) .

هكذا كان ياغو يبدو للمحيطين به، حتى للذين عرفوه لفترة ما،
 كعطيل . والحقيقة المذهلة التي قلما تلحظ هي انه كان يبدو كذلك
 حتى لزوجته . فليس ثمة ما يشير إلى أن زواج اميليا شقي كله، أو
 أنها ترتاب في حقيقة زوجها . لا شك أنها تعرف عنه أكثر مما يعرف
 الآخرون ومنها يستنتج ان من عادته الزجر، وأنه يخاطبها أحياناً
 بكلمات قليلة حادة (٣، ٣، ٣٠٠ فما بعد) . ولا يستبعد أنها كثيراً
 ما ترد عليه بلسان حاد كذلك (٢، ١، ١٠١ فما بعد) . وهو يغار
 بصورة غير معقولة، وقوله إنه يغار من عطيل تؤكد زوجته أميليا،

ولذا علينا أن نصدقه (٤، ٢، ١٤٥) (*). ولكن يبدو ان هذه النقائق لم تفسد ثقة اميليا في زوجها أو تقلل من حبها له. وهي تعلم، اضافة إلى ذلك، انه لا يتحلّى بكل تلك الأمانة التي يبدو فيها للناس، لأنه كثيراً ما توسل إليها أن تختلس منديل دزيمونة. إلا أن اميليا ليست مرهفة الحس أو كثيرة التدقيق في الصغائر، وهي تعتبر زوجها (عنيداً) غريب الطبع، وترى في تعلقه بهذا المنديل مثلاً على ذلك (٣، ٣، ٢٩٢) ولكن لم يخطر لها ببال قط أنه نذل، وليس هناك ما يجعلنا نشك في صدق اعتقادها بأن زوجها شديد الأسى على المهانة التي لحقت بكاسيو. وكونها لا ترتاب في ان هناك مكيدة عندما ترى اضطراب عطيل بشأن المنديل، دليل على أنها لاتشك في زوجها. وبعد ذلك عندما يخطر لها أن وغداً ما قد سمم ذهن عطيل، فإن نغمة كلامها كله وذكرها النذل الذي (في اعتقادها) أثار غيرة ياغو عليها برهان قاطع على أنها لم تفكر قط في أن ياغو هو الوغد (٤، ٢، ١١٥ - ١٤٧). وإذا تبقى أي تردد في الموضوع فلا بد أنه يزول عند سماع صرخة اميليا المذهولة المرتعبة تتكرر ثلاثاً: (زوجي؟) على أثر كلمات عطيل: «زوجك على علم بهذا كله» وكذلك عند سماع نبرة الغضب الحائق والأمل المستئيس في قولها لياغو عند دخوله:

كذب هذا النذل، ان كنت رجلاً.
يقول انك أخبرته بأن زوجته خائنة.
أنا أعلم انك لم تقل ذلك. فما أنت بمثل هذه النذالة.
تكلم، لأن قلبي قد طفح.

(*) ولكن لا يتبع ذلك قطعاً أن علينا أن نصدقه حين يقول إن هناك شائعة تتردد عن علاقة أئمة بين زوجته وعطيل (١، ٣، ٣٩٣) أو قوله (الذي لنا أن نخمنه من ٤، ٢، ١٤٥) أن أحدهم قد حدثه في هذا الموضوع

وحتى لو أن ياغو قد كشف لأميليا عن قدر من دخيلته أكبر مما كشف للآخرين، فإن ذلك لن يؤثر في التضاد القائم بين ذاته الحقيقية والذات التي يراها عامة الناس فيه. ولكنه لم يفعل ذلك قط. ورودريغو المخدوع المسكين هو الوحيد الذي اتيح لعينيه ان تنظرا لحظة إلى اعماق تلك الحفرة السوداء.

وقد أشرنا آنفاً إلى أثر هذا التضاد في تصديق عطيل المفرط. فهل ثمة استنتاجات أخرى نستنتجها منه؟ بالطبع أول ما يعن لنا من استنتاج هو هذا الذي تصحبه رعشة اعجاب منا: قدرة ياغو على المراعاة والسيطرة على النفس التي لا بد أنها هائلة. فهو لم يكن شاباً حدثاً مثل ادموند، ولكنه لبس هذا القناع سنين عديدة، ويبدو أنه لم يعرف قط، مثل ريتشارد، انفجار الحقيقة في دخيلته بين حين وآخر. بل ان سيطرته على نفسه تبدو هائلة جداً، حتى إن القارئ قد يعذر ان هو شك في امكانها. غير أن هناك ملاحظات معينة واستنتاجات أخرى، فضلاً عن ثقتنا في شكسبير تزيل هذا الشك.

فالملاحظ، أولاً، هو ان ياغو في استطاعته أن يجد متنفساً من جهد النفاق في تلك الأقوال الجارحة أو الساخرة التي يساء تأويلها، فتزيد من الثقة باخلاصه. انها صمامات أمان، كتظاهرات هاملت بالجنون. وأنا، ثانياً، استنتج من نجاحه التام في نفاقه - ومن أمور أخرى، وهو استنتاج كبير الأهمية - انه لم يكن قط إنساناً قوياً العواطف عميق الأحاسيس، مثل ريتشارد، بل بارد المزاج قطعاً. رغم هذا، فان سيطرته على نفسه رائعة، ولكنه لم يعرف يوماً زوبعة عنيفة تتطلب سيطرته عليها، واقترح، ثالثاً، ان ياغو، على أنانيته وانعدام مشاعره، لم يكن مفطوراً على الخبث أو انقباض النفس، بل انه على العكس من ذلك، يتمتع بطيبة سطحية، وهي تلك الطيبة التي تحبب الشخص للآخرين إذ ترى فيه دليلاً على طيبة القلب، لا

طيبة الهضم . ونستنتج ، أخيراً أن ياغو . قبل الجريمة المروعة التي نشهدها، لم يجده أحد يرتكب جرماً خطيراً، ولعله لم يأت جرماً خطيراً قط في حياته، بل عاش عيشة ظاهرها الاستقامة وباطنها الانانية، متمتعاً بحماسة الحروب والملاذات العابرة، ولكن دون أن يواجه اغراء يدعو به إلى المجازفة بمكانته وترقيته في جريمة خطيرة . وهكذا فان مأساة «عطيل» هي أيضاً مأساته : انها ترينا رجلاً غير عنيف، (على النقيض من ريتشارد، الذي يمضي حياته في القتل والاعتقال)، ولكنه رجل شرير، بارد الطبع، يغرى أخيراً بأن يطلق ما في دخيلة نفسه من قوى، فيتحطم في الحال .

- ٦ -

ولكي نرى كيف تنشأ هذه المأساة، لنمعن النظر الآن في دخيلة ياغو: اننا نجد هنا اول الأمر - وكما ألمحنا آنفاً - ذكاء متميزاً مشفوعاً بقوة إرادة متميزة . فنفاذ بصيرة ياغو - ضمن حدود معينة - إلى دواخل الطبيعة البشرية، وبراعته وتكليف ذاته في استغلالها، وسرعة بديته ومهارته في معالجة المصاعب الفجائية والفرص الطارئة، ليس لها في الأغلب، ما يوازئها في أية شخصية درامية أخرى . وقوة إرادته متميزة كذلك . لا سقراط نفسه، ولا أي حكيم مثالي من حكماء الرواقين، كان سيداً على نفسه أكثر مما كان ياغو، فيما يبدو . فهو لا يفلح فقط في عدم الكشف عن طبيعته الحقيقية، بل انه يتحكم في كل حركة أو بادرة قد تنال من إرادته . وفي أخطر لحظات مكيدية، عندما تكون أدنى زلة أو هفوة مجلبة للموت، لا يبدو عليه أي أثر لاضطراب في العصب . وعندما يمسك به عطيل من خناقه، يغير دوره بخفته الآنية المعتادة . وعندما يهاجم ويجرح في النهاية، يبقى رابط الجأش تماماً . وكما يقول السيد سوينبيرن: لن يصدق أحد أن التعذيب سيفلح في جعل ياغو يفتح شفثيه . انه حصين تجاه اغراءات

الكسل وإغراءات الشهوة، على السواء. من الصعب أن نتصوره قاعداً خاملاً، ولئن يكن بذيء التفكير ينصرف إلى ملذاته أنى وكيفما شاء، فإنه ينصرف إليها، دونما شك، عن مشيئة واختيار، لا عن ضعف وانجراف، وإذا الملذات تدخلت فيما ينوي عليه، فإن أزهـد الناسك لن يرفضها بعزم كعزمه هو. فإذا ما راح رودريغو يتأوه قائلاً: «اعترف أن من العار أن أجن حياً هكذا، ولكن ليس بوسعي أن أصلح ذلك». أجاب: «بوسعك؟ هراء. إنما نحن في أنفسنا نكون كذا وكذا» فالأمر يعتمد على إرادتنا. والحب «ان هو إلا إحدى شهوات الدم وإباحات الإرادة. كن رجلاً، يا هذا؟... قبل أن أقول: سأغرق نفسي من أجل فرخة حبشية، كنت أفضل أن أستبدل إنسانيتي بقرد». لننس برهة أن الحب في رأي ياغو هو شهوة القرد. ولننس أنه حصين ضد الشفقة كما هو ضد الخوف أو اللذة. ولسوف نعترف بأن سيادة الإرادة هذه، وهي لديه عقيدة وممارسة، أمر عظيم، يقارب السمو. ولا ريب أن ياغو عظيم فعلاً من حيث الذكاء (دائماً ضمن حدود معينة) ومن حيث الإرادة (إذا اعتبرناها مجرد قوة، بغض النظر عن أغراضها).

قدراته العظيمة هذه، لأي غاية يسخرها؟ إن عقيدته - وهو ليس من المتشككين، بل له عقيدة محددة - هي أن الأنانية المطلقة هي الموقف العقلاني الصحيح الوحيد، وإن الضمير أو الشرف أو أي اثتبار للآخرين ان هو الا سخف محض. وهو لا ينكر وجود هذا «سخيف»، ولا هو يفترض أن معظم الناس يشاطرونه عقيدته سراً، متظاهرين بعقيدة أخرى ليمارسونها. بل بالعكس أنه يعتبر معظم الناس بلهاء بامانتهم. ويجاهر بأنه لم يلتق قط انساناً يعرف كيف يحب نفسه، والاعجاب الوحيد الذي يعبر عنه في المسرحية هو اعجاباه بالخدم الذين :

يرتدون من الواجب اشكاله ووجوهه .
ويبقون قلوبهم في خدمة أنفسهم .
ويضيف قائلاً : «هؤلاء فيهم شيء من روح» .

وهو يعترف بأنه يقف، ويحاول أن يقف، خارج عالم الأخلاق
كلياً .

عقيدة ياغو هذه وممارسته التي تنبع عنها تتصلان ولا ريب
بخصلة تفوق فيها كل الآخرين الساكنين في عالم شكسبير. مهما يكن
من أمره في السابق، فإنه يبدو حين نلتقيه أول مرة إنه يكاد يخلو من
الانسانية، ومن العطف أو الشعور الاجتماعي . لا يبدو فيه أي أثر
للحنو، وازاء أربع المقاساة لا يبدي إلا التلذذ أو عدم المبالاة .
ولكن علينا بالحدذر هنا . من المهم أن ندرك هذا الانعدام العجيب
فيه للمشاعر، مما قد يغفل عنه بعض القراء، ولكن من المهم أيضاً
ألا نخلط بينه وبين خبث النية الصريح تجاه العموم . فإذا لم يكن بين
ياغو وبين شخص آخر أية بغضاء أو عداوة، فإنه لا يبدي تلذذاً في
مقاساة ذلك الشخص : أقصى ما يبديه هو انعدام الألم . مثلاً، نحن
لا نرى أية اشارة تدل على أنه يتمتع بعذاب دزيمونة، غير أن
تعاطفه ضئيل بارد لحد الشذوذ، فاذا اثرت بغضاؤه، أو أقحم أحد
نفسه بينه وبين مبتغاه، فانه لن يحجم عن التعذيب .

وما الذي يثير بغضاءه أو عداوته؟ هنا أيضاً علينا بالتمعن . لقد
مثل الكثيرون ياغو باعتباره تجسيداً للحسد، رجلاً صمم على النجاح
في الدنيا فراح يعتبر كل رجل آخر منافساً له ويعاديه . إلا أن هذه
الفكرة، على ما فيها من صدق، مبالغ فيها . إنه ولا شك مخلص
لنفسه، ولكنه لو كان رجلاً يقتله الطموح لرأينا دلائل ايجابية على
طموحه . ثم انه، بمواهبه الكبيرة ، لا شك أنه كان بوسعه أن يبلغ
مكانة عليا عوضاً عن كونه مجرد حامل علم، قليل النقود، «ينصب»

على رودريغو. فاذا حسبنا الحقائق كلها، وجب علينا أن نستنتج ان رغباته نسبياً معتدلة وطموحه ضعيف، وانه ربما وجد متعة عميقة في الحرب ولكنه، لوحظي بجمال كاف، لما أجهد نفسه كثيراً في طلب المكانة أو السمعة، وأنه، تبعاً لذلك، لم يكن من دأبه ان يتحرق حسداً وينشط في عداء للآخرين لأنهم قد يزاخمون.

غير أن الواضح هو أن ياغو شديد الحساسية لأي شيء يمس كبرياءه أو اعتداده بذاته. من الظلم أن ندعوه مغروراً، ولكنه شديد الاحتقار للآخرين. وهو يعي تفوقه عليهم من نواح معينة. أما الصفات التي يفوقونه بها، فانه إما أن يحتقرها أو لا يؤمن بها. كل ما يجرح حسه بالتفوق يزعجه حالاً، وهو في حسه ذلك شديد التنافس. وهذا هو السبب في أن تعيين كاسيو يثيرحنقه، ومؤهلات كاسيو العملية تستفزه. وهذا هو السبب في غيرته على اميليا. انه لا يابه لزوجته، غير أن خشيته من أن رجلاً آخر يغلبه فيها ويعرضه للشفقة أو السخرية كزوج شقي، هي العلقم. وبما أنه واثق انه ليس ثمة امرأة فاضلة في سريرتها، فان هذه الخشية تلازمه. ومثل هذا السبب نجده حاقداً على الفضيلة في الرجال (إذ من صفاته أنه أقل عمى تجاه وجودها في الرجال، وهم الأقوى، منه تجاه وجودها في النساء، وهن الأضعف). وهو يحقد عليها لا لأنه يجب الرذيلة من أجل الرذيلة، بل لأن الفضيلة من ناحية، تزعج عقله الذي يعتبرها حماقة، ومن ناحية أخرى لأنها، (ولو أنه يكاد ولا يعي ذلك) تضعف رضاه عن نفسه، وتزعزع ايمانه بأن الانانية هي الشيء الصحيح الحق، ومن ناحية، لأن الفضيلة في عالم كله حمقى، محبوبة وناجحة، أما هو، وهو الرجل الأكفأ كثيراً من كاسيو، بل وعطيل، لا ينجح كثيراً، فهؤلاء الناس على حماقتهم في صراحتهم وكرمهم، يفلحون في الحياة أكثر من رجل «فيه شيء من روح». وهذا يجرح كبرياءه رغم أنه ليس شديد التطلع إلى التقدم. ولذا فإن الفضيلة تزعجه، وهو

أبدأ مستعد للهزء منها، ويود لو يضربها. وهذه المشاعر في الظروف الاعتيادية ليست حية جداً في نفس ياغو- مثلها مثل المشاعر الأخرى- غير أنها حاضرة أبداً، مهياة أبداً للظهور.

- ٧ -

لم تنته مهمتنا التحليلية، غير أننا الآن في وضع يساعدنا على التأمل في نشوء مأساة ياغو. لماذا تصرف كما رأيناه يتصرف في المسرحية؟ ما الجواب عن سؤال عطيل المحتر:

هلا سألتهم، أرجوكم، شبيه الشيطان هذا

لماذا أوقع الروح والجسد مبني في حباله هكذا؟

هذا السؤال، «لماذا؟» هو مسألة ياغو، كما أن السؤال «لماذا ماطلت هاملت» هو مسألة هاملت. لقد رفض ياغو الاجابة عنه، ولكنني أعتقد أنه لم يكن بوسعه أن يجيب عنه، كما أن هاملت لم يكن بوسعه أن يجبرنا لماذا راح يماطل. إلا أن شكسبير كان يعرف الجواب، وإذا كانت هاتان الشخصيتان خلقاً عظيماً، لا ضرباً عشوائياً، فإن لنا نحن أيضاً أن نجد الجواب.

هل بالإمكان استخراجه من ياغو نفسه رغم إرادته؟ انه يقول لرودریغو أقوالاً كثيرة، وله مونولوجات عديدة. لا بد لنا أن نستقرئ شيئاً من هذه المصادر، ولا سيما من الأخيرة لأن المونولوج في شكسبير عادة يهيء معلومات عن ينابيع الحبكة الخفية كما عن مجراها الظاهر. فضلاً عن ذلك، فإن من خصائص التقنية لديه أن مونولوجات انذاله أشبه أحياناً بتفاسير تقدم للججمهور. وياغو يقدم التفاسير مرة أخرى اما لرودریغو أو لذاته. فهو أولاً يقول أكثر من مرة أنه «يكره» عطيل. ويبدلي بسببين لكراهيته: عطيل جعل كاسيو ملازمه،

ويشتبه - ويسمع تقولات - بأن عطيل على علاقة باميليا. ثم هناك كاسيو. انه لا يقول أبداً انه يكره كاسيو، ولكنه يرى فيه ثلاثة دواع لانزعاجه منه: فهو قد فضل عليه، وهو يشتبه في أن له هو أيضاً علاقة باميليا، ويرى أخيراً أن لكاسيو جمالاً يومياً في الحياة يجعل ياغو قبيحاً. وبالإضافة إلى هذه المنغصات فانه يريد وظيفة كاسيو. أما رودريغو فان ياغو يعتبره غراً أقل شأنأمن أن يكرهه. ولكنه يعرف أكثر مما ينبغي، وقد غدا مزعجاً، يغضب ويطالب ياغو بالذهب والمجوهرات التي سلمه إياها لكي يعطيها دزديمونة. وهكذا فإن ياغو يقتل رودريغو. ثم هناك دزديمونة: انه لا يشتري فضيلتها بفلسين، ولكنه لا يضر لها سوءاً. بل إنه «يجبها»، ولو انه يفضل علينا بالشرح قائلاً ان «شهوته» تمازجها رغبته في معاملة عطيل بالمثل. طبعاً لا بد لها أن تموت، وكذلك اميليا، ولكانت بيانكا تلقى حتفاً مماثلاً لو أن السلطات رأت الأمور في ضوءها الصحيح. غير أنه لم يشرع منذ البداية وفي نفسه خطة عدائية تجاه أي من هؤلاء النسوة.

هل أن ياغو صادق القول عندما يعدد لنا أسباب فعله؟ الجواب السائد بين الناس سيكون: «نعم. لأنه، كما يقول، مشار بشيئين أكثر من غيرهما، وهما رغبته في الترقية، وكراهيته لعطيل المبنية، بصورة رئيسية، على مسألة وظيفة الملازم وهذان سببان مفهومان جداً. فإذا أضفنا إليهما القدرة الفذة والقسوة الشاذة، وضح كل شيء. فما الداعي لكولردج وهازلت وسوينبيرن للمضي في البحث إلى أبعد من ذلك؟» ازاء السؤال الأخير سأطرح أنا هذين السؤالين: إن يكن رأيكم هذا صحيحاً، فلماذا يعتبر ياغو خلقاً رائعاً فذاً؟ أوليس غريباً ان الذين يرفضون هذا الرأي هم الذين يظهرون في القضايا الأخرى فهما لشكسبير لا يدانيه أحد؟

إن الصعوبة بصدد هذا الرأي السائد بين الناس هو، أولاً، انه

ينسب إلى ياغو، ما لا يمكن أن نجده في نص المسرحية، فياغو، بموجب هذا الرأي، مدفوع بعواطف جارفة، منها تحرقه طموحاً وتحرقه كراهية، لأن الطموح أو الكراهية، إذا لم يكن عاطفة جارفة حارقة، لن يدفع برجل جلي الذهن إلى مكيدة ملؤها الخطر، وهو الذي أبدى حتى الآن تبصراً وفطنة. لماذا، إذن، نحن لا نجد في ياغو المسرحية أي أثر لهذه العواطف الجارفة أو أي شيء يقاربه؟ وإذا كان شكسبير يرمي إلى القول أن ياغو كان مدفوعاً بها، فلماذا يطمس أي أثر لها؟ وهل كان قاصراً عن إبدائها؟ إن الشاعر الذي رسم مكبث وشايلوك يعرف شغله ولا شك. وهل هناك من شك يوماً في طموح مكبث وكراهية شايلوك؟ وما الشبه بين بركان يتفجر وبين نار من فحم بلا لهيب، بين رغبة ماحقة في تقطيع واثخان جسد عدوك، وبين الرغبة الحائقة المعهودة في الحياة اليومية في إيذاء من أذاك. . . العواطف الجامعة في شكسبير بادية للعيان. أي أثر لها، أي أثر لعاطفة جامحة أحبطت أو حققت، تبدو للعيان في ياغو؟ الجواب: صفر، وهذا سر الفظاعة فيه. إن لديه من العواطف أقل من أي رجل عادي، ومع ذلك فإنه يرتكب هذه الشنائع. والحجة الوحيدة التي بين أيدينا على أنه يضمّر أي شعور يستحق أن يسمّى كراهية، دع عنك الكراهية الحارقة، هي قوله هو: «إني أكره عطيل». ونحن الآن نعرف مدى الصدق في أقواله!

غير أن الرأي السائد لا ينسب إلى ياغو ما لا يبيده فحسب، بل يتجاهل أيضاً ما يبيده. إنه ينتقي من الدواعي التي يعددها ياغو واحداً أو اثنين، ويفغل عن البقية، فيجعل كل شيء طبيعياً. ولكنه لا يرى كيف أن تعداده لدواعيه غير طبيعي: انه شاذ، غريب، ومشبوه. نحن لا ننكر أنه يعزو دواعي معينة لما يفعل. غير أن صعوبتنا معه هي في أنه يباليغ في كثرتها. فالرجل الذي تحركه عواطف أولية لها أسباب أولية لا يستطيع عد مشاعره على أصابعه،

وعد مصادرها باجتهاد، والبحث عن مصادر جديدة. وهذا ما يفعله ياغو. وليس هذا كل ما هناك. ان هذه «الدواعي» تظهر وتختفي على نحو عجيب. حنقه على تعيين كاسيو يذكره في حديثه الأول مع رودريغو، وبعد ذلك لا نجد له ذكراً واحداً آخر في المسرحية كلها. وكرهيته لعطيل يذكرها في الفصل الأول فقط. رغبته في أن يعين في وظيفة كاسيو لا نكاد نجد لها أثراً بعد المونولوج الأول، وعندما نتحقق لا يشير إليها ياغو ولو بكلمة واحدة. وارتياحه في العلاقة بين كاسيو وزوجته يظهر فجأة، كفكرة لاحقة، لا في المونولوج الأول، بل الثاني، ثم يختفي إلى الأبد. «حب» ياغو لدزديمونة يشار إليه في المونولوج الثاني، ولا نجد له أثراً من أي نوع، لفظاً أو فعلاً، قبله أو بعده. وذكره لغيره عطيل يتبعه بالتصريح بأن عطيل مفتون بدزديمونة وأنه وفي الطبع، وفي أثناء عذاب عطيل لا تبدو من ياغو أية بادرة تدل على أنه يعامل منافسه بالمثل. وفي المونولوج الثاني يقول انه يعتقد بأن كاسيو مغرم بدزديمونة: ولكن من الواضح انه لا يعتقد مثل هذا الأمر، لأنه لا يشير ثانية إلى ذلك أبداً، وبعد ذلك بساعات يصف كاسيو، في مونولوج آخر، بأنه بهلول أمين. وسببه الأخير في ضعفه على كاسيو لا يظهر أبداً، إلى أن نبلغ الفصل الخامس.

ما معني هذا كله؟ لا بد أن له معنى، إلا إذا كان شكسبير قد جن. والمعنى لن نجده في الآراء السائدة بين الناس حول ياغو.

هل المعنى كامن في عبارة كولردج «البحث عن دافع»؟ أجل، ان «البحث عن دافع» هو بالضبط الانطباع الذي تتركه فينا مونولوجات ياغو. انه يتأمل خطته، ويحاول دون وعي منه أن يبررها لنفسه. يتحدث عن شعور أو اثنين حقيقيين، كامتعاضه من عطيل، ويذكر سبباً أو سببين حقيقيين لهذه المشاعر. ولكن ذلك لا يكفيه، فمع هذا السبب أو السببين تتردد وتتلاشى في خاطره أفكار وشبهات هي من

خلق حقارته أو قلقه، بعضها قديم وبعضها جديد، يداعبها برهة لتغذية غرضه وأعطائه وجهاً معقولاً، ولكنه في الواقع غير مقتنع بأي منها، ولا هي القوى الحقيقية التي تقرر فعله. ولذا فاني أميل إلى وصف ياغو في مونولوجاته هذه كرجل انطلق في مشروع يجذب رغبته بقوة، ولكنه في الوقت نفسه يعي مقاومة لهذه الرغبة، فيحاول لا واعياً أن يزيل المقاومة بتعيين أسباب تبرر المشروع. إنه المقابل الضد لهاملت، الذي يحاول أن يجد أسباباً تبرر الماطلة في ملاحظة خطة تثير نفوره. ومعظم أسباب ياغو للفعل بعيدة عن الواقع بعد اسباب هاملت للماطلة. كلاهما مدفوع بقوى لا يفهمها. ولعله ليس من قبيل الصدفة ان هاتين الدراستين الحاليتين سيكولوجيتين متشابهتين تمتا في الفترة نفسها تقريباً.

ماذا كانت إذن القوى الدافعة الحقيقية لفعل ياغو؟ هل نلجأ إلى فكرة كولردج: «الشرايية التي لا دافع لها» - أي الحب الموضوعي للشهر، أو التمتع بآلام الآخرين تمتعاً بسيطاً ومباشراً كالتمتع باللذة الذاتية؟ تأكيداً، لا. أنا لن أصر على أن أموراً كهذه لا تعقل، أو أنها محض عبارات، لا فكر: إذ حتى في حالة كهذه، من الممكن أن شكسبير حاول أن يمثل لنا أمراً لا يعقل. ولكن لا داعي البتة لمثل هذا الظن. ان فعل ياغو قابل للفهم، وفي الرأي السائد بين الناس من الحقيقة ما يكفي لدحض نظرية يائسة كهذه. هذا الرأي يباليغ كثيراً في رغبة ياغو في الترقية، والضعف التي خلقتها حبيته فيه، ويتجاهل قوى أخرى أكبر أهمية منها جميعاً. غير أنه محق في التأكيد على وجود هذه الرغبة وهذه الضغينة، ووجودهما كاف لتحطيم ادعاءات ياغو بأنه أكثر من شبه شيطان. لأن حب الشر الذي يخدم غرضي ويؤذي الشخص الذي أكرهه، يختلف كثيراً عن حب الشر كمجرد شر. والتلذذ بآلام شخص أكرهه واعتبره منافساً لي يتميز عن التلذذ بآلام الآخرين كمجرد آخرين. الأول مفهوم، ونجده في

ياغو، اما الثاني، حتى لو كان فهوماً، فإننا لا نجده في ياغو.

على هذا كله، فان الرغبة في الترقية والامتعاض بشأن وظيفة الملازم، رغم كونها عاملين لا غنى عنهما في السبب المؤدي إلى فعل ياغو، فانها ليسا بالعاملين الرئيسيين او اللازمين لشخصية ياغو. فلنبحث اذن عن العوامل الرئيسية اللازمة، ولنعد إلى تحليل شخصيته الذي لم نفرغ إلا من نصفه. ولنذكر بوجه خاص حسه العميق بالتفوق، وازدراؤه بالآخرين، وحساسيته لكل ما يجرح هذه المشاعر، وحقده على الطيبة في الناس كشيء غبي، يناقض بطبيعته وبخاصة طبيعة ياغو ويزعزع كبرياءه. ولنذكر أيضاً انزعاجه من أن عليه دائماً أن يلعب دوراً، ووعيه بأن لديه براعة نادرة ولباقة فذة كلتاها عاطلة، وتمتعه بالفعل والحركة، وانعدام الخوف فيه. ولنسأل حينئذ: ما أعظم متعة يطلبها رجل كهذا، وما الموقف الذي قد يغريه بالتخلي عن تبصره المعتاد وملاحقة هذه المتعة؟ هازليت وسوينبيرن لا يسألان هذا السؤال، غير أن الجواب الذي سأقدم به يعود في جوهره اليهما.

أمتع شيء لرجل كهذا هو ذلك الشيء الذي يشفي غليله للسلطة والتفوق. وإذا اقتضى ذلك، ثانياً، الأعمال المظفر لقدراته، وكذلك، ثالثاً، نشوة مقارعة الخطر، فإن متعته تبلغ ذروتها. وأخطر اللحظات على رجل كهذا هي عندما يجرح حسه بالتفوق، فيمد الامتعاض والحقن تحرقه المعتاد، ويرى في الوقت نفسه فرصة لشفائه باخضاع الاشخاص الذين جرحوا احساسه لارادته. وهذا بالضبط هو الاغراء الذي يلقاه ياغو. فشهرة عطيل، وطيبة عطيل، واعتماده على عطيل كانت ولا ريب تنغص عليه عيشه باستمرار. وكان له أن يتمتع في أيما وقت يتاح له تهليل عطيل وتعذيبه. ولئن يكن في الظروف الاعتيادية منزعاً - على الأكثر خدمة لصالحه، وكذلك ربما لشيء من

نبض خافت في ضميره أو إنسانيته - فان خيئته في الملازمة زودته بتلك اللمسة من الغضب الذي احتاجه للتغلب على هذه العوائق، وعندها أمست فكرة شفاء غليله للتسلط بالسيطرة على عطيل عن طريق مكيدة معقدة خطيرة، فكرة لا تقاوم. لم يكن ياغو يدرك بوضوح ما الذي يحرك رغبته. ورغم محاولته إقناع نفسه بأسباب فعله، فإن الأسباب، حتى ما كان منها حقيقياً، لم تشكل سوى جزء صغير من القوة المحركة. فكأنها لم تكن أكثر من إدارة المقبض الذي يشغل القوة الدافعة في الآلة ولا يبدو أنه يرى شيئاً من الحقيقة سوى مرة واحدة، وذلك عندما يقول: «فأحقق مشيئتي وأزهوها بنذالته مزدوجة».

«أحقق مشيئتي وأزهوها»، أزيد من حسي للتسلط والتفوق - يبدو أن هذا هو الدافع اللاشعوري في كثير من أفعال القسوة التي من الظاهر أنها لا تصدر بصورة رئيسية عن الضغينة، والتي لذلك هي أشد ما يحيرنا وأحياناً يرعبنا. كثيراً ما يكون هذا هو الذي يجعل رجلاً ما يصاول زوجته وأولاده وينغص عيشهم بأوامره، مع أنه يجهم. والولد الذي يعذب ولداً آخر دون سبب، كما تقول، أو الذي يعذب ضفدعاً بغير كراهية للضفادع، إنما يسر بالآلام ضحيته، لا لحب موضوعي للشر أو متعة موضوعية بالألم، بل بصورة رئيسية لأن هذا الألم برهان صريح على تسلطه على ضحيته. وهكذا الأمر مع ياغو، حسه المحبط للتفوق يريد الرضا، وأي رضا بوسعه ان يجد، أعمق من شعوره بأنه سيد القائد الكبير الذي غمطه حقه، وسيّد المنافس الذي فضل عليه، وأن هؤلاء المحترمين، الناجحين المحبوبين الأغنياء، هم مجرد دمي بين يديه، دمي حية تروح بحركة من أصبغه تتلوى وجعاً، وهم طيلة الوقت يعتقدون أنه الصديق المواسي الوحيد لهم؟ تلك كانت له ولا ريب نشوة النشوات. وهذا الأمر، إذا سلمنا بانعدام شاذ في الشاعر لدى صاحبه، مهما يكن

رهيباً، فانه امر مفهوم تماماً. ان سيكولوجية ياغولا غوامض فيها.
أما السر الغامض فيكمن في سؤال آخر، سؤال ليس للمسرحية ان
تجيب عنه، وهو: لماذا يوجد انسان كهذا؟

إن توق ياغو لإرضاء حس التسلط فيما أرى، هو أشد القوى
التي تدفع به. ولكن ثمة قوتين اخريين حريتين بالملاحظة. الأولى،
هي المتعة بفعل شديد الصعوبة والمخاطر، وبالتالي شديد الاثارة.
هذا الفعل يجعل قدراته كلها في توتر يقظ. فهو يشعر بلذة من ينفذ
بنجاح عملاً شاقاً منسجماً وقابلياته الخاصة، وواقعاً ضمن طاقته أو
يكاد يتخطاها، وبما أنه جريء الطبع، فإن معرفته بأن زلة واحدة
ستكلفه حياته إنما تضاعف من لذته. ونشوته تكشف عن نفسها في
الكلمات الفظيعة التي يجي بها شروق الشمس بعد ليلة من السكر
والعريضة أدت إلى مهانة كاسيو: «والقداس، طلع الصبح! بالمتعة
والعمل تبدو الساعات أقصر. . .» غير أن المتعة بالعمل المثير هنا
تشتد بفعل مشاعر أخرى. ولكننا نراها في أماكن أخرى ببساطة
توحي بأنه لا يجد سعادة إلا بمثل هذه الأفعال، وان سعادته تتضاعف
إذا كان الفعل مدمراً ومثيراً معاً. نجدها مثلاً في صرخته الفرحة
برودريغو، الذي ينوي ان يوقف برابانتيو بصياحه ليخبره عن فرار
ابنته مع عطيل:

أفعل، بنبرة رابعة وصراخ رهيب.
كما يفعلون عندما يبصرون عن غفلة ليلاً.
نيرانا في المدن المكتظة بالناس.

في ذلك المشهد كله، وفي المشهد الذي يهاجم فيه كاسيو
ويقتل رودريغو، وحيثما يوجد ياغو في حركة فيزيائية، نسمع صوت
هذه المتعة المحمومة. ان دمه، وهو الوئيد البارد عادة، يجري حينئذ
في عروقه جريان السباق.

بيد ان ياغو، في النهاية، ليس مجرد رجل فعل: انه فنان. مكيدته حبكة، حبكة درامة معقدة، وفي تخطيطها وتنفيذها يجد توتر الخلق الفني ولذته، يقول هازليت: «انه هاوي المأساة في الحياة الواقعية، وعضواً عن تسخير إبداعه لخلق شخصيات خيالية وحوادث بعيدة منسية، فانه يتخذ لنفسه مساراً أجراً وأخطر بالعمل على حبكته في بيته، وتوزيع أدواره الرئيسية على أقرب اصدقائه والمتصلين به، ثم يجري التمارين بجد كبير، بأعصاب مثتدة وعزم لا يتقاعس». والناقد سوينبيرين يزيد من التأكيد على هذه الناحية من شخصية ياغو، بل ويعلن أن «أقوى وأدق عنصر في تكوينه المعقد هو تلك الغريزة التي يسميها كارلايل بغريزة الشاعر العاجز عن الافصاح». والذين يجدون هذه الفكرة جديدة عليهم أو غريبة، فيشتبهون أنها من لعب الخيال، ما عليهم إلا أن يتفحصوا المسرحية في ضوء تحليل سوينبيرن ليروا أنها تعتمد على ادراك صادق عمق، وانها تتحمل أدق الامعان، ويمكن التدليل عليها بأمثلة. بوسعهم، إذا أخذنا مثلاً واحداً فقط، أن يلاحظ التوازي الغريب بين المراحل الأولى في التأليف المسرحي، وبين تلك المونولوجات التي يتأمل فيها ياغو في تفاصيل مكيدته/حبكته، واضعاً أولاً تخطيطاً عريضاً لها، مختاراً في كيفية تثبيت أفكار أخرى غير الفكرة الأساسية فيها، ومتابعاً لها وهي تنامي وتتضح كلما عمل عليها أو سمح لها بأخذ مجراها. لا ريب أن شكسبير في هذه الحالة وضع الكثير من نفسه في ياغو. غير أن مأساوي الحياة الحقيقية لم يكن يضاهي الشاعر المأساوي، فجاءت سيكولوجيته (كما سنرى) خاطئة في مكان حرج، بينما لم تخطيء قط سيكولوجية شكسبير. وهكذا انتهت الكارثة لديه إلى الاعوجاج، وتمشمت القطعة التي عمل عليها.

هذه إذن هي العناصر الرئيسية التي يبدو أنها تكون القوة التي أطلقها حنقه على ترقية كاسيو، فدفعت بياغو من السكون إلى الحركة

والفعل، وبقيت فاعلة في نفسه طوال المسرحية. وهذه القوة (انتقالاً بنا إلى نقطة جديدة) تملكه وتأخذ عليه شعاب حياته بأكملها: انها قدره. انها شبيهة العاطفة الجاحمة التي يوحد البطل المأساوي نفسه بها، وتحمله إلى أجله المحتوم. صحيح ان ياغو، بعد أن انطلق في هذا المسار، لم يكن بوسعها أن يرجع عنه، حتى ولو خف او ار هذه العاطفة. وصحيح كذلك أنه مضطر، نتيجة نجاحه في اقناع عطيل، ان يسير باتجاه نهايات لم يكن في البداية يحلم بها. وهكذا يقع في حباله هو، ولا يستطيع تحرير نفسه منها، ان هو اراد ذلك. غير انه، في الواقع، لا يبدي أي اشارة إلى أنه يريد ذلك، فلا يبدر منه أي تردد، أو تلفت إلى الوراء، أو خوف أو تقريع ضمير. مده لا جزر له. يدنو من الأزمة، يساوره شك عابر فيما إذا كان موت كاسيو أو رودريغو ضرورياً، غير أنه يصرف عنه هذا الشك الذي لا يرتبط بالقضية الأساسية، وينطلق إلى الامام بحمية لا تهن. حتى في نومه - بعكس نوم ريتشارد عشية معركته الأخيرة - لا يعاني أي تمرد من ضميره أو تحرك من شففته، أو أي هاجس من هواجس اليأس. قدره - وقدره هو ذاته - متحكم فيه تحكماً تاماً: بحيث انه، في المشاهد الأخيرة التي يتبدى للقارىء فيها عدم احتمال نجاح خطته بكاملها لاعتمادها أكاذيب كثيرة متنوعة، يظهر لنا أحياناً لا في مظهر المخطط الداهية، بل في مظهر رجل مفتون سائر حثيثاً إلى دمار حتمي.

- ٨ -

يرز ياغو شاخماً بين شخصيات شكسبير الشريرة لان مبدعه استخدم في خلقه أسرع الخيال وأعمق التصور، ولأنه يوضح، في دمج رائع، حقيقتين بصدد الشر يبدو أن شكسبير كان متأثراً بها أشد التأثير. أولاهما، هي ان ثمة أناساً في تمام صحتهم العقلية يكون

فيهم الشعور مع الآخرين من الضعف بحيث لا يبقى لهم إلا الانانية المطلقة، تصبحها رذائل ملموسة هي عند شكسبير أحط الرذائل جميعاً، كالجحود والقسوة. والثانية هي أن رذائل كهذه لا تتناقض وقوة الارادة الخارقة والذكاء النافذ، بل انها تبدو وكأنها تحالفهما أحياناً بسهولة. ففي الذكاء، ياغو يضاهي ريتشارد، وفي الأنانية يفوقه، وقصوره في حرارة العاطفة وجماع القوة انما يزيد من جعله قبيحاً منفراً. كيف اذن يتسنى لنا أن نتأمله: بل كيف يتسنى لنا، إذا تصورناه فعلاً، أن نشعر تجاهه بإعجاب وضرب من التعاطف؟

يحدثنا هنري الخامس قائلاً:

ثمة روح ما من الخير في الشر من الأشياء، .
ليس الناس بالامعان يقطرونها منه . . .

أما هنا، فإن ما يعرض علينا هو شيء الشر فيه مطلق، والأدهى من ذلك أن هذا الشر المطلق مقرون بقدرة ذهنية خارقة. كيف يغدو تمثيل هذا الشر متحملاً منا، ولا نتهم مؤلفه إما بالتشاؤم اليائس أو بالقصور عن الحقيقة؟

يمكن الجواب عن هذه الأسئلة فوراً: ان ياغو لا يقف وحده، انه جزء من كل. ونحن نراه ضمن الكل، لا منعزلاً، وحده، نراه فاعلاً ومنفعلاً معاً، مدمراً ومدمراً معاً. وعلى صحة هذا وأهميته، فاني أمر به استتباعاً للتأمل في ياغو على حدة، لأبدي ثلاث ملاحظات لدي، جواباً عن الاسئلة.

أولاً، ليس ياغو مجرد سلبي أو شرير - أبداً. فالقوى التي تحركه وتصنع مصيره - حسّ القوة، المتعة في انجاز عمل شاق خطر، المتعة في اعمال المهارة الفنية - ليست اموراً شريرة أبداً. اننا نتعاطف مع الواحدة أو الأخرى كل يوم من أيام حياتنا. وهكذا فان ادراكنا لها يقترن تلقائياً بالتعاطف، ولو انها في ياغو مصحوبة

بأمر مقيت يؤدي بها إلى الشر. وكذلك نجد ان نفاذ بصيرة ياغو، وسرعة بديته، وبراعته، وحسن خطابه، كلها أمور حرية بالاعجاب، والرجل الكامل يتمنى أن يتحلى بها. كما يتمنى ولا شك أن يتحلى بشجاعة ياغو وسيطرته على نفسه، ويتمنى لو أنه مثله يستطيع أن يسمو على نزوات مشاعره ويكون سيد عالمه الداخلي. هذه كلها تنتهي عند ياغو إلى الشر، غير أنها بحد ذاتها قيمة ومهمة. ومع أننا عند القراءة لا نغربلها للنظر فيها معزولة وحدها، فانها لا بد أن تؤثر فينا وتجعل الاعجاب يخالط فينا الكراهية أو النفور.

على أن هذا كله فيما يبدو قد يوجد مع الانانية المطلقة والانعدام الكلي للانسانية. ولكن ليس صحيحاً ان هذه الانانية وهذا الانعدام مطلقان، وانه بهذا المعنى مخلوق كله شر. فالانانية واللاإنسانية قبيحتان ذميتان، ولو كانتا مطلقتين لكان ياغو وحشاً، لا انساناً. والواقع هو انه يحاول أن يجعلهما مطلقتين ولا يفلح، وآثار الضمير والخجل والانسانية قد تكون باهتة، إلا أنها تلاحظ فيه. فلو كانت انانيته مطلقة لوجدناه لا يبالي أبداً بآراء الآخرين، وواضح انه ليس كذلك. حتى انزعاجه من الفضيلة أو الطيبة انما هو اشارة إلى أن ايمانه بمذهبه ليس ثابتاً كل الثبات. وهو ليس ثابتاً كل الثبات لأن لديه إدراكاً، مهما يكن معتماً، لطيبة الطيبة. ما معنى السبب الأخير الذي يقدمه لنفسه تبريراً لقتل كاسيو:

في حياته جمال يومي

يجعلني أبدو دميماً؟

أيعني انه دميم للآخرين؟ إذن فهو ليس بالاناني المطلق. أيعني انه دميم لنفسه؟ إذن فهو يعترف جهراً بحسن خلقي. ثم اننا، لو كان فعلاً عديم الحس الخلقي، لما سمعنا تلك المونولوجات التي تفضح بوضوح قلقه ورغبته اللاشعورية في اقناع نفسه بأن له عذراً

في ما ينوي من نذالة. يخيل إلي أن هذه براهين قاطعة على أن ياغو، رغماً عن اراداته، أفضل بقليل من معتقده، وانه قد أخفق في الانسحاب تماماً من الجو المحيط به. وإلى هذه البراهين أضيف برهانين آخرين، ولو بثقة أقل. مما يدهشني دائماً في المسرحية ان ياغو، قرب النهاية، يبدي شكه في ضرورة قتل رودريغو وكاسيو. كمسألة حسابية صرف من الواضح جداً ان قتلها لا بد منه، وأنا أعتقد أن تردده ليس مجرد أمر فكري، اشارة أخرى إلى تحرك الضمير أو الإنسانية تحركاً غامضاً في نفسه. وأخيراً، ألا يعني شيئاً أن ياغو، حالما تبدأ مكيدته بالتنامي، لا يحاول أبداً أن يرى دزديمونة، وانه إذا رآها أسرع في مغادرتها (٣، ٤، ١٣٨)، وانه عندما تحضره اميليا ليراها وهي في بلواها (٤، ٢، ١١٠ فما بعد)، لا نسمع في كلماته نغمة الشماتة التي يديها مع عطيل في بؤسه، بل نلاحظ شيئاً من الحرج، بل - قد نجرؤ ونقول - لمسة خفيفة من الخجل وتقريع الضمير؟ ولأعترف ان هذا التأويل للمقطع هنا قد لا يكون هو التأويل الذي لا يحيد عنه، غير أنني أجد انه هو التأويل الطبيعي (بغض النظر عن أي تنظير بشأن ياغو). فإذا كان صحيحاً، فهنا حرج ياغو بسهولة. لأن دزديمونة هي الشخص المعني الوحيد الذي يستحيل على ياغو أن يجد سبباً لامتعاضه أو جنقه بشأنه، وبالتالي عذراً يبرر قسوته ضده.

وتبقى أخيراً فكرة أن ياغو رجل خارق الذهن ولكنه في الوقت نفسه خارق النذالة. لن ينكر أحد أنه خارق النذالة. وما نسبت اليه شيئاً يقلل من حقه في هذا اللقب. إلا أن الخطأ الكبير هو القول بأنه خارق الذهن. لا مشاحة في أنه، ضمن حدود معينة، شديد النفاذ، والسرعة، والبداهة، والابتكار، والتكيف. ولكنها حدود ضيقة وخطوطها جد ثابتة. ان الانصاف يقتضينا القول، انه في الواقع «شاطر» مدهش، وانه داهية في حيك المكائد. غير أننا إذا

قارناه برجل لا يخلو من شر ولكنه يتمتع بقوة ذهنية خارقة، كنبولويون، نجد كم هو صغير وسليبي ذهن ياغو، إذ يعجز عن إنجازات نابولويون العسكرية، وأكثر من ذلك يعجز عن بناءاته السياسية، أو، إذا بقينا في عالم شكسبير، وقارناه بهاملت، نجد كم ضيق هو أفقه الفكري، ونجد أنه لم يعرف يوماً فكرة تتخطى تخوم روحه، وأنه عديم الشاعرية بالمرّة، أصم، وأعمى تجاه معاني الحياة، فيما عدا جزءاً ضئيلاً منها. أفليس من السخف إذن أن نقول انه رجل خارق الذهن؟

ولنلاحظ، ختاماً، أن عجزه في الادراك وثيق الصلة بسوئه. القوة التي هاجمها هي القوة التي دمرته: قوة الحب. وقد دمرته لأنه كان عاجزاً عن فهمها، وعجز عن فهمها لأنها لم تكن موجودة فيه. ياغو ما أراد قط لمكيدته أن تكون خطرة هكذا على نفسه. وكان يعلم أن الغيرة مؤلمة، ولكن غيرة محب كعطيل كانت أبعد من خياله، فوجد نفسه متورطاً في جرائم قتل لم تكن في خطته الأصلية. ولقد تخطى تلك الصعوبة، وبدا له أن مكيدته المتغيرة أخذت تنجح: فإذا ما مات رودريغو وكاسيو ودزديمونة، سيغدو كل شيء على ما يرام. بل حتى عندما لا ينجح في قتل كاسيو، لعل كل شيء سيغدو على ما يرام. وسيعلم انه أخبر عطيل عن خيانة زوجته مع كاسيو، ويصر على أنه لم يتكلم إلا الصدق، ويروح كاسيو ينكر عبثاً. وإذا خطته، في لحظة واحدة، تتحطم بضربة تهوي من مصدر لم يحلم قط بأن فيه أي خطر. فهو يعتقد أنه يعرف زوجته. انها لا تدقق في التفاصيل، وهي تفعل أي شيء يسره، قد تعلمت الطاعة لما يريد. بيد أن شيئاً واحداً فيها لا يعرفه - وهو أنها تحب سيدتها، وأنها تفضل أن تجابه مئة ميتة على أن تسمح لاسم سيدتها النقي بأن يصاب بلوثة. انذهاله صادق جداً حين يصيح بزوجه: «ماذا. هل جننت؟» وذلك

إذ يتضح له أنها ستذكر الحقيقة بشأن المنديل . ولكن لكان أليق به لو يطلق على نفسه الكلمات التي تقذف بها اميليا على عطيل :

... يا مخدوع! يا مأفون!

يا قاذورة جاهلة!

لقد جعلته خبائثة روحه جاهلاً بحيث انه أدخل في بناء مكيدته الهائل قطعة من الغباء الشنيع .

إن الذهن المفكر ليذعر عندما يرى الذكاء المفرط منفصلاً عن الفضيلة . والواضح أن هذا كان شعور شكسبير . والجمع بين الذكاء المفرط والشر المتطرف ليس مدعراً فحسب، بل مريع . وهو أمر نادر، لكنه موجود، وشكسبير مثله في ياغو . اما تحالف الشر، كشر ياغو، مع الذهن الخارق، وأؤكد على الخارق، فخيال مستحيل : وأخيلة شكسبير واقعة وحقيقية .

- ٩ -

تكاد شخصيتا كاسيو واميليا تكونان في غنى عن التحليل، وسأبحث فيهما من وجهة نظر واحدة . انهما في جمعهما بين المحاسن والعيوب مثلان جيدان على الصدق في تصوير الطبيعة، وهو المصدر الموفق في التعليم الخلفي .

كاسيو شاب وسيم، مرح طيب الطبع، يأخذ الحياة ابتساماً، وواضح انه جذاب ومحبوب . وعطيل يناديه باسمه الأول، لأنه يحبه . ودزديمونة شديدة الود نحوه، واميليا تشغل نفسها بأمره في الحال . مشاعره تتسم بالكرم والدفء تجاه عطيل، فهو معجب به ومتحمس له، ويرى أن زوجته لا مثيل لها ويعبدها عبادة فروسية . ولكنه متساهل أكثر مما ينبغي، ويصعب عليه ان يقول «لا» . ولذا فانه رغم علمه بانه قليل التحمل للكحول، ولكن لعلمه ايضاً أن المناسبة لا

تنطوي على أي خطر، يقبل أن يشرب ويسكر - لا للحد الذي يجعل أحداً يشمئز منه، ولكن للحد الذي يجعله مضحكة للآخرين(*) . ثم أنه لا يتورع عن معاشره امرأة، مشبوهة السمعة جداً، وقعت في غرام جماله . يقول النقاد الأخلاقيون إنه يدفع ثمن خطيئته الأولى بفقدان وظيفته، وثمان الثانية بأنه يكاد يفقد حياته . لهم الحق في أن يقولوا ذلك، علماً بأن القارئ المنتبه لن ينسى دور ياغو في هذه الأفعال . ولكن يجب عليهم أن يقولوا أيضاً أن سوء تصرف كاسيو لا يزعزع ثقتنا فيه أبداً، من حيث علاقاته بدزديمونة وعطيل . انه يسيء التصرف، ونحن نأسف لذلك، ولكننا لا نشك مطلقاً في أن ثمة «جمالاً يومياً في حياته»، وفي أن إعجابه المنتشي بدزديمونة جميل ونبيل كله كما هو الظاهر، وأن عطيل كان في مأمن تام أيام حبه عندما استخدم كاسيو وسيطاً بينه وبين دزديمونة . ومن حسن الحظ أن من حقائق الطبيعة البشرية ان هذه الخصال في شخصية كاسيو منسجمة لا تتناقض . وكل ما يفعله شكسبير هو أن يسجلها . ولأنه صادق في هذه الأمور الصغرى . فإننا في الأمور الكبرى نتق فيه ثقة مطلقة، من أنه لن يشوه الحقيقة أبداً من أجل عقيدة ما أو غرض في نفسه .

ثمة في شخص كاسيو ما يشير جنباً لـه ، بحماساته وطرارة مشاعره، بتأله لمهنته . وأكثر من ذلك لفقدانه ثقة عطيل، لإعجابه الشديد بعطيل، وفي النهاية لحزنه وشفقته، وكلتا العاطفتين لديه، أول الأمر، أعمق من أن تعبر عنها الكلمات . يحمل مجروحاً في كرسي إلى المشهد . وينظر إلى عطيل ويعجز عن الكلام . وتأتي كلماته الأولى فيما بعد عندما يلقي لودفيكو سؤاله على عطيل : «هل

(*) تهجم كاسيو على الشرب يمكن مقارنته بما يقوله هاملت اشمئزاً من سكر عمه . من المحتمل أن هذا الموضوع، لسبب ما، كان بارزاً في تفكير شكسبير في تلك الأونة .

اتفقت معه (أي ياغو) على مقتل كاسيو؟» فيجيب عطيل: «نعم». فيقول كاسيو متلعثماً: «قائدي العزيز، ما أعطيتك قط سبباً لذلك». إن المرء ليجزم أنه ما استعمل ذلك النعت أبداً من قبل. فالحب الذي فيه يجعله كلمة جميلة. غير أن فيه شيئاً آخر لا يدري به كاسيو، ينفذ إلى القلب. إنه يعلمنا أن البطل ما عاد من العلو عليه بحيث لا يمكن الدنونه.

تكاد لا توجد شخصية ثانوية في شكسبير في وضوح اميليا وتميزها، ولا تتبدل مشاعرنا تجاه أية شخصية كما تتبدل تجاهها في أثناء مسرحية واحدة. إلى ما قبل النهاية بقليل، تجدها أحياناً تثير أعصابنا. وفي النهاية تجدنا مستعدين لعبادتها. قلبها دائماً طيب. غير أنها عادية. وأحياناً سوية. وفي المسائل الصغيرة أقرب إلى الابتذال: وهي بليدة الإدراك والاحساس. وتفتقر إلى الخيال. لقد سمحت لياغو بأخذ المنديل وهي تعلم أن ضياعه يؤلم دزديمونة. ولم تقل شيئاً عنه رغم أنها رأت غيره عطيل. لنا الحق في أن نمتعض من تصرفها حين سمحت باختلاس المنديل. ولكننا - وهذه نقطة مهمة - نميل إلى إساءة فهم صمتها اللاحق لعلنا بأن غيره عطيل وثيقة الصلة بضياع المنديل. أما أميليا فإنها لم تلحظ ذلك قطعاً. وإلا لانصرف تفكيرها نحو المنديل عندما عبر غضب عطيل عن نفسه بالعنف. وتألّت هي لألم سيدتها. ولكانت تقول الصدق عندئذ، دونما ريب. بيد أن الواقع هو أنها لم تفكر في ذلك قط، رغم أنها حذرت أن أحد الأندال قد غرر بعطيل، حتى بعد مصرع دزديمونة، بل حتى بعد أن عرفت أن ياغو هو السبب في مصرعها. بقيت على حالها لا تتذكر المنديل. وعندما يذكر عطيل أخيراً - دليلاً على جريمة زوجته - أنه قد رأى المنديل في يد كاسيو، تقع عليها الحقيقة وقع الصاعقة، وتهتف: «يالله! يا لقوى السماء!» إن غبائها في هذه المسألة كبير، غير أنه غباء ليس إلا.

ويصبح هذا الغباء فيها شيء من خفة الأخلاق، والتقابل، أو التضاد، بينها وبين دزديمونة في حديثهما عن خيانة الزوجات (٤. ٣) أشهر من أن نقول فيه الكثير، لولا أنه يحسن بنا أن نضيف كلمة تحذير لأولئك النقاد الذين يحملون كلامها «الخفيف» على محمل الجد البالغ. غير أن التضاد في المشهد السابق يلفت النظر أيضاً. فعطيل يتظاهر بأنه يعامل اميليا كصاحبة مبعى، ويخرجها من الغرفة أمراً إياها بأن تغلق الباب وراءها ثم يسترسل في تعذيب نفسه ودزديمونة باتهامها بالزنى. ولكن اميليا - كما بين أحد النقاد - تتسمع عند الباب، لأننا نجدها، حالما يذهب عطيل ويستدعي ياغو، تعرف ما الذي قال عطيل لزوجته. وأي دليل على ما فيها من عيوب نجفل لها، خير من تكرارها مرة بعد أخرى تلك الكلمة التي لا تستطيع دزديمونة النطق بها، ومن حديثها أمام دزديمونة عن شكوك ياغو بشأنها هي مع عطيل، ومن كلامها لدزديمونة عن الأزواج الذين يضربون زوجاتهم، ومن غضبتها الكريمة إذ تقول:

هل تخلت عن أولئك الخطّاب النبلاء كلهم،
عن أبيها وبلدها، عن أصدقائها جميعاً،
لكي تدعى بالعاهرة؟

لو كان بوسع المرء أن يضحك، أو يتسّم، عندما نبليغ هذا المكان من المسرحية، لكان الفرق بين لوعة دزديمونة على ضياع حب عطيل لها، وتذكر اميليا الخطّاب النبلاء الذين ترفضهم سيدتها، من أشد ما يضحك حقاً!

ومع هذا، سرعان ما يتلاشى ذلك كله، سرعان ما تتلاشى عيوبها جميعاً، عندما نراها تواجه الأمر الذي بمستطاعها أن تفهمه وتستشعره. فمنذ لحظة ظهورها من جديد بعد مصرع دزديمونة حتى لحظة موتها، تستحيل اميليا امرأة ثانية. وتبقى رغم ذلك هي هي.

ولن نريد لها أن تتخلى عن درة من شخصيتها: إنها الشخص الوحيد الذي يفصح بالنيابة عنا عما يعتلج فينا عندئذ من عواطف هوجاء، إضافة الى تلك العواطف المأساوية التي لا تفقهها. لقد فعلت ذلك مرة من قبل، ونفّست عنا، وذلك حين قالت ان ندلاً ما قد سمم ذهن عطيل، فقال ياغو: «بس، بس. ليس هناك رجل كهذا. مستحيل». وقالت دزديمونة: «... إذا كان، غفرت له السماء...».

وإذا هي ترد دوغما تلكؤ: «غفر له حبل المشنقة! وقرض الجحيم عظامه؟ وبذلك قالت ما تقنا نحن طويلاً لقوله، وأنقذتنا. ثم ألا نشعر جميعاً، في المشهد الأخير، أن لا مبالاتها الرائعة بحياتها، وصرخاتها بوجه عطيل - وحتى ذلك القول الذي لا بد أن يدر من امرأة مثلها: «لقد كانت أشد تعلقاً مما ينبغي بزواجها القدر،... القدر» ألا نشعر أن ذلك يخفف من وقع الكارثة الذي ننوء به، ويلطف من عناء القلب فينا؟ إن الرعب والشفقة هنا أشد مما نتحمل: واننا لتتوق إلى السماح لنا بمشاعر السخط، إن لم يكن الغضب. واميليا نتيج لنا ذلك، وتصوغ مشاعرنا بألفاظها. وهي تأتينا أيضاً براحة يهبها الفرح والاعجاب - والفرح لا ينال منه موتها. وفيم حياتها؟ لو أنها عاشت إلى الأبد لما حلقت شبراً واحداً أعلى مما حلقت، ولم يلق بها شيء في حياتها كما لاقى بها فقدان تلك الحياة(*)».

(*) المشاعر التي تثيرها فينا اميليا هي أحد أسباب تلطيف فيض الألم المأساوي في ختام المسرحية. ومن الأسباب الأخرى سقوط ياغو، وكون دزديمونة وعطيل يكشفتان كلاهما عن أنبل ما في نفسيهما قبيل الموت.

خطة الزمن الثنائي في «عطيل»

بقلم: ام. آر. ردلي (*)

كان أول من بحث فيما يسمى «خطة الزمن الثنائي» هو ولسون، الذي كتب ثلاث مقالات رائعة حول الموضوع بتوقيع مستعار «كريستوفر نورث»، في «مجلة بلا كوود» (تشرين الثاني ١٨٤٩، نيسان وأيار ١٨٥٠). وقد جرى منذ ذلك الحين نقاش كثير بصدد هذه «الخطة» ولكنه لم يعتمد دائماً على فهم واضح للمشكلة وحلها المقترح. ولو أن النظرية كانت تعني أن شكسبير كان يعمل وكان أمامه ساعتين، إحداهما ساعة «للزمن القصير» (أ)، والأخرى «للزمن الطويل» (ب)، فيقول بين آن وآخر «عملت ما يكفي بموجب الساعة (أ)، وحنان لي أن أكتب مقطعاً بموجب الساعة (ب)»، لكانت النظرية، في رأيي، سخيفة بشكل واضح. ولن يستطيع أحد أن يكتب على نحو مجدٍ بهذه الطريقة، ولا سيما شكسبير. غير أن ثمة غرابة بشأن طول الزمن الذي تمثله أو تنطوي عليه ضمناً مسرحية «عطيل» - وهذه الغرابة حقيقة ملاحظة، لا مجرد نظرية.

فالفصل الرئيسي يتحرك بسرعة، باستثناء فترة واحدة لا تتصل بحركته. إن الفصل الأول يمثل فترة من الزمن أطول بقليل جداً من الوقت الذي يمر فعلاً على المسرح، ونلاحظ أن المشهد الثاني يمكن أن

(*) هذا لفصل مترجم عن مقدمة طبعة أردن لمسرحية «عطيل».

يتلو المشهد الأول دوغما فترة مفترضة، وأن الـ٥٦ سطرأ الأولى منه تخدم غرض تغطية الفترة التي يبحث فيها برابانتيو عن عطيل، وأن انتقال الجماعة إلى قاعة المجلس يغطيه، زمنياً، الـ٤٧ سطرأ التي يتناقش بها الدوق مع الشيوخ. والمكان الوحيد الذي نجد فيه الزمن المسرحي قصيراً أكثر مما ينبغي هو عند ذهاب ياغو إلى حانة القوس واقتياد دزديمونة عودة مرة أخرى. ولكن هذا تغطيه الأربعون سطرأ ونيف التي يقولها عطيل في خطابه: ويجدر بنا أن نلاحظ مبلغ البراعة في هذه التغطية. فالخطاب لا يستغرق أكثر من دقيقتين اثنتين، غير أنه ينسرح انسراحاً واسعاً من حيث المكان والزمان معاً، بحيث ان الجمهور العادي، إذ يقيسه بالانطباع لا بساعة الوقت، يشعر أنه استغرق من الزمن أكثر مما يستغرق بالفعل. فالحركة السريعة في الفصل الأول (وبين الفصلين الأول والثاني فترة لا يستهان بطولها) أمر مهم فقط لأنها تعين الإيقاع الزمني لبقية المسرحية.

بين الفصلين الأول والثاني فترة طولها ما نشاء نحن. وكل ما نعرفه من النص عنها هو أنها أطول ببضعة أيام من فترة الليالي السبع المذكورة في (٢، ١، ٧٧)، ولو أن بوسعنا، إن أردنا، أن نراجع الخريطة ونحسب عليها المدة التي يقتضيها مركب شراعي للبحار في رحلة عاصفة من البندقية الى قبرص. إلا أن المدة المفترضة لا أهمية لها بسبب توزيع الشخصيات الرئيسية في أثناء الرحلة، وبما أن شكسبير يلح في التأكيد على هذا التوزيع، فإن لنا الحق في الاعتقاد بأنه أجراه عن عمد. وهكذا فإن عطيل يقلع في مركب، وكاسيو في مركب آخر ودزديمونة وياغو، واميليا، في مركب ثالث.

ويلتقون جميعاً، معاً، للمرة الأولى بعد تفرقهم، في قبرص، على مدى نصف ساعة بين الواحد والآخر. والزمن المثل منذ تلك اللحظة حتى نهاية المسرحية هو زهاء ثلاث وثلاثين ساعة. فهم

ينزلون إلى البر في حوالى الرابعة بعد ظهر يوم السبت (٢، ٢، ٩،
١٠: «من الساعة الخامسة هذه») ويبدأ مشهد طرد كاسيو قبيل
الساعة العاشرة (٢، ٣، ١٣)، ويستمر (بذلك التكتيف الزمني
الذي كان يجيده كتاب الدراما الاليزابيثيون والذي يبدو أن الجمهور
الاليزابيثي كان يقبله عن رضا) حتى الصباح الباكر من يوم الأحد
(٢، ٣، ٣٦٨-٣، ١، ٣٢-٣، ٦١). ويقرر كاسيو أن يطلب
وساطة دزديمونة «في الغد الباكر» (٢، ٣، ٣٢٠). ويفعل ذلك،
ويتلوه مشهد «التجربة» الطويل (٣، ٣). من الممكن هنا أن نفترض
فترة ما، ولكنه افتراض صعب غير مقنع، لأن الأسطر (١٥، ١٦،
١٩، ٣ من ٤، ٣) تشير في الأغلب إلى الاستمرارية. لقد أحست
دزديمونة للتو بفقدان المنديل، وقول عطيل «ما أشق المراءة» يأتي فقط
بعد مشهد التجربة.

المكان الوحيد الذي، فيما أرى، يمكننا أن نقحم فيه فترة زمنية
مقنعة، تقع بين الفصلين الثالث والرابع. وأنا لا أجد في النص ما
يدحض هذا الإمكان، ولكنني أظن أن «شعور» من يشاهد
المسرحية، أو يقرأها، في مكتبته، يناقض ذلك. فإذا ما وضع ياغو
عطيل على المخلعة وراح يعذبه، فإن من غير الدرامية ان يسمح
للفعل بأي ارتخاء. يصل الرسل من البندقية ويدعون إلى العشاء
«هذه الليلة» (٤، ١، ٢٥٧). وهذا العشاء ينتهي في مطلع (٤،
٣)، وفي ساعة لاحقة من الليلة نفسها (بين منتصف الليل والساعة
الواحدة) (٤، ٢، ٢٣٦)، يتم الهجوم على كاسيو ويقتل رودريغو،
وعقب ذلك بقليل يقتل عطيل دزديمونة.

هذا الاستمرار السريع في الحركة ليس فقط مستجباً من حيث
التوتر الدرامي، بل هو حتمي من حيث الاقناع. إذا لم تنفذ مكيدة
ياغو بسرعة، فإنها لن تحقق غايتها أبداً، فإذا لقي عطيل كاسيو

وسأله السؤال الذي لا يسأله إلا بعد فوات الأوان، في المشهد الأخير، فإن المكيدة سوف تنسف وينسف مهندسها البارح باللغم الذي وضعه. وياغويعي ذلك بشكل حاد - «إن المغربي قد يتكاشف معه بأمرى. وفي ذلك خطر علي» (٥، ١، ٢٠). وحذق ياغو كله لن يمنع إمكانية هذا اللقاء لأكثر من وقت قصير. بل إن الذي ينقذه منه في (٤، ١، ٤٨)، هو النوبة التي يقع فيها عطيل، إذ يدخل كاسيو ولا بد من التخلص منه.

بيد أن هذه السرعة في الحركة، وهي من ناحية لا يحيد عنها، نجدها من ناحية أخرى تجعل لغواً من المسألة كلها. فبعد وصول الجميع إلى قبرص، ليس ثمة لحظة زمنية واحدة يمكن للخيانة الزوجية المزعومة أن تقع فيها. وحتى سرعة عطيل في التصديق لن تجعله يصدق المستحيلات الواضحة. وقبل وصولهم لم يكن ثمة مجال لها، لأن عطيل يبهر في اليوم التالي لزوجاه، وشكسبير قد تعنى ليستبعد إمكان وقوعها في أثناء الرحلة. وعلينا أن نلاحظ أن إجماعات ياغو، وردود فعل عطيل لها، تعتمد على افتراض حدوث الخيانة «الزوجية»، أي خيانة ما بعد الزواج، وليس أي فجور أو علاقة غرامية تسبق الزواج. والخوف المسموم الذي يصيب عطيل هو أنه قد خدع كزوج وجعلت له قرون.

إذن، كان لا بد من فعل شيء ما لكي تصبح صيرورة الحكبة ممكنة. وهذا بالضبط ما يفعله شكسبير عن طريق عدد من الاشارات إلى ما يسمى «بالزمن الطويل» - والقائمة التالية توضح طبيعتها: الفصل الثالث، المشهد الثالث، الأسطر (٢٩٦-٣١٣) (ربما في أثناء الرحلة). (٣٤٤-٣٤٧، ٤١٩)، الفصل الثالث، المشهد الرابع، الأسطر (٩٧-١٧١). الفصل الرابع، المشهد الأول، الأسطر (٨٥، ١٣٢، ٢١٠-٢٣٢) (وهذا مثل واضح جداً، لأن حكومة البندقية لن

تستطيع استدعاء عطيل إلى أن يكون قد مرّ زمن كاف لاستلامهم التقرير عن النكبة التي حلت بالأترك وإصدارهم بالتالي الأمر بالاستدعاء) (٢٥٠، ٢٧٣). والفصل الرابع، المشهد الثاني، الأسطر (١-١٠، ٢٣)، والفصل الخامس، المشهد الثاني، السطر ٢١٣.

أنا لا أتفق مع النقاد الذين يرون أن أي تفحص لخطّة الزمن الثنائي في «عطيل» مضيعة للوقت، متعللين، بأن ليس في جمهور المسرح من يلاحظ التضارب. وفضلاً عن ذلك، فإنه يلقي ضوءاً على مهارة شكسبير المذهلة وعلى حكمه وإدراكه كصاحب صنعة عملي. لقد كان يعرف حتى أبعد حدود المعرفة مدى قدرته على الاتيان بحيلة إزاء جمهوره، ومصداق نجاحه هو بالضبط عدم وعي جمهور المسرح بأن ثمة حيلة قام بها شكسبير في مسرحيته. فالذي يفعله شكسبير هو أنه يقدم أمام أعيننا سلسلة لا تنقطع من الأحداث تقع في «الزمن القصير»، ولكنه يقدمها حيال خلفية من الأحداث لا تقدم فعلاً بل ضمناً، وتعطينا الانطباع الضروري بأن «الزمن طويل».

شخصيات المسرحية

عطيل ، مغربي نبيل . في خدمة دولة البندقية	
Othello, a noble Moor, in the service of the Venetian State	
برابانتيو ، شيخ ، والد دزديمونة	
Brabantio, a Senator, father to Desdemona	
كاسيو ، ملازم عطيل	
Cassio, Othello's Lieutenant	
ياغو ، حامل علم عطيل	
Iago, Othello's Ancient	
رودريغو ، سيد من البندقية	
Roderigo, Venetian gentleman	
دوق البندقية	
Duke of Venice	
شيوخ آخرون	
Other Senators	
مونتانو ، حاكم قبرص قبل عطيل	
Montano, Othello's predecessor in the Government of Cyprus	
غراتيانو ، أخو برابانتيو	
Gratiano, brother to Brabantio	
لودوفيكو ، من أقارب برابانتيو	
Lodovico, kinsman of Brabantio	
مهرج ، من خدم عطيل	
Clown, Servant to Othello	
دزديمونة ، ابنة برابانتيو وزوجة عطيل	
Desdemona, Brabantio's daughter and Othello's wife	

اميليا . زوجة ياغو

Emilia, Iago's wife

يانكا . غانية

Bianca, a courtesan

بحار . رسول ، مناد ، ضباط . سادة . موسيقيون . مرافقون

**Sailor, Messenger, Herald, Officers, Gentlemen, Musicians,
Attendants.**

المشهد :

الفصل الاول - البندقية
الفصول (٢ - ٥) - قبرص

ملاحظة :

أرقام الأسطر في هذه الطبعة جعلت مضاهية للترقيم الوارد في طبعة آردن

The Arden Shakespeare

الفصل الأول

المشهد الأول

شارع في مدينة البندقية ليلاً

(يدخل ياغو ورودرغو)

رودرغو : خست ، وما تخبرني أبدا ! إني جدّ مستاء

لأنك ، ياغو ، أنت الذي جعلت كيبي

كأن خيوطه ملك يدبك ، تدري بهذا .

ياغو : ولكنك ، ودم المسيح ، ترفض الاصفاء إليّ !

انا حتى لو حلمتُ بشيء كذاك .

لك ان تهجرني .

رودرغو : قلت لي انك تكرهه .

ياغو : احتقرني ان لم اكن اكرهه . ثلاثة من وجهاء المدينة

زعوا قباعاتهم لديه في التماس شخصي بأن

يجعلني ملازمه ، وأنا ، وحق الايمان ،

اعرف قدر نفسي ، ولا استحق منزلة أقلّ ،

غير أنه ، كمن يمشق خيلاءه ومراميه .

يراوغهم بطان الأنفاظ ،

وقد حشاهما بمصطلحات الحرب حشوا ،

وفي النهاية

يرد على وسطائي التماسهم . قائلاً ، لأنني والله

سبق أن اخترت الضابط الذي أريده .

ومن هو هذا ؟

- ٢٠ إي والله ، رجل حسابات هائل
يدعى ميخائيل كاسيو . فلورنسيه
غلام تكاد الزوجة الحسناء تكون وبالا عليه .
لم يُنزل يوماً فصيلاً في ميدان ،
ولا يعرف من تنظيم الفرق في المعركة
أكثر مما تعرف امرأة عانس . فيما عدا حذلقه النظريات
التي بوسع المستشارين ان يتحدثوا فيها . وهم في أردبتهم ،
٢٥ بروعاً مثله . ثثرة محض ، دونما خبرة ،
هي كل عسكريته . ولكنه . يا سيدي . تم اختياره .
وأنا ، الذي رأى امتحاني بأَم عينيه
في رودس ، وفي قبرص . وفي مضامير أخرى
٣٠ مسيحية ووثنية ، يجب ان أحجب واهدأ
بهذا الدائن والمدين ، هذا الحاسب بالعداد .
وهكذا (ماشاء الله !) يصبح هو ملازمه ،
وأصبح أنا (تُخزى العين !) حامل علم سيادته المغربية .
٣٥ روهريغو : والله لكنت أفضل أن أكون جلاّده .
ياغو : لا علاج للأمر : انها لعنة الخدمة .
لا يجري الترفيع إلا بالمحاباة وكتب الوسطاء ،
لا بتدرج القدم . حيث يكون كل ثانٍ
خلفاً للاول . فاحكم بنفسك الآن يا سيدي
ان كنت أنا ملزماً عن أي إنصاف
بأن أحب المغربي .
٤٠ روهريغو : اذن ، ما كنت لأتبعه .
ياغو : آ ، صبراً ، سيدي .
أنا انما أتبعه لكي احقق فيه غايتي .
ليس لنا جمعياً ان نكون اسبادا ، ولا الأسياد جمعياً

(٥) كون كاسيو من غير أهل البندقية ، ورجلاً يتقن الحسابات (لأن أهل فلورنسا معروفون بالتجارة) لا فتون القتال ، يضيف إلى غضب ياغو ، العسكري المحترف .

- بإخلاص يُتبعون . لا بد أنك لاحظت
 ٤٥ الكثيرين ممن يتفانون ويشنون الرُّكْب
 مولعين بتخضيمهم وعبوديتهم .
 فيقضون العمر . كحميم سيدهم .
 لا لشيء الا العلف . وعندما يشيخون . يُرفتون .
 بالنسبة إليّ ، فليجلد هؤلاء الأوفياء : ثمة آخرون
 ٥٠ يرتدون من الواجب أشكاله ووجهه .
 ويُيقون قلوبهم في خدمة انفسهم .
 واذا لا يبدون لأسيادهم إلا مظاهر الخدمة .
 يُفلحون بهم . وعندما يملأون جيوبهم
 لا يكرمون إلا أنفسهم . هؤلاء فيهم شيء من روح .
 ٥٥ وأنا أعدّ نفسي واحداً منهم . وذلك يا سيدي .
 بقدر ما انت واثق من انك رودريغو .
 فاني واثق لو كنت أنا المغربي . لرفضت أن اكون ياغوه .
 وفي اتباعه . انما أنا أتبع نفسي .
 ولتشهد السماء عليّ . أنا لا اتبعه حباً وواجباً .
 ٦٠ بل متظاهرا بهما للمأربي الخاص .
 فاذا ما دُلل فعلي الخارجي
 على ما في قلبي من صميم الفعل والغاية
 بمسلك ظاهر . فلن يطول الزمان بي
 حتى ارتدى قلبي فوق رذني
 ٦٥ لينيش فيه كل غراب ... أنا لست ما أنا .
 رودريغو ما أغناه حظاً غليظ الشفتين . هذا
 اذ استطاع تحقيق ما أرادته هكذا .

(٥) أي ان ياغو هو دائماً نفسه ، ولن يخدم إلا مآربه هو . وفي كلامه . ضمناً ، انه باخلاصه لرودریغو ، إنما هو يخدم مآرب نفسه . غير انه يعلم ان ليس لرودریغو من الذكاء ما يجعله يدرك ذلك .
 (٥٥) لم يكن الاليزابيثيون يفرقون كثيراً بين أهل شمال افريقيا وبقية القارة : وكتابات معاصري شكسبير ملأى بإشارات من هذا النوع في وصف المغاربة .

- ياغو : ناد أباه ،
- ابقظه . - لاحقه . ، سمم هناءه ،
افضحه في الطرقات . أوغر صدور اقربائها ،
وإن يقم في أنصب أرض ،
عذبه بالذباب . ان يكن فرحه فرحاً ،
سلط عليه من متغيرات الازعاج
ما يُفقدّه بعض لونه .
- رودريغو : هنا بيت أبيها . سأناديه صانحاً .
- ياغو : افعل ، بنيرة راعية وصراخ رهيب
كما يفعلون عندما يبصرون عن غفلة . ليلا ،
نيرانا مندلعة في المدن المكتظة بالناس .
- رودريغو : اسمع يا برابانتيو ! سنيور برابانتيو اسمع !
ياغو : استيقظ يا برابانتيو ! لصوص . لصوص . لصوص !
انتبه لبيتك ، لابتك ، لأكياسك !
لصوص ، لصوص !
(برابانتيو يطل من نافذة)
- برابانتيو : ما الداعي لهذا النداء المخيف ؟
ما الأمر هناك ؟
- رودريغو : سيدي ، هل عائلتك كلها في الداخل ؟
ياغو : هل أبوابك مقفلة ؟
- برابانتيو : وفيم السؤال ؟
- ياغو : وجروح المسيح ، سيدي ، لقد نهوك ! عيب ! البس ثوبك !
قلبك انفجر ، وروحك فقدت منها نصفها !
الآن ، في هذه اللحظة عينها ، ثمة كبش اسود كبير
يطأ نعلتك البيضاء . انهض ، انهض !
ياغو : ياقوس المواطنين الغاطين في نومهم ،

(٥) الضمير هنا يعود إلى موضوع الحوار، أي عطيل.

- والأجعل الشيطان جداً منك .
اقول لك . انهض !
- برابانتيو : ماذا . هل فقدت عقلك ؟
رودريغو : سيدي المبجل . أتعرف صوتي ؟
برابانتيو : كلا . من أنت ؟
رودريغو : اسمي رودريغو .
برابانتيو : لا أهلاً ولا سهلاً !
- ٩٥
لقد نهيتك عن التسكع حول أبوابي .
وسمعتني أقولها بصدق ووضوح :
ابنتي ليست لك . والآن تأتيني مجنوناً ،
وقد امتلأت عشاءً وشراباً مززعزعا .
وتحداني حاقداً لتقلق راحتي .
- ١٠٠
رودريغو : سيدي . سيدي . سيدي -
برابانتيو : ولكن عليك أن تثق
أنني بارادتي ومكانتي قادر على
جعلك تتمرر لما فعلت .
- رودريغو : صبراً . سيدي الفاضل .
برابانتيو : ما الذي تقول به عن السرقة ؟ هذه مدينة البندقية !
أنظن بيتي مزرعة ؟
- ١٠٥
رودريغو : سيدي المحترم برابانتيو .
إني أجيئك بروح صادقة . مخلصاً .
- ١١٠
ياغو : وجروح المسيح ياسيدي . انك من قوم يرفضون خدمة الله اذا الشيطان
أمرهم بذلك . ولأننا جئنا لخدمتك وتحسيناً أجلاً ، سترضى لابنتك
أن يعلوها حصان بربري . سترضى لأحفادك أن يسهلوا لك . سترضى
لأن تكون الأفراس والخيول أبناء عمك وأقربائك .
- برابانتيو : ومن تكون انت أيها الثعلب الذي ؟
ياغو : أنا يا سيدي رجل جاء يخبرك ان ابنتك
والمغربي الآن يفعلان فعلة الوحش
ذي الظهرين .
- ١١٥

- برابانتيو : أنت نذل .
- ياغو : أنت - شيخ .
- برابانتيو : لأجملتك مسؤولاً عن هذا ، أعرفك يا رودريغو .
- ١٢٠ رودريغو : اجعلني ، سيدي ، مسؤولاً عما شئت ولكنني أتوسل اليك ،
 إن كان يحظى بقبولك وحكيم رضاك
 (وهذا بعض ما أراه) ان ابنتك الحسنة
 في منتصف الليل ، في ساعة الكرى هذه ،
 قد انتقلت ، لا يحرسها إلا حارس لا يتعدى بسوته أو فضله
 كونه غلاماً يستأجره الجميع ، صاحب جندول ،
 ١٢٥ إلى الاحضان الفاحشة من مغربي فاسق -
 ان كان هذا معلوماً مسموحاً به لديك ،
 فلقد أسأنا اليك تجرؤاً ووقاحة .
- ولكن ان كنت لا تدري به ، فان علمي باللباقة ينيهي
 ١٣٠ انك تمقنا عن خطأ . لا تحسب
 اني ، نقيضاً لكل كياسة ،
 استخف وأعبث هكذا بسيادتك .
 ان ابنتك (ان لم تكن قد أذنت لها
 اقولها ثانية) قد أتت عصياناً فاحشاً ،
 ١٣٥ اذ ربطت واجبها ، جمالها ، ذكاهها ، مقدراتها ،
 بغريب جوال هائم على وجهه
 هنا وفي كل مكان . اطلع بنفسك فوراً .
 فان كانت في مخدعها ، أو في منزلك .
 أطلق عليّ عدالة الدولة ،
 لأنني خدعتك هكذا .
- ١٤٠ برابانتيو : هيا ، اقدحوا النار !
 اعطوني شمعة ! ايقظوا قومي كلهم !
 هذا الحادث يشبه ما حلمت به ،
 وجعل تصديقه يثقل عليّ .
 ضياء ، يا قوم ، ضياء !

(ينسحب من النافذة)

- ١٤٥ **بـاعو** : وداعاً ، لأن عليّ أن أغادرك .
ليس لائقاً بي ولا مناسباً لمركزي
أن أستدعى شاهداً ضد المغربي -
وهذا ما سيحدث ان بقيت . لأنني أعرف ان الدولة ،
مهما أوجعته بكبح ما ،
لن تستطيع طرده وهي آمنة . فهو مُقلعٌ ،
١٥٠ لأسباب خاصة ، الى الحروب القبرصية
التي هي في هذه اللحظة جارية ، وليس لديهم
إنقاذاً لأرواحهم رجل آخر له قامته
لقيادة مهمتهم . ولهذا الاعتبار ،
رغم اني اكرهه كما اكره آلام الجحيم ،
١٥٥ لا بد ألي ، لضرورة عيشي الزاهن ،
أن أرفع علماً للحب وإشارة له ،
وما هما حقاً الا إشارة . للتأكد من العثور عليه
قَدْ المستنفرين للبحث عنه إلى حانة « القوس » ،
وهناك سأكون أنا بصحبته . اذن ، وداعاً !
(يخرج)
(يدخل برياتييو ، وهو في رداء الليل ،
ومعه خدم يحملون المشاعل .)
١٦٠ **برياتييو** : انه لشر أصدق مما كنت أخشى . لقد ذهبت .
وما تبقى له من عمر مقيت
لن يكون الا المرارة . والآن ، رودريغو ،
اين رأيتها؟ - يا فتاة نعمة ! -
مع المغربي ، تقول؟ - من يريد أن يكون أباً؟ -
١٦٥ كيف علمت أنها هي؟ - آه ، انها تخدعني

(٥) حانة لما لافتة رسم عليها «ساجيتاريوس» ، «النبال» وهو قنطور (نصفه الأعلى إنسان ، والأخر حصان)
يشد قوساً أمسك في وسطها بسهم . وهو يمثل أحد أبراج النجوم التي يطلق عليها العرب إسم
«القوس» .

أكثر مما ظننت ! - ماذا قالت لك ؟ - مزيداً من الشموع !

أنهضوا اقربائي كلهم ! - أعتقد أنهما تزوجا ؟

رودريفو : اني أجزم بذلك .

براباتييو : يا للسماء ! كيف خرجت ؟ يا لخيانة الدم !

١٧٠

أيها الآباء ، منذ الآن ، لا تتقوا بقول بناتكم ،

بل بما ترونهن يفعلن . اليس هناك رق

لتضليل طبيعة الشباب والعداري ؟

الم تقرأ يا رودريغو عن أمر كهذا ؟

١٧٥

رودريفو : بلى ، يا سيدي ، حقاً قرأت .

براباتييو : ناد أخي . - آه ، ليك أخذتها أنت ! -

البحض في هذا الطريق والبحض في ذاك . - اتعلم

أين عسانا نلقي القبض عليها وعلى المغربي ؟

رودريفو : أظن أن بوسعي أن اكشفه ، اذا تفضلت

١٨٠

باستصحاب حرس قوي وراققتني .

براباتييو : أرجوك سر بنا وسأنادي عند كل باب .

لي ان آمر أناحاً في معظم المنازل . - يا قوم تسلحوا !

واستنفروا بعض عُسُ الليل . -

هيا ، يا رودريغو الطيب . سأكون اهلا لأتعايبك .

(يفرجون)

المشهد الثاني

أمام حانة القوس

(يدخل عطيل ، ويأغو ، ومرافقون يحملون المشاعل) .

يأغو : لئن اكن في صناعة الحرب قد أردت رجالا ،

فإنني أعتبر من مبادئ الضمير

ألا آتي القتل المدبر . إني أفقد أحيانا

شيمة الظلم في خدمتي . لقد خطر بيالي

تسع مرات أو عشراً أن أطمئه هنا ، تحت الضلوع

عطيل : الأفضل أن يبقى الأمر على ما هو .

يأغو : ولكنه راح يلغو ،

ويتقول بكلام مشين مستفز

طمعنا بشرفك ،

حتى وجدتني بما في من قليل التعفف

لا أكف يدي عنه الا بأشد المشقة . ولكن ، ارجوك سيدي ،

هل تزوجت شرعا ؟ تأكد

ان الشيخ الأكبره محبوب جداً ،

وان لصوته قدرة على تنفيذ مشيئته -

فصوته باثنين ، كصوت الدوق . سيطلقك ،

(٥) بقصد برابانتيو .

١٥

أو يفرض عليك من العرائق والمنغصات
ما يسمح به القانون ، بأشد ما
بوسعه أن يستغلّه .

عطيل : ليفعل ما شاء له حقه .

فالخدمات التي قت بها للدولة
ستعلو لساناً على شكواه . انهم يجهلون
ما سوف أذيعه ساعة أوقن
أن في التباهي شرفاً لي وهو أنني
استمد حياتي وكياني

٢٠

من أسرة ملكية السدة . وأن مزايي
بامكانها أن تخاطب . والرأس عالٍ . هذه المصاهرة السامية
التي أدركتها . فاعلم يا ياغو .

٢٥

انتي لولا حبي دزديمونة الكريمة
لما اقمحت حربي الطليقة
داخل طوق وحدود . ولو أعطيتُ
ثروات البحر كلّها .

ولكن انظر أي أنوار قادمة هناك .

ياغو : هؤلاء هم الأب وصحبه المستفرون .
الأفضل لك أن تدخل .

٣٠

عطيل : أبدأ . أريدهم أن يلقوني .

أفعالي . ولقي . وروحي النقية
ستبررني عن حق . هل هؤلاء هم ؟

ياغو : لا والله . لا أحب انهم هم .

(يدخل كاسيو . وضباط يحملون المشاعل) .

عطيل : أخدم الدوق ؟ وملازمي ؟

٣٥

سلام الليل عليكم ، ايها الصحب !
ما الخبر ؟

كاسيو : ان الدوق يحييك

أيها القائد ،
ويطلب اليك المتول بين يديه بأسرع السرعة ،
على الفور .

عطيل : وما الأمر ، فيما تظن ؟

كاسيو : تخميني أنه أمر ما من قبرص ،

٤٠

له بعض الشأن . فقد أرسلت البوارج

عشرة رسل أو أكثر تبعاً

هذه الليلة ، على أعقاب بعضهم البعض .

والعديد من المستشارين أوقفوا واجتمعوا ،

وهم الآن عند الدوق ، وقد أرسلوا في طلبك حالاً ،

٤٥

وحين لم يجدوك في منزلك ،

أرسل مجلس الشيوخ ثلاث فرق مختلفة

تبحث عنك .

عطيل : من الخير أنكم وحدثتموني .

لي كلمة أقولها في هذا المنزل ،

ثم اذهب معكم .

كاسيو : يا حامل العلم ، ما الذي يفعله هنا ؟

٥٠

يساغو : والله لقد اتحتم هذه الليلة سفينة برية .

فاذا تبين انها غنيمة مشروعة ، فقد أثرى إلى الأبد .

لا أفهم .

يساغو : تزوج .

كاسيو : ممن ؟

(يدخل عطيل)

يساغو : والله من - هلم أيها القائد . أذهب ؟

عطيل : هيا .

كاسيو : هذه جماعة أخرى جاءت تبحث عنك .

(يدخل برابانتيو ، وروديغو ، وضباط يحملون المشاعل والأسلحة)

- ٥٥ **ياغو** : انه براباتيو . حاذر أيها القائد
لقد جاء يقصد السوء .
عطيل : يا أنتم ! قفوا مكانكم !
رودريغو : سيدي ، انه المغربي .
براباتيو : فليقط اللص !

(يشهر الفريقان السيوف)

- ياغو** : انت ، رودريغو ! تعال ياسيدي . انا لك ه !
عطيل : اغمدوا سيوفكم اللامعة ، والآن أصدأها الندى .
٦٠ **يا سيدي الكريم** ، سنك أوقع امرأ
من اسلحتك .
براباتيو : انت يا لصاً بذيئاً ، أين أخفيت ابنتي ؟
أنت الملعون . لقد سحرتها !
لأنني سأسأل كل من يملك رشده
٦٥ لو انك لم تقيد ابنتي بأغلال من السحر
هل يعقل أن صبيةً مثلها رقيقةً . حسناء . سعيدة .
تصد عن الزواج . متحاشيةً
كلّ عزيزٍ ثوي مرسل الشعر من امتنا .
ومن ثم تطلب ان تغدو اهزوة الجميع .
٧٠ فتهرب من حُمانها إلى أحضان مخلوق
أسخم مثلك - ليفزعها . لا ليتمتعها ؟
وليحكم العالم : أو ليس من المعقول المظاهر
انك كدت لها بيديء الحروز والرقي
واحتلت على شبابها الغض بعقاقير أو معدنيات
٧٥ توهن الادراك ؟ . أني أطرح الأمر للنقاش .
فهو محتمل . بل محسوس لمن يفكر .
ولذا فانتني القي القبض عليك واحترزك .

(٥) يتفرد ياغو برودريغو، في الواقع، لا ليقتله، بل حفاظاً عليه من الآخرين، لأن «كيس» رودريغو تحت تصرف ياغو. وعلى المخرج ان يتنبه إلى ذلك - ويبرزه عند التمثيل.

- متنبأً أبالك بأنك تخدع العالم . وتمارس
فنوناً محرمة . خارجة على الشرع والقانون .
- ٨٠ امسكو به . واذا قاوم
أخضعوه ولو لقي الأذى .
كفوا أيديكم . **عطيل**
- كلا الطرفين . من هم معي ومن هم علي .
لو جاء دوري للقتال . لعرفته
دون ملقن . اين تريدني أن اذهب
لأدفع عني تهمتك ؟
- ٨٥ **برابانتيو** : إلى السجن . إلى ان يحين الوقت الملائم
للقانون وجلسة المحاكمة
فتدعى للجواب .
عطيل : وماذا لو أطلعت ؟
كيف سيرضى الدوق بذلك .
وهؤلاء رسله حولي
- ٩٠ يطلبوني اليه في مهمة آنية للدولة ؟
هذا صحيح . سيدي المبحل .
ضابط : فالدوق في الاجتماع . وانا واثق أنه
أرسل في استدعائك .
برابانتيو : ماذا ؟ الدوق في الاجتماع ؟
في هذا المزيج من الليل ؟ خذوه معنا !
- ٩٥ قضيتي ليست غير ذات شأن . والدوق نفسه
أو أي من إخواني في الدولة
سيشعر ولا ريب كأنما هذا الاثم اقترب بحقه .
فأفعال كهذه ان سمح لها بحرية العبور
فلن يصبح رجالات دولتنا الآ الاقتانُ وعبدة الاوثان .
(يخرجون)

المشهد الثالث

قاعة مجلس الشيوخ

(يدخل الدوق والشيوخ ، ويجلسون إلى منضدة ، مع الانوار والمرافقين
والحشم)

الدوق : هذه الأنباء لا تماسك فيها
يجعلها صادقة .

شيخ أول : حقاً إنها تتباين بأرقامها .

رسائلي تقول : مئة وسبعة مراكب .

الدوق : ورسائلي تقول : مئة وأربعون .

شيخ ثان : ورسائلي تقول : مئتان .

ولكن ان لم تتفق عند التدقيق

(اذ في هذه الحالات عندما تُبنى التقارير على التخمين

فان الفروق في الأغلب واقعة بينها) فانها كلها تؤيد

ان ثمة أسطولا تركيا ، وانه متوجه إلى قبرص .

الدوق : أجل ذلك جد ممكن ، ادراكا .

فأنا لن أجعل من الخطأ ما يطمئني .

بل إني اصدق المحتوى الأساسي

بمعنى يشير المخاوف .

بَعَار (من الداخِل) يا قوم ! يا قوم ! يا قوم !

(يدخل بَعَار)

- ضابط : رسول من المراكب .
- السدوق : ها ، ما الأمر؟
- بَحَار : التبريات التركية متجهة نحو رودس :
- ١٥ هذا ما أمرني السييور آنجيلو .
بإبلاغ الدولة .
- السدوق : ماقولكم بهذا التغيير؟
- شيخ أول : أي إعمال للعقل يثبت
- ان هذا غير صحيح . ليس هذا الا عرضا
- ٢٠ لايقائنا في تطلع خاطئ . عندما ننظر في
أهمية قبرص للاتراك
وتفهم أنفسنا ذلك ،
اذ أنها تهّم الاتراك أكثر من رودس ،
ويستطيعون احتلالها بعنتٍ أقلّ
لأنها ليست مثلها في وضع عسكري متحفز
وتعوزها كليا الوسائل التي
- ٢٥ تتحلّى بها رودس - اذا تأملنا في ذلك ،
وجب علينا الا نحسب أن الاتراك من الغفلة
بحيث يتركون حتى النهاية ما هو أول مهمّهم
فيملون محاولةً سهلةً رابحة ،
ليجازفوا بخطر لا طائل تحته .
- السدوق : أجل ، اني واثق أنهم لا يبقون رودس .
- ضابط : هنا المزيد من الأنباء
- (يدخل رسول)
- رسول : ايها الكرام المجلّون ، ان العثمانيين
- ٣٥ بعد أن ابحروا رأساً باتجاه جزيرة رودس ،
انضمّوا هناك إلى أسطول ثانٍ .
- شيخ أول : نعم ، كما فكّرت . كم سفينة ، في تخمينك ؟
- رسول : ثلاثون سفينة . وهي الآن تبحر

باتجاه العودة . قاصدة بمظهر صريح

جزيرة قبرص . ان السينيور مونتانو .

٤٠

خادمكم الأمين الباسل .

يؤكد إخلاصه لكم طائعا .

ويرجوكم ان تصدقوه .

السدوق : تأكدنا اذن انهم يقصدون قبرص .

ماركوس لوتشيكوس . أليس هو في المدينة؟

٤٥

شيخ أول : إنه الآن في فلورنسا .

السدوق : اكتبوا اليه متاً . مع اسرع الرسل .

(يدخل بربانتيو . عطيل . كاسيو . ياغو . رودريغو . وضباط)

شيخ أول : ها قد جاء بربانتيو والمغربي الباسل .

السدوق : عطيل الباسل ! علينا في الحال ان نستخدمك

ضدّ العدو العثماني . عدو الجميع .

٥٠

(لربانتيو) لم المحلك ! مرحبا بك أيها السيد الكريم .

لقد افتقدنا مشورتك وعونك الليلة .

ربانتيو : كما افتقدت أنا مشورتكم وعونكم . أرجو العفو من فخامتكم .

لا منزلتي . ولا ما سمعت به من أمر .

هو الذي انهضني من فراشي . ولا هو همّ الجميع

٥٥

يملك علي نفسي . لأن حزني الخاص

قد فاض وطفى حتى

التهم الأحران الأخرى كلها .

وما زال على حاله .

السدوق : عجباً . ما الأمر؟

ربانتيو : ابنتي ! آه . ابنتي !

الكل : ماتت ؟

ربانتيو : أجل . بالنسبة اليّ !

٦٠

لقد غرر بها . وسرقت منّي . وأفسدت

برقيّ وعقاقير يبيعها الدجالون .

فأن تركب الطبيعة الشطط على هذا النحو الفاضح ،
دون أن تكون ناقصة ، أو عمياء ، أو عرجاء الإدراك
امرٌ مستحيل بغير السحر .

٦٥

الدوق : مهما يكن هذا الذي خدع ابتك

عن نفسها بهذا النهج الذميم ،
وحرملك منها ، فان كتاب القانون الدموي •
ستفسره أنت بالحرف المر الواحد
كما تفهمه أنت . نعم ، حتى ولو كان ولدنا
هو المتهم في قضيتك

٧٠

برابانتيو : بكل تواضع أشكر فخامتكم .

هذا هو الرجل - هذا المغربي ، الذي يبدو
انكم الآن استحضرتموه بأمر خاص ،
في شؤون الدولة .

الكل : يوسفنا ذلك جداً .

الدوق : (لعطيل) وما الذي تقوله انت عن نفسك ؟

٧٥

برابانتيو : لاشيء ، سوى ان الأمر كذلك

عطيل : أبها الشيخ الأقوياء ، العقلاء ، الموقرون ،
يا سادتي النبلاء الذين عرفت فيهم الطيبة دوما ،
أما أنني قد أخذت ابنة هذا الشيخ .
فصحيح جداً . وصحيح أنني تزوجتها .

٨٠

وأقصى إساءتي انما

يبلغ هذا المدى . لا أكثر . خشنٌ كلامي انا .
وما وهبته من لغة السلم الناعمة جداً قليل .
فند أن اجتمعت في ذراعي هذين خلاصة سبع سنوات
إلى ما قبل انقضاء تسع دورات للقمر . لم يُعملا
جهدهما إلا في الميدان المحيّم .

٨٥

قليل ما أستطيع قوله عن هذه الدنيا

(٥) كان عقاب السحرة الاعداء ، شقاً أو حرقاً ، في معظم أنحاء أوروبا لقرون طويلة .

بما تعدى علاقته بانجازات القتال والمعركة .
ولذا فاني أكاد لا أحسن لقصبي
إن أنا تحدثت دفاعاً عن نفسي . ولكن اذا منحتموني
جميل صبركم

٩٠ فاني سأسرد حكاية كلِّ ما أتيتُه
من أمور الحب ، ببساطة ودونما تنميق -
حكاية العقاقير والرُّقى
والسحر الباطش والتعازيم التي
غنمت بها ابنته - لأنني انما
بانتهاج هذا السبيل متم .
عذراء حيَّه أبداً ،

برابانتيو :

٩٥ ساكنة الروح ، وديعُتها . حتى لتحمرُّ خجلا
من عواطفها - واذا هي ، رغم الطبيعة .
والسن ، والتصديق ، رغم كل شيء .
تقع في غرام من كانت تفرع من النظر اليه !
انه لحُكْمٌ مبتور شديد النقص
في من يُبرِّءُ بأن الكمال قد يشط هكذا
ضد قواعد الطبيعة كلها . فيضطرُّ المرء
إلى البحث عن مكابد جهنمية المكر
في تأويل ذلك . ولذا فاني أؤكد ثانية
أنه سيطر عليها بمزيج ما .
يتحكم بالدم والهوى .

١٠٥ أو شرابي ما مشحون بالتعازيم .

السدوق :

ليس الاصرار على هذا ببرهان .
دونما أدلة أشد وضوحاً وأكثر وثوقاً
من هذه الألبسة الرقيقة والاحتمالات الواهنة
التي تكسو الظواهر العادية . والموجهة ضده .
ولكن ، تكلم يا عطيل .

شيخ أول :

١١٠ هل أخضعت وسَمَّت عواطف هذه الصبيَّة

بوسائل ملتوية قاهرة ؟
أم أن الذي جرى قد تمّ بالرجاء وجميل السؤال
مما تيسره الروح للروح ؟

عطيل : أتمس اليكم

١١٥ ان ترسلوا في طلب السيدة من حانة القوس «
ودعوها تتحدث عني أمام أبيها .
فاذا وجدتموني آتما في روايتها
فإبني اتوسل اليكم لا أن تنزعوا عني
الأمانة والوظيفة فحسب . بل ليقع حكمكم
حتى على حياتي .

١٢٠ السدوق : احضروا دزديمونة هنا

عطيل : يا حامل العلم ، كن دليلهم . انت أدري بالمكان .

(يخرج ياغو واثان أو ثلاثة من المرافقين)

وريشما تأتي ، فإني كما أصدق للسساء

بالاعتراف بنواقص طبيعتي ،

هكذا سأسرد بدقة ، لأذانكم الموقرة ،

كيف افلحت في حب هذه السيدة الحسنة

وكيف الملتح هي في حبي .

السدوق : قل ، يا عطيل .

عطيل : كان والدها يحييني ، وكثيراً ما يستضيفني .

ويسألني دوما عن قصة حياتي

١٣٠ من سنة إلى سنة - وما رأيت

من معارك ، وحصارات ، وتقلبات .

فرويت له كل شيء ، منذ أيام الصبي

حتى اللحظة التي طلب فيها اليّ الكلام .

فتحدثت عن نوازل جد رهيبة ،

١٣٥ وأحداث مثيرة من فيضانات وحروب :

عن النجاة مراراً بقيد شعرة من الثغرة المهتدة بالتهلكة ،

عن وقوعي أسيراً في يد العدو الوقح

- الذي باعني عبداً . وكيف افتديت بعد ذلك .
وما فعلته في أيام تجوالي وترحالي ،
فاتيح لي الحديث عن كهوف هائلة وصحارى خاوية .
١٤٠ عن مقالع وعرة وصخور .
وشواهد تلامس رؤوسها السماء --
هكذا كانت . حكايتي .
وعن أكلة البشر الذين يلتهم بعضهم البعض .
والانثروبوجين . . واناس تطلعُ
١٤٥ رؤوسهم من تحت اكتافهم . بسماع هذا كله
شُغفت بـ دزيمونة .
غير أن شؤون المنزل كانت بين الحين والحين
تشغلها عني .
فتفرغُ منها بأعجل ما تستطيع .
لتعود من جديد . وبأذن نهمة
١٥٠ تلهم حديثي . وأنا عندما لحظت ذلك .
اغتنمت ساعة مواتية . تمكنت فيها
من أن استخرج منها رجاء من القلب
بأن أسرد عليها حكاية ترحالي كلها بتفصيل .
بعد ان كانت قد سمعت منها نفا
١٥٥ دونما تركيز . ووافقت أنا .
وكثيراً ما استدررت دمعها
وأنا أروي لها عن هذه النكبة أو تلك
مما حلّ بي في شبابي . وكلما انتهت حكايتي
كأفأنتي على أتعابي بوابل من التهنيدات .
١٦٠ وراحت تقسم قائلة إنها غريبة . في منتهى الغرابة .

(٥) كلمة يونانية الأصل تعني «أكلة لحوم البشر» . وتستعمل هنا كأن عطيل يقصد بها قوماً معينين في منطقة معينة .

- إنها مؤسبة ، في غاية الأسي ،
 وتمنت لو انها لم تسمعها ، ولكنها تمتت
 لو ان السماء جعلتها رجلاً مثلي . لقد شكرتني ،
 وطلبت اليّ إن كان لي صديق يحبها
 أن أعلمه كيف يروي قصتي
 فيكسب بذلك ودها . فاعتنمت تلك الفرصة ،
 وتكلمت .
- لقد أحبتني لما عرفتُ من مخاطر .
 وأحببتها لأنها أشفقت عليّ منها .
 هذا هو السحر الوحيد الذي استخدمته .
 وها هي السيدة قادمة . فلتشهد على ذلك .
- (تدخل دزديمونة . وياغو . والمرافقون)
 السدوق : لعمرى ان هذه الحكاية لكانت تكسب ودّ ابنتي أنا أيضاً .
 يا برابانتيو الكريم .
 خذ هذه القضية المضطربة بحلمك .
 فالتاس يؤثرون استعمال أسلحتهم المكسورة
 على استعمال ايديهم الجرداء .
- برابانتيو : أرجوكم ، اسمعوا .
 فاذا اعترفت بأنها قامت بشقّ من الغزل .
 فليزّل بي الدمار لأنني انزلت شكواي الظالمه
 بهذا الرجل . تعالي هنا . ايها الفاضلة .
 هل ترين من هو الذي . بين هؤلاء الكرام جميعاً .
 تدنين له بأكثر الطاعة ؟
- دزديمونة : أبي الكريم .
 ابي أرى هنا واجباً موزعا .
 لك أنت . أنا مدينة بحياتي وتربيتي .
 وحياتي وتربيتي كلتاها تلقناني
 كيف احترمك . انك سيد الواجب .

- ١٨٥ وإلى هنا أنا ابتك ... ولكن هنا زوجي .
 وبقدر ما أبدت لك أُمي من واجب
 إذ آثرتك على أبيها ،
 فإني أعلن حقي بأن اعترف
 بواجبي للمغربي سيدي
 برايسانتيو : استودعكم الله ! لقد انتهت .
- ١٩٠ تفضلوا فخامتكم بالانصراف إلى شؤون الدولة !
 ليتني تبنيت ولدا ، لا من صليبي استولده !
 يا مغربي ، تعال هنا .
 أني أهبك من قرارة قلبي
 ماكنت من قرارة قلبي سامنعه عنك
 لولا أنك حصلته وانتهت . (لابته) ومن أجلك ،
 يا جوهرة ،
- ١٩٥ تفرح نفسي ، لأن ليس لي غيرك من ولد
 لكان هربك يعلمني الطفيان
 فأوثق اولادي بالقيود . سيدي ، انتهت .
 دعني أتكلم كما لو كنتُ أنا انت ، وانطق بحكمة
 السدوق : قد تتقدم بهذين العاشقين خطوة
 نحو رضاك .
- ٢٠٠ إذا ما فات الدواء ، انتهت الأحران
 برؤية الأسوأ الذي كان من قبل موضع خوف أو رجاء .
 وما البكاء على بليّة إذا مرّت وانتهت
 إلا أقرب السبل إلى الجديد من البلاء .
- ٢٠٥ إذا عجزنا عن حفظ ما يأخذه الدهر منا
 بصبرنا نجعل هزءاً من اذاه .
 المسلوب إذا ابتسم يسرق من السارق شيئاً ،
 ويسلب نفسه من يفتق حزنا دون جدوى .
 برايسانتيو : إذن فلندع الأثرارك يسلبون قبرص منا
 فنحن لن نفقدوها ما دام بوسعنا أن نبسم !
- ٢١٠

- ٢١٥ ما أجمل ما يتحمل الحكيم من لم يحتمل شيء سوى
عزاءٍ بغير همٍّ ، يسمعه من الحكم !
لما الذي عليه أن يستدين من فقير الصبر ليدفع للشجن ،
فانه يتحمل معاً الأحزان والحكم .
أقوال الحكمة هذه إذ تُحلي أو تمرمر ،
لقدرتها وجهان ، وتحوي النقيضين .
- ٢٢٠ ما الكلمات إلا كلمات . فانا ما سمعت يوماً
أن جراح القلب التامت عن طريق الأذن .
أرجوكم الآن ، عليكم بشؤون الدولة .
السدوق : ان الأتراك يتجهون نحو قبرص بأعظم العدد .
وقوة الموقع ، أنت يا عطيل ، خير من يعرفها .
- ٢٢٥ لأن يكن لنا هنا وال معترف له جدا بالكفاءة
فان الرأي العام ، وهو السيد الذي يتحكم بالنتائج ،
يصوت بأنك أنت الآن في مكانه .
ولذلك عليك أن ترضى
بأن تنال هذه الحملة الهوجاء الضارية
من بريق ما استجدت في حياتك .
- ٢٣٠ عطيل : لقد جعلت العادة المستبدة ، أبها الشيوخ الميجلون ،
من سرير الحرب بفولاده وصورانه
فراشي الناعم الريش والزعب . واني لأنبيئ
أني أجد في المشاق حافزا
فطريا وعفويا ، وأتمهد بقيادة
هذه المارك الراهنة ضد العثمانيين .
- ٢٣٥ ولذلك فاني بكل تواضع وانصياع لسلطتكم
أرجو منكم ترتيباً ملائماً لزواجتي ،
وتعيين مسكن ومخصصات
نهيبى لها الراحة اللائقة
على المستوى الذي نشأت عليه .
السدوق : إذا أردت ،

- ٢٤٠ فليكن ذلك في دار أبيها .
 برايسانتيو : لن أوافق على ذلك .
 عطيل : ولا أنا أوافق .
 دزديمونة : ولا أنا . لن أقيم هناك .
 فألق أفكار أبي
 لأنني أمام عينيه . أيها الدوق الكريم .
 أعر أذنا راضية لما سأقول .
 عسى أن القى في تأييدك دعما
 يعينني في بساطتي .
- ٢٤٥
 السدوق : ما الذي تبغين . يا دزديمونة ؟
 دزديمونة : أما انني قد أحببت المغربي لأعيش معه
 فان عنفي الصريح واقتحامي لمصيري
 سيصدحان به كالأبواق للعالم . لقد عنا قلبي
 حتى لمزجة سيدي .
 اني رأيت محيا عطيل في فؤاده .
 فكركستُ روحي ومصيري
 لجرىء أفعاله وكل ما يرفع من شرفه .
 فإذا تركت وحدي . أيها السادة الأعزاء .
 فراشة سلم وهو للحرب قد مضى .
 فانني أحرم الحقوق التي من أجلها أحبه .
 ولسوف أعاني رداً من الهم والأسى
 لغيابه العزيز عني . دعوني أذهب معه .
- ٢٥٠
 عطيل : امنحوها أصواتكم . أرجوكم يا سادتي .
 ولتشهد السماء اني لا ألتمس هذا
 ارضاءً لحلق لداذني .
 أو انصياعاً لدواعي الشهوة وتمتيع نفسي -
 فسبق الشباب فيّ قد خبا -
 بل سخاءً حرّاً تجاه امنيتها .
- ٢٦٥
 ووفى الله أرواحكم الكريمة من أن تظنوا

- أنني سأقصر في مهمتكم الخطيرة الكبرى
لأنها برفقتي . لا ! فان تغمض خفاف الريش
من ألاعب كوييد المفتح عين بصيرتي
عن مهماتها بوقر المدجون ،
فيضير لهوي عملي ويفسده ،
فلتجعل ربّات البيوت مقلّة من خوذتي
ولتجتمع نوازل الشين والعار
جيشاً على سمعتي !
- ٢٧٠
- ٢٧٥
- السدوق :** وليكن كما ستقرر أنت بينك وبين نفسك ،
إما أن تبقى أو تذهب معك . القضية تصرخ بنا
مستعجلة ، وما الجواب عليها إلا السرعة .
عليك بالرحيل هذه الليلة .
- فديمونسة :** هذه الليلة ، سيدي ؟
- السدوق :** هذه الليلة .
- عطيل :** من كل قلبي .
- السدوق :** في التاسعة صباحاً سنجتمع هنا ثانية .
- ٢٨٠
- عطيل ، أترك وراءك ضابطاً
يحمل اليك أمرنا بتعيينك ،
مع غيره مما يتعلّق بمنزلك وقدرك
وله أهميته لك .
- عطيل :** حامل علمي ، ان تفضلتم فخامتكم .
إنه رجل شريف وأمين ،
واجمل زوجتي في سفرها برفقته ،
مع أي ضروري آخر تفكّرون فخامتكم
بإرساله بعدي .
- ٢٨٥
- السدوق :** وليكن هكذا .
طابت ليلتكم جميعاً . (ليرابانتيو) أيها السيد النبيل ،
إذا الفضيلة لم يعوزها من الجمال ممتعة

٢٩٠

فان صهرك جميلٌ أكثرُ منه أسودَ بكثيرٍ .

شيخ أول : وداعاً ، أيها المغربي الشجاع ، عامل دزيمونة بالحسنى .

براباتييو : اتبه لها ، يا مغربي ، ان كانت لك عينان تبصران .

أبوها خدعته ، ولربما أنت أيضاً خدعتك !

(يخرج الدوق والشيوخ والضباط .. الخ)

عطيل : بحياتي أراهن على اخلاصها : ياغو الأمين ،

٢٩٥

عليّ أن أدع. دزيموتي في عهدتك .

أرجوك أن تجعل زوجتك مرافقة لها

وجئ بهما عند افضل فرصة مواتية .

تعالي ، دزيمونه . ما عندي إلا ساعة واحدة

للحب ، والتوجيهات ، وأمور دنيانا ،

٣٠٠

أقضيها معك . علينا أن نطبع طارئة الزمن .

(يخرج عطيل ودزيمونة)

رودريغو : ياغو !

ياغو : ماذا تقول ، يا قلب النبل ؟

رودريغو : ماذا افعل ، في رأيك ؟

ياغو : اذهب إلى فراشك ونم .

٣٠٥

رودريغو : بل اني سأغرق نفسي في الحال .

ياغو : والله ان فعلت ، فلن أحبك أبداً بعدها ! لا تكن سخيفاً !

رودريغو : السخف هو أن يعيش المرء والعيش عذاب . وعندنا لنا الحق في الموت

٣١٠

اذا كان الموت طبيئنا .

ياغو : يا للعيب ! لقد نظرت إلى الدنيا ثماني وعشرين سنة . ومنذ ان جعلت

امير بين المغنم والأذى ، لم ألق يوماً أحداً يعرف كيف يحب نفسه . قبل

أن أقول سأغرق نفسي من أجل فرخة حبشية لكنت أفضل أن استبدل

٣١٥

إنساني بقرد .

رودريغو : ماذا أفعل ؟ اعترف ان من العار أن أجن حياً هكذا . ولكن ليس

بوسمي أن أصلح ذلك .

ياغو : بوسحك؟ هراء! انما نحن في انفسنا نكون كذا أو كذا
 ٣٢٠ أجسامنا بساتيننا، والبساتيون فيها إرادتنا . فإذا أردنا أن نزرعها بالقراص
 أو نذرنا بالخس ، نُبقي على الرّوفي ونجث الزعتر، نقصرها على نوع
 واحد من النبات أو نوزعها على أنواع - نصيبها بالعقم كسلا أو نمرعها
 ٣٢٥ بالخصب كذا - فان الطاقة والقدرة على التصحيح قائمتان في إرادتنا .
 فإذا لم يكن في ميزان حياتنا كفة واحدة للعقل توازن كفة الشهوة ، فان
 حقارات الدم في طبيعتنا تؤدي بنا إلى أشنع النتائج . غير أن لدينا العقل
 لتبريد نزواتنا اللاهبة ، ونوازعنا الجسدية ، وشهواتنا غير الملجئة - وهذا
 الذي تدعوه بالحب إنما أراه قلامة أو فسيلة من ذلك كله .

روديوغو : مستحيل !

ياغو : إن هو إلا إحدى شهوات الدم وإباحات الإرادة . كن رجلاً ، يا
 هذا ! أتفرق؟ اغرق القطط والجراء العمياء ! لقد اعترفت بأنني
 صديقك ، وأقرّ بأنني مشدود إلى جدارتك بحبال متينة لا تنفصم .
 وما بوسعي أن أخدمك يوماً أفضل من الآن . ضع نقودا في محفظتك .
 ٣٤٠ الحق بهذه الحروب ، امسخ وجهك بلحية مفتتحة . أقول لك :
 ضع نقودا في محفظتك . لا يمكن لدزديمونة أن تديم حبها طويلا
 للمغربي - ضع نقودا في محفظتك - ولن يمكنه أن يديم هو حبه
 لها . كانت بداية عنيفة ، وسترى غرقاً بعنف يضاهاها . ولكن ضع نقودا
 ٣٤٥ في محفظتك . هؤلاء المغاربة متقلبون في أهوائهم . املاً محفظتك
 نقودا . هذا الطعام الذي يستعذبه الآن كالجراد . . سيغدو له عما
 قريب مرّاً كاللحم . لا بد أن تستبدله هي بالشباب . عندما تُنخم
 بجسده ، سترى الخطأ في اختيارها . لا بد لها أن تستبدله ، لا بد .
 ٣٥٠ ولذلك ، ضع نقودا في محفظتك . وإذا أردت ان تودي بنفسك ،
 فافعلها بطريقة ألطف من العرق . اجمع كل ما لديك من نقود . وإذا
 ٣٥٥

(٥) كان معظم الجنود يربون لحاهم . فالمنى هنا مجازي ، يقصد به ياغو : صر جندياً ولو نظاهراً .
 (٥٥) أغلب الظن ان الاشارة هنا إلى يوحنا الذي كان يقاتل على الجراد والعمل .

لم تكن القدسيّة والعهد الواهي بين بربري رحأل وامرأة بندقية عميقة
الدماء ، ليشقاً على ذكائي وكل من في جهنم من عشيرة . فانك لسوف
تستعج بها . ولذلك ، اجمع نقودك . دعك عن اغراق نفسك : الأمر
غير وارد قطعاً . بل لكان الأفضل لك لو تشتت تحقيقاً للذئك . من أن ٣٦٠
تفرق وتروح بدونها ...

رودريغو : وهل ستلتزم بأمالي . ان أنا اعتمدت على النتيجة ؟
ياغو : انت واثق مني . اذهب . وجمع النقود . لقد قلتها لك مراراً . وأعيد
قولها مرة بعد أخرى : انني اكره المغربي . قضيتي عميقة في قلبي . ٣٦٥
وقضيتك لها أسباب لا تقل عمقا . فلتتأزر معاً في انتقامنا منه . فاذا
استطعت ان تركب له قرونا . أوجدت متعة لنفسك ولهوأ لي . ان في
رحم الزمان أحداثاً كثيرة لا بد لها من ولادة . إلى الامام . سر ! ٣٧٠
إذهب ! أحضر نقودك . وإلى المزيد من هذا غدا . وداعاً !

رودريغو : أين نلتقي في الصباح ؟
ياغو : في مسكني .
رودريغو : سأبكر اليك .
ياغو : هيا . استودعك . - رودريغو أسمع ؟
رودريغو : ماذا تقول ؟
ياغو : لا حديث عن الفرق بعد الآن . اسمع ؟
رودريغو : لقد تغيرت . سأذهب وأبيع أراضي كلها .
ياغو : هيا . استودعك ! ضع ما يكفي من النقود في محفظتك . ٣٨٠

(يخرج رودريغو)

هكذا أجعل بهلولي محفظتي !
لكنك أدنس ما كسبته من معرفة
لو أنني قضيت الوقت مع سخييف كهذا
الا للهوى وفائدتي . اني اكره المغربي .
لقد دار بين الناس أنه بين شراشفي
أدى مهمتي . لست أدري أصحيح هذا ،
ولكنني لمجرد الريبة في أمر مثله

٣٨٥

- سأتصرف كأنني موقن به . هو يحسن الظن بي ،
 مما يسهل غايتي فيه ...
- ٣٩٠ كاسيو رجل وسيم . فلأر الآن :
 كيف أحصل على مكانه ، فأحقق مشيتي وأزهوها
 بنذالة مزدوجة . كيف ؟ كيف ؟ لئز .
 بعد قليل ، سأخدع أذن عطيل
 بأن الكلفة بين كاسيو وبين زوجته مرفوعة بأكثر مما ينبغي .
- ٣٩٥ فهو له من الشخصية ونعومة الخطاب
 ما يثير الشكوك - ولقد صيغ لدفع النساء ، إلى الخيانة .
 والمغربي سمح الطبع ، صريحه ،
 يحسب الناس شرفاء لمجرد انهم يبدون كذلك ،
 هو لئز الانقياد من أنفه .
 كالحمير .
- ٤٠٠ وجدتها ! لقد تمّ الحبل ، وعلى جهنم والليل
 أن يستولدا هذا الوحش لرابعة النهار !
 (يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول *

مرفاً في قبرص . مكان مكشوف قرب الرصيف

(يدخل مونتانو وسيدان)

مونتانو : ما الذي تستطيع تبينه في البحر من الرأس ؟

سيد ١ : لا شيء مطلقاً ... طوفان شديد الهيجان .

وبين السماء واليَم لا أستطيع

أن أبصر شراعاً .

مونتانو : أحسب أن الريح صاحت عالياً في البر :

زعزَعُ أشدَّ منها لم تهزُّ يوماً شرفات قلاعنا .

وإذا كانت قد عاثت في البحر هكذا .

أي أضلاع من السديان . حينما الجبال تذوب عليها .

بوسعها أن تلمسك ؟ أي نأ سنع منها ؟

سيد ٢ : تفرَّق الاسطول التركي .

ما عليك الا أن تقف على الشاطئ المزبد

لترى كيف تبدو الموجة المصتفة كأنها تضرب الغيوم

ويبدو العُرام الجائش بالريح . بفرده الوحشية العالية

(٥) وقت أحداث الفصل الأول كلها في ليلة واحدة . يبحر عطيل وكاسيو كل في مركب على حدة . قبيل الفجر . ويصل كاسيو قبرص بعد استهلال الفصل الثاني بقليل . غير ان عاصفة هبت ففترقت بين مركبه ومركب عطيل . فيصل عطيل متأخراً . وبين وصول الاثنين . يصل مركب ياغو ويصحته دزديمونة . ومع انه كان قد أبحر بعد إبحار عطيل بعدة أيام . إلا انه لم نعرضه العاصفة التي أخرت وصول عطيل .

- كأنه يقذف بالمياه الثريا اللاهبة ،
ويطفئُ الفرقدين ، حارسي نجمة القطب الثابتة .
أنا ما أحببت قط مشهد اصطخاب
اليَمِّ وقد غضب .
- مونتانو : إذا لم يكن الأسطول التركي
قد لجأ إلى خليج ما ، فقد غرق .
من المستحيل أن يتحمل هذا كله .
(يدخل سيد ثالث)
- سيد ٣ : أبناء ، يا قوم ! حروبنا انتهت !
ضربت العاصفة اليائسة الأتراك
فتمثرت خطتهم . ان سفينة فارهة من البندقية
أبصرت رهيب الحطام والدمار
في معظم قطع أسطولهم .
مونتانو : كيف ؟ صحيح هذا ؟
سيد ٣ : السفينة راسية هنا ،
السفينة فيرونية . . . وقد نزل إلى البر .
ميكيل كاسيو ، ملازم المغربي المحارب عطيل .
والمغربي نفسه في البحر .
في طريقه إلى قبرص هنا . بكامل التخويل .
- مونتانو : اني فرح بذلك . فهو حاكم جليل .
سيد ٣ : ولكن كاسيو هذا . رغم حديثه المنشرح
على خسارة الأتراك ، يبدو حزيناً
ويرجو الله أن يكون المغربي قد سلم . لأنهما افترقا
بفعل عاصفة هوجاء رهيبية .
مونتانو : أرجو الله كذلك .
- سيد ٣ : لأنني خدمته ، وهو يأمر

(٥) في الأصل الانكليزي «الدب» المقصود به «مجموعة الدب الأكبر» والفرقدان في الأصل الانكليزي «الحارسان» ، وهما نجمان في «الدب الأكبر» .
(٥٥) نسبة إلى مدينة «بيرونا» في إيطاليا .

إمرة جندي حقيقي . لنذهب إلى الساحل يا قوم ،
لنرى السفينة التي رست ،
وتتطلع كذلك بأعيننا نحو عطيل الشجاع .
إلى أن نمجز عن التمييز مشهدا
بين البحر وأزرق الهواء .

٤ سيد ٣ : هيا ، لنذهب .

فكل دقيقة حبل
بوصول جديد .

(يدخل كاسيو)

كاسيو : شكرا لكم . يا شجعان هذه الجزيرة المقاتلة .
لاستحسانكم المغربي . الا وَقْتُه السماء
عناصر الطبيعة .

٤٥ لأنتي فقدته في بحر زانخر بالمخاطر !

مونتانو : هل هو حسن السفينة ؟

كاسيو : مركبه متين الأخشاب . وملاحه
مجرب مشهود له بالدراية .

٥٠ ولذا فان آمالي . اذ لم تبلغ الموت شدة .
قد تشق على الأرجح .

(صراخ من الداخل) : « شرع ! شرع ! شرع ! »

(يدخل رسول)

كاسيو : ما الخبر ؟

رسول : المدينة خالية . وعلى جبين البحر .

وقف الناس صفوفاً يهتفون : « شرع ! »

٥٥ كاسيو : آمالي تحدثني انه الحاكم .

(٥) الآمال تشد حين لا تحقق . فتدرك اليأس ثم تموت . آماله لم تبلغ تلك الشدة . غير أنها مرضت
(لكرتها) . وعساها الآن تشفى حين تحقق . الصورة الشعرية مفتعلة . غير ان كاسيو يتحدث بلغة
« الجتلان الألبانيني » المصطنعة .

(اطلاقه مدلع)

- سيد ٢ : انهم يطلقون اطلاقه التجية .
فهم على الأقل ، أصدقاء .
كاسيو : أرجوك ، سيدي ، اذهب .
وجننا بالخبر اليقين عمن وصل .
سيد ٢ : سأفعل .

(يخروج)

- 6٠ مونتانو : ولكن ، أيها الملازم الكريم ، هل لقائتك زوجة ؟
كاسيو : محظوظ بها . لقد كسب فتاة
لا الوصف يدركها ، ولا أعجب ما يروون عنها ،
فتاة تفوق ما تغنى الأقلام به من مزايا ،
ولما حباها الخالق به من جوهر
يحار لها المدع ويكل .

(يدخل السيد الثاني)

- وماذا الآن ؟ من الذي رسا ؟
7٥ سيد ٢ : رجل يدعى ياغو ، حامل علم للقائد .
كاسيو : لقد حظي بأسعد السرعة .
فالعواصف نفسها ، بل البحار المتلاطمة ، والرياح العاوية
الصخور المتآكلة والزمال المتجمعة ،
٧٠ وكل ما في البحر من خائبات تغل المركب البري ،
لحسها بالجمال ، تتخلى
عن طبائعها القاتلة ، وتدع دزديمونة الإلهية
تمر بها بأمان .

مونتانا : ومن هي ؟

- كاسيو : هي التي تحدثت عنها ، قائدة قائدنا العظيم ،
٧٥ تركها بمهدة ياغو الجريء ،
وقد استبق وصوله أفكارنا .

بسرعة سبع لبال ... أيها العظيم جويتر ، احرس عطيل ،
واملاً قلوغه بأنفاسك القوية
ليبارك هذا الخليج بسفيته الفارعة .

٨٠ ويلهث لهثات الحبِّ السُّراع بين ذراعي دزديمونة ،
ويجدد النار في أنفُسنا الخابية
ويجيء لقبرص كلها بالطمأنينة .

(تدخل دزديمونة ، وياعو ، واميليا ، وزودريغو ، مع مرافقين)

آه ، انظروا !

٨٥ لقد نزلت نفائس السفينة إلى البرِّ !
يا رجال قبرص ، اركعوا لها !
مرحبا بك ، سيدني ! ولتُحطِّ بك
نعمة السماء ، من أمام ومن وراء ،
ومن كل صواب !

دزديمونة : أشكرك ، كاسيو الشجاع .

٩٠ هل من نبأ لديك عن سيدي ؟
كاسيو : لم يصل بعد . ولا أعرف شيئاً
سوى أنه بخير وأنه بعد قليل سيكون هنا .
دزديمونة : آه ، ولكنني خائفة . كيف افترقنا ؟
(من الداخل) : «شراع ! شراع !»
كاسيو : صراع البحر والسماء فَرَّق صحبتنا . ولكن اسمي !
شراع ! ...

اطلاقة

سيد ٢ : انهم يرسلون التحية إلى القلعة .
فهؤلاء أيضاً أصدقاء .

٩٥ كاسيو : استطلع الخبر .
يا حامل العلم الكريم ، مرحبا بك (لأميليا) مرحبا
بك ، سيدني .

حلمك عليّ ، أيها الطيب ياغو .
إذ أبدي حسن تصرفي . فنشأني هي التي
علمتني هذه الجرأة في أداء المجاملة .

(يقبل أميليا)

- ١٠٠ ياغو : سيدي ، لو أنها تعطيك من شفتها
يقدر ما تهني من لسانها .
لحصلت على الكفاية .
دزديمونة : وأسفاه ، لا كلام لديها !
ياغو : بل والله لديها ، أكثر مما ينبغي .
وأجده دائماً عندما أجنح إلى النوم .
١٠٥ ولكنها أمام سيادتك ، فيما أعتقد ،
تضع لسانها بمض الشيء في قلبها
وتقلق بفكرها !
أميليا : ما أقل ما لديك من سبب لقول هذا .
ياغو : هيا ، هيا ! انكن خارج بيوتكن صور ،
أما داخل حجراتكن فأجراس ٠٠ - ، وفي مطابخكن
١١٠ قطة وحشية .
في أذاكن أنتنّ قديسات ، وإذا استأنتنّ فشيطنات ،
في أشغالكن المتزلة عابثات ، أما في الفراش فسلطات !
دزديمونة : يا عيبك ، يا هجاء ! ٠٠٠
ياغو : بل والله صحيح ما أقول .
١١٥ تنهين للعب ، وتذهين للفراش للشغل .
أميليا : لن أطلب منك يوماً كتابة في مدحي .

(٥) في كلام كاسيو شيء من الدعابة . لأنه بتقبيله اميليا لا يأتي أمراً ذا جرأة خاصة ، إذ كان ذلك عرفاً شائعاً بين الاليزابيثيين .
(٥٥) يقصد ان النساء في الخارج مصبوغات كالصور ، دونما كلام ، أما في البيوت فهن كالأجراس لا يقطن عن الثثرة .
(٥٥٥) لم تكن النساء في عصر شكسبير يجدن حرجاً في حرية الكلام مع الرجال ما دام كلامهم يقال دعابة . وهنا لا تحمل دزديمونة كلام ياغو على محمل الجد ، وتشجعه على الاسترسال به ، تفكها .

- ياغو : لا . اياك !
- دزيمونة : لو أنك أردت مدحي . ما الذي ستكتب عني ؟
- ياغو : يا سيدي اللطيفة . لا تجبريني .
لأنني لست شيئاً إن لم أكن ناقداً .
- دزيمونة : هلم . حاول . - هل ذهب أحد إلى المرقأ ؟
- ياغو : نعم . سيدني .
- دزيمونة : لست مرحة . غير أنني أنخدع
ما أنا فيه . بتظاهري بما أنا لست فيه .
هيا . كيف تمدحني ؟
- ياغو : اني أفكر . غير أن إبداعي
ينجم عن يافوخي ، كدبق الصيد ينجم عن الصقيع .
فيشتف الراس مع الريش ! ولكن ربة شعري في مخاض ،
وها هي تلد :
- نعم المديح ! وان تكون سوداء وبارعة ؟
- ان تكن حسناء وعاقلة ، كان لها الحسن والعقل حقاً :
- دزيمونة : الحُسن هي تستمله والعقل يستعمل الحُسن .
- ياغو : ان تكن سوداء وبارعة .
وجدت نسي أبيض لها يلائم منها السواد .
- دزيمونة : من سيئ إلى أسوأ !
- اميليا : وان تكن حسناء وبلهاء ؟
- ياغو : ما كانت بلهاء يوماً من كانت هي الحسنة -
حتى البلامة ستعينا على انجاب طفل لها .
- دزيمونة : هذه أصداد سخيفة قديمة تجعل المهايل يتضحكون في الحانة .
- أي مدح بائس ستقول اذن في من هي قبيحة وبلهاء ؟
- ياغو : ما من قبيحة وبلهاء معاً ،
إلا وتلمب الألعاب التي تعلقها الحسان العاقلات
- دزيمونة : يا لغباوة الجهل ! انك تقول أحسن المديح في أسوأ النساء . فاي مديح
يوسلك ان تقوله في امرأة جديرة حقاً بالمديح ؟ - امرأة لها من فضيلة
الجدارة ما يجعل حتى الحاقد يشهد لها عن حق ؟

- ١٥٠ **ياغو** : من كانت حسناء دوماً لكنها ترفض الخيلاء .
لسانها طويح إرادتها لكنها لا ترفع صوتها
لا يعوزها الذهب يوماً لكنها لا تتبرج ،
تحجم عن رغبتها لكنها تقول «بوسمي لو أردت» ،
تلك التي إذا غضبت وددت من انتقامها .
أبقت أذاها لنفسها وصرفت عنها سخطها ،
تلك التي ما وهنت حكمتها يوماً
- ١٥٥ **ياغو** : لتستبدل الذيل الطازج بالرأس العفن
تلك التي تستطيع التفكير ولا تكشف عما في ذهنها ،
تري الخطاب في إثرها ولا تنظر خلفها ،
فإنها امرأة ، ان كان ثمة امرأة مثلها -
تفعل ماذا ؟
- ١٦٠ **ياغو** : تنهك بالتواضع ولا تُرضع إلا البهائم !
دزديمونة : يا لها من نهاية عرجاء ركيكة ! لا تتعلمي منه يا اميليا ، وان يكن
زوجك . ماذا تقول يا كاسيو ؟ ألا تراه ناصحاً مستهتراً ماجناً ؟
- ١٦٥ **كاسيو** : انه يقول الحقائق ، سيدتي . ولكن لعلك ستؤثرينه جندياً أكثر منه أديباً
عالمًا .
- ياغو** : (جانياً) : ها هو يأخذ كفها . أي والله ، أحسنت ! امس ! بنسج
ضئيل كهذا سأصطاد ذبابة كبيرة ككاسيو . نعم ، ابسم لها ،
ابسم ! سأجعل من مجاملاتك أغلالك . صحيح ما قلت ، حقاً ١٧٠
نطقت ! إذا كانت خدع كهذه ستجرّد عنك رتبة الملازم ، فلسوف
تمنى لو أنك لم تكثري من تقبيل أصابعك الثلاث . . . الذي تستعد
به الآن للعب دور السيد الكبير . حسناً جداً ! تحسنا تقبّل ! مجاملة
رائعة ! صحيح ما قلت . امرأة أخرى أصابعك على شفتيك ؟ ليتها ٧٥
كانت أنابيب حقنة لك (تفكر من الداخل) المغربي ! اعرف
نفيره .
- كاسيو** : هذا صحيح . حقاً .
دزديمونة : فلنقابله ونرحب به .

(٥) كاسيو ودزديمونة في تهامس مستمر، ويأغو يراقبهما ويعلق، دون أن يسمع ما الذي يقوله.
(٥٥) كان من عادات رجال البلاط أن يفعلوا ذلك كلما استحسنوا أمراً.

(يدخل عطيل مع مرافقين)

كاسيو : انظروا ، ها هو آت !

عطيل : يا محاربي الجميلة !

هزديمونة : عطيلي الغالي !

عطيل : يدهشي بقدر ما يسعدني

ان أراك هنا أمامي . يا فرحة الروح مني !

١٨٥

ان تُعَبِّ كلُّ عاصفة هجئة كهذه ،

فلتهبُّ الرياحُ حتى توقظ الموت !

وليرق المركب المكافح جبالاً من الموج

شامخة كالأولب ، وليهبط بعدها

هبوط الجحيم عن السماء ! لو كان لي أن أموت الآن ،

١٩٠

لكان لي الآن أسعد الموت . فأنا أخشى

ان روحي قد عرفت من السعادة منتهاها

بيحيث ان هناة أخرى كهذه

لن تلبها في مصري المجهول .

هزديمونة : لا سمح الله الآ

بزيادة حبنا وهناءتنا

كلما تنامت الايام بنا !

١٩٥

عطيل : رباه ، آمين .

لن اكف حديثنا عن السعادة .

انها توقضي هنا ، فرحاً هائلاً .

(يقبلها) لتكن هذه ، وهذه ، أعظم النشاز

الذي يصنعه قلبانا !

ياغو : (جانياً) : آه ، انكما متناغمان الآن !

٢٠٠

غير أني سأرخي مفاتيح هذه الموسيقى (٥) ،

هذا الامين الذي هو أنا !

(٥) يستمر ياغو بالكتابة الموسيقية التي تحدث بها عطيل . حين يرخي مفاتيح الأوتار تتشوش بالطبع أنغامها .

عطيل

- هيا بنا الى القلعة .
أبناء . أيها الصحب ! حروبتنا انتهت . لقد غرق الأتراك .
٢٠٥ كيف حال صديقي القديم في هذه الجزيرة ؟
يا حلوتي . ستجدين ترخيباً حاراً في قبرص .
فقد وجدت حباً كبيراً فيهم يا سكرتي .
اني اثرثر كما لا يليق سي . وأهذي
٢١٠ عن هناعتي . ياغو الكريم . ارجوك .
اذهب إلى المرفأ وأنزل حقائبي .
وأحضر الرّبان إلى القلعة .
انه ربان طيب . وكفاهته
تستدعي الاحترام الكثير . هيا . دزديمونة .
مرة أخرى . مرحباً بك في قبرص .
(يخروجون جميعاً . فيما عدا ياغو وروديفو)

ياغو : (لأحد المرافقين وهو يخرج) : قابلني في المرفأ بعد قليل . ٢١٥

- تعال هنا . ان كنت شجاعاً (إذ يقولون ان الوضعاء حين يمشقون
يتحقق في طبيعتهم من النيل اكثر مما هم فطروا عليه) اصغ إلي . سيقوم
٢٢٠ الملازم هذه الليلة بالخفارة في مقر الحرس . اولاً . يجب أن أقول لك
هذا : دزديمونة نفسها غارقة في حبه .
روديفو : في حبه ؟ مستحيل .

- ياغو : ضع اصبعك هكذا ، ودع روحك تتعلم . لاحظ العنف الذي عشقت
به المغربي لا شيء الا لتبجحهم وروايته لها غرائب الأكاذيب . وهل
٢٢٥ ستعشقه عند الفراق إلى الأبد ؟ صن قلبك الفطين عن ظن كهذا .
لا بد ليمنها من أن تطعم : وأي متعة لها في . النظر إلى شيطان ؟
عندما يتلذذ الدم بفعل المجون ، لا بد له ، لكيما يلتب وتغطي التخممة
٢٣٠ شهية جديدة ، من الجمال في التقاطيع ، والتجانس في السن والعادات
والمفاتيح ، وهذه كلها تموز المغربي . وحين تفتقد هي هذه الانسجومات
الضرورية . فانها ستجد برهاقتها ورقتها ، انها قد خدعت . فتصاب
بالغثيان ، وتمج المغربي وتمقته .

الطبيعة نفسها ستلقنها ذلك وتكرهها على اختيار آخر . والآن . سيدي . ٢٣٥
 اذا سلطنا بهذا (لأنه فرضية جاهزة وبديهية جداً) . من يقف عالياً
 على درجات هذا الاقبال كما يقف كاسيو ؟ وغد ذرب اللسان .
 لا يتورع ضميره بأكثر من التظاهر بمظهر الدمامة، والكياسة ليجيد تحقيق
 الخفّي من أهوائه الماجنة الداعرة .
 وغد ناعم . حيال . يحسن انتهاز الفرص . له عين تختلق المناسبات ٢٤٠
 وتصطعها حتى وان لم تواته المناسبات الحقيقية . وغد شيطاني ! وفضلاً
 عن ذلك ، فان هذا الوغد وسم . في . تجتمع فيه المتطلبات كلها
 التي تتوق اليها الأنفس الغريرة العابثة . وغد كامل كالوباء ! وصاحبنا ٢٤٥
 قد فهمته الآن .

رودريغو : لا أستطيع أن أصدق ذلك فيها . انها ملأى بأقدس الصفات . ٢٥٠
 ياغو : أقدس الهواء ! الخمر التي تشربها انما صنعت من الاعناب . ولو كانت
 قلت بشيء ، لما أحببت المغربي . أما رأيتها تجذف بكف يده ؟
 رودريغو : نعم . لاحظت . ولكن تلك كانت مجاملة .

ياغو : بل فجور . وحق هذه اليد ! انها المقدمة والتوطئة المكتومة لتاريخ
 الشهوة والخواطر الفاسقة . لقد اقتريا بشفاهما حتى تعانقت انفاسهما .
 خواطر شريرة ، يا رودريغو ! عندما تقود السير هذه المتبادلات ، سرعان ٢٥٥
 ما تأتي العملية الرئيسية الأساسية : النهاية الجسدية . أف ! ولكن ،
 سيدي ، افعل ما أوصيك به . فانا الذي أحضرتك من البندقية . شارك ٢٦٠
 في الحراسة الليلية - أما الأمر فسأديره لك . كاسيو لا يعرفك . ولن
 أكون أنا بعيداً عنك . اختلق فرصة لاغضاب كاسيو ، إما بالكلام
 صياحاً أو بالغض ، من إنضباطه ، أو بأي تهج آخر يروق لك مما قد ٢٦٥
 تهيبه الساعة لصالحك .
 رودريغو : طيب .

ياغو : مولانا ، انه نزق وعنيف جداً اذا غضب ، ولربما ضربك بعصاه .
 استفزه لذلك ... لأنني . حتى اعتمادا على هذا سأجعل القوم في
 قيرص يتمردون . ولن يكفوا عن تمردهم الا اذ فصل كاسيو . ٢٧٠
 وهكذا تختصر رحلتك إلى أمانتك بالوسائل التي سأسهل عندئذ

- أمورها ، فتزول العقبة . ولنا أكبر مغفم . والا فلا رجاء لنا في فلاحنا . ٢٧٥
- رودريغو : سأفعل ذلك اذا استطعت ان أتحنن له الفرصة .
ياغو : أوكد لك . قابلني بعد قليل في القلعة . عليّ ان أجلب امتعته إلى البر .
وداعاً .
- ٢٨٠ رودريغو : وداعاً . (يخرج)
ياغو : اما ان كاسيو يحبها . فاني أصدق ذلك .
اما أنها تحبه . فأمر محتمل وقابل جداً لليقين .
والمغربي (مهما أكن لا أتحمله)
ذو طبع نبيل ، محب . وفيّ ،
٢٨٥ ولا أحسب الا انه سيكون للزديمونة .
زوجاً جَدَّ عزيز . والآن فاني أنا أيضاً أحبها .
لا لشهرة مني مطلقاً (ولو انني
قد أعدت مسؤولاً عن اثم لا يقل عنها)
ولكن لبعض من سبب يحدوني إلى تغذية انتقامي .
- ٢٩٠ لأنني أشتهه في أن المغربي الضحل
قد قفز إلى مقعدي . وهذه الفكرة
كالمعدن السامّ تقرض عليّ أحشائي .
ولن يربح نفسي شيء
حتى أتعاذل معه . زوجةً بزوجة .
٢٩٥ وإذا أخفقتُ في ذلك . سأدفع المغربي
على الأقلّ إلى غيرة عاتية
لا يشفيه منها حُكمٌ ولا عقل . وتحقيقاً لذلك .
إذا كان هذا الحقيّر البندقيّ . الذي أكبحه الآن عن التسرّع في
صيده . سينجح ساعة أطلقه .
٣٠٠ فاني سأمسك ببيكيل كاسيو من وركه . ٥٥ .

(٥) كناية ياغو . في الحديث عن رودريغو . مستفاد من كبح كلب الصيد . وإطلاقه في اللحظة المواتية . كنايةات
الصيد في شكبير كثيرة ومتنوعة .
(٥٥) الكناية هنا مستفاد من المصارعة .

وأذمه للمغربي بلشنع شكل ،
(لأنني أخشى من كاسيو على منامي أيضاً) ،
فأجعل المغربي يشكرني ، ويحبيني ، ويكافئني
على جعلني منه حماراً رقيقاً
وتأمري على طمأنينته وراحته
حتى الجنون . انها هنا (مشيراً إلى رأسه) ، ولكتها مهزوزة -
فوجه النذالة لا يتضح إلا عند تنفيذها .

٣٠٥

المشهد الثاني

شارع في قبرص

(يدخل منادي عطيل . وهو يقرأ بياناً ، والناس من حوله .)

- المنادي : الآن وقد بلغتنا أنباء تحدث عن هلاك الأسطول التركي بكامله . فانها مشيئة عطيل . قائدنا الباسل النبيل ، أن يحتفل الجميع بالنصر ، البعض بالرقص ، والبعض باشعال الحرائق . وكل امرئ بما يشاء له .
• هواه من قصف وهو . وفضلا عن أنباء الخير هذه . فان الاحتفال هو أيضاً بزفافه . هذا ما أرادت له مشيئته أن يعلن عليكم . مرافق الطعام كلها مشرعة . وللجميع مطلق الحرية في الاحتفال من الساعة الخامسة هذه إلى أن يدق الجرس إحدى عشرة ساعة . باركت السماء جزيرة قبرص ، وقائدنا النبيل عطيل !

١٠

المشهد الثالث

قاعة في القلعة

(يدخل عطيل - دزديمونة)

عطيل : يا ميكيل الكريم . أشرف على الحراسة الليلة .

لنعلّم أنفسنا ذلك التوقف الشريف .

فلا نغلب العبث على الفطنة .

كاسيو : لدى ياغو توجيه بما عليه أن يفعله .

ولكن رغم ذلك سأشرف على الأمر

بعيني أنا .

عطيل : ياغو أمين جداً .

ميكيل . تصبح على خير . بكرّ جداً غداً

ودعني أتحدث اليك - هيا بنا . حبيبي العزيزة .

إذا ما البيع تمّ . تلته الثمار .

وذاك الربح سنجنه بيني وبينك بعد -

تصبح على خير .

(يخرج عطيل ودزديمونة)

(يدخل ياغو)

كاسيو : مرحبا . ياغو . علينا بالحراسة .

ياغو : لساعة أخرى . أبها الملازم . فالساعة لم تبلغ العاشرة بعد . وما صرفنا

- قائدنا مبكرا إلا حبا بدزديموته . ولذا ، فلن نلومه . لم يماجن الليل
 معها بعد ، وهي لعبة تليق حتى بجوييتز .
- ١٥ كاسيو : انها سيدة بديعة جداً .
 ياغو : وأراهن أنها شغوف باللعب .
- ٢٠ كاسيو : حقاً ، انها مخلوقة نضرة ومرهفة جداً .
 ياغو : يا لعينها ! يخيل إليّ انها تصدح دعوة للحوار بعد الاستفزاز .
 كاسيو : عين مغرية ، ولكن يخيل إليّ أنها ملأى بالخفر .
 ياغو : وحين تنطق ، أليس نطقها استفاراً للحب ؟ •
 كاسيو : انها الكمال حقاً .
- ٢٥ ياغو : هنيئاً لفراسهما ! تعال يا ملازم ، لديّ ابريق خمر ، وفي الخارج هنا
 نفر من فتية قبرص يطيب لهم أن يشربوا نخب صحة الأسود عطيل .
- ٣٠ كاسيو : لا هذا المساء ، يا ياغو الكريم . لي رأس ضعيف شقي تجاه الشرب .
 لكنت أتمنى لو أن المجاملة تبتكر عادة غير هذه للموانسة .
 ياغو : اوه ، انهم أصدقاؤنا . كأس واحدة ، لا غير ، أنا سأشرب عنك .
- ٣٥ كاسيو : شربت الليلة كأساً واحدة لا غير ، وحتى تلك خففتها خلصة . وانظر ما
 سببه هنا من تغيير ! اني سييء الحظ في هذا الضعف ولا اجرؤ
 على تحميل وهي هذا بالمزيد .
- ٤٠ ياغو : ماذا يا رجل ! انها ليلة احتفال . والفتية يريدونها .
 كاسيو : أين هم ؟
 ياغو : هنا ، بالباب ، أرجوك أن تدعوهم .
 كاسيو : سأدعوهم ، ولكن ضد رغبتني .
- (يخرج)
- ياغو : إذا استطعت أن أُلصق به ولو كأساً واحدة ،
 إضافة إلى ما سبق أن احتساء هذه الليلة ،
 ٤٥ فسوف يتزع إلى الشجار والمهانة

(٥) يتصل ياغو لفة الحرب في وصف دزديموته .

- ككلب آية فتاة . وهذا الأحمق المدنف رودريغو ،
الذي كاد الحب يقلبه بطنا لوجه ،
لقد شرب الليلة نخب دزيمونة
٥٠ أقداحاً من الأبريق حتى قرارته . وعليه أن يقوم بالخفارة .
لديّ ثلاثة شباب من قبرص ، ذوي نيل وكبرياء ،
يعزّ عليهم شرفهم ولو من بعد حذر -
إنهم من معدن هذه الجزيرة المحاربة -
وقد شوشّت عليهم أمرهم الليلة بكنؤوس تدور ،
٥٥ وهم أيضاً في الخفارة . بين هذا القطيع من الشكارى
سأدفع كاسيو إلى فعلة ما
تستاء لها الجزيرة .

(يدخل مونتانو وكاسيو ، وآخرون)

- هاهم قادمون .
إذا العقبى حققت لي حلمي ،
أبحر زورقي حرا ، ريحا ومجرى .
٦٠ كاسيو : والله لقد سقوني كثيرا هذه الليلة
مونتانو : بحياتك ، واحدة صغيرة . كأساً لا أكثر ،
قسماً بجنديتي .
ياغو : هاتوا خمرًا ، يا قوم :

(يغني)

- ٦٥ ودعني بالأقداح أدق القدح
بالأقداح دعني أدق القدح ،
الجندي إنسان ،
وحياة الإنسان شبرٌ طولها
فليشرب الجندي ويمرح !
هاتوا خمرًا ، يا قوم !
كاسيو : أغنية ممتازة ، والله !

- ٧٠ **ياغو** : تعلمتها في انكلترا ، وهم هناك أقوياء
في معاقره الابريق . فالدانمركي . والألماني .
والهولندي المكوّم الكرش - خمرا . يا قوم ! -
ليسوا شيئاً بالنسبة إلى الإنكليزي .
- ٧٥ **كاسيو** : هل الإنكليزي بارع هكذا في الشرب ؟
ياغو : بإمكانه يسر أن يساقى الدانمركي حتى موته
سكرا ، ولا يبرق جهدا في التغلب على الألماني
ويجعل الهولندي يقمي قبل ملء
الابريق التالي .
- كاسيو** : نخب قائدنا !
مونتانو : أنا معك . يا ملازم . وسأعطي النخب حقه .
- ٨٠ **ياغو** : أيتها الحلوة انكلترا !

(يعني)

- كان الملك اسطيغان نبيلاً ثرياً
كلفه سرواله ديناراً فقط
٨٥ فاعتبره أغلى بدرهم مما يجب .
وصاح بالخياط قائلاً : « آه يا نذل ! »
وهو كان رجلاً رفيع القدر والسمة
وأنت من أخفض الطبقات --
وهل خراب البلد إلا بالإسراف والعنجهية ؟
٩٠ قم إذن والبس عباءتك القديمة . -
خمرا يا قوم !
كاسيو : هذه والله أغنية أبدع من السابقة .
ياغو : أتودّ سماعها ثانية ؟
كاسيو : لا ، فأنا أعتبر من يفعل أموراً كهذه غير أهل لمكاته . على كل . فالله

(٠) مقطع من أغنية كانت شائعة في أيام شكسبير . عنوانها « زوجتي بل » . وفيها تنصح بل زوجها بالحرص والاعتقاد

فوق الجميع ، وهناك أنفس يجب انقاذها ، وأنفس يجب ألا تنقذ .

ياغو : صحيح ، يا ملازم .
كاسيو : أما أنا - ولا أقصد الإساءة إلى نفاثد أو أي شخصية بارزة - فأمل أن ١٠٠
أنقذ .

ياغو : وأنا أيضاً يا ملازم .
كاسيو : نعم ، ولكن - إذا أذنت - ليس قبلي . فالملازم يجب انقاذه قبل حامل
العلم . لنكف عن هذا ، وعلينا بشؤوننا . ليغفر الله لنا خطايانا ! يا سادة ، ١٠٥
لتنصرف إلى شؤوننا . لا تظنوا يا سادة أنني سكران . هذا حامل علمي .
هذه يدي اليمنى ، وهذه اليسرى . أنا لست بسكران الآن . بإمكانني أن
أقف حسناً ، وأتكلم حسناً ، بما فيه الكفاية .

الكل : حسناً جداً :
كاسيو : إذن . حسناً جداً . لا تظنوا أنني سكران . ١١٠
(يخرج)

مونتانو : إلى الشرفة . أيتها السادة . هلموا نبدأ الحراسة .
ياغو : أترون هذا الغلام الذي خرج قبلكم ؟
١١٥ انه جندي يستحق الوقوف إلى جانب قيصر
لإصدار الأوامر . ولكن انظروا إلى رذيلته .
انها تعادل بالضبط فضيلته .
فالواحدة بقدر الأخرى . مما يؤسف له فيه .
وأخشى أن الثقة التي يضعها عطيل فيه .
١٢٠ في ساعة مفاجئة من ضعفه .
ستنز هذه الجزيرة .

مونتانو : ولكن . هل يسكر هذا كثيراً ؟
ياغو : هذه دوما هي المقدمة لنومه .
وإذا لم يهزّ الشراب سريره
فانه يسهر ساعات الليل والنهار معاً .
مونتانو : يستحسن

١٢٥ أن نلفت انتباه القائد لذلك .
لعله لا يلحظه فيه . أو أن - طبعه السمح

يقدرّ الفضيلة الظاهرة في كاسيو
ويغض عن نواقصه. أليس هذا صحيحاً؟

(يدخل رودريغو)

(جانياً لرودرغو)

ياغو :

ماذا الآن ، رودريغو؟

١٣٠

أرجوك ، في إثر الملازم ، اذهب !

(يخرج رودريغو)

مونتانو : ومن المؤسف أن المغربي النبيل

يجازف بمرتبة هي التالية لمرتبه

فيجعلها بامرة رجل ركب فيه هذا الضعف .

انه لفعل شريف

إبلاغ المغربي بهذا .

ياغو : أنا لن أبلغه ، ولو أعطيت هذه الجزيرة

١٣٥

الجميلة !

اني عميق الحب لكاسيو ، وبودّي لو أفعل الكثير

لشفائه من هذه البلية .

(من الداخِل : والنجدة ! النجدة !)

ولكن ، اسمع : ما هذا الصباح !

(يدخل كاسيو ، وهو يدلّح أمامه رودريغو)

كاسيو : يا نذل ! يا لثم !

مونتانو : ما الأمر ، يا ملازم؟

١٤٠

كاسيو : أوغد يعلّمني واجبي؟

سأضربه حتى يلجأ إلى الخابية .

رودريغو : تضرّني؟

كاسيو : أتلقق ، يا نذل؟ (يصرّيه)

مونتانو : أيها الملازم الطيب أرجوك ، سيدي ، كفّ يدك .

١٤٥

كاسيو : دعني يا سيد ، وإلا خبطتك على رأسك .

مونتانو : مهلا ، مهلا . أنت سكران !

كاسيو : سكران ؟

(يتعاركان)

ياغو : (جانباً لرودريغو) ، انصرف ، حالاً . اخرج .

وصح وعصيان !

(يخرج رودريغو) .

لا ، أيها الملازم الكريم . من أجل الله ، يا سادة !
النجدة ، يا ناس ! - يا ملازم - سيدي - مونتانو -
سيدي -

١٥٠

النجدة يا سادة ! - خفارة هائلة حقاً !

(يقرع جرس)

من الذي يقرع الجرس ؟ يا للشيطان !

ستنهب المدينة بأسرها . من أجل الله ، يا ملازم

كنى !

سيلحقك عار أبدي .

(يدخل عطليل مع رجال يحملون السلاح)

عطليل : ما الذي يجري هنا ؟

١٥٥

مونتانو : ما زلت أنزعج ، وجروح المسيح

إصابتي إصابة الموت .

عطليل : كنى ، وإلا فحياتكا !

ياغو : كنى ، كنى !

أيها الملازم - سيدي - مونتانو - يا سادة -

هل ضيقتما كل شعور بالمتزلة والواجب ؟

كنى . ان القائد يتكلم معكما . كنى ، كنى ، عيب

والله !

١٦٠

عطليل : ما هذا ؟ ما هذا ؟ ما منشأ هذا ؟

هل انقلبنا أترাকা ، فرحنا نفعل بأنفسنا

- ما منعت السماء العثمانيين عن فعله ؟
ترفعوا كالمسيحيين وتخلّوا عن هذا الشجار البربري !
من يتحرك ثانية ليرضي بالظعن غضبه .
١٦٥ يستهدر دمه . ويُمْت بأول حركته .
- أسكتوا ذلك الجرس الرهيب ؟ انه يرعب الجزيرة
عن نفسها . ما الأمر يا سادة ؟
ياغو الأمين . يكاد الأسي يقضي عليك .
تكلم . من بدأ هذا ؟ أستحلفك بحبك .
١٧٠ : ياغو : لست أدري . كانا في وثام قبل لحظات .
وفي ودّ . يتحدثان كأنهما عروس وعريس
ينزعان الثياب طلبا للفراش . واذا . قبل لحظات .
(كأن نجماً طيرَ رشدهم)
يشهر كلاهما سيفه . ويصوب الواحد نحو صدر الآخر .
١٧٥ في مجابهة دموية . لا أعرف
من البادئ بهذا العراك الصياني .
وأتمنى لو انني في قتال مجيد فقدت
ساقَيّ هاتين . اللتين جاءتا بي إلى شيء منه !
- كيف جرى . يا ميكيل . انك نسيت نفسك هكذا ؟
١٨٠ : كاسيو : أرجوك عفوك . لا أستطيع الكلام .
عطيل : وانت يا مونتانو النيبيل . شيمتك الطيبة .
لقد لحظ الناس كلهم رصانة شبابك
واتزانه ، واسمك عظيم
في أفواه المدركين العقلاء . ما الذي
١٨٥ جعلك تسيء إلى سمعتك هكذا
وتضيع ذكرك الحميد ليقال عنك
« معرّب الليلي » ؟ أجيبي .
مونتانو : عطيل النيبيل . جرحي خطير .
ضابطك ياغو بوسعه أن يعلمك بكل ما أعرف ،
فاختصر الكلام ، لأنه يؤلني بعض الشيء .

١٩٠

كما اني لا أعلم انني
قلت أو فعلت شيئاً خطأ هذه الليلة ،
الا إذا كانت العناية بالذات أحياناً رذيلة ،
والدفاع عن انفسنا اثماً
عندما يهاجمنا العنف .

١٩٥

عطيل : وحق السماء ،

لقد جعل دمي يستبد برشادي الأسلم ،
وأخذ غضبي يُعْتَم عليّ حُسن ادراكي
ويحاول أن يقود طريقي . فاذا تزحزحتُ ،
أو رفعت ذراعي هذه ، فان افضلكم والله
سيسقط بتعنيفي . أعلموني

٢٠٠

كيف بدأ هذا المراك القبيح ، ومن حرّض عليه .
والذي بَيَّنَّ عليه الذنب ،

حتى لو كان توأمي يوم ولدت ،

سيفقدني . ماذا ، أي مدينة حرب ،

٢٠٥

وهي بعد هائجة ، وقلوب الناس طافحة بالخوف ،

تنخرطون في شجار شخصي خاص ؟

وفي الليل ، وفي شرفة حراسة الأمن والخفارة ؟

فظيح ! ياغو ، من البادئ ؟

٢١٠

مونتانو : إن تحيز لملاقة أو مشاركة في الوظيفة ،

وتسرد ما هو أكثر أو أقل من الحقيقة ،

فانك لست بجندي .

٢١٥

ياغو : أرجوك الا تذكرني بواجبي .

واني لأؤثر أن يقتلع لساني هذا من فمي

على أن يُسيء بشيء إلى ميكيل كاسيو .

ولكنني أقنع نفسي بأنني في ذكر الحقيقة

لن اصبه بأيّ أذى . هذا ما جرى ، أيها القائد :

فيما أنا ومونتانو نتحدث ،

جاءنا غلام صارخا يطلب النجدة ،

- وكاسيو يتبعه بسيف حازم
يريد تنفيذ مأربه . فتدخل
٢٢٠ هذا السيد وتوسل إلى كاسيو بأن يتوقف .
أما أنا فلحقت بالغلام الصارخ
لثلا يفزع المدينة بصراخه
(وهذا فعلاً ما حدث) . ولسرعة ركضه
عجزت عن ادراكه ، فرجعت ، ولا سيما .
٢٢٥ أنني سمعت قعقة السيوف ووقعها ،
وكاسيو يصيح بشتائم لم أكن
حتى الليلة أعرف نطقها . وحينما عدت
بأوجز الوقت وجدتهما متلاحمين
ضربا وطمنا ، كما كانا ثانية
٢٣٠ عندما انت فرقت بينهما .
ولا أعرف المزيد عن هذه القضية ،
ولكن الرجال رجال . وخير الرجال أحيانا ينسى .
ولئن يكن كاسيو قد الحق به بعض الأذى -
فالرجال في سخطهم قد يضرّون من هم أعزاء عليهم ،
٢٣٥ الا أن كاسيو ولا ريب ، فيما أرى ، لحقه
من ذلك الذي هرب اهانة ما غريبة ،
ما كان الصبر ليتحمّلها .
هــ : أنا أعرف ، يا ياغو ،
انك بأمانتك وحبك تلتطف من الأمر
وتخفف عن كاسيو . كاسيو ، اني أحبك ،
٢٤٠ ولكن لن تكون بعد هذه اللحظة من ضباطي .
(تدخل دزديمونة ، مع آخرين)
انظر ، كيف أنهضت حبيبي الرقيقة من فراشها !
سأجعل منك قدوة .
هــ : ما الأمر ؟
هـــــــــــــــــــــ : كل شيء بخير الآن يا حلوتي . هيا بنا إلى الفراش .

٢٤٥ سيدي ، لجروحك سأكون أنا طبيبك .
انقلوه من هنا .

(يتقلون مونتانو)

ياغو ، تفقد المدينة
وأسكت كل من اضطرب لهذه العركة الذميمة .
تعالى ، دزديمونة . لقد كُتِبَ على الجنود

٢٥٠ أن يلقوا النزاع نومهم البلسمي !
(يخرجون جميعاً ، فيما عدا ياغو وكاسيو)

ياغو : ماذا ، هل أوديت ، يا ملازم ؟

كاسيو : نعم ، حيث لا طبيب ينفعني .

ياغو : لا سمح الله !

كاسيو : السمعة ، السمعة ! ، آه ، لقد فقدت سمعتي ! فقدت الجزء الخالد
منى ، وما الباقي الا حيواني . سمعتي ، ياغو ، سمعتي !

٢٥٥ ياغو : وحق أمانتي ، حبت انك اصبحت بجرح في جسمك . ففي ذلك حسّ

٢٦٠ أكثر مما في السمعة . ما السمعة الا شيء فارغ خادع يُفرض على المرء ،
ففي كبراً ما تكتسب دونما جدارة ، وتفقد دونما استحقاق . وانت ما
فقدت السمعة قط الا اذا اعتبرت نفسك فاقدها . اسمع يا رجل : ثمة
طرق لاستعادة القائد من جديد . وما ألقى بك عنه الا حقاً - انه

٢٦٥ عقاب تقتضيه السياسة اكثر مما يحفزُه الحقد ، كمن يضرب كلبه
المسكين ليرعب الاسد المصور . التمس اليه ثانية ، تجذبه يُقبل عليك .

كاسيو : خير لي أن أتمس الاحتقار من أن أخدع قائداً طيباً كهذا لضابط

٢٧٠ تافه ، سكير غير كتوم مثلي . أسكّر ، وكلام بيغاوي ، وخصام ،
وتبختر ، وشتائم ، وأسخف الحديث مع ظلي ؟ يا روح الخمر الخفية ،

٢٧٥ إذا لم يكن لك اسم تُعرفين به ، فلنتمسك الشيطان !
ياغو : من كان ذلك الذي لحقت به بسيفك ؟ ماذا فعل ذلك ؟

كاسيو : لا أدري .

ياغو : أممكن ذلك ؟

كاسيو : أذكر كتلة من الأشياء ، ولا شيء ، بوضوح . أذكر شجارا ، ولكن

لا أذكر شيئاً عن السبب . يا الهي كيف يضع الانسان عدوا في فمه
ليختلس منه عقله ! كيف بالفرح . والمتعة . والانس . والانبساط .
نحوّل أنفسنا إلى وحوش !

ياغو : ولكنك معافى الآن . كيف استعدت صحوك هكذا ؟ ٢٨٥

كاسيو : طاب لشیطان السكر أن يتخلّى عن مكانه لشیطان الغضب . فالنقيصة
الواحدة تكشف لي عن نقيصة أخرى . لأحتقر نفسي بملء قواي .

ياغو : لا ، لا . انك تقسو في حكلك على نفسك . بالنسبة إلى

الزمان والمكان . وظروف هذا البلد . كنت أتمنى من قلبي لو أن الذي
وقع لم يقع . ولكن بما أنه قد وقع . رَقَمَهُ بما هو في صالحك .

كاسيو : سأطلب اليه أن يعيد اليّ رتبتي . فيقول لي : أنت سكير ! ولو كان لي

أفواه بقدر ما لهيدرة . من أفواه لأفحمها جميعاً جواب كهذا . ان يكون

الإنسان عاقلاً ، وبعدها بقليل أحمق . ثم وحشا ! يا للغرابة ! كل ٢٩٥

كأس إذا تجاوزت الحد فقدت البركة ، وكان محتواها الشيطان .

ياغو : لا ، لا . ان الخمر الطيبة مخلوق طيب إذا أحسن استعماله .

كفالك تهجما عليها . أيها الملازم الطيب . أعتقد أنك تعتقد اني ٣٠٠

أحبك ؟

كاسيو : عرفت ذلك بالتجربة . يا سيدي . هل أنا سكير ؟

ياغو : أنت أو أي كائن حي قد يسكر مرة . يا رجل . سأخبرك بما عليك أن

تفعل . زوجة قائدنا هي الآن القائد . ولي أن أقول ذلك بهذا الصدد ٣٠٥

لأنه قد كرس نفسه للتأمل والتبخر والتمعن في محاسنها ومفاتها . اعترف

أنت لها بحرية . ألحّ في طلب مساعدتها لإعادتك إلى مرتبتك . ان لها

طبعاً كريماً ، لطيفاً . خيراً . منفتحاً . حتى لتعتبر أن في طيبتها نقصاً ٣١٠

إذا هي لم تفعل أكثر مما يطلب اليها . هذا المفصل المكسور بينك وبين

زوجها ، الشمس اليها أن تجبره . واني لأراهن بكل ما لدي لقاء أي

رهان يستحق التسمية بأن هذا الكسر في حبك إذا ما انجبر ، نما ٣١٥

الحب أقوى مما كان عليه . . .

(٠) أفي أسطورة . مشهورة ذات تسعة رؤوس . كان قتلها من الأعمال الخارقة التي قام بها هرقل .
(٠٠) كان المعتد ان العظم إذا انكسر ثم جبر . نما وقوي أكثر من قبل .

- كاسيو : أنت تحبن النصح .
ياغو : أرجوك . ما ذلك الا لأنني أمحضك الحب والامانة والاخلاص . ٣٢٠
كاسيو : هذا ما أعتقد ، حقاً . في الغد الباكر سأرجو دزيمونة الفاضلة أن
توسط لي . ان مصيري بائس ان أنا أوقفت عند هذا الحد .
ياغو : الحق معك . تصبِح على خير ، أيها الملازم . عليّ بالخفارة . ٣٢٥
كاسيو : طابت ليلتك ، أيها الامين ياغو .

(يخرج)

- ياغو : من هو القائل إذن بأنني ألب دور الشرير
حين اسدي خالص النصح الأمين ،
نصحا يقره التفكير ، وهو السبيل حقاً
٣٣٠ إلى كسب ودّ المغربي من جديد؟ إذ من السهل جداً
أن تغري دزيمونة العطوف
بأي التماس شريف . لقد خلقت سحّية
سخاء العناصر الأربعة . وإذا أرادت
أن تكسب المغربي - حتى لو أرادته أن يكفر بمعموديته
وبكل أختام ورموز الخطيئة المفتداة .
٣٣٥ فان روحه مكبّلة بهواها
حتى لتستطيع أن تُبرم ، وتُفصّص ، وتصنع ما
يطيب لها ،
إذ يلعب مشتهاها دور الإله
بفعله المنصاع . كيف أكون أنا شريراً إذن
٣٤٠ حين أشير على كاسيو بهذا السبيل الموازي
مباشرة لخيريه ؟ انه لاهوت الجحيم . . !
فالشياطين إذ تدفع المرء إلى خطايا ،
إنما تغريه أولاً بمظاهر سماوية ،

(٥) المعمودية المسيحية هي الختم على افتداء الإنسان من الخطيئة . فهي بذلك رمز التطهر والعودة إلى البراءة .
(٥٥) اللاهوت هنا هو الجدال الديني حول الخير والشر . ياغو يتباهى بأنه بارع في منطقة اللاهوتي الذي يجعله
في خدمة الشيطان . إذ يشير بما هو (في الظاهر) خير . ولكن لغاية شريرة .

كما أفضل الآن . ف فيما يستحث هذا الأبله الشريف
دزديمونه لكي تصلح أحواله ،
وهي من أجله تترجى المغربي بحرارة
سأصب هذا الوباء في أذنه -
من أنها تستعده للشبق الذي في جسدها ،
وكلما زادت من محاولتها فعل شيءٍ لصالحه
نقضت الثقة التي يوليا إياها المغربي .
وهكذا سأقلب فضيلتها قارا أسود ،
ومن طينتها سأحوك الشبكة التي
ستصطادهم جميعاً .

(يدخل رودريغو)

ها ، رودريغو !

رودريغو : إني ألاحق في الطراد ، لا ككلب يصيد بل ككلب بكل عدد
القطيع . نقودي كدت أنفقها كلها . وهذه الليلة أكلت ضرباً ممتازاً .
وأغلب ظني أن النتيجة ستكون - أنني لقاء جهودي كسبت خيرة
كبيرة ، وهكذا سأعود ثانية إلى البندقية
وقد خسرت نقودي ، وما ربحت إلا قليلاً من العقل .

بـاعو : ما أفقر الذين لا يصبرون !

هل من جرح يلتئم الا على درجات ؟
أنت تدري أننا نعمل بالدهاء ، لا بالسحر .
والدهاء يعتمد الوقت الوني .
ألا تجري الأمور على ما يرام ؟ كاسيو ضربك .
وأنت ، لقاء ذلك الأذى الضئيل . سببت فصل
كاسيو .

لن تنمُ أشياء أخرى جميلة في الشمس .
فان الفواكه التي تُزهر أولاً هي التي تنضج قبل غيرها .
إقنع لفترة قصيرة .. والقداس . طلع الصبح !

٣٧٠

بالمثمة والعمل تبدو الساعات أقصر..
إنسحب ، اذهب إلى مسكنك ،
ها ، ها ! ستعلم المزيد فيما بعد .
لا ، انصرف ، ها !
(يخرج روهيفو)

ثمة شيان يجب فعلهما :
على زوجتي أن تمتدح كاسيو لسيدتها ،
وسأحُبها على ذلك

٣٧٥

وفي الأثناء هذه عليّ أن أنتحي بالمغربي
وآتي به في اللحظة التي قد يجد فيها كاسيو
يراود زوجته عن نفسها . أجل ، هذا هو السيل ،
ولن أفسد الخطّة بالبرود والتسوية !
(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

قبرص - أمام القلعة

(يدخل كاسيو . مع موسيقيين والمهرج)

كاسيو : اعزفوا ، يا سادة ، هنا . سأكافئكم على أتعابكم .
شيئاً مختصراً . وقولوا : « صباح الخير ، أيها القائد » .

(يعزفون)

(يدخل المهرج)

مهرج : يا سادة ، هل ذهبت آلائكم يوماً إلى نابولي
فجعلت تنطق هكذا من الأنف ؟

موسيقي : ماذا تقصد يا سيد ؟

مهرج : رجاء ، هل تسمى هذه آلات هوائية ؟

موسيقي : أي نعم ، سيدي .

مهرج : آ ، لذيها حكاية .

موسيقي : لذيل من حكاية يا سيدي ؟

مهرج : والله يا سيدي ، لكثير من الآلات الهوائية التي أعرفها .

(٥) يستخدم شكبير التورية . كعادته . للتفكه على نحو تستحيل ترجمته إلى العربية . فالمهرج يلعب على عبارة
وآلات هوائية . قاصداً بها أيضاً الأناس الكثيري الثروة أو الذين تصدر عنهم ربيع خبيثة . كما يلعب على
كلمتي (tail) (ذيل) و (tale) (حكاية) . فيقول ان للآلات الهوائية (بمعناها الثاني) ذيلاً . في حين
ينصير الموسيقي انه يقول ان للآلات الهوائية حكاية . وقد اضطررنا إلى التصرف بالترجمة هنا قليلاً .

ولكن ، أيها السادة ، هاكم تقودا . ان القائد يحب موسيقاكم جداً
حتى انه ليرجوكم ، لوجه الله ، أن تكفروا عن التصويت بها .

موسيقي

: حسناً ، سنكف .

١٥ : أما إذا كانت لديكم موسيقى لا يمكن سماعها فعليكم بها . فالقائد ،
كما يقولون ، لا يهه سماع الموسيقى كثيراً .

موسيقي

: لا موسيقى لدينا كهذه ، يا سيدي .

٢٠ : إذن ضعوا مزاميركم في قربتكم ، لأنني منصرف . هيا ، اذهبوا !

مهرج

تلاشوا !

(يخرج الموسيقون)

: أتسمع ، صديقي الكريم ؟

كاسيو

: لا ، لا أسمع صديقك الكريم . أسمعك أنت .

مهرج

: أرجوك ، احتفظ بتورياتك لنفسك . هاك قطعة ذهبية صغيرة . إذا
كانت السيدة وصيفة عقيلة القائد قد نهضت من النوم ، فقل لها أن

كاسيو

٢٥ هناك رجلاً يدعى كاسيو يرجوها أن تتكرم عليه بحديث . هل تفضل
بذلك ؟

كاسيو

: لقد نهضت ، يا سيدي ، وإذا أنت هنا سأبدو لها بالقول .

مهرج

(يدخل ياغو)

: أرجوك ، يا صديقي الطيب

كاسيو

(يخرج المهرج)

٣٠ جئت في اللحظة المناسبة ، ياغو !

ياغو

: ألم تأو إلى فراشك إذن ؟

كاسيو

: لا والله . كان النهار قد طلع قبل أن نفرق .

وقد تجرأت ، يا ياغو ،

فأرسلت كلمة إلى زوجتك .

٣٥ والتماسي اليها هو أن تهين لي اتصالا ما

ياغو

بدزديمونة الفاضلة .

: سأرسلها اليك في الحال

وسأفتعل وسيلة لإخراج المغربي

عن الطريق ، لكي يتاح المزيد من الحرية
لحديثك وشأنك معها .

٤٠ كاسيو : أشكر لك فضلك . (يخرج ياغو) ما عرفت قط
فلورنسيا أكثر لطفًا وإخلاصًا منك .
(تدخل اميليا).

اميليا : صباح الخير . أيها الملازم الكريم . يـؤسـفـني
أنك في ضائقة . ولكن كل شيء سيكون على ما يرام ،
تأكد .

القائد وزوجته يتحدثان في الموضوع
٤٥ وهي تدافع عنك بقوة . ويجب المغربي
بأن الرجل الذي آذيت عريض الشهرة في قبرص
وعلى صلة قريبي بكبار القوم . وأن من سداد الرأي
أن يرفضك . غير أنه يؤكد أنه يجبك .
وأنه في غنى عن وسطاء غير عواطفه هو
٥٠ لاغتناء أسلم فرصة من الناصية
ليعيدك من جديد .

كاسيو : ومع هذا فاني أتوسل اليك .
ان كنت تنسب ذلك أو تحسبه ممكناً .
أن تيسري لي حديثاً موجزاً
مع دزديمونة على انفراد .

اميليا : تفضل وادخل .
٥٥ سأضعك في مكان يسر لك مجالاً
تفرغ فيه ما بصدرك بملء حريتك
كاسيو : اني عميق الامتنان لك .
(يخرجان)

المشهد الثاني

غرفة في القلعة

(يدخل عطيل ، وياغو ، وسادة آخرون)

عطيل : هذه الرسائل ، يا ياغو ، اعطها للمرشد
وعن طريقه قم بواجباتي تجاه الدولة .
وحال فراغك ، ستجدني أتقَدّ التحصينات :
تعال إليّ هناك .

ياساغو : حسناً ، يا مولاي ، سأفعل ذلك .

عطيل : هذه التحصينات ، أيها السادة ، هل نذهب لزيارتها ؟

سادة : لسوف نرافق سيادتك .

(يخرجون)

المشهد الثالث

حديقة القلعة

(تدخل دزيمونة . وكاسيو . واميليا)

دزيمونة : ثق يا كاسيو أنني سأفعل

كل ما يوسعي من أجلك .

اميليا : افعلي . سيدتي الكريمة . صدقي أن زوجي حزين لهذا .
كأنما القضية قضيته .

دزيمونة : آه . انه فتى شريف . تأكد ، كاسيو .

سأجعل الصداقة بينك وبين سيدي

تعود إلى ما كانت عليه من قبل .

كاسيو : يا سيدة العطاء والكرم .

مهما يحدث ليكييل كاسيو

فانه لن يكون أبداً إلا خادملك الوفي .

دزيمونة : أعرف ذلك . شكراً . انك تحب سيدي ،

فقد عرفته طويلاً . وأؤكدك

أن جفاهه لن يدوم أكثر مما

تقتضيه السياسة .

كاسيو : نعم ، سيدتي ، ولكن

هذه السياسة إما ان تدوم طويلاً

- ١٥ أو نُدَام على غداء مائي رقيق . ،
أو تستديم نفسها بما يستجد من ظروف
بحيث أن قائدي ، بغيابي ، وفي مكاني بديل ،
سينسى حبي وخدمتي .
- دزديمونة : لا تشك في ذلك . لنشهد اميليا هنا
- ٢٠ على انني سأضمن لك مكانك . وثق انني
اذا تعهدت بصدقة ، وفيت بعهدي
حتى الحرف الأخير . لن يرتاح سيدي مطلقاً :
سأروضه بالسهر ، واستفد صبره بالكلام ،
حتى يبدو أن فراشه مدرسة ، ومائدته كرسي اعتراف . .
- ٢٥ وسأمزج كل شيء . يفعله
بالتماس كاسيو . فاصرف عنك همك يا كاسيو ،
لأن محاميتك ستؤثر الموت
على خسران قضيتك .
(يدخل عطيل وياغو)
- ٣٠ اميليا : سيدي ، زوجك قادم .
كاسيو : سيدي . استأذن بالانصراف .
دزديمونة : بل تريث ، واسمعي اتكلم .
كاسيو : ليس الآن ، سيدي . اني شديد الاضطراب .
وغير مهياً . حتى للمآربي .
دزديمونة : إذن افعل ما يحلو لك .
(يخرج كاسيو)
- ٣٥ ياغو : ها ! لا يروق لي ذلك !
عطيل : ماذا تقول ؟

(٥) أي بحجج وأعداء واهية .
(٥٥) لكثرة ما تحته كمنطمة . أو ككاهن بحث المترف على الاستفزاز .

- ياغو : لا شيء يا مولاي . أو إذا - لا أعرف ماذا .
- عطيل : ألم يكن ذاك كاتيو الذي فارق زوجتي ؟
- ياغو : كاسيو ، يا مولاي ؟ لا ، قطعاً ، لا أستطيع تصور ذلك .
- ٤٠ أخرج متسللاً كمجرم
حالمًا براك قادمًا ؟
- عطيل : أعتقد أنه كان كاسيو .
- دزيمونة : مرحبا بسيدي .
- كنت هنا أتحدث إلى صاحب التماس -
رجل يتعذب لسخطك عليه
- ٤٥ عطيل : من تقصدين ؟
- دزيمونة : ملازمك ، كاسيو . مولاي الكريم .
إن نكزني لي دالة عليك أوقوه للتأثير فيك .
تقبل خضوعه الحالي لمصالحته .
فإن لم يكن رجلاً يخلص لك الحب
فيخطئ عن جهل ، لا عن كيد .
- ٥٠ فإني عدت الحكم على أمانة انسان من وجهه .
أرجوك . ارسل في طلبه .
- عطيل : هل ذهب من هنا الآن ؟
- دزيمونة : نعم . كسر الخاطر .
حتى أنه ترك معي بعضاً من أساه
لأكابه معه . حبيبي الكريم . ارسل في طلبه .
- ٥٥ عطيل : ليس الآن . يا حلوتي دزيمونة . في حين آخر .
- دزيمونة : ولكن عمًا قريب ؟
- عطيل : بأقرب حين يا حلوتي . من أجلك .
- دزيمونة : أهذا المساء عند العشاء ؟
- عطيل : لا ، لا هذا المساء .
- دزيمونة : غدا اذن . عند الغداء ؟
- عطيل : لن أتغدى في البيت .

- ٦٠ لي لقاء مع رؤساء الجيش في القلعة .
 دزديمونة : اذن . غدا مساء ، أو الثلاثاء صباحاً .
 أو الثلاثاء ظهراً ، أو مساء ، أو صباح الأربعاء .
 أرجوك عيّن الموعد ، ولكن لا تدعه
 يتجاوز ثلاثة أيام . إنه والله نادم .
- ٦٥ ومع هذا فان ذنبه ، فيما نراه نحن عامةً
 (لولا أن الحروب ، كما يقال ، يجب ان تجعل قدوةً
 من أفضل رجالها) لا يكاد يكون خطأً
 يستوجب الردع الفردي . متى تستدعيه ؟
 قل لي ، يا عطيل . اني لأتساءل في قرارة نفسي .
 ما الذي قد تطلبه أنت مني فأرفضه .
 أو أتردد هكذا فيه ؟ ماذا ؟ ميكيل كاسيو ،
 هذا الذي رافقتك خاطباً ، وكان في المرات العديدة
 التي تحدثت فيها عنك بغير مديح
 يدافع عنك - أعليه ان يلقي هذا العناء كله
 لكبي تستدعيه ؟ ثق بي ، قبوسي عمل الكثير -
 ٧٠ كفي ، أرجوك ! قليات عندما يشاء :
 لن أرفض لك أمراً .
 دزديمونة : ليس هذا جميلاً تصنعه لي .
 فهو كأنما أرجوك ان تلبس قفازيك
 أو تأكل أكالات مغذية ، أو تحافظ على دفتك .
 ٨٠ أو كأنما التمس اليك أن تأتي نفعاً خاصاً
 لشخصك أنت . لا ، ولكن عندما يكون لي التماس
 أنوي أن أجرب به حيك فعلاً ،
 فلسوف يكون كبير الوزن ، عسير الشأن .
 رهيب التحقيق ،
 ٨٥ لن أرفض لك أمراً :
 ولذا أتوسل اليك أن تتكلمي عليّ
 بأن تتركيني ولو قليلاً لوحدي .

- دزديمونة : وهل أرفضك ؟ أبدأ . وداعاً . مولاي .
 عطيل : وداعاً ، دزديمونتي . سأتيك مباشرة .
 دزديمونة : اميليا ، تعالي .كن على هوك .
 ٩٠ ومهما تكن . فاني مطبعتك .
 (تخرج دزديمونة واميليا) .
 عطيل : مسكينتي الرائعة ! ألا فلتهلك نفسي !
 كم أحبك ! ويوم لا أحبك
 سيكون الكون قد عاد للفوضى من جديد .
 ياغو : مولاي النبيل
 عطيل : ماذا تقول ، ياغو ؟
 ٩٥ ياغو : عندما كنت تخطب سيدتي . هل كان ميكيل كاسيو
 يعلم بحبك ؟
 عطيل : نعم . من البداية حتى النهاية ، فم سؤالك ؟
 ياغو : لأطمئن فكري .
 لا أكثر .
 عطيل : لماذا فكرك . يا ياغو ؟
 ١٠٠ ياغو : ما ظننت انه كان يعرفها .
 عطيل : آه . بلى . ولطالما كان الوسيط بيننا .
 ياغو : صحيح ؟
 عطيل : صحيح ؟ طبعاً صحيح ! هل تستشف شيئاً من ذلك ؟
 أليس أمينا ؟
 ١٠٥ ياغو : أمينا . مولاي ؟
 عطيل : أمينا ؟ نعم ، أمينا .
 ياغو : مولاي ، حسبما أعلم .
 عطيل : ما الذي تظن ؟
 ياغو : أظن ، مولاي ؟
 ١١٠ عطيل : أظن ، مولاي ؟ وحق السماء . انه يرجع لي الصدى
 كأن في فكره وحشا
 أرهب من أن يُظهره . انك تقصد أمرا .

- سمعتك قبل لحظات تقول : « لا يروق لي ذلك »
 عندما غادر كاسيو زوجتي . ما الذي لم يرق لك ؟
 11٥ وعندما أخبرتك بأنني كنت أستشيريه
 طوال فترة خطبتي ، هتفت قائلاً : « صحيح ؟ »
 فقطبت جبينك وزعمت به
 كأنك عندئذ اغلقت في دماغك
 على فكرة مريعة . ان كنت تحبني
 12٠ أكشف فكرك لي .
 ياغو : مولاي ، أنت تعلم انني أحبك
 عطيل : أظن أنك تحبني .
 ولأنني أعلم أن ملكك الحب والأمانة
 وانك ترن كلماتك قبل ان نهها نفسك .
 لهذا السبب ، فان وقفاتك هذه تفرعني أكثر .
 12٥ لأن أمورا كهذه من وغد خائن غدار ،
 جيلٌ معتادة . أما من الرجل المستقيم
 فإنها جِيْشَانٌ خفي يعتمل به القلب
 حين تعجز العاطفة عن التحكم به .
 ياغو : من حيث ميكيل كاسيو ،
 أقسم انني أظنه أميناً .
 عطيل : وهذا ما أظنه أنا أيضاً .
 13٠ ياغو : على الانسان أن يكون ما يبدوه .
 أما من ليس كذلك ، فلا بدا انساناً قط !
 عطيل : مؤكداً : على الانسان ان يكون ما يبدوه .
 ياغو : ولذا فاني أظن كاسيو انساناً أميناً .
 عطيل : لا ، ثمة المزيد في هذا الأمر .
 13٥ أرجوك ، حدثني كما تحدث افكارك ،
 كما تفرق في تأملاتك ، واعط اسوأ افكارك
 أسوأ الكلمات .
 ياغو : مولاي الكريم ، عفوك .

- لئن أكن ملزماً بكل فعل واجب .
فاني لست ملزماً بما هو مباح لكل عبد
١٤٠ أنطلق أفكارى ؟ هب أنها حقيرة وكاذبة .
أين ذاك القصر الذي لا تتسلل القاذورات
اليه أحياناً ؟ من له ذلك الصدر النقي الذي
لا تقعد فيه خواطر بذينة
في جلسات كالمحكمة . وتناقش
١٤٥ حول تأملات مشروعة ؟
انك تآمر على صديقك . يا ياغو .
ان كنت تحسبه قد اسيء اليه وتصدّ أفكارك
عن أذنه
: **عطيل**
: **ياغو** أتوسل اليك -
ولو أنني ربما كنت مخطئاً في تكهني
١٥٠ (إذ أعترف أن الداء الذي في طبعي
هو أن أتمعن في الإساءات ، وكثيراً ما تجسد
ربيتي أخطاءً ليست هناك) - ألا تأبه
بحكمتك لقول رجل مبهم الأفكار مثلي .
وألا تبني لك انزعاجاً
١٥٥ من ملاحظاته الشتيتة التي يعوزها اليقين ،
فا إطلاعك على أفكارى
من رجولتي أو أمانتي أو حكمتي في شيء .
ولا هو يخدم خيرك وهدوءه بالك .
: **عطيل**
: **ياغو** ما الذي تقصد ؟
ان حسن السمعة في الرجل والمرأة ، يا مولاي العزيز ،
١٦٠ هو جوهرة الروح المباشرة .
من يسرق محفظتي يسرق نفايةً مني . إنها شيء ،
لا شيء .
كانت لي ، وهي له ، وكانت عبداً للألوف .

أما الذي يختلس مني حسن سمعتي ،
فإنه ينهب مني ما لن يغنيه ،
ولكنه حقاً يفتقرني .

١٦٥

عطيل : والله لأعرفنَ أفكارك !

ياغو : لن تستطيع ، ولو كان قلبي في يدك .

ولن تعرفها ما دام قلبي في حوزتي .
آه ، احذر الغيرة !

١٧٠

إنها الوحش الأخضر العينين الذي يهزأ
من الطعام الذي يفتقره . . سعيداً يعيش الزوج المخدوع

إذا تحقق من حاله ، ولم يحب ظالمته .

ولكن ما ألن الدقائق التي يعدها عدًا

ذاك الذي . يعشق ولكنه يشك - يرتاب ، ولكنه دنف مؤله .

١٧٥

عطيل : يا لليؤس !

ياغو : الفقر مع القناعة غنيّ ، غنيّ كاف .

أما الغنى الطائل فقفر مدقع كالشتاء

لمن كان دوما يخشى مجيئ الفقر .

أبنا السماء الخيرة ، ادفعي الغيرة

عن أرواح عشيرتي !

١٨٠

عطيل : فيم ، فيم ، هذا ؟

أتحسب أنني سأجعل من الغيرة حياة لي ،

فأتابع دوما تغيرات القمر

بشبهات جديدة؟ كلا : الارتباب مرة واحدة

هو الحسم مرة واحدة . استبدلني بتيس

١٨٥

ان كنتُ سأشغل روحي

بالتكهنات المنقوطة الكريهة التي

(٥) أي كالقط يعث بالفأر حين يفتقره .

- تفتق وما قلت . لن يجعلني أغار
أن يقال عن زوجتي إنها جميلة . تأكل طيباً . تُحب العِشْرَةَ ،
طليقة الكلام . تحسن الغناء والعزف والرقص .
حيثما الفضيحة . فإن في هذا فضلاً من الروعة .
- ١٩٠ ولن أستمدّ من محاسني الضعيفة
أقل ريبة أو خشية من خيانتها .
فقد كان لها عينان . وتخيرتني . لا . يا ياغو .
أريد أن أرى قبل أن أشك . وأثبت إن شككت .
- ١٩٥ وعند التثبت فليس ثمة الا -
الإطاحة حالاً بالحب أو بالغيرة !
يسرني ذلك . لأن لي العذر الآن
- ياغو :
في أن أبدي لك ما أضمر من حب وواجب ،
بروح من الصراحة أكبر . ولذلك ، لا لترامي إياك ،
- ٢٠٠ تقبلها مني . أنا بعد لا أتحدث عن البرهان
انتبه إلى زوجتك ، لاحظها جيداً مع كاسيو .
واجعل عينيك هكذا : لا غيورا ولا واثقاً ،
لن أرضى لك ، بطبعك التبيل السمح ،
أن تخدع ، لطيبة ذاتك . انتبه .
- ٢٠٥ اني أعرف طرائق بلدنا حق معرفة :
فالنساء في البندقية يسمحن للسماء أن ترى الألاعيب
التي لا يجسرن على أن يرينها أزواجهن .
خير الضمير عندهن
لا أن يحجمن عن فعل الشيء ، بل أن يُقينه مجهولاً .
- عطيل : أهكذا تقول ؟
ياغو : لقد خدعت أباهما ، بالزواج منك .
- ٢١٠ وحين بدت أنها ترتجف وتخشى نظراتك ،
كانت شديدة التعلق بها .
- عطيل . : بالضبط ..
ياغو : تأمل إذن :

- تلك التي ، رغم صغرها ، استطاعت أن تتظاهر حتى سدّت عيني
أبيها كما ثمرة البلوط مسدودة -وظن هو أن الأمر سحر منك - ولكنني
٢١٥ أستحق اللوم ،
اني بكل تواضع ألتمس غفرانك
لحيي لك أكثر مما ينبغي .
عطيل : إنني ممتن لك إلى الأبد .
ياغو : أرى أن هذا قد نال من بهجتك .
عطيل : ولا ذرة ، ولا ذرة .
ياغو : لا والله ، أخشى أنه قد نال منها .
٢٢٠ أمل أن تعتبر ما قلته
صادرا عن حيي . ولكنني أرى أنك تأثرت .
يجب أن أرجوك ألا تحمّل كلامي
نتائج أوخم أو نطاقاً أوسع
من مجرد الشك .
عطيل : لن أفعل .
٢٢٥ ياغو : ان فعلت ، يا مولاي
فان كلامي سيسقط إلى نهاية حقيرة
لا تستهدفها أفكارني . فكاسير صديقي النبيل
مولاي ، أرى انك تأثرت .
عطيل : لا ، لم أتأثر كثيراً .
فأنا لا أحب دزديمونة إلاّ عفيفة .
٢٣٠ ياغو : ألا عاشت عفيفة ، وعشت أنت لنحسب ذلك !
عطيل : ولكن ، حين تضلّ الطبيعة عن نفسها -
ياغو : أجل ، هنا النقطة ! لأجسر فأقول
إذا لم تحفل بالمديد من الخطاب
من بلدنا ، ومزاجها ، وطبقتها ،
٢٣٥ وهذه سمة الطبيعة في مخلوقاتنا كلها -
أف ! في نساء كهذه يشتم المرء شهوة خبيثة ،
شدوذا ذميماً ، أفكاراً غير سوية -

- ولكن ، عفوك - إنني في ما أطرح
لا أتكلم عنها بوجه خاص ، ولو أنني أخشى
٢٤٠ أن شهوتها ، إذ تتوب إلى حسن إدراكها ،
رحمًا راحت تقارنك باشكال قومها ،
وإذا هي تدم .
- عطيل** : وداعاً ، إذا لحظت المزيد ، أعلمني بالمزيد .
ضع زوجتك في مراقبتها . اتركني ، ياغو .
٢٤٥ **ياغو (ذاهباً)** : مولاي ، أستاذك .
- عطيل** : لماذا تزوجت ؟ هذا المخلوق الأمين لاشك
يرى ويعرف أكثر ، أكثر بكثير ، مما يكشف .
ياغو (عائداً) مولاي ، أرجو أن تسمح لي بالتوسل إلى سيادتك
بأن تكفّ عن التمعّن في هذا الأمر . أتركه للزمن .
٢٥٠ ولئن يكن ملائماً أن يعاد كاسيو إلى منصبه ،
لأنه يملأه ولا ريب بمقدرة كبيرة ،
فإنك إذا تفضلت بصدّه بعض الوقت
تمكنت بذلك من أن ترقبه هو ووسائله .
لا حظ ان كانت عقيلتك تجهد في إعادته
٢٥٥ بقويّ الالاحاح أو لوجهه :
- سيرى الكثير في ذلك . وفي غضون ذلك
عَلَّتِي متطفلاً بمخاوفي
(لأن لي ما يحذو بي إلى الظن بتطفلي)
واعتبرها بريئة ، أرجو سيادتك .
- عطيل** : لا تخش على رباطة جأشي .
٢٦٠ **ياغو** : مرةً أخرى ، أستاذك .

(يخرج)

عطيل : هذا الفتى عظيم الشرف والأمانة
ويعرف الطبائع كلها ، وقد تمرّس ذهنه
بضروب التعامل الإنساني

- ٢٦٥ إذا ثبت لي أنها صقرٌ برّي • ،
فحتى لو كانت سيورها أعزّ نياط قلبي
فانني سأصفر لها أن اغربي عني ، وفي مهب الريح
فلتبحث عن مصيرها . ربما لأنني أسود
وتعوزني نواغم الملاجين في التصرف
والحديث ، أو لأنني هبطت
٢٧٠ في وادي السنين (ولكن ليس كثيراً) ،
فانصرفت عني . لقد أخذت ، وما شقائي
إلا بكرهها . يا للعة الزواج ،
حين نستطيع القول أن هذه المخلوقات الرقيقة
مُلَكنا ولكن دون شهواتها :
اني لأوثر أن أكون سلحفاة ،
٢٧٥ وأقتات على بخار السراذيب
على أن أبقى ركبنا من الشيء الذي أحبّ
لاستعمال الآخرين . ولكنها آفة عليّة القوم
فهم أقل امتيازاً من صغار الناس
٢٨٠ انه مصير لا محيد عنه ، كالموت
لقد كتب علينا داء القرون هذا
حال دخولنا الحياة . هذه دزديمونة قادمة .
ان تكن تخونني ، فالسما تهزأ من نفسها !
لن أصدّق .
(تدخل دزديمونة واميليا)
دزديمونة : أهلا ، عزيزي عطيل .
غداؤك ، وأهل الجزيرة الكرام
٢٨٥ الذين دعوتهم ، بانتظار حضورك .

(٥) أي الصقر الذي لا يخضع لصاحبه . فيخونه . والكلمة الانكليزية (haggard) ترمز إلى المرأة المستهتره .بقية الصورة المجازية مأخوذة عن الصيد بالصقر . ولشكبير ولع خاص بالصور المستمدة من الصيد بأشكاله كلها .
(٥٥) كان ثمة رأي سائد يقول ان وفاء الزوجة ، في الطبقة العليا من المجتمع ، أمر غير متوقع .

- عطيل : الذنب ذنبي .
 دزديمونة : لماذا تكلم بصوت خافت. هكذا؟ أمتوعك أنت؟
- عطيل : في جيبي ألم ، هنا .
 دزديمونة : سبه السهر . سيزول ثانية .
- ٢٩٠ فلأعصبه لك ، وبأقل من ساعة
 سيشقى .
 (تخرج مندبلاً)
- عطيل : مندبلك صغير .
 (يبعد عنه مندبليها ، فيسقط)
 دعي جيبي ، هيا ، سأذهب معك .
 دزديمونة : يؤسفني جداً توعكك .
 (يخرج عطيل ودزديمونة)
- اميليا : يفرحني اني وجدت هذا المندبل .
 ٢٩٥ لقد كان أول هدية لها من المغربي .
 مئة مرة حثي زوجي العنيد
 على اختلاسه . غير أنها تحب هذا الدليل
 الذي استحلها على الاحتفاظ به إلى الابد ،
 فراحت تُبقيه معها دائماً وأبداً
 ٣٠٠ تقبله وتحديثه . سأنسخ تطريزه
 وأعطيه لياغو . . . اما ما الذي سيفعله به ،
 فعلمه عند ربي ،
 وأنا انما أرضي له نزوته .
 (يدخل ياغو)

(٥) الإشارة إلى قرون الزوج المخدوع . غير ان دزديمونة لا يخطر ذلك ببالها .
 (٥٥) أي انها سطرز مندبلاً آخر على غرارها تعطيه لياغو . وتعد الأصل إلى دزديمونة .

- ياغو : ها ، ما الذي فعلينه هنا ؟
- ٣٠٥ اميليا : لا تبدأ بقارس الكلام . عندي شيء لك
ياغو : شيء لي ؟ شيء شائع -
اميليا : ها ؟
- ياغو : ان يكون للمرء زوجة طائشة .
اميليا : أهذا كل ما هناك ! ما الذي تعطيني الآن
لقاء ذلك المندبل اياه ؟
- ٣١٠ ياغو : أي مندبل ؟
اميليا : أي مندبل ؟
ذاك الذي اهداه المغربي اولاً للزديمونة .
ذاك الذي كثيراً ما أمرتني بسرقة .
- ياغو : هل سرقة منها ؟
- ٣١٥ اميليا : لا والله . سقط منها سهواً ،
فاغتنمت الفرصة ، إذ كنت هنا ، والتقطته .
انظر . هاهو .
- ياغو : عفالك يا حبيبة ! اعطيني اياه .
اميليا : ما الذي سغفل به ، حتى رحمت
تلح عليّ باختلاسه ؟
- ٣٢٠ ياغو : (يخطئه منها) وما الذي يهملك من ذلك ؟
اميليا : اذا لم يكن لغرض مهمّ ،
أعده إليّ . مسكينة سيدتي . سُجِنَ
حين تقضده .
- ياغو : لا تقولي انك تعلمين شيئاً عنه . بي حاجة اليه .
٣٢٥ اذهبي ، واتركيني .
- (تخرج اميليا)
- هذا المندبل سأضيقه في مسكن كاسيو
واجعله يجده . فللميران تكون الطفائف
الخفيفة خفة الهواء أدلة دامغة

كبراهين الكعب المقدسة . وهذا قد يحقق شيئاً .

٣٣٠

لقد جعل المرسي بفعل بَسْمِي .

فالأفكار الخطرة بحد ذاتها سُومٌ

يكاد لا يدرك المرء أولاً سوء مذاقها ،

ولكنها بعد ان تفعل قليلاً في الدم

تشعل كمناجم الكبريت ، كما قلت . .

(يدخل عطيل)

٣٣٥

انظر اليه قادماً ! لا الخشخاش ولا اللقاح ،

لا ولا كلُّ ما في الدنيا من شراب منوم ،

سيشفيك عودة إلى ذلك السبات الهنيء

الذي كان بالأمس سباتك !

عطيل : ها ! ها ، أتخونني ؟

٣٤٠

ياغو : ما هذا ، سيدي القائد ؟ كنى ! كنى !

عطيل : انصرف ! أغرب عن وجهي ! ركبتني

على المحلّمة . . .

اقسم أنه خير للمرء أن يخان كثيراً

من أن لا يعرف عن ذلك إلا القليل

ياغو : مولاي ، مولاي ..

عطيل : هل أحسّت قطُّ ساعات شهوتها المختلفة ؟

٣٤٥

لا أنا رأيتها ، ولا فكرت بها ، فلم تؤذني .

نمتُ قربها نوماً عميقاً ، مرحباً لا أعرف المم .

وما وجدت قُبَلات كاسيو على شفيتها .

إذا سلب المرء ، ولم يفتقد ما سلب منه ،

دعه في جهله ، وإذا هو لم يُسلب قط .

٣٥٠

ياغو : يؤسفني أن أسمع هذا .

(٥) أي أن مظهر عطيل يدل على أنه جعل بفعل بسم ياغو . كما قال .

(٥٥) من آلات التعذيب الشائعة في عصر النهضة .

عطيل

- لكنتُ سعيداً لو أن عموم معسكري
بكل جنوده ومراتبه ، ذاق جسدها العذب ،
ما دمت أنا في جهل من الأمر . أما الآن ،
فوداعاً إلى الأبد أيتها النفس الوداعة !
وداعاً . أيتها الطمانينة !
٣٥٥ وداعاً أيتها الفصائل المريثة ، والحروب الكبيرة
التي تجعل من الطموح . فضيلة ! آه ، وداعاً !
وداعاً للجواد الصاهل ، والبوبق الصادح ،
للطبل المثير للنفس ، والمزمار الشاق للأذن ،
وداعاً للرأية الملكية ، وكل ما تحلّى به
٣٦٠ الحرب المجيدة من كبرياء ، وفخامة ، وجلال !
وأنتِ أيتها الآلات الماحقة التي تحاكي
حناجرها الشرساتُ رواعب رعود الخالد جوييتر
وداعاً ! إن مهنة عطيل قد انتهت !
ياغو : أمكنُ هذا يا مولاي ؟
٣٦٥ عطيل : يا وعد ! تأكد من البرهان على أن حبيبي بغي !
تأكد من ذلك . أعطني الدليل المرئي .
وبإلا ، فقسما بشرف روح الإنسان الخالدة ،
لخيرٍ لك لو وُلدت كلباً
من أن تواجه غضبي المستشيط !
ياغو : هل بلغت المسألة هذا الحد ؟
٣٧٠ عطيل : دعني أرى الدليل ! أو على الأقل برهن على الأمر
بحيث لا يبقى في البرهان نتوء واحد
يُعلّق عليه شك واحد . وإلا فالويل لحياتك !
ياغو : مولاي النبيل -
عطيل : ان كنت تطعن فيها وتعذبني ،

(٥) كثيراً ما كان يشار إلى الطموح . وبخاصة في مسرحيات شكسبير . كأثر أثيرم ، أو غير مشروع . وخيم العواقب

٣٧٥ كَفَّ عن الصلاة أبداً ، تخلُّ عن كل تقريع ضمير ،
وعلى رأس الرعب أقم الرعب أكداً .
إفعل ما يُكي السماء ويُفزع الأرض ،
لأنك لن تقدر أن تضيف إلى لعة الهلاك
ما هو أدهى مما فعلت .

بِأَعُو : أيتها النعمة ، أيتها السماء ، سامحيني !
٣٨٠ أبشراً أنت ؟ هل لك روح أو إحساس ؟
وداعاً لك ! اطردني من وظيفتي . أيتها الأحقق الشمس ،
ما عشت إلا لتجعل من أمانتك رذيلة !
أيتها الدنيا المتوحشة : انتهي ، انتهي ، أيتها الدنيا ،
كل من كان أميناً مستقيماً ، فهو غير آمن .
٣٨٥ أشكر لك هذا الدرس المفيد . من الآن فصاعداً ،
لن أحب صديقاً ، وفي الحب إساءة كهذه ...
(يهمم بالخروج)

عطيل : بل تريت . أنت أمين ، ولا ريب .
بِأَعُو : ولكن عليّ بالحكمة . لأن الأمانة حماقة
تفقد من تخدمه .
عطيل : وحق هذه الدنيا ،
٣٩٠ أظن زوجتي شريفة ، وأظنها غير شريفة
أظنك منصفاً وأظنك غير منصف .
أريد برهاناً ما . ان اسمها الذي كان نقياً
كوجه ديانا ، ملوثٌ أسود الآن
كوجهي أنا . ان تكن ثمة حبال ، أو سكاكين ،
٣٩٥ أو سم ، أو نيران ، أو سيول خانقه -
لا أستطيع التحمل ! ليت لي شيئاً من يقين !
بِأَعُو : أرى ، سيدي ، أن الغيظ يلتهمك .

(٥) ربة العفاف .

ليتني لم أسببه لك .

أتريد يقيناً ؟

عطيل : أريد ؟ بل أصراً !

ياغو : وستحصل عليه . ولكن كيف ؟ كيف تريد اليقين

٤٠٠

يا مولاي ؟

أتريد أن تحقّق تحديقاً بذبتاً ، كشاهد عيان ؟

أتبصرها معلومة ؟

عطيل : يا للموت ، يا للجنة !

ياغو : أظن أن البلوغ بهما ذلك المشهد

صعب وونيء ، قاتلهما الله -

٤٠٥

وهل سترهما عين إنسان يوماً يتوسدان

على غير ما يتوسد كلاهما بمفرده ؟ ماذا إذن ؟

كيف إذن ؟

ماذا أقول ؟ أين اليقين ؟

من المستحيل أن تجده عياناً

حتى ولو كانا في شهوة التيوس ، وحرارة القروود ،

٤١٠

وشيق الذئاب في السفاد ، ودعارة الحمقى

حين يسكر ذوو الجهل . ومع ذلك ، أقول

ان كنت تقنخ بالاستدلال بالشواهد الظرفية القوية

مما يؤدي إلى عتبة الحقيقة رأساً ،

فلك ذلك .

٤١٥

عطيل : أعطني دليلاً حياً على خيانتها .

ياغو : هذه مهمة لا تروق لي .

ولكن بما أنني أقحمت لهذا المدى في القضية ،

تستحني الأمانة الحمقاء والحب ،

فسأستمر .. كنتُ راقداً مع كاسيو مؤخراً ،

٤٢٠

ونقص علي وجعٌ في السنّ ،

فا استطعت النوم .

هناك ضرب من الناس أرواحهم سائبة ،

- حتى ليمتنون بشؤوبهم وهم نيام .
وكاسيو من هذا الضرب .
- ٤٢٥ وقد سمعته في نومه يقول : دزديموتة الحلوة ،
لنأخذ الحذر ، لنخف حبنا !
ثم راح ، يا سيدي ، يقبض يدي ويعصرها ،
ويصبح « يا مخلوقة حلوة ! » ، ثم يقبطني بمنف
كأنه يجتث قبلات نامية على شفتي
- ٤٣٠ من عروقها . ثم وضع ساقه
على فخذي ، وتنهَّد ، وقيل ،
ثم صاح : لئن القدر الذي أعطاك للمغربي !
عطيل : أوه ، فظيع ! فظيع !
ياغو : لا ، لم يكن هذا إلا حلماً من أحلامه .
عطيل : ولكنه يدل على نتيجة لفعل مضى .
- ٤٣٥ انه شك لعين ، وان لم يكن إلا حلماً .
ياغو : وهذا يمد الأدلة الأخرى بالكثافة
حين تكون دلالاتها واهنة .
عطيل : سأمرّقها قطعة قطعة !
ياغو : ولكن ، كن حكيماً . لم نر بعد شيئاً يُفعل .
٤٤٠ فقد تكون عفيفة ، رغم ذلك . قل لي -
ألم تشاهد أحياناً منديلاً
منقلاً بتوت بري في يد زوجتك ؟
عطيل : أنا أعطيتها منديلاً كذلك . كان هديتي الاولى .
ياغو : لا أدري . ولكن منديلاً كذلك
(أنا واتق من أنه منديل زوجتك) رأيت اليوم
٤٤٥ كاسيو يمسح ذقنه به .
عطيل : إذا كان هو -
ياغو : إذا كان هو ، أو أياً من مناديلها ،
فهو ينطق ضدّها ، مع الأدلة الأخرى .
عطيل : آه لو أن لهذا العبد أربعين ألف حياة !

- ٤٥٠ أما حياة واحدة ، فأضعف وأحقر مما يقتضيه انتقامي
الآن أرى أن الأمر صحيح . انظر ، ياغر :
حبّي المولّه ، هكذا انفخ به عني إلى السماء .
لقد راح .
إصعد أيها الانتقام الأسود من جوف الجحيم !
- ٤٥٥ سلم ، أيها الحب ، تاجك وعرشك الذي في القلب
للحقد الطاغية ! واورم أيها الصدر بعينك ،
لأنه من زبانات الدبابير !
ياغو : ولكن هتئ روعك .
عطيل : يا للدم ، للدم ، للدم !
ياغو : صبرا ، أرجوك ، ربما غيرت رأيك .
٤٦ عطيل : أبدأ ، يا ياغو . كالبحر البطني الذي
لا يعرف تياره الجليدي الجامح
عودة الجزر في مده ، ويستمر مندفعاً
نحو البرونطي والهليسيونطه ،
هكذا ستظل أفكاري الدموية ، في خطوها العنيف ،
٤٦٥ ترفض النظر إلى الورا ، أو الجزر إلى الحب المتضخ ،
إلى أن يتلتهما انتقام عريض شامل .
(بركع)
والآن ، قسماً بتلك السماء المرمرية ،
إني لأقطع على نفسي عهداً
أجله إجلال وعلو مقدس !
ياغو : لا تنهض .
(بركع ياغو)

(٥) البحر البطني هو البحر الأسود ، والبرونطي والهليسيونط هما بحر مرمرية واليوسفور الأسماء والوصف ترد في ترجمة لكتاب لبيني قرأه شكبير .

٤٧٠

اشهدي ، أيتها الأنوار المشتعلة أبدا في العُلَى ،
أيتها العناصر التي تكثفينا من كل صوب ،
اشهدي على أن ياغو هنا يكرّس
كل ما بوسع عقله ، وقلبه ، ويديه ،
لخدمة عطيل المساء اليه ! فليأمر ،

٤٧٥

ولسوف تكون الطاعة مني حنوّاً وشفقة
مهما يكن الأمر مفعماً بالدم .

(ينهدان)

عطيل : اني أقابل حبّك

لا يباطل الشكر بل بأكرم الرضا ،
وسأمتحنك على الفور .

في غضون الأيام الثلاثة هذه دعني أسمعك تقول
إن كاسبو ليس في قيد الحياة .

٤٨٠

ياغو : مات صديقي .

سيتم ذلك كما تطلب . أما هي فلتحق حية ترزق .

عطيل : لعننا الله ، هذه الفاجرة ! ألا لعننا الله !

تعال رافقني . سأسحب

لأهبي وسيلة قتل سريعة

للشيطانة الحسناء . انك الآن ملازمي .

ياغو : اني ملك يديك إلى الأبد .

(يخرجان)

المشهد الرابع

أمام القلعة

(تدخل دزديمونة واميليا ، والمهرج .)

دزديمونة : أتعرف يا غلام أين يقيم الملازم كاسيو؟

مهْرَج : لا أجراً على القول .

دزديمونة : لماذا يا رجل ؟

مهْرَج : انه جندي . ومن يكذب الجندي ، فكأنه يطعن .

دزديمونة : أف ! أين يسكن ؟

مهْرَج : ان قلت لك أين يسكن ، أكون كمن يكذب .

دزديمونة : هل في كلامك أي معنى ؟

مهْرَج : لا أعرف أين يسكن . فلو اخترعت له مسكناً ، وقلت إنه يقيم هنا

أو يقيم هناك لكنت كمن يملأ حنجرته بالأكاذيب .

دزديمونة : هل بإمكانك أن تسأل عنه ، فتعلم بما تسمع ؟

مهْرَج : سأحاول الدنيا من أجله ، سأضع لهم أسئلة فيجيئون .

دزديمونة : فتش عنه ، واطلب اليه المجيء هنا . أخبره بأنني تحدثت إلى سيدي من

أجله ، وآمل أن الأمر بخير .

مهْرَج : فعل هذا يقع ضمن نطاق العقل البشري ، اذن سأحاول أن أفعله .

(٥) المهرج في هذه المسرحية خادم يحب التهريج لتسليه أسياده . والتهريج في مطلع هذا المشهد يعتمد التلاعب على الألفاظ ، مما يستحيل نقل ما فيه من فكاهة التورية . كلمة (Lies) تعني «يقيم» و«يكذب» . وهي التي تتردد في الأسطر التالية .

(يخرج)

دزديمونة : أين من الممكن أن أكون قد أضعت ذلك المتدبل

يا إميليا ؟

٢٠ إميليا : لا أدري يا سيدتي .

دزديمونة : صدقتي ، ليتني أضعت محفظتي

مملأى بالدنانير . ولولا أن مغربيّ النبل

صادقُ النفس ، غيرُ مصنوع من الحقارة التي

تُصنع منها المخلوقات التي تغار ، لكان هذا كافياً لحمله على الظن .

٢٥ إميليا : ألا يفار ؟

دزديمونة : من ؟ هو ؟ أعتقد أن الشمس ، حيث ولد ،

امتصّت منه أي نزوات كهذه .

(يدخل عطيل)

إميليا : انظري اليه قادماً .

دزديمونة : لن أتركه الآن حتى يستدعي

كاسيو اليه كيف حالك يا مولاي ؟

٣٠ عطيل : حسن سيدتي الكريمة . (جائياً) ما أشقّ

المراءة !

وأنت يا دزديمونة ، كيف حالك ؟

دزديمونة : حسن ، سيدي الكريم .

عطيل : أعطيتي يدك . هذه اليد رطبة ، سيدتي .

دزديمونة : لم تحسّ بعدُ شيخوخةً ، ولم تعرف أي حزن .

٣٥ عطيل : إنها دليل الإثمار والقلب السخيّ .

حارة ، حارة ، ورطبة ، يدك هذه بحاجة إلى

الاحجام عن الحرية ، إلى الصوم والصلاة ،

إلى التشف الكثير ، والرياضة الورعة .

لأن هنا شيطاناً فتياً يعرق ،

من دأبه التمرد . انها يد طيبة ،

٤٠ يد حرة صريحة .

دزديمونة : لك حقاً أن تقول ذلك .

- لأنها هي اليد التي وهبتك قلبي .
- عطيل : يد معطاء : كانت القلوب فيما مضى تهب الأيدي .
ولكن رموزنا الجديدة هي الأيدي ، دون القلوب •
- دزيمونة : وما أدراني ؟ هلمّ الآن ، وعدك !
- ٤٥ عطيل : أي وعد ، يا فرختي ؟
- دزيمونة : أرسلتُ في طلب كاسيو ليأتي ويتحدث اليك .
- عطيل : عندي زكام قوي يزعجني .
أعيريني منديلك .
- دزيمونة : هاك يا مولاي .
- ٥٠ عطيل : ذاك الذي أعطيتك .
- دزيمونة : ليس معي .
- عطيل : ليس معك ؟
- دزيمونة : لا والله ، يا مولاي ،
- عطيل : هذا تقصير منك . فهذا المنديل
أعطته لأمي غجرية مصرية ••
- ٥٥ كانت ساحرة ، تكاد تستطيع أن تقرأ
أفكار الناس . وقالت لها ، ما دام المنديل في حوزتها .
فإنه سيجعلها محبوبة . ويخضع أبي
كلياً لحبها . ولكن إذا أضاعته ،
أو أهدته إلى أحد ، فإن عين أبي
٦٠ لن تُبصرها الا بكراهية . وتهيمُ نفسه في طلب
غراميات جديدة . أعطني اياه وهي تحتضر
وامرتني . عندما يكتب لي القدر زوجة ،
ان أعطيتها اياه . ولقد فعلت ذلك . فاعتني به .
أعزّيه كعينك الغالية .
- ٦٥ أما فقدانه أو اغطاؤه فخسارة

(٥) يقصد عطيل كان رمز الزواج فيما مضى يداً تعطى وفيها قلب أما اليوم فالرمز هو يد في يد . بغير قلب .
(٥٥) كان المعتقد حتى وقت قريب ان الفجر أصلاً من مصر . وكلمة **gypsy** (غجري) مشتقة من **(Egypt)** (مصر) .

- لن تُعَوِّض بأي شيء آخر.
 دزديمونة : أممکن ذلك ؟
 عطيل : بالضبط . ثمة سحر في نسجه .
 فإن كاهنة عرافة عدت في الدنيا
 للشمس في جريانها مني دورة ،
 ٧٠ طرّزت الوشي في نوبة من وحيها .
 والديدان التي أفرزت الحرير كانت مقلمة .
 وتمّ صبغه بمومياء استحضرها البارعون
 من قلوب العذارى .
 دزديمونة : أحقاً هذا صحيح ؟
 عطيل : جداً صحيح . ولذا ، اعطني جيداً به .
 ٧٥ دزديمونة : إذن ليتني لم أره قط !
 عطيل : ها ! لماذا ؟
 دزديمونة : لماذا تتكلم بطفرات وهكذا ، وبسرعة ؟
 عطيل : هل ضاع ؟ هل فقد ، تكلمي ، أليس في متناول يدك ؟
 دزديمونة : رحمتنا السماء !
 ٨٠ عطيل : ماذا قلت ؟
 دزديمونة : لم يضع . ولكن هب أنه ضاع ؟
 عطيل : كيف ؟
 دزديمونة : قلت انه لم يضع .
 عطيل : احضريه ، دعيني أراه !
 دزديمونة : طبعاً ، بامكاني ، يا سيدي . ولكنني لن أحضره الآن .
 ٨٥ هذه خدعة تعبدني بها عن التماسي .
 أرجوك ، اطلب كاسيو لمقابلتك ثانية .
 عطيل : أحضري لي المنديل ! في نفسي ريبة .
 دزديمونة : هيا ، هيا !
 لن تجد رجلاً أكفأ منه .
 عطيل : المنديل !
 ٩٠ دزديمونة : رجاء ، حدثني عن كاسيو .

عطيل : المتدليل !

زدبمونة : رجل أرسى كل خير له .

طيلة وقته ، على حبك ،
وشاطرك المخاطر -

عطيل : المتدليل !

زدبمونة : والله أنت اللوم .

عطيل : بك عني !

٩٥

(يخرج)

اميليا : أليس غيرانا هذا الرجل ؟

زدبمونة : لم أره في مثل هذا قط من قبل .

لا بد أن في المتدليل اعجوبة ما .

ما أشقاني بفقدانه !

اميليا : سنة أوستان ، وينكشف الرجل .

ما الرجال كلهم الآ معدات ، وما نحن كلنا الا طعام

يأكلوننا بهم ، فاذا شعبوا ،

تقياونا .

١٠٠

(يدخل ياغو وكاسيو)

انظري - كاسيو وزوجي !

ياغو : ما من سبيل آخر .. هي التي يجب ان تفعلها .

وانظر ما أسعدك ! اذهب وألح عليها .

١٠٥

زدبمونة : أهلا ، كاسيو الكريم ، ما أنجارك ؟

كاسيو : سيدتي ، التماسي السابق . اني أتوسل اليك

أن يتاح لي بوسائلك الفضليات

أن أوجد من جديد ، وأساهم في حبه

هذا الذي أجله بكل ما في قلبي

من ودّ وإخلاص . أرجو ألا أماطل .

١١٠

فإن يكن ذنبي من نوع يميت

بحيث لا الخدمة الماضية ، ولا الاحزان الراهنة ،
ولاما نويت عليه من جدارة في المستقبل ،
يفدني لديه استعادة لجه ،
فاني اكون غانماً لو تيقنت من ذلك ،
فأليس نفسي رضا مكرها
وأحصر سعي بمسار آخر
نحو حسنات الدهر .

١١٥

هزديمونة : وا أسفاه ، يا كريم الأصل كاسيو :

مشورتي الآن لا تتناغم .

١٢٠

ليس سيدي بسيدي ، وماكنت لأعرفه
لو أنه تبدل وجهاً كما تبدل في المزاج .
ولكن بعوني كل روح مقلّسة ،
اذ قلت له عنك خير ما عندي

١٢٥

ووقفت في خط النار من سخطه ،
لحريتي في ما تكلمت ! عليك بالصبر لفترة .
ما بمقدوري فعله سأفعله ، وسأفعل اكثر مما اجراً أن أفعل من أجلي
أنا . فاكشف بذلك .

ياغو : هل سيدي غضبان ؟

اميليا : ذهب من هنا قبل لحظات ،

باضطراب غريب ولا شك .

١٣٠

ياغو : هل يغضب ؟ لقد رأيت المدفع

ينسف جنوده عالياً في الفضاء

وهو ، كالشيطان ، ينفخ عن ساعده

أنعاه بالذات - فهل يغضب ؟

١٣٥

أمر كبير الشأن اذن . سأذهب للقائه .

فالقضية حقاً خطيرة ، ان كان قد غضب .

(يخرج) .

هزديمونة : أرجوك ، اذهب . لا بد أن أمراً من أمور الدولة

- من البندقية ، أو مؤامرة لم تكمل
انكشفت له هنا- في قبرص ،
- ١٤٠ عيَّرت روحه الصافية . في حالات كهذه
تستخدم طبائع الرجال في مناقشة الأمور الصغرى
بينما هي تستهدف الكبرى .
هذا ما في الأمر . فإذا توجعت من الاصبع ، سرى
منها الألم إلى أعضائنا الأخرى الصحيحة .
- ١٤٥ يجب ألا نحسب الرجال آلهة
وألا نتوقع منهم عناية
خليقة بالعرس . قاتلني الله ، يا اميليا ،
أنا المحاربة التي لا تُنصف ، لقد رحمت
أتهم قسوته في نفسي .
- ١٥٠ ولكني أرى الآن أنني تواطأت مع الشاهد
فجرى اتهامه زورا وبهتاناً .
أدعو إلى الله أن يكون الأمر من أمور الدولة ، كما تظنين ،
لا فكرة أو خاطرا من الشبهات
- ١٥٥ يتعلق بك أنت .
دزديمونة : لا سمح الله ! أنا ما أعطيته سبياً لذلك .
اميليا : ولكنَّ الأنفس إذا اشتبهت ، لا تقبل جواباً كذلك .
فهي لا تشته أبداً لسبب ،
انما هي شديدة الغيرة لأنها شديدة الغيرة .
والغيرة وحش يناسل نفسه ، يلد نفسه .
- ١٦٠ دزديمونة : الا وَقَتِ السماء فؤاد عطيل من وحشٍ كذلك !
اميليا : سيدني ، آمين .
دزديمونة : سأذهب اليه ، كاسيو ، تربث هنا .
فاذ وجدته مستجيباً ، سأحدث في التماسك
واحاول أن أحقق منه أكبر النتيجة .
- ١٦٥ كاسيو : بكل تواضع اشكرك يا سيدني .
(تخرج دزديمونة واميليا)

(تدخل بيانكا)

- بيانكا : مرحبا ، صديقي كاسيو !
كاسيو : ماذا تفعلين خارج البيت ؟
كيف أمورك ، يا جميلتي بيانكا ؟
كنت والله . يا حبيبي الحلوة ، في طريقي إلى بيتك .
بيانكا : وكنت أنا في طريقي إلى مسكنك ، كاسيو .
ماذا ، أتبقى بعيداً عنّي أسبوعاً كاملاً ؟ سبعة أيام
بلياليها ؟
ثماني ساعات بعشرين مرة ثمانية ؟ وساعة غياب العشاق
أبطأ وأسأمّ من ساعات النهار بعشرين مرة ثمانية ؟
يا للحساب المرهق !
كاسيو : عفوك يا بيانكا .
كنت هذه المدة تحت ضغط من أفكار كالرصاصة
غير أنني في وقت أكثر ملامعة
سأسدد حساب الغياب هذا . حلوتي بيانكا ،
(يعطيها مندبل هزديمونة)
انقلي لي هذا التطريز .
بيانكا : من أين لك هذا ، يا كاسيو ؟
هذا تذكّار من صديقة جديدة !
للغياب الذي شعرت به ، أشعر الآن بسبب ،
أبلى هنا وصل الأمر ؟
كاسيو : روحي ، روحي يا امرأة :
التي بتكهناتك الذميمة في أسنان الشيطان ،
حيث استقيتها . تغارين الآن إذ تشكين
في أن هذا تذكّار من عشيقه ما .
لا والله يا بيانكا .
بيانكا : من صاحبه إذن ؟
كاسيو : لا أدري يا حلوتي . وجدته في حجرتي ،
وأحييت تطريزه . فقبل أن يطلب مني -

إذ سيطلب على الأرجح - فكرت في استنساخه .
خذيته وانقلبه ، و اتركيني مؤقتا .

١٩٠ ييانكا : أتركك ؟ لماذا ؟

كاسيو : اني هنا في انتظار القائد ، ولا أحسب ان من اللياقة . ولا هي رغبتني ،
أن يراني بمعية امرأه .

ييانكا : لماذا ، أرجوك ؟

كاسيو : لا لأنني لا أحبك .

ييانكا : لا لأنك لا تحبني !

١٩٥ أرجوك ، سر معي بمض الطريق ،

وقل لي هل أراك هذه الليلة ؟

كاسيو : لا أستطيع السير معك إلا بمض الطريق
لأنني هنا في انتظار . ولكنني سأراك قريباً .

ييانكا : حسناً جداً . عليّ أن أتخضع للظروف .

(يفرجان)

(٥) في ثياب ييانكا وتصرفها ما يشير إلى أنها من بنات الموى .

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام القلعة

(يدخل ياغو وعطيل)

ياغو : أمكذا تظن ؟

عطيل : أمكذا أظن ، ياغو ؟

ياغو : ماذا ،

أن يتبادلا قبلة في خلوة ؟

عطيل : قبلة غير مشروعة .

ياغو : أو أن تكون عارية مع صاحبها في الفراش

ساعة ، أو أكثر ، ولا تقصد أي ضرر ؟

عطيل : عارية في الفراش ، ياغو ، ولا تقصد ضرراً ؟

ذلك نفاق على الشيطان :

فمن كان فاضل القصد ، ويفعل ذلك ،

فإن الشيطان يجرب فضيلته ، وهو يجرب الله .

ياغو : ما دام لا يفعل شيئاً ، فانه زلل مغفور

ولكن ، إذا أعطيت زوجتي مندبلاً -

عطيل : ثم ماذا ؟

ياغو : انه إذن مُلكها ، يا مولاي . ولما كان مُلكها ،

فإن لها ، كما أرى ، أن تهبه أي رجل .

عطيل : انها عاصمة شرفها أيضاً .

- ١٥ : **ياغو** : شرفها جوهر لا يرى .
كثيراً ما يملكه من ليس يملكه .
أما المنديل -
- ٢٠ : **عطيل** : لكان والله يسرني أن أنساه !
أنت قلت (انه ليأتي ذاكرتي
كما يأتي الغراب البيت المويه ،
نذير شؤم للجميع) ان عنده منديل .
- : **ياغو** : نعم ، وماذا في ذلك ؟
: **عطيل** : لا يروق لي الآن .
- : **ياغو** : وماذا لو قلت إنني رأيت يسيء إليك ؟
٢٥ أو إنني سمعته يقول - اذ ان ثمة انذاراً في الدنيا
حين يقنعون خلية لهم بلجوج طليهم .
أو يشبعونها بطائع ولهم ،
لا يملكون إلا أن يتشتقوا -
- : **عطيل** : هل قال شيئاً ؟
- ٣٠ : **ياغو** : نعم ، مولاي . ولكن ثق أنه
لم يقل أكثر مما سيقسم على نكرانه .
- : **عطيل** : ما الذي قال ؟
: **ياغو** : قال والله انه فعل - لا أدري ماذا فعل .
: **عطيل** : ماذا ؟ ماذا ؟
: **ياغو** : اضطجع -
: **عطيل** : بمها ؟
: **ياغو** : ممها ، عليها ، ما شئت .
- ٣٥ : **عطيل** : اضطجع ممها ، عليها ؟ اضطجع ممها ! شنيع ، وجروح
المسيح ! منديل - اعترافات - منديل ! ليعترف ، ويُشتق من أجل

(٥) هذه هي الضربة القاسية . التي ينهار عندها عطيل . فيكون كلامه التالي أقرب إلى هذيان الغضب للجنون .

أتعابه - ليشتق أولاً . ثم ليعترف ! اني أرتجف لها . لا ترتدي الطبيعة
غضباً طاعياً كهذا دون تلقين ما . ليست الكلمات ما يرعدي هكذا .. ٤٠
أف ! أنوف . آذان ، شفاة . أممكن ذلك ؟- يعترف ؟ منديل ؟ يا
للشيطان !

(يقع في غيبوبة)

ياغو : استمرّ فعلاً

٤٥ يا دوالي ، استمر ! هكذا يُصاد الحمقى المصدّقون .
وهكذا تلقى المذمة نسوةً عفيفاتٍ شريفاتٍ كثيرات
دونما إثم أو جريرة .- ها ، مولاي !
مولاي ! عطيل !

(يدخل كاسيو)

أهلاً ، كاسيو !

كاسيو : ما الأمر ؟

٥٠ ياغو : وقع مولاي في نوبة صرع .

هذه نوبته الثانية . كانت الأولى أمس .

كاسيو : افرك صدغيه .

ياغو : لا ، امتنع .

هذا البحر ان لا يد له من أخذ مجراه المادئ .

والأ ، فانه سيزيد فماً ، وسرعان ما

٥٥ ينفجر في جنون همجي . انظر ، انه يتحرك .

وأنت ، إنسحب بعض الوقت .

سيعود إلى وعيه حالاً . وعندما يذهب ،

أودّ الحديث معك في موضوع مهمّ .

(يخرج كاسيو)

كيف أنت أيها القائد ؟ ألم تؤذ رأسك ؟

عطيل : أتتهراً مني . ؟

(٠) اشارة ياغو إلى أذى الرأس تذكر عطيل بقرون الزوج المخلوع .

- ٦٠ ياغو : أهرأ منك ؟ كلا ، قسا بالساء
لنتك تححمل مصيتك كالرجال !
عطيل : ما الرجل المقرن الآ حيوان ووحش
ياغو : في المدينة الآهله اذن حيوانات كثيرة .
ووحوش متحصرة كثيرة .
عطيل : هل اعترف بها ؟
- ٦٥ ياغو : سيدي الكريم ، كن رجلاً .
فكّر في أن كل ذي لحية تحت النير . -
يجر نيره معك . هناك الملايين من الأحياء الآن
يرقدون ليلاً في أسرة ليست لهم ،
ولا يحجمون عن القسم بأنها أسرّتهم ، قضيتك أسهل .
- ٧٠ انه لكيد من الجحيم ، انه لأكبر هزه من إبليس
أن يشافه الرجل فاجرة في فراش مزعوم البراءة
وهو يحسبها عفيفة نقية ! لا ، دعني أعرف :
فإذا عرفت ما أنا ، عرفت ما ينبغي لها أن تكون .
عطيل : آه ، ما أحكك ! مؤكد !
ياغو : انتح بنفسك لحظتين ،
- ٧٥ وافرض على نفسك حدود الصبر فقط .
بينما كنت هنا مستغرقاً في محنتك
(وهو افعال لا يليق برجل مثلك)
قدم كاسيو . فدفعته دفعا
وعلّلت غيبوتك بسبب مقول ،
وأمرته بالعودة سريعاً ، ليكلمني هنا .
- ٨٠ فوعد بذلك . أرجوك بأن تختبئ ،
والحظ سيما الشماعة ، والتهكم ، والزراية الصريحة .
التي تأهل بها كلّ بقعة في وجهه .
لأنني سأجعله يعيد سرد الحكاية من جديد -
- ٨٥ أين التقى زوجتك ، وكيف ، وكم مرة ، ومنذ أي زمن ،

(٥) يقصد نير الزواج .

ومنى سيلتقيها مرة أخرى .
أقول ، لاحظته فقط . بربك ، صبراً !
وبالآ زعمتُ أنك كلَّك انفعالاً محض ،

ولنت رجلاً في شيء .

عطيل : أسمع ، يا ياغو ؟

ستجدني شديد المكر في صبري .

ولكن - أسمع ؟ - شديد الدموية .

ياغو : لا غبار على ذلك .

ولكن حافظ على الايقاع في كل شيء . اتسحب ؟

(ينسحب عطيل جانباً)

والآن سأسأل كاسيو عن بيانكا ،

وهي غانية تبيع رغابها

لتبتاع خبزاً وثياباً لنفسها . انها مخلوقة

تعبد كاسيو ، فليّة الموس أنها

تخدع الكثيرين ، ويخدعها واحد .

أما هو ، فحالما يسمع شيئاً عنها ، لا يستطيع الكفّ

عن الفيض بالضحك . ها هو قادم .

(يدخل كاسيو)

وكلما ابتسم ، جُنّ عطيل .

ولسوف تفسّر غيرته العاقلة

كلّ ابتسامة من كاسيو المسكين ، وكلّ ايماءة

وحركة استخفاف منه

تفسيراً خاطئاً - كيف أنت الآن أيها الملازم ؟

كاسيو : أسوأ حالاً إذ تدعوني باللقب الذي

يكاد فقده يقتلني .

ياغو : تدبّر أمرك حسناً مع دزديمونة ، تضمن القلب .

لو كان التماسك هذا في مقدور بيانكا

- لسرعان ما نجحت !
- كاسيو : مسكينة هذه التمسة !
- عطيل : انظر كيف راح يضحك ..
- ياغو : ما عرفت امرأة قط تحب رجلا مثلها . ١١٠
- كاسيو : مسكينة هذه الشيطانة . أظن أنها والله تحبني .
- عطيل : ها هو ينكر بضعف ، ويصرف الأمر عنه بالضحك .
- ياغو : أسمع يا كاسيو ؟
- عطيل : انه الآن يرجوه
- ان يعيد سرد الحكاية . عفاك ! أحسنت ، أحسنت !
- ياغو : انها توحى بأنك عازم على الزواج منها . ١١٥
- هل نويت على ذلك ؟
- كاسيو : ها ، ها ، ها !
- عطيل : أتشت أيها الروماني . - ؟ أتشت ؟
- كاسيو : أتزوجها ؟ ماذا ، أتزوج امرأة عادية ؟
- أرجوك ، احترم ذكائي قليلاً ١٢٠
- لا تتصور أنه ممرض لهذا الحد . ها ، ها ، ها !
- عطيل : أمكذبا ، أمكذبا ؟ فليضحك من يريح !
- ياغو : والله ، تدور الاشاعة بأنك سوف تتزوجها .
- كاسيو : أرجوك ، قل الصدق .
- ياغو : والا فلا تكن نذلاً .
- عطيل : هل اصبتني ؟ حسناً ! ١٢٥
- كاسيو : هذه إشاعة السعدانة نفسها . لقد أقنعت نفسها بأنني سأتزوجها حباً منها
- وخداعاً لذاتها لا وعداً مني لها .
- عطيل : ياغو يومئ إليّ . انه يبدأ القصة الآن . ١٣٠
- كاسيو : كانت هنا قبل لحظات . تلاحقني في كل مكان . كنت قبل أيام عند

(٥) يقصد : أيها المتكبر .

- شاطئ البحر أتحدث إلى بعض أهل البندقية ، وإذا هذه اللعبة تأتي
هناك ، أي وحق هذه اليد ، وقع هكذا على عني .
- عطيل** : وكأنها تصيح «عزيزي كاسيو !»
- ١٣٥ هذا معنى حركته .
- كاسيو** : وهكذا تعلق بي ، وتكسر ، وتبكي اليّ ،
١٤٠ ونجرجر بي وتحبني هكذا... ها ، ها ، ها !
- عطيل** : والآن يروي له كيف اختطفته إلى حجرتي .
آه ، إنني أرى أنفك ذاك ، ولكنني لا أرى الكلب الذي سأقذفه إليه .
- كاسيو** : والواقع ، عليّ أن أهرج صحبتها .
(لدخل بيانكا)
ياهو : عجب ! انظر ، انها قادمة !
- كاسيو** : قطة ما مثلها قطة .. وممطرة ... ماذا تقصدين بملاحقتي هكذا ؟ ١٤٥
بيانكا : ليلاحقك الشيطان وأمه ! ماذا قصدت بذلك المنديل الذي أعطيتني إياه
قبل قليل ؟ لو لم أكن بلهاء لما أخذته منك . وعليّ أن أنقل التطريز
كله ! أتريدني أن اصدق أنك وجدته في حجرتك ولا تعرف من تركه
هناك ؟ انه هدية من إحدى المتذلات ، وعليّ أنا أن أنقل التطريز ؟ ١٥٠
هاك ، اعطه فرسك الألعوبة . أينما حصلت عليه ، فاني لن أنقل عنه
أي تطريز .
- كاسيو** : ماذا جرى ، يا حلوتي بيانكا ، ماذا جرى ؟
- عطيل** : وحق السماء ، ذلك لا بد مندبل !
- بيانكا** : إذا جئت إلى العشاء هذه الليلة ، فلا بأس . وإذا لم تجيء ، فتمال عندما ١٥٥
تسبح لك الفرصة التالية ..
- (تخرج)
- ياهو** : وراءها ! وراءها !
- كاسيو** : أي والله ، وإلا ملأت الطريق شتائم .
- ١٦٠ **ياهو** : هل يستمعي هناك ؟
- كاسيو** : نعم ، هذا ما نويت .
- ياهو** : إذن ، قد أراك . لي حديث أرغب فيه منك .

- كاسيو : أرجوك ، تعال . أتجيء ؟
 ياغو : هيا ! كني كلاماً !
 (يخرج كاسيو)
 عطيل : (مقيداً) كيف قتله ،- يا ياغو ؟
 ياغو : الحظت كيف كان يضحك على رذيلته ؟
 عطيل : آه ، ياغو !
 ياغو : وهل رأيت المندبل ؟
 عطيل : هل كان مندبلي ؟
 ياغو : مندبلك ، وحق هذه اليد ! وهل رأيت كيف يقدر المرأة الحمقاء ، ١٧٠
 زوجتك ؟ أعطته المندبل فأعطاه لبيخة .
 عطيل : ليتني استمر في قتله تسع سنوات متلاحقات ! امرأة رائعة ! المرأة
 حسناء ! امرأة حلوة !
 ياغو : لا ، يجب أن تنسى ذلك .
 عطيل : أجل ، لتتسخ ، وتهلك ، وتلعن هذه الليلة ! لأنها لن تحيا . لا ، لقد
 تحوّل قلبي إلى حجر . أضربه ، فيؤلم يدي . آه ليس في الدنيا مخلوقة
 أعذب منها ! بإمكانها أن ترقد بجانب امبراطور وتأمّر بللهام .
 ياغو : لا ، هذه ليست طريقتك .
 عطيل : ألا فلتشقى ! أنا انما أقول عنها ما هي . ما أرفضها بابرثها ! موسيقية
 مدهشة ! آه انها تستطيع بغنائها أن تقضي في الدب على وحشيتها !
 شديدة الذكاء غزيرة الابتكار ...
 ياغو : وهذا كله يجعلها أكثر سوءاً .
 عطيل : آ ، الف الف مرة ! ... ثم ، ما أرق مزاجها !
 ياغو : نعم ، أرق مما ينبغي .
 عطيل : لاشك ، ولكن يا للحسرة ، ياغو ! ياغو ، يا للحسرة ، ياغو !
 ياغو : ان كنت مجنوناً بها رغم سيئاتها ، امنحها ترخيصاً بالاسماع . فالأمر إذا
 لم يهملك أنت ، فانه لن يعني أحداً غيرك
 عطيل : سأقطعها تنفا ! تخونني ؟ !
 ١٩٥

- ياغو : يا للبذاء !
عطيل : مع أحد ضباطي !
ياغو : امعانا في البذاء .
عطيل : احضر لي بعض السم ، ياغو ، هذه الليلة . لن أناقشها واعاتبها ، لكلا ٢٠٠
يزعزع جماها الجسدي نفسي . هذه الليلة ، ياغو !
ياغو : لا تفعلها بالسم . اختنقها في فراشها في الفراش الذي نجسته .
عطيل : جيد ، جيد ... في ذلك عدالة تسرتني . جيد جداً ! ٢٠٥
ياغو : اما كاسيو ، فدعني أتولى أمره ، ستسمع المزيد قبل منتصف الليل .
عطيل : ممتاز ! (فهم) ما ذلك النفر؟
(يدخل لودوفيكو ، و دزيمونة ، ومرافقون)
ياغو : أمر ما من البندقية ، ولا ريب انه لودوفيكو ، ٢١٠
قادماً من لدن الدوق . وانظر ، ان زوجتك معه .
لودوفيكو : كان الله معلك ، ايها القائد الشريف !
عطيل : أهلاً وسهلاً ، سيدي .
لودوفيكو : دوق البندقية وشيوخها يقرئونك التحية .
(يناوله رسالة)
عطيل : اني أرحب بصكّ اوامرهم .
(يفتح الرسالة ويقرأ)
دزيمونة : وما ورايك ، يا ابن العم الكريم ، لودوفيكو؟ ٢١٥
ياغو : يسرني جداً أن أراك ، يا سيدي .
مرحبا بك في قبرص .
لودوفيكو : شكراً ، كيف حال الملازم كاسيو؟
ياغو : عايش ، يا سيدي .
دزيمونة : يا ابن عمي ، وقعت بينه وبين مولاي
واقعة . ولكنك ستصلح ذات البين . ٢٢٠
عطيل : أوائقة أنت من ذلك ؟
دزيمونة : مولاي ؟
عطيل : (يقرأ) « وهذا تأكد من ألا تفعله ، لأنك - »

- ٢٢٥ لودوفيكو : لم يجب . انه مشغول بالورقة .
هل ثمة خلاف بين مولاي وكاسيو ؟
دزيمونة : خلاف بائس جداً . ويودي لو افعل الكثير كي اصالح بيها ، لمحبي
لكاسيو .
عطيل : نار وكيرت !
دزيمونة : مولاي ؟
عطيل : اعاقلة أنت ؟
دزيمونة : ماذا ، أغضبان هو ؟
٢٣٠ لودوفيكو : ربما حاجته الرسالة .
إذ أعتقد أنهم يأمرونه بالعودة إلى الوطن ،
جاعلين كاسيو وكيلا عنه في الحكم .
دزيمونة : يسرني ذلك ، والله .
عطيل : حقاً ؟
دزيمونة : مولاي ؟
عطيل : يسري أن أراك جئت .
دزيمونة : عطيل العذب !
٢٣٥ عطيل : شيطانة !
(يصرها)
دزيمونة : لم استحق هذا .
لودوفيكو : مولاي لن يصدقوا هذا في البندقية
حتى لو اقسمت انني شاهدته بعيني . هذا كبير ...
صالحها . إنها تبكي .
عطيل : يا للشيطانة ، الشيطانة !
٢٤٠ لو أن الأرض تخضب بدموع المرأة ،
لكان تمساحاً كلُّ دمةٍ تُسقطها !
أغربي عن وجهي !
دزيمونة : لن أمكث اساءة لك .
(تهم بالخروج)

- لودوفيكو : سيدة مطيعة ، وأيمّ الحق ...
 اتوسل إلى سيادتك بأن تعيدها .
- ٢٤٥ عطل : يا سيدة !
 دزديمونة : مولاي ؟
 عطل : ماذا تريد منها ، يا سيدي ؟
 لودوفيكو : من ؟ أنا يا مولاي ؟
 عطل : أنت رغبت في أن اجعلها تعود .
- ٢٥٠ سيدي ، ان بوسعها أن تعود وتستدير ، ومع ذلك تستمر ،
 وتعود من جديد . وبوسعها أن تبكي ، سيدي ، أن تبكي
 وهي مطيعة ، كما قلت ، مطيعة ،
 مطيعة جداً . - استمري في ذرف دموعك . -
 أما بخصوص هذا ، سيدي (باللوعة الحسنة التموهه !) .
 فأني أمرت بالعودة إلى الوطن .. إذهي أنت ،
 سأرسل في طلبك بعد قليل ... سيدي اني أطيع الأمر ،
 ٢٥٥ وسأعود إلى البنديقة .. هيا ، انصرفي !

(تخرج دزديمونة)

- كاسيو سيحل في مكاني . وهذه الليلة ، سيدي ،
 أرجو أن تتعشى معاً .
 مرحباً بك يا سيدي في قبرص ... تيمس وقرود ... !
- (يخرج)

- ٢٦٠ لودوفيكو : أهذا هو المغربي النبيل الذي يصفه شيوخنا جميعاً
 بالقدرة في كل شيء ؟ أهذه هي الطبيعة التي
 لا تززعها عاطفة ؟ والتي في قوة رسوخها
 ما لا يخزقه سهم الصدفة ،
 ولا تخدشه رصاصة الحدث ؟

(٥) الكتاب الذي نلّمه وقراه .

(٥٥) كلا النيس والفرد مضرب المثل في الشن

- ٢٦٥ : ياغو : لقد تغير كثيراً
 لودوفيكو : هل قواه سليمة؟ أليس في عقله خفة؟
 ياغو : هو ما هو. ولا يجوز لي أن اتفلس برأيي.
 أما ما يمكن أن يكون - إذا لم يكن ما يمكن أن يكون
 فليته يكونه!
 لودوفيكو : ماذا، يضرب زوجته؟
 ياغو : حقاً، لقد اساء فعلاً بذلك. ولكن ليتني أوقن
 ان تلك الضربة هي أسوأ ما سيفعل!
 ٢٧٠ : لودوفيكو : هل من عادته ذلك؟
 ام أن الرسائل اثارته دمه
 فدفعته إلى هذه الفعلة لأول مرة؟
 ياغو : وأسفاه!
 ليس من الشرف أن انطق
 بما رأيت وعلمت. لسوف ترقبه،
 فتدل سبُّه عليه، لكي
 ٢٧٥ : اوقر على نفسي الكلام. ما عليك الا اللحاق به،
 ولاحظ كيف سيستمّر
 لودوفيكو : يؤسفني انني خُدعت به.
 (يخرجان)

المشهد الثاني

غرفة في القلعة

(يدخل عطيل واميليا)

عطيل : إذن لم تري شيئاً ؟

اميليا : ولا سمعت قط ، ولا اشتيت قط .

عطيل : لا بل رأيت كاسيو واياها ممأ .

اميليا : ولكنني ما رأيت أية اساءة ، مع انني سمعت

كل حرف صنعه القسُ بينهما .

عطيل : ماذا ، ألم يتامسا قط ؟

اميليا : قطعاً لا ، يا مولاي .

عطيل : ولا اخرجاك من طريقهما ؟

اميليا : أبداً .

عطيل : لكي تحضري مروحتها ، قفازها ، خمارها ،

أو أي شيء ؟

اميليا : أبداً ، يا مولاي .

عطيل : غريب .

اميليا : بوسمي ، يا مولاي ، رهانا على عفتها ،

أن اجعل روحي الرهان . أي ظننته أخرى ، فاصرفها عن فكرك : انها

تخادع دختلك .

وان يكن آثارها في نفسك أحد الأراذل ،

جازته السماء بلعنة الأفعى !
إذا لم تكن سيدتي مخلصه ، عفيفة ، صادقة ،
فا من رجل سعيد في الأرض ، وأطهر الزوجات
إنما هي كالغيبية بذيبة .

عطيل : اطلي اليها المحيي هنا . اذهبي .
(تخرج اميليا)

٢٠ انها تقول ما يكفي . ولكانت قوادة مغلقة
لولم تستطع أن تقول ذلك ... فاجرة حيالة ،
انها القفل والمفتاح لغرفة من أسرار رذيلة .
ومع ذلك ، فهي ترمح وتصلي ! رأيتها تفعل ذلك .
(تدخل دزيمونة واميليا)

دزيمونة : ما الذي تريد ، يا مولاي ؟

عطيل : أرجوك ، فرحتي ، تعالي هنا .

دزيمونة : ما الذي تشاء ؟

٢٥ **عطيل** : دعيني أرى عينيك .
انظري في وجهي .

دزيمونة : ما الفكرة الرهيبة هذه ؟

عطيل : (لاميليا) بعض واجبك ، يا سيدة :

دعي الخطاة وشأنهم واغلقي الباب ...

اسعلي أو تتحنني عالياً إذا فاجأنا أحد .

٣٠ مهنتك ، مهنتك ! هيا ، بسرعة !

(تخرج اميليا)

دزيمونة : وأنا جاثية على ركبتَي ، ما معنى كلامك ؟

أفهم عنفاً في كلماتك .

أما الكلمات فلا أفهمها .

(٥) جاء في سفر التكوين ان الله حكم على الأفعى بأن ترحف على بطنها طيلة أيام حياتها .

(٥٥) يعذب عطيل نفسه بأن يتصور زوجته بشياً . وهو زائر البغي . واميليا قوادتها .

- ٣٥ عطيـل : اسمي ، من أنت ؟
 دزديـمونه : زوجتك يا مولاي . زوجتك الصادقة الائمة .
 عطيـل : تعالي ، أقسمي على ذلك ، والعني نفسك ، (٥)
 لئلا الشياطين بالذات ، وانت أشبه بواحدة من السماء ،
 تخشى الامساك بك - ولذا فلتلعي مرتين !
 أقسمي على انك شريفة .
 دزديـمونه : ان السماء لتعرف حقاً ذلك .
- ٤٠ عطيـل : ان السماء لتعرف حقاً انك خائنة كالجمجم .
 دزديـمونه : لمن ، مولاي ؟ مع من ؟ كيف أنا خائنة ؟
 عطيـل : آه دزديـمونه ، اذهبي ! اذهبي ! اذهبي !
 دزديـمونه : ويلناه من همي وحزني ! لماذا تبكي ؟
 أنا محرّكة هذه الدموع ، يا مولاي ؟
 ان كنت ربما تشبهه في أن أبي
 هو السبب في استدعائك ،
 لا تضع اللوم عليّ . ان كنت فقدته أنت ،
 فأنا أيضاً قد فقدته .
 عطيـل : لوأن مشيئة السماء كانت
 أن تتليني بالنوايب ، لو أنها امطرت
 ضروب القروح والمخازي على رأسي العاري ،
 وأغرقتني في الفقر حتى شفّيتي ،
 وسلمتني للعبودية أنا وأقصى ما أوّمل ،
 لوجدت في مكان ما من نفسي
 قطرةً من جلد . اما أن تجعلني ، وأسفاه
 هدفاً ثابتاً لهزه الزمن
 يشير إليّ بينان بطيء لا يتحرك ! ..
 ولكن لكنت أتحمّل ذلك أيضاً ، حسناً ، حسناً جداً .
 اما أن يُقدّف بي عن ذلك الذي فيه خزنت قلبي ، ذلك الذي
 به عليّ أن أحياء . أو أعدم الحياة ،
 ذلك الينبوع الذي فيه يدفق سيلي ،
- (٥) في كتابات شكبير ومعاصره تمني اللعنة الحكم على الشخص بهلاك روحه وسقوطه إلى الجحيم .

- ويغض بدونه
 اما أن يُجعل منه بالوعةً تتناكح فيها
 ضفادع السم وتوالد - عندها فليتغير محبّاك
 أيها الصبر، أيها الملاك القتيّ الورديّ الشفتين ،
 ٦٥ أجل عندها ، فلتكفهر كما الجحيم !
 دزديمونة : أرجو أن سيدي النبيل يعتبرني شريفة .
 عطيل : أي والله ، كما ذباب الصيف في الجزيرة
 إذ ينشط فيما يحطّ ! ألا أينما النبتة
 الرائحة الجمال ، الزكية الفوح ، التي
 ٧٠ يتلذذ الحس بها حتى الألم -
 ليتك قط لم تولدي ؟
 دزديمونة : وأسفي ، أي إنم وجهالة اقرتف ؟
 عطيل : هذا الورق الجميل ، هذا الدفتر البديع ،
 ٧٥ هل صنع كي يكتب عليه (عاهرة) ؟ ما الذي اقرتف ؟
 اقرتف ؟ يا بتيًا للمموم !
 لكيتُ أجمل من خديّ كورا
 يحرق الحياء رمادا
 لو تحدثتُ بفعالك . ما الذي اقرتف ؟
 السماء تسدّ الأنف عنها ، ويغض الطرف القصر .
 ٨٠ إن الريح الفاسقة التي تقبل كل ما تلقاه ،
 لتهجم في تجاوبف باطن الأرض -
 وترفض سماعها . ما الذي اقرتف ؟
 أينما البني الوقحة !
 دزديمونة : والله انك تظلمني !
 عطيل : ألس بتيًا ؟
 دزديمونة : لا وحق مسيحتي !
 ٨٥ ان يكن حفاظ هذا الوعاء لسيدي
 من كل لمسة أخرى بذيئة غير مشروعة

(٥) كان يفترض أن الرياح من باطن الأرض . فإذا هجمت . عادت إليه .

- هو عدم الكون شيئاً ، فأ أنا بيغي .
- ٩٠ عطيـل : ماذا ، ألسـت عاهرة ؟
 دزيمونة : لاسـمـح الله !
 عطيـل : أمـمـكن ؟
 دزيمونة : آه ، غفرت لنا السماء !
 عطيـل : اصـفـحي عني إذن ؟
 حسبـتـك عاهرة البندقية للخادعة
 تلك التي تزوجت من عطيل - أنت ، يا سيدة ،
 أنت التي تتولن النقيض من وظيفة القديس بطرس ، وتحرسين بوابة
 الجحيم ! أنت ، أنت ، أنت ، نم ، أنت !
 (لدخل اميليا) .
 انتينا من شوطنا . هالك تقوداً لأتـمـابـك .
 أرجوك ، أديري المفتاح ، واحفظي سرتنا .
- ٩٥ (يخرج عطيل)
- اميليا : وأسـفـي ، ما الذي يفكر به هذا السيد ؟
 كيف حالـك ، سيدني ؟ كيف حالـك ، سيدني الكريمة ؟
 دزيمونة : والله ، نصف نائمة .
- ١٠٠ اميليا : سيدني الكريمة ، ما به مولاي ؟
 دزيمونة : بمن ؟
 اميليا : بمولاي ، سيدني .
 دزيمونة : من هو مولاك ؟
 اميليا : مولاك أنت ، سيدني الحلوة .
 دزيمونة : ما لي من مولى أنا . لا تكلميني يا اميليا .
- ١٠٥ لا أستطيع البكاء ، ولا جواب عندي
 إلا ما يعطى بالدموع . أرجوك ، هذه الليلة .
 ضعي على فراشي شراشف عرسي . تذكري .
 وادعي زوجك هنا .
 اميليا : يا للتغير ؟

(تخرج)

دزديمونة : اني أستحق هذه المعاملة . أستحقها جداً .
١١٠ كيف تصرفت حتى بدا له أن يقول
حتى بأصغر الشبهة في أقل ما فعلت ؟

(يدخل ياغو واميليا)

ياغو : ما الذي تشائين . سيدتي ؟ كيف حالك ؟
دزديمونة : لست أدري . من يعلم الأطفال .
١١٥ يعلمهم بلطف الوسائل وسهل الفروض .
وكان بإمكانه أن يعتفني ، لأنني والله
طفلة إزاء التعنيف .

ياغو : ما الأمر ، يا سيدتي ؟
اميليا : من المؤسف . يا ياغو . أن مولاي مؤتمها .
وقذفها بالمقذع من الفاظ
يعجز القلب الصادق عن تحملها .

دزديمونة : هل أنا تلك اللفظة . يا ياغو ؟
١٢٠ ياغو : أية لفظة . سيدتي الجميلة ؟
دزديمونة : تلك التي تقول اميليا أن مولاي قذفني بها
اميليا : دعاها بالعاهرة . لو أن شحاذاً سكر
لما أطلق تلك التسميات على عشيقته .

ياغو : لماذا فعل ذلك ؟
دزديمونة : لست أدري . أنا واثقة من أنني لست كذلك .
١٢٥ ياغو : لا تبكي . لا تبكي . يا حيف !
اميليا : هل تخلت عن اولئك الخطاب النبلاء كلهم ،
عن أبيها وبلدها ، عن اصدقائها جميعاً ،
لكي تُدعى بالعاهرة ؟ ألا يبكي المرء لذلك ؟
دزديمونة : انه حظي البائس .

ياغو : قاتله الله !
١٣٠

كيف أتته هذه النزوة ؟

- دزديمونة : الله يعلم .
اميليا : فلأشئق ان لم يكن أحد الأشرار المقيتين .
أحد الأوغاد المتطفلين اللساسين .
أحد الحقراء الحبالين الماكزين . طمعاً في وظيفة ما ،
١٣٥ قد اخترع هذه الفرية . والا فليشتقوني .
ياغو : بس ، بس . ليس هناك رجل كهذا . مستحيل .
دزديمونة : واذا كان ، غفرت له السماء ...
اميليا : غفر له جبل المشنقة ! وقرض الجحيم عظامه !
لماذا يدعوها بالعاهرة ؟ من يصاحبها ؟
١٤٠ في أي مكان ؟ في أي زمان ؟ في أي شكل ؟ أين الاحتمال ؟
لقد خدع المغربي نذلٌ مُحطط .
نذلٌ دنيء بارز ، أحد الأوباش .
يا ليتك ، يا سماء ، تكشفين عن مثل هؤلاء السفلة
وتضعين في كل يد شريفة سوطاً تنهال به
١٤٥ على هؤلاء الأوغاد عُراة وتسوقهم عبر العالم
من الشرق حتى الغرب !
ياغو : خففي من أفاظك ...
اميليا : عارٌ عليهم جميعاً ! لا بد أن رجلاً من هذا القبيل
هو الذي قلب لك دماغك
وجعلك تشك فيّ مع المغربي .
ياغو : انت حمقاء . كفي !
١٥٠ دزديمونة : أيها الطيب ياغو ،
ماذا أفضل لأكسب ودّ مولاي ثانية ؟ اذهب اليه ، ايها الصديق
الطيب . لأنني ،
وضياء السماء هذا ،
لا أعرف كيف فقدته . ها انني اركع .
فان اكن يوماً قد اقتأت بمشيتي على حبه

١٥٥

بمجرى الفكر أو حقيق الفعل ،
أو ممت عيني ، أو أذني ،
أو أي حس في ، على أي نحو آخر ،
أو إن اكن لا أحبه الآن اعنى الحب
أو ما أحببته ، اولن احبه أبداً

١٦٠

(وان ينفضني عنه في طلاق كطلاق المدمين)
فلتحرم عليّ الطمأنينة وراحة البال !
قد تفعل القسوة الكثير ،
وقد تحطم قسوته حياتي ،

ولكنها لن تبال من حبي بلوثة . لا أقدر أن أقول « عاهرة » ،
اني أمج الكلمة اذ أنطقها .

١٦٥

ولن تستطيع اباطيل العالم لو كومت ان تجعلني
افعل الفضلة التي تُكسبني تلك التسمية .
ياغو : أرجوك ، كفي عن القلق . حالة من حالاته وتنقضي .
اشغال الدولة تؤذيه ،
فيفع عليك باللائمة .

١٧٠

دزيمونة : لو لم يكن الأ ذاك -
ياغو : ذاك دون غيره ، أوكد لك .

(نفي من الداخل)

اسمي : هذه الممازف تدعوك إلى المشاء .
رسل البندقية باقون للطعام
ادخلي ، ولا تبكي . ستصبح الأمور كلها بخير .

(تخرج دزيمونة واميليا)
(يدخل رودريغو)

١٧٥

ها ، رودريغو ؟
رودريغو : أنا لا أرى انك تعاملني بالعدل .
ياغو : وما القبيض ؟
رودريغو : تماطلني كل يوم بحيلة ، يا ياغو ، وفيما أرى الآن ، فانك تحول دون

- الفرص ودوني أكثر مما تمدني بأقل مغن للأمل . لن أتحمل ذلك بعد اليوم . وليس ثمة ما يقنني بأن أرضي صاغراً بما قاسيته حماقة حتى ١٨٠
الآن .
- ياغو : أتريد أن تسمعي ؟ رودريغو ؟
- رودريغو : والله سمعت أكثر مما ينبغي . لأن كلماتك وأفعالك لا قربي بينها .
- ياغو : تهمني بأشد الظلم .
- ١٨٥ رودريغو : بالحقيقة دون سواها . لقد أسرفت وبددت كل ما عندي . والمجوهرات التي أخذتها مني لتسلمها لـ دزيمونة كانت كخيلة بافاد راهبة . قلت لي ١٩٠ انها تسلمتها وعدت التي بتوقعات تمنني بوشيك الاهتمام والتعارف ، ولكني لا أجد من ذلك شيئاً .
- ياغو : حسناً ، كفى . حسناً جداً .
- رودريغو : حسناً جداً ! كفى ! لا أستطيع أن أكف ، يا رجل ، ولا الأمر بالحسن جداً .
- لا بل أحسب أن الأمر سيء جداً ، وجعلت أرى انني مَضْحَكَةٌ فيه .
- ١٩٥ ياغو : حسناً جداً .
- رودريغو : أقول لك انه ليس بالحسن جداً . سأعرف نفسي على دزيمونة . فاذا أعادت التي مجوهرائي ، سأكف عن مطلي وأندم على مراودتي غير ٢٠٠ المشروعة . والآن ، فتت انني سأطالبك بالحساب .
- ياغو : لقد قلت الكفاية .
- رودريغو : نعم وما قلت إلا ما أوكد نيتي على تنفيذه .
- ياغو : آ ، الآن أرى أن في معدنك صلابة .
- ٢٠٥ وابتداء من هذه اللحظة سأبني عليك رأياً أفضل مما فعلت أبداً من قبل . اعطني يدك ، يا رودريغو . اعترضك عليّ جد عادل ولكني أوكد لك إنني عالجت قضيتك بأمانة وصراحة .
- رودريغو : ليس هذا ما يبدو
- ٢١٠ ياغو : أسلم حقاً ، بأن ليس هذا ما يبدو .
- وارتباك لا يخلو من ذكاء وحكم . ولكن ان كان فيك حقاً يا رودريغو ما لديّ الآن سبب أعظم من ذي قبل لايماني بوجوده فيك - اعني ٢١٥ العزم ، والجرأة ، والبسالة - أظهره هذه الليلة .

فإذا لم تتمتع بدزديمونة في الليلة التالية ، خذني من هذا العالم بالخيانة
وابتكر المؤامرات على-حياتي .

- رودريغو : طيب ، ما الموضوع ؟ هل تحقيقه في حدود العقل ؟
ياغو : سيدي ، لقد جاءت من البندقية لجنة خاصة لانابة كاسيو مكان عطيل . ٢٢٠
رودريغو : صحيح ؟ إذن سيعود عطيل ودزديمونة ثانية إلى البندقية .
ياغو : آ ، لا ! بل سيذهب إلى موريتانيا ويأخذ بصحبه دزديمونة الحسنة ،
إلا إذا طراً طارئاً ، يطيل بقاءه هنا . وإزاحة كاسيو هي خير ما يقرر ٢٢٥
ذلك .

- رودريغو : ماذا تقصد بإزاحة كاسيو ؟
ياغو : أقصد جعله غير قادر على أخذ مكان عطيل - تحطيم دماغه . ٢٣٠
رودريغو : وهذا تريدني أن أفعله ؟
ياغو : نعم ، أن تجرأ على تحقيق مغنم لك وحق لنفسك . سيتعشى هذه الليلة
مع مومس ، وسأذهب إليه هناك . وهو لا يدري بعد بالشرف الذي
أناه به حظه . فاذا ترقبت أنت خروجه من هناك - وهو ما سأدبره بين ٢٣٥
الثانية عشرة والواحدة - بوسعك أخذه كيفما شئت . وسأكون قريباً
لثنية محاولتك ، ولا بد له من السقوط حين يجتمع عليه كلانا .
٢٤٠ هيا ، لا تندهل ، وتعال معي . سأريك الضرورة في مصرعه . إلى أن
تحسبك نفسك ملزماً بتنفيذه . انها الآن ساعة العشاء ، والليل يمر
حشياً . عليك بها !

رودريغو : أريد أن تسمعي المزيد عن الداعي لهذا .

ياغو : لسوف تفتنح ، ما من ريب .

(يخرجان)

المشهد الثالث

غرفة أخرى في القلعة

(يدخل عطيل ، لودوفيكو ، دزديمونة ، اميليا ، ومرافقون)

لودوفيكو : أرجوك ، سيدي ، ألا تكلف نفسك أكثر .

عطيل : العفو . السير مفيد لي .

لودوفيكو : سيدي ، تصبحين على خير . جزيل الشكر لسيادتك .

دزديمونة : مع ألف سلامة ، يا صاحب السعادة .

عطيل : أتمشى ، سيدي ؟ آه ، دزديمونة .

دزديمونة : مولاي ؟

عطيل : اذهبي إلى فراشك على الفور . سأعود حالاً

اصرفي مرافقتك هناك .

تأكدي من ذلك .

دزديمونة : سأفعل يا مولاي .

(يخرج عطيل ، ولودوفيكو ، والمرافقون)

اميليا : كيف الأمور الآن ؟ انه يبدو أكثر لطفاً .

دزديمونة : يقول انه سيعود في الحال .

وقد أمرني بأن أذهب إلى الفراش ،

(٥) يريد عطيل مصاحبة ضيفه إلى مسكنه .

وأهاب بي أن أصرفك .

اميليا : تصرفيني ؟

١٥ دزديمونة : هذا ما أمر به . ولذا ، اميليا الكريمة ،
ناوليني ثياب الليل ، ثم وداعاً .
علينا ألا نفضيه الآن .

اميليا : ليترك ما رأيته قط ؟

٢٠ دزديمونة : هذا ما ليس أتمناه . اني أستحسنه بحبي
حتى لأرى في عناده ، في زجره ، في عبوسه
(أرجوك ، انزعي الدبوس هنا) ، جمالاً وجاذبية .

اميليا : وضعت تلك الشراشف كما أمرتني على الفراش .
دزديمونة : كله واحد . خواطرننا حمقاء ، والله .

إذا متّ قبلك ، رجائي اليك أن تكفّيني
بأحد تلك الشراشف بالذات .

٢٥ اميليا : كفى ، كفى ! ما أكثر كلامك !
دزديمونة : كان لأمي خادمة تدعى بربارة ، وكانت تحب . وإذا الذي أحبه
أهوج ،

فهجرها . كانت لديها أغنية عن «صفصافة» .

٣٠ أغنية قديمة ، لكنها تعبّر عن قسمتها في الحياة ،
وماتت وهي تغنيها تلك الأغنية لا تبارح
ذهني هذه الليلة . وعليّ أن أشغل نفسي كثيراً
لكي لا أميل برأسي جانباً
وأغنيها كالمسكينة بربارة... أرجوك ، أسرعني .

اميليا : هل أذهب لإحضار غلاتك الليلية ؟

دزديمونة : لا . انزعي هذا الدبوس هنا .

لودوفيكو هذا رجل وسيم .

٣٥ اميليا : بهيّ الطلعة جداً .

دزديمونة : يحسن الكلام .

اميليا : أعرف سيده في البندقية كانت مستعدة

للسير حافية إلى فلسطين لقاء لمسة من شفته السفلى .

دزديمونة : (لغني)

- ٤٠ جلست الشقة قربه جميلة ،
غثوا : أيا صفاف ، يا أخضر .
على الصدر يدها ، على الركبة رأسها ،
غثوا : أيا صفاف ، يا صفاف .
والجدوال تجري قربها تغمم آتاتها
غثوا : أيا صفاف ، يا صفاف ،
٤٥ ودموعها تساقط منها ، قلين حتى الحجارة .
احفظي هذه (تعطيا بطس الحلي) .
غثوا : أيا صفاف ، يا صفاف ...
أرجوك ، عجلي . حان وقت مجيئه .
٥٠ غثوا : صفافة خضراء إكليلي .
لا تلوموه ، إعراضه حلو لدي .

لا ، ليست هذه الكلمات التالية . اصغي ، من الذي يقرع ؟

اميليا : انها الريح .

دزديمونة : قلت لحبي إنك خائن ، فماذا أجابني ؟

- ٥٥ غثوا : أيا صفاف ، يا صفاف ،
كلما غازلتُ أخرى ، ضاجعت غيري من جديد .

كفى . هيا ، اذهبي . تصبحين على خير ، عيني تحكّ
هل ينذر ذلك باليكاء .

اميليا : لا ينذر بشيء أبداً .

دزديمونة : سمعتمهم يقولون ذلك . آه ، هؤلاء الرجال ، الرجال !

- ٦٠ بربك هل تحفدين - خبّرتني يا اميليا
أن هناك نساء يخدعن أزواجهن
على هذا النحو البشع .

اميليا : نعم ، لا ريب .

دزديمونة : أتفعلن فعلة كهذه لو أعطيت الدنيا كلها ؟

- اميليا : لماذا ، الا تفعلينا أنت ؟
 دزديمونة : لا ، وهذا الضياء السماوي !
 ٦٥ اميليا : ولا أنا ، في هذا الضياء السماوي .
 قد أفلها في الظلام .
 دزديمونة : أنفعلين فغلة كهذه لو أعطيت الدنيا كلها ؟
 اميليا : الدنيا شيء ضخم . وهي ثمن كبير
 لذنب صغير .
 دزديمونة : لا والله ، لا أظنك تفعلينا .
 ٧٠ اميليا : لا والله أظنني قد أفلها . وأنكرها عندما انتهي منها . طبعاً لن أفعل شيئاً
 كهذا لقاء خاتم بحلقتين ، أو لقاء رقعة من أرض معشوشبة ،
 لا ولا لقاء فساتين
 أو أردية ، أو قبعات ، أو هدية صغيرة . ولكن ، لقاء العالم كله -
 ٧٥ رباه ! من هي التي لن تقرن زوجها لتجعل منه ملكاً ؟ سأجازف
 بدخول المطهر لقاء ذلك !
 دزديمونة : قاتلني الله ان كنت أرتكب خطأ كهذا
 لو أعطيت العالم كله .
 اميليا : ما الخطأ الا خطأ في العالم . وإذا نلت العالم لقاء ما فعلت ، فانه خطأ
 ٨٠ في العالم الذي هو ملك يدك ، ولك بسرعة أن تصحّحيه .
 دزديمونة : لا أعتقد أن ثمة امرأة كهذه .
 اميليا : ثمة عشر ، وأكثر . وإضافةً اليهن ثمة عدد يكفي
 لملاء العالم الذي يلعبن لقاءه .
 ٨٥ ولكنني أعتقد أن النساء اذا سقطن ،
 فالذنب ذنب أزواجهن . فهم قد يتهاونون بواجباتهم ،
 ويضربون كنوزهم في أحضان السوى .
 أو أن غيرة سخيفة تجمع بهم
 ٩٠ فيفرضون الكبح علينا . أو أنهم يضربوننا ،
 أو يقلصون مخصصاتنا السابقة كيذا -
 ونحن لا نخلو من مرارة : فينا بعض الطيبة ،
 ولكن فينا الثأر أيضاً ، فليعلم الأزواج

- ٩٥ ان لزوجاتهم حواس مثلهم . فيهن الرؤية والشمّ ،
وحلوقهن تتذوق الحلو والحامض ،
كالأزواج . ما الذي يفعلونه
عندما يستبدلوننا بأخريات ؟ أيلهون ؟
اعتقد ، نعم . وهل طلب المتعة هو السبب ؟
- ١٠٠ أعتقد ، نعم . وهل هو الضعف الذي يدفع إلى الشطط ؟
ذلك أيضاً صحيح . أليس فينا نحن طلب للمتعة ،
ورغبة في اللهو ، وضعف ، كما في الرجال ؟
إذن ، فليُحسنوا معاملتنا . والا فليعلموا .
ما أتينا سيئةً ، والا وسيئاتهم هي قدوتنا .
- ١٠٥ دزديمونة : تصبحين على خير . مع السلامة . ألا هدتني السماء
فلا آخذ السوء بالسوء ، بل أصلحَ بالسوء نفسي !
(تخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

شارع

(يدخل ياغو ورودريغو)

ياغو : هنا ، قف وراء هذه المصطبة . انه قادم في الحال .
احمل سيفك الماضي عاريا ، واضرب .
اسرع ، اسرع ! لا تخف شيئاً . سأكون عند مرفقك .
فأما أن تُعلينا هذه أو تحطّمتنا - فكّر بذلك ،
واثبت أشد الثبات في عزمك .

رودريغو : كن قريباً مني . قد أخفق فيها .

ياغو : هنا ، على ذراع منك . تشجع ، وخذ موقفك .

(يقف جانباً)

رودريغو : ما من ودّ عظيم بيني وبين هذه الفعلة ،
ولكنه أعطاني أسباباً مقنعة .

انه قتل لا محالة . ضربة من سيفي ، فيموت !

ياغو : لقد أوغرت صدر هذا الصبي الغرير

حتى أخذ يفضب . والآن ، سواءً عندي أيقتل هو

كاسيو ،

أم كاسيو يقتله ، أم يقتل كلاهما الآخر :

إني كاسب اللعبة مهما تكن النتيجة . إذا عاش رودريغو

فانه سيطلبني بتعويض كبير

- عن الذهب والمجوهرات التي ابتزتها منه
باعتبارها هدايا لذديمونة .
- وهذا يجب ألا يحدث . وإذا بقي كاسيو ،
فإن في حياته جمالاً يومياً
يجعلني أبداً دميماً . ثم ان المغربي
قد يتكاشف بأمرٍ معه ، وفي ذلك خطر علي .
لا ، يجب أن يموت . ولكن كفى ! اسمعه قادماً .
- (يدخل كاسيو)
- رودريغو : أعرف مشيته . انه هو . مت يا نذل !
(يهجم بسيفه عليه)
- كاسيو : لكنت تلك الطعنة عدوني حقاً .
لو لم يكن معظفي أمتن مما تظن . . -
فلأجرب معظفك !
- (يشهر سيفه ، ويخرج رودريغو)
- رودريغو : آه ، قلني !
(يتلفح ياغو من موقعه ، ويخرج كاسيو في
ساقه . ويخرج راكضاً)
- كاسيو : تشوهت إلى الأبد . النجدة يا ناس ! جريمة ، جريمة !
- (يقع)
- (يدخل عطيل)
- عطيل : صوت كاسيو . ان ياغو ليحفظ كلمته .
رودريغو : يا لي من نذل !
عطيل : أي والله ، تماماً . . .
- كاسيو : النجدة يا ناس ! نور ! طيب !

(-) بليس كاسيو درعاً حديدياً تحت معطفه .

(-) يتصور عطيل ان قائل العبارة السابقة هو كاسيو .

عطيل : انه هو . ما أروعك يا ياغو ، ما أشرفك وأعدلك .
يحسك النيل ظلامه صديقك !
انك قدوني . محبوبتي ، عزيزك سقط قتيلاً ،
وقدرك اللعين يحث الحطى : أنا قادم . يا عاهرة .
تلك الرثى ، عينك ، امحت من قلبي .
وفراشك المنجس بالفحشاء ، بدم الفحشاء
سُرِّقَط ...

(يخرج)

(يدخل لودوفيكو وغراتيانو)

كاسيو : ها يا ناس ! أما من حرس ؟ اما من مارة ؟
جريمة ! جريمة !

غراتيانو : حادث ما . الصرخة رهيبه .

كاسيو : انجدوني !

لودوفيكو : اسمع !

رودريغو : يا للنذل التعميس !

لودوفيكو : إثنان أو ثلاثة يشنون ... ان الظلام كثيف .

وقد تكون هذه الصرخات زائفة . لا أحسب من السلامة
أن نهرع للنجدة دون المزيد من الأعوان .

رودريغو : أما من أحد يجيء ؟ اذن سأترقب حتى الموت .

لودوفيكو : أصغ !

(يدخل ياغو حاملاً مشعلاً)

غراتيانو : هنا أحدهم قادماً في قبصه . بمشعل وسلاح .

ياغو : من هناك ؟ صوت من هذا الذي يستنجد في جريمة ؟

لودوفيكو : لا ندري .

ياغو : أما سمعنا صرخاتاً ؟

كاسيو : هنا . هنا ! من أجل الله . ساعدوني !

ياغو : ما الأمر ؟

غراتيانو : هذا حامل علم عطيل . فيما أعتقد .

لودوفيكو : هو بعينه . فتي عظيم الشجاعة .

- ٥٥
- ياغو : من أنت هنا ، تصرخ هذا الصراخ الأليم ؟
 كاسيو : ياغو؟ آه لقد كسحني الأندال ، حطوني .
 أسعفي .
- ياغو : يا لله ، الملازم ! أي انذال فعلوا بك هذا ؟
 كاسيو : أظن أن أحدهم قريب هنا ،
 ولا يستطيع الهرب .
- ياغو : يا للأندال الغادرين !
 من أنتما هنا ؟ تعالا ، ساعدانا . (لغراتيانو ولودوفيكو)
- ٦٠
- رودريغو : آه ، اسعفوني هنا !
 كاسيو : هذا أحدهم .
 ياغو : يا قاتل ! يا حقير ! يا نذل !
 (يطعن رودريغو)
- رودريغو : يا ياغو اللعين ! يا كلباً بلا إنسانية ! آه ، آه ، آه .
 ياغو : انتقل الناس في الظلام ؟ أين هؤلاء اللصوص السفاكون
 يا لصمت هذه المدينة ! جريمة ، جريمة
 أمع الخير أم الشر أنتما ؟
- ٦٥
- لودوفيكو : عندما تعرفنا ، تعرف قدرنا .
 ياغو : سينيور لودوفيكو ؟
 لودوفيكو : نعم ، سيدي .
 ياغو : أرجو العفو . هنا كاسيو ، جرحه الانذال .
 غراتيانو : كاسيو ؟
- ٧٠
- ياغو : أخي ، كيف أنت ؟
 كاسيو : قُطعت ساقى قطعتين .
 ياغو : لا ، لا سمح الله !
 النور ، يا سادة . سأضمدها بقميصي .
 (تدخل بيانكا)
- بيانكا : ما الأمر ، يا ناس ؟ من الذي كان يصرخ ؟
 ياغو : من الذي كان يصرخ ؟
 بيانكا : اوه ، عزيزي كاسيو ، حلوي كاسيو !
- ٧٥

- أه، كاسيو، كاسيو، كاسيو!
- يا عاهرة مفضوحة! - كاسيو. هل لك أن تشك
في من هكذا شوهك
- كاسيو : كلا .
- غراتيانو : يؤسفني أن أراك في هذه الحالة .كنت أنوي زيارتك
- ياغو : أعيريني رباطاً . هكذا . يا ليت لنا
تقالة نحمله فيها بيسر من هنا .
- بيانكا : يا حسرتي ! أغمي عليه كاسيو . كاسيو .
- ياغو : يا سادة اني أشبهه في أن لهذه النفاية
ضلعاً في هذا الأذى . صبرك علينا . كاسيو الطيب
...اليّ ، هنا .
- أعطني المشمل . انعرف هذا الوجه أم لا ؟
وأسفاه ! صديقي ومواطني العزيز .
رودريغو؟ لا ... نعم . أكيد . يا للسماء ! رودريغو
- غراتيانو : ماذا . من البندقية ؟
- ياغو : هو بالذات . سيدي . هل كنت تعرفه ؟
- غراتيانو : أعرفه ؟ نعم .
- ياغو : سينيور غراتيانو ؟ أرجو عفوك الكريم !
في هذه الأحداث الدامية عذرٌ لي عن تصرفي
إذ غفلت عنك .
- غراتيانو : يسرني أن أراك .
- ياغو : كيف أنت يا كاسيو ؟ - آه كرسي ! كرسي !
- غراتيانو : رودريغو ؟
- ياغو : هو . انه هو... (يأتون بكرسي) عافاكم ! كرسي !
أرجوكم يا أهل الخير أن تقلوه من هنا .
وسأحضر طبيب القائد . (ليانكا) . أما انت يا سيدني
فوفري على نفسك الجهد ... هذا الجريح هنا .
يا كاسيو .

- كان صديقي العزيز. هل من عداوة بينكما؟
- كاسيو : أبدأ، بل انني لا أعرف الرجل.
- ياغو : (ليانكا) ماذا، هل انخطف لوتك؟ - احملاه واحفظوه من الهواه
- (يقولون كاسيو ورودریغو)
- لحظة، ايها السيدان. - هل انخطف لوتك، يا سيدة؟
- ١٠٥ اتلاحظان الرعب في عينها؟
- لا، إن تحملي، سرعان ما ستسمع المزيد. -
- انعما؛ النظر فيها. أرجوكما حدثا فيها.
- أتریان؟ لا بد للجرم أن ينطق
- حتى ولو لم يبق للاستعمال لسان.
- (تدخل اميليا)
- ١١٠ اميليا : وي، ما الأمر؟ ما الأمر يا زوجي؟
- ياغو : كاسيو، هجم عليه هنا في الظلام
- رودریغو ورجال آخرون هربوا.
- كاد يُقتل، أما روديغو فقد ثوقي.
- اميليا : وا أسفاه أيها الكرام! اسني عليك يا كاسيو الكريم!
- ياغو : هذه نتيجة معاشره العواهر. أرجوك اميليا،
- ١١٥ إذهي واستلمي من كاسيو أين تعشى هذه الليلة.
- (ليانكا). ماذا، اترتجفين لسماع ذلك؟
- يانكا : تعشى في منزلي. ولكنني لا أرتحف لذلك.
- ١٢٠ ياغو : آ، صحيح؟ أمرك بالمجيء معي.
- اميليا : الاخست يا عاهرة!
- يانكا : انا لست عاهرة، وحياتي شريفة
- كحياتك انت يا من تهينيني هكذا.
- اميليا : كحياتي أنا؟ خست!
- ياغو : ايها الكرام، لنذهب ونطمئن إلى تضييد كاسيو.
- (ليانكا) تعالي، يا سيدة، عليك لنا بحكاية أخرى.

اميليا . أركضي إلى القلعة ،
وأخبري مولاي ومولاني بما حدث .
(لفراتيانو ولودوفيكو) تفضلاً ، رجاء . (جانياً) هذه
هي الليلة التي
ستعلمني أو نحطني إلى الأبد .
(يخرجون)

حجرة نوم في القلعة

(دزيمونة في فراشها . يدخل عطيل حاملاً شمعة .)

- عطيل : انه السبب ، انه السبب ، أيتها النفس . .
لا تجعليني اسميه لك ، أيتها النجوم الطاهرة ...
أنه السبب . ولكنني لن اسفك دمها ،
ولن أخدش ذلك الابهاب الابيض كالثلج ،
الأملس كرخام التماثيل .
ولكن يجب ان تموت ، والا فانها ستخون المزيد من الرجال
اطفيء النور ، ثم ... اطفئ النور . . .
إذا أطفأتك أيتها الخادمة اللاهية ،
بوسعي استعادة نورك من جديد
ان أنا ندمت . ولكن إذا أطفأتُ نورك أنت ،
يا أبرع نسق صنعته الطبيعة بروعتها ،
فاني لا أعرف اين تلك النار البروميثية التي . . .

(٥) لقد هدأت نائرة عطيل . وقرر أن يقتل دزيمونة ليس انتقاماً . بل عقاباً بقتضيه العدل كما يراه هو . ولذا فإنه يؤكد على «السبب» . على الجريمة التي لا بد لها من قصاص . لا لأنها اقترفت ضده . بل ضد الحق .
(٥٥) عندما يقول عطيل انه سيطفئ الشمعة . يتذكر ان الحياة أيضاً كالشمعة . سيطفئها . الإشارة إلى حياة الإنسان «كشمعة وجزيرة» نجدها أيضاً في كلام مكبث عند سماعه بموت زوجته .
(٥٥٥) سرق بروميثيوس النار من السماء ليحيي صورة صنعها من طين . فضلاً عن انه أراد أن يجعل النار في خدمة الإنسان .

بوسعها إشعالُ نورك من جديد . ان أنا قطفُت الوردة
لا أستطيع أن أهبها نمو الحياة ثانية .
ولا بد لها من ذبول . سأشمها على الشجرة

١٥

(يقبلُ دزيمونة)

يا نفساً عاطراً . يكاد يُفري
العدالة بأن تكسر سيفها ! قبله أخرى . وأخرى ..
هكذا كوفي حين تموتين ، فأقتلك .

٢٠

وأحبك بعدها .. قبله أخرى . وهي الأخيرة ..
ما كانت حلاوةً قط فانكته كهذه . يغلبني البكاء .
ولكنها دموع قاسية ... هذا الحزن علوي .
يضربُ من يُحب . .. ها هي تستيقظ .

دزيمونة : من هناك ؟ عطيل ؟

عطيل : نعم . دزيمونة .

دزيمونة : هل ستجيء إلى الفراش . يا مولاي ؟

عطيل : هل صليت هذه الليلة . دزيمونة ؟

دزيمونة : نعم . يا مولاي .

٢٥

عطيل : ان كنت تذكرين أي أمم

لم تصفح عنه رحمة السماء .

فاستغفريها الآن .

دزيمونة : ويحي يا مولاي ، ما الذي تعنيه بذلك ؟

عطيل : استغفري . وأوجزي . سأتمشي هنا .

٣٠

فأنا لن أقضي على روحك وهي على غير ما أهبه .

لا ، لا سمح الله ! أنا لن أقتل روحك .

دزيمونة : أتحدث عن القتل ؟

عطيل : نعم .

دزيمونة : إذن فلترحمي السماء !

عطيل : آمين ، من كل قلبي .

(٥) هذا الحزن كحزن الله إذ يضرب الخاطئ من أجل خطيته . مع أن الله يجهه .

- ٣٥ دزديمونة : إذا قلت ذلك ، آمل ألا تقتلني .
 عطيل : احم !
 دزديمونة : ولكن أخافك . لأنك تفتك
 حين تتدحرج عينك هكذا . ولست أدري لماذا أخاف
 لأنني لا أعرف ذنباً . لكنني أشعر أنني خائفة .
 عطيل : فكّرني بخطاياك .
- ٤٠ دزديمونة : انها الحبّ الذي أكنّه لك .
 عطيل : نعم . ومن أجل ذلك ستموتين .
 دزديمونة : انه لموت شاذّ ذلك الذي يقتل بسبب الحب .
 واحسرتاه . لماذا تمض هكذا شفتك السفلى ؟
 غضب دموي يهزّ كيانك كله .
- ٤٥ أنها نذر الشر . ولكنني آمل ، آمل
 انها لا تشير إليّ .
 عطيل : اسكّني ولا تتحركي !
 دزديمونة : سأفعل . ما الأمر ؟
 عطيل : ذلك المنديل الذي كنت أحبّه جداً وأعطيتك إياه -
 أعطيته أنت لكاسيو .
- ٥٠ دزديمونة : أبداً ، قسماً بحياتي وروحي !
 أرسل في طلب الرجل واسأله .
 عطيل : أيتها الروح الحلوة أحذري ، احذري اليمين الكاذبة !
 انك على فراش موتك .
 دزديمونة : نعم ، ولكن لا لأموت .
 عطيل : بلى في الحال .
 ولذا ، اعترفي صراحة بخطيئتك ،
 لأن نكرانك كلّ جزءٍ منها مع القسم
 لن يزيح عني أو يخنق فيّ الفكرة الراسخة التي
 أئن تحت وطأتها . يجب أن تموتني .

(٥) إشارة إلى أن عبادة البشر القاني تعتبر خطيئة بحق الله .

- دزديمونة : رباہ ارحمني !
 عطيل : أقول . آمين .
- دزديمونة : وارحمني أنت كذلك ... لم أسيء اليك
 ٦٠ قط في حياتي . لم أحب قط كاسيو
 إلا بما تسمح لي السماء به عموماً
 أن أحب . وما أعطيته قط هدية .
- عطيل : قسماً بالسماء ، رأيت منديلي في يده !
 يا امرأة تحث يمينها ، انك تحجرين قلبي
 وتجعليني أدعو ما أنوي فعله
 ٦٥ قتلاً ، وكنت أحسبه كفارة .
 لقد رأيت المنديل .
- دزديمونة : إذن فهو عثر عليه .
 أما أنا فما أعطيته إياه قط . أرسل في طلبه .
 وليعترف بالحقيقة .
- عطيل : لقد اعترف .
- دزديمونة : بماذا ، يا مولاي ؟
 ٧٠ عطيل : بأنه واصلك .
- دزديمونة : كيف ؟ أحراما ؟
 عطيل : نعم .
- دزديمونة : لن يقول ذلك .
- عطيل : لا ، لأن فاه قد سد .
 ياغو الأمين قد دبر ذلك .
- دزديمونة : آه ، ان خوفي الآن تفسر .
 هل مات ؟
- عطيل : لو كانت شعراته كلها حيوات
 ٧٥ لكان في انتقامي الكبير شهية لها كلها .
- دزديمونة : يا ويلي ! خانوه ، ودمروني ...

(هـ) تقصد دزديمونة ان كاسيو راح ضحية للخيانة من أناس لا نعرفهم . ولن يكون يوسعها أن تستدعيه يشهد =

- عطيل : ابعدي ، يا عاهرة ! أتبيكين عليه أمام وجهي ؟
 دزديمونة : انفي يا مولاي ، ولكن لا تقتلني .
 ٨٠ عطيل : ارقدي يا عاهرة .
 دزديمونة : اقتلني غداً ، دعني أحيا الليلة ...
 عطيل : ابدأ ، حتى لو كافحت -
 دزديمونة : ولو نصف ساعة . ولو ريشما أصلي صلاة واحدة؟
 عطيل : فات الأوان ...
 (يخفقها)
- ٨٥ دزديمونة : مولاي ، مولاي ، مولاي
 اميليا : (تصيح من الداخل) مولاي ! مولاي ! اسمع
 يا مولاي ، مولاي !
 عطيل : ما هذا الصوت ؟ ألم تمت ؟ ألم تمت تماماً ؟
 أنا العاني ما زلت رؤوفاً :
 لا أريد أن يطول بك العذاب .
 هكذا هكذا ... •
 اميليا : (من الداخل) اسمع يا مولاي ، مولاي .
 عطيل : من هناك ؟
 ٩٠ اميليا : (من الداخل) مولاي الكريم ، اسمح لي بكلمة معك .
 عطيل : نعم ، انها اميليا - بعد قليل ! - ماتت . - لملها جاءت تنبئي بموت
 كاسيو .
 من هنا الصوت . ها ! أما من حركة بعد ؟
 ٩٥ ساكنة كالقبر . - أ أدخلها ؟ هل من الخير ؟ -
 أظنها تتحرك ثانية . لا . - ما الأفضل ؟
 إذا دخلت ، فلا بد لها من الحديث إلى زوجتي .

عل برامتها . أما عطيل فيحمل كلامها على معنى آخر . كأنها تقول ان علاقة كاسيو بها قد انضحت بخيانة من الآخرين . وان نهايتها المذنت هي الدمار .
 (٥) يقول ذلك وهو يزيد من ضعفه بالوسادة على وجه دزديمونة .

- زوجتي ! زوجتي ! أية زوجة ؟ لا زوجة لي !
 آه ، لا يطاق ! يا للساعة الثقيلة . !
- ١٠٠ لأحسب أن الشمس والقمر ينبغي لهما أن يخسفا الآن ،
 وان على الكرة الأرضية المرتعبة
 أن تزلزل زلزالها لما سيحل بها .
- اميليا : (من الداخل) أتوسل بأن تسمح لي بالحدث اليك
 أيها الكريم مولاي !
- عطيل : لقد نسيتك ! ، آ ، ادخلي ، اميليا .
- ١٠٥ مهلاً ، لحظة . لأسحب الستائر . -
 أين أنت ؟
- (يفتح الباب)
 (تدخل اميليا)
 ماذا دهالك ؟
- اميليا : مولاي الكريم ، جريمة قتل نكراه أرتكبت هناك !
 عطيل : ماذا ؟ الآن ؟
- اميليا : للتوّ ، يا مولاي .
 عطيل : هذا اضطراب القمر
 انه يدنو من الأرض أكثر مما هو دأبه ،
 ويحلو بالناس إلى الجنون .
- ١١٠ اميليا : مولاي ، قتل كاسيو شاباً من البندقية
 يدعى رودريغو .
 عطيل : قُتل رودريغو ؟
 وقتل كاسيو ؟
- اميليا : لا ، لم يقتل كاسيو .
 عطيل : لم يقتل كاسيو ؟ إذن فالقتل نشاز
 وعذب الانتقام غداً مرّاً ..
- ١١٥ دزديمونة : آه ، خيانة ، خيانة قُلت !
 اميليا : رباه ، ما هذا الصراخ ؟

- عطيل : ماذا ، ماذا ؟
- اميليا : يا ويلته ! ذاك صوت سيدتي .
- النجدة ، النجدة ، يا ناس . النجدة ! آه سيدتي .
- نكلمي ثانية :
- دزديمونة الحلوة .. آه سيدتي الحلوة ، نكلمي !
- دزديمونة : موتا بلا جريرة أموت .
- اميليا : من فعل هذه الفعلة ؟
- دزديمونة : لا أحد - أنا نفسي . وداعاً .
- سَلَمِي لي على مولاي العطوف . آه ، وداعاً ...
- (تموت)
- عطيل : كيف يمكن أن تُقتل ؟
- اميليا : من يدري ، واحسرتاه .
- عطيل : سممتها بنفسك . لست أنا القاتل .
- اميليا : هذا ما قالته . عليّ أن أخبر الحقيقة .
- عطيل : إلى سعي جهنم ذهبت ككاذبة !
- أنا الذي قتلتها .
- اميليا : انها ملاك يزداد نقاء على نقاء ،
- وأنت شيطانٌ يزداد سواداً على سواد !
- عطيل : تحولت إلى الطيش ، وكانت بغياً .
- اميليا : أنت تكذب بحقها . أنت شيطان .
- عطيل : خائنةٌ كالماء كانت .
- اميليا : أنت كالنار أهرج إذ تقول
- إنها كانت خائنة . لقد كانت مخلصه كالسما
- عطيل : وطأها كاسيو . أسألني زوجك .
- ألا كان هلاكه في قرارٍ من قاع جهنم أدنى ،
- ان لم أنتهج طريق العدالة
- إلى الحالة القصوى هذه ! زوجك على علم بهذا كله

(-) يتخذ الماء شكل الاناء الذي يوضع فيه . فهو إذن متقلب ولا يخلص لشكل معين .

- اميليا : زوجي ؟
 عطيل : زوجك .
 اميليا : بأنها خانت رباط الزواج ؟
 ١٤٥ عطيل : نعم ، مع كاسيو . والله لو كانت مخلصة -
 لو أن السماء صنعت لي عالماً آخر كهذا
 من زبرجد نقي خالص
 لما رضيتُ به بديلاً عنها .
 اميليا : زوجي ؟
 عطيل : هو الذي أخبرني أول الامر
 انه رجل شريف . بعقت الحمأ
 اللاصق بكل فعل قدر .
 اميليا : زوجي ؟
 ١٥٠ عطيل : لم هذا التكرار . يا امرأة ؟ قلت . زوجك .
 اميليا : (ملبحة نحو دزديمونة) آه سيدني . جعلت الذالة
 من الحب اهزوءة !
 أزوجي يقول انها كانت خائنة ؟
 عطيل : هو نفسه . يا امرأة .
 قلت . زوجك . أتتهمين الكلمة ؟
 ١٥٥ صديقي . زوجك . ياغو الأمين . الأمين .
 اميليا : ان يقل هو ذلك . ألا فلتفسخ روحه الخبيثة
 نصف حبة كل يوم ! انه كاذب حتى القلب .
 لقد كانت أشد تعلقاً مما ينبغي بزواجها القدر .
 القدر ..
 عطيل : ها !
 اميليا : افعل أسوأ ما لديك !
 ١٦٠ بقدر ما لا تليق فعلتك هذه بالسماء
 كنت أنت لا تليق بها .
 عطيل : اسكتي . خبيرٌ لك !
 اميليا : ليس فيك من قدرة على الضرب بي نصف ما
 في من قدرة على تحمل الأذى . يا مخدوع ! يا مأفون !

- ١٦٥ يا قاذورة جاهلة ! لقد أتيت فعلاً -
لا يهمني سيفك . سأفضحك
ولو قددت عشرين حياة . النجدة ! النجدة ! النجدة !
قتل المغربي سيدني ! جريمة ! جريمة !
(يدخل مونتانو ، وغراتيانو ، وياغو . وآخرون)
- مونتانو : ما الأمر؟ ما الأمر أيها القائد؟
١٧٠ اميليا : آه ، هل جئت يا ياغو؟ أحسنت صنعاً .
فراح الناس يقدون بجرائمهم عتقك .
غراتيانو : ما الأمر؟
اميليا : كذّب هذا النذل ، ان كنت رجلاً .
يقول انك أخبرته بأن زوجته خائنة .
١٧٥ أنا أعلم انك لم تقل ذلك . فإ أنت بمثل هذه النذالة .
تكلم ، لأز قلبي قد طفح .
ياغو : أخبرته بما ظننت ، ولم أخبره بأكثر مما
وجد هو نفسه . أنه محتمل وصحيح .
اميليا : ولكن هل قلت له يوماً أنها خائنة ؟
١٨٠ ياغو : نعم .
اميليا : لقد افتربت عليه فرية مقبلة لعينة ،
فرية ، قسماً بحياتي ! فرية خبيثة !
خائنة مع كاسيو؟ أقلت ، مع كاسيو؟
ياغو : مع كاسيو ، يا سيدة . اسكتي ، اقطعي لسانك !
اميليا : لن أقطع لساني . من واجبي أن أتكلم .
١٨٥ سيدني راقدة هنا ، قتيلة -
- الكل : يا ستر السماء !
اميليا : ووشاياتك هي المحرصة على القتل .
عطيل : لا تنذهلوا يا سادة ، كلامها صادق .
١٩٠ غراتيانو : يا للصدق الغريب .
مونتانو : يا للفعلة الوحشية !
اميليا : نذالة ، نذالة ، نذالة !

أفكرَ فيها ، أفكرُ ! شممت رائحتها ! يا للندالة ...
هذا ما ظننته عندها . سأقتل نفسي فجيمة .
يا للندالة ، الندالة ...

١٩٥ : ياغو : ماذا ، هل جنتت ؟ آمرك بالذهاب الى البيت !
اميليا : أيها السادة الكرام ، اسمحوا لي بالكلام .

من الأصول أن أطيعه ، ولكن ليس الآن .
ولعلني ، يا ياغو ، لن أذهب أبداً إلى البيت .

عطيل : (يقع على فراش زوجته) آه ! آه ! آه ...

اميليا : انكفيء واجأر

٢٠٠ : لأنك قتلت أعذب بريئة
رفعت يوماً عنها .

عطيل : (ينهض) . آه ، كانت فاسقة ...

(لفراتيانو) لم أعرفك ، يا عماء . هناك ترقد ابنة أخيك ،
وأفاسها حقاً أوقفها يداي هاتان ، قبل لحظات .

وأنا أعلم أن هذا الفعل يبدو مريعاً جهماً .

٢٠٥ : غراتيانو : مسكينة دزيمونة ! أحمد الله على أن أباك قد مات

كان زواجك قاتلاً له ، وإذا الكمد العميق
يقطع خيطه المسن قطعتين . ولو كان الآن حياً ،

لدفعه هذا المشهد إلى اقتراف فعل يائس ،

أجل ، إلى إقصاء ملاك الخير عنه باللعنة ،

٢١٠ : والإعراض عن رحمة الله .

عطيل : مشهد يؤسي . غير أن ياغو يعلم

انها ارتكبت الفعل الشنيع مع كاسيو

الف مرة . وقد اعترف بذلك كاسيو .

وراحت هي وكافأته على مغاللاته

بإعطائه دليل الحب وعربونه الذي

٢١٥ : وهبتها إياه أنا في البداية . رأيت في يده

وهو مندبل . هدية قديمة أعطاها أبي لأمي .

- اميليا : يا لله ! يا لقوى السماء !
- ياغو : اياك ! اسكني !
- ٢٢٠ اميليا : لا بد من البوح ، لا بد ! أ أنا أسكت ؟
 سأتكلم حرةً طليقة كريح الشمال .
 ولن تعيرني السماء والناس والشياطين ،
 لن تعيرني جميعاً ، فإني مع ذلك سأتكلم .
 ياغو : اعقلي واذهي إلى البيت .
 اميليا : ارفض .
 (يسلم ياغو سيفه ويهدد اميليا)
- غراتيانو : عيب !
 أشهر سيفك على امرأة ؟
- ٢٢٥ اميليا : أيها المغربي البليد . ذلك المنديل الذي تحدثت عنه
 لقيته أنا صدفة ، وأعطيته زوجي .
 لأنه كثيراً ما ترجاني أن أختلسه ،
 ترجاني بجدّ واهتمام يزيدان حقاً
 عما يقتضيه أمر نأفه كهذا .
 ياغو : يا عاهرة حقيرة !
 اميليا : هي أعطته لكاسيو ؟ لا ، والسفاه ، أنا الذي لقيته .
 فأعطيته زوجي .
 ياغو : تكذّبين يا قدرة !
 اميليا : والله لست أكذب ، لست أكذب ، أيها السادة .
 أيها الأبله القاتل ! ما الذي يفعل أحمقٌ مثلك
 بزوجة فاضلة مثلها ؟
- ٢٣٥ عطيل : أما من حجارة في السماء
 غير التي مع الرعد تُقذف ؟ أيها الوغد النادر !
 (يهجم عطيل على ياغو ، غير أن مونتانو يصدّه ، ويجرده من سلاحه
 ويطعن ياغو زوجته .)

- غرايانو : سقطت المرأة ! لقد قتل زوجته .
اميليا : نعم ، نعم . آه ، أضجموني قرب سيدتي .
(يخرج ياغو)
- غرايانو : ذهب ، وزوجته قتيلة !
مونتانو : نذل وأي نذل ! خذ هذا السلاح
الذي نزعته من يد المغربي .
هيا ، احرسوا الباب من الخارج . لا تدعوه يمرّ ،
بل اقتلوه إذا اقتضى الأمر . وأنا سألحق بذلك النذل .
لأنه عبدٌ لعين .
- (يخرج مونتانو وغرايانو ، مع الآخرين ، ويبقى عطيل واميليا)
- عطيل : ما أنا حتى بالشجاع ،
ولكل صلوك هزيل أن يتزع سيفي مني .
ولكن ما نفع السمعة بعد زوال الشرف ؟
فلتذهب كلها .
- اميليا : ما الذي أذرتُ به أغنيتك . سيدتي ؟
اصفي ، اسمعيني ؟ سألعب دور البجعة
وأموت وأنا أنتقم .
(تقفي) .. « صفصاف . يا صفصاف ... »
- كانت عفيفة . يا مغربي . كانت تحبك . أيها المغربي القاسي
فلتدرك نفسي النعيم وأنا أقول الحق .
وإذ أقول ما أظن . أموت . أموت .
- (تموت)
- عطيل : عندي سلاح آخر في هذه الحجرة .
انه سيف من أسبانيا ، مقيّ بجداول تلجي . .
آ ، هاهو ... عمّاه ! يجب أن أخرج !

(-) كانت السيوف الاسبانية مشهورة . ولا سيما سيوف بلباو وطليلة . وكانت تسقى بمياه ببرودة الثلج .

- غراتيانو : (من الداخل) ان حاولت ذلك ، كلفك غالباً .
لا سلاح لديك ، ولا بد من فرض العقاب عليك .
عطيل : أطلّ عليّ وتكلم معي ،
وإلاً فإني ، رغم اني أعزل ، سأهجم عليك !
(يدخل غراتيانو)
- غراتيانو : ما الأمر؟
عطيل : انظر : لدي سلاح .
لم يُعلّق قطُ سيفٌ أمضى منه
على فخذ جندي ... لقد رأيت اليوم الذي
كنت فيه بذراعي الصغير هذا وسيفي الماضي هذا
أشقّ طريقي خلال موانع أكثر من
موانعك بعشرين مرة . ولكن ، يا لباطل التبيّح !
من يستطيع التحكم بقدره ؟ ليس الأمر هكذا الآن .
لا تخف ، وإن تبصرني مسلحاً ..
هنا خاتمة مطافي ، هنا نهاية مرماي
وشارة البحر لأقصى الاقلاع مني .
أترتدّ فرعاً ؟ انه خوف مضاع .
توح قصة بصدر عطيل ،
يتراجع . أين لعطيل أن يذهب ؟
والآن ، كيف تبدين الآن ؟ آه يا فتاة نجمها النحسُ ،
شاحبة كدائك ! حين نلتقي يوم الحساب ،
نظرتك هذه ستقذف بروحي من السماء ،
فتلقفها الشياطين . أباردة ، باردة ، يا صبيتي ؟
تماماً كغفاك . أيها العبد الملعون !
بالسياط اضربيني أيها الشياطين
واحرميني هذا المشهد المُلوي !
اقذفني في مهب الرياح ! اشويني في الكبريت .

() شارة البحر هي المنارة . أو أي معلم على الساحل يدل الملاح على انه قد بلغ متهى رحلته .

اجرفني في الهاويات السحيقة من نار سائلة !

آه دزديمونة ، دزديمونة ... مئنة ...

آه ، آه ، آه ...

(يدخل لودوفيكو ، ومونتانو ، وياغو

مقبوضاً عليه ، وضباط ، وكاسيو

قعيداً في كرسي ..)

٢٨٥

لودوفيكو : أين هذا المهوّر الشقي ؟

عطيل : هذا هو الذي كان يوماً عطيل . ها أنا ذا .

لودوفيكو : أين ذلك الثعبان ؟ احضروا النذل هنا .

عطيل : اني أنظر سَفْلاً إلى قدميه . - ولكنه حديث خرافة .

ان كنت شيطاناً ، فلن أستطيع قتلك .

(يطعن ياغو ويجرحه)

لودوفيكو : انزعوا سيفه منه .

(يأخذ الضباط السيف من يد عطيل)

ياغو : أي أنرف ، يا سيدي ، ولكنني لم أقتل .

٢٩٠

عطيل : لن آسف لذلك . أفضل لك الحياة ،

لأن الموت ، فيما أرى ، سعادة .

لودوفيكو : آه يا عطيل ، يا من كنت يوماً مثال الطيبة .

لقد وقعت في مكيدة هذا العبد اللعين .

فماذا نقول لك ؟

عطيل : أي شيء .

٢٩٥

قولوا ان شتم ، قاتل شريف .

فأنا ما فعلت شيئاً بدافع البغضاء . بل الشرف .

لودوفيكو : هذا الحقير قد اعترف ببعث نذاته .

هل اتفقت معه على مقتل كاسيو ؟

عطيل : نعم .

٣٠٠

كاسيو : قائدتي العزيز ، ما أعطيتك قط سبباً لذلك .

(٥) ليري ان كانت قدماه مشقوقتين . كندمي الشيطان . إذ تروي الأساطير ان للشيطان ظلفين مشقوقين .

- عطيل : أصدقك . واضرب الصفح منك .
هلاً سألتم . أرجوكم ، شبه الشيطان هذا
لماذا أوقع الروح والجسد مني في حياته هكذا ؟
- ياغو : لا تسألوني شيئاً . ما تعرفون ، تعرفون .
من الآن فصاعداً لن أنطق بكلمة .
- لودوفيكو : ماذا ، حتى لو بالصلاة ؟
غراتيانو : التعذيب سيفتح شفيتك .
عطيل : لا ، حسناً تفعل .
لودوفيكو : سيدي . سُنْهَمَك ما حدث
وهو فيما أظن ما لا تعرف . هنا رسالة
وُجِدَت في جيب رودريغو القتل
وهنا اخرى . فحوى احدهما
أن مقتل كاسيو يتعهد به
رودريغو .
- عطيل : يا للندل !
كاسيو : هذا الجلف الكافر السافر !
لودوفيكو : وهنا رسالة أخرى ساخطة
وُجِدَت أيضاً في جيبه ، يبدو ان رودريغو
كان ينوي إرسالها إلى هذا الندل اللعين ،
غير ان ياغو ، على الأرجح ، تدخل
في غضون ذلك ، واسترضاه .
- عطيل : يا لك من لئيم خبيث !
كاسيو : وجدته في حجرتي .
وهو نفسه قد اعترف قبل لحظات
بأنه أسقطه هناك للمأرب في نفسه
يحقق رغبة له .
- عطيل : يا مجنون ! مجنون ! مجنون !
كاسيو : ثم ان في رسالة رودريغو

تعنيفاً منه لياغو لأنه جعله
يتحداني في أثناء الخفارة ، وكان بسبب ذلك
أنني فُصّلت . وهو ما كاد يتكلم
بعد ان بدا قليلا لطول مدة - حتى طعمه ياغو . وياغو هو الذي
حرضه .

٣٣٠ : لودوفيكو : يجب عليك أن تتخلى عن هذه الغرفة وترافقنا .

اننا نجردك من السلطة والقيادة ،
وكاسيو هو الحاكم في قبرص . اما هذا العبد ،
فإن تكن ثمة قسوة بارعة
تعذبه كثيراً وتقيه طويلاً ،

٣٣٥ فانه سيدوقها . وانت ستظل سجيناً تحت الحراسة
إلى أن تعلم حكومة البندقية .
بطبيعة ذنبك . هيا ، هلمّوا بهما .

عطيل : مهلا ! كلمة أو اثنتين قبل أن تذهبوا .

٣٤٠ لقد أديت للدولة بعض الخدمات ، وهم على علم بها
فلا حاجة لقول المزيد عنها . اني لأرجوكم في رسائلكم .
عندما تروون وقائع الشؤم هذه ،

ان تحدثوا عني كما انا . لا تطفوا شيئاً ،
ولا تدونوا شيئاً بضعينة . عليكم عندها ان تحدثوا

٣٤٥ عن رجل لم يعقل في حبه ولكنه أسرف فيه .

رجل ليس حاضر الريبة . ولكنه إذا أثير
وقع في أشد التخبط ، رجل رمى عنه يده
(كهندي غبي جاهل) لؤلؤة

أثمن من عشيرته كلها ، رجل إذا انفعل

٣٥٠ درت عينه ، وان لم يكن الذرف من دأبها .

دموعاً سراعاً كما تدر أشجار العرب
صمغها الشافي . هذا دوتوه ،

وقولوا أيضاً إنني ذات مرة في حلب .

٣٥٥

حيث هوى تركيُّ شريرٌ مُعمَّم
على بندقي بالضرب وأهان الدولة ،
امسكت بالكلب من عنقه
وضرته - هكذا !
(يطعن نفسه)

لودوفيكو : يا للخاتمة الدموية !
غراتيانو : كل الذي قاله . أفسده !
عطيل : (لجثمان دزديمونة) قبل ان أقتلك . قبلتك . وما من سبيل آخر -
قتلت نفسي . لأموت على قبلتك .

٣٦٠

(يقع على الفراش ويموت)

كاسيو : هذا ما توجست منه . ولكنني حسبته غير مسلح -
لأنه كان عظيم القلب .
لودوفيكو : (لياغو أولاً) ايها الكلب الاسبارطي .
يا أشرس من كل عذاب أو جوع أو بحر !
أنظر إلى ما حُمِّل هذا الفراش من مأساة .
هذا ما أنته يداك .. انه مشهد يستم العين - احجيوه ... غراتيانو . ٣٦٥
احرس المنزل .
واحجز اموال المغربي
لأنك أنت وارثها . . اما أنت أيها السيد الحاكم .
فعليك تبقى محاكمة هذا النذل الجهني .
الموعد ، والمكان ، والتعذيب - عليك بها !
اما أنا فسأركب السفينة في الحال . لأروي
للدولة . بقلب فاجع . قصة هذه الفاجعة .
(يخرجون)

() يبدو ان الاشارة هي إلى شراسة الكلاب الاسبارطية . وكذلك إلى رباطة جأش الاسبارطيين وهم في أخرج
الحالات وآلها .

() مما يدل على ان عطيل كان نبيلاً ذا غنى ومكانة . لا محض مغامر .

مأساة

مَكْبِت

كلمة المترجم

بنقلي «مأساة مكبث» إلى العربية، أكون قد انتهيت من ترجمة ستّ من مسرحيات شكسبير، من جملتها المآسي الكبرى الأربع: «هاملت»، «الملك لير»، «عطيل»، و«مكبث». وقد لاحظت أن بين انتهائي من الأولى وانتهائي من الأخيرة، مرّت ثمانى عشرة سنة (١٩٥٩-١٩٧٧) - أكاد إذ أعيد النظر فيها لا أصدّق مبلغ ما حملت من أحداث، وهل أقول أيضاً، مبلغ ما حملت من تساؤلات وحيّات فكرية. ويروق لي أن أرى انني طوال هذه المدة، رغم كل ما شغلني من شؤون الحياة والكتابة والفن، لم أنخلّ عن حلم راودني منذ الصبا: وهو أن أنجز ترجمة لهذه المسرحيات التي متّعني وعلمتني الكثير أيام التلمذة وبعدها، والتي هي بعض من جوهر القضية الأدبية في كل مكان، وفي كل لغة.

وكما في «عطيل»، أجد أن دراسة آ. سي. برادلي «المأساة مكبث»، في كتابه «المأساة الشكسبيرية»، ما زالت، رغم تقادم العهد، من أعظم ما أخذت به المسرحية من دراسة وتحليل، وتبقى أساساً في أية محاولة دراسية معمّقة لها. غير أن النقاد في نصف القرن الأخير، وبخاصة بعد توالي دراسات ولسون نايت الشديدة الأصالة، ابتعدوا كثيراً عن نقاد الأجيال السابقة في نهجهم في تناول المسرحيات الشكسبيرية، وتحول معظم نقدهم من التأمل في الشخصية، إلى التأمل في الشعر الذي تتحقق من خلاله هذه الشخصية والجو الدرامي نفسه. فانصبّ الكثير من الاهتمام على الصور والكتابات التي تصنع هذا الشعر. أي أن دراسة المسرحية الشكسبيرية اليوم، هي في الأغلب، محاولة لكشف الأسرار الشعرية التي تجعل من شكسبير ذلك الصانع السحري

الذي نقصده، في كل فترة، طالين إطلالة أخرى على عالمه، فنرى ناحية جديدة من نواحي ذهنه الفذ.

في النصف الثاني من الدراسة التي كتبها الناقد الانكليزي المعاصر كينيث ميوار، كمقدمة لطبعة آردن «المأساة مكبث»؛ تأكيد على هذه الناحية، واستعراض بارع للكثير مما قيل فيها. ولذا آثرت أن أثبت دراسته كمقدمة لترجمتي هذه، التي اعتمدت فيها طبعة آردن، وهي أيضاً من تحقيقه.

وتوفيراً للمزيد من فرص الدراسة، ترجمت الفصول التاريخية التي رجع إليها شكسبير في كتابة هذه المأساة، يجدها القارئ في الملاحق الواردة بعد نهاية المسرحية.

جبرا ابراهيم جبرا
بغداد

المقدّمة

بقلم: كينيث ميوار

١ - نصّ المسرحية:

نشرت «مأساة مكبث» لأول مرة في فوليو عام ١٦٢٣، وهي تعقب «يوليوس قيصر»، وتسبق «هاملت». وبما أن المسرحية مذكورة في «سجل الورّاقين» بأنها إحدى المسرحيات «التي لم يسجلها سابقاً باسمه أحد»، لنا إذن أن نفترض أنها لم تنشر في قطع الكوارتو. الفصول والمشهد، فيما عدا شواذ معينة أشرنا إليها في الهوامش، مذكورة في الفوليو، ولكن ليست هناك قائمة بأشخاص المسرحية.

طبعت «مكبث» عن إحدى نسخ التلقين، أو نسخة منقولة عن إحداها، لأن في النص إرشادات مسرحية مزدوجة، مما يسم عادة نسخة كهذه. وقد قال محرّرو طبعة كمبردج أن نصّها «من أسوأ ما طبع من المسرحيات»؛ ورأوا أنها طبعت عن نسخة منقولة عن مخطوطة المؤلف، وهذه لم تكن قد نسخت في معظمها عن الأصل، بل أملت إملاء. «لا نكاد نجد دليلاً على الاملاء، غير أن ثمة عدداً من الأغلط قد يفسرها أن ناسخ المسرحية لدار الطباعة كان على اطلاع بها على المسرح فنسخ أخطاء الممثلين. وصاحب هذه النظرية، الدكتور دوفر ولسون، يستشهد على ذلك بخمس كلمات أو ست، قد يكون سببها خطأ من الممثل أو سوء سمع من الناسخ. ومن الجائز تماماً أن يخطيء الناسخ أخطاء تبدو سمعية أكثر منها بصرية. وتفسيرها بسيط، إذ يخيّل إلي أن معظم ناسخي الشعر يتلون الأبيات على

أنفسهم - بصوت عالٍ أو صمتاً بصوت داخلي - فيأتون أخطاء كالتالي يأتيها
ناسخ عن إملاء. بل إنهم في الواقع يملون على أنفسهم. ويزداد احتمال وقوع
أخطاء كهذه عندما لا يطلب إلى الناسخ أن يحترم كل حرف وفارزة في
الأصل، وحيثما يكون هو عارفاً بخطّ الكتابة.

والمسرحية قصيرة بصورة شاذة، فهي من أقصر مسرحيات شكسبير
كلها. يقول د. غريغ:

«وأما أن تعود كثيرة المشاهد القصيرة، أساساً، إلى الحذف،
أو إلى أسلوب درامي غير مألوف، فأمر لعلنا لا نتأكد منه. غير أن
ثمة دلالة واضحة على الحذف في بعض الأماكن حيث ترد أبيات
قصيرة فجائية يرافقها غموض في النص، كما أن ثمة بعض المصاعب
في تركيب الجمل.».

ويظن الأستاذ اف. بي. ولسون أن بعض الحذف مرهق الرقابة. ويشير
آر. سي. بولد إلى الارشادات المسرحية بخصوص المشاعل في مشهد نهاري
(٤،١) ويرى أنها لا بدّ تشير إلى حفلة داخلية في مسرح بلاكفرايزر، أو إلى
حفلة أقيمت ليلاً في البلاط الملكي، «لأن الحفلات الليلية المسجلة في هذه
الفترة هي فقط تلك التي أقيمت في البلاط.» وقصر المسرحية في ظنه يعود إلى
أنها مثلت في البلاط. ولكن لنا أن نقدم تفسيراً آخر للمشاعل (كما سيجد
القارئ في الهامش الوارد عندها)، ورغم أنني لا أشك في أن المسرحية مثلت
في البلاط، فإنني يصعب عليّ أن أصدق أن المشاهد التي حذفت من هذه
الحفلة لم تحفظ إلى حين تقدم المسرحية في المسرح العام.

أما أن ثمة مقدمات في المسرحية فأمر متفق عليه عموماً، ولعله كان
ثمة ما حُذف من المسرحية ليوازن ما أقمم. فالتص يشوه اضطراب في
الأسطر، مما يوحي بأن شيئاً أضيف إليه أو حذفت منه، وهذا سبب التباساً
للطباع أو الناسخ. ويقول د. ولسون إن اضطراب الأسطر هذا ظاهر على
أشدّه في المشهد الثاني من المسرحية، وإنه «ينقص بشكل ملحوظ إذ تنامي
المسرحية»، وإن عملية الاختصار كانت بعض السبب في ذلك. ولكن علينا

أن نذكر أن د. ولسون لا يخالف ترتيب الأسطر في الفوليويو إلا في خمسة أماكن في ٢،١، وفي بعض هذه نستطيع أن ندافع عن الفوليويو. وهو يخالف الفوليويو أكثر من ذلك في ٣،١، ٢،٣، حيث يتأثر أكثر من عشرين بيتاً بالاضطراب السطري، مع أنه لا يشبهه في أي اختصار هناك، على خلاف ما يرى جون مسفيلد. إنه من الخطر تقديم أية نظرية حول الاضطراب السطري. ولا بد من القول إن الخطأ الانساني مهما يكن نوعه هو السبب، ولو أنه من المحتمل أن المسرحية تعرّضت لبعض الحذوف لإخلاء المكان للمقدمات الواردة على لسان هكاته.

الأستاذ فلاتر يقف وحيداً بين الباحثين في اعتقاده بأن نصّ الفوليويو «مكبث» لا يشير إلى أي تدخل من محرّر، وأن الذي يمكن أن يستشفّ فيها هو يد شكسبير نفسه وهي توجّه الإخراج. إلا أن تفراسي يجذّرنا أيضاً من الافتراض بأن مصاعب النصّ يمكن ردها إلى ما فيه من حذوف:

«وكثيراً ما نجد شعر «مكبث» عند القراءة الأولى فجائياً وغير متصل، بحيث اضطرب بعض النقاد إلى الاندفاع بحثاً عن ثغرات في النصّ. غير أن العبارات الصعبة لا تبدو أبداً كذلك نتيجة للحذوف، بل إنها بالأحرى ضرورية لأحاسيس المسرحية».

والنصّ الحاليّ، في رأيي، أقرب النصوص إلى الفوليويو الأول منذ القرن السابع عشر، وبخاصة من حيث الترتيب السطري. من المحتمل أنني تأثرت بهذا بالأستاذ فلاتر، ولو أنني لم أستطع دائماً قبول آرائه دوغماً تحفظ. إني أتفق معه على أن «اضطرابات» شكسبير كانت مقصودة، ولكن ليس من الممكن دائماً أن نتمييز بين هذه الاضطرابات وبين تلك التي كان الناسخ أو الطّبّاع مسؤولاً عنها. وما دام الأمر هكذا، فلا بد من حلّ للإشكال هو بين.

٢ - تاريخ المسرحية:

أول تقديم لـ «مكبث» مدوّن يرد في مخطوطة الدكتور سليمان فورمن «كتاب المسرحيات والملاحظات عليها بقلم فورمن للصالح العام»، وفيها وصف للحفلة التي قدّمت في مسرح الـ «غلوب» في ربيع عام ١٦١١.

ولئن تكن هذه الحفلة أول حفلة مسجلة بالفعل فإن لنا أن نؤكد أن المسرحية كانت موجودة قبل عام ١٦١١ بأربع سنوات، بسبب أصدائها في مسرحيات معاصرة. ففي «لينغوا» (نشرت عام ١٦٠٧) أصداء محتملة للمشهد الأول من الفصل الثاني، ومعارضة ساخرة لمشهد نومشة الليدي مكبث. وهناك إشارات إلى شبح بانكوكو، في «البيوريتاني»، ٨٩،٣،٤:

«وعوضاً عن المضحك، يجلس الشبح في ثوب أبيض على رأس المائدة...».

وفي «فارس الهاون المشتعل» لبومونت وفلتشر، ٢٦،١،٥ وما بعده:

ساعة تكون على مائدتك مع صَحْبِكَ
ضاحك القلب، تملأك الخمر والنشوة،
سأدخل وسط فخفختك ومرحك،
لا يراني من الرجال أحد سواك،
وأهمس في أذنك حكاية حزينة
تجعلك تسقط الكأس من يدك
وتقف صامتاً شاحباً كالموت ذاته.

نشرت «البيوريتاني» عام ١٦٠٧، ومثلت «فارس الهاون المشتعل» على الأرجح في العام نفسه. فإذا سمحنا للمسرحية الأولى بشيء من الزمن الذي لا بد منه لكتابتها وتمثيلها فنشرها، غداً من المؤكد تقريباً أن «مكبث» مثلت عام ١٦٠٦. ومن الناحية الأخرى، فإن الإشارة إلى «سقام الملك» (٣،٤) والكرتين والصولجانان الثلاثة في أيدي أحفاد بانكوكو (١،٤)، لا بد أنها كتبت بعد مجيء جيمز الأول إلى العرش، عام ١٦٠٣.

إذن كتبت المسرحية بين ١٦٠٣ و١٦٠٦. والاشارات إلى الكلام بلسانين (٩،٣،٢) وما بعده، وشنق الخونة (٤٦،٢،٤) وما بعده، لا بد أنها كتبت بعد محاكمة الأب غارنيت (٢٨ آذار ١٦٠٦) لضلوعه في «مؤامرة البارود» (لنسف البرلمان الانكليزي). والكلمات «لم يستطع أن يتكلم إلى

السماء بلسانين» توحى بأن القول كتب بعد موت غارنيت شتقاً (في ٣ أيار). وقد ذكر شكسبير التكلم بلسانين قبل ذلك في «هاملت» (١، ٥)، غير أن تحميل الكلام معنيين متناقضين كان قد أصبح من المواضيع الملحة في ربيع وصيف عام ١٦٠٦. هذا ماكتبه جون تشيمبرلين إلى ونوود يوم ٥ نيسان:

«وهكذا بحيلة من الحارس، جعل غارنيت في فردوس مجنون، فكانت له أحاديث شتى مع «هول»، زميله الكاهن المسجون معه في القلعة، تسمع إليها جواسيس نصبوا لذلك الغرض. ولما اتهم بها، أنكرها بشدة، ولكنه عند الإلحاح عليه، والتلميح له بأنهم يعلمون بها، ثابر على نكرانه، مقسماً بروحه وخلصها، أن حديثاً كهذا لم يجر قط، إلى أن جوبه في النهاية بالكاهن هول، فاضطر إلى الاعتراف. ولما سئل الآن في هذا المحضر كيف يبرر قسمه زوراً أجاب، ما دام يظن بأن لا دليل لديهم فإنه غير مجبر على اتهام نفسه، ولكنه عندما وجد أن لديهم الدليل، فإنه لن يطيل تمسكه بقوله. وبعدها راح يتحدث طويلاً دفاعاً عن الكلام بمعنيين، مورداً تميزات كثيرة ضعيفة وسخيفة.»

وقد اعترف غارنيت بأن الكلام بمعنيين مبرر فقط عندما يلجأ إليه لغرض صالح، ولكنه جادل قائلاً إذا كان القانون غير عادل، فإنه ليس ثمة خيانة. وقد توسل إلى الله أن «ينجح العمل العظيم بخصوص القضية الكاثوليكية في بداية انعقاد البرلمان» وأنكر أن في هذا إشارة إلى مؤامرة البارود. وادعى أنه لا يستطيع أن يكشف عن المؤامرة لأنه علم بها عن طريق الاعتراف.

وعندما سئل أيجوز أن ينكر، مقسماً بكهنوته، أنه كتب إلى غرينويل، أو أنه تشاور مع هول، وهو يعلم أن نكرانه كاذب، أجاب أن في رأيه وفي رأي العلماء جميعاً لئن الكلام بمعنيين يمكن تأكيده قسماً أو بالقربان، دونما اعتباره زوراً، «إذا اقتضت ذلك الضرورة العادلة.» وفي أثناء محاكمته عذر غارنيت رجلاً كان قد أقسم زوراً وهو على فراش الموت قائلاً: «لعله يا مولاي أراد أن يتكلم بمعنيين.»

وأخيراً، أودّ أن أستشهد بدذلي كارلتون الذي يذكر في رسالة كتبها لجون تشيمبرلين في ٢ أيار تأجيل إعدام غارنيت ودهشته حين أخبروه بالحكم عليه بالموت. ثم يقول إن اليسوعي يتقلّب، ويتلعثم، ويتكلم بمعنيين ولكنه «سيشقق دون معنيين». هذه النكتة الجلمة الخليفة ببوّاب قلعة «مكبث»، يذكرها الاستاذ ستنز في مقال له عن تاريخ كتابة «مكبث»، ويستمرّ ليقول إن إشارات البوّاب إلى السكر والفحش هي أيضاً تستهدف غارنيت، الذي جعل يعزّي نفسه بإغراق قمه بالنبيذ، واتهم بهتاناً بالزنى مع السيدة فوكس، وهو قدح فنده في خطاب ألقاه من على منصّة المشنقة. أما أنا فلا أرى تضميناً من هذا القبيل في ما يقوله البواب عن الشراب والفحش. وقد قال بعض النقاد إن شكسبير أقحم إشارات إلى الكلام بمعنيين إرضاء لذوق الملك جيمز الأول أو الجمهور: وهي قد راقت للجمهور ولا شك، غير أننا مقتنعون بأن شكسبير بما يحمله من آراء حول «النظام» ما كان إلا ويتفق مع سيده الملكي في سخطه على «الحريق الرهيب» الذي كانت مؤامرة البارود ستنتهي إليه ولو نجحت.

وقد كتب اللورد سالزبري مقالاً بعنوان «جواب على أوراق فاضحة معيّنة» - وهو فضح للكلام بمعنيين - كان يقرأه الناس بنهم منذ ٥ شباط ١٦٠٦، غير أن الكلام بمعنيين غداً موضوعاً أشدّ إلحاحاً أيام محاكمة غارنيت وإعدامه التي سبقت ولا ريب كتابة أقوال البواب في «مكبث».

وهناك سجلّ بأن المسرحية قدّمت في «بلاط هامبتون» في ٧ آب، ١٦٠٦ أمام الملك كريستيان، ملك الداغرك، والملك جيمز الأول. وكانت تلك أول مرة تقدّم فيها المسرحية، أو، كما يعتقد الأستاذ مكماناوي، «أول مرة تقدّم فيها مسرحية شكسبير بشكلها المختصر».

٣ - المقدمات:

لكان جهداً بلا طائل لو فصلنا كل العبارات في «مكبث» التي يعتبرها منحولةً هذا الناقد أو ذاك. وقد أشرنا إلى الكثير منها في هوامشنا عند ورود هذه العبارات. أهمها ما يلي:

١ - الفصل الأول، المشهد الأول: يعتقد وكنغهام أنه من قلم ميدلتون.

٢ - الفصل الأول، المشهد الثاني: محررو طبعة كلارندون وكنغهام يشتبهون بأن الذي كتبه هو ميدلتون. وكما قلت أنا، فإن شكسبير كان يتقصد هنا الكتابة بأسلوب «ملحمي».

٣ - الفصل الأول، المشهد الثالث، ١-٣٧: محررو طبعة كلارندون وكنغهام يعتقدون أنها من قلم ميدلتون.

٤ - الفصل الثاني، المشهد الثالث، ١-٢١: يعتقد كولريديج ومحررو طبعة كلارندون أن هذه الأسطر أقحمها الممثلون، وربما أقحموا أيضاً الحوار الماخن الذي يليها، ٢٦-٤٠.

٥ - الفصل الثالث، المشهد الخامس: معظم المحررين يعتبرون هذا المشهد منحولاً.

٦ - الفصل الرابع، المشهد الأول، ٣٩-٤٣، ١٢٥-١٣٢: معظم المحررين يعتبرون هذه الأسطر منحولة.

٧ - الفصل الرابع، المشهد الثاني، ٣٠-٦٣: يعتقد كنگهام أن هذه العبارة منحولة.

٨ - الفصل الرابع، المشهد الثالث، ١٤٠-١٦٠: يعتقد محررو طبعة كلارندون أن هذه الأسطر مقحمة.

٩ - الفصل الخامس، المشهد الثاني: محررو طبعة كلارندون في شك من أصالة هذا المشهد.

١٠ - الفصل الخامس، المشهد التاسع: محررو طبعة كلارندون يعتقدون أن في هذه العبارة «أثراً واضحاً لقلم آخر».

معظم هذه في غنى عن المزيد من النقاش. فقد برهن الأستاذ نوزويردي على أصالة البندين الثاني والعاشر. ودافع الأستاذ نايتس وآخرون عن البندين

الأول والثالث. وكل من يعتبر البنود السابع والثامن والتاسع منحولة قد أخفق في تقديم الدليل الدامغ على ذلك. وهكذا يتبقى لدينا البنود الثلاثة، الرابع والخامس والسادس. أما البند الرابع فيستحق المناقشة لأنه شطط أتاه واحد من أعظم النقاد. أما البنود الخامس والسادس، فإنني أتفق مع المحررين السابقين في اعتبار هذه المقاطع منحولة، ولكنني أرى أنهم استسهلوا الأمر أكثر مما ينبغي حين قالوا إن الذي أقحمها هو الشاعر ميدلتون.

مشهد البواب:

قلنا الكفاية، عند الحديث عن تاريخ المسرحية، للتدليل على بعض مغزى مشهد البواب. لا يكاد يتفق ناقد واحد اليوم مع كولردج في رأيه بأن المونولوج الذي يبدأ به المشهد - باستثناء جملة واحدة هي بكل وضوح شكسبيرية(*) - أقحمه الممثلون في المسرحية. المشهد، مسرحيًا، ضروري، لأن على الممثل الذي يلعب دور مكبث أن يبذل زيه ويغسل يديه، وكما قال كابل، كان من الضروري أن «تعطى فسحة معقولة لأداء هذه المهام». وشكسبير كان على خبرة تامة بالضرورات المسرحية. ولكن لو كان وجود هذا المشهد لا بد منه لهذا السبب وحده، يبقى الاحتمال قائمًا بأن قلما غير قلم شكسبير هو الذي كتبه.

كان لا بد من مشهد ما بين خروج مكبث ودخول مكدف. ولكن هذا لا يفسر لماذا اختار شكسبير بواباً مخموراً في حين كان بوسع بواب صاحٍ يغني أغنية غرامية أن يغني بالمراد - كما جرى في إحدى النسخ الألمانية. الترويع الكوميدي مصطلح ملائم، ولكنه لا يغني بحاجتنا إلى الدليل. لأن لنا أن نحسب ان بإمكان شكسبير أن يهيء لنا هنا ترويحاً غنائياً، إذا كان الترويع هو المطلوب. وكما أشار كولردج، فإن شكسبير لا يأتي بما هو كوميدي إلا عندما يتسنى له أن ينعكس على المساة بالتضاد المتناغم. فالدرامي العظيم لا يجهد في خلق مشاعر التوتر والشدة لكيما يبدها بالضحك. وهو قد

(*) هي: «بطرقون درب الزهور المؤذي إلى المحرقة الأبدية».

يستخدم الفكاهة أحياناً كموجّه للضحك، كي يمنع الجمهور عن الضحك في المكان الخطأ، ومن الأشياء الخطأ، فينال ذلك من سموّ البطل. وفي حالتنا هنا أيضاً، لا نستطيع أن نتفق مع أولئك النقاد الذين يحسبون أن وظيفة البواب هي أن يخفف ما في المشهد من رعب. بل إن أثر مشهد البواب، على العكس، هو نقيض ذلك تقريباً. فالمشهد قائم هنا - لا أقول بالنسبة للحائشة، بل بالنسبة للذين هم أعمق حكماً - طلباً للمزيد من رعب الموقف. فلا يتاح لنا طوال المشهد كله أن ننسى الجريمة التي اقترفت والتي هي على وشك أن تنكشف. فإذا ضحكنا، فإن ضحكنا ليس ضحك النسيان.

لعله مما يتفق والخلق القومي الاسكوتلندي أن البواب إذا انتشى راح يتحدث على نحو «كالفيني» صحيح عن عذاب الآخرة. وهو يقدم لنا هويته في مستهل كلماته بأنه الشخصية التقليدية المعروفة في «مسرح المعجزات» القروسطي، حارس بوابة الجحيم، وهذا ينتظر منه أن يطلق النكات، غير أنه أكثر من مجرد مضحك. وكان الغرض من الربط بين البواب وبين هذه الشخصية التقليدية ذا شقين: فهو، أولاً، ينقلنا من قلعة انفرنيس إلى بوابة الجحيم، دون أن ينتهك وحدة المكان، لأن ما على شكسبير إلا أن نجبرنا باسم المكان الذي كنا فيه من قبل. إنها بوابة الجحيم لأن الليدي مكبث قد استنجدت بأرواح القتل ووصيفاته، ولأن الجحيم حالة وليست مكاناً، وقد يقول القتلة مع مفستوفوليس:

حيثما نحن، هناك الجحيم،
وحيثما الجحيم، هناك علينا أن نكون.

والشقّ الثاني من غرض شكسبير من تذكيرنا بمسرح المعجزات هو أن ذلك يمكّنه من قطع الجبل الذي يربط مأساته ببقعة معينة من المكان والزمان، فتغدو تعميمية كونية من ناحية، أو معاصرة من ناحية أخرى. ولذا يمكن لمأساة مكبث أن تتبدى كسقوط ثان، تكون فيه الليدي مكبث حواء ثانية، أو تتبدى كأمر معاصر مخيف. وكما يقول السيد بيتيل:

«إن العنصر التاريخي يبعد ويشيء ما هو معاصر، والعنصر المعاصر يضفي مغزى اليوم على وضع تاريخي.

فالتكلمون بلسانين أو معنيين، مثلاً، كانوا قد تآمروا على قتل الملك، كما تآمر مكبث: وقتل مكبث للملك أوقعه في حياة من الكلام بمعنيين. إن ما يملأ جو «مكبث» من الخيانة والشبهة وجد له موازيا في انكلترا أيام مؤامرة البارود، فيكون في الاشارة العابرة ما يساعد في تحديد موقف من نظام مكبث ومن الشؤون المعاصرة في آن معاً.»

إشارة البواب في كلامه إلى الخيانة تعود إلى أمير كودور الذي تم إعدامه، وهو الأمير الذي كان الملك دنكن قد وضع فيه ثقته المطلقة؛ وهي أيضاً تتطلع إلى الحوار بين الليدي مكدف وابنها، وإلى الامتحان الطويل الذي سيجري بين مكدف ومالكولم، ابن الملك، وهو الذي يظهر الشبهة والريبة اللتين مبعثهما النفاق واللعب بالكلام. ولسوف نرى مكبث في أواخر المسرحية يشكو من

كلام الشيطان بلسانين

اذ يكذب كالصدق

كما يشكو من هذه الشياطين المشعوذة

التي تخاطبنا بمعنيين اثنين معاً،

تحفظ كلمة الوعد للأذن منا

وتنقضها لرجائنا.

وكما دَلَّ الأستاذ داودن، فان مكبث عند ظهوره ثانية (بعد كلام البواب)، يضطر إلى الكلام بمعنيين، وثمة لاحقاً في المشهد نفسه كلام من هذا القبيل أشدّ لفتاً للنظر:

لومتُّ قبل هذا الطاريء بساعة

لكنت قد عشت زماناً مباركاً. فمئذ اللحظة هذه

لم يبق ما هو جادّ في المصير البشري .
كل شيء ألهية : علو السمعَة قضي ، وأحسن مات
ونفذت خمر الحياة ، ولم تبق إلا الخثالة
يتباهى بها قبو الأرض هذا .

إن المشاهدين يعلمون ، كما سيعلم مكبث نفسه - ولو أنه هنا يحاول أن
يخدع الآخرين - ان في هذه الكلمات وصفاً دقيقاً للحقيقة بشأنه . واذا كلام
مكبث بلسانين يصبح ، بانعطاف المفارقة ، وجهاً من أوجه الحقيقة . إنه مواز
رائع لكلام الشيطان بلسانين إذ يكذب كالصدق ، إنه كلام القاتل بلسانين إذ
ينطق صدقاً كالكذب . هذا الكلام بمعنيين اذن يتصل باحدى الثيمات
الرئيسية في المسرحية ، وكان المتكلم بلسانين سيلقى مكانه في مشهد البواب لو
لم يوجد الأب غارنيت قط في قيد الحياة .

وعلى الغرار نفسه ، ثمة تقابل بين شذوذ المزارع الجشع وبين الصور
الطبيعية للنمو والحصاد المنتشرة في خلال المسرحية . وهو متصل بالمتكلم
بلسانين ، لأن الأب غارنيت قد تنكر باسم «فارمر» (أي «مزارع» بالانكليزية) .
وحقاً للخياط مكانه في خطة المسرحية ، لكثرة ما فيها من صور الملابس
المجازية .

ثم ان اسلوب هذا المشهد لا يمكن القول بأنه غير شكسبييري . وقد
دلل برادلي على أوجه شبه بين مونولوج بومبي حول نزلاء السجن في «الصاع
بالصاع» وبين مونولوج البواب ، وكذلك بين حوار بومبي مع ابهورسن (٤ ،
٢ ، ٢٢ ، وما بعده) وبين الحوار الذي يتلو مونولوج البواب . ولنا أن نزيد على
ذلك فنقترح أن بعض كلام البواب - الذي كثيراً ما يُنقح في طبعات
«مكبث» حتى لا يكاد يبقى له وجود - يهيم لنا مفتاحاً ثميناً لاحدى ثيمات
المسرحية . انه يتحدث عن أثر الشراب ، جواباً على سؤال مكدف :
«ما الأشياء الثلاثة التي يثيرها الشراب خاصة؟» .

«إنها ، والله يا سيدي ، احمرار الأنف ، والنعاس ، والبول . أما
الفحش ، يا سيدي ، فالشراب يثيره ويخمده : فهو يثير الشهوة ، ولكنه

يقضي على الأداء . ولذا فان الشراب الكثير يمكن أن يقال إنه يخاطب
الفحش بلسانين: يسويه، ويفسده ؛ يهيجه، ويكبحه؛ يغريه،
ويحبطه؛ ينهضه ولا ينهضه: وختاماً يخادعه فينومه، وإذا يبطحه،
بتركه .»

الشراب «يشير الشهوة، ولكنه يقضي على الأداة» - هذا التضاد بين
«الشهوة» و«الفعل» يتكرر مرات عديدة في أثناء المسرحية. فالليدي مكبث، إذ
تستدعي أرواح الشر، ترجوها أن تمنع عنها أي وازع من شفقة يزورها من
الطبيعة ليزحزح مأربها الرهيب.

أو يقيم سلماً بينه
وبين تحقيقه!

أي، يتدخل بين غرضها وتحقيقه . وبعد ذلك بمشهدين نراها تسأل زوجة:

هل يخيفك
ان تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمني؟

وفي آخر مشهد تظهر فيه أخوات القدر (١،٤)، يعطينا مكبث بعض
التنوع على الثيمة ذاتها:

الغاية الخثيثة لا يلحق أبدأ بها
إذا ما الفعل رافقها. منذ اللحظة هذه،
سيكون أول خاطر في قلبي
أول ما في يدي، وفي هذه الساعة بالذات
لكيما أتوج كل فكر لي بفعل، لن أفكر إلا لأنفذ . . .
هذا الفعل سأفعله، قبل أن يبرد العزم.

ولهذا المقطع صلة بما يقوله مكبث لزوجته في نهاية مشهد الوليمة:

في رأسي أمور غريبة ستنتقل إلى يدي،
لا بدّ من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد.

والتضاد بين اليد وبين الأعضاء والحواس الأخرى يتردد مرة بعد مرة. مكبث يلاحظ عمل أعضائه بموضوعة غريبة: وعلى الأخص يتكلم عن يده كأن لها كياناً مستقلاً عن كيانه. فهو يحث عينه على التفاضل عن يده. وعندما يرى الخنجر الوهمي، يقرّر أن عينيه أصبحتا أضحوكة حواسه الأخرى، والا فهما تسويانها جميعاً. وفي الخطاب نفسه فيما بعد تبدو حتى خطواته كأنها منفصلة عنه:

لا تسمعي خطاي، وفي أي اتجاه تسير، لثلاً
تفصح الحجارة نفسها عن مكاني،

وبعد مقتل دنكن يصاب بهوس بشأن أيديها الدامية. ومكبث يتحدث عن يديه بأنها «منظر بائس». وانها «يدا جلاد» - إذ كان على الجلاد أن يقطع أشلاء ضحيته. والليدي مكبث تحته على غسل «هذا الشاهد القذر عن يديك»، وفي الكلام الرائع الذي يتلو خروجها، يتساءل مكبث:

أي يدين هنا؟ هه! إنها تقلعان عيني.
أو هل تغسل بحار نبتون العظيمة كلها هذا الدم
عن يدي فتتنظف؟ لا، بل أن يدي هذه
لسوف تضرّج البحار العارمة،
وتجعل الأخضر أحمر قانياً.

في السطر الأول من هذه العبارة يبدو التضاد بين اليد والعين قوياً، مهلوساً. وتتاير الليدي مكبث في وهمها بأن قليلاً من الماء ستبرئها من فعلتها - وهو وهم عليها أن تكفر عنه فيما بعد في مشهد النومشة. وقبيل مصرع بانكوو، يضرع مكبث الى الليل قائلاً:

واعصب العين الحنون من النهار الشفيق
وبيدك الخفية الدامية

إلغ ، ومزق قطعاً، ذلك العقد العظيم
الذي يبقيني في شحوب!

بهذا تكون اليد الدامية الآن قد فصلت كلياً عن مكبث وأمست جزءاً
من الليل. ونذكر فيما بعد مسلسل هذه الصور نفسها عندما يعلن أنفـس أن
مكبث يشعر أن «جرائمه الخفية لاصقة بيديه».

كلمات البواب عن الفحش لها أيضاً مغزى آخر. إنها مكتوبة على
طريقة الموضوعية وضدّها: يثير - يُحمد، يثير - يقضي على، الشهوة -
الأداء، يسوي - يُفسد، يهيج - يكبح، يُغري - يُجبط، يُنهض - لا ينهض.
هنا، مركزة في بضعة أسطر نجد إحدى الميزات الرئيسية في أسلوب المسرحية
عموماً: إنه يتألف من العديد من الأضداد. وما على القارئ إلا أن يلقي
نظرة سريعة على أية صفحة من «مكبث». لنا أن نقرن هذه الخصيصة
الأسلوبية مع «الصراع بين الهدم والخلق» الذي وجده الأستاذ ولسون نايت في
المسرحية، ونقرنها كذلك مع التضاد الذي دلت عليه ما بين الليل والنهار،
الحياة والموت، النعمة والشر.

والمونسنور كولبي يتحدث كذلك عن المسرحية باعتبارها «صورة معركة
خاصة في حرب شاملة» - والحرب هي بين الخطيئة ونعمة الله - ويعلن أن

«هذه الفكرة تصورها وتؤكدها كلمات وعبارات أكثر من ٤٠٠
مرة... ما من مشهد في المسرحية إلا وقد تلون بها. ويقوي الأثر
الأخير التقابل الثنائي الذي لاحظناه سابقاً - الظلام والنور، كأمثولة،
النشاز والتناغم، كنتيجة.»

بيد أن المسرحية تحوي أضداداً كثيرة لا نجدها مبنوية تحت عناوين مثل
ملاك وشيطان، خير وشر. فقد نقول ان الصورة المتواترة للملابس التي
لا تلائم لابسها هي ضرب من التضاد الصوري، تضاد بين الانسان
وملابسه، كما في الأسطر التالية:

إنه الآن يشعر أن لقبه
فضفاض عليه، كثوب عملاقٍ
على لص قزم .

وثمة صورة مترددة أخرى قد تعتبر تضاداً بين الصورة والشيء الذي تصور:

النائمون، والموق،
إن هم إلا صور مرسومة . وعين الطفولة وحدها
تخاف شيطاناً مرسوماً .

ما هذا إلا رسمٌ من خوفك .

انفضوا عنكم ناعم النوم هذا، مزيف الموت،

وحذقوا في الموت نفسه! - انهضوا، وانظروا

صورة يوم القيامة الكبرى!

هذه الصورة ترتبط بالكلام بمعنيين، والخديعة، والخيانة، التي قال أكثر
من ناقد إنها تؤلف إحدى الثيمات الأساسية في المسرحية . فهذه أيضاً انما تمثل
التضاد بين المظهر والواقع .

ليس كلام البواب اذن غريباً عن الكلام في بقية المسرحية . ففيه صفات
التضاد الموجودة في الشعر، وقد تحولت بشكل ملائم لأغراض شبه كوميدية .
والشاهد كله وثيق الصلة ببقية المسرحية، مضموناً واسلوباً معاً، بحيث
يستحيل اعتباره إقحاماً همجياً من الممثلين . والأسلوب الضدي وسيلة قوية
للإيحاء بتناقض وغموض طبيعة الانسان .

«مجد الدنيا، فكاهتها، ولغزها،»

وللايحاء بالصراع القائم في نفسه بين الخطيئة والنعمة، بين العقل والعاطفة،
وبالظل الذي يقع .

بين القدرة
والوجود
بين الجوهر
والنزول

لقد أدى بنا البحث في أصالة هذا المشهد، دون أن نعي، إلى النظر في المسرحية ككل. وهذا بحدّ ذاته يدلّ على أن البواب جزء جوهرى من المسرحية. ولنا أن نطّيق على المشهد قول الأسقف وردزويرث - ولو أنه كان يرمي به إلى شيء مختلف تماماً: «اعتقد أن في قراءته فائدة خلقية.»

مشاهد هكاته:

نكتفي، في الحديث عن المشاهد المقحمة التي تظهر فيها هكاته، بما أوردناه من هوامش في صلب المسرحية في كل حالة تظهر فيها إهة الساحرات (هذه).

٤ - مصادر المسرحية:

مصدر «مكبث» الرئيسي، ولعله المصدر الوحيد، كان كتاب «تواريخ اسكوتلنده» (The chronicles of Scotland) لمؤلفه هولنشيده (Holinshed). غير أن كمب (Kempe)، في كتابه «أعجوبة الأيام التسعة» (١٦٠٠)، يشير إلى ما يبدو أنه كان اقصوصة شعرية حول الموضوع، وكثيراً ما كانت الأقاصيص الشعرية تبني على مسرحيات، فيقول:

«التقيت شاباً وسيماً مستقيماً، لولا انحناءة صغيرة في الكتفين،
كله قلب حتى الكعب، شاعرٌ دُرهمٍ كان أول ما صنّعه قصةٌ
مسروقة بانسة عن مكدويل أو مكدوبث أو مَكْ أحدهم، لأنني واثق
أنه كان مك (*) ولو انني لم تكن لديّ الشهية لرؤيتها.»

(*) الكثير من الاسماء الاسكوتلندية يبدأ بـ مَكْ Mac، ومن هنا تلاعب الكاتب على الاسم

ثم يستمر كمب فينصح مؤلف «القصة» بأن «يترك كتابة هذه الرقصات الهمجية، وبالأبداً يجعل من الفتيات نبياتٍ لغير ما فائدة.» - الأمر الذي قد يكون إشارة إلى «أحوال القدر» الثلاث وبما أن كمب يبدو كثير الاهتمام بشأن التفاصيل، من الصعب استنباط أي شيء محدد من هذه الإشارة: ولكن يرجح أنه لن يتحدث عن قصة مسروقة لو كانت مجرد مستقاة من هولنشييد، ولنا أن نفترض أن القصيدة مبنية على مسرحية - وربما مسرحية لم يكن كمب مطلعاً عليها شخصياً. ويحتمل أن شكسبير رأى هذه القصيدة، وكان على علم بالمسرحية التي بنيت عليها.

ترى السيدة سي. سي. ستوبس أن شكسبير كان مطلعاً على «كتاب وقائع اسكوتلند» لوليم ستوارت، وهو قصيدة هائلة في ٤٢ ألف بيت، بقيت مخطوطة حتى عام ١٨٥٨. وقد نظمت من ١٥٣١-١٥٣٤ بأمر من الملكة مارغريت، لكي يدرسها ابنها جيمز الخامس. كتبت السيدة ستوبس مقالها عام ١٨٩٧، ولكنها لم تجد مؤيدين كثيرين لها. وهي لا تعطي أي مثال على توازن لفظي حقيقي بين ستوارت وشكسبير.

يُحِيل إليّ أن أوجه الشبه بين ستوارت وشكسبير من قبيل المصادفة، وأن أي شاعر يتوسّع بما في القصة من حقائق مجردة سيميل إلى تطوير شخصية الليدي مكبث على نفس الطريقة. أما من هولنشييد فان شكسبير سيعلم أن دونوالد قتل دَفَ «بتحريض من زوجته»، التي «كانت لا تقل عنه حقداً على الملك» وأبديت لدونوالد «الوسيلة التي يستطيع بها الاسراع في تحقيق الجريمة.» ومع أن دونوالد «كان يمتق الفعلة جداً في قلبه، إلا أنه بحث من زوجته» رشا الخدم لاقتواف الجريمة. وفي القسم المخصص لمكبث في «التواريخ» سيقراً شكسبير أن «زوجه ألت عليه بشدة للشروع بالجريمة، لأنها كانت شديدة الطموح، وتشتعل في رغبة لا تُطفأ في أن تسمّى ملكة»- هذه التلميحات إلى طموح الزوجة وتحفظات القاتل الاخلاقية، ليس من الصعب على أي كاتب درامي أن يستنتج أن الليدي مكبث عيّرت زوجها بالجبن، وأمرته بأن يلعب دور المنافق، وتظاهرت هي نفسها بالسخط الشديد بعد الجريمة تغطية على جرمها هي وزوجها. وحتى إغواء الليدي مكبث، حقيقة كانت أم مفتعلة،

لا تحتاج بالضرورة أن توحى بها إغواء دونوالمدمعة المفتعلة. ولا هو بالصعب أن يبلغ شاعران، كل على حدة، إلى فكرة أن سلالة بانكوو ستحكم حتى «نهاية العالم» انطلاقاً من عبارة هولنشىء «تسلسل طوئل من الوراثة المسمرة».

الأمر الأرجح من ذلك هو أن يكون شكسبير - كما أوضح م. هـ. ليدل وه.ن. بول - قد قرأ «تارىء اسكوئلنءه» لبوكانان فى أصله اللاتينى. فبطله ربما كان أقرب إلى الصورة التى يرسمها بوكانان لمكبث منه إلى هولنشىء. يقول بوكانان عن مكبث إنه

«كان رجلاً ذا عبقرية نافذة، وروح عالية، وطموح لا يحد، ولو اتصف بالاعتدال لكان خليقاً بأية امرة مهما كانت كبيرة. غير أنه بمعاقبته الناس على الجرائم استخدم شدة تحطت حدود القوانين، وبدت أنها تسقط فى الشراسة والقسوة».

أما هولنشىء فيتحدث عنه فقط بأنه «سيد شجاع». والوصف الذى يكتبه بوكانان لتقريع الضمير الذى يعانىه الملك كينث هو أيضاً أقرب من هولنشىء لمكبث:

«روحه إذ اضطربت بوعى جريمته، لم تسمح له بالتمتع بمسرة حقيقية أو خالصة. فاذا اختلى بنفسه عذبه أفكار فعلته الشعاء، وعند النوم طردت رؤى الرعب عن وسادته كل راحة. وفى النهاية، سواء أكان صحيحاً أن صوتاً مسموعاً من السماء أخذ يحاطبه، كما قيل، أو أن ذلك كان إجماء من نفسه المذنبية، كما يحدث كثيراً للأشرار فى ساعات السهاد الصامتة فى الليل، يبدو أنه ابتلى بمثل هذا التقريع.»

وقول بوكانان إن «امارة كمبرلاند كانت تعتبر دائماً الدرجة التالية للعرش» أقرب إلى كلمات مكبث (١، ٤، ٤٨-٥٠) من العبارة الماثلة فى كتاب هولنشىء.

ويرى الاستاذ بول أن شكسبير كان يعرف كتاب لزلې. (DeOrigine. Moribus, et Rebus Gestis Scotorum) عام ١٥٧٨)، حيث نجد أن أخوات

القدر هنّ شياطين تنكّرت كنساء، كما ربما هنّ في مسرحية شكسبير، ونجد أيضاً شجرة سلالة بانكوكو وقد جعل لها جذور، وأوراق، وثمار. ولعلّ هذا لفت نظر شكسبير وترك أثره في الصور الشعرية في الفصلين الثالث والرابع، ولو أنه استعمل هذه الصور من قبل. ولزلي، فضلاً عن ذلك، لا يذكر شركاء مكبث في الجريمة، ويؤكد الطريقة التي اقنعت بها الليدي مكبث زوجها، بأن أُرثته كيف يمكن للجريمة أن تنجز - كما تفعل زوجة دونوالت في هولنشيدي - ويتحدث عن «الملك الأقدس دنكن» ويعطي تفاصيل أشد وضوحاً وحيوية من هولنشيدي بشأن حكم الارهاب الذي يقيمه مكبث.

وقد أشار السيد آر. جي. بيردن (بشكل خاص معي) إلى عدد من التماثلات بين «مكبث» وبين «آردن أوف فيفرشام» (Arden of feversham) فنجد أن مونولوجات مايكل، المليئة بتقريع الضمير، قبل مقتل آردن (٢، ٢، و ١، ٣)، ومونولوج موسي بعد الجريمة (٥، ٣) وقرع الباب (١، ٥)، يمكن مقارنتها بأقوال مكبث قبل أن يقتل دنكن وبعده.

والسير جيمز فيرغوسن في كتابه (Shakespeare's Scotland) (١٩٥٧) يقول إن قائمة كل ملوك اسكوتلنده أعيد طبعها في لندن في (Certeine Mat- ters concerning the realme of Scotland) (١٦٠٣)، ويقترح أن «مكبث» ربما تأثرت ببعض التفاصيل من حياة جيمز ستيوارت أوف بوتولميوار، الذي سقط من السلطة عام ١٥٨٥، ولقي مصرعه عام ١٥٩٥ وكان هذا قد أصبح إيرل أوف آران، ويستحبه على المزيد طموح زوجة شريرة له. وقد كشفت لها «أعلى المواحي» أن «غاوري يجب تحطيمه»، ولكنها «ساهمت في تحقيق النبوة بأقصى طاقتها». والذي قتل ستيوارت أخيراً كان أحد أقرباء الوصي مورتن

«الذي كان ستيوارت العامل الرئيسي في دماره وموته. وهو أيضاً حاول أن يتجنب الظروف التي جاءت نبوءات تقول إنها سترافق موته. ورأسه اللعين»، كراس مكبث، قطعه قاتله ووضع على رأس عمود خشبي.»

وكانت ثمة شبهات بأن زوجة ستيوارت تتعامل مع الساحرات ووصفت

بأنها «ندّ ملائم لزوج مثله، تعتمد على أجوبة الساحرات، وعدوّ المجتمع الانساني كله.» (مخطوطة واردلو، رقم ١٨٢). من المحتمل أن شكسبير لم يكن مطلعاً على هذه الأمور كلها، غير أنها تقدّم دليلاً آخر على أن جو المسرحية لم يكن غريباً عن معاصري شكسبير.

مهما يكن من أمر، فإن الذي لا ريب فيه هو أن هولنشيده كان مصدر المسرحية الرئيسي، وأن شكسبير جمع بين وصف مقتل الملك دَفّ وبين ما يرد بعد ذلك عن مكبث. ولعله تلقى بعض التلميح عن السحر من قصة هولنشيده عن النبلاء، الذين تأمروا مع الساحرات على الملك دف، ولكنه بكل تأكيد استقى تفاصيل عديدة من مصرع دف على يد دونوالد وزوجته، بما فيها تحريض زوجته له، وأن الملك كان في ضيافة القاتل وكان قد وهبه الهدايا، ومقتل المرافقين اللذين اسكرهما دونوالد وزوجته قبل أن يأويا الى الفراش، وسخط دونوالد المصطنع، وظواهر الطبيعة العجيبة التي رافقت الجريمة. غير أن قتل الملك في هولنشيده يقوم به أربعة من خدم دونوالد، وينقلون جثته بعد ذلك من القلعة. والطريف أن عناوين هولنشيده الهامشية تبدو أشبه بتعليق مستمر على المسرحية، ولعلها أوحى لشكسبير ببعض معالجته الدرامية للموضوع:

«الضمير المثقل بالذنب يتهم صاحبه... زوجة دونوالد نصحته
بقتل الملك... نصيحتها الشريرة تُنفَّذ... دونوالد مرأى حقيقي...
النبوءات تحث الناس على محاولات غير مشروعة... النساء يرغبن
علوّ المقام... ضمير مكبث مثقل بالذنب... خوف مكبث...
قسوته تسببها مخاوفه... ثقة مكبث بالسحرة... مكبث يتراجع...
إيمان مكبث بالنبوءات...»

من المحتمل أن الصوت الذي صاح «حُرِّم النوم عليك!» أوحى به لشكسبير عن الصوت الذي سمعه الملك كينث بعد أن اغتال ابن أخيه - كما جاء في هولنشيده أو بوكانان. وثمة تفصيل أو اثنان يعدودان إلى وصف حكم الملك ادوارد المعرف، وهما مؤثران لحسن الحظ لأن سقام الملك كان من

مواضيع الساعة آنذ، كما أنه صحيح تاريخياً. غير أن الحبكة الرئيسية مأخوذة عما كتبه هولنشيده عن مكبث، ولكن مع تبديلات كثيرة. فشكسبير يبقى قريباً من المؤرخ في تصويره اجتماع مكبث بأخوات القدر وفي مشهد الحوار بين مكدف ومالكولم في انكلترا. وفي هذين المشهدين ثمة عدد من المتوازيات اللفظية، وبعض السبب هو أن هولنشيده في المكانين يستخدم القول المباشر. وفي أماكن أخرى يستخدم شكسبير بين حين وآخر كلمات مفردة ربما أوحى إليه بها كتاب هولنشيده، ولكنها ليست كثيرة.

وفيما يلي أبرز الاختلافات:

- ١ - دنكن، كما يصوره هولنشيده، أصغر سنّاً منه في المسرحية، وهو مصور كحاكم ضعيف. يجعله شكسبير سنّاً وقُدسياً، ويتغافل عن ضعفه، فيكثف السواد في جرم مكبث.
- ٢ - في هولنشيده ثلاث حملات يكثفها شكسبير إلى واحدة: هزيمة ثورة مكدونوالد، هزيمة سوينو، وهزيمة كانتوت الذي جاء بأسطول جديد لينتقم لإزاحة أخيه سوينو.
- ٣ - في تاريخ هولنشيده نجد أن لدى مكبث شكوى حقيقية ضد دنكن لأن هذا، بإعلانه تنصيب ابنه أميراً لكمبرلند (أي ولياً للعرش)، خرق قانون تسلسل الملك، وحرّم مكبث من الأهل في العرش - وكان له ما يبرر هذا الأمل، إذ بوسعه المطالبة بالعرش نيابة عن زوجته وابنها من زوجها الأول. أما شكسبير فيكبت هذه الحقائق، بعضاً لأنه يريد لأسباب درامية أن يؤكد جرم مكبث ويقلل أي عذر قد يتعذر به، وبعضاً لأسباب طارئة. فقد كان مكبث قاتل سلف الملك الانكليزي الجديد جيمز الأول، ولم يكن بالامكان تقديمه في ضوء مستحب، وبشيوخ حق الابن البكر في الوراثة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لم تكن طريقة وراثة العرش المتبعة في عهد مكبث مفهومة تماماً في عصر شكسبير، حتى لدى هولنشيده نفسه.

٤ - كان بانكوو وآخرون شركاء في مقتل دنكن الذي تم تنفيذه كاغتيال سياسي مكشوف. هذا غير شكسبير، بعضاً لأنه أقوى درامياً أن يتحمل مكبث وزوجته وزر الجريمة وحدهما، وبعضاً لأن سمعة بانكوو، باعتباره أحد أجداد جيمز الأول، يجب الحرص عليها. وقد عرف الملك جيمز بكرهه للاغتيال السياسي، حتى ولو كان هدفه طغاة معروفين بطغيانهم. ولذلك، استقى شكسبير تفاصيل القتل من اغتيال دونالد للملك دف .

٥ - يحذف شكسبير السنين العشر التي قضاها مكبث في حكم صالح بين مصرع دنكن ومصرع بانكوو. وواضح أن المسرحية لكانت تتهشم لو شطرت إلى قسمين، وجرى تدخل بفكرة شكسبير عن اعتمال الضمير في نفس الانسان.

٦ - شكسبير يبتكر مشهد الوليمة وظهور شبح بانكوو.

٧ - وهو يحذف قصة رفض مكدف تقديم العون في بناء قلعة دنسينان. فقد كانت مسرحية ذلك صعبة وفائضة عن موضوع المسرحية.

٨ - مشهد قَدْر الساحرات مبني على النبوءات الثلاث الواردة في هولنشيد، إلا أن شكسبير يضع أخوات القَدْر مكان «ساحرة معينة كان لمكبث فيها ثقة كبيرة».

٩ - في تاريخ هولنشيد، يحاصر مكبث قلعة مكدف بجيش كبير. فاقتضى الاقتصاد الدرامي استخدام القتلة.

١٠ - امتحان مكدف للكولم موجود بتمامه في هولنشيد (كما في بويس، وويلندن، وستيوارت)، غير أن شكسبير يحذف - في النص الذي وصلنا على الأقل - حكاية الثعلب والذباب، ويضيف رذائل أخرى إلى تلك التي يعدّها هولنشيد. وفي كتاب التاريخ يجري

امتحان مكدف بعد أن يسمع بموت زوجته. أما التبديل الذي أجراه شكسبير فيساعده في تحريك شكوك مالكوم.

١١ - في كتاب هولنشيدهرب مكبث من قلعة دنسينان ويطارده مكدف إلى لفتانين - والحادثة درامياً لا تفيد المسرحية.

١٢ - شكسبير يبتكر مشهد الليدي مكبث وهي تمشي في نومها، ويبتكر كذلك انتحارها المفروض. أما هولنشيده فلا يقول شيئاً عن نهاية زوجة مكبث أو زوجة دونوالد.

وبما أن ليس ثمة ما يدل على أن شكسبير درس مصادر هولنشيده، وبما أنه يحتمل وجود مسرحية - مصدر لـ «مكبث»، فمن العبث مناقشة الاختلافات في القصة المكبثية لدى المؤرخين الآخرين: فورردن، أندرو أوف ونتون، بويس، بيلندن. كما أنه من العبث محاولة عزل مكبث «التاريخي». إذ لا أحسب أن أحداً يتفق مع السير هربرت تري في قوله إن «علينا أن نؤول مكبث، قبل أزمته وإبانها، بخلقه المتزن العادل وهو ملك، كما يعطيه لنا التاريخ».

ويرى السير هربرت غريسون أن شكسبير استقى من كتاب هولنشيده.

لون وجو الأساطير السلتية والبداية التي تدور حول أعمال العنف وتقريع الضمير الذي يطارد الانسان. لقد راحت قصة إثر قصة تروي له أخبار رجال دفعهم باعث لا يقاوم إلى أفعال الخيانة وسفك الدماء، وكلما انتهى الفعل طاردتهم أشباح الضمير والغيبية.

هذا صحيح، ولكن لا بد لنا من أن نضيف أننا نكاد لا نرى أثراً لتقريع الضمير في ما يرويه هولنشيده عن مكبث، ولا نجده في معالجة موضوع دونوالد إلا ضمناً.

٥ - «مكبث»، ١٦٠٦-١٩٤٨:

معظم الممثلين والممثلات الكبار في الثلاثمئة سنة الأخيرة ظهروا في «مكبث» - من بيريج إلى جون غيلغود. غير أن المسرحية من ١٦٧٤ إلى

١٧٤٤ كانت تمثل في شكلها الذي حوَّره عن الأصل دافينانت. وقد استعاد الممثل غاريك معظم النص الشكسبييري، وأكمل الاستعادة مكريدي.

ورغم أن المسرحية كانت تقدّم بانتظام، فإنها لم تثر إلا القليل جداً من النقد الممتع حتى نهاية القرن الثامن عشر. ربما لقلة الاختلاف حولها. كان هناك من اعترض على صاموئيل جونسون عندما تذرّم من حقارة بعض اللغة الشكسبييرية فيها، ولكنه ربما كان يعبر عن الرأي العام آنئذ عندما تحّص المسرحية بهذه الكلمات:

«هذه المسرحية مشهورة عن جدارة لملاءمة رواياتها، وجهامة الفعل وعظمته وتنوعه فيها. ولكنها تخلو من التمييز الدقيق بين شخصياتها، والأحداث أضخم من أن تسمح بتأثير الميول الخاصّة، وسير الفعل يحدّد بالضرورة سلوك الفاعلين.

خطر الطموح موصوف وصفاً جيداً. ولا أدري إن كان لا يجوز لنا القول، دفاعاً عن بعض الأجزاء التي تبدو الآن بعيدة الاحتمال، انه كان من الضروري في عصر شكسبير أن يحذّر الناس من تصديق التنبؤات الخداعة، الفارغة.

العواطف تُوجّه نحو غاياتها الحقيقية. الليدي مكبث تمثّلت تماماً؛ ورغم أن شجاعة مكبث تحافظ على بعض اعتباره، فإن كل قارئ يفرح لسقوطه».

ولكن عندما نشرت هذه الكلمات عام ١٧٦٥، كان الموقف الذي تعبّر عنه قد بدأ بالتهافت: أخذت حفلات التمثيل التي يقدمها غاريك والمسز سيدونز توجه همّ الناس إلى الشخصيات التي يمثلونها، وجعل صعود الرواية وانتشار «المشاعرية» يلقي بالتأكيد على الشخصية أكثر من الحكبة؛ وأكمل نموّ الرومانسية ما بدأته المشاعرية. فحلّل وليم ريتشاردسن شخصية مكبث عام ١٧٧٤. وفي حوالى الفترة نفسها كتب ويتلي مقارنة بين مكبث وريتشارد الثالث. وتبعه كمبرلاند حول الموضوع نفسه في «الأوبزيرفر». وأجاب عليه

جي. بي. كيمبل في نفس السنة. وكانت هناك بعض الملاحظات على «مكبث» في «مقالة عن شخصية فولستاف الدرامية» بقلم مورغن (١٧٧٧).

وما بقي لدينا من ملاحظات كولردج عن «مكبث» يتعلق معظمه بالفصل الأول. بعض هذه الملاحظات قيم، غير أنني أجد من الصعوبة أن أتفق مع السيد ريسور حين يذهب إلى أن «عبقرية كولردج السيكولوجية تظهر على أروعها في تحليل «مكبث». وليم هازليت في «شخصيات مسرحيات شكسبير» مدين بعض الشيء لكولردج وتشارلز لام، وبعض الشيء، ربما، لويتلي؛ غير أن مقالته هذه أفضل ما كتب عن المسرحية حتى تاريخها. وهو يرينا أن ما يميّز المسرحية عن المآسي العظيمة الأخرى هو «هَوَج خيالها وسرعة حركتها». ولا ننسى أن هازليت كان أفضل النقاد الدراميين وأنه في مدحه مسز سيدونز كثيراً ما أبدى ملاحظات كاشفة عن المسرحية نفسها. وما قامت به المسز سيدونز من تحليل لشخصية الليدي مكبث، على ضعف أسلوبه، يدل على أن هذه المثلة الكبيرة فكّرت عميقاً في الدور الذي قامت به مراراً، ووصفها المعروف لتجربتها الأولى في تعلّم الدور يبرهن على أنها اهتزّت بالمسرحية التي كانت تهزّها الآخرين:

«واصلت وأنا في تماسك محتمل، في صمت الليل (في ليلة لا أستطيع نسيانها)، إلى أن بلغت مشهد الاغتيال حيث تصاعدت أهوال المشهد إلى درجة جعلت من المستحيل عليّ أن أتابع. اختطفت شمعتي وهرعت من الغرفة في نوبة من الرعب. كان ردائي من الحرير، وإذا حفيفه وأنا أصعد الدرج إلى فراشي يبدو لخيالي المرعوب كحركة شبح يطاردني... ألقيت الشمعدان من يدي على المنضدة، دون أن أقوى على إطفاء الشمعة، ورميت بنفسى على فراشي، دون أن أجراً على التريث إلى أن أخلع ثيابي».

باستثناء مقالة دي كوينسي الرائعة «قرع البوابة في «مكبث»، لا نكاد نجد شيئاً بوقفاً بين هازليت وداودن (في كتابه «شكسبير، ذهنه وفنه»، ١٨٧٥)، فيما عدا جي. فلتشر الذي نال الاطراء في الآونة الأخيرة على كتابه

«دراسات في شكسبير» (١٨٤٧). وميزة تحليل فلتشر هو أنه لا يجعل كل شيء آخر ثانوياً وخاضعاً لشخصية البطلين، وأنه يدلّل على أن مكدف وزوجته،

«وهما الممثلان الرئيسيان في القطعة لروح الولاء والمحبة المتزلية، كضدّ لروح الغدر اللئيم والطموح الأناي الذي لا يعرف الضمير».

غير أن احترامنا لفلتشر ينقص كثيراً عندما نجده يقول إن مكبث، لشدة أنانيته،

«عاجز عن أي إعراض خلقي حقيقي عن تسليط الأذى على الآخرين؛ إنه يخشى فقط مجابهة كراهية الناس»

أو أن الشعر الذي يقوله مكبث «ينبع فقط عن خيال ضيق الصدر بشكل مريض»، ويحتفي احترامنا أخيراً عندما يصف مونولوغ مكبث (٢٢،٣،٥) بأنه «مجرد تأوه شعري بشأن بلواه التي يستحقها».

وقد كتب آر.جي. مولتن (١٨٨٥) مقالاً جيداً عن روح المفارقة الساخرة التي تسود المسرحية كلها، ومقالاً أقل جودة عن مكبث وزوجته. المقال الأول تفسده قليلاً نغمته الوعظية، والمقال الثاني يفسده افتراضه بأن مكبث، إذ لا يبدي إلا اعتراضات عملية على قتل دنكن، لا يشعر بأي اعتراض خلقي - وأن الليدي مكبث تجسّد الحياة الداخلية.

بعد هذا التاريخ تتكاثر تأويلات «مكبث» تكاثر النذالات التي اصطلحت على مكدونوالد العاتي. فيقول كيرك إن الأحلام الرهيبية التي تفرع مكبث وزوجته يسببها تقريع ضمير لا يكمن فيه أي أمل بالفداء. إنه تقريع من كتبت عليه «اللعنة الأبدية». وجي. سي. كار يعتقد أن قتل دنكن «كان لوقت طويل موضوع نقاش زوجي». وسيمونز يقابل بين محاولة مكبث الصمود ضد الإغراء، وبين رجاء الليدي مكبث أن تكون لديها القدرة على تنفيذ الجريمة. وهذا يأتي بنا إلى برادلي، الذي يحوي كتابه «المأساة الشكسبيرية» (١٩٠٤) نقداً للمسرحية هو أشد ماكتب عنها أثراً ونفوذاً.

وفي القسم التالي من هذه المقدمة نذكر النقد اللاحق الذي كتبه روبرت بريجز، مايتزلنك، السير هيربرت غريرسون، و سي. كُري، جون ميسفيلد، ولسون نايت، آل. سي. نايتس، ميدلتون مري، ودوفر ولسون. وليس لنا هنا إلا أن نبدي ثلاث ملاحظات: أولاً، هناك رد فعل ضد تحليل الشخصية المسفِض وتأكيد متزايد على شعر المسرحية؛ ثانياً، هناك فهم أعمق لـ«مكبث» كمسرحية للتمثيل؛ ثالثاً، وهناك أيضاً تفحص للمسرحية من وجهة نظر «علم الأرواح الشريرة» (Demonology) الاليزابيتي.

٦ - المسرحية:

مثَّلت «مكبث» لأول مرة، كما رأينا، عام ١٦٠٦، أي أنها أتت بعد «هاملت»، «عطيل»، «الصاع بالصاع»، و«الملك لير»، وقبل «أنطوني وكليوباترا» و«كربولانس». وهي مرتبطة بـ«هاملت» بأكثر من وشيجة: فإحجام مكبث عن قتل دنكن، والعزم المزعزع الذي تتهمه به زوجته، يماثلان عدم قدرة هاملت على تنفيذ تعليمات «الطيف» - ولو أن فعلة مكبث «شريرة»، وفعلة هاملت (في رأيه الواعي على الأقل) «صالحة». ومكبث يشبه أيضاً كلوديوس في أن كليهما قاتل ومغتصب. مكبث (واعياً) مستعد للمجازفة بالحياة الآخرة، ولا نستطيع أن نتخيله راعياً؛ أما كلوديوس فيحاول التوبة. غير أنها كليهما يساقان من جريمة إلى أخرى طلباً للأمن. يمكن اعتبار مكبث، بمعنى ما، أنسنه كلوديوس: فقد أراد شكسبير أن يشق طريقه إلى داخل القاتل، فبرنا أن شاعر الدفاع، رغم أنه لا يلطف شيئاً، بإمكانه أن يشعرنا بأننا نحن أيضاً يمكننا أن نسقط على النحو نفسه، بحيث أننا قد نتفق حتى مع تطبيق الأستاذ الكسندر لكلمات جون دَن:

«أنت تعلم سقوط هذا الرجل، ولكنك لا تعلم مصارعتة،
التي ربما كانت من الشدة بحيث أن سقوطه بالذات يكاد يبرره الله
ويقبله».

ولئن يكن مكبث «مخلوقاً بانساً، منفيّاً، ملعوناً، لكنه ما يزال أيضاً من خلق الله، ويسهم بشيء في تمجيده حتى في لعنة عذابه». ونحن نشعر إزاء جريمته مثلما نشعر إزاء أنجيلو - والأصداء الآتية من قصيدة «لوكريس» تظهر

الصلة بين الشهوة والقتل في ذهن شكسبير - فكما يتعلم آنجيلو ألا يصدر حكماً على كلوديو، هكذا الجمهور يتعلم ألا يصدر حكماً على آنجيلو.

كان عطيل «قاتلاً شريفاً»؛ ومكبث رجل نبيل موهوب يسقط في الخيانة والجريمة، دون أن يتوهم بأن لديه أي مبرر لأفعاله، بل عارف بالضبط ما هو فاعل. في «الملك لير» نجد أن الشر مركّز في الرباعي الوحشي: غونريل، ريغن، ادموند، كورنويل - وهم قادرون على تدمير أناس أفضل منهم باستغلال مواطن ضعفهم: الكبرياء، والتصديق، والشهوة. أما في «مكبث»، فقد حوّل الشر من الأندال إلى البطل والبطلّة.

«مكبث» تمثل «أعمق رؤية للشر وأنضجها» عند شكسبير، و«بالمكان إنجاز المسرحية كلها بأنها صراع الهدم مع الخلق» (ولسون نايت). إنها «النص على الشر» (نايتس)؛ «هي صورة معركة خاصة في حرب كونية شاملة، وأما ساحة المعركة ففي روحيّ مكبث وزوجته» (كولب)؛ وهي «تحوي التوجّه الحاسم للخير والشر عند شكسبير» (ترافرس). ولنا أن نضيف أن المسرحية تدور حول فكرة اللعنة، وكان يدعوها أي مسرحيّ معاصر يهوى العناوين المزركشة «درب الزهور». ولكن شكسبير، لكي يظهر كيف يتأقّ للبطل أن تحلّ به اللعنة، ولكي يقدم صورة مقنعة للّعنة وعقابيلها، كان عليه أن يصف ويخلق الخير الذي ضحّى به مكبث. ولذا، ليس ثمة مسرحية أخرى يقدم بها الشر بمثل هذه القوّة، كما أن ليس ثمة مسرحية أخرى تمثل الخير المقابل بمثل هذا الإقناع. وهذا بالطبع يتحقق عن طريق الشخصيات، ولو أن ذنكنا ومالكولم، ومكدف وزوجته، والرسول الذي يحذر الليدي مكدف، وحتى بانكوي، ضئيلون جميعاً عندما يوضعون في كفة الميزان إزاء كفة مكبث وزوجته وأخوات القدر. فيتحقق هذا بشكل أنجع، عن طريق الصور الشعرية، والرمزية، والتكثّر. وقد جرت الإشارة إلى صورة الثياب التي لا تلائم لابسها، والتي كانت كارولان سبيرجن أول من تحدّث عنها. والتضاد بين النور والظلام بعض من التضادّ العام بين الخير والشرّ، الملائكة والشياطين، النعمة والشر، الساء والجحيم «كولب». وصورة الفعلة التي هي أربع من أن تنظرها العين، في غنى عن التأوّل. وصور المرض في ٤، ٣ والفصل

الأخير تعكس الشَّرَّ الذي هو مرض، كما تعكس مكبث نفسه الذي هو المرض الذي يعانيه بلده.

وللأستاذ ولسون نايت، في كتابه (The Imperial Theme)، مقال عن «ثيمات الحياة» في المسرحية، يصنّفها تحت هذه العناوين: شرف المحارب، الجلال الإمبراطوري، النوم، الاحتفال بالولائم، فِكْر الخلق وبراءة الطبيعة. ويدلّل الناقد على أن الليدي مكبث «تكسب ما تريد باستنخائها «شجاعة» مكبث». «شكسبير طوال المسرحية يلعب بمعاني كلمة «الشرف» (Honour). فالرائد المضرّج بالدم (في مستهل المسرحية) كلماته وجروحه يقال عنها بأن لها مذاق الشرف، وكذلك الألقاب التي يهبها مالكولم في نهاية المسرحية. وهكذا فإن «الشرف» يعني «الجدارة» والألقاب التي هي جزاؤها. كما يعني ما يتوق إليه اللورد الذي لا اسم له، عندما يتحدث إلى لينوكس عن تطلعه إلى أن «نتلقى التكريم أحراراً» (Free honours). ومكبث في الفصل الأخير يحزنه أنه يلقى «التكريم شفهيّاً» (Mouth honour)، عوضاً عن الشرف، حيث تعني الكلمة الاحترام والتقدير؛ كما أنه في الفصل الأول يريد أن يرتدي الآراء الذهبية التي ابتاعها ببسالته.

ولإهمام المعنى في كلمة (Honour) يبرز على أشده في الحوار الذي يدور بين مكبث وبانكوو قبيل مقتل دنكن:

مكبث - إن أنت التزمت بالاتفاق معي، في حينه،
أصابك شرف كبير.

بانكوو - ما دمت لا أفقد شرفاً
بمحاولتي الاستزادة منه، بل أبقى الصدر مني
حرّاً أبداً، وولائي ناصعاً،
فإني مستعدّ للمشورة.

هناك ارتباط وثيق بين «الشرف» وبين الأفكار الاقطاعية عن «الواجبات» و«الخدمة»، التي إذا ما تكررت ساعدت في خلق صورة لمجتمع منظم شديد الحبك، بالتقابل مع انعدام النظام الناتج عن جريمة مكبث الأولى. فكون ذلك النظام طبيعياً، وكون انتهاكه على يد مكبث شاذاً عن الطبيعة، تؤكدهما

صور الزرع والبذار، وصور النوم والحليب، تُضادُّ صورَ الفوضى وترداد الخوف والدم. هذا التضادُّ ظاهر جداً في الأبيات التي تعبّر بأقصى العنف عن انتهاك الليدي مكبث جنسها:

لقد كنت يوماً مرضعاً وإني لأعرف
مبلغ الحنوّ في حبّ الطفل الذي أَرْضَع:
لكنّك، وهو يتسم في وجهي،
انتزعت حلمتي من لثته الطرية،
وهشمت دماغه، لو أنني أقسمت أن أفعل ذلك...

بمثل هذه الوسائل يبني شكسبير نظام «الطبيعة» ويتفحص طبيعة النظام، بحيث يرى انتهاك النظام في الدولة، باغتيال دنكن، عملاً قبيحاً شاذاً، لا بدّ أن ترافقه الكوارث الشاذة.

ومع ذلك فإن تصوير الخير الذي يوازن الشر يتم بقوة عن طريق مكبث وزوجته، اللذين هما شاهدان مجبران على الخير الذي يتخلّيان عنه. ومكبث يعي أنّ الفعل الذي يفكر فيه شرّ، منذ البداية ويعترف أن صورته الرهيبة تجعل شعر رأسه ينتصب، وقلبه يدقّ ضلوعه. ورغم أنه لا يبحث أبداً مع زوجته أخلاقية الجريمة ورغم أنه يكاد لا يواجهها هو نفسه، فإن كل كلمة يفوه بها تدل على أنه مرتعب حتى الأعماق بفكرة الجريمة. واللغة شبه المجنونة التي يتكلم بها بعد القتل مباشرة تعبّر عن الخوف، لا الانكشاف وعلى خشبته من بانكوكو من باب الحيلة، فإنه يخشاه أيضاً بسبب إحساسه بالجرم. فمكبث لا يشكّ مطلقاً في الفرق بين الخير والشرّ؛ ولأ الليدي مكبث، حتى في ما تقوله عندما تختار الشرّ عامدةً كواسطة لتحقيق «الخير»، الذي هو التاج؛ ولا الجمهور المشاهد. فالفعل المسرحي لا يلين لحظة واحدة في التأكيد على المغزى المعروف من أن «الجريمة لا تفيد»، وأن «عطور بلاد العرب كلها لن تطيب هذه اليد الصغيرة»، وأن الحياة، للذين يحطمون الحياة، تصبح «حكاية يحكيها معنوه».

غير أن بعض النقاد رأوا أن المسرحية تبدو ناقصة الحتمية والتماسك.

فشكا روبرت بريجيز من أن مكبث الذي يدعوننا إلى الاعجاب به لا يمكن قطعاً أن يرتكب جريمة كقتل دنكن، وأن شكسبير يذر الرماد في أعين الجمهور، دون أن يجبره بوضوح هل قرّر مكبث أن يقتل دنكن قبل بداية المسرحية أم أن الفكرة فرضتها عليه الساحرات، أم أن زوجته هي التي حثته عليها

«لنا أن نضمّ معاً الدافعين الأخيرين، فنرى الجحيم والعائلة متآمرين معاً عليه: إننا الصعوبة هي في الكمية المجهولة للدافع الأول، ميله الداخلي. وهذا إذا سمح له أن يكون فقط في التوازن الدقيق المطلوب لكي تنفذه هاتان القوتان الفاعلتان، فإنه يبقى متناقضاً مع صورة النبيل التي طبعها في أنفسنا شكسبير».

فالرجل الذي يشعر بهول الفعل كما يشعر بطل شكسبير، لن يكون (في رأي بريجيز) قادراً على اقترافها. وحقته هي أن شكسبير يضحي بالمنطق السيكولوجي من أجل التأثير المسرحي. والأستاذ ستول يقول شيئاً مماثلاً، ولكن دون أن يعتبر هذه الخصيصة بالضرورة ضعفاً في المسرحية. وكما يرى:

«لو كان مكبث قد أحبط أو (بعبارة هولنشييد) حُرم من حقه، لأنه عند هذا المنعطف كان له الحق في العرش أكثر من مالكولم، أو لو كان قد شعر بأنه أنسب للعرش منه؛ أو، ثانية، لو أن دنكن لم يكن «وديعاً في تنفيذ صلاحياته، بريء اليد في منصبه الكبير»، كما هو في المسألة، وليس في التاريخ؛ لكان سلوك مكبث في قتله معقولاً أكثر وسيكولوجياً منطقياً أكثر ولا شك، ولكنه لكان أيضاً أقل رعباً، وأقل مأساوية.»

لم يكن شكسبير معنياً بخلق بشر حقيقيين، بقدر ما كان معنياً بخلق التأثير المسرحي، أو الشعري. كان مسحوراً بصعوبة جعل ما هو سيكولوجياً بعيد الاحتمال، يبدو ببراعة فنه أمراً ممكناً. وحسبما يقول شوكنغ، فإن شكسبير قام

«تجربة جريئة شخصية تمتاز فيها صفات ظاهرة بقوة، تكاد تستثني إحداها الأخرى.. فيخلق بطلاً كمكبث، جبان أخلاقياً تنقر برأسه زوجته لمدة، وفي لحظات الحرج توّجه زوجته كأنه صبي في مدرسة، ولكنه، من الناحية الأخرى، أسد هصور في المعركة. أو أن هذا الشخص نفسه فيه من الوحشية ما يجعله يقتل ملكاً هو ضيف عليه، ولكنه يُبقي نبلاً في روحه - أو خوفاً غيبياً من القدر؟ - ليشعره بعار اغتيال. ضحيته وهو نائم، شعوراً عميقاً يسلط عليه الفكرة بأنه قد استحق عقاباً هو الأرق الأبدي. في هذه الحالة أيضاً، أخطأ التأويل معنى المؤلف. وذلك أن التأويل بالغ بتسيط الحقائق السيكولوجية المعقدة، فلم ينصف النتائج الرائعة الفذة لذلك البناء المتضادّ الخطر للشخصية - وهو الأسلوب الذي كان يحبه أهل ذلك العصر.»

من الإنصاف أن نضيف ان الأستاذ ستول لا يحسب لهذا حسابه الكامل، وأن أفكارنا عما هو ممكن سيكولوجياً تتغير من عصر لعصر، وأن ما حسبه بريجيز مستحيلًا بدا ممكناً تماماً لقراء تيموثي برايت، حتى نهاية القرن التاسع عشر قياساً على النقد الموجود للمسرحية. ان بريجيز يقلل من تقديره للطاقت الكامنة للشر في أهل الفضيلة، وللفضيلة في أهل الشر. ولنا أن نعتقد أن الأبيض والأسود في «حكمتنا هنا» قد لا يكونان كذلك بالضرورة في حكم «الدنيا الآخرة». «ماحياتنا إلا غزل ممزوج فيه الصالح والطالح خليطان معا.» فضلاً عن هذا كله، فان ثمة شيئاً مفتعلاً في افتراض بريجيز بأن مكبث، إذا كان فيه ميل داخلي مسبق للاندفاع الى الجريمة بايعاز من زوجته والساحرات مشتركات معا، فهو إذن أحقر من أن يكون البطل المساوي الذي يتخيله كاتبنا الدرامي. لأننا لا نستطيع أبداً أن نحدّد نصيب اللوم بالضبط الذي يجب أن يُعزى بعد الجريمة إلى عوامل ثلاثة، هي الوراثية، والبيئية، والضعف الذاتي. والراضون خلقياً عن أنفسهم فقط بوسعهم مشاهدة أداء جيد لمسرحية «مكبث» دون أن يجالجهم احساس قلق بأنهم لو تعرّضوا لمثل هذا الاغراء لربما عرفوا مثل هذا السقوط. نحن لا نستطيع تقسيم العالم إلى

قتلة ممكنين ومن هم ليسوا كذلك. فالعالم يتألف من كائنات بشرية بعيدة عن الكمال، جاهلة في الأغلب بذواتها، ولا تعرف (رغم ما تكرر في سمعها) الطريق إلى السعادة. فإذا اقترفت شرأ، فما ذلك إلا لأنها تأمل أن تتجنب شرأ آخر يبدو لها أنيا أنه أسوأ، أو أن تحصل على خير آخر، يبدو لها جذاباً لأنه ليس في حوزتها. ان السبب المباشر في الخطيئة، كما يفسر توما الأكويني، هو

«التمسك بخير متغير، وكل فعل خطيئة ينطلق عن رغبة جامحة في خير دنيوي. وكون المرء يرغب في خير ما دنيوي رغبة جامحة، يعود إلى أنه يحب نفسه حبا جامحاً.»

ليس في مكبث ميل داخلي مسبق إلى القتل، انما هو يحمل طموحاً جامحاً يجعل جريمة القتل تبدو كأنها شرأ هون من الاخفاق في الحصول على التاج.

بيد أن الليدي مكبث تتهم زوجها بأنه اقترح الجريمة عليها قبل أن يعلن دنكن عن عزمه على زيارة انفرنيس، قبل أن يتماسك الزمان والمكان. وهذا أدى بكولردج إلى القول بأن قتل دنكن كان قد نوقش قبل استهلال المسرحية، مما جعل برادلي يقترح ببراءة أنه:

«إذا كانا قد تحدثنا سابقاً حديثاً طموحاً، يشعر كل منهما فيه أن فكرة ما غائمة عن الجريمة تطوف في ذهن الآخر، فإنها الزوجة بالطبع قد تفهم من كلمات الرسالة ما هو أكثر بكثير مما تقوله.»

والدكتور دوثر ولسون يستخدم هذا المقطع (١، ٧، ٤٧ - ٥٢) ليدعم به نظريته من أن المسرحية الأصلية كان فيها مشهد آخر بين مكبث وزوجته بعد التقائه بالساحرات، وقبل علمه بأن دنكن قادم إلى انفرنيس، وأن هذا المشهد حذفه شكسبير فيما بعد. وهو يرفض رأي كولردج القائل بأن الجريمة كانت قد نوقشت قبلاً، لاعتقاده أن قول مكبث الجانبي (١، ٣، ١٣٠ وما بعده) «يصور رعب مكبث حين تأتيه فكرة القتل أول مرة»، وأن مونولوج الليدي مكبث في مطلع ٥، ١، يثبت أنه «حتى تلك اللحظة كان يرفض أن تكون أفكاره إلا شريفة». ولكن قول مكبث الجانبي، وفق تقليد شكسبير شائع، لا يعبر عن ميلاد خواطر القتل بقدر ما يشير إلى الجفلة الأثمة التي يتنبه إليها بانكوكو سابقاً في المشهد، وهي جفلة ما كان بالامكان

تفسيرها من قبل دون توقيف حركة المشهد. فهي قد تمثل ولادة الجُرم، أو قد تدلّ على أن نفس مكبث

«أصبحت قابلة للاغراء بما جرى سابقاً من مغازلة بين الخيال وخواطر الطموح».

إن مونولوج الليدي مكبث لا يثبت أن زوجها لم تخالجه هذه الخواطر أو ما يسميه برادلي «أحلام مبهمة غير شريفة»: وما يشته هو أنها كانت تعتقد - عن حق، فيما يبدو - أن ضمير مكبث أو تمسكه بالتقاليد قد يمنعه عن الحصول على التاج بوسائل غير مشروعة، وإن يكن ربما قد اقترح مرة قتل الملك حين كانت المسألة نظرية فقط.

ولذا فأنني لا أرى عدم التماسك المنطقي الذي يتحدث عنه بريجيز، كما لا أظن أن هناك دليلاً كافياً لدعم نظرية الدكتور دوثر ولسون من أنه كانت هناك نسخة سابقة للمسرحية تتضح فيها هذه الأمور كلها. وإذا كانت الليدي مكبث تشير إلى زمن يقع بين ١، ٣ و ١، ٤، فبإمكان شكسبير أن يترك المشهد غير مكتوب (وأنا أرى أنه فعلاً لم يكتبه).

في نفس المقال يتحدث بريجيز عن خيال مكبث الشعري. وهو في هذا انما يجذو جذو برادلي الذي يقول:

«إن الناحية الخيرة من طبيعة مكبث - وأضع الأمر هنا بشكل عريض طلباً للوضوح - بدلاً من أن تخاطبه في لغة مكشوفة من الأفكار والأوامر والنواهي الأخلاقية، تدمج نفسها في صور شعرية تفرع وترعب. وهكذا فإن خياله خير ما فيه، إنه شيء أعمق وأسمى من أفكاره الواعية؛ ولو أطاعه، لسلم.»

ويذهب السير هربرت غريرسون الى ما هو أبعد من ذلك، ومن المفارقات أنه يقارن مكبث بـ بنّيان:

«أفكاره ومشاعره الأعمق تأتيه كتجارب موضوعية، كرسوى العين الجسدية، كأصوات ترنّ في الأذن... السيرورات الغامضة في

روحه تترجم نفسها إلى هذه الرؤى والأصوات، ومعانيها تهيم دليلاً على اعتماد كيانه الخلقى أفضل من أقواله المفضحة. فهو قد يجاهر باحتقاره كل وازع خلقي ومانع علوي، فيعلن أنه لو أمِنَ في هذا العالم لجازف بالحياة الآخرة. غير أن الأصوات التي يسمعها والرؤى التي يراها تكذب ما يقول.»

اننا هنا في أرض خطيرة. من حقنا تماماً أن نخالف مولتون في رأيه الداهب إلى أن مونولوج مكبث في ١، ٧ يدل على أن ما يردعه هو الخوف من النتائج، وليس الوازع الاخلاقي، وذلك لأن الصور الشعرية في كلامه تدل على أن مكبث مسكون برعب من الفعل، وتطبع الرعب نفسه في انفس المشاهدين. بيد أننا إذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك وزعمنا أن هذه الصور يرهان على ما لدى مكبث من خيال قوي، وأن مكبث هو في الواقع شاعر، فاننا نخلط بين الحياة الحقيقية والدرامة. فكل شخصية في المسرحية تتكلم شعراً، ولكن هذا الشعر لا يعكس ميولها الشعرية - إن هو إلا واسطة. فالرائد المصريح بالدم ينطق شعراً منتطحاً، لا لأنه هو منتطح، بل لأن لغة كهذه كانت تعتبر هي الملائمة للسرد الملحمي. «القاتل الأول» يستشهد بقول من صموئيل دانيال، ويعطينا صورة صغيرة جميلة للأصيل، لا لأن له ذهناً أدبياً، بل لأن شكسبير شاعر، واحتاج في العبارة الثانية إلى رسم مشهد بالكلمات. وهكذا الأمر أيضاً مع مكبث: ان صورته الشعرية تعبر عن دخيلته اللاواعية (وميزة الشعر على الدراما الواقعية هي قدرته على ذلك)، ولكن لا يجوز لنا أن نقول إنه إذن شاعر(*).

يتحدث مايتزلنك عن أن «جوهر فن الشاعر الدرامي يتألف من أنه يتكلم من خلال أفواه شخصياته دون أن يبدو أنه يفعل ذلك»، ويعلن أن طريقة الحياة التي ينغمر فيها أبطال «مكبث»

(*) هاملت، رغم روعة الشعر في مونولوجاته، يجبر أوفيليا: «انا لا احسن هذه التفاعيل». أي انه لا يحسن كتابة الشعر.

«تخترق وتسدد أصواتهم، وتشبع وتحرك ألفاظهم، إلى الحد الذي نراها عنده رؤية أفضل وأكثر صميمية وآنية، مما لو كلفوا أنفسهم عناء وصفها لنا. ونحن اذ نعيش معهم، مثلهم، نرى من الداخل المنازل والمشاهد التي يعيشون فيها، ونحن مثلهم، لا نحتاج إلى من يرينا هذه الأشياء المحيطة بنا وبهم. ان الذي يشكّل ما في هذا العمل من حياة عميقة ووجود أولي سري يكاد لا يُحد، هو هذا الحضور الكبير، هذا الحشد الذي لا ينقطع، من هذه الصور الشعرية كلها. على السطح يطفو الحوار الضروري للفعل. ويبدو أنه هو الوحيد الذي تلتقطه أذاننا. ولكن اللغة الأخرى، في الواقع، هي التي تصغي إليها غريزتنا، مشاعرنا اللاواعية، روحنا، إن شئت. وإذا كانت الكلمات المنطوقة أعمق تأثيراً فينا من كلمات أي شاعر آخر، فما ذلك إلا لأنها يدعمها جحفل كبير من القوى الخفية.»

وهكذا فإن الشخصيات تجعل ثانوية بالنسبة للشعر، وليس بالعكس (كما في معظم نقد القرن التاسع عشر). لاسيل أبركرومي، في كتابه «فكرة الشعر العظيم»، لديه بحث رائع في السبب الذي يجعلنا نتمتع بالمأساة التي تبدو نسخة عن «محض الشرّ في الحياة». وفي بحثه هذا يزودنا بتحليل بليغ لمسرحية مكبث. في الفصل الأخير من المسرحية، يتحول عالم البطل «إلى فراغ من البلاءة اللامجدية»، ولكنه

«يقبض على لحظة الرعب ويتحكّم حتى بها: إنه يتحكّم بها بمعرفته إياها معرفة مطلقة كاملة، وباجباره حتى هذه الخلاصة الجوهرية للشرّ الممكن كله على أن تحيا أمامه بكل ما في ذهنه، الذي لا يروي ظمأه، من حرقة وشهوة وروعة مخيفة.»

ويستشهد أبركرومي بكلمات مكبث عند سماعه بموت زوجته ويعقب قائلاً:

«ليس للمأساة أن تبلغ أمراً أسوأ من الاقتناع بأن الحياة لا أهمية لها إطلاقاً... . وبلوغ هذا الأمر بالضبط وتذوق ما فيه من

فزع ورهبة حتى النهاية، تشمخ شخصية مكبث إلى أعلى كبرياتها... ونرى نحن لا ما يشعر وحسب، بل الشخصية التي تشعره؛ وفي الجهر على رؤوس الاشهاد بأن الحياة حكاية يحكيها معتوه ولا تعني أي شيء، تُعلن الحياة فضيلتها، وتعني بجلال نفسها.»

الخطأ الضمني هنا هو أن أبركرومي يخلط بين قوة التعبير التي لمكبث وبين القوة الشعرية التي لشكسبير نفسه. فلا محيد عن التأكيد مرة أخرى أنه لا يجوز لنا أن نعتبر مكبث شاعراً كبيراً لأن شكسبير يجعله يتكلم كما لا يتكلم إلا شاعر كبير: فما مكبث إلا جزء من قصيدة كبرى. وتعبيره الرائع عن لا معنى الحياة لا يعني إلا أن الحياة بلا معنى له هو: ولا يمكن أن يعني أنه تغلب على ذلك اللامعنى بفعل التعبير عنه. كما أنه لا يعني بالطبع أن شكسبير كان يعبر عن رأيه المتشائم في الكون. والذي يلذ للمشاهد أو القارئ ليس ادراك مكبث للتجربة وفهمها، بل كشف الشاعر عن التجربة على لسان بطله. لقد جرد مكبث الحياة من المعنى بحكم ما فعل. وشكسبير يستعيد المعنى الى الحياة بأن يرينا أنّ مية مكبث ناجمة عن جرائمه.

لأن مكبث، رغم كونه بطلاً مأساوياً، مجرم. ولئن نجده يثير تعاطفنا أكثر مما يفعل ريتشارد الثالث، فانه يشبهه بعض الشيء، كما أشار النقاد الأوائل للمسرحية. أما الفرق بين الشخصيتين فهو ناتج بشكل رئيسي عن فهم شكسبير المتزاو. نطبيعة البشرية. فكل مآسيه الناضجة يمكن اعتبارها «ملودراما مؤنسة». ريتشارد نذل واع، ومكيا فلي متعمد. أما مكبث فينطلق بسلسلة جرائمه بالم وعلى مضض «كأنما هي واجب مريع» (كما يقول برادلي). مخاوفه تجعله إنسانياً، وفي هذا دليل على أنه بشر، وأنه ليس بالوحش الذي تصوره رعاياه المظطهدة. ولكأنه يقول مع الشاعر جون دن: «أفضل أيامي هي تلك التي أرتعد خوفاً فيها.» الملك ريتشارد قد يعاني الأحلام الرهيبية نفسها، غير أنه مصوّر من الخارج، مع تقدير لفكاهته الشامتة. ولكننا إذ بطرق مكبث درب الزهور إلى المحرقة الأبدية، نرى بعينه. فريتشارد هو النذل بطلاً، أما مكبث فهو البطل الذي يصبح نذلاً.

علينا أن نتذكر أن الاليزابيثيين، الذي نشأوا وترعرعوا على الفيلسوف المسرحي الروماني سينيكا، لم يتمسكوا بالقول الأرسطوطالي بأن إسقاط الشرير ليس مأساة أبداً. لقد كانوا قانعين، كما يقول سير فيليب سدن في «دفاع عن الشعر»:

«بالمأساة الجليلة الشاخنة... التي تجعل الملوك يخافون أن يصيروا طغاة... والتي تجعلنا نعلم أن

(Qui sceptrā saevus duro imperio regit,

Timet timentes, metus in authorem redit.)

هذان البيتان من مسرحية «أوديب» لسينيكا يمكن أن يكونا، كما يقترح دوغر ولسون، شعاراً ملائماً لـ «مكبث»، وقد تُرجمَا آنثذ كما يلي:

«من يلعب دور الطاغية العاتي، ويضرب الأناس الأبرياء، يخفف كل الذين يخافونه، وهكذا يحطّ الخوف أولاً على المسبب الأول: نعم الانتقام أخيراً من الوالغ في الدم.»

وفي كتاب جيمز الأول «باسيليكون دورون» (Basilikon doron) عبارة لها أن تكون تعقياً تمتعاً على المسرحية:

«لأن الملك الصالح (بعد حكم سعيد شهير) يموت في سلام، مبكياً من رعاياه، وموضع الاعجاب من جيرانه؛ وهو إذ يخلف وراءه سمعة محترمة في الأرض، يحظى بتاج السعادة الأبدية في السماء. ورغم أن بعضهم (وهذا نادراً ما يقع) يقتلون بخيانة بعض الشواذ من الرعايا، إلا أن شهرتهم تحيا بعدهم، ولا بدّ من وباء بين يحتاج المقترفين في هذه الحياة، فضلاً عن عارهم في كل الأجيال اللاحقة.

وهكذا، بالعكس، تنتهي حياة الطاغية البائسة الشريرة إلى تسليح رعاياه ليصبحوا جزّاريه: ورغم أن العصيان منهم دوماً غير مشروع، إلا أن العالم يكلّ منه، بحيث أن سقوطه لا يعني لعمومهم

شيئا، ولا ينال سوى السخرية من جيرانه، وفضلاً عن الذكرى السيئة التي يخلفها وراءه هنا، والعذاب الابدئي الذي سيلقاه في الآخرة، كثيراً ما يحدث أن المقترفين لا ينجون من العقاب وحسب، بل أن الأمر يبقى، أكثر من ذلك، كأنما القانون أقره طوال أجيال عديدة لاحقة.

أنا لا أستشهد بكلام الملك جيمز لكي أوحى بأن «مكبث» كتبت مدحاً له. ومع أن الموضوع تم اختياره أصلاً لإرضاء الملك، لأنه يجمع بين ثيمتين كان الملك من الخبراء فيها - السحر وأسلافه هو - ومع أن شكسبير يذكر لسنة الملك لشفاء السقام، والعفة الدائمة، وهما موضوعان آخران يتم بهما جيمز، فإن شكسبير لم يقحم هذه المسائل في مسرحيته التملقاً منه. كما أن علينا ألا نفترض ان معالجة شكسبير لشخصية بانكوكو حدّ من حريتها حساسية الأمر بالنسبة الى الملك، أو أن الحوار بين مكدف ومالكولم حول طبيعة الملك انما أدخل لكي يسرّ الملك.

وعلينا ألا نتصور إذ نعود إلى فكرة سينيكا عن المأساة كما تطبّق في «مكبث» أن خيال شكسبير انكبح بها وانحصر، أو أنه فرض على نفسه البنية والشكل اللذين يقرهما سينيكا. فإدراكه البعيد الخيال لأعماق القلب الانساني جعل من الصعب عليه على مرّ الأيام أن يعتبر أي شخصية مجرد نذل شرير - حتى باكيمو يندم ويتوب - و«مكبث» قصة رجل نبيل باسل ينتهي إلى اللعنة وعذاب الجحيم، تُقدّم لنا على نحو يثير فينا الشفقة والرعب. فلئن يكن سبب لعنة مكبث، في التحليل الأخير خطيئته هو، فإن تجربته عسيرة اليمّة. وقد كتب جورج جيفارد عام ١٦٠٣ يقول:

«إن قوة الشياطين قائمة في قلوب الناس، ليقسو بها القلب، وتعمى البصيرة، والرغاب والشهوات التي فيهم، يشتعلون بها غضباً، وحقدًا، وحسدًا وجرائم قتل عاتية... والشياطين بهذه الأمور مشغولة دوماً وبكفاءة هائلة، حتى أنها لولا قوة آلام الرب يسوع المسيح وقيامته المجيدة، التي هي ملكنا بالايمان، لما استطاع مقاومتها أحد.»

وكذلك قال جيمز نفسه إن الشيطان يُغري الأفراد

«هذه الحُرُقات الثلاث التي في دخيلتنا: الفضول،... التعطش للانتقام من أجل أذى عميق الذكر في النفس، والشهوة الجشعة في المقتنيات.».

ولم يكن بوسع شكسبير أن يقدم الشياطين في إحدى مآسيه لأنها كانت قد اكتسبت قرائن مضحكة؛ غير أن الساحرات كن مخلوقات مأساوية «بعن أنفسهن للشيطان مقابل الحصول على بعض القوى الخارقة» (كري).

نحن لا نعلم رأي شكسبير الشخصي في السحر والسحرة - هل كان يؤمن بمبادئ الملك جيمز الواردة في كتابه «علم الشياطين» (ديمونولوجي)، أم أنه أقرب إلى الموقف المشكك الذي وقفه ريجنالد سكوت، والذي يبدو أصح عقلاً لنا اليوم. إلا أنه كان بوسع أن يستخدم السحر لأغراض درامية في زمن كان فيه كل انسان تقريباً يعتقد أن الساحرات «قنوت يمكن بها تسليط حقد الأرواح الشريرة على البشر» (كري).

ويرى الأستاذ كري ان «أخوات القدر» هن في الواقع أرواح شريرة، أو شياطين، في شكل ساحرات. ولكن

«سواء اعتبرناهن ساحرات انسانيات متآمرات مع قوى الظلام، أو شياطين حقيقية في شكل ساحرات، أو مجرد رموز لا حياة فيها، فان القوة التي يسلطنها، أو يمثلنها، أو يرمزن اليها، هي في النهاية قوة شيطانية.»

ولكن علينا أن نلاحظ أن «أخوات القدر» يفرين مكبث لا لسبب إلا لأنهن يعرفن احلامه الطموحة؛ وحتى في هذه الحالة فإن تنبؤهن بالتاج لا ينص على وسائل شريرة لنيله - إنه اخلاقيا حيادي ومكبث نفسه لا يفكر أبداً بلوم «أخوات القدر» على اغرائه بقتل دنكن، ولو أنه يلوم «الشياطين المشعوذة» التي أوهمته بأنه أمين محصن. فهو يعلم أن الخطوة الأولى في درب الزهور انما خطاها على مسؤوليته هو.

والجريمة الأولى دافعها الطموح. أما البقية، من قتل المرافقين إلى مجزرة عائلة مكدف، فدافعها الخوف - الخوف الذي هو وليد الذنب. وقد ميّز تيموثي برايت بين المخاوف العصابية وتلك التي يسببها تقريع الضمير:

«كل تعذيب منبعثٍ كشيء ينتمي إلى السذهن، فلإنه ليس، بذلك المعنى، ضرباً من ضروب الكآبة، بل إن له أرضاً أبعد من التصوّر، وينبعث من الضمير، ليدين الروح المذنبية لخرق شرائع الطبيعة المحفورة، تلك التي لا يخلو منها انسان، مهما يكن همجياً. هذا ما جعل الشعراء الدنيويين يخترعون [كائنات] مثل هيكااته، واليومينيديز، والعفراريت الجهنمية. فهذه، رغم كونها شخصيات مخترعة، فإن الأمور التي تتبدى من وراء اقنعتها، جدية، وحقيقية، ورهيبية التجربة.»

هذه هي الأحلام المريعة التي تفض كل ليلة مضجع مكبث وزوجته. والصور الشعرية الرؤيوية التي تسبق ثم تعقب قتل دنكن يمكن ردها إلى نفس السبب، أكثر منها إلى مزاج مكبث الشاعر. يقول بلوتارك في كتابه «الأخلاق».

«إن الشر، إذ يولد في داخله... السخط والعقاب، لا بعد ارتكاب فعل الخطيئة، بل حتى في لحظة ارتكابه، يبدأ بمقاساة الألم بسبب الجرم... في حين أن الشر المؤذي يكون لنفسه آلات عذابه... والعديد من المخاوف الرهيبية، واضطرابات ولوعات الروح المفزعة، وتقريع الضمير، والندم اليائس، والقلق والمتاعب المستمرة.»

قبل نهاية المسرحية، نجد أن مكبث، وقد أطمع رعباً حتى التخمة، ما عادت تعذبه «اضطرابات مفزعة» كهذه. وهذا منتهى اللعنة. فكما يقول الاستاذ كري:

«كلما نقص فيه الخير، ازداد بالتناسب مع ذلك النقص، نحكم الميل الشرير في حرية اختياره... فلا يستطيع أن يختار الطريق الأفضل.»

ومع أن جرائمه اللاحقة، كما رأينا، يدفعه إليها تحبُّه من أجل صيانة نفسه، فإن بينها فروقاً معينة. فمصرع بانكوو ليس سببه فقط أنه يعلم بنبوءة «أخوات القدر» مما يجعله خطراً على مكبث؛ كما أن ليس سببه فقط الوعد بأن نسل بانكوو سيرثون العرش - رغم قوة هذين الدافعين. إن مكبث يخشى ما يتصف به بانكوو من حكمة و«طبع خليق بالملوك»، و«معدن ذهني مقدام». وهو يخشاها كلها لأنها توبيخ دائم لطبيعته التي لوئتها الآن الجريمة.

«ملاكي الحارس إزاء مهين»

وهو يأمل على نحو ما أنه إذا قتل بانكوو أراح نفسه من توبيخه. غير أن ما يفعله إنما يضمن لهذا التوبيخ أن يصبح أبدياً. ولعل بإمكاننا أن نطبِّق ما يقوله سارتر عن القتل، على مصرع بانكوو. انه يرى أن القاتل يديم الوضع اللامحتمل الذي اقترف من أجله الجريمة بفعل القتل بالذات: لأنه يقتل الضحية، لأنه يكره كونه موضوع الآخر، وبالقتل تصبح هذه العلاقة من النوع الذي لا يشفى. ويكون الضحية قد أخذ مفتاح هذا الاغتراب إلى القبر معه:

«موت الآخر يجعلني موضوعاً لا شفاء له، بالضبط كما يجعلني موتي.
وهكذا يتحول الحقد إلى إحباط حتى في انتصاره.»

يعتقد البعض أن بانكوو لا يستحق أن نشعر تجاهه بالحقد الممزوج بالاعجاب، لأنه يبدو أنه يتفاهم مع الشر، فقبل القتل نجده مصمماً على ألا يفقد شرفاً بمحاولة الاستزادة منه. وبعد الجريمة، إذ يشتبه بمكبث، يقول:

«إني أقف في يد الله العظمى: ومن هناك
أصارع خطة مكتومة
ملؤها الحقد والخيانة.»

ولكننا نجده في مطلع الفصل الثالث لم يفعل شيئاً لتنفيذ الصراع الذي أقسم عليه، ويرى برادلي.

«أن بانكوكو من دون اللوردات جميعاً كان يعلم بالنسبوات، ولم يقل عنها شيئاً. وقد وافق على اعتلاء مكبث العرش، كما وافق على النظرية الرسمية من أن ولديّ دنكن هما اللذان دفعا المرافقين لقتله.»

ومع أننا قد نتفق مع الدكتور دوفر ولسون على أنه لا ينبغي معاملة شكسبير معاملة المؤرخ؛ ومع أن هذا التأويل لشخصية بانكوكو، من أنه «قد خضع للشر»، يبدو مناقضاً لمذح مكبث له في مكان لاحق من المشهد نفسه؛ ومع أن جيمز الأول ما كان على الأرجح ليرضى عن صورة غير كريمة ترسم لرجل يعتبر أحد أسلافه: مع ذلك كله، فإن نظرية الدكتور ولسون القائلة بأن ثمة حذفاً عند هذه النقطة من المسرحية أسهل من أن تكون مقنعة، ولنا الحق في أن نشك - وفقاً لنظريات الملك جيمز حول الحق الإلهي - إن كان من واجب بانكوكو أن يتصرف على نحو موالٍ لمكبث إلى أن يطأ مالكولم (ابن الملك المقتول) أرض اسكوتلنده. فجيمز، كما رأينا، يشجب التمرد حتى على الذين هم طغاة بشكل سافر. ولم يكن في ذلك ما هو جديد، وآل تيودور كانوا سيوافقون على كل كلمة من الفقرة التالية من «القانون الصحيح للملكيات الحرة» للملك جيمز:

«ولذا فإن فساد الملك لا يقدر أبداً أن يجعل أولئك الذين تقرّر أن يحكمهم هو، أن يصبحوا حكامه.. وبعد ذلك، فإنهم، عوضاً عن تخليص الدولة من الشقاء (الذي هو عذرهم وحثّتهم الوحيدة) سيراكمون عليها الشقاء والخراب مضاعفين، وهكذا سيحقق تمردهم، عكس النتائج التي زعموا أن تمردهم هو من أجلها.»

حتى الملك الفاسد يحفظ النظام في الدولة، وفيما عدا كل ما يخص شهواته وأطماعه، فإنه عموماً سيحبّد إقامة العدل. وإذا لم يكن هناك ملك، يقول جيمز، «ليس هناك ما هو غير شرعي تجاه أي أحد». ولكنه كان حريصاً أيضاً على أن يذكر أن

«واجب السواء، الذي يقسم عليه الشعب لأميره، لا يلزم الشعب تجاه الأمير وحده، بل تجاه الذين يخلفونه ويرونه شرعاً..»

وأنه لمن غير المشروع (ما دام هناك من يتسّم العرش) أن يزاح من يخلفه على العرش، بقدر ما هو غير مشروع أن يُسقط من هو على العرش. إذ في لحظة انتهاء حكم الملك، يحلّ محله أقرب وريث شرعي: وهكذا فإن رفضه، أو إقحام آخر مكانه، لا يعني وقف الحكم، بل طرد وإبعاد ملكهم الحق.

فمن الواضح إذن أن بانكوكو كان عليه ألا ينتظر ريشا يغزو مالكوولم اسكوتلنדה في اتخاذ أي إجراء ضد المعتصب: لقد كان عليه أن يدافع عن حق الابن في العرش لحظة موت الملك دنكن.

إن الحوار الطويل بين مكبث وقاتلي بانكوكو فيه عودة بالنحي إلى إغراء الملك جون لهيوبرت، وإغراء كلودديوس للايريتس (على قتل هاملت). إنه يرينا مكبث، الذي لم نر منه سابقاً إلا لمحات، كسياسي ذرب اللسان، يعرف كيف «يخادع الزمن». وإذا زعم البعض أن القاتلين سيرضيان بالقيام بمهتهما دون هذا الاقناع الكثير - أي أنها لا يريدان إلا مكافأة نقدية على جريمتها - فلنا أن نجيب على ذلك قائلين إن مكبث

«أراد أن يخضع إرادتهما. فالمرء يتصوره وهو يذرع الأرض جيئة وذهاباً، ويحوك الكلمات سحراً حول المسكينين، متوقفاً بين حين وحين ليسلّط عليهما عيناً فاحصة نافذة.» (غرانفيل باركر).

إنه يريد لهما أن يقوما بالمهمة كراهية لبانكوكو، لا حاجة للمال، لكيما يخفف عن نفسه بعض الذنب - لكيما يستطيع أن يصرخ: «لن تقدر أن تقول: أنا الذي فعلتها.» وكلامه عن الكلاب وأنواعها، الذي يعتبره البعض أقل ما في المسرحية ضرورة، ويستحق الشطب، يساعد في تقديم وجه من أوجه «النظام»، الذي هو الآن يحطّمه. وفي هذا المشهد مغزى لم يلق حتى الآن تقديره الوافي - إنه أصداء موعظة المسيح على الجبل، بموجبها يشهد مكبث، دون وعي منه، على القاعدة الأخلاقية التي ينتهكها.

وما حدث فيها بعد من قتل لأفراد أسرة مكدف على أيدي جلاوزة مكبث، إنما هو مجزرة عشوائية غدت أخيراً الأمر بموت مكدف نفسه. وهي

لم تستهدف تحقيق أية غاية معينة: لقد أصبح التحطيم، وإن ينبع عن الخوف، غاية بحدّ ذاتها.

يقول كولدرج إن الشخصية الرئيسية الأخرى، شريكة مكبث وغاويته، ليست بالوحش، أو الملكة الجهنمية، التي اعتبرها كذلك معظم نقّاد القرن الثامن عشر:

«بل بالعكس. جهدها الدائم طوال المسرحية هو أن تقارع الضمير. لقد كانت امرأة مّيّالة إلى الرؤى وأحلام اليقظة، عينا مركززة في أشباح طموحها الأوحده، ومشاعرها، بسبب تأملاتها في الشهوة التي ملكت عليها كيانها، مجرّدة عن العواطف العادية التي تعرفها حياة اللحم والدم. بيد أن ضميرها، عوضاً عن أن يصاب باليأس، يخزها ويؤذيها باستمرار. وهي تحاول أن تخنق صوته، وتكتم صراعاته، بخيالاتها المضحمة المحلقة، واستنجاتها بالوسائط الروحية.»

صحيح أن الليدي مكبث ليست أصلاً عديمة الخلق والضمير (كما أن إبليس لم يكن كذلك): ولكنها تختار الشر عن عمد، واختيارها أشدّ عمداً من اختيار زوجها. يقول مكبث أن الطموح دافعه الوحيد، غير أنه ما كان ليتغلب على إعراضه عن اقرار الجريمة لولا تعنيف لسان زوجته. إنها، لا مجازاً أو رمزاً، بل بكل ما أوتيت من جدية، تضرع إلى قوى الظلام لتمتلكها، وكما يناقش في ذلك منطقياً الأستاذ كري:

«يسدو أن رجاءها يستجاب. إذ بمجيء الليل تلتفت فلتعتها بسواد كالذي تمتت. وهي تعلم أن هذه الكيانات الروحية تدرس بشغف آثار الأنشطة الذهنية في الجسم الانساني، وتتنظر بصبر ظهور دلائل الفكر الشرير الذي سيسمح لها بالدخول عبر حواجز الارادة الانسانية إلى الجسم لكي تمتلكه. إنها تخدم خواطر البشر. إذ، يقول كاسيان: «من الواضح أن الأرواح النجسة لا تستطيع أن تشق طريقها إلى الأجسام التي سوف تمسك بها إلا بأن تمتلك أولاً أنفسها

وأفكارها». وهكذا، بدلاً من أن تحرس الليدي مكبث نفسها أو عقلها ضد هجمات ملائكة الشر، فإنها تريد لها عن إصرار أن تغزو بحيلتها جسمها وتسيطر عليه بحيث تستأصل منه كلياً ميول الروح الطبيعية إلى الخير والرحمة. . وما من ريب في أن كيانات الشر هذه تتملك بالفعل جسمها وفق مشيئتها بالضبط. .»

ولقد كانت الممثلة المسز سيدونز محقة عندما قالت إن الليدي مكبث «بعد أن جنحت وسلمت نفسها لإشارات الجحيم، تُركت تحت توجيه الشياطين التي استشارتها.» وإدراك الممثلة العظيمة لهذه الحقيقة هو أحد الأسباب التي جعلت أداءها للدور أعمق أثراً من أداء، أية ممثلة أخرى، كما جعلت التأويلات الواقعية له محكوماً عليها بالفشل مسبقاً. إننا في غنى عن الافتراض بأن شكسبير نفسه كان يؤمن بمسّ الجن، بقدر ما نحن في غنى عن الجزم فيما إذا كان يتبع ريجنالد سكوت في آرائه حول السحر، أو الملك جيمز في آرائه حول الحق الإلهي: ولكن من الصعب أن نشك في أنه أراد لليدي مكبث أن يكون فيها مسّ من الجن، حرفياً. تأويل كهذا يفسّر الظلام الشاذ والخوارق الشاذة أيضاً ليلة الجريمة، كما أنه يفسّر ما يسميه الأستاذ كروي «النومشة الشيطانية» في المشهد الذي تمشي فيه الليدي مكبث في نومها.

ثمة نقاد صوّروا الليدي مكبث بأن فيها شيئاً من العاطفة وقالوا إن صرختها «أمير فايف كانت له زوجة: أين هي الآن؟» تدلّ على أنها كامرأة ما زالت تستطيع أن تشعر مع امرأة مقتولة. ومن الناحية الأخرى يتفق برادلي مع كامبل إذ أصر هذا على أن «في بؤس الليدي مكبث لا نجد أثراً للندامة أو التوبة.» ولكن هذا معناه أننا نتعامل مع مشهد النومشة حرفياً أكثر مما ينبغي. ورغم أن هوس الليدي مكبث ببطخات الدم على يديها، وبخاصة هوسها برائحة الدم، قد يُفسّر كدليل على خوفها من الانكشاف، إلا أنه أيضاً يرمز بشكل صارخ إلى وعيها جُرمها والانتهاك الذي سببته لروحها. ولكن يجب أن نذكر أن المعتقد كان أن من صفات النومشة الشيطانية أن شخصاً ثانياً يتكلم من خلال فم المريض، معترفاً بخطايا وأحياناً راوياً الذكريات. قد يقال إن الليل الخالي من النجوم، والأحداث المذهلة المرافقة للجريمة، ومشي

الليدي مكبث في نومها، يمكن تفسيرها جميعاً دون إدخال الغيبيات وخوارق الطبيعة في الأمر - وهذه الحقيقة ربما تعكس تراكباً من المعاني في ذهن شكسبير. وللجمهور أن يأخذها بهذا المعنى أو ذاك، ولو أن معنى الخوارق هو الأكثر طبيعية لدى الجمهور المعاصر لشكسبير، ومن الناحية الأخرى، يجب القول إن المشهد العجائبي في الفصل الثالث حيث نرى أن الجريمة لم تقرب ما بين المجرمين الاثنين، بل أقامت بينها حاجزاً لا يخترق - هذه الصورة «للصحراء المسكونة بالجن في روجيها» - لا تحتاج، بل قد يقال إنها تنفي عنها، أن تكون لليدي مكبث ما زالت في قبضة الجن: ومشهد الوليمة بالذات، حيث تسترد لفترة ما، وللمرة الأخيرة، بعضاً من الإرادة، ليس من السهل جعله يتفق مع النظرية الشيطانية: وإلا فإن الشيطان يبدو كأنه انقسم على نفسه، من ناحية دافعاً مكبث إلى عرض جرمه، ومن ناحية أخرى ممكناً لليدي مكبث من التستر عليه. وهكذا، في مشهد النومشة، سواء أكانت اعترافاتها اللاإرادية (وهي ملتاعة اليمة بحيث، كما يقول برادلي، يبدو لبرهة «أن لغة الشعر كلها تنأى عن الواقع، وتبدو هذه الجمل القصيرة التي لا لون لها وكأنها وحدها صوت الحقيقة») من دفع ضميرها المكبوت، أم من كلمات الشيطان الخائن في دخيلتها، فإن لنا ألا نحرّمها الشفقة (وهي التي لا بد وهبها إياها شكسبير نفسه) فثمة شفقة حتى في «جحيم» دانتي.

كوننا اليوم لا نؤمن بالجن والأرواح الشريرة، في حين أن معظم جمهور شكسبير كان يؤمن بها، لا يقلل الأثر الدرامي فينا، إذ بتلاشي الاعتقاد بوجود الشياطين موضوعياً، فإن الشياطين وعملياتها ما زالت تستطيع أن ترمز إلى نشاطات الشر في قلوب البشر. فالنوم، لا للغيبين فقط بل للمذنبين أيضاً، «هو الجحيم ومكان الملعونين المعدّين»، كما يقول بلوتارك، لأنه يمثل لهم،

«رؤى رهية وتصورات رابعة؛ يُنهض شياطين وجنّاً وعفاريت لتعذيب الروح المسكينة البائسة؛ إنه يخرجها من راحتها الوادعة بأحلامها المخيفة، التي تسوط وتضرب وتعاقب نفسها بها كأنما بأمر

من شخص آخر تطيع هي أوامره القاسية واللامنطقية .»

فتغير العادات والمعتقدات لا ينال بصورة جديّة من شمولية المأساة .

وعليّنا ألا نحسب أن الحذف والتبديل قد أعطبا كثيراً وحدة المسرحية وقوتها . لقد شكّا بعض النقاد، في الواقع، من أن معظم شخصيات المسرحية «مسطّحة» وتنقصها الفردية، وأن بعض المشاهد غير دراميّ وبليد. غير أن تسطيح الشخصيات وسيلة درامية مشروعة، تنتهي إلى تركيز الانتباه في الشخصيات الرئيسية. وهكذا فإن روص، وأنغس، واللورد الأخر، ولينوكس، والطبيين، والسيدة الوصيّة، يكادون لا يتميّزون بأية خصلة ظاهرة، بل إن خصائص روص ولينوكس تبدو متناقضة: غير أن هذه الشخصيات مجتمعة تكوّن «كورس» يعلّق على الفعل الجاري في المسرحية .

أما الشكوى الأخرى من أن بعض المشاهد غير درامي، فلعلني قد أجبّت عليها سابقاً، على الأقلّ ضمناً . فليس من قبيل الصدفة كلياً أن بعض المشاهد التي اعتبرها النقاد فيما مضى مشكوكاً في أصلتها، أو مديحاً غير وارد للملك جيمز، أو ترضية لذوق الحائشة من الجمهور، أو مقاطع من كتابات مسترخية، جعلنا نعتبره الآن جوهرياً لفهم المسرحية . فمشهد البواب، ومقطع الكلاب وأنواعها، والكلام على «سقام الملك»، وأول مشهدين من المسرحية، والحوار بين مكدف ومالكولم في المشهد الثالث من الفصل الرابع، بحثناها آنفاً: ولكن ربما يجدر بنا أن نضيف ملاحظة عن المقطع الأخير منها، لأنه يدان عادة لإطنابه و«سخفه» . هارلي غرانفل باركر يعتقد أن كتابة هذا المشهد تفتقر إلى التلقائية، ولكنه يشير إلى أهميته في خطة المسرحية: إنه منطلق الفعل المضاد في المسرحية، فالجمهور بحاجة إلى فسحة يلتقط فيها أنفاسه،

«واحتمال كون مالكولم ما يتهم نفسه به، واحتمال كون مكدف جاسوساً لمكبث، فينصرف الواحد بقرف عن الآخر، وكون مكدف لا يقتنع بسهولة بالحقيقة - هذا كله ضروري كقاعدة صلبة للسيطرة

الخلقية التي ستكون لهذين الرجلين على بقية المسرحية. فالأمر بأجمعه يجب أن يعطى حيزاً ووزناً يتناسبان وخطورته.»

ويمكن أيضاً الدفاع عن المشهد باعتباره «مرآة للحكام» - بحثاً في التضاد بين الحكم الملكي الصحيح والطغيان، وهو وثيق الصلة بمادة المسرحية. وبوسعنا أن يرينا بوضوح كيف أن فساد حكم مكبث جعل حتى الأخيار يشتهون في نوايا الأخيار. ولعل المشهد، كما يقترح الأستاذ نايتس، يقوم مقام تعقيب الكورس:

«إننا نرى أن اتهام مالكولم نفسه أمر وارد. لقد توقف عن كونه شخصاً. أبياته تردّد وتضخم الشرور التي نسبت حتى الآن إلى مكبث، كأنه مرآة تنعكس فيها مآسي اسكوتلنדה. والنص على الشر يقويه التضادّ مع الفضائل المقابلة.»

يشكو الأستاذ تشارلتون من النقاد الذين يعاملون شخصيات شكسبير كأنها «رموز تشكيلية في أرابسك من الصور الشعرية الباطنية»، أو «مويجات إيقاعية تُرتل في طقس لوني». ومع أننا قد نشك في أن هذه العبارات تصف بالضبط ممارسات النقاد بعد برادلي، فإننا ربما نوافق على القول بأن مسرحيات شكسبير الشعرية إنما هي مسرحيات للتمثيل، وليست فقط قصائد للقراءة. ومن الناحية الأخرى يجب الحفاظ على التمييز بين الفن والحياة، كما لم يحافظ عليه النقاد السيكلوجيون في القرن ونصف القرن الأخيرين. لقد كتب شكسبير مسرحيات اتفق أنها قصائد، وقصائد اتفق أنها مسرحيات - وليس من السهل الحفاظ على توازن دقيق بين شقي هذا القول. ثم إننا، في أثناء تحليلنا إحدى المآسي، ميالون جداً إلى تحجير أصل الحياة، وفرض معنى معاصر، أو أليزابيثي، على مغزاها الأغرّب والأقل طواعية للتشكيل. لأن ما فكّر فيه «العامة» أو «الخاصة» من الجمهور أيام شكسبير قد يكون بعيداً عن فهم كامل، فهم شكسبيري، لـ«مكبث» بقدر ما قد تكون تأملات آ.سي. برادلي. فالمسرحيات هي من الاتساع والتعقيد ما يمكننا من قول أشياء عنها تبدو متناقضة، ولكنها تعبر عن وجه ما من الحقيقة. بوسعنا في الواقع أن

ندعو «مكبث» أعظم المسرحيات «الأخلاقية»، إذ نعي في الوقت نفسه ان شكسبير يتخطى جلال قصة نفس انسانية وهي في طريقها إلى العذاب الملعون، وأنه يرينا طاقة لا تُقهر وهي تشتعل «في غابات الليل»، والملائكة «خيلها رواكض الفضاء الخفية»، «والشفقة كطفل وليد عارٍ يمتطي الزوبعة»، و«هيكل الأشياء المزعزعة»، والحياة الانسانية، وشمعة وجيزة يطفئها تراب الموت، بكل روعتها وشفقتها، وحتى بجرائمها، - وليس

حكاية

يحكيها معنوه، ملؤها الصخب والعنف
ولا تعني أي شيء.

نحن قد لا نتفق مع كامل عندما تحدث عن «مكبث» وقال إنها «أعظم كنز في أدبنا الدرامي»، أو مع مسفيلد، الذي دعاها «أروع» مسرحيات شكسبير. غير أن فيها ولا شك روعة ذات غنى وتوتر غريبين نادراً ما ضاهاها الشاعر، كما أن فيها إنجازاً وتحكماً فنياً ربما لم يفقهما الشاعر إلا في «الملك لير».

مأساة
مَكْبُوث

اشخاص المسرحية

Duncan	دنكن، ملك اسكتلنده
Donalbain	دونالين مالكولم
Malcolm	
Macbeth	مكبث بانكوو
Banquo	
Macduff	مكدف لينوكس روص منيث أنفس كائيس
Lennox	
Ross	
Menteith	
Angus	
Caithness	نبلاء اسكتلنده.
Fleance	ابن بانكوو فليانس
Siward	سيوارد، ايرل نورثمبرلاند، قائد القوات الانكليزية.
Young Siward	سيوارد الابن.
Seyton	سيتون، ضابط مرافق لمكبث.
Boy, Son to Macduff	صبي، ابن مكدف.
A Porter	بوآب.
A Captain	رائد
An English Doctor	طبيب إنكليزي.
A Scottish Doctor	طبيب اسكتلندي.
An Old Man	شيخ.

Lady Macbeth	ليدي مكبث .
Lady Macduff	ليدي مكدف .
A Gentlewoman	وصيفة، ترافق ليدي مكبث .
The Weird Sisters	أخوات القدر، ثلاث ساحرات .
Three Witches	ثلاث ساحرات .
Hecate	هكاته، ربة الساحرات .
The Ghost of Banquo	شبح بانكوو .
Apparitions	أطياف .

لوردات، سادة، ضباط، جنود، قتلة،
مرافقون، رُسل .

المشهد:

نهاية الفصل الرابع في انكلترا،
ويقية المسرحية في اسكوتلندا .

* * *

ملاحظة: أرقام الأسطر في كل مشهد من هذه الترجمة جعلت متفقة مع
أرقام الأسطر في طبعة آردن الانكليزية . وهي تقارب جداً
أرقام الأسطر في معظم الطبعات الانكليزية الأخرى، إن
لم تطابقها .

الفصل الأوّل

المشهد الأوّل

مكان في العراء

رعد وبرق. تدخل ساحرات ثلاث^(١).

ساحرة ١: متى نلتقي ثانية نحن الثلاث
في رعود وبروق وأمطار كاللهات؟

ساحرة ٢: حين يكف المهرج والمرج رعبا
ويمسي القتال خسرانا وكسبا.

ساحرة ٣: ذلك قبل مغيب الشمس حاصل.
ساحرة ١: أما المكان؟

ساحرة ٢: ففي القفراء مائل.

ساحرة ٣: حيث نلتقي بمكث.

ساحرة ١: قطبي الشهباء، لبيك!^(٢)

ساحرة ٢: علجومتى تنادي!

(١) يعتقد البعض أن هذا المشهد دخيل على المسرحية، وليس من قلم شكسبير. غير أن كولردج يرى غير ذلك، ويقول، «إن السبب الحقيقي لظهور أخوات القدر في المطلع هو عزف النغمة الأولى التي ستطفي على المسرحية كلها. إنها نغمة الشؤم».

(٢) لكل ساحرة قطة أو علجومة (ضرب من ضفادع الطين) هي رفيقتها وواسطتها في أعمالها السحرية وكان يعتقد أن الساحرات لمن القدرة على حفظ الشياطين والعفاريت في أجسام القطط والغلاجيم.

ساحرة ٣ : لبيك، لبيك!
الثلاث معاً: الجميل هو الدميم، والدميم هو الجميل على الدوام
فهيا حمّوا في حلّكة من ضباب وقتام.

(يخرجن)

المشهد الثاني

معسكر

نغير من الداخل. يدخل الملك دنكن، مالكولم، دونالسين،
لينوكس، مع مرافقين، ويلتقون برائد جريج ينزف.

دنكن : ما ذاك الرجل المخرج بالدم^(٣)؟ بوسعه إخبارنا،
كما يبدو من سوء حاله، بأحدث
مراحل العصيان.

مالكولم : هذا هو الضابط الذي
قاوم الأسر، كما هو قمين
بالجندي الباسل الصلب. مرحباً بالصديق الشجاع!
أذل للملك بما تعرف عن المعمة
كما كانت حين تركتها.

الرائد : لقد ظلت بين بين :
كسباحين منهكين يتشبث كلاهما بالآخر
فيخنقان فنهما. والجائر مكدونالد
(وما أجدره بالتمرد، إذ لتلك الغاية

(٣) كلمة الدم أو الدماء ترد أكثر من مئة مرة في «مكبث».

راحت نذالات الطبيعة المتكاثرة
تنغل عليه) من جزر الغرب يأتيه
مددٌ من المشاة والخيالة،
وربة الحظ ابتسمت لعصيانه اللعين
وبانت كبغي تهوى متمرداً. ولكن ضعفه ظل بادياً.
لأن مكبث الجريء (وما أحقه بهذا النعت)
يزدري برّية الحظ، وبسيفه المسلول الذي
يبخر الدم منه لكثرة ما ضرب،
يشق طريقه، وهو للشجاعة حبيها،
حتى يجابه العبد.
ولم يصفحه أو يودعه حتى
قدّه قدّاً من السرة إلى الشدقين،
وغرز رأسه على شرفات قلعتنا.

٢٠

دنكن : يا لابن عمي الشجاع! يا سيد المروءات! (٤)

الرائد : وكما من حيث تبدأ الشمس ارتدادها (٥)
تنطلق العواصفُ المحطمةُ السفنَ والرعودُ الرابعة،
هكذا من المصدر نفسه الذي يبدو الأمان قادماً منه،
يتصاعد الخطر. فانظر، يا ملك اسكوتلندة، انظر!
ما كادت العدالة، مسلحةً بالبأس،
تكره المشاة المنطنطين على تولية أديارهم
حتى ابتهل سيد النرويج الفرصة،
وبأسلحة مصقولة ومدد جديد من الرجال
شرع بهجوم ثان.

٣٠

دنكن : أولم يُفزع هذا

(٤) كان دنكن ومكبث حفيدي الملك مالكولم.
(٥) يقصد عودتها عند التعادل الربيعي.

قائدينا، مكبث وبانكورو؟

الرائد : بلى،

كما يُفزع البغاث النسورَ، أو الأرنبُ الأسد.
وإذا قلت الصدق، فعلي أن أعلمكم أن كليهما
كان كمدفع مشحون ببارود مزدوج،
فراحا يكرران الضرب على العدو مكرراً:
هل كانا يبغيان استحماماً بالجراح الشاخبة
أم إحياءً للذكرى جلعلة ثانية،
لست والله أدري -

ولكنني وهنت، وطعناتي تطلب العون.

دنكن : ما أجمل كلماتك بك، كجراحك!

في كليهما مذاق الشرف. - عليكم بتطبيبه.

(يخرج الرائد برفقة مساعدين)

يدخل روص وأنفس

من القادم هنا؟

مالكولم : الكريم أمير روص.

لينوكس : يا للعجلة المظلة من عينيه! هكذا يبدو

من يريد قول أشياء غريبة.

روص : عاش الملك!

دنكن : من أين أنت قادم أيها الأمير؟

روص : من فايف، أيها الملك العظيم.

حيث البيارق النرويجية كانت تهزأ من الساء
وتَرَفُّ إخماداً لنار رُبْعنا. سيدُ النرويج نفسه،
ومعه أعداد مريعة

ويسنده ذلك الخائن الناكثُ عهدَه
أميرُ كودور، شرع في قتال مريـر.
إلى أن جابهه عريس ربة الهيجاء^(٦)، مكسواً بالحديد،
بمثل ما لديه،
سيفاً لسيف، سلاحاً متمرداً لسلاح،
كابحاً إقدامه الوقح. وختاماً،
كان النصر حليفنا -

دنكن : يا للسعادة!

روص : وراح الآن

٦٠

سوينو، ملك النرويج، يرجو التفاهم.
ولم نسمح له بدفن قتلاه
إلى أن دفع لنا في جزيرة سانت كولم
عشرة آلاف دولار^(٧) لأغراضنا العامة.

دنكن : لن يخون أمير كودور بعد اليوم
مصالحنا الداخلية. - اذهب واعلن مصرعه،
وبلقبه السابق حيّ مكبث!

روص : سأفعل.

دنكن : ما ضيَّعه كودور غداً كسباً للنبيـل مكبث.

(٦) يقصد مكبث.

(٧) تم سك الدولار لأول مرة عام ١٥١٨ - أي بعد أحداث هذه المسرحية بحوالى خمسة قرون. شكبير
يعيد هنا ذكر جزيرة دفعها في عصره لانكلترا الملك كريستيان، ملك النرويج.

المشهد الثالث

قفراء

رعد. تدخل الساحرات الثلاث

ساحرة ١ : أين كنت يا أختاه؟

ساحرة ٢ : أقتل الخنازير.

ساحرة ٣ : وأنت يا أختاه؟

ساحرة ١ : لقيت زوجةً بحارٍ والكستناء في جِجرها

وهي تمضغ، وتمضغ، وتمضغ.

«أعطيني» قلت لها

«انقلعي، يا ساحرة!»

صاحت الحيزبون المدللة.

زوجها إلى حلب قد سافر، وهو ربان «النمر»^(٨)،

لكني في غربال سأبحر إلى مركبه،

وكجرذون بلا ذيل

. سأفعل، وأفعل، وأفعل.^(٩)

(٨) كانت هذه تسمية محبة للكثير من المراكب في أيام شكسبير.

(٩) أي أنها يستحول إلى جرد لتدخل المركب، وهناك ستفعل فعلها السحري بالربان.

ساحرة ٢ : سأعطيك ربحاً واحدة^(١٠)...

ساحرة ١ : لك شكري.

ساحرة ٣ : ومني أخرى واحدة.

ساحرة ١ : أنا لديّ الأخرى،

والموائء التي تهب منها وعليها،

والأماكن التي تعرفها

في خرائط البحارة كلها.

جفاف القش سأجفنه

من رأسه حتى قدميه

والنوم لن يعلق حتى بالهدب من عينيه

في حُلُكَة الليل أو وضح النهار.

ملعوناً سيحيا، بل طريد اللعنات.

ولسبع ليالٍ، مضروبةً بتسعٍ تسعَ مرات،

سيصاب بالضمور، والنحول، والهزال:^(١١)

ولئن عجزتُ عن إفقاده سفينته،

جعلتها العوبةً للزواجع المزجرات.

أنظروا ما عندي.

ساحرة ٢ : أريني، أريني.

ساحرة ١ : عندي إيهام ملاح

تخطمت عند عودته سفينته.

(صوت طبل من الداخل)

ساحرة ٣ : طبلٌ، طبلٌ!

(١٠) كان المعتقد أن الساحرات يبعن الرياح لمن يطلبها.

(١١) كانت الساحرة تصنع دمية من شمع، فتقرض فيها الأبر، أو تذيبها ببطء قرب نار منخفضة، وكلما وتعدبت الدمية أو ذابت، تعذب وذاب الشخص المراد إيذاؤه بهذا السحر.

٣٠

مكبث القادم!

كلهن معاً : أخواتُ القَدَرِ المسرعاتُ

عبر الأراضِي والبحار

يدرن كذا في حلقاتُ

يداً بيد.

لكِ ثلاثُ، ولي ثلاثُ (١٢)،

وأخرى ثلاثُ ثلاثُ الثلاثُ . . .

كفى! فالرقية استوت!

(يدخل مكبث وبانكوو)

مكبث : يوماً دميماً وجميلاً كهذا ما رأيت قط .

بانكوو : ما المسافة إلى فورس؟ - ما هؤلاء

الذوايات المشعثات بلبوسهن،

لا يشبهن أهل الأرض،

ولكنهن عليها؟ أحياء أنتن؟ أو كائنات

يجوز للأنس سؤ الكن؟ (١٣) يبدو أنك تنفهمني،

إذ تضع كل منكن اصبعها المشققة

على شفيتها الجلديتين: لا بد أنك نساء

ولكن لحاكن تمنعني عن تأويلكن كذلك .

مكبث : انطقن - إن استطعتن! من أنتن؟

ساحرة ١ : سلاماً يا مكبث، سلاماً يا أمير غلامس!

ساحرة ٢ : سلاماً يا مكبث، سلاماً يا أمير كودور!

ساحرة ٣ : سلاماً يا مكبث، يا ملكاً فينا بعد!

(١٢) كانت الساحرات يؤثرن الأعداد الفردية، ولا سيما مكررات الثلاثة .

(١٣) كان المفروض أن الأرواح لا تتكلم إلا إذا حوطبت أولاً .

- بانكوو : سيدي الكريم، أراك تحفّل، وتبدو خائفاً
 ٥٠ من أمور جميلٍ سمعُها؟ - ألا حلّفتكن،
 أمن خلق الخيال أنتن، أم أنتن حقاً
 ما تبدين في ظاهركن؟ زميلي النبيل
 تحيينه بما أنعم للتو عليه، وبالتنبؤ الكبير
 بنبلٍ وشيك، وبأمل في الملّك،
 حتى هو مشدوه مما سمع: أما معي فلا تتكلمن.
 إن يكن بمقدوركن التمعن في بذور الزمن
 فتعرفن أيها سينمو، وأيها لا،
 ٦٠ حدثني - أنا الذي لا أرجو منكن معروفاً
 ولا أرهب منكن كراهية.

ساحرة ١ : سلاماً!

ساحرة ٢ : سلاماً!

ساحرة ٣ : سلاماً!

ساحرة ١ : أقلّ شأناً من مكبث، وأعظم.

ساحرة ٢ : أقلّ منه سعادة، ولكن أسعد بكثير.

ساحرة ٣ : ستلد الملوك، وإن يفتك أنت الملّك.

ولذا، سلاماً يا مكبث، ويا بانكوو!

ساحرة ١ : يا بانكوو ويا مكبث، سلاماً، سلاماً!

٧٠ مكبث : مكانكُن، يا ناقصات النطق! أخبرني بالمزيد.

أنا أعلم أنني الآن، بموت ساينل، أمير غلامس.

ولكن كيف أمسيّت أمير كودور؟ أمير كودور في قيد الحياة

سيد متنعم^(١٤). وأن أجعل في منظور الصدق

(١٤) يبدو أن مكبث لم يعلم بتأمر أمير كودور مع الغزاة إلا بعد المعركة.

صيرورتي ملكاً، بعيدُ بُعدِ كوني أميرِ كودور.
من أين لكن هذا العلم الغريب؟ ولماذا
توقفن سيرنا في هذه الفلاة الممطرة بالصواعق
بهذه التحيات النبوية؟ تكلمن! أمركن!

(تتلاشى الساحرات)

- بانكوو : للأرض فقايع، كما للباء،
وهؤلاء منها. - أين تلتاشين؟
- مكبث : في اهواء. وذاك الذي بدا مجسداً
ذاب كنفخة في الريح. ليتهن تريشن!
- بانكوو : هل كانت هنا كيانات كالتى نتحدث عنها،
أم اننا التقمنا جذور المجانين^(١٥) التي
تجعل من العقل أسيراً؟
- مكبث : أبناؤك سيصبحون ملوكاً. . .
- بانكوو : وأنت ستصبح ملكاً. . .
- مكبث : وأمير كودور أيضاً، ألم يقلن ذلك؟
- بانكوو : بل بالنغمة ذاتها، والكلمات. . . من هنا؟

(يدخل روص وأنفس)

- روص : لشد ما سعد الملك، يا مكبث،
بأنباء نجاحك. وعندما اطلع على
مغامرتك بشخصك في حرب المتمردين،
تصارعت دهشته مع مدائحها،

(١٥) أي الخذور التي تحدث الخنون كان يعتقد أن هناك أنواعاً من النباتات تذهب بالعقل عندما تؤكل
أو يشرب ماؤها المغلي، وتجعل العين ترى ما لا تراه عين العاقل.

أيدھش لنفسه أم بمدحك أنت : وإذ أسكته ذلك ،
واستعرض بقية ذلك النهار بالذات
فوجدك في صفوف الترويجي الضخمة ،
غير خائف ما كنت تصنع أنت بنفسك -
صُوراً للردى عجيبةً . وكالبرّد الغزير
جاء الرسول مع الرسول ، وكل منهم يحمل
المدح لك لدفاعك العظيم عن مملكته ،
ليصبه بين يديه .

١٠٠ أنفس : لقد أرسلنا
لنهديك الشكر من سيدنا الملك ،
لنرافك إلى حضرته وحسب ،
لا لنجزيك .

روص : وعربوناً لتكريم منه أكبر ،
أمرني أن ألقبك ، نيابةً عنه ، «أمير كودور» .
وها اني بهذا اللقب المضاف أحييك ، أيها الأمير الكريم ،
لأنه الآن لك .

بانكوو : ماذا! اينطق الشيطان بالصدق؟

مكبث : أمير كودور حيُّ يرزق . لماذا تلبسوني
أردية مستعارة؟^(١٦)

أنفس : ذاك الذي كان أميراً ، ما زال حياً ،
ولكنه تحت حكم ثقيل يحمل تلك الحياة
التي يستحق فقداها . هل انضم
لرجال ملك الترويج ، أم أنه أمد المتمرّد

(١٦) هذه الصورة الشعرية ستكرر في خلال المسرحية كلها .

في الخفاء بالعون والفرصة، أم أنه مع كليهما
سعى في تدمير وطنه، لست ادري .
غير أن الخيانات العظمى التي اعترف بها وثبتت عليه
قلبت عليه أحواله .

مكبث :

(جانيبيا) غلامس، وأمير كودور:
والأعظم فيما بعد . (لروص وأنفس) شكراً لأتعايبكما .
(لبانكوو) ألا تأمل أن يصبح ابناؤك ملوكاً
حين تجد أن اللواتي منحني إمارة كودور
وعدتهم بالملك؟

١٢٠

بانكوو :

إن أنت صدقت ذلك الصدق كله،
ربما أهب فيك الأمل في التاج،
فضلاً عن إمارة كودر . ولكنه أمر غريب:
فكثيراً ما تحدثنا وسائط الظلام بالحقائق
لتؤدي بنا أخيراً إلى الأذى .
إنها تكسب رضانا بتوافه صادقة، لتخوننا
في أعمق الأمور خطورة .
يا أولاد العم، كلمة، رجاء .

(يتتحي بروص وأنفس)

مكبث :

(جانيبياً) حقيقتان قيلنا
توطئتين مشرقيتين للفصل المتنامي
حول الموضوع الملكي . شكراً، ايها السيدان .
(جانيبياً) هذا الخطاب الخارق للطبيعة
لا هو بالشر، ولا هو بالخير:
فإن يكن شراً، لماذا يمنحني عربونا بالنجاح،
بادئاً بحقيقة صادقة؟ أنا أمير كودور:
فإن يكن خيراً، لماذا أراني أستسلم لذلك الايحاء الذي

١٣٠

صورته الرابعة^(١٧) ينتصب لها شعري
 وتجعل قلبي المستكين يقرع أضلاعي،
 شذوذاً عن طبيعتي؟ ان مواضع الخوف الراهنة
 لأخف وقعاً من التخيلات المرعبة .
 وإن فكري الذي ليس القتل فيه إلا متخيلاً
 ليزلزل كياني الموحد انساناً
 حتى ليختنق الفعل في التكهن،
 وما من حقيقي إلا الذي ليس بالحقيقي^(١٨)

١٤٠

بانكوو : أنظر كيف وقف مشدوهاً زميلنا .

مكبث : (جانبياً) إن كان للحظ أن يجعلني ملكاً، فللحظ أن يتوجني
 دوغما حراك مني .

بانكوو : تأتبه ألقاب التكريم الجديدة
 كثيابنا الغربية، فلا تلتصق بهيكلها
 إلا بعون من الاستعمال .

مكبث : (جانبياً) مهما حدث
 فإن أعسر الأيام يخرقها الزمن والساعة .

بانكوو : أيها الكريم مكبث، نحن في انتظار لطفكم .

١٥٠

مكبث : امنحوني عفوكم! دماغى المتبلد قد أثير

بأمور منسية . أيها الفاضلان، اتعابكما
 سُجِّلَت حيث سأقلب الصفحات كلَّ يومٍ
 لأقرأها . هيا بنا إلى الملك .

(لبانكوو) فكر بالذي صادفنا . وحين يتسع الوقت،

(١٧) أي صورته التي يتخيلها وهو يقتل دنكن . تمثل هذه الأبيات لحظة مولد الشر في نفس مكبث . فهو ربما ساورته من قبل هواجس الطموح، أو حتى هواجس القتل، غير أنه الآن يشعر لأول مرة حقيقة القتل وهي تداومه بهولها .

(١٨) هذه أمثلة المسرحية : . . الحقيقة والوهم يتبادلان الأمانة (نابت) .

وقد وَزَنَّتْهُ الْفِتْرَةُ الْلاَحِقَةُ، دَعْنَا نُبْحُ
كُلِّ بَمَا فِي قَلْبِهِ لِلْآخِرِ، بَحْرِيَّةً.

بانكوو : مع عظيم سروري .
مكبث : وحتى ذلك الحين، كفى . أيها الصحب، هيا .

المشهد الرابع^(١٩)

فورس . غرفة في القصر

نفير . يدخل دنكن ، مالكوم ، دونالدين ، لينكوس ، ومرافقون

دنكن : هل نفذ الاعدام بكدور؟ أم أن
المكلفين بالأمر لم يعودوا بعد؟

مالكوم : مولاي ،
لم يعودوا بعد . إلا أنني تحدثت
مع رجل رآه يموت ، فأخبرني
أنه اعترف بخياناته بصراحة كبرى ،
والتمس العفو من جلالتك ، وأبدى
عميق الندم . لم يلق به شيء
في حياته مثل مغادرته لها : لقد مات
كمن لقن نفسه الموت ،
ليقذف عنه بأعز ما يملك
وكانه تافه بخس .

(١٩) «يوحي هذا المشهد بالنظام الطبيعي الذي سيتتهك عما قريب . إنه يؤكد على العلاقات السوية ،
والروابط النبيلة والنظام السياسي المستقر . (نايتس) .

دنكن

: ليس ثمة فن به

نكتشف بنية العقل في ملامح الوجه (٢٠):

لقد كان سيداً أقيمت عليه

ثقة مطلقة -

(يدخل مكبث، بانكوو، روص، وأنفس)

أُلا أهلا، يا ابن عمي الكريم!

كانت خطيئة عقوقي حتى الآن

ثقيلة علي. لقد سبقتنا بمدى بعيد

فغدا أسرع الثواب جناحاً أبطأ

من أن يلحق بك: ليتك كنت أقل استحقاقاً

فيتعادَلْ عندي الشكر والجزاء!

ولم يبق لي إلا أن أقول

إنك أكثر أهلاً لأكثر مما يستطيع الكل جزاءك.

٢٠

مكبث

:

ما أنا مدين به من خدمة وولاء

إذ أوديهما، هو الجزاء. دَوْرُ جلالكم

هو تلقّي واجباتنا: وواجباتنا

هي ازاء عرشكم ودولتكم، أولادكم وخدمكم،

وهي تؤدّي كما ينبغي لها أن تؤدى، بفعل كل شيء

يضمن سلامة حبا وإكرامنا لكم.

دنكن

:

مرحباً بك هنا.

بدأت أزرعك، وسأجهد

في جعلك مليئاً بالنمو - بانكوو النبيل،

ليس استحقاقك بأقل، ولن يكون

أقل ذبوعاً، دعني أعانقك

٣٠

(٢٠) تشدّد المفارقة الساخرة في هذا القول بدخول مكبث في الحال.

وأضمك إلى قلبي .

بانكوو : إذا غوت هناك ،
فالحصاد حصادك .

دنكن : أفراحي الكثيرة

تطيش بوفرتها، فتحاول أن تتخفى
في قطرات من الحزن . - أيها الأبناء، والأقرباء، والأمراء ،
وأنتم أقرب الناس منازل إلي، اعلموا
أنا أولينا وراثتنا

ابنا البكر مالكوم، الذي نلقبه منذ هذه الساعة
أمير كمبرلانند^(٢١). وهذا التكريم
لن نجعله له وحده، يتيماً،

بل سنجعل شارات النبيل تتألق كالنجوم
على كل ذي جدارة . - من هنا سنذهب إلى انفرنيس،
ولتوثق الروابط بيننا!

مكبث : أما البقية فجهد، لا عليكم به .
سأكون أنا الرسول، فأفرح
سمع زوجتي بمقدمكم .
ولذا، فإني بخضوع استأذنكم .

دنكن : ما أنبلك يا كودورا!

مكبث : (جانبياً)^(٢٢) أمير كمبرلانند! - تلك عتبة

علي أن أكبو عليها، أو أطفر فوقها،
لأنها في طريقي . أيتها النجوم، اخفي نيرانك!

(٢١) حامل هذا اللقب يكون ولياً للعرش .

(٢٢) يعتقد البعض أن إقصاح مكبث عن نوابه في عبارة جانبية في مكان محرج، كما هنا، يدل على أن بدأ غير يد شكسبير عشت بالنص، لأن شاعرنا أبرع من أن تأتي مثل هذه السذاجة غير أن الشعرها شكسبيرية بصورة، والتضاد بين العين واليد يرد في عدة مواضع من المسرحية .

لا تدعي النور يرى رغابي السوداء العميقة .
فَلْتَغُضُّ العَيْنُ عن اليد، ولكن فليقع
ما تخشى العين أن تراه حين يقع!

(مخرج)

دنكن : صدقت، يابانكوو: إنه جد شجاع -
بمدائحهِ أقيتُ نفسي .
إنها وليمة لي . لنذهب في إثره،
وقد سبقنا بهمة ليهيء استقبالنا:
إنه ابن عمٍ ما مثله ابنُ عم .

(نغير . يخرجون)

المشهد الخامس

انفرنيس. غرفة في قلعة مكبث

تدخل الليدي مكبث وهي تقرأ رسالة

ليدي مكبث : «لقتني يوم النجاح، وقد علمت وفق أتم الاستفسار أن لديهن ما يربو على معرفة الشر. وعندما تحرقت لسؤالهن المزيد، حولن انفسهن إلى هواء تلاشين فيه. وفيما أنا واقف مشدوهاً بتعجبي، جاء رُسلٌ من الملك حيوني بـ «يا أمير كودر»، وهو اللقب الذي حيتني به قبل ذلك أخوات القدر وأحلنني على الزمن الآتي بـ «سلاماً، يا من ستكون ملكاً!» هذا ما استنسبت إعلامك به (يا أعز رفيقة لي في العظمة) لثلا يضيع نصيبك من الفرح إن أنت بقيت تجهلين العظمة التي أنت موعودة بها. ضميه إلى قلبك، ووداعاً.»

أمير غلامس أنت، وكودر، ولسوف تكون ما وعدت به. ولكنني أخشى طبعك:

أنه املاً مما ينبغي بحليب الانسانية، فلا يتشبث بأدنى الطرق. أنت تريد العظمة، ولست خالياً من الطموح، ولكنك خال من الشر الذي لا بد أن يصحبه. ما تريده شامخاً، تريده قُدسياً، لا تريد أن تغش في اللعب

٢٠

ولكن تريد أن تكسب عن غير حق .
تريد يا غلامس العظيم ذاك الذي
يصرخ بك أن «افعل كذا» إن أردته،
ذاك الذي أنت تخشى أن تفعله
لا الذي تمنى لو انه لا يُفعل^(٢٣) . أسرع إليّ،
فأصب حيويتي في أذنك،
وأطرد بجرأة لساني
كل ما يعوقك عن المستدير الذهبي^(٢٤)
الذي يبدو أن القدر والعون الخارق
كليهما قد توجاك به .

يدخل رسول

٣٠

ما أخبارك؟

رسول : الملك قادم هنا الليلة .
ليدي مكبث : جنتت فقلت ذلك .
أليس سيدك معه؟ لو أن الأمر كذلك
لأخبرني للتهيؤ
رسول : عفوك، ما قلت صحيح . أميرنا قادم،
وقد سبقه أحد زملائي
حتى كاد يموت من انقطاع النفس، ولم يبق له منه
إلا ما يصوغ به رسالته .
ليدي مكبث : اسعفوه :
لقد جاء نبأ عظيم .
(يخرج الرسول)

(٢٣) هذه الأبيات الأربعة من العبارات المشهورة بما فيها من تعقيد في تركيبها، في الأصل، ولو أن معناها واضح .
(٢٤) أي التاج .

أَبِحُّ هو الغراب نفسه الذي
ينعق عن دخول دنكن المميت
تحت شرفات قلعتي! عَلِيٌّ بِكَ أَيْتَهَا الأرواح^(٢٥)
التي ترعى حُطط القتل والدمار، وانزعي جنسي عني هنا،
واملايني بأعتى القسوة من رأسي حتى القدم،
فأطفح بها! أغلظني دمي،
سُدِّي المسرب والممر على كل رحمة،
فلا يزورني من الطبيعة وازعُ من شفقة
يزحزح مأربي الرهيب، أو يقيم سلماً بينه
وبين تحقيقه! تعالي إلى نديي المرأة مني،
وأبدلي حليبيها بعلمق، يا وصيفات القتل،
حيثما أنت بكياناتك التي لا تُرى،
ترعين كل انتهاك للطبيعة! تعال أيها الليل الكثيف،
وتسربل بأحلك ما في جهنم من دخان
لكي لا ترى مديتي الماضية الجرح من طعتها،
ولا تنفد السماء بعينها غطاء الظلام،
فتصرخ: «كفى، كفى!»

يدخل مكبث

غلامس العظيم، كودر الكريم!
وأعظم من كليهما بما ستحيا به عن قريب!
رسائلك حملتني نشوة إلى ما وراء
هذا الحاضر الذي لا يُعلم، فجعلت الآن أحس
بالمستقبل في اللحظة الراهنة.

(٢٥) يقول أحد الكتاب عن ربما اطلع عليهم شكبير، أن هناك طبقة ثانية من الشياطين تدعى بأرواح الانتقام وصانعة المذابح، وهي التي «تلهب خواطر البشر للاغتصاب والنهب والقتل وشق ضرورب القسوة».

مكبث : حبيبتى العزيزة،
دنكن قادم هنا الليلة .

ليدي مكبث : ومتى يذهب من هنا؟

مكبث : غداً، حسبما يقصد .

ليدي مكبث : لا، لن ترى شمسُ ذلك الغدا!

وجهك يا أميري، كتاب، للناس
أن يقرأوا فيه أموراً غريبة . . . لكيميا تخادع الزمان،
أجعل محياك في شبه الزمان . أحمل الترحيب في عينك،
في يدك، في لسانك : أشبه الزهرة البريئة ،
ولكن كن الافعى التي تحتها . صاحبنا القادم
يجب أن يهباً له، وعليك أن تضع
أمر هذه الليلة العظيم في إمرتي،
وهو الذي طوال ليالينا وأيامنا الآتية
سيجعل لنا مطلق الحكم والسؤدد والسيادة .

مكبث سنقول المزيد .

ليدي مكبث عليك فقط بصفاء المحيا .
فما يتغير الوجه أبداً إلا فرعاً .
ودع لي كل ما تبقى .

انفرنيس. امام القلعة

عازفومزامير وحاملو مشاعل^(٢٦) يدخل دنكن، مالكولم،
دونالين، بانكوو، ليتكوس مكدف، روص، أنفس،
ومراققون.

دنكن : هذه القلعة بقعتها طيبة . فالهواء
بخفته وحلاوته يجيب نفسه
إلى رهيف حواسنا.

بانكوو : ضيفُ الصيف هذا،
السنونو الذي يلازم المعابد، يدلل
بما يهواه من مأوى على أن أنسام السناء
غزلية الشميم هنا: فما من نتوء، أو أفريز،
أو دعامة، أو حجر زاوية، إلا ويجعل منه
هذا الطير فراشه المعلق، ومهده الولود:
لقد لاحظت حينها تكثر هذه الطيور ترددها وتناسلها.
يكون النسيم عليلاً.

(٢٦) الشمس لم تغب بعد، غير أن المشاعل حال غياب الشمس ستصبح ضرورية داخل القلعة، ولو أن
ضوء النهار ما زال باقياً في الخارج.

تدخل ليدي مكبث

- ١٠ دنكن : انظروا، انظروا! مضيفتنا الكريمة.
ان الحب الذي يتبعنا هو أحياناً تعب لنا،
ومع ذلك فإننا نحمده لأنه الحب . وبذا أعلمك
كيف ترجين الله أن يجازينا على اتعابك
ويحمدنا على همك .

ليدي مكبث: كل خدمة منا

ولو أذيناها في كل جزء منها مرتين، ثم مرتين آخرين،
تبقى أمراً بسيطاً باهتاً لقاء
تلك المكرمات العميقة العريضة التي
تسخون جلالكم بها على بيتنا . فللمكرمات القديمة،
وللمنح النبيلة التي اضمتموها أخيراً إليها،
نبقى نساكاً لكم^(٢٧) .

- ٢٠ دنكن : أين أمير كودور؟

رحنا نركض على عقبه، وفي النية
أن نكون نحن رسوله . لكنه فارس جيد،
وحبُّه العظيم، حاداً كمهمازه، حفزه
لبلوغ داره قبلنا . يا ربة البيت الحسنة النبيلة،
نحن ضيفك الليلة .

ليدي مكبث: إن خدمكم أبدأ،

هم، وأولادهم، وأموالهم، عدداً وتعداداً،
يتقدمون لكم للحساب وفق مشيئة جلالكم،
ليعيدوا اليكم ما هو مُلكُ يديكم .

- دنكن : أعطيني يدك،

(٢٧) أي في صلاة دائمة لله من اجلكم .

وخذيني إلى رب البيت مضيّفي : عميقُ حينا له ،
ولسوف نستمر بأنعمنا عليه .
رَبَّةَ البيت ، إسمحي لي !

٣٠

انفرنيس. غرفة في القلعة

مزامير ومشاعل. يدخل رئيس الخدم وعدة خدم يحملون
أواني الطعام ويعبرون خشبة المسرح.
ثم يدخل مكبث.

مكبث : لو انها انتهت، عندما تُفعل، لكان المستحسن

أن تفعل بسرعة: لو أن الاغتيال

بوسعه أن يعتقل النتيجة

ويقبض بلفظه الانفاس النجاج، لو أن هذه الضربة

هي الكل في الكل ونهاية الكل - هنا،

هنا وحسب، على الساحل هذا، على الضفة هذه من الزمن،

لجازفنا بالحياة الآخرة. - ولكننا في هذه الحالات دوماً

نتلقى الحكم هنا. فنحن إنما نُصدر

إيعازات دموية، وإذا ما استوعبت عادت

لتعذيب مبتدعها: فهذه العدالة المتوازنة اليدين

تقدم عناصر كأسنا المسمومة

لشفاهنا نحن . . . إنه هنا في همى مزدوج:

أولاً، لكوني قريباً وتابعه،

وكلاهما مانع قوي للفعلة، ثم كلكوني مضيفه،

علي أن أسد الباب في وجه قاتله،
لا أن أشهر السكين بنفسي . ثم أن دنكن هذا
كان وديعاً في تنفيذ صلاحياته،
برء اليد في منصبه الكبير، بحيث أن فضائله
سترافع كملائكة مُلَسَّنةً بالابواق
ضد الفظاعة اللعينة في مصرعه،
والشفقة كطفلٍ وليدٍ عارٍ
يتمطي الزوبعة، أو كملائكة السماء، خيلها
رواكضُ الفضاء الخفية،
ستنفخ الفعلة الشنيعة في كل عين
حتى تفرق الريح بالدموع. - لا حافز لي
يهمز جانبي مآربي سوى
طموح شاهق القفز، يبالغ بقفزته
فيهوى على الجانب الآخر^(٢٨)

تدخل ليدي مكبث

هه! ما وراءك

ليدي مكبث: كاد يفرغ من عشائه. لماذا تركت الحجر؟

مكبث : هل سألت عني؟

ليدي مكبث: ألا تعلم أنه سألت؟

مكبث : لن نستمر في هذا الموضوع:

لقد أكرمني مؤخراً، ولقد ابتعتُ

آراء ذهبية من شتى الناس

علي الآن أن أردتها وهي في أقشِب لمعانها،

(٢٨) يصور طموحه كفارس يبالغ في علو قفزته عندما يأتي حصانه فيسقط على الجانب الآخر منه.

لا أن ألقى بها عني بهذه العجولة .

ليدي مكبث : أمخموراً كان ذاك الأمل الذي
البسته نفسك؟ وهل غرق في النوم بعد ذلك؟
وهل استيقظ الآن، مخطوف اللون شاحباً
لما قد فعل بملء حريره؟ من الآن فصاعداً
هكذا سأعتبر حبك . هل يُخيفك
أن تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمني؟ أتشتهي أن تنال
ذاك الذي تعتبره زينة الحياة^(٢٩)
وتحيا جباناً في اعتبار نفسك،
جاعلاً «لا أجرأ» تتبع «يا ليتني»
كالقطة المسكينة في المثل الشائع؟^(٣٠)

٤٠

مكبث : أرجوك، كفى .

أني أجرأ على أي فعل يليق برجل .
ومن يجراً أكثر مني، فهو ليس برجل .

ليدي مكبث : أي وحش إذن كان

ذاك الذي جعلك تُعلمني بهذه المغامرة؟^(٣١)
عندما جرات على ذلك، كنت حقاً رجلاً .
وأن تصبح أكثر مما كنت، فلأنت حينئذ
الرجل وأكثر . . . لا الزمان ولا المكان
كانا حينئذ ملائمين، ورغم ذلك أردت اصطناع كليهما .
وهاهما قد صنعا نفسيهما، وملاءمتها الآن بالذات
تحطمك . لقد كنت يوماً مُرضعاً واني لأعرف

٥٠

(٢٩) أي التاج .

(٣٠) يقول المثل : وتشتهي القطة السمكة، ولكنها لا تجرأ على تبليل أرجلها .

(٣١) هذا يوحى بأن شكسبير في الأرجح حذف مشهداً يُعلم فيه مكبث زوجته بنيتة الميئة . ولعل التصاعد
الدرامي السريع هو الذي جعله يحذفه .

مبلغ الحنو في حب الطفل الذي أُرضع :
لكنك، وهو يتسم في وجهي ،
انتزعت حلمتي من لثته الطرية،
وهشمت دماغه، لو أنني أقسمت أن أفعل ذلك
كما أقسمت أنت أن تفعل هذا .

مكبث : وإذا أخفقنا؟

٦٠

ليدي مكبث: نحن نخفق؟!!

فقط شدُّ شجاعتك حتى نقطة ثباتها،
ولن نخفق. عندما يغيب في النوم دنكن
(وسفرته المضنية طيلة النهار لا بد تدعوه
إلى نوم عميق) سأضعض أنا
مرافقي حجرتي بالخمر والعريضة
حتى تغدو الذاكرة، حارساً الدماغ،
مجرد بخار، ومُتلقى العقل
محض أميبق^(٣٢) وعندما تكون الطبيعة منها
غريقة في نومة كنومة الخنزير، اشبه بالمولت،
هل ثمة ما لا نستطيع فعله، أنا وأنت،
في دنكن وهو بلا حراسة؟ هل ثمة ما لا نتهم به
حارسيه المخمورين، فنحملها تبعاً
غيلتنا الكبرى؟

٧٠

مكبث : لا تلدي إلا الذكور من الاولاد!

(٣٢) كان المشرحو القدامى يقسمون الدماغ إلى ثلاث مناطق، ويعملون الذاكرة في المنطقة الخلفية منها أي في المخ. فهي كحارس للمخ تحظر العقل بأي هجوم، فإذا ما تحولت بالسكر إلى بخار، فإن العقل الذي يجب أن تنفطر فيه خلاصة العملية الفكرية، يتحول إلى أميبق يتلذذ ببقايع وأبخرة لسوائل غير مقطرة. الصورة مأخوذة عن العمليات الكيميائية التي نقلها الأوروبيون عن العرب في اسبانيا، بما فيها تسمية الوعاء بالأميبق، وهي الكلمة العربية التي يستعملها شكسبير هنا

لأن معدنك الجسور يجب ألا يصنع
شيئاً إلا الرجال... ألن يصدق الجميع
عندما نلطح بالدم مرافقيه الماخوذين بالنوم
في حجرتة، ونستعمل خنجريهما.
أنيهما الفاعلان؟

ليدي مكبث: ومن يجرأ على تصديق أي شيء آخر
عندما نجأر بالحزن والفجعة
على موته؟

مكبث : لقد صحتُ، ولسوف أشد
كل عضو في الجسد لهذه الفعلة الرهيبة.
هيا، واخدعي الزمان بأجل المظاهر:
على الوجه الكذوب أن يخفي ما يعلم القلب الكذوب.

الفصل الثانی

المشهد الأول

انفرنيس. فناء داخل القلعة

(يدخل بانكوو، وفليانس، ويده مشعل)

- بانكوو : ما هزيع الليل يا بني؟
فليانس : لقد غاب القمر... لم أسمع الساعة.
بانكوو : وهو يغيب في الثانية عشرة.
فليانس : اتصور أن الساعة بعد ذلك، سيدي.
بانكوو : هاك خذ سيفي . - السهائم تتباخل.
فشموعها كلها مطفأة . - ونخذ هذا أيضاً^(١).
بي نعاس ثقيل كالرصاص،
ومع هذا لم أستطع النوم: يا قوى الرحمة!
اكبحي في الخواطر اللعينة التي تستسلم
لها الطبيعة ساعة الهجوع. - اعطني سيفي.
(يدخل مكبث، وخادم يحمل مشعلا)

من هناك؟

١٠

(١) عل الأرجح، حزامه والخنجر المحمول به.

مكبث : صديق .

بانكوو : مولاي! الم ترشح بعد؟ الملك أوى لفراشه .

كان سروره غير عادي ،

فأرسل منحا سخية لخدمك .

وهذه الماسة يجي عقيلتك بها ،

داعيا اياها أكرم مضيقة ، ثم انتهى

وهو في رضا لاحد له .

مكبث : لم نكن مهياين ،

فجاءت ارادتنا عبدة للقصور ،

والا لكانت طليقة في سعيها .

بانكوو : كل شيء على ما يرام .

حلمت ليلة البارحة بأخوات القدر الثلاث :

أما لك فقد أظهرن بعض الصدق .

مكبث : أنا لا أفكر بهن :

ومع ذلك ، عندما نلتمس ساعة معا

علينا بقضائها في الحديث حول ذلك الرضوع ،

إن سمحت لي بوقتك

بانكوو : في أي وقت تشاء .

مكبث : إن انت التزمت بالاتفاق معي ، في حينه ،

أصابك شرف كبير

بانكوو : ما دمت لا أفقد شرفا

بمحاولتي الاستزادة منه ، بل أبقى الصدر مني

حرا أبدا وولائي ناصعا^(٢)

(٢) يعتمد مكبث أن يجعل وعده لبانكوو مهيا ، ويفهم منه بانكوو أنه يتحدث عن حالة موت دنكن موتاً طبيعياً ، فلا يتترف بانكوو ، يطلب للزيد من الشرف ، فعلاً يشين ولاه .

فاني مستعد للمشورة .

٣٠

مكبث : تصبح على خير!

بانكوو : شكرا سيدي . وأنت كذلك .

(يخرج بانكوو وفليانس)

مكبث : (للخادم) اذهب واطلب من سيدتك، عندما تهىء شرابي،

أن تفرع الجرس . واذهب إلى فراشك .

(يخرج الخادم)

أخنجر هذا الذي أرى امامي

ومقبضه باتجاه يدي؟ تعال، دعني امسكك :

لم أنلك، ولكن ما زلت أراك .

يا رؤية قاتلة، ألسنت تستجيب

للحس، كما للبصر؟ أم أنت محض خنجر

من الذهن، محض اختلاق زائف

صادر عن دماغ بالحتمى مضطهد؟

ما زلت أراك، ملموساً شكلاً

٤٠

كهذا الذي أستله الآن .

انك تقنادني في الطريق التي كنت ذاهباً فيها،

وسلاحاً مثلك كنت سأستخدم .

أمست عيناى أضحوكة حواسي الأخرى،^(٣)

وهما لولا ذاك في قدرها جميعاً: ما زلت أراك،

وعلى شفرتك، ومقبضك، قطرات دم،

لم تكن من قبل . - ليس ثمة شيء كهذا .

إنما الفعلة الدموية هي التي تتخذ شكلاً

(٣) هذا التناقض بين الحواس يرد ذكره عدة مرات في أثناء المسرحية .

- كهذا أمام عيني . - في هذه الساعة تبدو الطبيعة،
في نصف العالم، ميتة، والاحلامُ الشريرة تخادع
النومَ المسجُوف: السَّحرة يجتفلون
بطقوس «هكاته»^(٤) الكالحة، و«القتل» الشاحب
أيقظهُ حارسُهُ الذئب الذي
ساعتهُ هي عواؤه، فراح بخطى متلصصة،
كخطى «طاركوين» الغاصبة، يسري نحو غايته^(٥)
كالشبح . - أيتها الأرض الصلبة الثابتة،
لا تسمعي خطاي، وفي أي اتجاه تسير، لثلا
تُفصح الحجارة نفسها عن مكاني،
فتنال من هول الساعة،
والهولُ يلائمها . - فيما أنا اتوعد، فانه يجيا:
لا تهب الالفاظ حرارة الافعال إلا أبرد النَّفس .

(جرس يقرع)

إني ذاهب، وإني لفاعلها: الجرس يدعوني.
لا تسمعه يا دنكن، فهو ناقوسٌ
يستدعيك إلى السماء، أو جهنم!

(يخرج)

(٤) «هكاته» هي ربة السحر والسحرة في المصور الكلاسيكية والوسيطه. وكان المعتقد أن السحرة في طقوسهم يتهلون إليها.
(٥) طاركوين، أحد طغاة التاريخ الروماني القديم، عاش في القرن السادس ق.م. تسلل ليلا إلى غرفة زوجة ابن عمه لوكريسيا واعتصبها، في غياب زوجها. فاستجدت بزوجها وأبيها، وعندما أتيا إليها أخبرتها بما حدث وطالبها بالانتقام لها، ثم انتحرت. وقد أدى ذلك إلى حرب أهلية بين المدن الرومانية. و«اعتصاب لوكريسيا» من المواضيع التي اهتم بها الكثيرون من فناني وكتاب النهضة، ولشكسبير قصيدة طويلة تحمل هذا العنوان.

كما في المشهد السابق

(تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث: ذاك الذي اسكرهما، جرّاني:
والذي اطفأهما أجاج النار في - سمعا! صمت!
البومة هي التي نعبت، قارعة الناقوس للمحكومين بالموت،
قارئة أرباب السلام^(٦) . . . إنه مشغول بها.
الابواب مشرّعة، والخادمان المتخمان
يهزّان من مسؤوليتهما بالشخير: في شرايها دسست مخدراً،
حتى ليتنازع الموت والطبيعة حولها،
أفي عداد الاحياء هما أم الاموات.

مكبث : (من الداخل) من هناك؟ - من هناك؟

ليدي مكبث: وا أسفاه! أخشى إن هما استيقظا،
والفعلّة ما انتهت . . . المحاولة، لا الفعل،
هي التي تُحبطنا. - سمعاً! - هيأت خنجريهما،

(٦) في الليلة السابقة لتنفيذ الاعدام، كان يرسل إلى المحكوم قارع ناقوس «يقرته السلام» - أرباب سلام
يسمعه إنسان.

لا بد أن يراها. - لولم يكن في شبه أبي.
وهو نائم، لفلعلتها أنا. - زوجي

(يدخل مكبث)

مكبث : لقد فعلتها! - هل سمعت صوتاً؟

ليدي مكبث : سمعت البومة تعيط، والزيزان تصيح^(٧).
الم تتكلم؟

مكبث : متى؟

ليدي مكبث : الآن

مكبث وأنا نازل؟

ليدي مكبث : نعم.

مكبث : أصغني!

من يرقد في الحجرة الثانية؟

ليدي مكبث : دونالين.

مكبث

(ناظراً يديه) : هذا منظر بائس.

ليدي مكبث : سخييف منك أن تقول «منظر بائس».

مكبث : أحدهم ضحك في نومه، وآخر صاح : إغتيال!

فأيقظ الواحد الآخر، وقفت وسمعتهم.

غير أنهم تلووا صلواتهم، ثم تهبأوا

ثانية للنوم.

ليدي مكبث : هناك اثنان معاً في الحجرة^(٨).

(٧) كان يعتقد أن صوت الزيزان في الليل ينذر بالموت.

(٨) تقصد مالكوكم ودونالين، ابني الملك، وليس الحارسين. والغريب أن ليدي مكبث لم تذكر من ابني الملك إلا الولد الأصغر.

- مكبث : أحدهما هتف : «رحمتك يا رب!» فاجاب الآخر «آمين»
 كأنهما رأياني بيدي الجلاذ هاتين.
 ٣٠. وإذا اصغيت إلى خوفهما، عجزت عن قول «آمين»
 عندما قالوا : «رحمتك يا رب!»
 ليدي مكبث : لا تتعمق في التفكير بذلك .
 مكبث : ولكن لم أستطع أن ألفظ كلمة «آمين»؟
 لقد كنت في أعظم الحاجة للرحمة، وعصت
 «آمين» في حلقي .
 ليدي مكبث : هذه الافعال يجب ألا نفكر بها
 على غرار كهذا : وإلا فانها ستجنتنا .
 مكبث : خيل إلى أنني سمعت صوتاً يصرخ «الأحرم النوم عليك!
 مكبث يغتال النوم!» النوم البريء،
 النوم الذي يرتق قماشة الهم الممزقة^(٩)
 موت حياة كل يوم، حمّ الجهد الاليم،
 بلسم الازهان في أذاها، الطبق الثاني تقدمه الطبيعة
 العظمى^(١٠)،
 المغذي الاكبر في وليمة الحياة،
 ليدي مكبث : ماذا تعني؟
 ٤٠. مكبث : بقي يصرخ لكل من في الدار «الأحرم النوم عليك!»
 «غلامس قد قتل النوم، ولذا فإن كودر
 لن ينام بعد اليوم، مكبث محرم عليه النوم!»

(٩) الترجمة الدقيقة لهذا البيت يجب أن تكون: «النوم الذي يحوك قماشة الهم المتسلة»، ويقصد شكسبير بذلك: قماشة النفس إذا نسلها الهم، أعاد النوم حياتها.

(١٠) يبدو أن الحلوكان في القدم هو الطبق الأول في العشاء، يتلوه طبق اللحم («المغذي الأكبر») كطبق ثان.

ليدي مكبث: من الذي صرخ هكذا؟ لا، أيها الامير الكريم،
إن قوتك النبيلة لترتخي حين تفكر
بالامور بذهن مريض. اذهب وعليك ببعض الماء،
واغسل هذا الشاهد القذر عن يديك.
لماذا جئت بهذين الخنجريين من مكانهما؟
يجب أن يوضعا هناك. اذهب، خذهما، ولطخ
الحارسين النائمين بالدم.

مكبث : لن أذهب مرة أخرى.

إني أخاف التفكير فيما فعلت.
ولا أجراً على النظر ثانية إليه.

ليدي مكبث: يا مُزَعَزَعِ التصميم!

أعطني الخنجريين. النائمون والموق،
إن هم إلا صُورٌ مرسومة. وعينُ الطفولة وحدها
تخاف شيطاناً مرسوماً... إذا وجدته يدمى،
ذَهَبْتُ وجهي الحارسين بدمه،
لأن الجرم يجب أن يبدو جرمهما.

(تخرج. قرع على البوابة في الداخل)

مكبث : أين ذاك القرع على الباب؟

ماذا دهاني، حتى صار كل صوت يرعيني؟

أي يدين هنا؟ هه! إنها تقلعان عيني^(١١)

أو هل تغسل بحار «نبتون»^(١٢) العظيمة كلها هذا الدم

(١١) لا ريب أن في هذه العبارة صدى للعبارة الانجيلية (متى، ١٨، ٩)، التي يقول فيها السيد المسيح:
«إن عينك سببت لك الإثم فاقلمها، والفها عنك، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعمور من أن يكون
بك عينان وتلقى في نار جهنم.» لاحظ أن الإشارة إلى جهنم سترد بعد قليل في مشهد البواب.

(١٢) نبتون إله البحار.

٦٠ عن يدي فتتظف؟ لا، بل إن يدي هذه
لسوف تضرَّج البحارَ العارمة،
وتجعلُ الاخضرَ أحمرَ قانياً.

(تدخل ثانية ليدي مكبث)

ليدي مكبث: يداي بلونك، غير أنني أحجل
من أن أحمل قلباً كالحأ مثلك.

(قرع على الباب)

اسمع قرعاً على المدخل الجنوبي. فلننسحب إلى حجرتنا.
قليل من الماء يزيل عنا تبعه هذا العمل:
ما أهونه إذن! ثباتك

قد هجرك. (قرع) اسمع! مزيد من القرع.
البس منامتك، لثلا ندعى اضطراراً،
فينكشفَ اننا مستيقظان. لا تَبْه
٧٠ بمثل هذه الزراية في أفكارك!

مكبث : عندما أعرف ما فعلت، اتمنى لو أنني لا أعرف نفسي.

(قرع)

أيقظ بقرعك الباب دنكن! ليتك تستطيع!

المشهد الثالث

المشهد نفسه (١٣)

يدخل بواب

(قرع من الداخل)

البواب : هذا دق، اي والله! لو كان المرء بواب جهنم، لكان عليه أن
يكثر من إدارة المفتاح. (قرع) دق، دق، دق. من هناك،
باسم بعلزبوب! - هنا مزارع شقن نفسه عندما توقع غلة
وفيرة^(١٤) ادخل، يا انتهازي الزمن، وأكثر من المناديل
معك، لأنك هنا ستعرق لها. (قرع) دق. دف، دق. . . .
من هناك، باسم الشيطان الآخر؟ - هنا والله ذو لسانين^(١٥)

(١٣) «مشهد البواب» هذا، كما يسمى هذا المشهد في النقد الشكسبيري، موضوع لكتابات وتأويلات كثيرة، منهم من قال انه ضروري لأنه يعطي مكث وزوجته مجالاً لغسل أيديها وارتداء ثياب النوم. ومنهم من قال مع كولردج انه مشهد كتبه قلم غير قلم شكسبير ولكن بموافقة، ومنهم من يرى أنه شكسبيري جداً بمعانيه الضمنية وكتاباتاته وأنه قد يكون هنا للترويح الكوميدي المألوف في لحظات المساة العنيفة، غير أنه أيضاً يصور القلعة وكأنها جحيم بما فيها من شياطين، ويصحح البواب «بواب جهنم»، كما يرد في المسرحيات القروسطية الدينية.

(١٤) لأن الأسعار حينئذٍ ستخفض كثيراً.

(١٥) في عام ١٦٠٦ أقيمت قضية مشهورة على الأب اليسوعي غارنيت، الذي اتهم بأنه كان ضالماً في «مؤامرة البارود» التي استهدفت نفس البرلمان الانكليزي. وقد قيل عنه، لبراعته الكلامية، إنه يتكلم بلسانين، أي يقول أقوالاً تحمل معنيين متناقضين لخدمة غرضه. ويعد أن أعدم الأب (٣).

يستطيع ان يقسم في كلتا الكفتين ضد كلتا الكفتين، وقد
اقترب ما يكفي من خيانة من اجل الله، ولكنه لم يستطع
التكلم باللسانين لرب السماء: آ، ادخل، ياذا اللسانين! (قرع)
دق، دق، دق... من هناك؟ هنا والله خياط انكليزي، جاء
هنا لأنه سرق سروالاً فرنسياً^(١٦) ادخل يا خياط، هنا لك أن
تسخن مكواك وتشوي عراك. (قرع) دق، دق، دق...
لا هدوء ابداً! من أنت؟ ولكن هذا المكان ابرد من أن يكون
جهنم^(١٧) حسي بواباً شيطاناً: لقد خطر لي أن ادخل أناساً
من كل حرفة، يطرقون درب الزهور المؤدي إلى المحرقة
الابدية. (قرع) حالاً، حالاً... رجاء، تذكروا البواب. ٢٠

(يفتح الباب)

يدخل مكدف ولينوكتس

مكدف : هل تأخرت جداً يا صاح في الذهاب الى الفراش، فتأخرت
هكذا في القيام؟

(=) السوعي بتهمة الخيانة العظمى، جرى كلام كثير ولدة طويلة حول هذا النوع من المراوغة اللفظية
(Equivocation) وادخل العديد من الكتاب إشارات إليها فيما يكتبون. وهنا واحدة منها. وقد
اعترف غارنيت بأن هذا النوع من الكلام بالنقضين مبرر إذا كان هدفه نبيلاً، وهو مقاومة الكنيسة
الكاثوليكية اضطهاد الدولة، قائلاً إذا كان القانون جائراً فإن خرقه لا يعتبر خيانة. من المهم أن
نلاحظ هنا التوازي بين غارنيت، ومكبث، إذ ان مكبث أيضاً جعل يتكلم بلسانين.
(١٦) الخياط في الكتابات الانكليزية القديمة موضوع تندر كثير. وهو يتهم عادة بسرقة القماش والسروال
الفرنسي، الذي كان أهل «الموضة» من الخياطين يقلدون به فرنسا، كان موضوعاً آخر للتندر
عن الاليزابيثيين. وهو عادة فضفاض. يبدو ان المعنى هنا هو ان «الموضة» الفرنسية تغيرت فجأة،
وغدا السروال ذا طراز ضيق، فسرق الخياط ما زاد لديه من قماش، غير انه ضبط الآن وبالجرم
المشهور. والمنطوي من هذا كله هو ان الزارع، وذا اللسانين، والخياط، مألّم الى جهنم لا لخطاياهم
وحسب، بل لمخالفتهم في الثقة حينما يذنبون.

(١٧) هل كان يعلم شكسبير أن دانتي، في «الكوميديا الالهية» وضع الذين يخونون بلدهم وضيوفهم
وأقرباهم وأصدقاءهم، في الحلقة التاسعة من الجحيم، وهي الحلقة المتجمدة؟ وكل هذه الحيوانات
تنطبق على مكبث.

البواب : والله يا سيدي بقينا في لهُو حتى صياح الديك الثاني.
والشراب يا سيدي يثير أشياء ثلاثة .

مكدف : وما الأشياء الثلاثة التي يثيرها الشراب خاصة؟

البواب : انها، والله يا سيدي، احمرار الانف، والنعاس، والبول. أما
الفحش، ياسيدي فالشراب يثيره ويخمده: فهو يثير الشهوة،
ولكنه يقضي على الاداء. ولذا، فان الشراب الكثير يمكن أن
يقال أنه يخاطب الفحش بلسانين: يسويه ويفسده؛ يبيجه،
ويكبحه؛ يغريه ويحبطه، ينهضه ولا ينهضه: وختاماً، يخادعه
فينومه، وإذ يبطحه، يتركه .

مكدف : يخيل إلي أن الشراب بطحك هذه الليلة .

البواب : أي والله يا سيدي، من حنجرتي . غير أنني كافأته على بطحته .
ولما كنت، كما أعتقد، أقوى منه، ولو أنه رفع ساقي أحياناً، فقد
ترحزحت وقذفته . . .

٤٠

مكدف : هل سيدك ناهض؟

يدخل مكبث

قرعنا قد أيقظه . ها هو قادم .

لينوكس : صباح الخير، سيدي النبيل!

مكبث : صباح الخير لكليكما!

مكدف : أيها الامير الكريم، هل الملك ناهض؟

مكبث : لا، بعد .

مكدف : لقد أمرني أن أراجعه مبكراً:

وقد كادت الساعة تفوتني .

مكبث : سأخذك إليه .

مكدف : أنا ادري أن في هذا ازعاجاً مفرحاً لك،

ولكنه ازعاج، رغم ذلك .

مكبث : الجهد الذي يسرنا يداوي الوجع .
هذا هو الباب .

مكدف : سأتحجراً وادخل عليه ،
لأنه واجبي المحدد .

(يخرج مكدف)

لينوكس : أيرحل الملك اليوم؟

مكبث : أجل . لقد عينَ ذلك .

لينوكس : كانت الليلة هائجة : ففي المكان حيث مكثنا ،

قوضت الريح المداخن . ويقولون

ان الناس سمعوا نوحاً في الهواء ، وزعقات موت غريبة ،

وراح طير الظلام ينعب طوال الليل^(١٨)

متنبهاً بفوضى رهيبه ، وأحداث مضطربة ،

يلدها الزمن الفاجع مجدداً . والبعض يقول

إن الارض حُمّت ، وزُلزلت .

مكبث : كانت ليلة فظة .

لينوكس : ذاكرتي الشابة لا تعي ليلة مثلها .

(يدخل مكدف ثانية)

مكدف : يالك من هول ! يالك من هول !

لا القلب له أن يتصورك ولا اللسان أن يسميك !

مكبث : لينوكس ، ما الأمر؟

مكدف : لقد صنعت الفوضى الآن راثعتها!

لقد انتهك القتل الحرام عنوة

(١٨) طير الظلام هو البوم . شكسبير يوحي هنا بانطلاق قوى الزوبعة والدمار ، كقوى شيطانية شريرة ، لتطغى على قلعة مكبث ، والعالم المحيط بها .

هيكَل المشوح بزيت الرب^(١٩) وسرق منه
حياة البنيان!

مكبث : ما هذا الذي تقول؟ حياة ماذا؟

لينوكس : أتقصد صاحب الجلالة؟

مكدف : اقتربوا من الحجر، وحطموها ابصاركم

بمراى ميدوزة جديدة^(٢٠) - لا تطلبوا إلي الكلام:
انظروا، ثم تكلموا انتم.

(يخرج مكبث ولينوكس)

أفيقوا! أفيقوا!

اقرعوا جرس النذير. - جريمة وخيانة!

بانكوو، ودونالين! مالكوولم! أفيقوا!

أنفضوا عنكم ناعم النوم هذا، مزيف الموت،

وحدقوا في الموت نفسه! - انهضوا، وانظروا

صورة يوم القيامة الكبرى! - مالكوولم، بانكوو!

قوموا كما من قبوركم، وسيروا كالاطياف،

لتشاهدوا هذا الهول!

(جرس يقرع)

(تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث: ما الذي جرى

(١٩) الاشارة إلى أن الملك هو الذي مسح بزيت الله، تعود إلى العبارة الواردة في سفر صموئيل الأول، ١٤، ١٠: «المشوح بزيت الرب»، والاشارة إلى الهيكل وحياته، تعود إلى رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثس، ٦، ١٦: «إنكم هيكل الله الحي». شكسبير يضغظ الفكرتين معاً، ليصور الهول في مقتل امرئ هو ملك وإنسان معاً.

(٢٠) ميدوزة في الأساطير الاغريقية إحدى اخوات رعب ثلاث، شعورهن أفاع، ولهن أجنحة ومخالب، وأنياب. ومن كان ينظر إلى ميدوزة، تحول في الحال إلى حجر.

حتى راح هذا الصور المرعب يستنفر
نائمي البيت للتفاوض؟ تكلم، تكلم!

مكدف : سيدتي الرقيقة،

٨٠

ليس لك أن تسمعي ما استطيع قوله .
سرده في أذن امرأة
لسوف يقتل حيث يقع .

(يدخل بانكوو)

بانكوو! بانكوو!

سيدنا مليكنا قد قتل!

ليدي مكبث: يا ويلتاه!

ماذا! أفي دارنا؟

بانكوو : فظيع، اينما كان .

عزيزي مكدف، أرجوك، ناقض نفسك،
غير كلامك .

مكبث ولينووكس يدخلان ثانية

مكبث : لو متُّ قبل هذا الطاريء بساعة،

٩٠

لكنك قد عشت زماناً مباركاً. فمنذ اللحظة هذه

لم يبق ما هو جاد في المصير البشري .

كل شيء ألهية: علو السمعة مضى، والحُسْنُ مات،

ونفذت خمر الحياة، ولم تبق إلا الخثالة

يتباهى بها قبو الارض هذا .

يدخل مالكوولم ودونالين

دونالين : ماذا دهاكم؟

مكبث : أنت الذي دُهِيت، ولا تعلم .

ينبوع دمك، مصدره، رأسه،

قد سُدّ، منبعه الاصيلي قد سُدّ.

مكدف : أبوك الملك قد قتل .

مالكولم : آه! من قتله؟

لينوكس : اللذان يحرسان حجرتة فعلاها، فيما يبدو.

١٠٠

فلايدي والوجهان منها كانت كلها ملطخة بالدم،
وكذلك خنجرهما، وقد وجدناهما غير ممسوحين
على وسادتيهما: راحا يحملقان وقد طار رشدهما،
ولا يؤتمنان على حياة انسان .

مكبث : آه، ومع ذلك فاني نادم على هَوَجِي،

إذ قتلتهما .

مكدف : لم فعلت ذلك؟

مكبث : ومن يقدر أن كون حكيماً ومنذهاً، معتدلاً وهائجاً،

موالياً وحيادياً، كلها في آن معاً ؟ لا أحد .

إندفاع حبي العنيف

تخطى العقل الذي أراد أن يوقفه . - هنا رقد ذنكن،

١١٠

فَضِيْ اهابِه مَوْشِيْ بذهبي دمه .

وطعناته الفاغرة أشبه بثغرة في الطبيعة

ينفذ منها الخراب والدمار: وهناك القاتلان .

وخنجرهما غارقان في لون مهنتهما،

يكسوهما النجيع بلا حياء . من يستطيع الاحجام عندها،

وله قلب يحب، وفي قلبه ذاك

جراحة على إعلان حبه؟

ليدي مكبث: اسعفوني من هنا!

مكدف : اعتنوا بالسيدة^(٢١)

(٢١) يفسى على الليدي مكبث، فعلاً أو تظاهراً. ويجري الحوار الجانبي التالي بينها يسمعها المرافقون والخدم .

- مالكولم : (جانبياً لأخيه دونالين) لماذا نمسك اللسان ونحن أحق الجميع بهذه القضية؟
- دونالين : (جانبياً لمالكولم) ما الذي نقوله هنا، حيث مصيرنا، محققاً في حُرْمِ مَحْرَز، قد ينطلق ويمسك بتلابيبنا؟ لنرحل: دموعنا لم تَقْطُرْ بعد.
- مالكولم : (جانبياً لدونالين) ولا حزننا العميق بدأ يتحرك.
- بانكوو : اعتنوا بالسيدة.
- (تحمل ليدي مكبث إلى الخارج)
- وعندما نكون قد أخفينا ضعفنا العاري الذي انما يشتد بالتعرض،^(٢٢) لنجتمع، ونحقق في هذه الفعلة الدامية الشنيعة لنعرف المزيد. المخاوف والشكوك تهزنا: اني أقف في يد الله العظمى: ومن هناك أصارع خطة مكتومة ملؤها الحقد والحياة.
- مكدف : وهكذا أنا.
- الجميع : وهكذا نحن جميعاً.
- مكبث : دعونا نرتد بسرعة ما يليق بالرجال، ونجتمع في القاعة معاً.
- الجميع : موافقون.
- (يخرج الجميع سوى مالكولم ودونالين)

(٢٢) من الصور الكثيرة المستمدة من الملابس في هذه المسرحية، ضعف المرء يشتد إذا بقي معرضاً، كالجسد العاري. يقصد بالضعف الحزن الشديد الذي يجعلهم يذرفون الدموع.

مالكولم : ماذا ستفعل؟ لن نجتمع معهم.
ما أسهلها مهمةً على الخائن
أن يبدي حزناً لا يشعر به! سأذهب إلى انكلترة.

دونالين : وأنا إلى إرلندة: تفريق مصيرينا
أدعى لسلامتنا كلينا. فحيثما نحن،
ستكمن الخناجر في بسمات الرجال: وأقربهم دماً إلينا،
أقربهم إلى إدمائنا.

١٤٠

مالكولم : هذا السهم القاتل الذي أطلق
لم يقع بعد، واسلم السبل لنا
تجنّب الهدف. إذن إلى الخيل!
دعنا من مجاملات الوداع،
ولنغادر خلصة. إذا ما الرأفة انعدمت
كان في الخلصة ما يبررها حين تسارق نفسها.

(يخرجان)

المشهد الرابع (٢٣)

خارج القلعة

يدخل روص وشيخ

الشيخ : ستين سنة وعشرا، أذكر جيداً.
في هذا الردح من الزمن رأيت
ساعات مخيفات، وغرائب مذهلات، غير أن هذه الليلة
الليلاء
أنفخت كل ما عرفته فيها مضى .

روص : أيها الاب الكريم،
إنك ترى السموات وقد اضطربت بفعل الانسان،
تهدد مسرحه المدمى : إننا حسب الساعة، في النهار،
غير أن الليل المظلم يخنق مصباح السماء المضى :
أسلطان الليل هو، أم عار النهار،
أن يقبر الظلام وجه الارض
حين ينبغي للنور أن يقبله؟

الشيخ : شذوذ عن الطبيعة

١٠

(٢٣) هذا المشهد يلعب دور الكورس . وبإشاراته إلى التذُّر الرهيبه يؤكد على أن في مقتل دنكن خروجاً على سنن الطبيعة، ثم يتحدث عن نجاح مخططات مكبت، ويوحى إلينا بمروءة مكدف .

كالفعلة التي فعلت . يوم الثلاثاء الماضي
إذ راح صقر يخلق إلى شامخ عليائه ،
انقض عليه بومٌ بحجم الفأر وقتله .

روص : وخيول دنكن (أمر عجيب ومؤكد)
وهي الجميلة السريعة ، حبيبة نسلها ،
استحالت بطبيعتها إلى حُصن هائجة ،
وكسرت معالفها وانطلقت
تقارع الطاعة ، كأنها تريد
اعلان الحرب على البشر .

الشيخ : يقال انها أكل بعضها بعضاً .
روص : اي والله ، وأنا واقف مأخوذاً
أنظر إليها .

يدخل مكدف

هذا مكدف الكريم قادم .
كيف يجري العالم الآن ، يا سيدي؟

مكدف : ألا ترى؟

روص : هل عرفتم من الذي اقترف هذه الفعلة الاكثر من دامية؟

مكدف : الرجلان اللذان صرعهما مكبث .

روص : واعجبااه!

وما النفع الذي قد يطمعان فيه؟

مكدف : كانا مدفوعين .

مالكولم ودونالين ، ابنا الملك الاثنان ،
تسللا وهربا: الامر الذي يجعلها
موضع الشبهة فيما حدث .

- روص : خروج على الطبيعة ابدأ.
يا طموحاً مفرطاً، تلتهم
حتى ما يمكك بحياتك! - فالأرجح إذن أن الملكية ستقع
لمكبث.
- ٣٠
- مكدف : لقد اعلن ملكاً، وذهب الى «سكون»^(٢٤).
لكيما يتوج.
- روص : وأين جثمان دنكن؟
مكدف : حملوه إلى كولم كيل،
حيث أضرحة اسلافه.
إنها حارسة عظامه.
- روص : أتذهب إلى «سكون»؟
مكدف : لا يا ابن العم. بل إلى فايف.
روص : حسناً سأذهب أنا إليها.
- مكدف : قد ترى هناك أشياء يحسن صنعها، وداعاً!
لثلاثائنا اريدتنا القديمة أكثر من الجديدة!
- روص : (للشيخ) وداعاً أيها الاب.
٤٠ الشيخ : رافقتك بركة الله ورافقت كل من
يجعل من الشر خيراً، ومن الاعداء أصدقاء!
(يخرجان)

(٢٤) «سكون» هي المدينة الملكية القديمة التي كانت في الأغلب عاصمة مملكة «البيكت» القديمة وهي على بعد ميلين شمالي «بيرث» في اسكتلندة. وفيها «حجر المصير» الذي كان ملوك اسكتلندة يجلسون عليه عندما يتوجون، وكان المعتقد أنه وسادة يعقوب التي برد ذكرها في التوراة. وقد سرقه ادوارد الأول عام ١٢٩٦ من كنيسة وستمنستر بلندن.

الفصل الثالث

المشهد الأول

فورس. في غرفة القصر

يدخل بانكوو^(١)

بانكوو : تحققت لك الآن كلها: فأنت الملك، وكودور، وغلانس،
كما وعدت نسوة القدر. وأخشى
انك لعبت لعبة جد غادرة من أجلها. ولكنه قيل
إنها لن تستمر في خَلْفِكَ،
بل أنا الذي سأكون الأصل والوالد
لملوك كثيرين. فإذا صدر عنهن أي صدق
(وأقوالهن عليك يا مكبث قد أشرقت)
إذن، قياساً على الحقائق التي تأكدت عليك،
أفلا يجوز أن يَكُنَّ مَوْحَى النبوءة لي أيضاً.
ويُبْهَضُن في نفسي الأمل؟ ولكن، صمتا، كفى.

١٠

(١) في كتاب المؤرخ هولنشيدي، الذي اقتبس عنه شكسبير قصة المسرحية، نجد أن بانكوو هو شريك مكبث في مقتل دنكن. غير أن بانكوو كان سلف الملك جيمز الأول، الذي اعتل عرش انكلترا واسكتلنדה، موحدتين، قبل كتابة المسرحية ببضع سنوات، فكان على شكسبير أن يعامل سلف الملك باحترام، ولأسباب درامية صرف كان المستحسن أن يجعل مكبث وبانكوو شخصيتين متقابلتين متضادتين، ولا يعطي مكبث وزوجه أي شريك. ومع ذلك فإن كلام بانكوو هنا يوحي بأنه ضالع في الجريمة لأنه، بسبب من طموحه، أبقى سرا أمر الساحرات مع مكبث ولم يفضح ما جرى بينهما.

صدق أبواق. يدخل مكبث ملكاً، ليدي مكبث ملكة،
لينوكس، روص، لوردات، ومرافقون.

مكبث : ههنا ضيفنا الاكبر!

ليدي مكبث : لو كان قد نُسي،
لكان غيابه كفضوة في وليمتنا الكبرى،
وغير لائق أبداً.

مكبث : سيدي، إننا الليلة نقيم عشاء رسمياً،
وأرجو حضورك.

بانكوو : فلتأمروني، رفعتكم،
فواجباتي موثوقة بكم إلى الأبد
برباط لا يُفصم.

مكبث : أذاهب أنت بعد ظهر اليوم؟

بانكوو : نعم، مولاي الكريم.

مكبث : لِكِنَّا نود حسن مشورتكم

(وهي التي كانت دوماً جادة ونافعة)
في مجلس اليوم. ولكن سنرضى بيوم غد.
أتذهب بعيداً؟

بانكوو : على بعد ما يملا الزمن، يا مولاي،
بين هذه الساعة والعشاء. وإذا لم يحسن حصاني الركض،
فلا بد لي من أن أستعير من الليل
ساعة ظلام أو اثنتين.

مكبث : لا تفوتك وليمتنا.

بانكوو : قطعاً لا، يا مولاي.

مكبث : سمعنا أن ابني عمنا المجرمين يقيمان
في انكلترة، وفي ارلنده، ولا يعترفان

٣٠

بقتل ابيهما بقسوة، ويملأ من يصغي اليهما
تلفيقات غريبة. ولكن لندرجى ذلك إلى يوم غد،
حين سيكون لدينا، إلى هذا، من قضايا الدولة
ما يحتاجنا معاً. أسرع إلى حصانك: وداعاً،
حتى عودتك في الليل. ايذهب فليانس معك؟

بانكوو : نعم، مولاي الكريم. وقتنا يستدعينا.

مكبث : أرجو لخصائيكما سرعة الانطلاق، وثبات الخوافر.
وليهنأ كل منكما على صهوة جواده.
استودعك الله.

(يخرج بانكوو)

٤٠

ليكن كل رجل سيد وقته
حتى السابعة هذا المساء.

ولكبي نزيد من حلاوة الترحاب بالحفل.
سنختلي بانفسنا حتى ساعة العشاء:
وحتى ذلك الحين، كان الله معكم.

(يخرج الجميع، سوى مكبث وخدام)

يا هذا، كلمة معك.

هل ذاك الرجلان في انتظار فراغنا؟

خدام : نعم يا مولاي،

خارج بوابة القصر.

مكبث : أحضرهما أمامنا.

(يخرج الخدام)

أن نكون هكذا ليس بشيء

٥٠

إنما أن نكون هكذا ونحن آمنون: (٢)

(٢) أي: أن يكون المرء ملكاً بالاسم ليس بشيء، إنما الشيء هو أن يكون ملكاً وهو آمن.

مخاوفنا من بانكوو
عميقة الوخز، وفي طبعه الخليق بالملوك
يسود ما يجب أن أخشاه. إنه يجراً على الكثير،
وهو إلى معدن ذهنه المقدام
يتمتع بحكمة ترشد شجاعته
إلى الفعل بأمان. ليس ثمة من أخشاه
الاه، وملاكي الحارس إزاءه مهين،
كما كان ملاك انطونيو، على ما يقال، إزاء قيصر.
لقد عنّف «الآخوات».
عندما قلدني مَلِكاً أول مرة،
وأمرهن بمخاطبته. وعندها، كالأنبياء،
حيينه أبا لسلالة من الملوك.
تاجاً عاقراً وضعن على رأسي،
وصولجانا عقياً في قبضتي،
لكيما يُنتزع منها بيد من غير ما سلالة،
فلا يخلفني ولد لي. إن يكن الأمر هكذا،
فأنا ما لوئت ذهني إلا لذرية بانكوو!
من أجلهم قتلت دنكن النيبيل،
ووضعت الاحقاد في كأس سلامي،
من أجلهم فقط، وجوهرتي الخالدة^(٣).
سَلَّمتها عدو البشر جميعاً،
لكيما أجعلهم ملوكاً، بَزَّر بانكوو ملوكاً!
رفضاً مني لذلك، تعال أيها القَدْرُ إلى الحلية،
واطلب نزالي حتى الرمق الأخير!
من هناك؟

(٣) أي روحه الخالدة سلمها للشيطان.

يدخل الخادم ثانية ومعه قاتلان

والآن، اذهب إلى الباب، وامكث هناك حتى ندعوك.

(يخرج الخادم)

أمس تحدثنا معاً، اليس كذلك؟

قاتل ١ : بلى، يا صاحب الجلالة.

مكبث : حسناً. هل تأملتما فيما قلته لكما؟

اتعلمان أنه كان هو الذي، في زمن مضى،

أخفض من قدركما في حين وضعتما الظنّة^(٤)

فيّ أنا البريء؟ وهذا ما أثبتته لكما

٨٠

في اجتماعنا الأخير، وتتبع معكما البرهان،

كيف انكما خدعتما، وأحبطتما، ومن هم الوسائط،

ومن عمل معهم، وغير ذلك من الأمور التي

بوسعها أن تقول حتى لمن لا يملك من الروح

إلا نصفها، ومن العقل إلا المختل:

«هذا ما فعله بانكورو»

قاتل ١ : وضحت لنا ذلك.

مكبث : أجل، ثم انتقلت إلى الأمر الذي

هو الغرض من اجتماعنا هذا الثاني. هل تجدان

الصبر سائداً في الطبع منكما

فتستطيعان إغفال هذا؟ هل لُقنتما الانجيل

فأردتما الصلاة لهذا الرجل الطيب، ونسله^(٥)

٩٠

هذا الرجل الذي أحنت يده ظهوركم للقبر،

(٤) يبدو من سياق الحوار هنا أن «القاتلين» في الأصل اثنان من الضباط عرقياً يوماً على سوء تصرفهما.

(٥) الإشارة إلى أنجيل متى، ٤، ٤٤: «أحببوا أعداءكم، باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى الذين يكرهونكم، وصلوا من أجل الذين يؤذونكم ويضطهدونكم.»

وأحوجت اولادكم للتسول حتى الابد؟

قاتل ١ : رجال نحن، يا مولاي .

مكبث : نعم، في كتاب الدليل انتم رجال .

فالسلوقي، وكلب الصنيد، والمهجين، والجرور،
وكلب الماء، وشبيه الذئب،

تدعى «كلاباً» كلها. أما الملف الثمين

فيميز بين السريع، والبطيء، والمرهف،

وحارس المنزل، والمطارد، كل

حسب المهوبة التي جعلتها الطبيعة المعطاة

مرصعة فيه. وبهذا يكتسب

صفة خاصة، إضافة إلى القائمة

١٠٠

التي تدرج الكلاب كلها سواسية. وهكذا الرجال.

فالآن إن كانت لكما منزلة في الدليل

ليست في أحط مراتب الرجولة، أخبراني بها.

ولسوف أجعل في الصدر منكما مهمة

يقضي تنفيذها على عدوكما،

ويشدكما إلى القلب والحب منا،

فقد باتت الصحة منا في مرض بحياته،

ولنكونن بموته في أحسن حال.

قاتل ٢ : انني امرؤ يا مولاي

١١٠

أغضبتك كلمات الدنيا وضرباتها الدنيئة،

فما عدت آبه ماذا أفعل

لاکید للدنيا.

قاتل ١ : وأنا امرؤ آخر

انهكتك النكبات، وقارعتك الايام،

فجعلت حياتي رهناً أي مجازفة،

أصلحها بها أو أخلص منها.

- مكبث : كلاكما يعلم
ان بانكورو كان عدوكم.
- قاتل ٢ : صدقت، سيدي .
- مكبث : وهو عدوي ايضاً. وعلى مقربة دامية مني
حتى لتطعنني كل دقيقة من كينونته
في حشاشتي: ومع أن بوسعي
أن أكنسه عن ناظري بقوة سافرة،
وأمر ارادتي بالمصادقة عليها، فإن علي الا افعل ذلك،
١٢٠ من أجل أصدقاء معينين هم اصدقاء لي وله معاً،
لا يمكنني التخلي عن حبهم، بل سابكي سقوطه
وأنا الذي صرعته: ومن هنا
فإني أطلب ودكما ومساعدتكم،
حاجباً الامر عن أعين العموم
لأسباب خطيرة شتى.
- قاتل ٢ : لسوف نؤدي يا مولاي
ما تأمروننا به .
- قاتل ١ : حتى ولو أن حياتنا . . .
- مكبث : الحيوية تنهج من خلالكما. في غضون الساعة هذه، على الأكثر،
سأشير عليكما أين تزرعان نفسيكما،
١٣٠ واعلمكما بالساعة المثل،
بل باللحظة عينها. لأنها يجب أن تفعل الليلة،
وعلى مبعدة ما من القصر، فالمحسوب دائماً
أنني بحاجة إلى ما يبرئني:
ولكي لا تبقى في العملية عاهة أو عيب،
فإن ابنه فليانس، الذي يرافقه،
والذي يهمني غيابه
بقدر غياب أبيه، يجب أن يلقي معه مصير

تلك الساعة السوداء... قررا على انفراد.
سأتيكما بعد قليل.

قاتل ٢ : لقد قررنا يا مولاي

مكبث : سادعوكما حالاً. انتظرا في الداخل.

(يخرج القاتلان)

١٤٠

خُتم الامر! وإذا كانت روحك الطائرة يا بانكوو
ستلقى السماء، فعليها بالبحث عنها هذه الليلة!

(يخرج)

المشهد الثاني

فورس. غرفة اخرى

تدخل ليدي مكبث وخادم

ليدي مكبث: هل غادر بانكورو البلاط؟

خادم : نعم، سيدتي، وسيعود الليلة ثانية،

ليدي مكبث: قل للملك انني في انتظار فراغه
لبضع كلمات معه.

خادم : سأفعل، سيدتي.

(يخرج)

ليدي مكبث: حينما تتحقق منا الامنية ولا يتحقق الرضا،

نَكُنْ لا شيئاً كسبنا، وانفقنا كل شيء:

انه لأسلم لنا أن نكون ما نحطم

من أن نقوم بتحطيم الآخرين في فرح مليء بالريب.

يدخل مكبث

مالي أراك يا مولاي تعزل نفسك وحيداً،

جاعلاً من أبأس الخيالات رفاقاً لك،

محتضناً تلك الخواطر التي كان عليها أن تموت

مع الذين تتردد هي عنهم؟ كل ما استعصى على العلاج
يجب أن ينأى عن الفكر: ما صار قد صار.

مكبث

: لقد جرحنا الافعى، ولم نقتلها.

لسوف تلتثم، وتكون ما كانت، بينما يبقى

حقدنا المسكين في خطر من نابها الاصيلي.

ولكن الا فلينقصم هيكل الأشياء،

ولتضطرب هذه الدنيا والآخرة،

قبل أن نقتات طعامنا خوفاً، وننام

في كرب من هذه الاحلام الرهيبة

التي تزلزلنا كل ليلة. خير لنا أن نكون مع الموق

الذين، كسبا لسلامنا، ارسلناهم لسلام أبدي،

من أن نرقد على عذاب النفس

في احتمال لا يقر. دنكن في قبره.

إنه بعد نوبات حمى الحياة في نومة عميقة.

الخيانة فعلت اسوأ فعلها: لا الفولاذ، ولا السم،

لا الحقد الاهلي ولا الجيش الاجنبي

بقادر أن يمسه بعد!

٢٠

ليدي مكبث: هيا، مولاي الكريم،

لتبسط اسارير وجهك المكفهرة،

وكن مشرقاً ضحوكاً بين ضيوفك الليلة.

٣٠

مكبث

: سأكون، يا حبيبي. وأرجو أن تكوني كذلك أنت أيضاً.

وجهي همك نحو بانكوو:

هبيه الصدارة، عيناً ولساناً معاً.

نحن لن نسلم ما دمنا

نُكره على غسل شرفنا بسيول النفاق هذه،

وجعل وجوهنا أقنعة لقلوبنا،

لتخفي حقيقتها.

ليدي مكبث : يجب أن تكف عن ذلك!

مكبث : آه، مليء بالعقارب ذهني، زوجتي العزيزة!
أنت تعلمين أن بانكوو وابنه فليانس في قيد الحياة.

ليدي مكبث : ولكنَّ عَقْدَ الحياة فيهما ليس بالأبدي .

مكبث : ثمة عزاء بعد . مهاجتهما ممكنة .

فامرحي . . . قبل أن ينطلق الوطواط في طيرانه
بين الأروقة، وقبل ان تدعو «هكاته» السوداء
خنفساء الحراشف لتقرع بطنينها الناعس
جرس الليل المتائب، ستُفعل
فعلة مخيفة النبرة .

ليدي مكبث : وما هي؟

مكبث : كوني بريئة من العلم بها، فرختي الحبيبة،
إلى أن تهتفي لها . تعال يا ليل، يا مُغمَضَ العيون، واعصب
العينَ الحنون من النهار الشفيق
وبيدك الخفية الدامية

إلغِ ، ومزَّق قطعاً، ذلك العَقْدَ العظيم^(٦)

الذي يبقيني في شحوب!

أخذ الضوء يكتف . والغراب يطلق الجناح نحو غابة العقبان .

طيات النهار جعلت تهتدل وتتناقص،

وعملاء الليل السود راحوا ينشطون للفريسة .

اتعجبين لكلماتي؟ هدثي روعك،

كل ما بالشر يبدأ، إنما بالشر يقوى .

إذن، أرجوك، هيا معي .

(بمخرجان)

(٦) أي العقد الذي يوجه يملك بانكوو وابنه فليانس الحياة من الطبيعة .

المشهد الثالث

فورس. حديقة فيها طريق يؤدي الى القصر

يدخل ثلاثة قتلة

قاتل ١ : ولكن من أمرك بالانضمام إلينا؟

قاتل ٣ : مكبث^(٧).

قاتل ٢ : لا حاجة بنا إلى الريبة فيه، ما دام يعين لنا

وظيفتنا، ومهمتنا،

وفق التعليمات الدقيقة.

قاتل ١ : إذن: قف معنا.

ما زال الغرب يومض بخيوط من نهار:

والمسافر المتأخر يُعَجِّلُ من سيره الآن،

ليبلغ الخان مبكراً، وقريباً أخذ يدنو

موضوع كميننا.

قاتل ٣ : أصغياً! اسمع خيلاً.

بانكوو : (من الداخل) أعطونا ضياء، يا قوم!

(٧) مكبث، كأي طاغية، لا يثق في أحد، فيرسل قاتلاً ثالثاً ليتجسس على الرجلين اللذين اختارهما لتنفيذ جريمته.

١٠

قاتل ٢ : إذن انه هو. أما الآخرون
المدرجون في قائمة المدعوين
فقد سبق أن وصلوا القصر.

قاتل ١ : خيله طليقة.

قاتل ٣ : لحوالى الميل. ولكن ذلك من دأبه،
كغيره من الرجال، فهم من هنا حتى بوابة القصر
يسيروا على القدم.

يدخل بانكوو وفليانس ومعه مشعل

قاتل ٢ : ضياء! ضياء!

قاتل ٣ : إنه هو!

قاتل ١ : تهبأوا!

بانكوو : ستمطر الليلة.

قاتل ١ : ولتتهمر!

(القاتل الأول يطفىء المشعل،

بينما يهجم الآخرون على بانكوو)

بانكوو : آه خيانة! أهرب يا فليانس، أهرب، أهرب!

لعلك تنتقم. أيها العبد!

(يموت بانكوو. ويهرب فليانس)

قاتل ٣ : من أطفأ المشعل؟

قاتل ١ : ألم تكن هي الطريقة؟

قاتل ٣ : واحد وقع فقط. الابن هرب.

قاتل ٢ : لقد أضعنا النصف الأفضل من مهمتنا.

قاتل ١ : آ، لنذهب

ونخبر عن مدى ما أنجز.

(يخرجون)

٢٠

المشهد الرابع

قاعة فخمة في القصر. وليمة مهيأة

يدخل مكبث، ليدي مكبث،
روص، لينوكس، لوردات، ومرافقون

مكبث : إنكم تعرفون مراتبكم، فاجلسوا... بدءاً
ومنتهى، من قرارة قلبي أرحب بكم.

لوردات : شكراً لجلالتكم.

مكبث : ونحن سنخالط الحفل
لنقوم بدور رب البيت المتواضع.
ربة البيت تلزم عرشها. ولكن إذ يحين الأوان
سنطلب إليها الترحيب بكم.

ليدي مكبث: أعلنها عني، سيدي، لصحبنا جميعاً،
لأن قلبي يتكلم - انهم هنا على الرحب والسعة.

يدخل القاتل الاول، عند الباب

مكبث : انظري، إنهم يقابلونك بالشكر من قلوبهم.
الجانبان متساويان كلاهما: هنا سأجلس أنا في الوسط.
كونوا احزراً في المرح... لحظة، وسنشرب نخباً

لكل من على المائدة .

(يذهب إلى الباب)

على وجهك دم .

قاتل : إذن فهو دم بانكوو

مكبث : عليك من الخارج ، ولا فيه من الداخل!

هل أجهزت عليه؟

قاتل : مولاي ، قُطع عنقه .

أنا الذي قطعته .

مكبث : إنك أبرع من قطع العنق .

ولكن بارع أيضاً من فعل ذلك بفليانس .

فإن كنت أنت ، فإنك الذي لا يضاهاى .

قاتل : مولاي صاحب الجلالة . . . فليانس هرب .

مكبث : إذن عادت نوبتي من جديد : وإلا كنت في أفضل حال ،

سليماً كالرخام ، ثابتاً كالصخر ،

حرّاً طليقاً كالهواء المحيط بي .

أما الآن ، فإني محشور ، محصور ، مُحْتَبَس ، تكبليني

لجوج المخاوف والشكوك . ولكن بانكوو سليم؟

قاتل : نعم ، مولاي الكريم ، سليم مقيم في خندق ،

وفي رأسه حفرت عشرون طعنة

أصغرُها موتٌ للطبيعة .

مكبث : أشكر لك ذلك .

هناك ترقد الافعى الكبرى . أما الأفعى التي هربت

فمن شيمتها أن تولد السم مع الزمن ،

وإن تكن الآن بلا أنياب . أخرج ، وغداً

نتباحث معاً ثانية .

(يخرج القاتل)

ليدي مكبث: مولاي صاحب الجلالة،

إنك لا تجود بالبشاشة: وما الوليمة إلا بيع وشراء
إن لم تؤكد مرةً بعد مرة، وهي جارية،
بانك بالترحاب تقيمها. خير ما يأكل المرء، في بيته.
أما خارج البيت، فتوابلُ الطعام الاحتفاء
واللقاء بدونه لا طعم له.

مكبث : مُدكرتي العذبة!

هنيئاً مريئاً أيها الصاحب،
وصحةً للجميع!

لينوكس : هلا تفضلتم بالجلوس جلالتم؟

مكبث : لكان فخرُ بلادنا الآن تحت هذا السقف

٤٠

لو أن شخص بانكوو الكريم حاضر بيننا.

يدخل شبح بانكوو، ويجلس في مكان مكبث

وأنا شديد العتبي عليه لعدم لطفه،
أكثر مني عطفاً لطارئ ربما قد حل به.

روص : غيابه، يا سيدي،

يوقع اللوم على وعده. هلا آتستمونا
جلالتم بالجلوس معنا؟

مكبث : المائدة ملأى.

لينوكس : (مشيراً إلى الكرسي الذي جلس فيه بانكوو)

هنا مكان مخصص، سيدي.

مكبث : أين؟

لينوكس : هنا، مولاي الكريم، ما الذي يثيركم؟

مكبث : من منكم فعل هذا^(٨)؟

لوردات : ما هو، يا مولاي؟

مكبث : لن تقدر أن تقول، أنا الذي فعلتها. لاتهزلي
بخصلاتك الدامية.

٥٠

روص : أيها السادة، انهضوا. جلالته متوعدك.

ليدي مكبث : اجلسوا، أيها الصاحب الكرام. كثيراً ما يكون مولاي هكذا،
منذ شبابه : أرجوكم، ابقوا في مقاعدكم.

تدوم النوبة برهة، وبسرعة الخاطر
يعود ثانية إلى صحته. ان تركزوا عليه،
تسيثوا اليه وتطيلوا معاناته.
كلوا، ولا تنظروا اليه. - أرجل انت؟

مكبث : نعم، رجل جسور، يجراً على النظر
إلى ما قد يرعب الشيطان.

ليدي مكبث : أوه! كلام هائل!

٦٠

إن هذا إلا رسم من خوفك :

انه الخنجر المسلول في الفضاء الذي، قلت،
انه اقتادك إلى دنكن. أوه! هذه الانتفاضات والجفلات
زيفٌ ازاء الخوف الحقيقي، وهي قد تليق
بحكاية امرأة قرب نار الشتاء،
تروها عن جدتها. يا للعب!
لماذا تشنخ قسماً وجهك هكذا؟ حاصل الامر
إنك إنما تنظر إلى مقعد.

مكبث : أرجوكم، أنظري هناك!

عابني، أبصري، ماذا تقولين؟

(٨) أي: من منكم قتل بانكورو؟

٧٠

وما همني؟ إن تهزُّ رأسك، تكلم أيضاً!
إن كان لا بد للنواويس والقبور أن تعيد
الذين ندفنهم إلينا، فلتكن أضرحتنا
حواصلَ الحدآت^(٩).

(بمختمفي الشبح)

ليدي مكبث: ماذا! افقدت رجولتك حقاً؟

مكبث: إن كنت واقفاً هنا، فقد رأيتَه.

ليدي مكبث: خست! عيب!

مكبث: لقد سُفك الدم قبل اليوم، في العصور الغابرة،

قبل أن تُبريء الشرائعُ الانسانية المجتمع

ومنذ ذلك الحين أيضاً اقتُرِفَت جرائم

أرعب من أن تسمعها أذن: لقد جاء زمن

كان المرء فيه، إذا انسفح مِخه، يموت،

وفي ذلك نهاية له. غير أنهم اليوم يقومون ثانية

وفي رؤوسهم عشرون جرحاً قاتلاً.

ويدفعوننا عن مقاعدنا... وهذا أغرب حتى من جريمة

كهذه.

٨٠

ليدي مكبث: مولاي الكريم،

صحبك الاشراف يتوقعونك.

مكبث: والله نسيت.

لا تأخذنكم الخواطر بي، صحيبي الكرام.

إن بي علةٌ غريبة، هي لا شيء

للذين يعرفونني. أعطني خمرًا: املا الكأس.

(٩) أي، لكيا تمنع الأجساد من العودة من القبور، علينا أن نعلمها للحدآت.

٩٠

أني أشرب نخب فرح الذين على مائدتي كلها،
ونخب صديقنا العزيز بانكورو، الذي نفتقده.
يا ليته كان هنا!

يدخل الشيخ ثانية

لكم جميعاً، وله، نحن في ظمأ،
وليشرب الكل للكل!

لوردات : واجباتنا، وعهد علينا!

مكبث : اذهب اغرب عن بصري! فلتخفك الأرض!
عظامك لا نخاع فيها، ودمك جامد.
لا إدراك في تينك العينين
اللتين تحملق بهما...

ليدي مكبث: اعتبروا هذا، أيها الشيوخ الافاضل،
أمراً معتاداً، ليس إلا.
ولو أنه يفسد متعة الساعة.

مكبث : ما يجسر امرؤ عليه، أجسر عليه أنا:

١٠٠

أذنُ دُنُوِّ الدب الروسي الخشن،
أو الكركدن المسلح، أو النسر الهرقاني^(١٠)
اتخذ لك أي شكل إلا ذاك، فلن تصيب
أعصابي الراسخة رعدة واحدة: أو، عد إلى الحياة،
واطلب نزالي في الصحراء بسيفك،
فإن حويت عندها رَعْدَةً، أعلنُ أنني
دمية طفلة... عني بك، أيها الظل المريع!
أيها الهزء الوهمي، عني بك!
(يحتفي الشيخ)

(١٠) نسبة إلى هرقانيا، جنوب شرقي بحر قزوين.

أف، هكذا... الآن وقد تلاشى،
فإني رجل من جديد... أرجوكم، استكينوا.

ليدي مكبث: طردت المرح، وفضضت الاجتماع
بالعجيب من سوء السيطرة والنظام.

مكبث : أيمكن أن توجد أشياء كهذه

تعبير بنا كسحابة صيف،
دون أن تُذهلنا؟ انك تجعليني اندهش
حتى لطبعي أنا،

١١٠ عندما أبصر الآن أن بوسعك رؤية مشاهد كهذه،
وتحتفظين بياقوت خديك الطبيعي،
بينما يبيضُ ياقوت خديّ فزعاً.

روص : أية مشاهد، يا مولاي؟

ليدي مكبث: أرجوكم، لا تتكلموا. انه يتطور من سيء إلى أسوأ،
والسؤال يفضبه... في الحال، ليلة سعيدة.
لا تتمسكوا بأصول مغادرتكم،
بل اذهبوا في الحال.

١٢٠ لينوكس : ليلة سعيدة، وعافى الله جلالته!

ليدي مكبث: ليلة سعيدة لكم جميعاً!

(يخرج اللوردات والمرافقون)

مكبث : لا بد لمصرعه من دم، كما يقولون. الدم يطلب الدم:

لقد سمعنا أن الحجارة تتحرك، والاشجار تنطلق،
وأن العرافة، والاستدلال بالعلامات، يكشفان
عن طريق العقاقير، والحدآت، والغربان،
أعمق القتلة سرّاً وتكتئماً. ما هزيع الليل؟

ليدي مكبث: يكاد يصرع الفجر.

مكبث : ماذا تقولين في مكدف، وهو يتمنع بشخصه
على أمرنا العظيم؟

ليدي مكبث: هل طلبته، ياسيدي؟

مكبث : سمعت ذلك صدفة. ولكنني سأطلبه. ١٣٠

ليس ثمة واحد منهم إلا وجعلت في منزله
خادماً مأجوراً لي. سأذهب غداً
(ومبكراً سأذهب) إلى أخوات القدر:
لسوف استنطقهن المزيد. فقد عزمت الآن على
معرفة أسوأ الامور بأسوأ الوسائل. ولصالحني
سيغنو كل سبب... لقد خطوت في الدم
بعيداً، فحتى لو لم أخض المزيد
لكان النكوص مرهقاً كما المضي.
في رأسي أمور غريبة ستنتقل إلى يدي،
لا بد من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد.

ليدي مكبث: بك حاجة للنوم، ملِّح كل طبيعة. ١٤٠

مكبث : هيا بنا إلى النوم. ما توهيم نفسي الغريب
إلا فزع المستجد الذي تعوزه شدة المراس:
ما زلنا بعدُ فتيين في الفعل.

(ينخرجان)

المشهد الخامس^(١١)

القفرء. رعد.

تدخل الساحرات الثلاث، ويلتقين بهكاته.

الساحرة ١ : هه، ما الامر يا هكاته؟ تبدين مغضبة.

هكاته : أَلَسْتُ معذورةً، وأنتن الشمطاوات

المتجرتات الوقحات؟ كيف جسرتن

على التعاطي والتعامل مع مكبث

بالالغاز وقضايا الموت

وأنا، سيدهُ رُفاكم،

والمبتكرة السرية لكل أذاكم،

لم أَدْعُ قط إلى القيام بدوري

أو ابراز الروعة في فنكن وفني؟

والاسوأ أن ما فعلتن كله

كان لابن ضال عنيد،

١٠

(١١) هذا المشهد، في الأرجح، مقحم على النص الشكيري، وهو من الإضافات التي كانت تستهدف إمتاع الجمهور بما تهبه من فرصة للفرجة، والغناء، والرقص. والمعتقد أن المشاهد التي تظهر فيها هكاته في هذه المسرحية، أقحمها أفراد من الإدارة المسؤولة عن الفرقة التي كان شكبير يكتب لها مسرحياته.

حقود حنيق، كغيره
 ليس يهوى إلا لمآربه، دونكن.
 أصلحن أمركن الآن: هيا
 وفي وهدة آكرون^(١٢)
 قابلني في الصباح. انه هناك
 سيأتي ليسأل عن مصيره.
 هيئن الاواني والرُقى
 ولوازم السحروغيرها.
 اني في الهواء لراحلة، وسأقضي الليلة
 لغاية مدمرة وقاتلة.
 فعلة كبرى لا بد تقضى قبل الظهرية...
 عَلِقْتُ على الركن من القمر
 قطرة من بخار عميقة الأثر^(١٣)
 سألقفها قبل أن تدرك الارض:
 فإذا قَطُرْتُ بسحري الحيل
 استحضرت غفاريت ملأى بالألاعب
 تجرّه بعنيف خداعها
 إلى الخيرة والتخبط.
 سيزدري القدر ويستخف بالموت،
 ولسوف يعلو بآماله
 على الحكمة، والنعمة، والفرع.
 وكلكن يعلم أن الغلو بالثقة
 هو العدو الأكبر للبشر.
 (أغنية من الداخل: «تعالى، تعالى...»)

(١٢) نهر في الجحيم.
 (١٣) كان القدامى يعتقدون أن هذه قطرة من زبد يسقطها القمر على أعشاب أو أجسام معينة
 بفعول السحر القوي.

سمعا! يدعوني... جيتي الصغيرة، انظرن!

جلست في سحابة غمام، بانتظاري...

(تخرج) (١٤)

(١٤) كانت هكاته ترفع في «عربة مسرحية» تعلوها البكرات، ثم تخفيها الستائر الفضفاضة.

مكان ما من اسكوتلندة

يدخل لينوكس ولورد آخر

لينوكس : ما قلته سابقاً ينسجم مع أفكارك،
ولها أن تسترسل في التأويل . كل ما أقول هو
أن الامور قد صُرفت على نحو غريب . ذنكن الطيب
عطف عليه مكبث: وإذا هو والله يموت .
وبانكوو الشجاع تأخر في دربه ،
وهذا، لك أن تقول (إن شئت) إن فليانس قتله ،
لأن فليانس قد هرب . على الرجال ألا يتأخروا في الدروب .
ومن له إلا أن يفكر بوحشية أن
يقتل مالكولم ودونالدين
أباهما الطيب؟ يا للحقيقة اللعينة!
لشد ما أحزنت مكبث! ألم يذهب على الفور،
في غضبة موالية، ويمزق المجرمين الاثنين
وقد استعبدهما الشراب، واسترقهها النوم؟
ألم يكن ذلك نبلاً منه؟ بلى، وحكمة أيضاً .
لأن ما من فؤاد حي إلا وكان سيفغضب
لو سمع الرجلين ينكران . ولذا فإني أقول

إنه دبر الامور كلها خير تدبير. وإني لأحسب
لو أنه تمكن من وضع ولدي دنكن خلف رتاجه
(لا سمح الله بذلك!)، لوجدا

٢٠

ما معنى أن يقتل المرء أباه. وهكذا فليانس.
ولكن كفى! فمكدف من صريح كلماته، ولانه أخفق
في حضور وليمة المغتصب الطاغية، سمعت
أنه يعيش مغضوباً عليه. هل تعلم، سيدي،
أين يقيم؟

لورد : ان ابن دنكن الذي

يمنع عنه هذا الطاغية حق ميلاده
يقيم في البلاط الانكليزي، ويلقى
من الملك التقى ادوارد كل حسنى
فلا ينال حقد الدهر

من علو منزلته... هناك يم مكدف وجهه
ليرجو الملك الورع، نيابة عنه،

٣٠

أن يستنخي أمير نورثمبرلند، والمحارب سيوارد.
عسى أننا بمساعدة هؤلاء (وببركته تعالى
تأييداً للعملية) نعود لموائدنا بالطعام،
ولليالينا بالنوم،

وندفع عن ولائنا ومآدبنا الخناجر الدامية،
ونقوم بولائنا مخلصين، ونتلقى التكريم أحراراً،
مما نحن في توفيق إليه... وهذا النبأ
قد أثار حفيظة الملك جداً، حتى
راح يستعد لمحاولة حربية

لينوكس : هل ارسل في طلب مكدف؟

٤٠

لورد : أجل، وإذ رد باقتضاب حازم: «سيدي، أرفض»
أدار الرسول المكفهر ظهره،

ومهم، كأنه يقول: «ستندم على الزمن الذي
جشمني هذا الجواب.»

لينوكس : وذاك أغلب الظن
سيوصيه بالحذر، والبقاء بعيداً
ما تمكنه حكمته. الا لیت ملاكاً طاهراً
يطير إلى بلاط انكلترة، ويكشف
عن رسالة مكدف قبل وصوله، لعل بركة عاجلة
تنزل قريباً على هذا البلد الذي يشقى
تحت قبضته اللعينة!
لورد : سأشفعه بصلواتي.
(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الاول

منزل في فورس. في الوسط قدر كبيرة تغلي. رعد.

تدخل الساحرات الثلاث.

ساحرة ١ : ثلاثاً ماءت القطة المخططة.

ساحرة ٢ : ثلاثاً، ومرةً أنّ الخنزير.

ساحرة ٣ : البوم يصيح: آن الأوان، آن الأوان^(١).

ساحرة ١ : دوروا حول القدر دوروا

وارموا الحشى المسموم فيها. -

هاتي علجومة قد رقدت تحت الحجر

واحداً وثلاثين يوماً بلياليها

تتصفد بالزعاف، واجعلها

في الحلة المسحورة - فيها

ستفور الآن حالاً وتمور.

معاً : يا كدح، يا ويل، يا ثور،

لهلي يا نارنا، قدرنا سوف تفور.

ساحرة ٢ : شرحة من أفعى آسنة

(١) ثمة إشارات إلى نعيب البوم قبل مصرع كل من دنكن، وبانكوو، وليدي مكدف.

في الحلة فَوْرَها،
صوفُ خَشَافٍ،
عَيْنُ زَخَافٍ
عَوْرَها،
واصْبَعُ من ضفدع آمنة،
لسسان كلب،
ومن حَلَقِ ثَعْبَانٍ شَطِيرَةٍ
وَرُزْبَانِي من دودة حسيرة،
ومن عَظَاةِ رَجُلِها تلك الكبيرة،
وجناحُ بوميَّةٍ من السواهي
لرُقِيَّةٍ تدهو الدواهي
في حساء من جَهَنَّمَ يرغو ويشورُ

٢٠

معاً : يا كدحُ، يا ويلُ، يا ثبورُ،
لهلي يا نارنا، قَدْرنا سوف تفورُ.

ساحرة ٣ : حراشفُ تنين هذه،
وأنيابُ ذيب،
ومومياءُ سَاحِرَةٍ كالقنطريب،
ومن فَرَشَةٍ ضارية
بأجاجها جارية
حوصلَةٌ مع المعدة .
وجذورُ شوكران
اجتثت في الظلام،
مرارةٌ مِعْزِي، عساليحُ طقوس
انتزعناها معاً عند الخسوف،
كبدُ كافر يهودي
وشفتا تترِي
وأنفُ تُركِي أفندي

٣٠

وأصبعُ طفلٍ خنقٍ بالولادة
وضعتَه في خنقِ أمِّه القوادة -
هيا كئفي الطبخة، أنضجِها!
وأمعاءُ نمرٍ أضيفِها
لعناصرٍ قدَرنا وهي تمورٌ...

معاً : يا كذُّخ، يا ويلُ، يا ثبور،
لهلبي يا نارنا، قدرنا سوف تفور.

ساحرة ٢ : بدم السعدان أنا برِّدوها:
الرقية صارت.. هودوها..

(تدخل هكاته، والساحرات الثلاث الأخريات^(٢)).

٤٠

هكاته : آه، أحسنتن! أنا أثني عليكن،
الريح ربحي، وربحكن،
عُدنَّ للقدرِ وعَنينَ،
دُرُنَ حولها في حَلَقَة،
صَحَنَ كالجنِّ وعَنينَ
يَبِمَ السحرُ في أشيائكن.

(موسيقى، وأغنية «أرواحنا السوداء هيا، الخ»)
(تخرج هكاته والساحرات الثلاث الأخريات)

ساحرة ٢ : في إبهامي وَخَزْ - إنه لدليلُ
على شيءٍ قادم، ملؤه شرٌّ وويلُ . -
افتحي يا أقفال
لكل من يقرع!

(٢) هذا المقطع أيضاً في الأرجح مقمّم على النص الشكسيري . ليس للساحرات الثلاث والأخريات من ضرورة هنا، اللهم الا لزيادة عدد المغنيات في نهايته . من عادة المخرجين أن يهملوا هؤلاء الساحرات الاضافيات . ويستأنف النص الشكسيري في قول الساحرة ٢ التالي .

(يدخل مكبث)

مكبث : ما بالكن يا شَمَطَ الحَفَاءِ والسوادِ وَجَنَّةِ الليل!
ما الذي تفعلن؟
الساحرات معاً: فعلا لا يُسمى .

مكبث : استحلّفكن بالذي تحترفنه^(٣)
كيفما يكن سبيلكن لمعرفته، اجبني:
حتى وإن تطلقن الرياح، وتجعلنها تقارع^(٤)
الكنائس، حتى وإن تحطم الأمواجِ الراغية
السفن وتبتلعها،
حتى وإن تُضربُ حبةُ القمح في السنبلّة، وتقتلع الأشجار،
وتتهاو القلاع على رؤوس قاطنيها،
حتى وإن تحن القصور والأهرام
رؤوسها على أسسها، وتتمازج
خزائنُ بذور الطبيعة كلها في خليط كبير،^(٥)
إلى أن يُتخَمَ الدمارُ بالدمار، اجبني
عما سأسال .

ساحرة ١ : تكلم .

ساحرة ٢ : اطلب .

ساحرة ٣ : سنجيب .

ساحرة ١ : وقل إن كنت تؤثر السماع من أفواهنا
أو أميادنا؟

(٣) أي السحر الأسود، أو السحر الحرام .

(٤) كان ثمة من يعتقد أن الزوابع والثلوج والبروق والرعود تنطلق من السماء لا بأمر من الله، بل بحيل من السحرة!

(٥) وبدا تنتهي البذور إلى العمق أو إلى إنتاج كل ما هو وحشي ودغل . يروق لمكبث أن يرى خراب العالم إلى الأبد إذا لم يتحقق له ما يريد!

مكبث : ادعينهم! اجعلني أرهم بعيني .

الساحرة ١ : صبوا دم خنزيرة قد لَمت

صغارها التسعة،

وألخوا في اللهب

شحمًا أفرزته

مشنقة القتلة .

الساحرات معاً: عالياً أو سافلاً، تقدم

واكشف بارعاً عن نفسك ومهمتك .

رعد . الطيف الأول: رأس مسلح^(٦)

مكبث : قل لي، قوة مجهولة،^(٧)

الساحرة ١ : يعلم ما بفكرك:

اسمع ما يقول، وشيئاً أنت لا تقل .

طيف ١ : مكبث! مكبث! مكبث! من مكدف خذ الخذر،

احذر أمير فايف . - اصرفوني . - كفى...^(٨)

(ينزل)

مكبث : مها تكن، فشكرا لتنيهك الطيب لي .

لقد أصبت في تخمين ما أخشاه . - ولكن، كلمة أُخرى...

ساحرة ١ : يرفض الأوامر . هنا آخر

أشد فعلاً من الأول .

(٦) يقول ولسون نايت عن الأطياف الثلاثة التي تظهر هنا بالتوالي، أن الترتيب الذي تظهر فيه مهم لأن

الرموز تتكامل بمعانيها: «الدمار العنيف، وهو نفسه يدمر، آلام الميلاد الدامي الذي يجتهد لايجاد قوة

تصحح وضماً مبتل بالشر، الولادة القادمة الرائعة متوجة بالملكة، الرأس يرمز إلى رأس مكبث

مقطوعاً، والطفل الدامي يرمز إلى مكدف وقد انتزع قبل أوامه من رحم أمه، والطفل الأخير يرمز إلى

مالكولم الذي أمر جنوده بقطع الأغصان وحملها أمامهم في زحفهم على قلعة مكبث .

(٧) الرأس المسلح هو رأس مكبث . لاحظ المفارقة في قول مكبث .

(٨) لأنه في عذاب .

رعد. الطيف الثاني: طفل دام.

طيف ٢ : مكبث! مكبث! مكبث! -

مكبث : لو كانت لي آذان ثلاث، لأصغيت لك.

طيف ٢ : كن دموباً، جسوراً، جازماً: واسخر

من قوة الانسان، فما من وليد لامرأة

سيؤذي مكبث.

(ينزل)

مكبث : إذن، عش يا مكدف: فيم خشيتي منك؟

ولكني سأجعل الحرز حرزين،

واستكتب القدر تعهداً: لا، لن تعيش^(٩)،

لكيما أقول للخوف الشاحب القلب أنه يكذب،

وأناّم رغم جَلَجَلَة الرعود.

رعد. الطيف الثالث. طفل متوج في يده شجرة.

ما هذا الذي

ينبجس وكأنه نسل الملوك،

ويلبس على جبينه الطفلي

دائرة السؤدد وقمته؟

الساحرات معاً: أضغ ولا تتكلم إليه.

طيف ٣ : كن هصوراً، متكبراً، ولا يهمنك

من يتشكى، من يتذمر، أو أين يلتقي المتآمرون:

مكبث لن يُقهر أبداً حتى

(٩) مكبث لا يعلم أن مكدف ليس في عداد من هم وليدون لامرأة، فيطمئن إلى أن مكدف لن يؤذيه.

ولكنه سيجعل الحرز حرزين، بأن يقتل مكدف، فيجعل القدر بذلك يتعهد بأن أحداً لن يؤذيه، فيكون اطمئنانه مزدوجاً.

ترحف عليه غابة بيرنام العظيمة
إلى تلة دنسينان العالية.

(ينزل)

مكبث : وذلك لن يكون.

من يستطيع زحزحة الغاب، أو أمر الشجرة
بأن تقلع جذرها المشدود بالتراب؟ يا نذائر عذبة وطيبة!
أيها الموق المتمردون أبدأ لن تقوموا، حتى تتحرك
غابة بيرنام! ومكبث رفيع المقام سيحيا
أجل الطبيعة، واهباً أنفاسه

١٠٠

للمن وما اعتاد الناس من موت. - ولكن قلبي
يخفق لمعرفة أمر واحد: أخبرني (إن كان لفنكن
أن يعلم)، هل ستحكم ذرية بانكوو أبدأ
في هذه المملكة؟

معاً : معرفة المزيد لا تطلب!

مكبث : بل أصراً! إن تحرمني هذا

ألا حلت بك لعنة أبدية! أعلمني -

لماذا تغور تلك القدر؟ ما هذه الموسيقى؟

(مزامير)

ساحرة ١ : عرض!

ساحرة ٢ : عرض!

ساحرة ٣ : عرض!

١١٠

معاً : إعرضوا لعينيه، وقلبه أفعجوا،

كالظلال تعالوا، وكالظلال ارجعوا.

(عرض يتقدم فيه ثمانية ملوك، آخرهم يحمل مرآة بيده،
يتبعهم بانكوو.)

مكبث : ما أشبهك بانكروا! فلتسقط!
 تاجك يسفع مقلتي: وشعرك
 أيها الجبين الآخر المطوق بالذهب، كالأول. -
 والثالث كسابقه. - يا أقذر الشمطاوات!
 فيم تُرينني هذا؟ ورابع؟ - يا عيني، انتفضا!
 ماذا! أسيمتد الخط حتى يوم القيامة؟
 وآخرُ بعدُ؟ - أسابع؟ لن أرى المزيد.
 وهذا ثامن يظهر، يحمل مرآة
 ١٢٠ تربي العديد المزيد. . وبعضاً أرى
 يحمل كرتين اثنتين وصوالج ثلاثة. (١٠)
 يا للمنظر الرهيب! - أرى الآن الصدق في هذا كله:
 لأن بانكروا، بشعره المشعث المدمى، يتسم لي،
 ويشير إليهم بأنهم ذريته. ها! أهكذا الأمر؟
 ساحرة ١ : أجل مولاي، هكذا الأمر كله. ولكن لماذا
 يقف مكبث مبهوتاً هكذا؟
 هيا بنا نشرح صدره
 ونعرض له أجمل إمتاعنا.
 سأسحر الهواء فيعزف،
 ونرقصُ أغرب رقصاتنا،
 ١٣٠ عسى الملك العظيم هذا يقول لطفاً
 إن واجباتنا كفاء لترحابه.
 (موسيقى. ترقص الساحرات، ثم يختفين)
 مكبث : اين هن؟ تلاشين؟ فلتبق هذه الساعة الذميمة

(١٠) تشير الكرتان إلى التتويج المزدوج الذي حظي به الملك جيمز الأول، عند توحيد اسكتلندة وانكلترة، في «سكون» (باسكتلندة) وويستمنستر (بلندن)، عام ١٦٠٣. أما الصوالج الثلاثة فتشير إلى الصولجانين المستعملين في التتويج الانكليزي، والصولجان المستعمل في التتويج الاسكتلندي.

ملعونة أبدأ في تقويم الزمن!
ادخل، أنت الذي في الخارج هناك!

(يدخل لينوكس)

لينوكس : ما مشيئة جلالتكم؟

مكبث : هل رأيت اخوات القدر؟

لينوكس : لا يا مولاي .

مكبث : ألم يمررن بك؟

لينوكس : قطعاً لا، يا مولاي .

مكبث : موبوء هو الهواء الذي يمتطينه،

وملعون كل من فيهن يثق! - سمعت

خبب حصان . من الذي جاء هنا؟

لينوكس : اثنان أو ثلاثة، يا مولاي، يحملون لك رسالة

بأن مكدف قد هرب إلى انكلترة .

مكبث : هرب إلى انكلترة؟

لينوكس : نعم، مولاي، الكريم .

مكبث : (جانبياً) أيها الزمن، انك تستبق افعالي الرهيبة .

الغاية الحثيثة لا يلحق أحد بها

إذا ما الفعل رافقها . منذ اللحظة هذه،

سيكون أول خاطر في قلبي

أول ما في يدي . وفي هذه الساعة بالذات

لكيما أتوج كل فكر لي بفعل، لن أفكر إلا لأنفذ .

قلعة مكدف سأفاجئها،

وأصادر فايف، وأعطي حد السيف

زوجته، وأطفاله، وكل روح شقية

هي من صلبه . لن أتفاخر كالأحق . . .

هذا الفعل سأفعله، قبل أن يبرد العزم.
كفى مشاهدا! - أين هم هؤلاء السادة؟
هيا، خذني إليهم.

(يخرجان)

فايف. غرفة في قلعة مكدف

تدخل ليدي مكدف، وابنها، وروص

ليدي مكدف: ما الذي فعل مما يستوجب هربه من البلد؟

روص : عليك بالصبر، سيدتي.

ليدي مكدف: هو لم يصبر قط:

كان هربه جنوناً. عندما لا تجعل منا أفعالنا
خونة، فإن مخاوفنا تجعلنا كذلك.

روص : أنت لا تدرين

أخوفه أم حكمته هي الدافع.

ليدي مكدف: حكمته! أن يترك زوجته، أن يترك أطفاله،

وقصره، وكل ما يملك، في مكان

يهرب هو منه؟ إنه لا يحبنا.

فهو تعوزه اللمسة الطبيعية. فالبغاث المسكين،^(١١)

أصفر العصافير كلها، حين تكون

فراخه في العش، يقارع اليوم.

(١١) في الأصل: «الصموء»، وهو طائر صغير جداً.

الكل هو الخوف، واللاشيء هو الحب^(١٢).
وما أقلّ الحكمة حين يكون الهرب
خارجاً على كل عقل.

روص : يا ابنة عمي العزيزة،
أرجوك، اضبطي نفسك. أما زوجك،
فإنه نبيل، وحكيم، ومدرك، ويعرف جيداً
نوبات المواسم. لا أجرأ على قول المزيد:
غير أن الزمان قاس عندما نكون خونة
ونحن لا نعلم، عندما نتمسك بالاشاعة
مما نخاف، ونحن لا نعلم ما نخاف،
بل على بحر هائج عنيف نطفو
في كل اتجاه، ونتحرك - اسمحي لي بالذهاب:
لن أطيل غيابي، بل سأعود ثانية.
الأمور، في أسوأ الأحوال، ستكف، أو تصعد
إلى ما كانت عليه من قبل. - ابنة عمي الجميلة،
بركاتُ الله عليك!

٢٠

ليدي مكدف: (مشيرة إلى ابنها) له أب، ولكنه بغير أب.

روص : شديد الحماسة أنا، وإذا أطلت المكوث
فإنني سأشين نفسي، وأخرجك.^(١٣)
أستأذنك في الحال...

(يخرج)

٣٠

ليدي مكدف: ولدي، أبوك مات:
فما الذي ستفعل الآن؟ كيف تعيش؟

(١٢) قارن ما جاء في «رسالة القديس يوحنا الأولى» ٤، ١٨: «لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تنفي الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب، والخائف غير كامل في المحبة.»
(١٣) أي بالبكاء.

الابن : كما تعيش العصافير.

ليدي مكدف: ماذا، أعلى الديدان والذباب؟

الابن : أعني بما أحصل عليه، مثلها.

ليدي مكدف: أيها العصافير المسكين! لن نخشى الشبكة، أو الدبق،
لا الفخ، ولا المصيدة.

الابن : ولم أخشاها يا أماه؟

إنها لا توضع للعصافير المسكينة.

وأبي لم يمت، رغم كل ما تقولين.

ليدي مكدف: بلي، لقد مات. ما الذي ستفعل بلا أب؟

الابن : بل ما الذي ستفعلين أنت بلا زوج؟

ليدي مكدف: بوسعي أن أشتري عشرين زوجاً في أي سوق.

٤٠

الابن : إذن تشتريهم لتبيعيهم من جديد.

ليدي مكدف: تتكلم بكل ذكائك.

وهو حقاً ذكاء كاف لمن في سنك.

الابن : هل كان أبي خائناً، يا أماه.

ليدي مكدف: أجل.

الابن : من هو الخائن؟

ليدي مكدف: هو الذي يقسم ويكذب.

الابن : وهل كل من يفعل ذلك خائن؟

٥٠

ليدي مكدف: كل من يفعل ذلك خائن ويجب أن يشنق.

الابن : وهل يجب أن يشنق كل الذين يقسمون ويكذبون؟

ليدي مكدف: كل واحد منهم.

الابن : ومن يجب أن يشنقهم؟

ليدي مكدف: الرجال الشرفاء.

الابن : إذن فالكذابين والمقسمون حقي . لأن هناك من الكذابين
والمقسمين ما يكفي للتغلب على الشرفاء ، وشنقهم .

ليدي مكدف: آه، كان الله في عونك، يا قردي المسكين! ما الذي ستفعل
بلا أب؟

الابن : لو كان قد مات، لبيكت أنت عليه . وإذا لم تبكي عليه، فإن
ذلك دليل طيب على أنني قريباً سأحظى بأب جديد .

ليدي مكدف: ثرثاري المسكين، ما أعذب كلامك!

(يدخل رسول)

رسول : السلام عليك، أيتها السيدة الحسنة! أنا غير معروف لديك،
ولو أن منزلتك النبيلة معروفة تماماً لدي .
أخشى أن خطراً ما يدنو حثيثاً منك .
فإن تأخذي بنصيحة رجل متواضع،
لا تتواجدي هنا . ارحلي، مع صغارك .
احسب أنني مغال في الوحشية، إذ أربك هكذا .
أما أن أفعل ما هو أسوأ فهو القسوة الشنيعة،
وهي التي تكاد تلم بك . حفظتك النساء!
لا أجزأ على البقاء أكثر .

(يخرج)

ليدي مكدف: أين أهرب؟

لم أسىء إلى أحد . ولكنني أذكر الآن
أنني في هذا العالم الأرضي حيث الإساءة
كثيراً ما تمتدح، وفعل الخير يعتبر أحياناً
حماقة خطيرة . فيم إذن، وأسفاه!

أدفع عني دفاع المرأة

إذ أقول، لم أسىء إلى أحد؟

ما هذه الوجوه

(يدخل قتلة).

٨٠

قاتل : أين زوجك؟

ليدي مكدف: أرجو، ألا يكون في مكان خلا من القدسية

فيستطيع رجل مثلك أن يلقاه

قاتل : انه خائن .

الابن : تكذب، يا نذلاً غليظ الشعر!

قاتل : هاك، يا بيضة!

(يطعنه)

يا فرخ الخيانة!

الابن : قتلني، أماه .

أرجوك، اهربي!

(يموت)

(تخرج ليدي مكدف وهي تصيح «قتلة!»، والقتلة يلحقون بها .)

المشهد الثالث (١٤)

انكلترا. غرفة في قصر الملك

يدخل مالكولم ومكدف.

مالكولم : لنبحث عن ظل بائس مهجور، وهناك
فلنفرغ بكاء ما في الصدر الحزين منا.

مكدف : بل أحرى بنا
أن نقبض السيف القاتل بشدة، وككرام الرجال
نصمد في الدفاع عن مسقط رأسنا الجريح. في كل صباح
جديد

تنوح أرامل جديدات، ويزعق أيتام جدد، وويلات جديدة
تصفع وجه السماء، فترجع السماء
كأنها تشعر مع اسكوتلنדה، صارخة
الفاظ حزنٍ مماثلة.

مالكولم : ما أصدّق، سأندبه.

(١٤) يقول نايتس: «ارتياب مالكولم، واستمراره طويلًا في امتحان مكدف، يؤكدان تزعزع الثقة الذي انتشر عن الشر المركزي في المسرحية. ولكن الغرض الرئيسي من هذا المشهد قد لا يبين واضحاً إذا لم ندرك أنه يؤدي وظيفة الكورس، إذ في الحوار بين الشخصين يتم النص الصريح على تفاقم الشر الذي سببه مكبت...»

وما أعرف، سأصدّقه. وما استطيع تقويمه
 حين أجد الزمن المواتي، سأقومه.
 ما حدثني به، قد يكون كما قلت، ربما.
 هذا الطاغية الذي مجرد اسمه يَبْثُرُ اللسان منا،
 كان يُحْسَب يوماً شريفاً: لقد أحببته أنت جداً،
 وهو لم يَمَسَّكَ بعد. أنا في مقتبل العمر، ولعل ثمة شيئاً
 قد تستحقه منه عن طريقي، والحكمة هي
 أن تضحي بحمل بريء، ضعيف، مسكين،
 لترضية إله غضوب.

مكدف : أنا لست بخائن .

مالكولم : ولكن مكبث خائن .

والشيمة الكريمة الفاضلة قد تشني
 بأمر ملكي . غير أنني أستميحك المغفرة :
 ما أنت عليه لن تستطيع أفكارني أن تحوله .
 الملائكة ما زالت تشعّ، ولو أن أشدها اشعاعاً قد سقط^(١٥)
 فلتن تلبس الدُمائم سييء الجمال
 فلا بد للجميل أن يبدو جميلاً^(١٦)

مكدف : لقد ضيعت آمالي .

مالكولم : ربما حيث وجدت أنا شكوكي :

لماذا غادرت بغير حماية زوجتك وولدت
 (وفيها أعز الدوافع وأقوى روابط الحب)
 دوغما وداع؟ - أرجوك،

(١٥) ابليس رئيس الملائكة سقط، حين تمرد على الله.

(١٦) يريد أن يقول «مظهرك الفاضل ليس دليلاً على أنك خائن. لأن الفضيلة لا بد لها أن تبدو في مظهرها الفاضل، رغم أن الشر الدميم قد يزيّف مظهره بسييء الجمال. فالشيطان الذي كان يشع قد سقط، ولكن الملائكة ما زالت على إشعاعها.»

٣٠

لا تجعل من شُبهاتي لوثةً لشرفك،
بل مأمناً لي أنا: قد تكون صادقاً حقاً
مهما ظننت .

مكدف : انزف، انزف، أيها الوطن المسكين!
أيها الطغيان الكبير، وطد أُسْكَ،
لأن الفضيلة لا تجرأ على كبحك! تمتع بمغانم ظلمك،
فحقك قد ثبت! وداعاً، يا مولاي .
لن أكون الوغد الذي تظن
حتى لو أُعطيْتُ كلَّ ما في قبضة الطاغية من مكان،
والشرقُ الغني إضافة إليه .

٤٠

مالكولم : لا تنجرح كرامتك .
اني لا أتحدث عن خوف مطلق منك .
أعتقد أن بلدنا ينوء تحت النير،
انه يبكي، انه ينزف . وفي كل يوم جديد
يضاف جرح عميق إلى جروحه . وأعتقد كذلك
ان ثمة ايدياً سترتفع دفاعاً عن حقي .
وهنا يعرض علي ملك انكلترة الكريم
بضعة آلاف من الرجال . ولكن، رغم هذا كله،
عندما أطأ رأس الطاغية بقدمي،
أو أرفعه بسيفي، فإن بلدي المسكين
سيبتلي برذائل أكثر مما سبق،
وتزداد معاناته، ويطرق شتى أكثر من أي وقت مضى،
على يد الذي سيخلفه .

٥٠

مكدف : ومن سيكون؟
مالكولم : إياي أعني، وفي نفسي أعرف أن
جزئيات الرذيلة كلها قد طُعمت،
فإذا ما تفتحت، فإن مكبث على سواده

سيبدو نقياً كالثلج، وسترى فيه
الدولة البائسة حملاً، حين يقاس
بسوءاتي التي لا حدود لها. (١٧)

مكدف : في جحافل جهنم الرهيبة نفسها
لن يبيء شيطان أشد لعنة
بشروه لبيز مكبث.

مالكولم : اسلم جدلاً بأنه دموي،
شهواني، جشم، غدار، مخادع،
عجول، حقود، فيه خلة من كل خطيئة
يمكن أن تسمى. أما أنا فلا قرار، لا قرار،
لفجوري: لا زوجاتكم ولا بناتكم،
لا عذاراكم، ولا ثيباتكم، بقادرات أن يملأن
بثر شبعي. ورغبتي
لسوف تتخطى كل عائق عفيف
يحول دون شهوتي. فالأفضل أن يحكم مكبث
من أن يحكم رجل مثلي.

مكدف : الافراط الذي لا يُجْد،
طغيان في طبيعة المرء، وهو كثيراً ما سبب
فراغ العرش السعيد قبل أوامه،
وسقوط العديد من الملوك. ومع ذلك، لا تخش
أن تأخذ لنفسك ما هو حقك:
لك أن تتمتع في الخفاء بملذاتك بوفر عريض،
وتبدو مع ذلك بارداً - ومخادع الزمن.

(١٧) هنا يسترسل مالكولم فينسب إلى نفسه كل الشرور التي هي، بالطبع، شرور الطاغية، والتي يجعلها
شكسبير نقيض الصفات التي يجب أن يتحل بها الحاكم العادل.

ولدينا ما يكفي من نساء راضيات . . . يستحيل
أن يكون فيك ذلك العقاب الذي يلتهم العديد
عن سيكرسون انفسهم للمجد حين يجدونك ميالاً لالتهامهم .

مالكولم :

وإلى هذا، ثمة يتنامى
في مزاجي السيء التركيب جداً
جشع لا يشبع، بحيث أنني، لو كنت ملكاً،
لقضيت على النبلاء طمعاً في أراضيهم،
ولطمعت في مجوهرات هذا، ودار ذلك،
فيغدو حصولي على المزيد مشهياً
لاستزادة نهمي، فأختلق
الحصام دونما حق مع ذوي الطيبة والولاء،
مدمراً لإياهم من أجل أموالهم .

مكدف :

هذا الجشع
أعمق بعداً، وينمو بجذراً أشد دماراً،
من شبق كصيف عابر^(١٨). ولقد كان دوماً
هو السيف الذي قتل ملوكنا. ومع ذلك، لا تخف.
في اسكوتلنده من الوفرة ما يفي بشهوتك
حتى من تحض املاكك أنت. وهذه كلها محمولة
ان هي وازنتها حسنات أخرى

مالكولم :

ولكن لا حسنات لي: فالحسنات القمينة بالملك،
كالعدالة، والصدق، والاعتدال، والاتزان،
والكرم، والمثابرة، والرحمة، والتواضع،
والحنو، والصبر، والشجاعة، والجُلْد
لا مذاق في لها. غير أنني أعج
بتقاسيم كل جريمة،

(١٨) مع «الشتاء» من عمر المرء، يتلاشى الشبق، أما الجشع فيبقى .

أؤدي كلا منها بطرق عديدة... بل انني، لو كان لي،
السلطان،

لصبيت حليب الوفاق العذب في الجحيم،
وقذفت سلام الكون إلى الشَّغْب، وفصمت
كل وحدة على الأرض.

١٠٠

مكدف : وابلداه! واسكتلنده!

مالكولم : أ يصلح رجل كهذا للحكم؟ تكلم.
أنا كما وصفت.

مكدف : أ يصلح للحكم؟

لا، ليس يصلح حتى للحياة. - يا أمة شقية!
متى، وقد استبد بك طاغية لا حق له، صولجانه الدم،
متى سترين أيام صفائك مرة أخرى،
ما دام خليفة عرشك الأحقُّ
يقف متهمًا نفسه طالباً الحُجر عليها،
ويُشنعُ محته؟ كان أبوك
ملكاً قديساً: والملكة التي حملتك
كانت تموت كل يوم تعيشه
على ركبتيها أكثر منها على قدميها.

١١٠

الوداع!

هذه الشرور التي تعددها بحق نفسك
هي التي نفتني من اسكوتلنده. آه يا صدري،
هنا ينتهي أملك!

مالكولم : مكدف، لوعتك النبيلة هذه،

وليدة الامانة، محت من نفسي
كل ريبة سوداء، وصالحت بين أفكاري
وبين صدقك وشرفك. فالشيطاني مكبث
حاول بالعديد من هذه المكائد أن يكسبني

١٢٠

ليوقمني في قبضته، والحكمة الرصينة تصدني
عن العجلة المغالية في التصديق. ولكن الا حكم الله
في عليائه بيني وبينك ! فإني في هذه اللحظة بالذات
أجعل نفسي رهن توجيهك،
وانقض دمي لنفسي. اني هنا انكر
اللوثات والسيئات التي نسبتها إلى نفسي،
فهي غريبة عن طبعي. فأنا حتى الآن
لم تعرفني امرأة، لم أحنث بيمين قط،
أكاد لا أطمع حتى في ما هو ملك يدي،
ولم انقض يوماً عهدي لأحد: اني لن أخون
الشیطان لزميله، وسروري بالصدق

لا يقل عن سروري بالحياة. وأول ما نطقت زوراً
كان هذا الذي اتهمت به نفسي... أما الذي هو فعلاً أنا
فهو لك ولبلي المسكين أن يأمره:
وإلى هناك، في الواقع، قبل قدومك هنا،
يستعد للتوجه شيخنا سيوارد،
على رأس عشرة آلاف محارب كامل الالهة
والان، سنذهب معاً. ألا جعل الله فرصة النجاح
بحجم صراعنا المشروع. لماذا أنت صامت؟

مكدف : ما أصعب التوفيق

بين أمور كهذه أفرحتني وغازتني معاً!

يدخل طبيب

مالكولم : حسناً. المزيد قريباً.

(للطبيب) هل الملك قادم، أرجوك؟^(١٩)

١٤٠

(١٩) يرى البعض أن هذا المقطع (من دخول الطبيب حتى دخول روص) اقحمه شكبير، عل الأرجح،
إرضاء للملك جيجز الأول، ولو أن قدسية الملك هنا، درامياً، تقابل شرانية مكبث، وتميؤ الهدوء
الذي سيتبعه الخبر الفاجع الذي يأتي به روص. يذكر المؤرخ هولشيد أنه كان من المعتقد أن الملك

طبيب . أجل ، سيدي . هناك جماعة من التعساء
ينتظرون منه الشفاء . داؤهم قد أعيا
أعظم محاولات الطب ، غير أنهم ، حين يلمسهم
وقد حبا الله يده بالقدسية
بيرأون في الحال .

مالكولم : شكراً ، أيها الطبيب .

(يخرج الطبيب)

مكدف : ما المرض الذي يعنيه؟

مالكولم : انه يسمى «بالسقام»:

عملٌ معجز حقاً لهذا الملك الصالح
شاهدته منذ مكوثي هنا في انكلترا
يقوم به . كيف يضرع إلى السماء ،
ذلك أمر هو أعلم به . غير أن أناساً غريبي العلل ،
كلهم أورام وقروح ترثي لها العين ،
وتياس منها الجراحة ، يُبرئهم ،
بأن يقلدهم ديناراً ذهباً حول العنق
يشفعه بالصلوات والادعية . ويقال
انه سيورث الملوك الذين يخلفونه
بركة الشفاء هذه . وإلى هذه القدرة الغريبة
فإنه يملك موهبة سماوية للنبوة ،
وثمة بركات شتى تحيط بعرشه
وتفصح عن امتلائه بنعمة الله .

يدخل روص

«ادوارد المعرف» فيه شيء من روح النبوة ، وقدرة على شفاء المصابين بمرض يسمى «سقام الملك» ،
وأن بعض هذه القدرة أورثها خلفاءه من ملوك انكلترا .

١٦٠

- مكدف : أنظر من القادم هنا
مالكولم : انه مواطني . ولكنني لا أعرفه
مكدف : أبني عمي الكريم، مرحباً بك هنا.
مالكولم : الآن عرفته! ألا عَجَل الله بازالة
الموانع التي تجعل منا غرباء!
روص : مولاي، آمين
مكدف : هل اسكوتلنדה على ما كانت عليه؟

- روص : أسفي على البلد المسكين!
يكاد يفزع من معرفة نفسه. ليس لنا
أن ندعوه أرضنا الام، بل قبرنا. حيث لا شيء
أبداً يتسم، إلا الذي لا يعرف شيئاً.
حيث الحشرات، والحشريات، والزعقات التي تمزق الهواء،
تنطلق، لا تلاحظ. حيث عنيف الحزن يبدو
وكأنه بلاء مبتذل: فناقوس الموق
يكاد لا يسأل أحد لمن يُقرع، وحياة الطيبين
تفضي قبل الازاهير التي في قبعاتهم،^(٢٠)
إذ هم يموتون قبل أن يأخذهم المرض.

١٧٠

- مكدف : يا للوصف،
أدق، وأصدق، من أن يُتمل!
مالكولم : وما أحدثُ الفواجع؟
روص : إذا رويتَ الفاجعة بعد ساعة، استسخفوك،
فكل دقيقة حبل بجديده
مكدف : كيف حال زوجتي؟
روص : والله، لا بأس

(٢٠) جزء من الزي الاسكوتلندي التقليدي، قبة فيها زهرة جلية.

- ١٨٠
- مكدف : وأولادي جميعاً؟
 روص : لا بأس، أيضاً
 مكدف : لم يقتحم الطاغية عليهم سلامهم؟
 روص : لا، فقد كانوا في سلام عندما غادرتهم.
 مكدف : لا تتباخل في كلامك. كيف الامور؟
 روص : عندما جئت هنا لأنقل النبا الذي حملته عبثاً ثقيلاً، جرت شائعة تقول إن العديد من كرام الناس قد أعلنوا العصيان. وقد كان الشاهد عليها، لكي أصدقها، أني رأيت جيش الطاغية يتحرك. ساعة العون هي الآن. (مالكولم) عينك في اسكوتلندة لسوف تخلق الجند، وتجعل نساءنا يحاربن لكي يخلصن عنهن آلامهن المرعبة
- مالكولم : فليكن عزاؤهم
 أنا قادمون هناك. ملك انكلترة الكريم أعارنا سيوارد الباسل، وعشرة آلاف رجل. ولن يعلن العالم المسيحي عن جندي أفضل أو أكثر مراساً
- ١٩٠
- روص : ليتني أستطيع الاجابة على هذا العزاء بعزاء مماثل! ولكن بي كلمات تودلو تنطلق عويلاً في الفضاء الففر حيث لن يمك بها سمع انسان
- مكدف : ما مفادها؟
 القضية العامة؟ ام حزن خاص موثله صدر واحد؟
- روص : ما من نفس شريفة

إلا ولها فيه حصّة من أسي، ولو أن معظمه
يخصك أنت.

مكدف : إن يَحْصُنِي أنا،

فلا تُحْجِبْه عني. أفض به إليّ بسرعة.

روص : لا تدع أذنيك تحتقران لساني إلى الأبد

لأنه سيسمعهما أفجع صوت
سمعتاه أبداً.

مكدف : هه! حزرته!

روص : قلعتك فوجئت، وزوجتك وأطفالك

بوحشية دُبِحوا: أما أن أروي كيف،

فإنه يعني أن أضيف إلى مصرع هؤلاء الأطباء
مصرعك أنت.

مالكولم : يا رحمة السماء!

ماذا يا رجل! لا تنزل قبعتك على جبهتك:

هب الحزن كلمات. فالفجيعة التي لا تنطق

إنما تهامس القلب الفانض، وتأمره بأن يتحطم.

مكدف : وأولادي أيضاً؟

روص : زوجتك، وأولادك، وخدمك، وكل من

عشروا عليهم

مكدف : وأنا غائب!

زوجتي قُتلت أيضاً؟

روص : كما قلت.

مالكولم : لك العزاء...

لنجعل من انتقامنا العظيم دواءً

يشفي هذا الحزن القاتل.

مكدف : لا أولاد له. أطفالي الجميلون كلهم؟

هل قلت كلهم؟ يا حداة الجحيم! كلهم؟
ماذا، أفرaxي الجميلون كلهم: وأمهم،
بانقضاضة عاتية واحدة؟

٢٢٠ مالكولم : قارعها كرجل.
مكدف : سأفعل.

ولكنني أشعر أيضاً كرجل.
وهل لي الا أن اتذكر ما كان لي
ما كان أؤمن ما في الحياة لي. هل أبصرت السماء ذلك،
ورفضت أن تدفع عنهم؟ ايها الخاطيء مكدف!
مصرعهم جميعاً من أجلك. أنا اللاشيء
لا لآثامهم، بل لآثامي أنا،

وقعت المجزرة على أرواحهم: اراحتهم السماء الآن!
٢٣٠ مالكولم : ليكن هذا حَجَرِ الْمَسْنِ لسيفك. دع الحزن
ينقلب إلى غضب. لا تثلم القلب، بل هج غضبه.

مكدف : آه، لكان بوسعي أن ألعب دور المرأة بعيني
ودور المتبجح بلساني. ولكن، أيتها السماء الخيرة^(٢١)
اختصري كل تأخير! جيثيني
بهذا الابليس السكوتلندي وجهاً لوجه معي،
ضعيه في مدى السيف مني، فإذا نجا
ساعته السماء هو أيضاً!

مالكولم : هذه نقمة الرجال.
هيا بنا إلى الملك.. جيثنا جاهز.

(٢١) كان في عهد شكسبير قانون يمنع المثليين من إساءة استعمال اسم الجلالة، أو اسم المسيح، أو الروح القدس، كما يمنعهم من ذكر هذه الأسماء بصحبة ما يوحي بالنفك أو الاثم. الكلمة الشكسبيرية هنا، على الأرجح، هي «الله» في الأصل، غير أن المثليين يستبدلونها بكلمة السماء، خوفاً من عقاب القانون، كانت الغرامة عشرة جنيهات عن كل مرة يقع فيها ذكر الله في مثل الحالات المنصوص عليها.

ما بنا حاجة إلا للاستئذان .
مكبث حان قطافه ، والقوى العُلوية
ترتدي سلاحها .
تقبل من البشر ما تستطيع
طويل هو الليل الذي لن يطلع النهار عليه .
(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

دنسينان. غرفة في القلعة

يدخل طبيب علاج وسيدة وصيفة

طبيب : لقد سهرت ليلتين معك، ولا أستطيع أن أتبين أي صدق فيما أخبرتني. متى كانت آخر مرة مشيت فيها؟

سيدة : منذ أن ذهب جلالته إلى الميدان، رأيتها تنهض من فراشها، تلقي بمنامتها على جسمها^(١)، تفتح خزانها، تخرج ورقة، تطويها^(٢)، تكتب عليها، تقرأها، وبعد ذلك تحتّمها، ثم تعود ثانية إلى الفراش: هذا كله وهي في نوم عميق جداً.

طبيب : انه لخلل كبير في البدن، أن يتلقى فائدة النوم، وفي الوقت نفسه يؤدي أفعال اليقظة! في هذا الاضطراب السباتي، فيما عدا مشيها والحركات الفعلية الأخرى، ما الذي في أي وقت سمعتها تقول؟

سيدة : أمور يا سيدي لن أخبر عنها.

طبيب : لك أن تجربيني أنا، بل من الضروري جداً أن تفعلني.

(١) في المسرحية أكثر من إشارة تدل على أن مكبت وزوجته بنامان في الفراش عارين. ويبدو أنها كانت عادة شائعة

(٢) أي تطوي الحاشية منها لتحدث فيها هامشاً

سيدة : لا أنت، ولا غيرك، دون أن يكون لدي شاهدٌ يثبت ما أقول.

تدخل ليدي مكبث، بيدها شمعة

أنظرا! ها هي مقبلة. هذا هو غرارها بالضبط. وهي وحق حياتي نائمة نوماً عميقاً راقبها. اخف نفسك.

طبيب : من أين لها ذلك النور؟

سيدة : إنه موجود بقربها. فهي تجعل نوراً بجانبها باستمرار. انه أمر منها.

طبيب : أترين، عيناها مفتوحتان.

سيدة : نعم، ولكن حسهما مغلق.

طبيب : ما الذي تفعله الآن؟ أنظري كيف تفرك يديها.

سيدة : من عاداتها أن تفعل هذا، وتبدو أنها تغسل يديها. وجدتها أحياناً تفعل هذا لربع ساعة.

ليدي مكبث: ما زالت هنا بقعة.

طبيب : اسمعي! إنها تتكلم. سأدون ما يدر عنها، لأدعم ذاكرتي دعماً أقوى

ليدي مكبث: زولي، أيتها البقعة اللعينة! أقول، زولي! واحدة، اثنتان^(٣):

هه، إذن حان الوقت لفعالها. جهنم مظلمة. عيب، مولاي،

عيب! أجندي ومدعور؟ لم نخشى من يعرفها، حين لن

يكون ثمة من يستدعي سلطتنا للحساب؟ ولكن من كان

يظن أن هذا الشيخ فيه هذا الدم الكثير؟

طبيب : هل انتبهت لذلك؟

ليدي مكبث: أمير فايف كانت له زوجة: أين هي الآن؟ ماذا، ألن تنظف

(٣) ليدي مكبث تتخيل انها تسمع الساعة تدق.

أبدأ هاتان البدان؟ كفى، يا مولاي، كفى: إنك تفسد كل شيء بانتفاضك هذا.

طبيب : واه! علمت ما يجب ألا تعلميه^(٤)!

سيدة : لقد نطقت ما يجب ألا تنطق، أنا واثقة. والله اعلم بما هي تعلم.

ليدي مكبث: هنا ما زالت رائحة الدم: عطور بلاد العرب كلها^(٥) لن تطيب هذه اليد الصغيرة. آه! آه! آه!

طبيب : يالها من تنهدة! القلب مشحون ومثقل.

سيدة : لا أريد قلباً كهذا في صدري، ولو أعطيت رفعة الجسم كله.

طبيب : طيب، طيب، طيب

سيدة : نرجو الله أن الأمر كذلك، سيدي.

طبيب : هذا المرض لا يدركه فني: ومع ذلك فقد عرفت أناساً يمضون في نومهم، ماتوا طاهرين في فراشهم.

ليدي مكبث: اغسل يديك، البس منامتك، لا تبدُ شاحباً هكذا. أقولها لك ثانية، بانكوكو قد دُفن: لن يستطيع الخروج من قبره.

طبيب : أحتى هكذا؟

ليدي مكبث: إلى الفراش، إلى الفراش: هناك قرع على الباب. تعال،

تعال، تعال، تعال، أعطني يدك. ما صنع لا يمكن أن

يتقَضَّ صنُعه. إلى الفراش، إلى الفراش، إلى الفراش.

(تخرج)

طبيب : هل ستذهب الآن إلى فراشها؟

سيدة : مباشرة.

(٤) هذه الكلمات ليست موجهة للسيدة الوصيعة.

(٥) كانت بلاد العرب في الأدب العربية، منذ عهد الاغريق، تعتبر بلاد البخور، وبالتالي بلاد الطيب والمعطور.

طبيب : يدور بين الناس تهامس ذميم . الافعال الشاذة
إنما تولد الشواذ من المموم : والاذهان إذا وُبتت
أطلقت لوسائدها الصماء اسرارها .
إن بها حاجة إلى الكاهن أكثر منها إلى الطبيب .
ألا غفر الله لنا جميعاً! اعتني بها .
أبعدي عنها كل وسائل الأذى ،
وأبقها دوماً تحت ناظريك . تصبحين على خير .
ذهني شوشته ، وأدهشت بصري
أفكر ، ولكن لا أجراً على الكلام
سيده : تصبح على خير، أيها الطبيب الكريم .

المشهد الثاني

الريف قرب دنسينان

يدخل، مع الطبول والبيارق، متيث، كائيس، آنفس،
لينوكس، وجنود

متيث : الجيش الانكليزي قريب، يقوده قُدماً مالكولم،

وخاله سيوارد، ومكدف !! لهم .

الانتقام يشتعل فيهم، قضاياهم العزيزة

تثير حتى أشباه الموق

إلى حومة الدم والنفير المحموم .

آنفس : سيكون أفضل لقائنا بهم قرب غابة بيرنام :

إنهم في ذلك الطريق قادمون

كائيس : من يعلم ايرافق دونالين أخاه؟

لينوكس : لا شك يا سيدي أنه لا يرافقه . عندي قائمة

بأسماء السادة كلهم : هناك ابن سيوارد،

وفتية عديدون لم يخشونوا بعد، يعلنون الآن

أول رجولتهم .

متيث : وما الذي يفعله الطاغية؟

كائيس : لقد عزز تحصين دنسينان العظيمة .

البعض يقول انه قد جُنَّ، والبعض ممن هم أقل كراهية له،
يسمي ذلك هوجاً شجاعاً. ولكن المؤكد
هو أنه عاجز عن حصر أمره المتفاقم
ضمن نطاق السيطرة

أنفس : انه يشعر الآن

ان جرائمه الخفية لاصقة بيديه .
في كل دقيقة ثورة تعيبُ عليه نكته العهد .
والذين يأمرهم لا يتحركون سوى بالأمر
لا عن حب . إنه يشعر الآن أن لقبه
فضفاض عليه ، كرداء عملاق
على لص قزم

متيث : ومن إذن يلوم

أحاسيسه المعتقلة إن هي ثارت وانتفضت
لأنها في دخيلته ، وكل ما في دخيلته
يشجب نفسه؟

كائيس : حسناً. فلنبداً الزحف،

لنعطي الولاء حيث يستحق الولاء .
لنلتق بطبيب الامة المريضة،
ونسكب معه تطهيراً وشفاء للوطن
كل قطرة فينا

لينوكس : أو ما يكفي

لسقي زهرة الشفاء الملكية، وإغراق الدغل .
ولنتجه بزحفنا صوب بيرنام .

(يخرجون في مسيرة)

المشهد الثالث

دنسينان. غرفة في القلعة

يدخل مكبث، وطبيب، ومرافقون

مكبث : لا تأتي بأي تقرير بعد. فليهربوا جميعاً^(٦)

إلى أن تنتقل بيرنام إلى دنسينان،

لن يخالجي الفرع. ومن هذا الصبي مالكولم؟

ألم يولد من امرأة؟ الأرواح التي تعرف

عقاييل البشر كلها قالت لي جهراً:

«لا تخف يا مكبث. ما من رجل ولدته امرأة

سيتغلب يوماً عليك.» إذن، فاهربوا يا أمراء خونة،

وخالطوا الأبيقوريين الإنكليز^(٧)

فلا العقل الذي يحكمني، ولا القلب الذي أحمل،

سيذوي شكاً، أو يرتعد هلعاً

١٠

يدخل خادم

سَخَطَكَ الشيطانُ عبداً أسود، يا وغداً حليبيُّ الوجه!

(٦) يقصد الأمراء.

(٧) يقول المؤرخ هولنشيدي: «لم يكن الاسكوتلنديون فيها مضى يعرفون أو يفهمون الأطعمة الفاخرة أو النخمة المعربة. . هذه الكماليات دخلت القطر مع الإنكليز. .»

من أين لك سحنة الاوزة هذه؟

- خادم : هناك عشرة آلاف
مكبث : أوزة، يا نذل؟
خادم : جندي، ياسيدي
مكبث : إذهب، ونخز وجهك، وموه خوفك بالأحمر،
يا ولد اذنبي الكبد^(٨). أي جنود، يا مهرج؟
موتاً لروحك! خَدَاك بلون الخام
يلقنان الفرع. أي جنود، يا وجهها من لبن؟
خادم : الجيش الانكليزي، لطفأ
مكبث : أغرب بوجهك عني!

(يخرج الخادم)

- ٢٠ سيتون! بيتش قلبي
عندما أرى سيتون! هذه الواقعة
سوف تبهجني ابدأ، أو تطيح بي الآن.
حسبي من العمر ما رأيت: طريق حياتي
يهبط بي إلى الذبول، إلى اصفرار أوراق الشجر.
وما ينبغي أن يقترن بالشيخوخة
من تكريم، وحب، وطاعة، والاصدقاء زرافات،
عليّ ألا أتوقعه، بل أتوقع عوضاً عنه
اللعنات، لا جهورية، بل عميقة، والتكريم شفهيأ، والنفس
عما يودّ القلبُ المسكين لو ينكره، ولا يجراً
سيتون!

يدخل سيتون

(٨) الكبد الزنبقية البيضاء من إشارات الجبن.

- ٣٠
- سيتون : ماذا ترغبون جلالتكم؟
 مكبث : هل من جديد؟
 سيتون : كل ما جاء في الأخبار، يا مولاي، قد تأكد
 مكبث : سأقاتل، إلى أن يجرد لحمي عن عظمي
 أعطني درعي
 سيتون : لم يحن الوقت له بعد
 مكبث : سألبسه
 أرسلوا المزيد من الفرسان، أمشطوا القطر كله .
 أشنقوا كل من يتحدث عن الخوف. اعطني درعي
 كيف حال مريضتك، يا طبيب^(٩)؟
 طبيب : مولاي، إنها ليست مريضة
 بقدر ما هي مضطربة بالأخيلة المنهالة عليها،
 والتي تحجب عنها الراحة .
 مكبث : اشفها من ذلك .
 ٤٠
 أما بوسعك أن تداوي ذهناً عليلاً،
 أن تقتلع من الذاكرة حزناً مجذراً،
 أن تمحو الموموم المدونة في الدماغ،
 وبترياق نسياني عذب
 تنظفُ الصدر المكتظ من ذلك الحشو الخطر
 الذي ينوء بوقره القلب؟
 طبيب : في حالة كهذه على المريض
 أن يداوي نفسه .
 مكبث : ارم الدواء للكلاب. إني أرفضه .

(٩) في النص يدخل الطبيب في بداية هذا المشهد. ولكن الأفضل تأخير دخوله حتى هذه النقطة، لأن ليس له ما يفعله أو يقوله في القسم الأول من المشهد.

- تعال، البسني درعي . أعطني صولجاني
 سيتون، أصدر الاوامر - يا طيب، الامراء يهربون مني .
 ٥٠ هيا، يا رجل، اسرع. إن يكن في مقدورك يا طيب،
 أن تفحص أورام بلادي، وتشخص علّتها،
 وتطهرها عودة إلى عنفوان الصحة،
 أهتف لك حتى الصدى الذي
 سيهتف من جديد. اسحبها يا رجل
 أي راوند، أي سنا^(١٠)، أي عَقَار مُسهل،
 بوسعه إخراج هؤلاء الانكليز من هنا؟ هل سمعت بهم؟
- طبيب : نعم يا مولاي . استعدادك الملكي
 يجعلنا نسمع ببعض الامور.
 مكبث : جىء به خلفي^(١١)
 لن أخاف الموت والتهلكة
 حتى تأتي غابة بيرنام إلى دنسينان.
 (يخرج)
- ٦٠ طبيب : (جانياً) لو كنت بعيداً وعلى مدى السلامة من دنسينان
 لما اجتذبتني هنا مغنم مرة أخرى.
 (يخرج الطبيب وسيتون)

(١٠) نباتان لها مفعول المسهل .

(١١) يقصد بذلك بعضاً من سلاحه .

المشهد الرابع

الريف قرب دنسينان. غابة في مدى البصر

يدخل مع الطبول والبيارق، مالكولم، الشيخ سيوارد وابنه،
مكدف، متيث، كائيس، آنفس، لينوكس، روص، وجنود،
في مسيرة

مالكولم : يا اولاد العم، أرجو أن قد دنت الأيام
التي ستكون فيها حُجراتنا آمنة سالمة.

متيث : لا نشك في ذلك قطعاً.

سيوارد : أية غابة هذه التي أمامنا؟

متيث : غابة بيرنام.

مالكولم : ليقطع كل جندي له غصنا،

ويحمله أمامه: بهذا سنغطي

على عدد جشنا، ونجعل المستطلعين

يخطئون في تقريرهم عنا.

جندي : سننفذ الامر

سيوارد : لا نعلم إلا أن الطاغية الواصل من نفسه

ما زال مقيماً في دنسينان، وسيسمح لنا

بحصارها.

١٠ مالكولم : هذا أمله الاكبر

لأن الكبار والصغار، حيثما وجدوا
فرصة للخروج، توردوا عليه،
ولا يخدمه الا المغلوبون على امرهم،
والذين قلوبهم غائبة كذلك.

مكدف : لترك حكمننا الصحيح
إلى أن تبين النتيجة الفعلية، ولتتحلَّ
بالجنديّة المُجدَّة.

سيوارد : قريب هو الوقت الذي
سيعلشنا، بعد النهاية الفاصلة،
ما نقول أننا هذا اليوم أم علينا.
فالتكهنات لا تروى إلا آمالاً غير مؤكدة،
أما النتيجة المؤكدة فلن تحسمها إلا الضربات.
٢٠ وباتجاهها فلندفع الحرب!

(بمخرجون، في مسيرة)

المشهد الخامس

دنسينان. داخل القلعة

يدخل، مع الطبول والبيارق، مكبث، سيتون، وجنود

مكبث : علقوا راياتنا على الأسوار الخارجية.
ما زالت الصيحة هي: «انهم قادمون»! قوة قلعتنا
ستضحك هزءاً من الحصار. فليبقوا هنا
إلى أن تلتهمهم المجاعة والحمى
لو لم يمدوا بقوات هي قواتنا
لقابلناهم بالتحدي، لحية للحية،
ورددناهم مهزومين إلى بيوتهم. ما هذا الصوت؟
(صراخ نساء من الداخل)

سيتون : انه صراخ النساء، مولاي الكريم.
(يخرج)

مكبث : لقد كدت أنسى طعم المخاوف.
مرَّ بي زمنٌ كانت حواسي فيه تجمد
إن أنا سمعت زعقة في الليل، وكانت فروة رأسي
عند سماعي قصةً مرعبة تُثار وتتحرك،
كان فيها حياة. لقد أُطعمتُ ألواناً من الرعب حتى شبعت:

والهول الذي تعودته أفكاره القاتلة
لن يستطيع أن يجفلي بعد، مرة واحدة.
يدخل سيتون ثانية

فيم كانت الصرخة تلك؟

سيتون : الملكة، يا مولاي، قد ماتت.

مكبث : لكان حرياً ان تموت فيما بعد: (١٢)

ولكان ثمة وقت للكلمة كهذه (١٣)
غداً، وغداً، وغداً،

وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً اثر يوم،

حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب،

وكل آماننا قد أنارت للحمقى المساكين

الطريق الى الموت والتراب. الا انطفئي يا شمعة وجيزة!

ما الحياة الا ظل يمشي، ممثل مسكين

يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح،

ثم لا يسمعه أحد: إنها حكاية

يحكيها معتوه، ملؤها الصخب والعنف،

ولا تعني أي شيء.

(يدخل رسول)

جئت لتعمل لسانك. قَصَّتْكَ، بسرعة!

رسول : مولاي الكريم،

علي أن أخبر بما رأيت،

(١٢) العبارة في الأصل توحى على الأقل بمعنىين اثنين: «كان لا بد لها أن تموت يوماً ما»، و«كان الأفضل لو تأجل موتها إلى ساعة أفضل من هذه، لو عاشت حتى تلك الساعة لكان ثمة وقت أشد ملاءمة للكلمة كهذه». «تعدد المعاني في العبارة الواحدة من ميزات شعر شكسبير.

(١٣) أي: «الملكة قد ماتت.»

ولكنني لا أعرف كيف أخبر.

مكيث : طيب، تكلم، يا رجل.

رسول : فيما كنت أقوم بحراستي على التل،
أرسلت بصري إلى بيرنام، وفي الحال خُيِّل إليّ
أن الغابة بدأت تتحرك.

مكيث : كذاب، وعبد!

رسول : سلَّط عليّ غضبك، إن لم يكن الأمر كذلك.
لك أن تراها قادمة على مدى أميال ثلاثة.
أقول انها أجمّة تتحرَّك .

مكيث : إن كنت كاذباً فيما تقول

ستعلق حياً على أقرب شجرة،
إلى أن يتكمش جلدك جوعاً. وإن كنت صادقاً،
لن يهمني لو أنت فعلت بي ذلك . -

إني لأجرّ عنان العزم^(١٤)، وأبدأ
أشك في كلام الشيطان بلسانين

إذ يكذب كالصدق: «لا تخف، حتى تأتي

غابة بيرنام إلى دنسينان.» - وها غابة بيرنام

تأتي صوب دنسينان. - تسلحوا، تسلحوا، واخرجوا!
فإذا بدا هذا الذي يؤيده،

لامهرب ثمة من هنا، لا ولا مكوث كذلك.

بدأت أسأم الشمس،

وأود لو أن هيكل الكون الآن يتحطّم ..

اقرعوا جرس الانذار! - يا ريح هبي، ويا مخلعة أقبلي!

لنموتن، في الأقل، والعدة على ظهورنا.

(ينخرجون)

(١٤) . اي: «ما عدت قادراً على ترك العنان على الغارب لثفتي وعزيمتي.»

دنسينان. سهل امام القلعة

يدخل، مع الطبول والبيارق، مالوكولم، الشيخ سيوارد،
مكدف، الخ، وافراد جيشهم وهم يحملون الأغصان.

مالكولم : والآن، كفى قريباً. ألقوا عنكم سُتْرُكم الشجرية،
وابرزوا كما أنتم. - خالي العزيز، أنت
مع ابنك النبيل، ابن خالي،
ستقود قلب جيشنا الأول: ونحن ومكدف الكريم
سنأخذ على عواتقنا فعل ما تبقى،
حسب خطتنا.

سيوارد : استودعكم الله. -

لنلقَ جيش الطاغية الليلة،
ولنتهزم إن نحن لم نحسن القتال!

مكدف : لتنطق أبوابنا كلها! مدوها جميعاً بالنفس -
هذه الرسل الصاخبة بالردى والدم!

دنسينان. موقع آخر من السهل

(يدخل مكبث)

مكبث : لقد أوثقوني بخشية: فلا أستطيع الهرب،
وعليّ كالدب أن أقاتل حتى نهاية الجولة^(١٥).
من ذاك الذي لم تلده امرأة؟ رجل كذاك
علي أن أهاب، دون سواه.

(يدخل سيوارد الابن)

سيوارد الابن: ما اسمك؟

مكبث : سترتعب إن سمعته.

سيوارد : أبدأ، حتى لو دعوت نفسك باسم أهب
من أي اسم في الجحيم.

مكبث : اسمي مكبث.

سيوارد : ليس للشيطان نفسه أن ينطق اسماً

(١٥) كان من ألعاب الناس في عهد شكسبير لعبة «تمذيب الدب»، وذلك بأن يوثق دب بسارية، ويمطى بعض المجال بطول من الحبل الذي يربطه بالسارية، وتطلق عليه الكلاب. فيدور ويدور بالحبل حول السارية إلى أن ينتهي مجاله. وكانت اللعبة في «جولات» - كالملاكمة أو المصارعة اليوم.

أكره منه لأذني .

مكبث : لا ، ولا أربب منه .

سيوارد : تكذب ، أيها الطاغية المقيت : ويسيفي
سأبرهن على أكذوبتك .

١٠

(يتفانلان ، ويسقط سيوارد الابن قتيلًا)

مكبث : لقد ولدتك امرأة . -

غير أن السيوف ابسُم لها ، والسلاح أضحك منه هزءاً ، إذا
أشهرها رجل هو وليد امرأة .

(يخرج)

نفير . يدخل مكدف

مكدف : الجلبة أسمعها من هناك . - أيها الطاغية ، أرنا وجهك .

إن أنت قُتلت بضربة من غير سيفي

لن تبارحني أبداً أشباح زوجتي وأولادي .

لا أقدر أن أضرب المشاة البائسين ، الذين أُجروا

لحمل رماحهم : أما أنت ، يا مكبث ،

أو أنني سأغمد سيفي عاطلاً ثانية ،

لم تتل ضربةً من شفرته .

لا بد أنك هناك . . .

هذه الضوضاء الكبيرة تنبئ

عن شخص كبير . . دعيني يا ربة الحظ ألقاه!

وأكثر من ذلك لن أتمس .

٢٠

(يخرج)

يدخل مالكولم والشيخ سيوارد

سيوارد : من هنا ، يا مولاي . - القلعة استسلمت بغير عنف .

جماعة الطاغية على الجانين تقاتل .
والأمراء النبلاء يبدون بسالة في الحرب .
يكاد اليومُ يعلن بنفسه أنه لك ،
ولم يبق إلا القليل .

مالكولم : لقد التقينا أعداء
يَضْرَبون معنا .

سيوارد : سيدي ، ادخل القلعة .
(بمخرجان . نفير)

المشهد الثامن

موقع آخر من ساحة القتال

(يدخل مكبث)

مكبث : لماذا علي أن ألعب دور الأحمق الروماني، وأموت^(١٦)
على سيفي أنا؟ ما دمت أرى أحياء، فإن الجروح
تبدو أليق بهم.

يدخل مكدف

مكدف : استدر، يا كلب الجحيم، استدر!
مكبث : من دون الرجال جميعهم تجنبتك أنت:
ولكن عد، فإن نفسي مثقلة جداً
بدماء أهلك.

مكدف : لا كلمات عندي:
إنما صوتي بسيفي، يا نذلاً دموياً
تعجز الألفاظ عن وصفك!

(١٦) أمثال كاتو، وبروتس، وأنطونيو. كان الروماني إذا أدرك أنه قد هزم، يلقي بنفسه على سيفه، ويتحر.

(يتقاتلان)

١٠ مكبث : أنت تضيع جهدك :
إن كان بوسعك أن تطيع بسيفك الماضي
هواء لا يُقطع، استطعت نزع دمي .
إهو بشفرتك على هامات تنجرح،
أما أنا فأحمل حياة مسحورة، لن تستسلم
لرجل ولدته امرأة .

مكدف : فلتياس من سحرك،
ودع الملاك الذي رحمت تخدمه^(١٧)
يخبرك بأن مكدف من رحم أمه
انترع قبل أوانه .

٢٠ مكبث : ملعون ذلك اللسان الذي يخبرني بهذا،
لأنه زعزع العنصر الاسمي في كإنسان^(١٨) .
ولا يُصدّقن أحد بعد اليوم هذه الشياطين المشعوذة،
التي تخاطبنا بمعنيين اثنين معاً،
تحفظ كلمة الوعد للأذن مناً،
وتنقضها لرجائنا . لن أقاتلك .

مكدف : إذن سلم نفسك يا جيان،
وعش عُرْضَةً وَمَشْهَدَةً للعصر:
ولسوف نعلق رسمك على السارية،
كما نفعل بالنادر من الوحوش، وتحتة نكتب:
«تفرّجوا هنا على الطاغية .»

(١٧) يقصد ملاك الشر، كمقابل ملاك الخير.

(١٨) أي روجه، أو عقله .

مكبث : لن أسلم نفسي
 لأقبل الأرض أمام قدمي الصبي مالكولم،
 وتقذفني الدماء بلعناتها.
 رغم أن غابة بيرنام قد جاءت إلى دنسينان،
 وأنت غريمي الذي لم تلده امرأة،
 فإني سأحاول المحاولة الأخيرة: قدامَ جسيمي
 ها أنا أقذف ترسي الحربي: تهباً، مكدف!
 وليكن ملعوناً من يصيح أولاً: «قف، كفى!»
 (يخرجان وهما يتقاتلان. نفيّر يتكرر.
 يدخلان ثانية وهما يتقاتلان، ويقع مكبث صريعاً.)

المشهد التاسع

داخل القلعة

- تراجع. نفير. يدخل، مع الطبول والبيارق،
مالكولم، الشيخ سيوارد، روص، أمراء، وجنود
- مالكولم : ليت من تفتقد من أصدقاء يصلون سالمين
سيوارد : لا بد للبعض من مِضي. ولكن من هؤلاء الذين أرى
أمامي،
لي أن أقول أن يوماً عظيماً كهذا رخيصاً اشتريناه،
مالكولم : مكدف مفقود، وابنك النبيل.
روص : ابنك، يا مولاي، دفع دَين كل جندي:
لقد عرف من العمر ما بلغ به الرجولة وحسب،
وما كاد يُثبت أن به بأس الرجال
في الموقع الذي قاتل فيه ولم يتزحزح عنه،
حتى مات ميتة الرجال.
- سيوارد : أمأهت إذن؟
روص : نعم، وجيء به من الميدان. دافَعك للحزن
يجب ألا يقاس بقدره، لأنه حينئذ
لن تكون له من نهاية.

سيوارد : هل كانت جروحه في مُقَدِّمِهِ؟

روص : نعم، على الجبين.

سيوارد : إذن جنديُّ الله هو!

لو كان لي بنون بعدد شعرات رأسي،

لما تمنيت لهم ميتة أجمل.

فليكن هذا الناقوس الذي يقرع له.

مالكولم : إنه أهل لحداد أكثر،

وهذا ما سارتبه له.

سيوارد : لا، إنه ليس أهلاً لحداد أكثر.

يقولون انه رحل رحيلاً لائقاً وسدد ما عليه:

إذن كان الله معه! - هنا عزاء جديد يُقبل.

(يدخل مكدف، حاملاً رأس مكبث)

٢٠

مكدف : سلاماً أيها الملك! لأنك الآن ملك.

انظر إلى رأس المغتصب اللعين: لقد تحرر الزمن!

أراك محاطاً بلائيء مملكتك،^(١٩)

وهم ينطقون تحيتي في صدورهم:

إني أطلب الآن أصواتهم جهورية مع صوتي، -

سلاماً، يا ملك اسكوتلندة!

الكل : سلاماً، يا ملك اسكوتلندة!

(نغير)

مالكولم : لن ننفق كثيراً من الوقت

قبل أن نكافئكم جميعاً على حبكم،

ونكون قد أدينا حقكم علينا. أمراي وأقربائي،

(١٩) كأنه تاج، ونبلاء المحيطين به اللالء المحيطة بالتاج.

- كلكم منذ هذه اللحظة ايرلات - أول من تكرم اسكوتلندة
بلقب كهذا. وما تبقى علينا فعله،
٣٠ مما سنزرعه من جديد في الأيام القادمة -
كدعوة أصدقائنا المنفيين إلى الوطن،
المهاجرين من الطغيان اليقظ وأحابيله،
والعنثور على المؤيدين القساة
لهذا الجزار الصريع، ومَلِكَيْهِ الشيطانية
التي يُظَنُّ أنها قضت على حياتها
بيدها العاتية هي، - هذا، وغيره من الضرورات
التي تلح علينا، سنقوم به، بنعمة الله،
كما ينبغي قدراً، وزماناً، ومكاناً.
٤٠ إذن فالشكر لكم جميعاً معاً، ولكل واحد منكم^(٢٠)،
وندعوكم جميعاً لحضور تويجتنا في مدينة «سكون».
(نغير. يخرجون).

انتهت

(٢٠) هذه العبارة يوجهها المثل عادة إلى جمهور المشاهدين.

ملاحق

ملحق (أ)

هولنشييد

هولنشييد في كتابه «تواريخ اسكوتلنדה» (The Chronicles of Scotland) يصف كيف أن عدداً من النبلاء تم اعدامهم لتآمرهم مع الساحرات ضد الملك دَف. وكان من جملتهم بعض أقرباء دونوالد، «رئيس القلعة» «لاقتناعهم بمشاركة متمردين آخرين، عن طريق مشورة كاذبة قدمها لهم فئة من الاشرار، وليس طوعاً منهم: وعندها جعل دونوالد المذكور يندب حالهم، وجهد في التماس العفو عنهم من الملك. ولكن عندما لم يلق إلا الرفض، امتلاً في دخيلته حقداً على الملك (ولو أنه لم يظهر ذلك بشكل مكشوف أولاً)، وبقي الحقد يغلي في معدته ولم يكف، إلى أن وجد وسيلة، بتحريض من زوجته، لوانتقاماً من عقوق كهذا، لقتل الملك داخل قلعة فورس المذكورة آنفاً، حيث كان يقيم. وذلك أن الملك إذا جاء إلى ذلك الإقليم كان من عادته في الأغلب أن يبيت في تلك القلعة، لثقتة الخاصة بدونوالد، هذا الرجل الذي لم يشك فيه يوماً قط

«غير أن دونوالد لم ينس الزراية التي لحقت بأهله باعدام أقربائه أولئك، الذين جعل الملك منهم عبرة بتعليقهم على الأعواد، فكانت تظهر عليه دلائل الحزن العميق وهو في البيت بين أفراد أسرته: وإذ لحظت ذلك زوجته، لم تكف عن الترحال معه، إلى أن أدركت السرّ في سخطه. وعندما علمت ذلك بما رواه هو نفسه، ولما كانت تحمل في قلبها حقداً على الملك لا يقل عن حقه، لنفس السبب بالنسبة إليها، كما لزوجها بالنسبة إلى أصدقائه، أشارت

عليه (لأن الملك كثيراً ما كان ينزل عنده دونما حرس يحيطون به غير حرس القلعة، وهؤلاء كانوا كلياً بإمرته) بالقضاء عليه، وأرته كيف يستطيع تحقيق ذلك بأسرع ما يمكن.

«وهكذا إذ ازداد غضب دونوالت اشتعالاً بكلمات زوجته، عزم على اتباع نصيحته في تنفيذ فعلة شنعاء كهذه. ثم أخذ يفكر لنفسه زمناً كيف يجد السبيل الأفضل إلى تنفيذ قصده اللعين، سنحت له الفرصة أخيراً، وحقق غرضه كما ييلي، اتفق أن الملك عشية اليوم الذي نوى فيه الرحيل عن القلعة، بقي طويلاً في صلاته وأدعيته، واستمر حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي النهاية خرج، ودعا إليه أولئك الذين أخلصوا له الخدمة في ملاحقة المتمردين والقبض عليهم، وعبر لهم عن عميق شكره، ووزع عليهم بعض الهدايا الثمينة، وكان من ضمنهم دونوالت الذي كان يعتبر أبداً خادماً مخلصاً جداً للملك.

«أخيراً، بعد أن تحدث اليهم مدة طويلة، دخل إلى حجرته الخاصة مع اثنين فقط من مرافقيه، فأخذه إلى الفراش ثم خرجا، وانضما إلى المائدة مع دونوالت وزوجته اللذين كانا قد هياً عشاءً متأخراً، وجلسوا وسهروا معاً، وملاً كلا المرافقين معدته حتى التخممة، فما وضع كل منهما رأسه على وسادته حتى غرق في النوم، ولو نقلوا الحجرة كلها من فوق رأسيهما لما استيقظا من نومهما المخمور.

«عندئذ قام دونوالت، على شدة كرهه لهذه الفعلة في قلبه، ولكن بتحريض من زوجته، واستدعى أربعة من خدمه (كان قد اطلعهم على مآربه الشرير وأقنعهم بغرضه بالعطايا السخية)، وأعلن لهم الآن كيف يقومون بالمهمة، فأطاعوا تعليماته، ولكي ينجزوا المقتلة بسرعة، دخلوا الحجرة (التي كان الملك راقداً فيها) قبيل صياح الديك، وهناك سراً قطعوا عنقه وهو نائم، دونما أي ضجيج، وفي الحال خرجوا بالجثمان من بوابة خلفية إلى الحقول.

«أما دونوالت، في الوقت الذي كانت الجريمة فيه جارية، فذهب بين

الحراس الساهرين، وظل في صحبتهم لما تبقى من الليل. ولكن عندما ارتفع الصباح في الصباح في حجرة الملك من أن الملك قد قتل، وجثمانه قد نقل، وفراشه كله ملطخ بالدم، فإنه مع الحراس هرع إلى هناك كأنه لا علم له بالأمر، وحين دخل الحجرة وشاهد لطخات الدم في الفراش، وعلى الأرض حواليه، قتل على الفور كلا المرافقين، باعتبارهما مقترفي تلك الجريمة الشنعاء، ثم راح كالمجنون يركض جيئةً وذهاباً باحثاً في كل زاوية من زوايا القلعة كأنه قد يجد الجثمان أو أياً من القتلة تحتتاً في مكان خفي وعندما اتى في النهاية إلى البوابة الخلفية ورأها مفتوحة، حمل المرافقين اللذين قتلها عبء الجريمة كله، إذ كانت مفاتيح البوابات في عهدهما طيلة الليل، ولذا كان ولا بد أنها (قال دونالد) متفقان مع آخرين على ارتكاب جريمة القتل الأثمة تلك.

«وقد بالغ في جده واجتهاده في التحقيق الشديد ومحكمة المذنبين المتهمين، حتى بدأ بعض اللوردات في النهاية يمتعضون للأمر، ويشتهون من بعض الدلائل الحاذقة أنه ليس كلياً بالبريء، ولكنهم ما داموا في ذلك البلد، حيث يتمتع هو بالحكم المطلق، ويسبب أصدقائه وسلطته معاً، كانوا يجمعون عن الإفصاح عما يظنون؛ إلى أن يسر لهم الزمان والمكان فرصة أفضل، هكذا رحل كل منهم إلى داره ولسته أشهر معاً بعد هذه الجريمة الشنعاء لم تطلع شمس في النهار ولا قمر في الليل في أي جزء من المملكة، بل كانت السماء دوماً مكسوة بالسحب المستمرة، وكانت تهب أحياناً رياح هوجاء تصحبها البروق والعواصف فيصاب الاهلون بالذعر من دمار وشيك...»

«والمشاهد الوحشية أيضاً التي شوهدت في المملكة الاسكوتلندية كانت هذه: الخيول في لوثيان، المتميزة بجمالها وسرعتها، جعلت تأكل لحم بعضها البعض، وترفض أن تأكل أي طعام آخر. وفي آنفس ولدت سيدة طفلاً بلا عيين، أو أنف، أو يد، أو قدم. وكان هناك أيضاً صقر خنقه بوم. ولم يكن أقل مدعاة للدهشة أن الشمس بقيت مكسوة باستمرار بالسحب لمدة ستة أشهر. غير أن الناس جميعاً فهموا أن مقتل الملك دف كان هو السبب في ذلك» (ص ١٤٩ - ١٥٢)

هناك مقطع فيها بعد يصف صوتاً غامضاً على أثر قتل الملك كينث ابن أخيه:

«وهكذا كان له أن يبدو سعيداً للناس جميعاً، متمتعاً بحب السادة والعوام معاً، غير أنه بينه وبين نفسه كان يبدو شقيماً جداً، كمن لا يستطيع العيش إلا وهو في خوف مستمر من أن فعله الشرير بخصوص موت مالكولم دف سينكشف لمعرفة العالم. فالذي يحدث هو أن أولئك الذين يقرعهم الضمير لأي جرم خفي اقترفوه، يبقون ابداً في اضطراب من الذهن. وكما قيل، اتفق أن صوتاً سمع وهو في فراشه ليلاً يطلب الراحة، يقول له هذه الكلمات أو ما يشبهها: «لا تحسبن يا كينث أن المصرع الخبيث الذي دبرته لمالكولم دف يبقى خفياً على الله السرمدي: أنت الذي تأمرت على موت البريء، مقترفاً بوسائل الغدر في حق جارك ما كنت ستأثر له بشديد العقاب لو قام به أي من رعاياك تجاهك أنت. ولذلك فليحدثن أن تنال أنت ونسلك بانتقام عادل من ربك القادر على كل شيء، العقاب الملائم، عاراً على بيتك واسرتك إلى الأبد. ففي هذه الساعة بالذات ثمة تدابير سرية لازمتك انت ونسلك عن الطريق لكي يتمتع آخر بهذا الملك الذي تحاول ضمانه لنسلك»

«وارتعب الملك لهذا الصوت، وقضى تلك الليلة دون أن يطرق النوم جفنيه» (ص ١٥٨)

«بعد مالكولم، خلفه حفيده دنكن ابن ابنته بياتريس. فقد كان لمالكولم ابتان، احدهما بياتريس المتزوجة من رجل يدعى ابانات كرينن، وكان ذا نبيل عظيم وأمير الجزر والاصقاع الغربية من اسكوتلنדה، وكان ثمره هذا الزواج دنكن المذكور. والأخرى تدعى دواده، وقد تزوجت من سينيل أمير غلاميس، ومنه رزقت بولد يدعى مكيث، الذي كان سيداً شجاعاً، ولولا شيء من قسوة الطبع فيه، لاعتبر الأجدد بحكم المملكة. ومن الناحية الأخرى، كان دنكن ليناً رقيق الطبع، بحيث تمنى الناس لو أن مزاج وسلوك ابني العم هذين يتعدلان ويتم تبادلها بينهما، فحيثما يبالغ الواحد بالرأفة، والآخر بالقسوة، لكانت الفضيلة الوسط بين هذين الطرفين تتحكم بانقسامها قسمة عادلة

بينهما، فيكون دنكن ملكاً جديراً، ويكون مكبث قائداً ممتازاً. وكانت بداية حكم دنكن وادعة جداً وسالمة دونما اضطراب يذكر. ولكن عندما لوحظ مدى إهمال الملك عقاب المسيئين، استغل ذلك العديد من العصاة فأقلقوا راحة وطمأنينة الدولة بحركات من الشعب كانت بدايتها أول الأمر على النحو التالي.

«بانكوهو أمير لوخكوهابر، ومنه ينحدر آل ستيوارد الذين ما زالوا حتى يومنا هذا بنظام السلالة يتمتعون منذ أمد بعيد بتاج اسكوتلنדה، إذ راح يجمع الاموال المستحقة للملك، ثم عاقب بشيء من الشدة المسيئين البارزين، إذ هاجمه عدد من المتمردين القاطنين في ذلك الإقليم وسطوا على الأموال وكل شيء آخر، وجد مشقة كبرى في النجاة حيا، بعد أن أصابوه بجروح بليغة عدة.

ولكنه حين خلع من ايديهم بعد أن شفي بعض الشيء من جروحه واستطاع ركب حصانه، ذهب إلى البلاط وقدم شكواه للملك على أخطر نحو، فغضب أخيراً أن يرسل الملك ضابطاً عسكرياً يطلب إلى المسيئين أن يحضروا ويجيبوا على ما يتهمون به من أمور: غير أنهم أضافوا إلى إساءتهم المنكرة إساءة أشد، فأهانوا الرسول بشتى أنواع التعنيف وفي النهاية قتلوه.

«وعندها لم يبق شك لديهم بأن الملك، نتيجة لهذا التصرف المهين ضد سلطانه، سيفزوهم بكل ما يستطيع من قوة، فقام مكدونوالد، وهو من ذوي الاعتبار الكبير بينهم، بتنظيم اتحاد مع أقرب أصدقائه وبنو عشيرته، واتخذ على عاتقه أن يكون قائد جميع المتمردين الذين يريدون الوقوف بوجه الملك، استمراراً بجرائمهم الخطيرة التي اقترفوها مؤخراً بحقه. وقد فاه مكدونوالد هذا بكلمات كثيرة من التحقير والتعير ضد أميره، فوصفه بالمخنث الرعديد، وقال إنه لالقي به أن يحكم جماعة من الرهبان الخاملين في ديرما، من أن يسود على محاربين شجعان أشداء هم الاسكوتلنديون. واستخدم أيضاً المكر والاغراء المزيفة حتى استطاع بوقت قصير تحشيد جيش قوي من الرجال. وذلك أن حشداً كبيراً من الناس جاؤوه من الجزر الغربية، متطوعين لعونه في ذلك الخلاف المتمرّد، كما جاءه من ارلنדה، طمعاً في الغنائم، عدد غير قليل من المشاة والفرسان، مسرورين للتطوع في خدمته ليقودهم ايها شاء.»

ويغلب مكدونوالد جيشاً يرسل لمحاربه، ويقطع رأس قائده مالكولم.
وعلى أثر ذلك يجمع دنكن مجلساً للشورى.

«وفي النهاية بعد أن تكلم مكبث طويلاً ضد لين الملك وتراخيه الزائد في معاقبة المسيئين، الأمر الذي أتاح لهم الوقت للتحشد، وعده مع ذلك قاتلاً، إذا أعطيت له ولبانكوهو القيادة، إنه سيصرف الامور بحيث يقهر المتمردين بسرعة ويخمدهم، فلا يبقى واحد منهم يستطيع المقاومة في القطر بأجمعه.

«وهذا بالضبط ما حدث: فعندما أرسل مع جيش جديد ودخل لوخكوهابر، أذعرت شهرة مقدمه الاعداء حتى هرب عدد كبير منهم سراً من القائد مكدونوالد، الذي اضطر إلى الدخول في معركة مع مكبث بما تبقى لديه من رجال. ولما غلب على أمره، وهرب لاجئاً إلى قلعة (كانت زوجته واطفاله محصورين داخلها) ورأى أخيراً أنه لا يستطيع أن يحمي حصنه من أعدائه، كما أنه لن يسمح له أن يغادره حياً إذا استسلم، قتل أولاً زوجته واطفاله، وبعدهم قتل نفسه، مخافة أنه لو استسلم وحسب، لأعدم على نحو فظيع عبرة للآخرين.»

ودخل مكبث القلعة ووجد مكدونوالد قتيلاً بين جثث الآخرين:

«فلما رآه، ولم يهدأ طبعه العاتي بالمشهد المحزن، أمر بقطع رأسه، ووضع على طرف عمود خشبي، وهكذا أرسله هدية إلى الملك... هكذا أعيد العدل والقانون إلى مجراهما القديم المعتاد، بجهد مكبث واجتهاده. وفي الحال جاء خير يقول إن سوينو ملك الترويج قد وصل إلى فايف على رأس جيش جرار، لاختضاع مملكة اسكوتلندة كلها» (ص ص ١٦٨ - ١٦٩)

«وكان سوينو هذا من القسوة بحيث لم يوفر رجلاً أو امرأة أو طفلاً، مهما يكن عمره، حاله أو منزلته، وعندما تأكد الملك دنكن من ذلك، تخلى عن الكسل والمماطلة، وشرع في تجميع جيش بأسرع ما يستطيع، كقائد باسل:

وكثيراً ما يتحول الجبان البليد أو المرء الكسول، بحكم الضرورة، إلى رجل صلب ونشط. ولذا، عندما تكامل جيشه بأجمعه، قسمه إلى ثلاثة أقسام. أونها بقيادة مكبث، وثانيها بقيادة بانكوهو، ورئس الملك نفسه قلب المعركة أو أوسط الجيش، حيث عين لمرافقته وخدمة شخصه معظم من تبقى من نبلاء اسكوتلنדה.

«ولما تم تنظيم الجيش الاسكوتلندي هكذا، زحف إلى كلروص، وهناك التقى الأعداء، وبعد معركة طاحنة، بقي سوينو منتصراً وانهزم مالكولم مع رجاله الاسكوتلنديين بيد أن الدانين كانوا قد تحطموا في هذه المعركة، فعجزوا عن مطاردة أعدائهم طويلاً، بل أبقوا أنفسهم في نظام المعركة طوال الليل، لثلاثا يتجمع الاسكوتلنديون ثانية هناك، ويهاجمهم والوضع نوعاً ما في صالحهم. وفي الصباح، حين بان الميدان، ولم يروا أحداً من اعدائهم فيه. جمعوا الغنائم ووزعوها بينهم وفق شريعة القتال. وكان عندئذ أن تقرر بأمر من سوينو أن على كل جندي ألا يؤذي أي رجل أو امرأة أو طفل، سوى اولئك الذين يرونهم وبأيديهم السلاح مستعدين للمقاومة، لأنه أمل الآن أن يفتح المملكة دون سفك المزيد من الدماء.

«ولكن عندما أخبر بأن دنكن قد هرب إلى قلعة بيرثا، وأن مكبث راح يحشد جيشاً جديداً لمقاومة غزوات الدانين، رفع سوينو خيامه، وتوجه إلى القلعة المذكورة، وأقام حولها الحصار. وحين رأى دنكن نفسه محاطاً بالأعداء، أرسل سراً، بنصيحة من بانكوهو، إلى مكبث يأمره بالموث في إنخكوتهل إلى أن يأتيه منه خبر آخر. وفي أثناء ذلك تظاهر دنكن بالتفاوض مع سوينو، كأنه يريد تسليم القلعة له مقابل شروط معينة، وإنما فعل ذلك حسباً للوقت، ودفعاً للريبة لدى أعدائه في أنه يدبر شيئاً ضدهم، إلى أن ترتبت الأمور على نحو يخدم غرضه. وفي النهاية، عندما بلغوا النقطة حول تسليم القلعة، اقترح دنكن أن يرسل من القلعة إلى المعسكر كميات كبيرة من الطعام لانعاش الجيش، وقبل الدانيون هذا الاقتراح بفرح، لأنهم كانوا قد أضحووا منذ أيام في حاجة عظيمة إلى الغذاء.

«وعندها أخذ الأسكوتلنديون عصير نوع من التوت البري ومزجوه في جعتهم وخبزهم، وأرسلوهما هكذا مبهرين مخليين، بكميات كبيرة إلى أعدائهم. وهؤلاء فرحوا بأن لديهم من الطعام والشراب ما يكفي للماء بطونهم، راحوا يأكلون ويشربون بنهم، وكأنهم يتبارون فيمن يستطيع الالتهام والابتلاع أكثر من غيره، إلى أن انتشر مفعول التوت في جميع أنحاء أجسامهم مما أدى إلى غرقهم في نوم عميق كالموت، يستحيل إيقاظهم منه. وعندئذ أرسل دنكن فوراً إلى مكبث، وأمره بالمجيء بأقصى السرعة ومهاجمة الأعداء، وقد سهّل التغلب عليهم. فلم يتوان مكبث، وجاء بجماعته إلى المكان، حيث عسكر أعداؤه، وانهاه عليهم تقتيلاً من كل جانب دون مقاومة منهم، وكان ذلك مشهداً عجيباً، لأن الدانين كانوا من ثقل وطأة النوم عليهم يُقتل معظمهم ولا يتحرك: والذين استيقظوا من الضوضاء أو أي شيء آخر، اندهلوا أو داخوا عند استيقاظهم فعجزوا عن أي دفاع. وهكذا من ذلك العدد كله لم ينجح إلا سوينو نفسه وعشرة أشخاص آخرين، تمكن بمساعدتهم بلوغ مراكزه الراسية عند مصب تايي.» (ص ١٦٩-١٧٠)

ويستمر هولنشيده فيصف كيف هرب سوينو في مركب واحد إلى الداغرك. وفيها كان الأسكوتلنديون يحتفلون بانتصارهم بلغهم خبر بأن أسطولاً داغركياً جديداً قد وصل إلى كنفكون، أرسله كانوت ملك انكلترا، انتقاماً لهزيمة أخيه سوينو.

«لمقاومة هؤلاء الأعداء، الذين كانوا قد نزلوا إلى البر، وجعلوا يهبون البلد، أرسل مكبث وبانكوهو بتفويض من الملك، ومعها جيش ملائم، فقابلوا الأعداء، وقتلوا بعضهم، وطاردوا الآخرين حتى مراكزهم. والذين نجوا وبلغوا مراكزهم، استحصلوا موافقة مكبث، لقاء مبلغ من الذهب، على أن يجمعوا القتلى من أصحابهم ويدفونهم في كنيسة القديس كولم. وكذكرى لذلك، ما زال هناك كثير من التماثيل القديمة في تلك الكنيسة يمكن أن ترى وقد حفرت فيها شارات سلاح الدانين، كما هي العادة حتى الآن في دفن النبلاء، وتُتبع منذ ذلك الحين.

«وأبرم اتفاق سلام في الوقت نفسه بين الدانين والأسكوتلنديين، مصدقاً (كما دون البعض) على هذا النحو: يتعهد الدانيون بالألا يدخلوا اسكوتلندة، منذ ذلك اليوم فصاعداً، لمحاربة الأسكوتلنديين بأي وسيلة كانت. وهذه كانت الحروب التي خاضها دنكن مع الأعداء الأجانب، في السنة السابعة من حكمه. وبعد ذلك بأمد قصير وقع أمر عجيب، فظ غريب، كان فيها بعد السبب في اضطرابات كثيرة في مملكة اسكوتلندة، كما سيحيء ذكره. فقد حدث، فيما كان مكبث وبانكوهو راحلين في طريقهما إلى فورس، حيث الملك يقيم في تلك الآونة، أنهما راحا يعثان على الطريق معاً، وليس في رفقتها أحد، عابرين من خلال الأجام والحقول، وإذا هما فجأة، في وسط فسحة من الأرض، يلقيان ثلاث نساء في ثياب غريبة هوجاء، كأنهن مخلوقات من عالم أقدم، ولما أنعما فيهن البصر، وهما مندهشان للمنظر، نطقت الأولى منهن وقالت: سلاماً يا مكبث، أمير غلامس، (لأنه كان مؤخراً قد ورث ذلك اللقب والمركز بموت والده سينيل). وقالت الثانية منهن: سلاماً يا مكبث، امير غلامس. ولكن الثالثة قالت: سلاما يامكبث، يا من ستكون فيها بعد ملك اسكوتلندة.

«وعندها قال بانكوهو: أي ضرب من النساء أنتن، لا تظهرن لي إلا أقلّ الود، في حين أنكن لرفيقي هنا، فضلاً عن المراكز العليا، تهبون المملكة أيضاً، ولا تعين لي أي شيء؟ نعم (قالت الأولى منهن)، إننا نعدك بفوائد أعظم من فوائده، لأنه سيحكم بالفعل، ولكن لنهاية تعيسة؛ ولن يترك له أولادا يخلفونه في الحكم. أما أنت فعلى العكس، فلن تحكم بالفعل أبداً، ولكن منك سيولد من سيحكم المملكة الاسكوتلندية في سلالة مستمرة طويلة. وبهذا تلاشت النساء المذكورات في الحال عن البصر، وقد اعتبر هذا أول الأمر كوهم خيالي باطل من مكبث وبانكوهو، كان يدعو بانكوهو مزاحاً رفيقه مكبث ملك اسكوتلندة؛ فبرّد عليه مكبث عابثاً أيضاً: يا والد العديد من الملوك. ولكن الرأي كان فيها بعد أن أولئك النسوة كنّ إما أخوات القدر أي (كأن تقول) ربات المصير، أو جنّيات موهوبات بمعرفة النبوّة لتعاملهن بعلم أرواح الموت، لأن كل شيء حدث كما قلن. إذ أن بعد ذلك بفترة قصيرة حكم على أمير

كودر بالموت في فورس لخيانة اقترفها ضد الملك، فوهب الملك بسخائه أراضي الأمير، وأحياءه، وألقابه، لمكبث.

«عند العشاء، بعد ذلك في تلك الليلة، مازحه بانكوهو قائلاً: حصلت الآن يا مكبث على الشيبين اللذين تنبأت بهما الأختان الأولى والثانية، ويبقى لك الآن أن تحصل على ما قالت الثالثة إنه سيحدث. فأخذ مكبث يدير الأمر في خاطره، وشرع من تلك اللحظة في تدبير كيفية حيازة المملكة. غير أنه فكّر لنفسه أن عليه التمهّل زمناً، وهذا سيرفعه للملك (بتقدير إلهي) كما تحقق في رفعه السابق. ولكن بعد ذلك بمدة قصيرة اتفق أن الملك ذنكن، وله ولدان من زوجته التي كانت ابنة سيوارد إيرل نورثمبرلاند، جعل من الولد الأكبر، مالكولم، أميراً لكمبرلاند، فكأنه بذلك عينه لخلافته في المملكة مباشرة عند وفاته. فانزعج مكبث جداً لذلك، لأنه رأى فيه إعاقة خطيرة دون تحقيق أمله (إذ كان النظام وفق الشرائع القديمة في الدولة، أنه إذا كان الذي سيخلف على العرش غير بالغ السن التي تمكّنه من تسلّم المسؤولية، حلّ محلّه أقرب الناس دماً إليه)، فأخذ يستشير بشأن اغتصاب الملكية عنوة، قائلاً إن له الحق في ذلك النزاع (كما كان هو يفهم الأمر) لأن ذنكن فعل ما فعل ليحرمه من كل لقب ودعوى قد يستخدمهما في المستقبل مطالبة بالتاج.

«وكلمات الأخوات الثلاث أيضاً (اللاتي ذكرتين لكم أنفاً) شجعته كثيراً على ذلك، ولكن بصورة خاصة ألحّت عليه زوجته بأن يحاول الأمر، إذ أنها بطموحها الشديد كانت تشتعل برغبة لا تطفأ في أن تحمل اسم ملكة. ولذلك أخيراً وقد أعلم أصدقاءه الذين يثق فيهم بنيتّه، وأهمهم بانكوهو، واطمان لعونهم الموعود، قتل الملك في أنفرنس أو (كما يقول البعض) في بوتغوسوان، في السنة السادسة من حكمه. وبعد ذلك جمع حوله جماعة من الذين كان قد أسرّ لهم بما يريد أن يفعل، جعلهم يعلنونه ملكاً، وفي الحال ذهب إلى سكون، حيث (بموافقة العموم) تسلّم مقاليد المملكة حسب الطريقة المرعية. وقد حمل جثمان ذنكن أولاً إلى الجين، ودفن هناك بمراسم ملكية،

ولكنه نقل فيما بعد إلى كوليكيل، حيث سجي في ضريح بين قبور أسلافه في عام ١٠٤٦ بعد ميلاد مخلصنا.

«أما مالكولم كاغور ودونالد بين، ولدا الملك دنكن فقد خافا على حياتهما (مدركين أن مكبث سيحاول أن ينهيها للمزيد من الطمأنينة والتأكد من منصبه) وهربا إلى كمبرلاند حيث بقي مالكولم، إلى أن جاء القديس أدوارد بن أنلدريد واستردّ مملكة انكلترة من سلطان الدانمركيين واستقبل أدوارد هذا مالكولم بكرم الصديق: أما دونالد فرحل إلى إرلندة، حيث اعتنى به بعطف ملك ذلك البلد. وبعد مغادرة ولدي دنكن على هذا الغرار، أظهر مكبث سخاءً عظيمًا لنبلاء الدولة، لكي يكسب ودهم، ولما وجد أن ما من أحد يريد مشاغبته، وضع كل عزمه في إقامة العدل، ومعاقبة الفساد والاساءات التي وقعت بسبب إدارة دنكن الضعيفة والخاملة.» (ص ص ١٧٠-١٧١)

ثم يذكر هولنشيدي بضعة أمثلة على إصلاحات مكبث، ويذكر أن من بين الأمراء الذين قتلوا لشغبهم كان روص وبعد أن يعدّد هولنشيدي بعضاً من قوانين مكبث، يضيف:

«هذه وغيرها من القوانين الحميدة طبّقها مكبث أيامئذ، وحكم البلاد لفترة عشر سنين بالعدل والقسطاس ولكن هذه كانت حماسة مزيفة للعدالة أظهرها بعضاً ضد ميله الطبيعي لكيما يشتري بها ودّ الشعب. وبعد ذلك بأمد قصير، بدأ يظهر حقيقة نفسه، ممارساً القسوة بدل العدالة لأن وخز الضمير (كما يحدث أبداً للطغاة، وللذين يبلغون مرتبة الحكم بوسائل غير شريفة) جعله دائماً في خشية من أن تقدّم له الكأس نفسها التي قدّمها هو لسلفه. وكلمات أخوات القدر الثلاث لم تبارح ذهنه، فهي كما وعدته بألملك، هكذا وعدت به في الوقت نفسه ذرية بانكوهو. فعزم لذلك أن يدعو بانكوهو هذا وابنه المدعو فليانس إلى عشاء هياه لها، والذي كان في الواقع، بتدبير منه، موتاً فورياً على أيدي قتلة معينين، استأجرهم لتنفيذ الجريمة، مرتباً لهم أن يلتقوا بانكوهو وابنه خارج القصر، وهما عائدان إلى دارهما، فيقتلوهما هناك، فلا

يقال في بيته أي قدح، بل يستطيع في المستقبل أي يبْرِء نفسه إذا اتهم بشيء نتيجة أية شبهة قد تقوم حوله. ولكن اتفق، بسبب ظلام الليل، أن الأب قُتل، وأما الابن فنجا من الخطر بعون الله القدير الذي حفظه لأيام أفضل: وجاءته تلميحات فيما بعد (بنصح من بعض أصدقاء له في البلاط) أن حياته مطلوبة بقدر ما كانت حياة أبيه، الذي لم يقتل بمجرد تدخل من الصدف (وهذا ما أراد مكبث للأمر أن يبدو من تدابيره) بل بخطة مدروسة مسبقاً: وعندها تجنّباً للمزيد من الخطر هرب إلى ويلز. « (ص ١٧٢).

يستمّر هولنشيدي فيصف كيف أن مؤسس سلالة آل ستوارت، ولتر ستوارد، الذي تزوج من ابنة روبرت بروس، وكذلك إيرل أف لينوكس وايرل أوف ديرنلي، كانوا من أحفاد فليانس:

«ولكن لنعد إلى مكبث، إكمالاً للتاريخ، ولأبدأ حيث تركت، فاعلم أن بعد مصرع بانكوهو المدبّر لم يفلح مكبث المذكور آنفاً في شيء. وذلك أن كل امرئ جعل يخاف على حياته، ولا يجراً على المثول في حضرة الملك. وبقدر ما كان الكثيرون يرهّبونه، أخذ هو يرهّب الكثيرين، حتى أخذ يتخلص، بهذه الحجة المزعومة أو تلك، من أولئك الذين يتصورهم أشد قدرة على إثارة سخطه.

«وفي النهاية أمسى يجد حلاوة في إعدام نبلائه، حتى بات عطشه للوح في هذا المضمار لا يرويه شيء. إذ عليك أن تعتبر أنه كان بذلك يجني مكسبين (كما ظن): فهم أولاً يزاحون من الطريق بعد أن كان يخشاهم، وخزائنه ثانياً تغني بأموالهم التي كان يصادرها لاستعماله، ليتمكن من الحفاظ على حرس مسلّحين يحيطون به ويدافعون عن شخصه ضد أي أذى من أولئك الذين يرتاب فيهم. وفضلاً عن ذلك، لفرض المزيد من القسوة في اضطهاد رعيته بضروب الظلم والطغيان، شيّد قلعة قوية على قمة تل عالٍ يدعى دنسينان، في غاوري، على بعد عشرة أميال من بيرث، وكان عالياً

شاعراً بحيث إذا وقف رجل على قمته رأى كل أقاليم آنفس، وفايف، وستيرموند، وايرنيديل، كأنها تحته. ويتأسس هذه القلعة إذن على قمة ذلك التل الشاهق، تكلفت المملكة كثيراً من الأموال قبل أن تكمل، لأن جميع المواد الضرورية للبناء لم يكن في المستطاع إيصالها إليها بدون عناء شديد وشغل كثير. غير أن مكبث حال تصميمه على أن العمل يجب أن يستمر، أمر أمير كل مقاطعة في المملكة بالحضور للمساعدة في البناء مع رجاله.

«وأخيراً، عندما وقع الدور على مكدف أمير فايف أن يبني حصته، أرسل عمالاً بكل ما يحتاجونه من مؤن، وأمرهم بأن يظهروا جداً في كل عمل، لكي لا يعطي الملك مجالاً للانتقاص منه لأنه لم يأت بنفسه كما فعل الآخرون، وهذا ما رفض أن يفعله لأنه كان يرتاب في أن الملك، وهو (كما أدرك جزئياً) لا يحمل له وداً عظيماً، وقد يلقي القبض عليه، كما فعل مع عدد من الآخرين. وبعد فترة قصيرة جاء مكبث ليتفقد تقدم العمل، فلما لم يجد مكدف، استاء جداً وقال: أرى أن هذا الرجل لن يطيع أوامري أبداً إلا أن ألبسه الشكيمة، وسوف ألبسه إياها. فما كان بعد ذلك ليتحمل النظر إلى مكدف المذكور، إما لأنه يظن أنه أقوى مما ينبغي، أو لأنه علم من بعض السحرة الذين كان يضع فيهم عظيم الثقة (إذ أن النبوة تحققت، تلك التي نطقت له بها الجنيات أو أخوات القدر الثلاث) من أن عليه أن يجذر مكدف الذي سيسعى في وقت قادم للقضاء عليه.

«ولكان عندئذ ولا ريب سيأمر بإعدام مكدف، لولا أن ساحرة يثق فيها جداً كانت أخبرته أنه لن يُقتل أبداً على يد رجل مولود من امرأة، كما أنه لن يُقهر حتى تأتي غابة برنان إلى قلعة دنسيان. هذه النبوة جعلت مكبث ينزع كل خوف من قلبه، حاسباً أن له أن يفعل ما شاء، دون خشية من عقاب، لأن إحدى النبوتين أقنعته أن من المستحيل أن يقهره أحد. والآخرى أن من المستحيل أن يقتله أحد. وهذا الأمل الباطل جعله يقوم بأعمال مشينة كثيرة، مسبباً لرعيته الاضطهاد والألام. وفي النهاية عزم مكدف، تجنباً للخطر على

حياته، على العبور إلى انكلترة، فيأتي بمالكولم كانغور ليطلب بتاج اسكوتلنדה. ولكن هذا الأمر لم يرتبه مكدف بسريرة كافية، وبلغ خبره مكبث. فالملوك (كما يقال) لهم حدة بصر الوشق، وحدة سمع الميداس. لأن مكبث كان له في بيت كل نبيل رجل خبيث أو أكثر أجبر له، يكشف له عن كل ما يقال ويفعل هناك، وبهذه الخديعة أثقل وطأته على معظم نبلاء المملكة.

«وعلى الفور إذن، حين أخطر بحركات مكدف، أسرع بجيش كبير إلى فايف، وفي الحال حاصر القلعة التي يقيم فيها مكدف، مؤملاً أن يجده داخلها. أما حراس الدار فقد فتحوا الأبواب دون مقاومة، وسمحوا له بالدخول، وهم لا يتوقعون شراً. غير أن مكبث، بقسوة رهيبه، أمر بقتل زوجة مكدف وأولاده، وكل من وجدته في القلعة. وكذلك صادر أموال مكدف، وأعلن أنه خائن، ونفاه عن كل أرجاء المملكة. إلا أن مكدف، كان قد نجا من الخطر، ودخل انكلترة حيث مالكولم وكانغور، ليسعى جهده عن طريق مسانده للانتقام للمجزرة التي نفذت في زوجته، وأولاده، وصحبه. وعندما جاء إلى مالكولم أخبره بالبؤس العظيم الذي حلّ باسكوتلنדה، بسبب القساوات الكريهة التي يمارسها الطاغية مكبث، وقد اقترف العديد من جرائم القتل والمجازر الشنيعة، بحق النبلاء كما في حق العامة الأمر الذي جعل شعبه يمقت مقت الموت، متمنياً لا شيء سوى خلاصه من ذلك النير الذي لا يحتمل، نير العبودية الثقيل الذي فرضه على عنقه نذل شرير.

«فلما سمع مالكولم كلمات مكدف، التي قالها بعميق الرثاء، لشدة ما يخرق قلبه الحزين من ألم، وهو يندب حالة الشقاء في بلده، تنهد عميقاً. وحين لاحظ ذلك مكدف، جعل يلتمس إليه ويرجوه أن يجازف لانقاذ الشعب الأسكوتلندي من يدي طاغية دموي عات، إذ أثبت مكبث بأفعاله الكثيرة المكشوفة أنه هو ذلك الطاغية، وقال إن ذلك أمر يسير عليه. تحميقه، إذا تذكر لاحقاً المشروع فقط، بل أيضاً رغبة الشعب العميقة في تحيّن الفرصة التي تمكّنهم من الانتقام لذلك الأذى الظالم الذي ينزله فيهم كل يوم فساد حكم

مكبث بقساواته المهينة. ورغم أن مالكولم كان حزيناً جداً لما يعانيه مواطنوه الأسكوتلنديون من قهر كالذي وصفه مكدف، إلا أنه لم يكن واثقاً فيما إذا كان مكدف يتكلم دوغارياء، أو إذا كان مرسلأ من مكبث ليغدر به، ففكر في أن يمتحنه أكثر من ذلك، ولذلك، مخفياً ما يجول بخاطره، أجابه كما يلي.

«إني حقاً لشديد الأسى لما أصاب بلدي اسكوتلنדה من بؤس، ولكن مهما تشتد رغبتى في إنهاءه، إلا أنني غير لائق لذلك، بسبب رذائل معينة لا تستأصل متحكمة في نفسي. أولاً، يلزمي شبق لا حد له وشهوة فاحشة (هي النبوع اللعين للرذائل كلها)، فإذا جعلت ملك الأسكوتلنديين، حاولت وطأ عذاراكم وثباتكم، حتى ليغدو فجوري أشد وقراً عليكم من الطاغية الدموي مكبث. وهنا أجاب مكدف: هذه ولا ريب خطيئة سيئة جداً، وما أكثر الأمراء النبلاء والملوك الذين فقدوا حياتهم ومالكهم بسببها. ومع ذلك، ففي اسكوتلنדה ما يكفي من النساء، ولذا افعل بنصحي. ونصب نفسك ملكاً، وسأضرب الأمور بحكمة، بحيث يتسنى لك أن تشيع لذاتك سراً دون أن يدري بذلك إنسان.

«فقال مالكولم: وأنا أيضاً أشد المخلوقات جشعاً على الأرض، فإذا كنت ملكاً، لجأت إلى طرق كثيرة للحصول على الأراضي والأموال، فأقتل معظم نبلاء اسكوتلنדה بتهم ملفقة، لكي أتمتع بأراضيهم وخيراتهم وممتلكاتهم ولكي أريك الأذى الذي قد يلحق بكم بسبب طمعي الذي لا يُشفي غليله، سأروي لك حكاية. كان هناك ثعلب فيه قرحة تتراكم عليها أسراب الذباب، وتمتص باستمرار دمه. فلما جاء يوماً أحد ورآه في هذه الحال، سأله هل يؤد أن يطرد عنه الذباب، فأجابه: كلا، لأن هذا الذباب الآن شعبان، ولهذا فإنه لا يمتص الدم بنهم كبير، فإذا طرد حل محله ذباب متضوّر جوعاً، فيمتص بقية دمي ويصيبني بأذى أشد بكثير مما يصيبني به هذا الذباب الشعبان. ولذلك، قال مالكولم، اسمح لي بالبقاء حيث أنا، لكلا تجدوني، حين أحصل على حكم مملكتكم، لا أطاق لأن جشعي لا يروى، فتقولون إن السيئات التي تؤذيكم الآن تبدو هيئة بالنسبة إلى المهانات التي لا تقاس، والتي ستنجم عن مجيئي بينكم.

«فأجاب مكدف قائلاً ان الجشع خطيئة اسوأ من السابقة: فالجشع اساس كل بلاء، وهذه الجرعة قد أودت بالعدد الأكبر من ملوكنا وسببت مصرعهم. ومع ذلك، اسمع نصحي، وخذ لنفسك التاج. ففي اسكوتلندا ما يكفي من ذهب وأموال لاشباع طمعك. وعندها قال مالكولم ثانية: إني إضافة إلى ذلك ميال إلى النفاق، والكذب، وكل أنواع الخداع، بحيث أنني لا أتمتع بطبيعي بشيء بقدر ما أتمتع بخيانة وخداع كل من يؤمن أو يثق بكلمتي. وبما أنه ليس ثمة ما يليق بالأمير أكثر من الثبات، والصدق، والعدل، برفقة الفضائل الحميدة والجميلة والنييلة التي تدرك بالصدق والاخلاص، والتي يقضي عليها الكذب والبهتان. أترى كيف أنني أعجز من أن أحكم أي اقليم أو مقاطعة: ولذا، إن كان لديك دواء أو رداء تستر به كل رذائلي الأخرى، أرجوك أن تجد لباساً تستتر به على هذه الرذيلة بين الأخريات.

«فقال مكدف: هذه أسوأها جميعاً، وهنا أغادرك، فأقول: ما أشقاكم وأتعسكم أيها الأسكوتلنديون، وقد ابتليتكم بهذا العديد من المصائب المتنوعة، مصيبة فوق أخرى! عندكم طاغية لعين وشرير يتحكّم بكم، بغير ما حق أو شرع، ويضطهدكم بفظائع قسوته. وهذا الرجل الآخر، صاحب الحق في التاج، متخّم برذائل الانكليز الفاضحة وسلوكهم المتقلب، فلا يستحقه في شيء: فهو يعترف بأنه ليس جشعاً فقط، ومتمرغاً في شبق لا يشبع، بل هو أيضاً خائن غدار، لا تؤمن منه كلمة ينطق بها. وداعاً يا اسكوتلندا، لأنني أعدّ نفسي الآن منفياً عنك إلى الأبد، بلا عزاء أو سلوان. ومع هذه الكلمات انحدرت الدموع المرةً بفرارة على خديه.

«وفي النهاية، إذ كان على وشك المغادرة، أمسكه مالكولم من رده، وقال: فلتطمئن نفسك يا مكدف، لأنني لا أعرف أيا من الرذائل التي ذكرتها، ولكنني مازحتك على هذا النحو، لكي أمتحن ذهنك: لأن مكبث حاول حتى الآن مرات عديدة بمثل هذه الوسائل أن يوقيني بين يديه، ولكنني بقدر ما تباطأت في النزول عند اقتراحك وطلبك، هكذا سأجد في تحقيق كليهما. وهنا عانق كلاهما الآخر دون تورّع، وتواعدا على الاخلاص، وجعلا

يتشاوران بأفضل السبل لخدمة غرضهما، ليتبها به إلى النتيجة الخيرة. وسرعان ما اتجه مكدف نحو حدود اسكوتلندة، وأرسل كتبه سراً إلى أشرف المملكة، معلناً لهم عن اتفاق مالكولم معه لكي يسرع بالمجيء إلى اسكوتلندة للمطالبة بالتاج، ولذا طلب إليهم، لأن مالكولم هو الوارث الشرعي، مساعدته بجيوشهم لاسترداد الحق من يد المعتصب الأثيم.

«وفي أثناء ذلك، حظي مالكولم بمودة من الملك أدوارد، فزود الملك الشيخ سيوارد إيرل نورثمبرلاند، بعشرة آلاف رجل لمرافقته إلى اسكوتلندة، دعماً له في مجازفته، لاسترداد حقه. فلما شاع خبر ذلك في اسكوتلندة، تجمّع الأشراف في حزين، أحدهما يناصر مكبث، والآخر مالكولم. وكثيراً ما نجم بسبب ذلك مشاحنات ومناوشات خفيفة، لأن الفئة المناصرة لمالكولم رفضت أن تخاطر بالدخول مع أعدائها في معركة في الميدان، إلى أن يأتي من انكلترة لمساندتهم. بيد أن مكبث لاحظ بعد ذلك أن قوة أعدائه في ازدياد، بسبب العون القادم من انكلترة مع خصمه مالكولم، فتراجع إلى فايف حيث قرّر أن يقيم في معسكر محصّن، في قلعة دنسينان، وأن يقاتل أعداءه إذا أرادوا أن يلحقوا به. وقد نصحه بعض أصحابه أن الأفضل له هو أن يتوصل إلى اتفاق ما مع مالكولم، أو أن يهرب بأقصى السرعة إلى الجزر آخذاً معه خزنيته، لغرض إغراء بعض كبار أمراء الدولة بالمال لدعمه، وتوقيف الرواتب على غرباء يستطيع أن يثق فيهم أكثر مما يثق في رعاياه، وهم في هرب منه كل يوم. ولكنه كان شديد الإيمان بالنبؤات التي سمعها، معتقداً بأنه لن يقهر أبداً، حتى تزحف غابة برنان إلى دنسينان، وأنه لن يقتل على يد رجلٍ ولدته امرأة.

«وإذ راح مالكولم سريعاً في اثر مكبث، وصل عشية المعركة إلى غابة برنان، وبعد أن نال رجال جيشه قسطاً من الراحة لانتماشهم، أمر كل واحد منهم أن يأخذ غصناً من أي شجرة في الغابة، من أكبر حجم يستطيع حمله، وأن يزحفوا قداماً على هذا النحو، ليصلوا في الصباح التالي قريباً من أعدائهم يرونهم ولا يراهم الأعداء بهذه الطريقة. وفي الصباح، حينما رآهم مكبث قادمين بهذا الشكل، أذهله الأمر أولاً، ولكنه ذكر نفسه أخيراً بأن النبوة التي

سمعها قبل أمد طويل عن مجيء غابة برنان إلى قلعة دنسينان، ربما الآن تتحقق. ومع ذلك، فإنه صفّ رجاله في صفوف معركة، وحثّهم على القتال ببسالة، ولكن ما كاد أعداؤه يضمعون عنهم أغصانهم، وأدرك مكبث أعدادهم، حتى هرب فوراً، وطارده مكدف بحقد عظيم إلى أن وصل إلى لوفنانين، وحين لحظ مكبث أن مكدف على عقبيه، قفز عن حصانه، قائلاً: أيها الخائن، ماذا تقصد بمطاردتك إياي عبثاً، أنا الذي قُدر عليّ ألا أقتل بيد مخلوق ولدته امرأة تقدّم إذن، وخذ الجزء الذي تستحقه على أتعاكب. ورفع عندها سيفه، ظاناً أنه سيصرعه.

ولكن مكدف تجنب حصانه بسرعة، وأقبل عليه، وأجاب قائلاً (وسيفه المشهر بيده): صحيح ذلك يا مكبث، والآن تنتهي قسوتك التي لا تشبع، لأنني أنا حقاً ذلك الذي تنبأ لك السحرة به، ذلك الذي لم تلده أُمي، بل أخرج عنوة من بطنها. وعندها خطا نحوه، وقتله في مكانه. ثم قطع رأسه عن كتفيه، ووضعها على سارية، وجاء به إلى مالكولم. هذه كانت نهاية مكبث، بعد أن حكم الاسكوتلنديين سبعة عشر عاماً. لقد حقق في بداية حكمه الكثير من المنجزات المفيدة للدولة (كما سمعتم)، ولكنه فيما بعد بتوهم من الشيطان شنع حكمه بفظائع القسوة. وقد قتل في سنة ١٠٥٧ من تجسد المسيح، وفي السنة السادسة عشرة من حكم الملك أدوارد على الانكليز.

وهكذا لما استعاد مالكولم كاغور أُللك (كما سمعتم) بمساندة الملك أدوارد، في السنة السادسة عشرة من حكم هذا الملك، تم تنويجه في سكون في اليوم الخامس والعشرين من نيسان، عام ١٠٥٧ لميلاد الرب. وفي الحال، بعد تنويجه، دعا برلماناً في فوفير، حيث كافأ الذين أعانوه على مكبث بالأراضي والأحياء، ورفعهم إلى مرتبات ومناصب حسب تنسيبه، وأصدر الأمر بأن يتمتع كل من يحمل لقب أي منصب أو أرض بذلك المنصب أو تلك الأرض. وهب القاباً عديدة لرجال جعل منهم إيرلات، ولوردات، وبارونات، وفرساناً. والكثيرون ممن كانوا يحملون لقب «ثين» من قبل، جعل منهم إيرلات، مثل فايف، ومنتيث، وأثول، ولينوكس، ومري، وكاثنيس،

وروص، وأنفس. وكان هؤلاء أول الأيرلات الذين سُمع بهم بين
الأسكوتلنديين (كما تذكر تواريخهم).» (ص ص ١٧٤-١٧٦).

«وجاء في المدونات أيضاً أنه، في المعركة الأنفة الذكر، التي غلب فيها
ايرل سيوارد الاسكوتلنديين، اتفق أن قُتل أحد أبناء سيوارد، ورغم أنه كان
من حق أبيه أن يحزن عليه، غير أنه حين سمع أنه مات بجرح أصابه،
وهو يقاتل بشجاعة، في مقدّم جسمه، ووجهه نحو عدوه، فرح فرحاً كبيراً
لسماعه أن ابنه مات برجولة. ولكن يجب أن نذكر هنا أن ذلك لم يقع يومئذ،
بل قبل ذلك بقليل (كما يقول هنري هنت)، يوم ذهب سيوارد بنفسه إلى
اسكوتلنדה، فأرسل ابنه على رأس جيش ليفتح البلد، فكان أن قتل عند
ذاك. فلما سمع أبوه الخبر، سأل هل تلقى الجرح الذي قتله في مقدّم جسمه
أم مؤخره، فلما أخبروه أنه تلقاه في مقدّمه، قال: إني لأفرح بجماع قلبي،
لأنني لن أتمنى لابني أولنسي ميتة غير تلك.» (تاريخ انكلترة، ص
١٩٢).

وتقول الأستاذة أم سي. برادبروك في محاضرة لها طبعت في العدد الرابع
من (Shakespeare Survey) أن شكسبير ربما استقى بعض الاشارات عن
شخصية الليدي مكبث وبخاصة لما تقوله في ١، ٧، ٥٤ وما بعده، من الجزء
الذي كتبه هولنشيده بعنوان «وصف اسكوتلنדה» وأثبته في أول كتابه «تواريخ
اسكوتلنדה»: «ولما كان يعتبر سبباً للارتياح في أمانة الأم لزوجها، أن تطلب
مرضعاً غريبة لأطفالها (حتى لو نضب حليبها)، فقد كانت كل امرأة تتحمل
أوجع المتاعب لنشأة وتغذية أطفالها. وكانوا أيضاً لا يعتبرون الأطفال قد
أنشوا بحنان إلا إذا رضعوا عند ولادتهم من حليب أئداء أمهاتهم، كما تغذوا
قبل ولادتهم بدم بطونهن. وكُنَّ يخشين أن ينحط الأطفال ويكبروا خارجين على
أصلهم إلا إذا أرضعتهن بأنفسهن، ورفضن الحليب الغريب، فكُنَّ لذلك
قديرات في المخاض كما في في تحمل الأم، ولم يأبه أحد الجنسين لقيظ الصيف
أو قر الشتاء. . وفي تلك الأيام أيضاً كانت نساء بلادنا لا ينقصن شجاعة عن
الرجال، لأن جميع الفتيات والزوجات القويات الأبدان (إذا لم يكن في طور

الحبل) كن يسرن إلى الميدان كالرجال، وحالما يهجم الجيش، فإنهن يقتلن أول مخلوق حي يلقيه، فلا يغسلن سيوفهن بدمه وحسب، بل يذقن من دمه بأفواههن، مليئات إيماناً وثقة، كأنهن قد أصبحن متأكدات من نصر باهر محظوظ. وإذا رأين دمهن يسيل منهن في القتال، لم يدهشن قط للأمر، بل ضاعفن شجاعتهن بالمزيد من الحماسة وهاجن أعداءهن. « (طبعة ١٥٨٧، ص ٢١).

ملحق (ب)

بوكانان

من كتابه (Rerum Scotticarum Historia)

XXII . . . عندما طلب دونالد، حاكم القلعة، إطلاق سراح بعض أقاربه، وجاءه رفض العفو عنهم، ثارت ثائرتة على الملك بشكل لا يُحَد، وكما لو أنه تلقى إهانة خاصة، حول أفكاره كلها نحو الانتقام، لأنه كان شديد التشمين للخدمات التي قدمها للملك دف، بحيث تصور أن أي شيء يطلبه إليه يجب ألا يرفض. وزوجة دونالد أيضاً، عندما وجدت أن بعض أقاربها قد حكم عليهم بالموت، زادت في اشتعال غضب زوجها، لا بأقوالها المرة فحسب، بل راحت باغرائها تحرضه على قتل الملك، قائلة له إنه بصفته حاكم القلعة الملكية، بيده حياة وموت ملكه، وانه بذلك يستطيع لا اقتراف الفعلة فقط، بل إخفاءها عندما تتم. ولذا، بعد أن غرق الملك في نوم عميق، وقد تعب أشد التعب من العمل، وبعد أن تغلب النعاس على مرافقيه أيضاً، وقد أسكرهم دونالد بالشراب، أدخل بعض القتلة سراً، فقتلوا الملك، وحملوا الجثة بحیطة خارجین بها من باب خلفي، فلم تكن هناك نقطة دم واحدة تفضح الجريمة. . . وفي اليوم التالي، عندما شاع الخبر بأن الملك لا يعرف أحد مكانه وأن فراشه ملطخ بالدم، اندفع دونالد إلى حجرة النوم، وكأنه انصدم للتو بهول الجريمة، وتظاهر بالخروج عن طوره غضباً، وقتل الخدم، ثم أخذ يبحث بدقة في كل مكان لعله يرى أثراً للقتيل. .

XXXVIII (تشير العبارات التالية إلى الملك كينث)

حين اضطربت روحه بوعي جريمته، لم تسمح له بمتعة كبيرة أو خالصة. وفي فراشه، كانت خواطر فعلته الأثمة تتدافع على ذاكرته، وتعذبه، وفي النوم، كانت رؤى الرعب تطرد الراحة عن وسادته. وفي النهاية سواء أفعالاً خاطبه صوت مسموع من السماء، كما قيل، أم أن الامر كان إنحاء من نفسه المثقلة بالاثم، كما كثيراً ما يحدث للأشرار، فقد بدا له في ساعات السهاد ليلاً أن صوتاً يعنفه: «أتحسب أن مصرع مالكولم البريء، الذي اقترفته سراً بآثم النذالة، غير معلوم لدي، أو أنه ستطول نجاته من العقاب؟ حتى في هذه اللحظة هناك شركاء تنشر لحياتك لا تستطيع الافلات منها، لا ولن تترك، كما تتصور عرشاً ثابتاً آمناً لذريتك. إنها لسوف ترث مملكة مضطربة عاصفة.»

IV كان مكبث رجلاً ذا عبقرية نافذة، وروح عالية، وطموح لا حد له، ولو اتصف بالاعتدال لكان جديراً بأية مسؤولية، مهما تكن عظيمة. غير أنه بمعاقبته الجرائم كان يمارس شدة تتخطى حدود القوانين، وكثيراً ما تبدو تنحط إلى القسوة.

VIII بعد هذا المد من النجاح، في داخل البلاد وخارجها، عندما استتب السلم في أرجاء اسكوتلنדה كلها، كان مكبث كدأبه دائماً يحتقر خمول ابن عمه، وراوده الأمل سراً في اغتصاب العرش، ويقال إنه كان يؤيده في ذلك حلم رآه. فذات ليلة، وهو بعيد ناء عن الملك، ظهرت له ثلاث نساء بقوام أكبر من قوام الانسان، فحيته أحداهن منادية إياه بـ يا أمير أنفس، والأخرى بـ يا أمير موراي، والثالثة حينه ملكاً. فلما أثارت هذه الرؤيا طموحه وأمله بشدة، أدار في ذهنه كل وسيلة يتسنى له بها الحصول على الملك، إلى أن سنحت له فرصة اعتبرها هو تبرر موقفه. كان لدنكن ولدان من ابنة سيبارد حاكم نورثمبرلاند: ملكولم كاثمور ودونالدين. عين أحدهما، مالكولم، وهو بعد صبي حاكم كمبرلاند. وهذا التعيين أغضب مكبث بشدة، الذي ظنّها عائقاً لقي في طريق طموحه، وهذا بعد أن حصل على اللقبين الأولين اللذين وعدت بهما زائرات الليل - قد يؤخر، إذا لم يمنع كلياً، بلوغه اللقب الثالث، لأن حاكمية كمبرلاند كانت دائماً تعتبر الخطوة التالية إلى التاج. وكان

هنه، على ما فيه من حرارة التطلع أصلاً، تستثيره يوماً. لحاجات زوجته التي كانت نجية اسراره وخططه. وهكذا بعدان تشاور مع أخلص صحبه، ومن جملتهم بانكو، وبعد أن وجد فرصة سانحة، كمن للملك في انفرنيس، وقتله، في السنة السابعة من حكمه. ثم جمع عصابة حوله، وسار إلى سكون، حيث اطمأن إلى موّدة الناس، واعلن نفسه ملكاً. أما ولدا دنكن، فقد أذهلتها الكارثة الفجائية، فأبوها يقتل، وصاحب القتل على العرش، وتحيط بهما من كل جانب فحاخ الطاغية الذي يسعى، بقتلهما، إلى تثبيت المملكة لنفسه، فحاولا بعض الوقت النجاة بالهرب والتقل من مكان إلى آخر بكثرة في اختبائهما. ولكن عندما رأيا انها لن يسلميا في أي مكان تصل إليه سلطته، وأن لا أمل لها بالرافة من رجل همجي المزاج مثله، هربا باتجاهين مختلفين، فتوجه مالكوم إلى كمبرلاند، وتوجه دونالد إلى أقاربه في ايبودي.

LXXXV مكبث

IX لكي يوطد مكبث دعائم العرش الذي حصل عليه ظلماً، أخذ يكسب ود النبلاء بالعطايا السخية. لما كان مطمئناً بشأن ولدي الملك، بسبب سنهما، وكذلك بشأن الملوك المجاورين، بسبب العداوات القائمة فيما بينهم وقد كسب الأقوى منهم إلى جانبه، صمم على أن يحوز على حب الشعب بانصافه، ويحتفظ بهذا الحب بإقامة العدالة بدقة. ولهذا عزم على معاقبة اللصوص الذين كانوا قد توقعوا وتجبروا بسبب تسهل دنكن ولينه. ولكن عندما وجد أنه لا يستطيع تحقيق ذلك دون إثارة حركة كبيرة وضوضاء، دبر الأمر بمساعدة رجال اختارهم لهذا الغرض، بأن ذر بذور الخلاف بينهم، ودفعمهم إلى تحدي بعضهم البعض لحسم خلافاتهم بالقتال بفئات صغيرة متساوية العدد، في أماكن متباعدة جداً، وفي اليوم نفسه.

وفي ذلك اليوم، حين تجمعوا حسب الموعد المضروب التي القبض عليهم جميعاً ضباط أمناء كان الملك وضعهم في أماكنهم للإمساك بهم، وإعدامهم ألقى الرعب في قلوب الآخرين. وقد أعدم كذلك الامراء

كيشيس، وروص، وسذرلاند، ونيرن، بالإضافة إلى بعض الأقوياء من شيوخ العشاير الذين كانت حروب ثأرهم تقض مضاجع الناس. وذهب بعد ذلك إلى ايبودي، حيث نفذ اجراءات العدالة بصرامة، وعند عودته، كرر استدعاء مكفيل، أو مكفيلد، أقوى شيوخ كالواي، لمحاكمته. غير أن مكفيل رفض الحضور، لخوفه من أن يتهمه مكبث بالانتهاز إلى حزب مالكولم، أكثر من خوفه من أن يتهمه بأية جريمة أخرى. وعندما أرسل إليه مكبث بضع سرايا من جيشه، تغلبت عليه في معركة، وأعدته. وبهذه الوسائل أعيد الهدوء التام وانصرف همهة إلى وضع القوانين، وهو أمر كان الملوك السابقون قد أهملوه أشد الاهمال، وشرع الكثير جداً من اللوائح المفيدة جداً، والتي سمح لها الآن أن تبقى غير ملحوظة وغير معروفة، ضرراً للناس. وهكذا حكم المملكة لعشر سنوات، كان في أثنائها، إذا نسي الناس أنه جاء إلى الحكم عنفاً، لا يقل شأناً عن أي من الملوك الذين سبقوه.

X ولكن عندما وطد نفسه بكل هذه الوسائل الأمنية، وكسب ود الشعب، ظل قتل الملك، كما هو جد معقول - يلازم خياله، ويضطرب له ذهنه، وهذا سبب تحويله الحكم الذي حصل عليه بالغدر إلى طغيان عات. فاطلق أولاً غضبه الرهيب على بانكو، شريكه في الخيانة، وقيل ان تحريضه على ذلك جاءه من نبوة بعض الساحرات اللواتي تنبأن أن ذرية بانكو ستحظى بالملك. ولذا، فقد خشي أن زعيماً قوياً نشيطاً مثله، غمس يديه في الدم الملكي، قد يقتدي بالمثل الذي أقامه هو: فدعاه بلطف مع ابنه إلى مأدبة وجعل البعض يفتالونه عند عودته على نحو يبدو كأنه قتل صدفة في مناوشة مباغته. أما ابنه فليانكوس، فلم يكن معروفاً، وهرب تحت جناح الظلام، وعندما أخبره اصدقائه أن أباه قتله الملك غيلة وغدراً، وإن حياته هو ايضاً مطلوبة هرب سراً إلى ويلز. إن هذه الجريمة التي أقرت بمثل هذه القسوة والغدر، أرهبت النبلاء، وجعلت كلا يخشى على سلامته، وذهبوا جميعاً إلى بيوتهم، ولم يعد أحد منهم إلى البلاط ثانية إلا فيما ندر. وهكذا فإن فظاعة الملك راحت تتبدى في البعض مكشوفة، ويشته فيها الكل سراً، وتبادل الرعب إنمّا أدى إلى تبادل الكراهية بينه وبين أشرفه، وعندما غدا التستر مستحيلاً،

راح يكاشف الملاً بطغيانه. فأعدم أمام العموم أقوى الزعماء، بأوهى الحجج، وغالباً بتهم ملفقة. وبأموالم المصادرة نظم عصبة من الأشرار تحت اسم «الحرس الملكي».

XI نومع هذ كله، فإن الملك لم يظن أن ذلك كاف لحماية حياته. فشرع في بناء قلعة على تل دنسيان، يرى منه المشهد مترامياً من كل جانب. وعندما تواني السير في البناء، لصعوبة حمل المواد، أمر الامراء كلهم، في جميع ارجاء المملكة، أن يزودوا بالدور العمال والعربات، وان عليهم أن يشرفوا على العمليات بأنفسهم، كمفتشين. وكان مكدف أمير فايف، أيامئذ| بالغ القوة، ولكنه لم يجيراً على وضع حياته بين يدي الملك، فكان كثيراً ما يرسل العمال هناك، وكذلك عدداً من أخلص اصدقائه لخدمهم على الجهد في العمل. وجاء الملك ذات يوم ليرى البناء إما رغبة منه في تفقد سير العمل، كما زعم، أو ليلقي القبض على مكدف، كما خشي هذا، واتفق أن زوجاً من الثيران تحت النير عجزا عن جر حملها إلى أعلى التل، فاغتمت الملك هذه الفرصة بحماس ليطلق سخطه، مهدداً بأنه سيخضع روح الأمير المزدرية، والتي يعرفها حق المعرفة، ويضع النير على عنقه هو: فلما أبلغ مكدف هذا الكلام، وضع عائلته في عهدة زوجته، ودونما تأخير أبحر إلى لوثيران في مركب صغير أقيم شراعه على عجل لهذا الغرض، ومن هناك اتجه إلى انكلترة. وما كاد يسمع مكبث بنيته على الهرب، حتى أسرع في الحال على رأس مجموعة قوية من الجند إلى فايف، للحيلولة دون هربه إذامكن. وعند وصوله، أدخل في الحال إلى قلعة مكدف، وإذ لم يجد الأمير، نفذ انتقامه في زوجته وفي الباقين من أولاده. وصادر أراضيه، وأعلنه عاصياً، وهدد بفرض أشد العقوبة على كل من يجراً على الاتصال به. وعلى هذه الشاكلة، أخذ يتصرف بأشد الغلاظة تجاه من تبقى من الأغنياء، والأقوياء، دونما تمييز. وتحقيراً للنبلاء، جعل يدير شؤون مملكته الداخلية بمشورة أسرته، دون أن يتنازل فيستشير أحداً منهم.

XII في أثناء ذلك، وصل مكدف إلى انكلترة، ووجد مالكولم يعيش عيشة

ملكية في بلاط الملك ادوارد، لأن ادوارد وبعد أن أستعيد من المنفى إلى العرش، على أثر اندحار جيش الدانمركيين في انكلترا، كان لأسباب عديدة مهتاً بمصلحة مالكولم - الذي قدمه اليه سيبارد جد مالكولم لأمه، إما لأن أباه وجده أيام حكمهما مقاطعة كمبرلاند، كانا شديدي التعلق بأسلافه، أو لأن تشابه الظروف وتذكر الأخطار المتبادلة، ولدا صداقة متبادلة، لأن الملكين كليهما دفعهما إلى النفي الطغاة، أو لأن مصائب الملوك تثير الاهتمام دائماً في أذهان أعظم الغرباء. ولذلك فإن مكدف، حالما اتاحت له الفرصة، خاطب مالكولم بخطاب طويل، رثا فيه شقاءه في ضرورة هربه، وصور قسوة مكبث تجاه الطبقات كلها، وكراهية الطبقات كلها له، وحث مالكولم بقوة على محاولة استعادة عرش أبيه، ولا سيما أن ليس بوسعه دون ذنب عظيم أن يترك من غير عقاب مصرع أبيه، وأن يتغافل عن تعاسات شعب جعله الله نفسه في عهده، أو أن يتصامم عن التماسات اصدقائه العادلة. وفضلاً عن ذلك، فإن بإمكانه أن يعتمد على العون من حليفه، الملك الممتاز ادوارد، وعلى عواطف الشعب الذي يكره الطاغية، ولا بد أن الله لن يكف عن المساعدة في قضية عادلة ضد شرير. أما مالكولم، فكان قد طلب إليه العودة من قبل العديد من الجواسيس الذين يرسلهم مكبث لاستدراجه إلى الفخ، فصمم قبل أن يغامر بحظه في شأن عظيم كهذا على امتحان أمانة مكدف. ولذلك، أجاب قائلاً: «أنا في الواقع لست جاهلاً بما تعلمني، ولكنني أخشى أنك لا تعرفني كل المعرفة، وانت تدعوني إلى لبس التاج. وذلك أن الرذائل نفسها التي دمرت الكثير من الملوك، كالشهوة والجشع، موجودة فيّ أيضاً، ورغم أنها مستورة الآن في وضعي كفرد عادي، فإنها ستنتقل صريحة في حرية الوضع الملكي. فاحذر إذن من أنك تدعوني إلى التدمير، وليس للملك» أجاب مكدف بأن شهوة الفحش بعد التنوع يمكن كبها بزواج مشروع، وأن الجشع يمكن دفعه بالقضاء على الخوف من الاملاق. فرد على ذلك مالكولم قائلاً إنه يؤثر أن يعترف له صراحة كصديق على أن تفتضح سيئاته فيما بعد، مما قد يكون خطراً على كليهما: أنه لا يؤمن بوجود الصديق أو الاخلاص، وانه لا يأتمن أحداً على سره، وانه قد يغير خططه عند كل نسمة من ريبه، وانه ينطلق من قلب مزاجه في حكمه على كل شخص آخر. وإذا بمكدف يصبح

قائلاً: «إليك عني! يا عاراً على دمك واسمك الملكي. الخير لك أن تسكن الصحراء من أن تحكم.» وهم بالخروج مغضباً، عندما أخذه مالكولم من يده، وشرح له السبب في ادعائه، من أنه كثيراً ما خودع من قبل برسل من مكبث، وأنه لا يستطيع التهور بالثقة في كل من جاءه، غير أنه بالنسبة إلى مكدف، فإن أصله، وسلوكه، وأخلاقه، وظروفه، تدعوه إلى الثقة فيه، ثم أقسم كلاهما على الولاء للآخر، وأخذوا يتشاوران حول الوسائل الضرورية لتحقيق القضاء على الطاغية. وبعد أن أرسلوا سرّاً مع الرسل نبأ خطتهما إلى أصدقائهما، تلقياً من الملك ادوارد عشرة آلاف جندي، بقيادة سيبارد، جد مالكولم لأمه.

XIII لقد أثار خبير زحف هذا الجيش حركة كبيرة في اسكوتلندة وراح الكثيرون ينضمون كل يوم إلى الملك الجديد، حتى كاد مكبث أن يهجره الجميع، فلم يجد وهو في هذا الهجران الفجائي خيراً من أن يقبع في القلعة في دنسينان، وأرسل صحبه مع الاموال إلى ايودي، وارلندة، للحصول على الجنود. وعندما علم مالكولم بنواياه، زحف رأساً عليه، ترافقه اينما سار هتافات الناس ودعاءاتهم بنجاحه. ففرح الجنود بذلك واستبشروا بالنصر، ووضعوا في خودهم غصوناً خضراء، وكانهم جيش عائد بالظفر، لا سائر إلى المعركة. فذهل مكبث لثقة العدو هذه، وهرب في الحال. ولما رأى جنوده أن قائدهم قد هجرهم، استسلموا لمالكولم، في حين أن مكدف راح في أثر الطاغية، وأدركه وقتله. وهنا يروي بعض كتابنا عدداً من الحكايات تليق بالتمثيل المسرحي، أو الرومانسيات الميليزية، أكثر مما تليق بالتاريخ، ولذا فإني أهملها. وقد حكم مكبث اسكوتلندة سبعة عشر عاماً، انجز في العشرة الأولى منها واجبات خير الملوك، غير أنه في السبعة الأخيرة بز في قسوته أغلظ الطغاة.

ملحق (ج)

جون لزلي

من كتابه (De Origine, Moribus, et Rebus Gestis Scotorum)

الفصل الرابع والثلاثون: دنكن

دنكن حفيد مالكولم (*) أصبح بعد ذلك ملكاً بموافقة الجميع، وهو رجل لم يشب طبعه أي قضاظة أو سخط أو مرارة، من النوع الذي لا يردّ على أحد حتى عندما يستفز بأعظم الاساءة. وقد استغل عامة الشعب هذا الميل العجيب في الملك إلى الرحمة، وأرخوا العنان لشهواتهم الشريرة كوحوش برية أطلقت من كل قيد. ولأن دنكن نفسه لم يكن بمقدوره أن يتصرف إلا بالتسامح والرافة، فقد أوكل سلطات حكمه إلى مكبث، وهو رجل أميل قليلاً إلى الاجراءات الصارمة. وقد اغتتم مكبث أول فرصة ووضعه حداً لفوضى الأمة، بفرضه أشد العقوبة على سكان لوخابر (وكانوا قد نهبوا من بانكوو، أمير لوخابر الملكي، الممتلكات الملكية وكثيراً من المال، إضافة إلى إصابته بجرح بليغ). وساق مكبث أيضاً إلى قلعة لوخابر مكدونالد، حاكم الجزر الذي دعم هؤلاء اللصوص، وقاتل بعناد من أجلهم. وهناك حوصر حصاراً شديداً لم يُبق له منفذاً للهرب. فارتعب مكدونالد إذ تخيل العقوبات التي سيقاسيها إذا وقع في أيدي أعدائه، وأعماه العناد، فقتل نفسه كما قتل أفراد أسرته.

(*) قتل مالكولم في غلاس عام ١٠٤٠ (نهاية الفصل الثالث والثلاثين).

وفي هذه الأثناء، عبر ملك النرويج البحر إلى اسكوتلندة ومعه جيشه، مسيئاً حرباً لا مبرر لها البتة بحجة الأثر لمذبحة قديمة كان مواطنوه ضحاياها. فحاصر دنكن في قلعة بيرث وضغط عليه ضغطاً كان سيؤدي إلى اضطاراه إلى التسليم لعدوه، لولا أنه استغل بسرعة فرصة الهجوم على الدانيين وهم غارقون في شراهم. ولم يطل الأمر بمكبث إذ جاء لاسعافه عدد من الجند. وعندئذٍ رفع الملك سفين خيامه على عجل وهرب إلى سفته، لأنه لم يهزم فحسب، بل كان الخطر شديداً على حياته بالذات. ولم يسمح دنكن لفرصة تحطيم الدانيين بالافلات من يده، واستطاع بمشورة مكبث أن يتغلب على اسطولهم ويشته في كنغورن. وما زالت قبور الدانيين قائمة هناك حتى اليوم، وشارات الذكرى المحفورة في الحجر ما زالت تنطق بالمجد الخالد لتلك العملية.

ولكن إن هي الا أيام حتى زها مكبث بالغرور، وتلوي عزمه بشهوة مجنونة في السلطة، فقتل بصورة شنيعة مليكه الأقدس دنكن، وهو الذي كان قد كافأه بأعظم التكريم والعتاء، في السنة السادسة من حكمه وعلى خوفه من الجريمة. فإن زوجته حثته عليها بجميل الوعود بأن نتيجتها ستكون سعيدة. أما ولدا دنكن، مالكولم كانغوير، ودونالد، فقد ذعرا لمقتل أبيهما، وأبديا حكمة عندما صمما على الهرب من البلد.

الفصل الخامس والثلاثون: مكبث

وهكذا اغتصب مكبث العرش عنوة. وكان ابن دوادة، ابنة الملك مالكولم الثاني.

بالرغم من شهرة مكبث بسطوته في الحرب، وجنوح طبعه إلى القسوة، فقد فكر في توطيد ملكه اللاشعري بحجابه النبلاء عن طريق إخماد اللصوصية وقطع الطرق، ومساعدة عامة الشعب بتشريعات مفيدة، وبذا يربط الفئتين بنفسه بروابط شديدة من المودة. ولكن تقريع ضميره في النهاية بسبب أعماله المشينة، اعتمل في دخيلته وسبب له خوفاً على حياته من الذين

يحيطون به، فتحول لطفه إلى انعدام في الرحمة. وأخذ يعدم نبلاءه على نحو مكشوف أو يغريهم بدهائه على التآمر على قتل بعضهم البعض.

وقد اعتبر بانكوو، وبشكل خاص مكدف، خطرين جداً. وقضى على بانكوو في أول فرصة سانحة، بينما راح يدبر بدهائه فخاً لمكدف. وجملة القول فقد أضحى، كأبي طاغية، يخاف جميع الناس، وجميع الناس يخافونه، وبذلك غدا الناس، عن عقل، قلقين على مملكتهم، وعلى سلامتهم. فارسلوا مكدف إلى انكلترا، حيث كان مالكولم كاثوير في المنفى، ليدعوه إلى استعادة ميراثه المشروع، وللتأكيد له باليمين المقدسة على ولائهم له ضد مكبث. ولما سمع الملك ادوارد هذا الخبر، زوّد مالكولم كرمأ منه بعشرة آلاف جندي انكليزي. وعاد مالكولم الى اسكوتلنדה، وطارد مكبث في عدد من المعارك الشرسة. أولاً إلى دنسينان، ثم إلى لمغان. وهناك أعدم مكدف، أمير فايف، مكبث وكان هذا قبل ذلك بقليل قد أمر باعدام زوجة مكدف وأطفاله، وأخذ رأسه إلى مالكولم، فأثنى عليه وسخا في عطائه. وكان موت مكبث في السنة السادسة من طفيلانه.

فهرست عام

الموضوع	الصفحة
مأساة هاملت	
هاملت بين العبث وضرورة الفعل	٧
ملاحظات عن تمثيل « هاملت » على المسرح	٢٥
اشخاص المسرحية	٢٧
الفصل الأول	
المشهد الأول	٢٨
المشهد الثاني	٣٦
المشهد الثالث	٤٨
المشهد الرابع	٥٥
المشهد الخامس	٥٩
الفصل الثاني	
المشهد الأول	٧٠
المشهد الثاني	٧٦
الفصل الثالث	
المشهد الأول	١٠٤
المشهد الثاني	١١٣
المشهد الثالث	١٣٢
المشهد الرابع	١٣٧

الفصل الرابع

١٤٨	المشهد الأول
١٥٠	المشهد الثاني
١٥٢	المشهد الثالث
١٥٢	المشهد الرابع
١٥٩	المشهد الخامس
١٧٠	المشهد السادس
١٧٢	المشهد السابع

الفصل الخامس

١٨٢	المشهد الأول
١٩٥	المشهد الثاني

مأساة الملك لير

٢١٩	الرؤية الشكسبيرية في الملك لير
٢٢٨	اشخاص المسرحية

الفصل الأول

٢٢٩	المشهد الأول
٢٤٢	المشهد الثاني
٢٤٨	المشهد الثالث
٢٥٠	المشهد الرابع
٢٦٤	المشهد الخامس

الفصل الثاني

٢٦٧	المشهد الأول
-----	--------------

٢٧٣	المشهد الثاني
٢٨١	المشهد الثالث
٢٨٢	المشهد الرابع

الفصل الثالث

٢٩٦	المشهد الأول
٢٩٨	المشهد الثاني
٣٠٤	المشهد الثالث
٣٠٥	المشهد الرابع
٣١٢	المشهد الخامس
٣١٣	المشهد السادس
٣١٧	المشهد السابع

الفصل الرابع

٣٢٣	المشهد الأول
٣٢٧	المشهد الثاني
٣٣٢	المشهد الثالث
٣٣٤	المشهد الرابع
٣٣٦	المشهد الخامس
٣٣٨	المشهد السادس
٣٥٠	المشهد السابع

الفصل الخامس

٣٥٦	المشهد الأول
٣٦٠	المشهد الثاني
٣٦١	المشهد الثالث
٣٧٨	حاشية تاريخية

مأساة عطيل

٣٨١	مقدمة
٣٨٧	عطيل - دراسة نقدية
٤٥٣	خطة الزمن الثاني في « عطيل »
٤٥٩	شخصيات المسرحية

الفصل الأول

٤٦١	المشهد الأول
٤٦٩	المشهد الثاني
٤٧٤	المشهد الثالث

الفصل الثاني

٤٩٠	المشهد الأول
٥٠٣	المشهد الثاني
٥٠٤	المشهد الثالث

الفصل الثالث

٥١٩	المشهد الأول
٥٢٢	المشهد الثاني
٥٢٣	المشهد الثالث
٥٤٤	المشهد الرابع

الفصل الرابع

٥٥٣	المشهد الأول
٥٦٥	المشهد الثاني
٥٧٥	المشهد الثالث

الفصل الخامس

- ٥٨٠ المشهد الأول
٥٨٧ المشهد الثاني

أمارة مكبت

- ٦٠٧ كلمة المترجم
٦٠٩ المقدمة
٦٦٠ اشخاص المسرحية

الفصل الأول

- ٦٦٢ المشهد الأول
٦٦٤ المشهد الثاني
٦٦٨ المشهد الثالث
٦٧٧ المشهد الرابع
٦٨١ المشهد الخامس
٦٨٥ المشهد السادس
٦٨٨ المشهد السابع

الفصل الثاني

- ٦٩٣ المشهد الأول
٦٩٧ المشهد الثاني
٧٠٢ المشهد الثالث
٧١١ المشهد الرابع

الفصل الثالث

- ٧١٤ المشهد الأول

٧٢٢	المشهد الثاني
٧٢٥	المشهد الثالث
٧٢٧	المشهد الرابع
٧٣٥	المشهد الخامس
٧٣٨	المشهد السادس

الفصل الرابع

٧٤١	المشهد الأول
٧٥١	المشهد الثاني
٧٥٦	المشهد الثالث

الفصل الخامس

٧٦٩	المشهد الأول
٧٧٣	المشهد الثاني
٧٧٥	المشهد الثالث
٧٧٩	المشهد الرابع
٧٨١	المشهد الخامس
٧٨٢	المشهد السادس
٧٨٣	المشهد السابع
٧٨٨	المشهد الثامن
٧٩١	المشهد التاسع

ملاحق

٧٩٥	ملحق « أ »
٨١٥	ملحق « ب »
٨٢٢	ملحق « ج »

وليم شكسبير الماضي الكبري



قامت
عطيل
الملك لير
مكتب



منشورات
2000



سجوت، ساقية الخنزير، مكتبة
سج الكالكون، ص.ب. ٥٤٦٠-١١
المشرف الشرق، مكتبات
هاتف: ٨٦٩٠٠ / ٨٦٩٠١

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

٨٥٠